

مَنَازِ التَّلَاقِ عَلَى مَنَازِ السَّبِيلِ

الطبعة الأولى

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

مَدَارُ الدَّلِيلِ عَلَى مَنَارِ السَّبِيلِ

تأليف

دكتور/ أحمد حُطَيْبَة

الجزء الأول



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)

[آل عمران : ١٠٢] ،

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١)

[النساء : ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١)

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أَمَّا بَعْدُ؛

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ
فِي النَّارِ .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِالْهُدَى، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَنَا مِنْ عُلُومِ دِينِهِ مَا نَفَرَّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْغُثِّ وَالسَّمِينِ، وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ (٧١)، (٣١١٦)، (٣٦٤١)، (٧٣١٢)، وَمُسْلِمٌ (١٠٣٧)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٢١)، وَأَحْمَدُ (١٦٣٩٢)، (١٦٤٠٧، ١٦٤١٨، ١٦٤٣٢) عَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

فَعِلْمُ الْفِقْهِ مِنْ أَهَمِّ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ، بِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، وَبِهِ يَتَعَبَّدُ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ، وَبِهِ يَدْفَعُ الْعَبْدُ عَنْ نَفْسِهِ كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَستَهُ، وَبِهِ يَتَعَامَلُ مَعَ الْخَلْقِ.

وَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ بِتَدْرِيسِ كِتَابِ "مَنَارِ السَّبِيلِ" خِلَالَ سَنَوَاتِ تَدْرِيسِي لَهُ بِمَعْهَدِ الْفُرْقَانِ مُنْذُ سَنَةِ ١٩٨٦ وَإِلَى الْآنَ، كُنْتُ أُعَلِّقُ عَلَى مَسَائِلِ الْكِتَابِ، وَأَزِيدُ فِيهَا مِنْ غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ وَالتَّفْسِيرِ وَشُرُوحِ الْحَدِيثِ الَّتِي كُنْتُ أُدْرِسُهَا بِالْمَسْجِدِ بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَبَعْدَ الْعِشَاءِ وَقَدْ أَنْهَيْتَ مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ كِتَابَ الْمُغْنِيِّ لِابْنِ قُدَامَةَ الْحَنْبَلِيِّ، وَالْمَجْمُوعَ لِلنَّوَوِيِّ الشَّافِعِيِّ، وَالْمُحَلَّى لِابْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيِّ، وَشُرُوحَ الصَّحِيحَيْنِ وَالسُّنَنِ الْأَرْبَعَةِ وَمُسْنَدَ أَحْمَدَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي كُنْتُ أَنْقُلُ مِنْهَا عَلَى حَوَاشِي الْكِتَابِ، كَمَا أَفْضْتُ فِي شَرْحِ الْمَوَارِيثِ بِذِكْرِ مَسَائِلَ فِي كُلِّ بَابٍ مَعَ حَلِّهَا بِرِسْمِ شَبَاكِ الْوَرَاثَةِ لَيْسَهْلَ

عَلَى الطَّالِبِ فَهْمُهَا، وَزِدْتُ فِي الْمَسَائِلِ مِنْ كُتُبِ الْفَرَائِضِ مَا يُبَيِّنُ الْمُرَادَ، وَالْحَقْتُ بِهِ بِرَنَامَجًا عَلَى (سِي دِي) يَشْرَحُ الْفَرَائِضَ شَرْحًا مُبَسِّطًا أَرْجُو أَنْ يَسْهَلَ هَذَا الْعِلْمَ عَلَى طَالِبِهِ، فَكَبَّرَ حَجْمُ الْكِتَابِ حَتَّى صَارَ الشَّرْحُ خَمْسَةَ أَضْعَافِ الْكِتَابِ الْأَصْلِيِّ، وَصَارَ أَقْرَبَ إِلَى الْفِقْهِ الْمُقَارَنِ مِنْهُ لِلْفِقْهِ الْحَنْبَلِيِّ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَطْبَعَهُ لِيُسْتَفَادَ مِنْهُ، وَلَكِنَّ حَجْمَهُ الْكَبِيرَ حَالَ دُونَ ذَلِكَ، فَطَبَعْتُ هَذِهِ الطَّبْعَةَ الْأُولَى كَتَجَرِبَةٍ لِلْكِتَابِ؛ أَرْجُو أَنْ يُسْتَفَادَ بِهَا مِنَ الْكِتَابِ، مَعَ عِلْمِي بِوُجُودِ مَوَاضِعَ تَحْتَاجُ إِلَى تَخْرِيجَاتٍ وَبَسِطٍ، وَلَكِنْ مَا لَا يُدْرِكُ كُلُّهُ لَا يَتْرُكُ جُلَّهُ، فَهَذَا جَهْدُ الْمُقِلِّ وَزَادَ الْفَقِيرُ، فَأَرْجُو مِنَ الْمَوْلَى الْقَبُولَ وَالتَّجَاوُزَ عَنِ التَّقْصِيرِ.

وَسَمَّيْتُهُ "مَدَارَ الدَّلِيلِ عَلَى مَنَارِ السَّبِيلِ"، وَحَاوَلْتُ أَنْ أَدُورَ مَعَ الدَّلِيلِ حِينَ أَذْكُرُ الْمَسَائِلَ وَالْخِلَافَ وَالتَّعْلِيلَ، وَلَعَلَّ بَعْضَ الْأَدِلَّةِ أَنْ تَكُونَ أَقْوَى مِنْ بَعْضٍ فَتَحْتَمِلُ الْمَسْأَلَةَ قَوْلَيْنِ لِلْعُلَمَاءِ كِلَاهُمَا لَهُ قُوَّةٌ فَأَذْكُرُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ.

"مِنَ الْمُتَقَارِبِ":

فَهَذَا كِتَابِي أَحَبُّ الصَّحَابِ	رَفِيقُ الشَّبَابِ صَدِيقُ الْهَرَمِ
مَدَارُ الدَّلِيلِ مَنَارُ السَّبِيلِ	مَرَارُ النَّبِيلِ دَوَاءُ السَّقَمِ
أَنِيسُ الْفَقِيهِ جَلِيسُ النَّبِيهِ	نَفِيسُ الْوُجُوهِ عَظِيمُ الْحِكَمِ
مُعِينُ الدُّوُوبِ مُبِينُ الدُّرُوبِ	مُلِينُ الْقُلُوبِ مُقَوُّ الْهِمَمِ

حَوَى فِقْهَ دِينٍ بِئْسَرٍ وَلِينٍ
 بِشَرْحٍ بَسِيطٍ وَطَرَحٍ وَسِيطٍ
 بِتَفْصِيلِ قَوْلٍ وَتَعْلِيلِ عَوَلٍ
 بِهِ جُلُّ زَادِي لِيَوْمِ التَّنَادِي
 إِلَهِي أَعْنِي وَكُنْ عِنْدَ ظَنِّي
 وَسَدِّدْ بَنَانِي وَثَبِّتْ جَنَانِي
 وَأَصْدِقْ فِعَالِي وَأَخْلِصْ مَقَالِي
 وَكَفِّرْ ذُنُوبِي وَأَصْلِحْ عُيُوبِي
 وَظَهِّرْ فُؤَادِي وَأَيِّدْ جِهَادِي

وَكَتَبَهُ / أَحْمَدُ حُطَيْيَّة.

فِي التَّاسِعِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ١٤٣٢

١٠ / ٧ / ٢٠١١

مُقَدِّمَةُ كِتَابِ "الْمَجْمُوعِ" لِلْإِمَامِ النَّوَوِيِّ

فَضْلٌ: فِي الْإِحْلَاصِ، وَالصَّدْقِ، وَإِحْضَارِ النِّيَّةِ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ
الْبَارَّةِ، وَالْحَقِيقَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]،
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا﴾ [الزمر: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ
بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]،
وَرَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ
كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ، وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَ
هَاجَرَتْهُ لِدُنْيَا بُيُوتِهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ») حَدِيثٌ
صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ مُجْمَعٌ عَلَى عِظَمِ مَوْقِعِهِ، وَجَلَالَتِهِ، وَهُوَ إِحْدَى
قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ، وَأَوَّلُ دَعَائِمِهِ، وَآكُذُ الْأَرْكَانِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَدْخُلُ هَذَا الْحَدِيثُ فِي سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفِقْهِ،
وَقَالَ أَيْضًا: هُوَ ثُلُثُ الْعِلْمِ، وَكَذَا قَالَهُ أَيْضًا غَيْرُهُ،

وَهُوَ أَحَدُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الْإِسْلَامِ،

وَقَدْ أُخْتَلِفَ فِي عَدِّهَا فَقِيلَ: ثَلَاثَةٌ، وَقِيلَ: أَرْبَعَةٌ، وَقِيلَ: اثْنَانِ،
وَقِيلَ: حَدِيثٌ، وَقَدْ جَمَعْتُهَا كُلَّهَا فِي جُزْءِ الْأَرْبَعِينَ فَبَلَغَتْ أَرْبَعِينَ

حَدِيثًا، لَا يَسْتَعْنِي مُتَدِينٌ عَنْ مَعْرِفَتِهَا؛ لِأَنَّهَا كُلُّهَا صَحِيحَةٌ جَامِعَةٌ قَوَاعِدُ
الإِسْلَامِ، فِي الْأُصُولِ، وَالْفُرُوعِ، وَالزُّهْدِ، وَالْأَدَابِ، وَمَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلِنَّمَا بَدَأْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَأْسِيًا بِأُمَّتِنَا،
وَمُتَقَدِّمِي أَسْلَافِنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ ابْتَدَأَ بِهِ إِمَامُ أَهْلِ الْحَدِيثِ بِلا
مُدَافَعَةٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَنَقَلَ جَمَاعَةٌ أَنَّ السَّلَفَ كَانُوا
يَسْتَحِبُّونَ افْتِتَاحَ الْكُتُبِ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَنْبِيْهًا لِلطَّلَابِ عَلَى تَصْحِيحِ النِّيَّةِ
وإِرَادَتِهِ وَجَهَ اللَّهِ تَعَالَى بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ الْبَارِزَةِ وَالْخَفِيَّةِ.

وَرَوَيْنَا عَنْ الْإِمَامِ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كُوِّ
صُنِّفَتْ كِتَابًا بَدَأْتُ فِي أَوَّلِ كُلِّ بَابٍ مِنْهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ)، وَرَوَيْنَا عَنْهُ أَيْضًا
قَالَ: (مَنْ أَرَادَ أَنْ يُصَنِّفَ كِتَابًا فَلْيَبْدَأْ بِهَذَا الْحَدِيثِ)،

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْخَطَّابِ
الْخَطَّابِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي "كِتَابِهِ الْمَعَالِمِ" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَعَالَى: (كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ
شُيُوحِنَا يَسْتَحِبُّونَ تَقْدِيمَ حَدِيثِ: «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» أَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ
يُنْشَأُ، وَيَبْتَدَأُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ. لِعُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِهَا).

وَهَلْوَ أَحْرَفَتْ مِنْ كَلَامِ الْعَارِفِينَ فِي الْإِخْلَاصِ، وَالصُّدُقِ:

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّمَا يُعْطَى الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ
نِيَّتِهِ)،

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نَظَرَ الْأَكْيَاسُ فِي

تَفْسِيرِ الْإِخْلَاصِ فَلَمْ يَجِدُوا غَيْرَ هَذَا: أَنْ تَكُونَ حَرَكَاتُهُ وَسُكُونُهُ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، لَا يُمَارِجُهُ شَيْءٌ لَا نَفْسٌ وَلَا هَوًى وَلَا دُنْيَا، وَقَالَ السَّرِيُّ رحمته الله: (لَا تَعْمَلْ لِلنَّاسِ شَيْئًا، وَلَا تَتْرُكْ لَهُمْ شَيْئًا، وَلَا تُعْطِ لَهُمْ شَيْئًا، وَلَا تَكْشِفْ لَهُمْ شَيْئًا)،

وَرَوَيْنَا عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ التَّابِعِيِّ رحمته الله: (أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: حَدِّثْنَا فَقَالَ: حَتَّى تَجِيءَ النِّيَّةُ)،

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سُفْيَانَ بْنِ سَعِيدٍ الثَّوْرِيِّ رحمته الله قَالَ: (مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ يَتِيٍّ إِنَّهَا تَتَقَلَّبُ عَلَيَّ)،

وَعَنْ ذِي الثُّونِ رحمته الله قَالَ: (ثَلَاثَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِخْلَاصِ: اسْتِوَاءُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِنَ الْعَامَّةِ، وَنَسْيَانُ رُؤْيَا الْأَعْمَالِ فِي الْأَعْمَالِ، وَاقْتِضَاءُ ثَوَابِ الْعَمَلِ فِي الْآخِرَةِ)،

وَعَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ رحمته الله قَالَ: (تَرَكَ الْعَمَلَ لِأَجْلِ النَّاسِ رِيَاءً، وَالْعَمَلَ لِأَجْلِ النَّاسِ شِرْكًا، وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يُعَافِيَكَ اللَّهُ مِنْهُمَا). وَأَمَّا الصَّدَقُ:

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

[التوبة: ١١٩].

قَالَ الْقُسَيْرِيُّ: (الصَّدَقُ عِمَادُ الْأَمْرِ، وَبِهِ تَمَامُهُ، وَفِيهِ نِظَامُهُ، وَأَقْلُهُ اسْتِوَاءُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ)،

وَرَوَيْنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ قَالَ: (لَا يَشُمُّ رَائِحَةَ الصَّدَقِ عَبْدٌ دَاهَنَ نَفْسَهُ أَوْ غَيْرَهُ)،

وَعَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ رحمته الله قَالَ: (الصَّادِقُ يَتَغَلَّبُ فِي الْيَوْمِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَالْمُرَائِي يُثْبِتُ عَلَى حَالِهِ وَاحِدَةً أَرْبَعِينَ سَنَةً).
قُلْتُ: مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّادِقَ يَدُورُ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ دَارَ.



بَابُ فِي فَضِيلَةِ الْإِسْتِغَالِ بِالْعِلْمِ، وَتَضْيِيفِهِ، وَتَعْلِيمِهِ، وَتَعْلِيمِهِ،
وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، وَالْإِشَادِ إِلَى طَرَفِهِ

قَدْ تَكَاثَرَتْ الْآيَاتُ، وَالْأَخْبَارُ، وَالْآثَارُ، وَتَوَاتَرَتْ، وَتَطَابَقَتْ
الدَّلَائِلُ الصَّرِيحَةُ، وَتَوَافَقَتْ، عَلَى فَضِيلَةِ الْعِلْمِ، وَالْحَثِّ عَلَى تَحْصِيلِهِ،
وَالْإِجْتِهَادِ فِي اقْتِنَاسِهِ، وَتَعْلِيمِهِ.

وَأَنَا أَذْكُرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ، تَنْبِيْهَا عَلَى مَا هُنَالِكَ:

١ - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾

[الزمر: ٩]،

٢ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]،

٣ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...﴾ [فاطر: ٢٨]،

٤ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾

[المجادلة: ١١]، وَالْآيَاتُ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

أَمَّا الْأَحَادِيثُ:

١ - فَرَوَى الْبُخَارِيُّ (٧١، ٣١١٦، ٣٦٤١، ٧٣١٢)، وَمُسْلِمٌ (١٠٣٧) عَنْ

مُعَاوِيَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ﴾.

٢ - وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (٧٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٨٢) عَنْ أَبِي مُوسَى

الْأَشْعَرِيِّ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ

الْهُدَى وَالْعِلْمَ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، لَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكْتَ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

٣ - وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (٧٣، ١٤٠٩، ٧١٤١، ٧٣١٦)، وَمُسْلِمٌ (٨١٦) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ؓ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَاسْلَطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا». وَالْمَرَادُ بِالْحَسَدِ الْغِبْطَةُ، وَهِيَ أَنْ يَتَمَنَّى مِثْلَهُ. وَمَعْنَاهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَغْبِطَ أَحَدًا إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الْمُوَصَّلَتَيْنِ إِلَى رِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

٤ - وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (٣٠٠٩، ٢٩٤٢، ٣٧٠١، ٤٢١٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٠٦) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ؓ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ ؓ: قَوْلَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا، وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»،

٥ - وَرَوَى مُسْلِمٌ (٢٦٧٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ».

٦ - وَرَوَى مُسْلِمٌ (١٦٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ﴾.

٧ - وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ (٢٦٨٥) عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ؓ قَالَ: ﴿ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَذْنَاكُمْ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ لَيَصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ﴾. [قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

٨ - وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ (٢٣٢٢)، وَابْنُ مَاجَهَ (٤١١٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا﴾. هَذَا لَفْظُ ابْنِ مَاجَهَ [وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

٩ - وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٣٦٤١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦٨٢)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٢٣) مِنْ طَرِيقِ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ يُحَدِّثُ عَنْ دَاوُدَ بْنِ جَمِيلٍ عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: ﴿كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَظْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا

مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ ﴿١﴾. [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَفِي الْبَابِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، وَفِيمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ كِفَايَةٌ.

وَأَمَّا الْأَثَارُ عَنِ السَّلَفِ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ: نَذْكُرُ مِنْهَا أَحْرَفًا مُتَبَرِّكِينَ، مُشِيرِينَ إِلَى غَيْرِهَا، وَمُنَبِّهِينَ:

عَنْ عَلِيٍّ ؑ: (كَفَى بِالْعِلْمِ شَرَفًا أَنْ يَدَّعِيَهُ مَنْ لَا يُحْسِنُهُ، وَيَفْرَحَ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَكَفَى بِالْجَهْلِ ذَمًّا أَنْ يَتَّبِعَهُ مَنْهُ مَنْ هُوَ فِيهِ).

وَعَنْ مُعَاذٍ ؑ: (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ، وَمُذَاكَرَتُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمُهُ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ).

قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ: (مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مَثَلُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ إِذَا بَدَتْ لِلنَّاسِ اهْتَدَوْا بِهَا، وَإِذَا خَفِيََتْ عَلَيْهِمْ تَحَيَّرُوا).

عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهِ قَالَ: (يَتَشَعَّبُ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرَفُ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ دَيْئًا، وَالْعِزُّ، وَإِنْ كَانَ مَهِينًا، وَالْقُرْبُ وَإِنْ كَانَ قَصِيًّا، وَالْغِنَى وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا، وَالنُّبْلُ وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا، وَالْمَهَابَةُ وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا، وَالسَّلَامَةُ وَإِنْ كَانَ سَفِيهَا).

وَقِيلَ: (الْعِلْمُ يَخْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَخْرُسُ الْمَالَ، وَهُوَ يَدْفَعُ عَنْكَ، وَأَنْتَ تَدْفَعُ عَنِ الْمَالِ)،

وَقِيلَ: (الْعِلْمُ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ، وَمُضْبَاخُ الْبَصَائِرِ فِي الظُّلَمِ، بِهِ تُبْلَغُ مَنَازِلُ الْأَبْرَارِ، وَدَرَجَاتُ الْأَخْيَارِ، وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ، وَمُتَدَارِسَتُهُ تَرْجِيحُ عَلَى الصَّلَاةِ، وَصَاحِبُهُ مُبَجَّلٌ مُكْرَّمٌ)،

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رحمته الله: (إِنْ لَمْ يَكُنِ الْفُقَهَاءُ الْعَامِلُونَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ وَلِيٌّ)،

وَقَالَ: (مَا أَحَدٌ أَوْرَعُ لِحَالِقِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ)،

وَقَالَ: (مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ عَظُمَتْ قِيَمَتُهُ وَمَنْ نَظَرَ فِي الْفِقْهِ نَبَلَ قَدْرُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي اللُّغَةِ رَقَّ طَبْعُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْحِسَابِ جَزُلَ رَأْيُهُ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ قَوِيَتْ حُجَّتُهُ، وَمَنْ لَمْ يَضُنْ نَفْسَهُ لَمْ يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ).



فَضْلٌ: فِي تَرْجِيحِ الْإِسْتِغَالِ بِالْعِلْمِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ
وْغَيْرِهِمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ الْقَاصِرَةِ عَلَى فَاعِلِهَا

قَدْ تَقَدَّمَتِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْمَعْنَى.

وَعَنْ عَطَاءٍ قَالَ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ هِيَ مَجَالِسُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ كَيْفَ تَشْتَرِي، وَتَبِيعُ، وَتُصَلِّي، وَتَصُومُ، وَتَنْكِحُ، وَتُطَلِّقُ، وَتَحُجُّ، وَأَشْبَاهُ هَذَا.

وَعَنْ عَلِيٍّ ؓ : (الْعَالِمُ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْغَارِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ)،

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ؓ : (مُذَاكِرَةُ الْعِلْمِ سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ)،
وَعَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، قَالَ: (لَأَنْ أَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ فَأَعْلَمَهُ مُسْلِمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ لِي الدُّنْيَا كُلُّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى)، وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَالشَّافِعِيِّ: (لَيْسَ شَيْءٌ بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ)،
وَعَنْ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، (وَقِيلَ لَهُ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ أَجْلِسُ بِاللَّيْلِ أَنْسَخَ أَوْ أَصْلِي تَطَوُّعًا؟ قَالَ: فَتَسْحُكُ تَعْلَمُ بِهَا أَمْرَ دِينِكَ لَهْوَ أَحَبُّ)،
وَعَنْ مَكْحُولٍ: (مَا عُبِدَ اللَّهُ بِأَفْضَلَ مِنَ الْفِقْهِ).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: (لَيْسَتْ عِبَادَةُ اللَّهِ بِالصَّوْمِ، وَالصَّلَاةِ، وَلَكِنْ بِالْفِقْهِ فِي دِينِهِ). يَعْنِي لَيْسَ أَعْظَمُهَا، وَأَفْضَلُهَا الصَّوْمُ، بَلْ الْفِقْهُ.
وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ: (أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ دَرَجَةِ النَّبِيِّ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَأَهْلُ الْجِهَادِ، فَالْعُلَمَاءُ دَلُّوا النَّاسَ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَأَهْلُ الْجِهَادِ جَاهَدُوا عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ)،

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: (أَرْفَعَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَنْزِلَةً مَنْ كَانَ بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ، وَهُمْ الرُّسُلُ، وَالْعُلَمَاءُ).

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْإِشْتِغَالَ بِالْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنَ الْإِشْتِغَالَاتِ

بِنَوَافِلِ الصَّوْمِ، وَالصَّلَاةِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ نَوَافِلِ عِبَادَاتِ الْبَدَنِ،
وَمِنْ دَلَالِيلِهِ سِوَى مَا سَبَقَ أَنْ نَفَعَ الْعِلْمَ يَعْثُرُ صَاحِبُهُ وَالْمُسْلِمِينَ،
وَالنَّوَافِلُ الْمَذْكُورَةُ مُخْتَصَّةٌ بِهِ، وَلَئِنْ الْعِلْمُ مُصَحِّحٌ فَغَيْرُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ مُفْتَقِرٌ
إِلَيْهِ، وَلَا يَنْعَكِسُ، وَلَئِنْ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يُوصَفُ الْمُتَعَبِّدُونَ
بِذَلِكَ، وَلَئِنْ الْعَابِدُ تَابِعٌ لِلْعَالِمِ مُقْتَدٍ بِهِ مُقَلِّدٌ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ وَغَيْرِهَا وَاجِبٌ
عَلَيْهِ طَاعَتُهُ، وَلَا يَنْعَكِسُ؛ وَلَئِنْ الْعِلْمُ تَبَقَّى فَايْدَتُهُ وَأَثَرُهُ بَعْدَ صَاحِبِهِ،
وَالنَّوَافِلُ تَنْقَطِعُ بِمَوْتِ صَاحِبِهَا؛ وَلَئِنْ الْعِلْمُ صِفَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى؛ وَلَئِنْ الْعِلْمُ
فَرَضُ كِفَايَةٍ أَغْنَى الْعِلْمَ الَّذِي كَلَامُنَا فِيهِ، فَكَانَ أَفْضَلَ مِنَ النَّافِلَةِ،

وَقَدْ قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ رحمته الله فِي كِتَابِهِ الْغِيَاثِيُّ: (فَرَضُ الْكِفَايَةِ أَفْضَلُ
مِنْ فَرَضِ الْعَيْنِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ قَاعِلَهُ يَسُدُّ مَسَدَّ الْأُمَّةِ، وَيُسْقِطُ الْحَرَجَ عَنِ
الْأُمَّةِ، وَفَرَضُ الْعَيْنِ قَاصِرٌ عَلَيْهِ)، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.



فَضْلٌ. فِيمَا أَنْشَدُوهُ فِي فَضْلِ طَلَبِ الْعِلْمِ

وَهَذَا وَاسِعٌ جِدًّا، وَلَكِنْ مِنْ عُيُونِهِ:

مَا جَاءَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِيِّ ظَالِمِ بْنِ عَمْرِو التَّائِبِيِّ رحمته الله "مِنْ الْبَسِيطِ":
الْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ فَاطْلُبْ هُدَيْتَ فُتُونَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبَا
لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَهُ أَضَلُّ بِلاَ آدَبٍ حَتَّى يَكُونَ عَلَى مَا زَانَهُ حَدِيبَا

كَمْ مِنْ كَرِيمٍ أَخِي عَيٍّ وَظُمَظَمَةٍ
فِي بَيْتٍ مَكْرَمَةٍ أَبَاؤُهُ نُجُبٌ
وَخَامِلٍ مُقْرِفٍ الْأَبَاءِ ذِي آدَبٍ
أَمْسَى عَزِيزًا عَظِيمَ الشَّانِ مُشْتَهَرًا
الْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ
قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَا لَا تُمْ يُحْرَمُهُ
وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا
يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نَعَمْ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ
[زِيَادَةٌ]: وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، وَقِيلَ: مُحَمَّدُ بْنُ كُنَاسَةَ "مِنْ الطَّوِيلِ":

تَعَلَّمَ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا
وَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ
وَإِنَّ صَغِيرَ الْقَوْمِ إِنْ كَانَ عَالِمًا
لَا تَرْضَى مِنْ عَيْشٍ بِدُونٍ وَلَا يَكُنْ
وَقَالَ الشَّافِعِيُّ:

رَأَيْتُ الْعِلْمَ صَاحِبُهُ كَرِيمٌ
وَلَيْسَ يَزَالُ يَرْفَعُهُ إِلَى أَنْ
وَيَتَّبِعُونَهُ فِي كُلِّ حَالٍ
فَلَوْلَا الْعِلْمُ مَا سَعِدَتْ رِجَالٌ
وَلَوْ وَلَدَتْهُ آبَاءٌ لِسَاءِ
يُعَظَّمُ أَمْرُهُ الْقَوْمُ الْكَرَامُ
كَرَاعِي الضَّأْنِ تَتَّبِعُهُ السَّوَامُ
وَلَا عُرِفَ الْحَلَالُ وَلَا الْحَرَامُ

وَلَا خَرَّ:

عَلَّمَ الْعِلْمَ مَنْ أَتَاكَ لِعِلْمٍ وَاعْتَنِمَ مَا حَيَّتَ مِنْهُ الدُّعَاءَ
وَلْيَكُنْ عِنْدَكَ الْغِنَى إِذَا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ وَالْفَقِيرُ سَوَاءَ

وَلَا خَرَّ:

مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءَ
وَقَدَّرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْبَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ.

وَلَا خَرَّ:

عَابَ التَّفَقُّهُ قَوْمٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
مَا ضَرَّ شَمْسُ الضُّحَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ أَنْ لَا يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ



فَضْلٌ فِي دَمٍّ مَنْ أَرَادَ بِفَعْلِهِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

اعْلَمْ أَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْفَضْلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ طَلَبَهُ مُرِيدًا
بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا لِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَنْ أَرَادَهُ لِعَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ كَمَالٍ
أَوْ رِيَاسَةٍ أَوْ مَنْصِبٍ أَوْ وَجَاهَةٍ، أَوْ شُهْرَةٍ أَوْ اسْتِمَالَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَوْ قَهْرِ
الْمُنَاطِرِينَ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ فَهُوَ مَذْمُومٌ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ
يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠]،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]،
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِغِ مَرَادٍ﴾ [الفجر: ١٤]،
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ...﴾ [البينة: ٥]، وَالْآيَاتُ فِيهِ كَثِيرَةٌ.

وَرَوَيْنَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ أُسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى أُسْتُشْهِدْتُ قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ: ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيقَالَ: قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ) (وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْني: رِيحَهَا﴾ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٦٦٤)، وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ. [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

رَوَى التِّرْمِذِيُّ (٢٦٥٥)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٥٣) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءُ أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءُ أَوْ لِيَصْرِفَ وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ﴾. هَذَا لَفْظُ ابْنِ مَاجَهَ. [وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اعْمَلُوا بِهِ فَإِنَّمَا الْعَالَمُ مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمٌ، وَوَافَقَ عِلْمُهُ عَمَلُهُ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يُخَالِفُ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ، وَيُخَالِفُ سِرِّيَّتُهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ، يَجْلِسُونَ جُلُقًا يُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ، وَيَدَّعُهُ، أَوْ لَيْتَكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى).



فَضْلٌ: فِي النَّهْيِ الْأَكِيدِ، وَالْوَعْدِ الشَّدِيدِ، لِمَنْ يُؤْذِي أَوْ يَسْتَمِصُّ الْمُفْهَاءَ، وَالْمُسْتَفْهِينَ، وَالْحَثُّ عَلَى إِكْرَامِهِمْ، وَتَعْظِيمِ حُرْمَاتِهِمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ...﴾ [الحج: ٣٠]،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]

وَتَبَتْ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ **«أَنَّ اللَّهَ ﻻ يَقْبَلُ مِنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»** ،
وَرَوَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ عَنْ الشَّافِعِيِّ ، وَأَبِي حَنِيفَةَ رضي الله عنه قَالَا : " إِنْ
لَمْ تَكُنْ الْفَقْهَاءَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ وَلِيٌّ " ، وَفِي كَلَامِ الشَّافِعِيِّ : الْفَقْهَاءُ
الْعَامِلُونَ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : مَنْ آذَى فَقِيهًا فَقَدْ آذَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ آذَى
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ آذَى اللَّهَ تَعَالَى ﻻ ،
وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ رضي الله عنه : **«مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا
يُظْلَمُكَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذِمَّتِهِ»** ،
وَفِي رِوَايَةٍ **«فَلَا تُخْفِرُوا لِلَّهِ فِي ذِمَّتِهِ»** ،

وَقَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرٍ رحمته الله : " اَعْلَمْ يَا أَخِي
وَفَقَّنِي اللَّهُ ، وَإِيَّاكَ لِمَرْضَاتِهِ ، وَجَعَلَنَا مِنْ يَخْشَاهُ ، وَيَتَّقِيهِ حَقَّ تَقَاتِهِ ؛ أَنْ
لُحُومَ الْعُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ ، وَعَادَةُ اللَّهِ فِي هَتِكِ أَسْتَارِ مُتَقَصِّصِهِمْ مَعْلُومَةٌ ، وَأَنْ
مَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِي الْعُلَمَاءِ بِالثَّلْبِ بَلَاهُ اللَّهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ الْقَلْبِ
«فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»
[النور : ٦٣] .



بَابُ أَقْسَامِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ

هِيَ ثَلَاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: فَرَضُ الْعَيْنِ، وَهُوَ تَعَلُّمُ الْمُكَلَّفِ مَا لَا يَتَأَدَّى الْوَاجِبُ الَّذِي تَعَيَّنَ عَلَيْهِ فِعْلُهُ إِلَّا بِهِ، كَكَيْفِيَّةِ الْوُضُوءِ، وَالصَّلَاةِ، وَنَحْوِهِمَا، وَعَلَيْهِ حَمَلَ جَمَاعَاتُ الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ فِي مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى الْمَوْصِلِيِّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ﴾، وَهَذَا الْحَدِيثُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَابِتًا فَمَعْنَاهُ صَحِيحٌ [وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٢٢٤) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَحَمَلَهُ آخَرُونَ عَلَى فَرَضِ الْكِفَايَةِ،

وَأَمَّا أَضَلُّ وَاجِبِ الْإِسْلَامِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقَائِدِ فَيَكْفِي فِيهِ التَّصْدِيقُ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاعْتِقَادُهُ اعْتِقَادًا جَازِمًا سَلِيمًا مِنْ كُلِّ شَكٍّ، وَلَا يَتَعَيَّنُ عَلَى مَنْ حَصَلَ لَهُ هَذَا تَعَلُّمُ أدِلَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ. هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي أَطْبَقَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَالْفُقَهَاءُ، وَالْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَصْحَابِنَا، وَغَيْرِهِمْ،

فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُطَالِبْ أَحَدًا بِشَيْءٍ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ، وَكَذَلِكَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الصُّدَرِ الْأَوَّلِ، بَلِ الصَّوَابُ لِلْعَوَامِّ، وَجَمَاهِيرِ الْمُتَقَرِّبِينَ، وَالْفُقَهَاءِ الْكَفِّ عَنْ الْخَوْضِ فِي دَقَائِقِ الْكَلَامِ، مَخَافَةً مِنْ اخْتِلَالِ يَتَطَرَّقُ إِلَى عَقَائِدِهِمْ يَضْعُبُ عَلَيْهِمْ إِخْرَاجُهُ، بَلِ الصَّوَابُ لَهُمُ الْإِقْتِصَارُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِكْتِفَاءِ بِالتَّصْدِيقِ

الْجَازِمِ، وَقَدْ نَصَّ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ جَمَاعَاتٌ مِنْ حُدَّاقِ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ.

وَقَدْ بَالَعَ إِمَامُنَا الشَّافِعِيُّ رحمته الله تَعَالَى فِي تَحْرِيمِ الْإِسْتِغَالِ بِعِلْمِ الْكَلَامِ أَشَدَّ مُبَالَغَةً، وَأَطْنَبَ فِي تَحْرِيمِهِ، وَتَغْلِيظِ الْعُقُوبَةِ لِمُتَعَاطِيهِ، وَتَقْيِيحِ فِعْلِهِ، وَتَعْظِيمِ الْإِثْمِ فِيهِ فَقَالَ: "لَأَنْ يَلْقَى اللَّهُ الْعَبْدَ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشَّرْكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ"، وَأَلْفَاظُهُ بِهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ، وَقَدْ صَنَّفَ الْغَزَالِيُّ رحمته الله فِي آخِرِ أَمْرِهِ كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ الَّذِي سَمَّاهُ (الْجَامُ الْعَوَامُ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ)، وَذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَوَامٌ فِي هَذَا الْفَنِّ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَغَيْرِهِمْ إِلَّا الشَّاذَّ النَّادِرَ الَّذِي لَا تَكَادُ الْأَعْصَارُ تَسْمَحُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلَوْ تَشَكَّكَ، وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَصُولِ الْعَقَائِدِ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْ اعْتِقَادِهِ، وَلَمْ يَزُلْ شَكُّهُ إِلَّا بِتَعْلِيمِ دَلِيلٍ مِنْ أَدِلَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجِبَ تَعْلُمُ ذَلِكَ لِإِزَالَةِ الشَّكِّ، وَتَحْصِيلِ ذَلِكَ الْأَصْلِ.

(فَرَعٌ) وَلَا يَلْزَمُ الْإِنْسَانَ تَعْلُمُ كَيْفِيَّةِ الْوُضُوءِ، وَالصَّلَاةِ، وَشِبْهِهِمَا إِلَّا بَعْدَ وَجُوبِ ذَلِكَ الشَّيْءِ،

فَإِنْ كَانَ بِحَيْثُ لَوْ صَبَرَ إِلَى دُخُولِ الْوَقْتِ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ تَمَامِ تَعْلُمِهَا مَعَ الْفِعْلِ فِي الْوَقْتِ فَهَلْ يَلْزَمُهُ التَّعْلُمُ قَبْلَ الْوَقْتِ؟ فَالْصَّحِيحُ: أَنَّهُ يَلْزَمُهُ تَقْدِيمُ التَّعْلُمِ كَمَا يَلْزَمُ السَّعْيُ إِلَى الْجُمُعَةِ لِمَنْ بَعْدَ مَنَزَلِهِ قَبْلَ الْوَقْتِ، ثُمَّ إِذَا كَانَ الْوَاجِبُ عَلَى الْفَوْرِ كَانَ تَعْلُمُ الْكَيْفِيَّةِ عَلَى الْفَوْرِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى التَّرَاحِي كَالْحَجِّ فَعَلَى التَّرَاحِي.

ثُمَّ الَّذِي يَجِبُ مِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ : مَا يَتَوَقَّفُ أَدَاءُ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ غَالِبًا ، دُونَ مَا يَظَرُّ نَادِرًا ،

لِإِنْ وَقَعَ وَجَبَ التَّعَلُّمُ حِينَئِذٍ ،

وَفِي تَعَلُّمِ أَدَاءِ الْقِبْلَةِ أَوْجُهُ : أَصَحُّهَا فَرَضُ كِفَايَةٍ ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ سَفَرًا فَيَتَعَيَّنُ ؛ لِعُمُومِ حَاجَةِ الْمُسَافِرِ إِلَى ذَلِكَ .

(فَرْعٌ) أَمَّا الْبَيْعُ ، وَالنِّكَاحُ ، وَشِبْهُهُمَا مِمَّا لَا يَجِبُ أَصْلُهُ :

فَقَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَالْغَزَالِيُّ وَغَيْرُهُمَا : يَتَعَيَّنُ عَلَى مَنْ أَرَادَهُ تَعَلُّمُ كَيْفِيَّتِهِ ، وَشَرْطِهِ ،

وَقِيلَ : لَا يُقَالُ يَتَعَيَّنُ بَلْ يُقَالُ : يَحْرُمُ الْإِقْدَامُ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ شَرْطِهِ ، وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ أَصَحُّ ، وَعِبَارَتُهُمَا مَحْمُولَةٌ عَلَيْهَا ،

وَكَذَا يُقَالُ فِي صَلَاةِ النَّافِلَةِ : يَحْرُمُ التَّلَبُّسُ بِهَا عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ كَيْفِيَّتَهَا ، وَلَا يُقَالُ : يَجِبُ تَعَلُّمُ كَيْفِيَّتَهَا .

(فَرْعٌ) يَلْزَمُهُ مَعْرِفَةُ مَا يَحِلُّ ، وَمَا يَحْرُمُ مِنَ الْمَأْكُولِ ، وَالْمَشْرُوبِ ، وَالْمَلْبُوسِ ، وَنَحْوِهَا مِمَّا لَا غِنَى لَهُ عَنْهُ غَالِبًا ، وَكَذَلِكَ أَحْكَامُ عَشْرَةِ النِّسَاءِ إِنْ كَانَ لَهُ زَوْجَةٌ ، وَحُقُوقِ الْمَمَالِكِ إِنْ كَانَ لَهُ مَمْلُوكٌ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

(فَرْعٌ) : عَلَى الْآبَاءِ ، وَالْأُمَّهَاتِ تَغْلِيمُ أَوْلَادِهِمُ الصَّغَارِ مَا سَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ الْبُلُوغِ :

فَيُعَلِّمُهُ الْوَلَدُ الطَّهَارَةَ ، وَالصَّلَاةَ ، وَالصَّوْمَ ، وَنَحْوَهَا ،

وَيَعْرِفُهُ تَحْرِيمَ الزَّنا، وَاللُّوَاطِ، وَالسَّرِقَةِ، وَشُرْبِ الْمُسْكِرِ،
وَالْكَذِبِ، وَالْغِيَةِ، وَشَبَّهَهَا،
وَيَعْرِفُهُ أَنَّ بِالْبُلُوغِ يَدْخُلُ فِي التَّكْلِيفِ، وَيَعْرِفُهُ مَا يَبْلُغُ بِهِ، وَالصَّحِيحُ
وُجُوبُ هَذَا التَّعْلِيمِ، وَكَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ النَّظَرُ فِي مَالِهِ فَهَذَا أَوْلَى.
وَلِنَّمَا الْمُسْتَحَبُّ مَا زَادَ عَلَى هَذَا مِنْ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ، وَفَقِهِ، وَأَدَبٍ.
وَيَعْرِفُهُ مَا يُضْلِحُ مَعَاشَهُ.

وَدَلِيلُ وَجُوبِ تَعْلِيمِ الْوَلَدِ الصَّغِيرِ وَالْمَمْلُوكِ:

قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ
[التحریم: ٦]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؑ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: (مَعْنَاهُ عَلِّمُوهُمْ مَا
يَنْجُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ)، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ؓ عَنِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

ثُمَّ أَجْرَةُ التَّعْلِيمِ فِي النَّوعِ الْأَوَّلِ (وَهُوَ الْوَاجِبُ) فِي مَالِ الصَّبِيِّ؛ فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ فَعَلَى مَنْ تَلَزَّمَهُ نَفَقَتُهُ، وَأَمَّا الثَّانِي (وَهُوَ الْمُسْتَحَبُّ):
فَالْأَصَحُّ: فِي مَالِ الصَّبِيِّ؛ لِكَوْنِهِ مَصْلَحَةً لَهُ، وَالثَّانِي: فِي مَالِ الْوَلِيِّ؛
لِعَدَمِ الضَّرُورَةِ إِلَيْهِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّافِعِيَّ وَالْأَصْحَابَ إِنَّمَا جَعَلُوا لِلْأُمَّمِ مَدْخَلَ فِي وُجُوبِ
التَّعْلِيمِ لِكَوْنِهِ مِنَ التَّرْبِيَةِ، وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَيْهَا كَالْفَقْهَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(فَرْعٌ) أَمَّا عِلْمُ الْقَلْبِ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ كَالْحَسَدِ،
وَالْعُجْبِ، وَشَبِيهَتَيْهَا:

فَقَالَ الْغَزَالِيُّ: مَعْرِفَةُ حُدُودِهَا، وَأَسْبَابِهَا، وَطَبِّهَا، وَعِلَاجِهَا فَرَضٌ
عَيْنٌ،

وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّ رُزْقَ الْمُكَلَّفِ قَلْبًا سَلِيمًا مِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الْمُحَرَّمَاتِ
فَلَا يَلْزَمُهُ تَعَلُّمُ دَوَائِهَا،

وَإِنْ لَمْ يَسْلَمْ نَظَرٌ؛

إِنْ تَمَكَّنَ مِنْ تَطْهِيرِ قَلْبِهِ مِنْ ذَلِكَ بِلَا تَعَلُّمٍ لَزِمَهُ التَّطْهِيرُ كَمَا يَلْزَمُهُ تَرْكُ
الزُّنَا، وَنَحْوِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ أَدْلَةُ التَّرْكِ،

وَإِنْ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ التَّرْكِ إِلَّا بِتَعَلُّمِ الْعِلْمِ الْمَذْكُورِ تَعَيَّنَ حِينَئِذٍ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ.

(الْقِسْمُ الثَّانِي) فَرَضُ الْكِفَايَةِ، وَهُوَ تَحْصِيلُ مَا لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْهُ فِي
إِقَامَةِ دِينِهِمْ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ،

كَحِفْظِ الْقُرْآنِ، وَالْأَحَادِيثِ، وَعُلُومِهَا، وَالْأُصُولِ، وَالْفِقْهِ، وَالنَّحْوِ،
وَاللُّغَةِ، وَالتَّصْرِيفِ، وَمَعْرِفَةِ رُوَاةِ الْحَدِيثِ، وَالْإِجْمَاعِ، وَالْخِلَافِ،

وَأَمَّا مَا لَيْسَ عِلْمًا شَرْعِيًّا، وَيُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي قَوَامِ أَمْرِ الدُّنْيَا كَالطَّبِّ،
وَالْحِسَابِ فَقَرَضُ كِفَايَةِ أَيْضًا.

وَاحْتَثُّوا فِي تَعَلُّمِ الصَّنَائِعِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ قِيَامِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا:
كَالْخِيَاطَةِ، وَالْفِلَاحَةِ، وَنَحْوِهِمَا، وَاحْتَثُّوا أَيْضًا فِي أَصْلِ فِعْلِهَا.
فَقَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَالْغَزَالِيُّ: لَيْسَتْ فَرَضُ كِفَايَةِ،

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الطَّبْرِيُّ الْمَعْرُوفُ
بِالْكِيَا الْهَرَّاسِيُّ (وَمَعْنَى الْكِيَا: الْكِبَرُ بِلُغَةِ الْفُرسِ) صَاحِبُ إِمَامِ
الْحَرَمَيْنِ: هِيَ فَرَضُ كِفَايَةِ. وَهَذَا أَظْهَرُ،

قَالَ أَصْحَابُنَا:

وَقَرَضُ الْكِفَايَةِ الْمُرَادُ بِهِ: (تَحْصِيلُ ذَلِكَ الشَّيْءِ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ بِهِ أَوْ
بَعْضِهِمْ، وَيَتِمُّ وَجُوبُهُ جَمِيعَ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ، فَإِذَا فَعَلَهُ مَنْ تَحْصُلُ بِهِ
الْكِفَايَةُ سَقَطَ الْحَرَجُ عَنِ الْبَاقِينَ، وَإِذَا قَامَ بِهِ جَمْعٌ تَحْصُلُ الْكِفَايَةُ بِبَعْضِهِمْ
فَكُلُّهُمْ سَوَاءٌ فِي حُكْمِ الْقِيَامِ بِالْفَرَضِ فِي الثَّوَابِ، وَغَيْرِهِ).

لِإِذَا صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ جَمَعَ ثُمَّ جَمَعَ ثُمَّ جَمَعَ فَالْكُلُّ يَقَعُ فَرَضُ كِفَايَةٍ،
وَلَوْ أَطْبَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى تَرْكِهِ أَثِمَ كُلُّ مَنْ لَا عُذْرَ لَهُ مِمَّنْ عَلِمَ ذَلِكَ،
وَأَمَكْنَهُ الْقِيَامُ بِهِ، أَوْ لَمْ يَعْلَمْ وَهُوَ قَرِيبٌ أَمَكْنَهُ الْعِلْمُ بِحَيْثُ يُنْسَبُ إِلَى
تَقْصِيرٍ، وَلَا يَأْتُمُّ مَنْ لَمْ يَتِمَّكَّنْ؛ لِكُونِهِ غَيْرَ أَهْلِ أَوْ لِعُذْرِهِ.

وَلَوْ اشْتَقَلَ بِالْفَقْهِ، وَنَحْوِهِ، وَظَهَرَتْ نَجَابَتُهُ فِيهِ، وَدُجِّي فَلَاحُهُ،
وَتَبَرُّهُ قَوْجَهَا:

أَحَدُهُمَا: يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ الْإِسْتِمْرَارُ لِقَلَّةِ مَنْ يُحْصَلُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ، فَيَنْبَغِي
أَلَّا يُضَيِّعَ مَا حَصَلَهُ، وَمَا هُوَ بِصَدَدٍ تَحْصِيلِهِ،
وَأَصْحُهُمَا: لَا يَتَعَيَّنُ؛ لِأَنَّ الشُّرُوعَ لَا يُغَيِّرُ الْمَشْرُوعَ فِيهِ عِنْدَنَا إِلَّا فِي
الْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ،

وَلَوْ خَلَّتِ الْبَلَدَةُ مِنْ مُفْتٍ:

فَقِيلَ: يَحْرُمُ الْمَقَامُ بِهَا،

وَالْأَصَحُّ: لَا يَحْرُمُ إِنْ أَمَكَّنَ الذَّهَابُ إِلَى مُفْتٍ.

وَإِذَا قَامَ بِالْفَتْوَى إِنْسَانٌ فِي مَكَانٍ سَقَطَ بِهِ فَرَضُ الْكِفَايَةِ إِلَى مَسَافَةِ
الْقَصْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْقَائِمِ بِفَرْضِ الْكِفَايَةِ مَزِيَّةً عَلَى الْقَائِمِ بِفَرْضِ الْعَيْنِ؛ لِأَنَّهُ
أَسْقَطَ الْحَرَجَ عَنِ الْأُمَّةِ.

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ) النَّفْلُ:

وَهُوَ كَالشُّحْرِ فِي أَصُولِ الْأَدِلَّةِ، وَالْإِمْعَانِ فِيْمَا وَرَاءَ الْقَدْرِ الَّذِي
يُحْصَلُ بِهِ فَرَضُ الْكِفَايَةِ،

وَكَمَعْلَمُ الْعَامِّيِّ نَوَافِلَ الْعِبَادَاتِ لِعَرَضِ الْعَمَلِ لَا مَا يَقُومُ بِهِ الْعُلَمَاءُ
مِنْ تَمْيِيزِ الْفُرُضِ مِنَ النَّفْلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَضٌ كِفَايَةٌ فِي حَقِّهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَقُضِلَ: وَمِنْ الْعُلُومِ الْخَارِجَةِ عَنْ أَقْسَامِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ مَا هُوَ مُحَرَّمٌ أَوْ
مَكْرُوهٌ أَوْ مُبَاحٌ:

فَالْمُحَرَّمُ: كَتَعَلُّمِ السُّحْرِ؛ فَإِنَّهُ حَرَامٌ عَلَى الصَّحِيحِ، وَبِهِ قَطَعَ الْجُمْهُورُ،
وَكَالْفَلَسَفَةِ، وَالسَّعْبَةِ، وَالتَّجِيمِ، وَعُلُومِ الطَّبَائِعِيِّينَ، وَكُلِّ مَا كَانَ
سَبَبًا لِإِثَارَةِ الشُّكُوكِ، وَيَتَفَاوَتْ فِي التَّحْرِيمِ،
وَالْمَكْرُوهُ: كَأَشْعَارِ الْمُؤَلِّدِينَ الَّتِي فِيهَا الْغَزْلُ، وَالْبَطَالَةُ.

وَالْمُبَاحُ: كَأَشْعَارِ الْمُؤَلِّدِينَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا سُخْفٌ وَلَا شَيْءٌ مِمَّا
يُكْرَهُ، وَلَا مَا يُنْشِطُ إِلَى الشَّرِّ، وَلَا مَا يُبْطِئُ عَنِ الْخَيْرِ، وَلَكِنْ مَا يَحْتَ
عَلَى خَيْرٍ أَوْ يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَيْهِ.

فَقُضِلَ: تَعْلِيمُ الطَّالِبِينَ وَإِقْنَاءُ الْمُسْتَعْتَبِينَ قَرْضُ كِفَايَةِ:

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يَضْلَعُ إِلَّا وَاحِدٌ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ،

وَإِنْ كَانَ جَمَاعَةٌ يَضْلَعُونَ فَطُلِبَ ذَلِكَ مِنْ أَحَدِهِمْ فَاُمْتَنَعَ فَهَلْ يَأْتُمْ؟

ذَكَرُوا وَجْهَيْنِ فِي الْمُفْتِي: وَالظَّاهِرُ جَرَّائُهُمَا فِي الْمُعَلِّمِ، وَهُمَا كَالْوَجْهَيْنِ
فِي امْتِنَاعِ أَحَدِ الشُّهُودِ، وَالْأَصَحُّ لَا يَأْتُمْ.

وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَرْفُقَ بِالطَّالِبِ وَيُحْسِنَ إِلَيْهِ مَا أَمَكَتَهُ.



ثُمَّ قَالَ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ "الْمَجْمُوعِ" :

بَابُ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ

أ - مِنْ آدَابِهِ أَنْ يَتَّبِعَهُ فِي نَفْسِهِ :

١ - أَنْ يَقْصِدَ بِتَعْلِيمِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى ،

وَلَا يَقْصِدُ تَوْضُلًا إِلَى غَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ : كَتَحْصِيلِ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ شُهْرَةٍ أَوْ سُمْعَةٍ أَوْ تَمَيُّزٍ عَنِ الْأَشْيَاءِ ، أَوْ تَكْثُرٍ بِالْمُسْتَغْلِينَ عَلَيْهِ ، أَوْ الْمُخْتَلِفِينَ إِلَيْهِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَلَا يَشِينُ عِلْمَهُ وَتَعْلِيمَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّمَعِ فِي رَفَقٍ تَحْصُلَ لَهُ مِنْ مُسْتَغْلٍ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَةٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَحْوِهِمَا وَإِنْ قَلَّ ، وَلَوْ كَانَ عَلَى صُورَةِ الْهَدِيَّةِ الَّتِي لَوْلَا اسْتِغَالُهُ عَلَيْهِ لَمَا أَهْدَاهَا إِلَيْهِ .

وَقَدْ صَحَّ عَنِ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّهُ قَالَ : " وَدِدْتُ أَنْ الْخَلْقَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ عَلَى أَنْ لَا يُنْسَبَ إِلَيَّ حَرْفٌ مِنْهُ " .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : " مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا قَطُّ عَلَى الْغَلَبَةِ ، وَدِدْتُ إِذَا نَاظَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَظْهَرَ الْحَقُّ عَلَى يَدَيْهِ " وَقَالَ : " مَا كَلَّمْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا وَدِدْتُ أَنْ يُوقَفَ وَيُسَدَّدَ ، وَيُعَانَ ، وَيَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةٌ مِنَ اللَّهِ وَحِفْظٌ " .

وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَالَ : " يَا قَوْمَ أَرِيدُوا بِعِلْمِكُمْ اللَّهَ فَإِنِّي لَمْ أَجْلِسْ مَجْلِسًا قَطُّ أَنْوِي فِيهِ أَنْ أَتَوَاضَعَ إِلَّا لَمْ أَقُمْ حَتَّى أَعْلُوهُمْ ، وَلَمْ أَجْلِسْ مَجْلِسًا قَطُّ أَنْوِي فِيهِ أَنْ أَعْلُوهُمْ إِلَّا لَمْ أَقُمْ حَتَّى أَفْتَضِحَ " .

٢ - وَمِنْهَا: أَنْ يَتَخَلَّقَ بِالْمَعَاسِي الَّتِي وَرَدَ الشَّرْعُ بِهَا وَحَثَّ عَلَيْهَا،
وَالْخِلَالِ الْحَمِيدَةِ وَالشِّيمِ الْمَرْضِيَّةِ الَّتِي أُرْشَدَ إِلَيْهَا:

مِنْ التَّزَهُدِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّقَلُّلِ مِنْهَا، وَعَدَمِ الْمُبَالَاهِ بِقَوَاتِهَا، وَالسَّخَاءِ
وَالْجُودِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَطَلَاةِ الْوَجْهِ مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ إِلَى حَدِّ
الْخَلَاعَةِ، وَالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ، وَالسَّرُّهُ عَنْ دَنِيِّ الْاِكْتِسَابِ، وَمُلَازِمَةِ الْوَرَعِ
وَالْخُشُوعِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَالتَّوَاضُّعِ وَالْخُضُوعِ، وَاجْتِنَابِ الضَّحِكِ
وَالْإِكْتَارِ مِنَ الْمَزْحِ، وَمُلَازِمَةِ الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْخَفِيَّةِ كَالْتَّنْظِيفِ
بِإِزَالَةِ الْأَوْسَاحِ، وَتَنْظِيفِ الْإِبْطِ، وَإِزَالَةِ الرِّوَائِحِ الْكَرِيهَةِ وَاجْتِنَابِ
الرِّوَائِحِ الْمَكْرُوهَةِ وَتَسْرِيحِ اللَّحْيَةِ.

٣ - وَمِنْهَا: الْحَذَرُ مِنَ الْحَسَدِ وَالرِّبَاءِ وَالْإِعْجَابِ وَاحْتِقَارِ النَّاسِ
وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ بِدَرَجَاتٍ، وَهَذِهِ أَدْوَاءٌ وَأَمْرَاضٌ يُبْتَلَى بِهَا كَثِيرُونَ مِنْ
أَصْحَابِ الْأَنْفُسِ الْخَسِيسَاتِ،

وَطَرِيقُهُ فِي نَفْيِ الْحَسَدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى افْتَضَتْ جَعَلَ
هَذَا الْفَضْلَ فِي هَذَا الْإِنْسَانِ فَلَا يَعْتَرِضُ وَلَا يَكْرَهُ مَا افْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ بِذِمِّ
اللَّهِ احْتِرَازًا مِنَ الْمَعَاصِي.

[زِيَادَةٌ: قَالَ الْبَرْدَخْتُ الضَّبِّيُّ (الْبَرْدَخْتُ كَلِمَةٌ فَارِسِيَّةٌ مَعْنَاهَا الْقَارِعُ، وَهُوَ شَاعِرُ
أَمْرِيٍّ وَاسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ خَالِدٍ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ هَجَا زَيْدًا بِأَنَّهُ حَدِيثُ الْغَنَى، وَأَنَّهُ وَهُوَ أَمِيرٌ
فِي يَوْمِ حَنْبَلُو، فَقَالَ:

وَلَسْتُ مُسْلِمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ
فَقَالَ زَيْدٌ: لَا أَبَالِي وَاللَّهِ ! فَقَالَ هُوَ:
أَتَذْكُرُ إِذْ لِحَافُكَ جِلْدُ شَاةٍ وَإِذْ نَعْلَاكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ
قَالَ: إِي وَاللَّهِ ! قَالَ:

فَسُبْحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا وَعَلَّمَكَ الْجُلُوسَ عَلَى السَّرِيرِ
قَالَ زَيْدٌ: نَعَمْ، سُبْحَانَهُ ! فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ فَضْلٌ، وَصَرَغَهُ بَغْلُهُ فَقَالَ:
أَقُولُ لِلْبَغْلِ لَمَّا كَادَ يَفْتُلْنِي لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي زَيْدٍ وَمَا وَهَبَا
أَعْطَانِي الْحَتَفَ لَمَّا جِئْتُ سَائِلُهُ وَأَمْسَكَ الْفِضَّةَ الْبَيْضَاءَ وَالذَّهَبَا
اه مِنْ "الرَّسَائِلِ" لِلْجَاحِظِ].

وَطَرِيقُهُ فِي نَهْيِ الرِّبَا: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْخَلْقَ لَا يَنْفَعُونَهُ وَلَا يَضُرُّونَهُ
حَقِيقَةً فَلَا يَتَشَاغَلُ بِمُرَاعَاتِهِمْ فَيَتَعَبُ نَفْسَهُ وَيَضُرَّ دِينَهُ وَيُحِيطُ عَمَلَهُ
وَيَزْتَكِبَ مَا يَجْلِبُ سُخْطَ اللَّهِ وَيُفَوِّتَ رِضَاهُ،

وَطَرِيقُهُ فِي نَهْيِ الْإِعْجَابِ: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْعِلْمَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
وَمِنَّةٌ عَارِيَّةٌ فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ
مُسَمًّى، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُعْجَبَ بِشَيْءٍ لَمْ يَخْتَرِعْهُ وَلَيْسَ مَالِكًا لَهُ وَلَا عَلَى
يَقِينٍ مِنْ دَوَامِهِ.

وَطَرِيقُهُ فِي نَهْيِ الْإِحْشَارِ: التَّأَدُّبُ بِمَا أَدَّبَنَا اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى ﴿فَلَا تَرْكُؤُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ... ﴿[الحجرات: ١٣] قَرَّبَمَا كَانَ هَذَا الَّذِي يَرَاهُ دُونَهُ أَتَقَى لِلَّهِ تَعَالَى وَأَظْهَرَ قَلْبًا، وَأَخْلَصَ نِيَّةً، وَأَزَكَّى عَمَلًا، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَاذَا يُخْتَمُ لَهُ بِهِ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ (٣٢٠٨)، وَمُسْلِمٌ (٣٦٤٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: «... فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ. الْحَدِيثُ نَسَأُ اللَّهُ الْعَافِيَةَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ.

٤ - وَمِنْهَا: اسْتِعْمَالُهُ أَحَادِيثَ الشَّيْخِ وَالتَّهْلِيلِ وَنَحْوِهِمَا مِنَ الْأَذْكَارِ وَالِدَّعَوَاتِ وَسَائِرِ الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّاتِ.

٥ - وَمِنْهَا: دَوَامُ مُرَاقَبَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي عِلَاقَتَيْهِ وَسِرِّهِ، مُحَافِظًا عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَتَوَافُلِ الصَّلَوَاتِ وَالصُّومِ وَغَيْرِهَا مُعَوَّلًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ، مُفَوِّضًا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ أَمْرَهُ إِلَيْهِ.

٦ - وَمِنْهَا وَهُوَ مِنْ أَهَمِّهَا: أَنْ لَا يُذِلَّ الْعِلْمَ، وَلَا يَذْهَبَ بِهِ إِلَى مَكَانٍ يَنْتَسِبُ إِلَى مَنْ يَتَعَلَّمُهُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ الْمُتَعَلِّمُ كَبِيرَ الْقَدْرِ، بَلْ يَصُونُ الْعِلْمَ عَنْ ذَلِكَ كَمَا صَانَهُ السَّلَفُ، وَأَخْبَارُهُمْ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ مَعَ الْخُلَفَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

فَإِنْ دَعَتْ إِلَيْهِ ضَرُورَةٌ أَوْ اقْتَضَتْ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ عَلَى مَفْسَدَةٍ ابْتِذَالِهِ،

رَجَوْنَا أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ مَا دَامَتْ الْحَالَةُ هَذِهِ، وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ مَا جَاءَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ فِي هَذَا.

٧ - وَمِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا قَعَلَ فِعْلًا صَحِيحًا جَائِزًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَلَكِنْ ظَاهِرُهُ أَنَّهُ حَرَامٌ أَوْ مَكْرُوهٌ، أَوْ مُخِلٌّ بِالْمَرْوَةِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُخْبَرَ أَصْحَابُهُ وَمَنْ يَرَاهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ الْفِعْلِ لِيَتَفَعَّلُوا؛ وَلَكِنَّا يَأْتُمُوا بِظَنِّهِمُ الْبَاطِلَ؛ وَلَكِنَّا يَنْفِرُوا عَنْهُ وَيَمْتَنِعَ الْإِنْتِفَاعُ بِعِلْمِهِ، وَمِنْ هَذَا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٠٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٢١٧٥) عَنْ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا».

فَصْلٌ: وَمِنْ آدَابِ الْمُعَلِّمِ فِي دَرْسِهِ وَاشْتِغَالِهِ:

١ - يَنْبَغِي أَنْ لَا يَزَالَ مُحْتَهِدًا فِي الْإِشْتِغَالِ بِالْعِلْمِ قِرَاءَةً وَإِقْرَاءً، وَمُطَالَعَةً وَتَعْلِيقًا، وَمُبَاحَثَةً وَمُذَاكِرَةً وَتَصْنِيفًا، وَلَا يَسْتَكْفِ مِنَ التَّعَلُّمِ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ فِي سِنٍّ أَوْ نَسَبٍ أَوْ شُهْرَةٍ أَوْ دِينٍ، أَوْ فِي عِلْمٍ آخَرَ، بَلْ

يُحَرِّصُ عَلَى الْفَائِدَةِ مِمَّنْ كَانَتْ عِنْدَهُ وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فِي جَمِيعِ هَذَا، وَلَا يَسْتَحِجُّ مِنَ السُّؤَالِ عَمَّا لَمْ يَعْلَمْ،

فَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عُمَرَ وَابْنِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: (مَنْ رَقَّ وَجْهُهُ رَقَّ عِلْمُهُ).

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: (لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمُ مُسْتَحَ وَلَا مُسْتَكْبِرًا).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «نِعَمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَمْنَعْنَهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ».

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: "لَا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَا تَعَلَّمَ، فَإِذَا تَرَكَ الْعِلْمَ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ اسْتَعْنَى وَاكْتَفَى بِمَا عِنْدَهُ فَهُوَ أَجْهَلُ مَا يَكُونُ".

٢ - وَيُنَبِّهُ أَنْ لَا يَمْنَعَهُ ارْتِفَاعُ مَنْصِبِهِ وَشُهْرَتُهُ مِنْ اسْتِزَادَةِ مَا لَا يَعْرِفُهُ،

فَقَدْ كَانَ كَثِيرُونَ مِنَ السَّلَفِ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِمْ مَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ،

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ رِوَايَةُ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَنْ التَّابِعِينَ، وَرَوَى جَمَاعَاتٌ مِنَ التَّابِعِينَ عَنْ تَابِعِي التَّابِعِينَ، وَهَذَا عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ لَيْسَ تَابِعِيًّا، وَرَوَى عَنْهُ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ مِنَ التَّابِعِينَ.

وَبُتِيَ فِي الصَّحِيحِينَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : قَرَأَ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النِّبَةِ] عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ: أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ».

فَانْتَبَهَ الْعُلَمَاءُ مِنْهُ: بَيَانَ التَّوَاضُّعِ، وَأَنَّ الْفَاضِلَ لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَلَى الْمَفْضُولِ.

٣ - وَتَبْنِي أَنْ تَكُونَ مُلَازِمَةً لِالِاسْتِغَالِ بِالْعِلْمِ هِيَ مَطْلُوبُهُ وَرَأْسُ مَالِهِ
فَلَا يَسْتَعْمَلُ بِغَيْرِهِ، فَإِنْ أُضْطُرَّ إِلَى غَيْرِهِ فِي وَقْتٍ، فَعَلَ ذَلِكَ الْغَيْرَ بَعْدَ
تَحْصِيلِ وَظِيفَتِهِ مِنَ الْعِلْمِ.

٤ - وَتَبْنِي أَنْ يَنْتَهِيَ بِالتَّصْنِيفِ إِذَا تَأَهَّلَ لَهُ: فِيهِ يَطَّلِعُ عَلَى حَقَائِقِ
الْعِلْمِ وَدَقَائِقِهِ، وَيَبْتُتُ مَعَهُ؛ لِأَنَّهُ يَضْطَرُّهُ إِلَى كَثْرَةِ التَّفْقِيسِ وَالْمُطَالَعَةِ
وَالْتَحْقِيقِ وَالْمُرَاجَعَةِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى مُخْتَلَفِ كَلَامِ الْأُئِمَّةِ وَمُتَفِقِهِ وَوَاضِحِهِ
مِنْ مُشْكِلِهِ، وَصَحِيحِهِ مِنْ ضَعِيفِهِ، وَجَزَلِهِ مِنْ رَكِيكِهِ وَمَا لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ
مِنْ غَيْرِهِ، وَبِهِ يَتَّصِفُ الْمُحَقِّقُ بِصِفَةِ الْمُجْتَهِدِ.

وَلِيَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ يَشْرَعَ فِي تَصْنِيفِ مَا لَمْ يَتَأَهَّلْ لَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ
يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ وَعِلْمِهِ وَعَرْضِهِ، وَلِيَحْذَرَ أَيْضًا مِنْ إِخْرَاجِ تَصْنِيفِهِ مِنْ يَدِهِ إِلَّا
بَعْدَ تَهْذِيبِهِ وَتَرْدَادِ نَظَرِهِ فِيهِ وَتَكَرُّرِهِ،

وَلِيُخْرِصَ عَلَى إِضْحَاحِ الْعِبَارَةِ وَإِيجَازِهَا، فَلَا يُوضِّحُ إِضْحَاحًا يَنْتَهِي
إِلَى الرِّكَكَاتِ، وَلَا يُوجِزُ إِيجَازًا يُفْضِي إِلَى الْمَحَقِّ وَالِاسْتِغْلَاقِ،

وَتَبْنِي أَنْ يَكُونَ اعْتِنَاؤُهُ مِنَ التَّصْنِيفِ بِمَا لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ أَكْثَرَ. وَالْمُرَادُ
بِهَذَا أَنْ لَا يَكُونَ هُنَاكَ مُصَنِّفٌ يُغْنِي عَنْ مُصَنِّفٍ فِي جَمِيعِ أَسَالِيْبِهِ، فَإِنْ
أَغْنَى عَنْهُ بَعْضُهَا فَلْيُصَنِّفْ مِنْ جَنْبِهِ مَا يَزِيدُ زِيَادَاتٍ يُحْتَفَلُ بِهَا، مَعَ ضَمِّ
مَا قَاتَهُ مِنَ الْأَسَالِيْبِ. وَلِيَكُنْ تَصْنِيفُهُ فِيمَا يَعُمُّ الْإِتِّفَاعَ بِهِ، وَيَكْثُرُ
الِاخْتِيَاغُ إِلَيْهِ، وَلِيَتَعَرَّ بِعِلْمِ الْمَذْهَبِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَنْوَاعِ نَفْعًا، وَبِهِ
يَتَسَلَّطُ الْمُتَمَكِّنُ عَلَى الْمُعْظَمِ مِنْ بَاقِي الْعُلُومِ.

٥ - وَتَبَغَى أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ التَّعْلِيمَ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي بِهِ قَوَامُ الدِّينِ، وَبِهِ يُؤْمَنُ إِمْحَاقُ الْعِلْمِ، فَهُوَ مِنْ أَهَمِّ أُمُورِ الدِّينِ، وَأَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ، وَآكِدِ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ...﴾ [آل عمران: ١٨٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَوَلَّيْنَاكَ يَلَعُهُمُ اللَّهُ وَيَلَعُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ طُرُقٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ﴾ وَالْأَحَادِيثُ بِمَعْنَاهُ كَثِيرَةٌ، وَالْإِجْمَاعُ مُنْعَقِدٌ عَلَيْهِ.

وَيَجِبُ عَلَى الْمُعَلِّمِ أَنْ يَقْصِدَ بِتَعْلِيمِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَا سَبَقَ، وَأَلَّا يَجْعَلَهُ وَسِيلَةً إِلَى غَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ، فَيَسْتَحْضِرُ الْمُعَلِّمُ فِي ذَهْنِهِ كَوْنَ التَّعْلِيمِ آكِدَ الْعِبَادَاتِ، لِكَوْنِ ذَلِكَ حَاقًّا لَهُ عَلَى تَصْحِيحِ النِّيَّةِ، وَمُحَرِّضًا لَهُ عَلَى صِيَانَتِهِ مِنْ مَكْدَرَاتِهِ وَمِنْ مَكْرُوهَاتِهِ، مَخَافَةَ فَوَاتِ هَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَالْخَيْرِ الْجَسِيمِ.

٦ - وَتَبَغَى أَنْ لَا يَمْتَنِعَ مِنْ تَعْلِيمِ أَحَدٍ لِكَوْنِهِ غَيْرَ صَحِيحِ النِّيَّةِ، فَإِنَّهُ يُرْجَى لَهُ حُسْنُ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا عَسَرَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُبْتَدِئِينَ بِالِاشْتِغَالِ تَصْحِيحُ النِّيَّةِ لِضَعْفِ نَفُوسِهِمْ، وَقِلَّةِ أَنْسِهِمْ بِمَوْجِبَاتِ تَصْحِيحِ النِّيَّةِ، فَلَا مِتْنَاعَ مِنْ تَعْلِيمِهِمْ يُؤَدِّي إِلَى تَفْوِيتِ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ مَعَ أَنَّهُ يُرْجَى بِبَرَكَةِ الْعِلْمِ تَصْحِيحُهُ إِذَا أُنْسَ بِالْعِلْمِ. وَقَدْ قَالُوا: (طَلَبَا الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ قَابَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ)، مَعْنَاهُ كَانَتْ عَاقِبَتُهُ أَنْ صَارَ لِلَّهِ.

٧ - وَيَنْبَغِي أَنْ يُؤَدَّبَ الْمُعَلِّمُ الْمُتَعَلِّمَ عَلَى التَّدْرِيجِ بِالْآدَابِ السَّيِّئَةِ، وَالشِّمِّ الْمُرْضِيِّ، وَعَلَى رِيَاضَةِ نَفْسِهِ بِالْآدَابِ وَالذِّقَائِقِ الْخَفِيَّةِ، وَتَعَوُّدِهِ الصِّيَانَةِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ الْكَامِنَةِ وَالْجَلِيَّةِ.

فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يُحَرِّضَهُ بِأَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ الْمُتَكَرِّرَاتِ، عَلَى الْإِخْلَاصِ وَالصَّدْقِ وَحُسْنِ النِّيَّاتِ، وَمُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ اللَّحَظَاتِ، وَأَنْ يَكُونَ دَائِمًا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى الْمَمَاتِ، وَيَعْرِفَهُ أَنَّ بِذَلِكَ تَنْفَتِّحُ عَلَيْهِ أَبْوَابُ الْمَعَارِفِ، وَيَنْشَرِّحُ صَدْرُهُ وَتَنْفَجِرُ مِنْ قَلْبِهِ يَنَابِيعُ الْحِكْمِ وَاللِّطَائِفِ، وَيُبَارِكُ لَهُ فِي حَالِهِ وَعِلْمِهِ، وَيُوفِّقُ لِلْإِصَابَةِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَحُكْمِهِ، وَيُزَهِّدُهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَضْرِبُهُ عَنِ التَّعَلُّقِ بِهَا، وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا، وَالْإِغْتِرَارِ بِهَا، وَيَذَكِّرُهُ أَنَّهَا فَانِيَّةٌ، وَالْآخِرَةُ آتِيَةٌ بَاقِيَةٌ، وَالتَّأَهُبُ لِلْبَاقِي، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْفَانِي هُوَ طَرِيقُ الْحَازِمِينَ، وَدَابُّ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.

٨ - وَيَنْبَغِي أَنْ يُرَحَّبَ الطَّالِبُ فِي الْعِلْمِ وَيَذَكَّرَهُ بِفَضَائِلِهِ وَفَضَائِلِ الْعُلَمَاءِ، وَأَنَّهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا رُبَّةَ فِي الْوُجُوهِ أَعْلَى مِنْ هَذِهِ.

٩ - وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْنُو عَلَيْهِ وَيَعْتَنِي بِمَصَالِحِهِ كَاغْتِنَائِهِ بِمَصَالِحِ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ، وَبُخْرِيَّةِ مَجْرَى وَلَدِهِ فِي الشَّفَقَةِ عَلَيْهِ، وَالْإِهْتِمَامِ بِمَصَالِحِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى جَفَائِهِ وَسُوءِ آدَبِهِ، وَيَعَزِّرُهُ فِي سُوءِ آدَبٍ وَجَفْوَةٍ تَعْرِضُ مِنْهُ فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مُعَرَّضٌ لِلنَّقَائِصِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُحِبَّ لَهُ مَا

يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الشَّرِّ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ: ﴿لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ﴾. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: "أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيَّ، جَلِيسِي الَّذِي يَتَخَطَّى النَّاسَ، حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيَّ، لَوْ اسْتَطَعْتُ أَلَّا يَقَعَ الذُّبَابُ عَلَى وَجْهِهِ لَفَعَلْتُ" وَفِي رِوَايَةٍ: "إِنَّ الذُّبَابَ يَقَعُ عَلَيْهِ فَيُؤْذِينِي".

١٠ - وَيُنَبِّئُنِي أَنْ يَكُونَ سَمْعًا بِذَلِّ مَا حَصَّلَهُ مِنَ الْعِلْمِ سَهْلًا بِإِلْقَائِهِ إِلَى مُتَّبِعِهِ، مُتَلَطِّفًا فِي إِفَادَتِهِ طَالِبِيهِ، مَعَ رَفْعِي وَنَصِيحَةٍ وَإِرْشَادٍ إِلَى الْمُهِمَّاتِ وَتَحْرِيزٍ عَلَى حِفْظِ مَا يَبْذُلُهُ لَهُمْ مِنَ الْفَوَائِدِ النَّفِيسَاتِ، وَلَا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ شَيْئًا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ الطَّالِبُ أَهْلًا لَذَلِكَ، وَلَا يُلْقِي إِلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَتَأَهَّلْ لَهُ. لِئَلَّا يُفْسِدَ عَلَيْهِ، فَلَوْ سَأَلَهُ الْمُتَعَلِّمُ عَنْ ذَلِكَ لَمْ يُجِبْهُ، وَيَعْرِفُهُ أَنَّ ذَلِكَ يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ شُحًّا، بَلْ شَفَقَةً وَلُطْفًا.

١١ - وَيُنَبِّئُنِي أَنْ لَا يَتَعَطَّيَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ، بَلْ يَلِينُ لَهُمْ وَيَتَوَاضَعُ، فَقَدْ أُمِرَ بِالتَّوَاضُعِ لِأَحَادِ النَّاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْتَغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ﴾ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٨٦٥)،

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٨٨).

فَهَذَا فِي التَّوَاضُّعِ لِمُطْلَقِ النَّاسِ، فَكَيْفَ بِهِؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ كَأَوْلَادِهِ مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْمُلَازِمَةِ لَطَلَبِ الْعِلْمِ، وَمَعَ مَا لَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ الصُّحْبَةِ، وَتَرَدُّدِهِمْ إِلَيْهِ وَاعْتِمَادِهِمْ عَلَيْهِ؟

١٢ - وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَرِيصًا عَلَى تَفْهِيمِهِمْ مُهْتَمًّا بِهِ مُؤَثِّرًا لَهُ عَلَى خَوَائِجِ نَفْسِهِ وَمَصَالِحِهِ مَا لَمْ تَكُنْ ضَرُورَةً، وَيُرْحَبُ بِهِمْ عِنْدَ إِقْبَالِهِمْ إِلَيْهِ، وَيُظْهِرُ لَهُمُ الْبِشْرَ وَطَلَاقَةَ الْوَجْهِ، وَيُحَسِّنُ إِلَيْهِمْ بِعِلْمِهِ وَمَالِهِ وَجَاهِهِ بِحَسَبِ التَّيْسِيرِ، وَلَا يُخَاطَبُ الْفَاضِلَ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ بَلْ بِكُنْيَتِهِ وَنَحْوِهَا،

١٣ - وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَقَدَّمَ وَيَسْأَلَ عَمَّنْ غَابَ مِنْهُمْ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَازِلًا وَسَعَةً فِي تَفْهِيمِهِمْ، وَتَقْرِيبِ الْفَائِدَةِ إِلَى أَذْهَانِهِمْ، حَرِيصًا عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَيَقْنَنُ كُلَّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ فَهْمِهِ وَحِفْظِهِ فَلَا يُعْطِيهِ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ، وَلَا يَقْصُرُ بِهِ عَمَّا يَحْتَمِلُهُ بِلاَ مَشَقَّةٍ، وَيُخَاطَبُ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ دَرَجَتِهِ، وَبِحَسَبِ فَهْمِهِ وَهَمَّتِهِ، فَيَكْتَفِي بِالْإِشَارَةِ لِمَنْ يَفْهَمُهَا فَهْمًا مُحَقَّقًا، وَيُوضِّحُ الْعِبَارَةَ لِغَيْرِهِ، وَيَكْرِّرُهَا لِمَنْ لَا يَحْفَظُهَا إِلَّا بِتَكَرُّارٍ، وَيَذْكُرُ الْأَحْكَامَ مُوضَّحَةً بِالْأَمْثِلَةِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ لِمَنْ لَا يَنْحَفِظُ لَهُ الدَّلِيلُ، فَإِنْ جَهِلَ دَلِيلَ بَعْضِهَا ذَكَرَهُ لَهُ، وَيَذْكُرُ الدَّلَائِلَ لِمُحْتَمِلِهَا.

وَيَذْكُرُ: هَذَا مَا بَيَّنَّا، عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَمَا يُشَبِّهُهَا، وَحُكْمُهُ حُكْمُهَا وَمَا يُقَارِبُهَا، وَهُوَ مُخَالِفٌ لَهَا، وَيَذْكُرُ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا، وَيَذْكُرُ مَا يَرُدُّ عَلَيْهَا وَجَوَابَهُ إِنْ أُمِكنَهُ.

وَيَبَيِّنُ الدَّلِيلَ الضَّعِيفَ، لِئَلَّا يُغْتَرَّ بِهِ فَيَقُولَ: اسْتَدَلُّوا بِكَذَا وَهُوَ ضَعِيفٌ لِكَذَا، وَيَبَيِّنُ الدَّلِيلَ الْمُعْتَمَدَ لِيُعْتَمَدَ، وَيَبَيِّنُ لَهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ الْأَصُولِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَشْعَارِ وَاللُّغَاتِ.

وَيَنْبَهُهُمْ عَلَى غَلَطٍ مَنْ غَلِطَ فِيهَا مِنَ الْمُصَنِّفِينَ، فَيَقُولُ مَثَلًا: هَذَا هُوَ الصَّوَابُ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ فُلَانٌ فَغَلَطَ أَوْ فَضَعِيفٌ، قَاصِدًا النَّصِيحَةَ؛ لِئَلَّا يُغْتَرَّ بِهِ، لَا لِتَنْقُصَ لِلْمُصَنِّفِ.

وَيَبَيِّنُ لَهُ عَلَى التَّدْرِيجِ قَوَاعِدَ الْمَذْهَبِ الَّتِي لَا تَتَخَرَّمُ غَالِبًا:

كَقَوْلِنَا: "إِذَا اجْتَمَعَ سَبَبٌ وَمُبَاشَرَةٌ قَدَّمْنَا الْمُبَاشَرَةَ"، "وَإِذَا اجْتَمَعَ أَصْلٌ وَظَاهِرٌ فَفِي الْمَسْأَلَةِ غَالِبًا قَوْلَانِ"،

وَ "إِذَا اجْتَمَعَ قَوْلَانِ قَدِيمٌ وَجَدِيدٌ فَالْعَمَلُ غَالِبًا بِالْجَدِيدِ إِلَّا فِي مَسَائِلَ مَعْدُودَةٍ" سَنَذْكُرُهَا قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَ "أَنَّ مَنْ قَبَضَ شَيْئًا لِغَرَضِهِ لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ فِي الرَّدِّ إِلَى الْمَالِكِ، وَمَنْ قَبَضَهُ لِغَرَضِ الْمَالِكِ قُبِلَ قَوْلُهُ فِي الرَّدِّ إِلَى الْمَالِكِ لَا إِلَى غَيْرِهِ"،

وَ "أَنَّ الْحُدُودَ تَسْقُطُ بِالشُّبْهَةِ"،

وَ "أَنَّ الْأَمِينَ إِذَا فَرَّطَ ضَمِنَ"،

- و " أَنَّ الْعَدَالَهَ وَالْكِفَايَهَ شَرْطُ فِي الْوَلَايَاتِ " ،
- و " أَنَّ فَرَضَ الْكِفَايَهَ إِذَا فَعَلَهُ مَنْ يَحْصُلُ بِهِ الْمَطْلُوبُ سَقَطَ الْحَرْجُ عَنْ الْبَاقِينَ وَإِلَّا أَثِمُوا كُلُّهُمْ " بِالشَّرْطِ الَّذِي قَدَّمَاهُ ،
- و " أَنَّ مَنْ مَلَكَ إِنِشَاءً عَقْدٍ مَلَكَ الْإِقْرَارَ بِهِ " ،
- و " أَنَّ النِّكَاحَ وَالنَّسَبَ مَبْنِيَّانِ عَلَى الْإِخْتِيَاظِ " ،
- و " أَنَّ الرُّحْصَ لَا تُبَاحُ بِالْمَعَاصِي " ،
- و " أَنَّ الْإِعْتِبَارَ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَوْ الْعِتَاقِ أَوْ الطَّلَاقِ أَوْ غَيْرِهَا بَيْنَهُ الْحَالِفِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَحْلِفُ قَاضِيًا فَاسْتَحْلَفَهَا لِلَّهِ تَعَالَى ، لِدَعْوَى اقْتَضَتْهُ ، فَإِنَّ الْإِعْتِبَارَ بَيْنَهُ الْقَاضِي أَوْ نَائِبِهِ إِنْ كَانَ الْحَالِفُ يُوَافِقُهُ فِي الْإِعْتِقَادِ ، فَإِنْ خَالَفَهُ كَحَفِيٍّ اسْتَحْلَفَ شَافِعِيًّا فِي شُفْعَةِ الْجَوَارِ فَفِيمَنْ تُعْتَبَرُ نِيَّتُهُ؟ وَجَهَانٍ " . و " أَنَّ الْيَمِينَ الَّتِي يَسْتَحْلِفُ بِهَا الْقَاضِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ " ،
- و " أَنَّ الضَّمَانَ يَجِبُ فِي مَالِ الْمُتْلِفِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، سَوَاءً كَانَ مُكَلَّفًا أَوْ غَيْرَهُ ، بِشَرْطِ كَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ الضَّمَانِ فِي حَقِّ الْمُتْلِفِ عَلَيْهِ " . فَقَوْلُنَا : مِنْ أَهْلِ الضَّمَانِ ، اخْتِرَازٌ مِنْ إِتْلَافِ الْمُسْلِمِ مَالَ حَرْبِيٍّ وَنَفْسِهِ وَعَكْسُهُ . وَقَوْلُنَا : فِي حَقِّهِ ، اخْتِرَازٌ مِنْ إِتْلَافِ الْعَبْدِ مَالِ سَيِّدِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُتْلِفُ قَاتِلًا خَطَأً أَوْ شِبَهَ عَمْدٍ ، فَإِنَّ الدِّيَةَ عَلَى عَاقِلَتِهِ ،
- و " أَنَّ السَّيِّدَ لَا يَثْبُتُ لَهُ مَالٌ فِي ذِمَّةِ عَبْدِهِ ابْتِدَاءً ، وَفِي ثُبُوتِهِ دَوَامًا وَجَهَانٍ " .

وَ " أَنْ أَضِلَّ الْجَمَادَاتِ الطَّهَارَةَ إِلَّا الْخَمْرَ وَكُلَّ نَبِيذٍ مُسْكِرٍ " .
 وَ " أَنْ الْحَيَوَانَ عَلَى الطَّهَارَةِ إِلَّا الْكَلْبَ وَالْخِتْرِيرَ وَفَرَعَ أَحَدِهِمَا " .
 ١٤ - وَبَيَّنَّ لَهُ جُمْلًا بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيَنْضَبُطُ لَهُ مِنْ أَصُولِ الْفُقَهَاءِ،
 وَتَرْتِيبِ الْأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ، وَاسْتِصْحَابِ
 الْحَالِ عِنْدَ مَنْ يَقُولُ بِهِ،

وَبَيَّنَّ لَهُ أَنْوَاعَ الْأَقْسَامِ وَدَرَجَاتِهَا وَكَيْفِيَّةَ اسْتِثْمَارِ الْأَدِلَّةِ، وَبَيَّنَّ حَدَّ الْأَمْرِ
 وَالنَّهْيِ، وَالْعُمُومَ وَالْخُصُوصَ، وَالْمُجْمَلَ وَالْمُبَيَّنَّ، وَالنَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ،
 وَأَنَّ صِبْغَةَ الْأَمْرِ عَلَى وَجْهِهِ، وَأَنَّهُ عِنْدَ تَجَرُّدِهِ يُحْمَلُ عَلَى الْوُجُوبِ
 عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْفُقَهَاءِ،

وَأَنَّ اللَّفْظَ يُحْمَلُ عَلَى عُمُومِهِ وَحَقِيقَتِهِ، حَتَّى يَرُدَّهُ دَلِيلُ تَخْصِيصٍ وَمَجَازٍ.
 وَأَنَّ أَقْسَامَ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ خَمْسَةٌ: الْوُجُوبُ، وَالنَّدْبُ، وَالتَّحْرِيمُ.
 وَالْكَرَاهَةُ، وَالْإِبَاحَةُ.

وَيُنْتَسَبُ بِاعْتِبَارِ آخِرِهَا إِلَى صَحِيحٍ وَفَاسِدٍ،
 فَالْوَاجِبُ: مَا يُذَمُّ تَارِكُهُ شَرْعًا عَلَى بَعْضِ الْوُجُوبِ، اخْتِرَازًا مِنَ الْوَاجِبِ
 الْمَوْسَعِ وَالْمُخَيَّرِ. وَقِيلَ: مَا يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ تَارِكُهُ، فَهَذَا إِنْ أَصَحَّ مَا قِيلَ فِيهِ.
 وَالْمَنْدُوبُ: مَا رُجِّحَ فِعْلُهُ شَرْعًا وَجَازَ تَرْكُهُ.
 وَالْمُحَرَّمُ مَا يُذَمُّ فَاعِلُهُ شَرْعًا.

وَالْمَكْرُوهُ مَا نَهَى عَنْهُ الشَّرْعُ نَهْيًا غَيْرَ جَارِمٍ .
وَالْمُبَاحُ مَا جَاءَ الشَّرْعُ بِأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ فِعْلِهِ وَتَرْكِهِ فِي حَقِّ الْمُكَلَّفِ .
وَالصَّحِيحُ مِنَ الْعُقُودِ مَا تَرْتَّبَ أَثَرُهُ عَلَيْهِ، وَمِنَ الْعِبَادَاتِ مَا أَسْقَطَ الْقَضَاءُ،
وَالْبَاطِلُ وَالْفَاسِدُ خِلَافُ الصَّحِيحِ .

وَيَبَيِّنُ لَهُ جُمْلًا مِنْ أَسْمَاءِ الْمَشْهُورِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ - فَمَنْ بَعَدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَخْيَارِ، وَأَنْسَابِهِمْ وَكُنَاهُمْ وَأَعْصَارِهِمْ وَطُرُقِ حِكَايَاتِهِمْ وَنَوَادِرِهِمْ، وَصَبَّطَ الْمُشْكِلِ مِنْ أَنْسَابِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ، وَتَمَيَّزَ الْمُشْتَبِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَجُمْلًا مِنَ الْأَلْفَاظِ اللَّغَوِيَّةِ وَالْعُرْفِيَّةِ الْمُتَكَرِّرَةِ فِي الْفِقْهِ ضَبْطًا لِمُشْكِلِهَا وَخَفِيَّ مَعَانِيهَا، فَيَقُولُ: هِيَ مَفْتُوحَةٌ، أَوْ مَضْمُومَةٌ، أَوْ مَكْسُورَةٌ، مُخَفَّفَةٌ أَوْ مُشَدَّدَةٌ، مَهْمُوزَةٌ أَوْ لَا، عَرَبِيَّةٌ، أَوْ عَجَمِيَّةٌ، أَوْ مُعَرَّبَةٌ؛ وَهِيَ الَّتِي أَضْلَحَهَا عَجَمِيٌّ وَتَكَلَّمَتْ بِهَا الْعَرَبُ، مَضْرُوفَةٌ أَوْ غَيْرُهَا، مُشْتَقَّةٌ أَمْ لَا، مُشْتَرَكَةٌ أَمْ لَا، مُتَرَادِفَةٌ أَمْ لَا، وَأَنَّ الْمَهْمُوزَ وَالْمُشَدَّدَ يُخَفَّفَانِ أَمْ لَا، وَأَنَّ فِيهَا لُغَةً أُخْرَى أَمْ لَا .

وَيَبَيِّنُ مَا يَنْضَبِطُ مِنْ قَوَاعِدِ التَّضْرِيغِ: كَقَوْلِنَا: مَا كَانَ عَلَى (فِعْلٍ) يَفْتَحُ الْفَاءَ وَكَسَرَ الْعَيْنَ فَمُضَارِعُهُ (يَفْعَلُ) يَفْتَحُ الْعَيْنَ إِلَّا أَحْرَفًا جَاءَ فِيهِنَّ الْفَتْحُ وَالْكَسْرُ مِنَ الصَّحِيحِ وَالْمُعْتَلِّ، فَالصَّحِيحُ دُونَ عَشْرَةِ أَحْرَفٍ، كَنَعِمَ أَوْ بَيْسَ وَحَسِبَ، وَالْمُعْتَلُّ: كَ (وَبَرَ وَوَبِقَ وَوَرِمَ وَوَرِي الرَّئِدَ، وَغَيْرِهِنَّ) .

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ عَلَى (فِعْلٍ) يَكْسِرُ الْعَيْنَ جَازَ فِيهِ

أَيْضًا إِسْكَانُهَا مَعَ فَتْحِ الْفَاءِ وَكَسْرِهَا فَإِنْ كَانَ الثَّانِي أَوْ الثَّلَاثُ حَرْفَ حَلْقٍ جَازَ فِيهِ وَجْهٌ رَابِعٌ (فِعْلٌ) بِكَسْرِ الْفَاءِ وَالْعَيْنِ .

وَإِذَا وَقَعَتْ مَسْأَلَةٌ غَرِيبَةً لَطِيفَةً، أَوْ مِمَّا يُسْأَلُ عَنْهَا فِي الْمُعَايَاتِ، نَبَّهَهُ عَلَيْهَا وَعَرَّفَهُ حَالَهَا فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَيَكُونُ تَعْلِيمُهُ إِيَّاهُمْ كُلَّ ذَلِكَ تَدْرِيجًا شَيْئًا فَشَيْئًا، لِتَجْتَمَعَ لَهُمْ مَعَ طُولِ الزَّمَانِ جَمَلٌ كَثِيرَاتٌ .

١٥ - وَيَنْبَغِي أَنْ يُحَرِّضَهُمْ عَلَى الْإِسْتِعَاذِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَيُطَالِيَهُمْ فِي أَوْقَاتِ بِإِعَادَةِ مَحْفُوظَاتِهِمْ وَيَسْأَلَهُمْ عَمَّا ذَكَرَهُ لَهُمْ مِنَ الْمُهَيَّمَاتِ، لَمْ يَجِدْ حَافِظًا مُرَاعِيًا لَهُ أَكْرَمَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَأَشَاعَ ذَلِكَ، مَا لَمْ يَخَفْ فَسَادَ حَالِهِ بِإِعْجَابٍ وَنَحْوِهِ، وَمَنْ وَجَدَهُ مُقْصِرًا عَنَّهُ إِلَّا أَنْ يَخَافَ تَنْفِيرَهُ، وَيُعِيدَهُ لَهُ حَتَّى يَحْفَظَهُ حِفْظًا رَاسِخًا، وَيُنْصِفَهُمْ فِي الْبَحْثِ فَيَعْتَرِفَ بِفَائِدَةٍ يَقُولُهَا بَعْضُهُمْ وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا، وَلَا يَحْشُدُ أَحَدًا مِنْهُمْ لِكَثْرَةِ تَحْصِيلِهِ، فَالْحَسَدُ حَرَامٌ لِلْأَجَانِبِ وَهُنَا أَشَدُّ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، وَفَضِيلَتُهُ يَعُودُ إِلَى مُعَلِّمِهِ مِنْهَا نَصِيبٌ وَافِرٌ، فَإِنَّهُ مُرَبِّيهِ، وَلَهُ فِي تَعْلِيمِهِ وَتَخْرِيجِهِ فِي الْآخِرَةِ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ، وَفِي الدُّنْيَا الدُّعَاءُ الْمُسْتَمِرُّ وَالثَّنَاءُ الْجَمِيلُ .

١٦ - وَيَنْبَغِي أَنْ يُقَدِّمَ فِي تَعْلِيمِهِمْ إِذَا ارْتَدَحُوا الْأَسْبَقَ فَلَا أَسْبَقَ، لَا يُقَدِّمُهُ فِي أَكْثَرِ مَنْ دَرَسَ إِلَّا بِرِضَا الْبَاقِينَ، وَإِذَا ذَكَرَ لَهُمْ دَرْسًا تَحَرَّى تَفْهِيمَهُمْ بِأَيْسَرِ الطَّرِيقِ، وَيَذْكُرُهُ مُتَرَسِّلًا مُبَيَّنًّا وَاضِحًا، وَيَتَكَرَّرُ مَا يُشْكِلُ مِنْ مَعَانِيهِ وَالْفَافِظِ، إِلَّا إِذَا وَثِقَ بِأَنَّ جَمِيعَ الْحَاضِرِينَ يَفْهَمُونَ بِدُونِ ذَلِكَ،

وَإِذَا لَمْ يَصِلِ الْبَيَانُ إِلَّا بِالتَّضْرِيحِ بِعِبَارَةٍ يُسْتَحَى فِي الْعَادَةِ مِنْ ذِكْرِهَا فَلْيَذْكُرْهَا بِضَرِيحِ اسْمِهَا، وَلَا يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ وَمُرَاعَاةُ الْأَدَابِ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ إِضَاحَهَا أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ.

وَأِنَّمَا نُسَخَبُ الْكِنَايَةَ فِي مِثْلِ هَذَا إِذَا عَلِمَ بِهَا الْمَقْصُودُ عِلْمًا جَلِيًّا، وَعَلَى هَذَا التَّفْصِيلِ يُحْمَلُ مَا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ مِنَ التَّضْرِيحِ فِي وَقْتِ وَالْكِنَايَةِ فِي وَقْتٍ، وَيُؤَخَّرُ مَا يَنْبَغِي تَأْخِيرُهُ، وَيَقْدَمُ مَا يَنْبَغِي تَقْدِيمُهُ، وَيَقِفُ فِي مَوْضِعِ الْوَقْفِ، وَيَصِلُ فِي مَوْضِعِ الْوُضُلِ.

١٧ - وَإِذَا وَصَلَ مَوْضِعَ الدَّرْسِ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، فَإِنْ كَانَ مَسْجِدًا تَأَكَّدَ الْحَثَّ عَلَى الصَّلَاةِ، وَيَقْعُدُ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ عَلَى طَهَارَةٍ، مُتَرَبِّعًا إِنْ شَاءَ، وَإِنْ شَاءَ مُحْتَبِيًا وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَيَجْلِسُ بِوَقَارٍ، وَثِيَابُهُ نَظِيفَةٌ بِيضٌ، وَلَا يَعْتَنِي بِفَاخِرِ الثِّيَابِ، وَلَا يَقْتَصِرُ عَلَى خُلُقٍ يُنْسَبُ صَاحِبُهُ إِلَى قِلَّةِ الْمُرُوءَةِ، وَيُحَسِّنُ خُلُقَهُ مَعَ جُلَسَائِهِ، وَيُؤَثِّرُ فَاذِلَّهُمْ بِعِلْمٍ أَوْ سِنٍّ أَوْ شَرَفٍ أَوْ صَلَاحٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَيَتَكَلَّفُ بِالْبَاقِينَ، وَيَرْفَعُ مَجْلِسَ الْفُضَلَاءِ، وَيُكْرِمُهُمْ بِالْقِيَامِ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِحْتِرَامِ،

وَقَدْ يُكْرَهُ الْقِيَامُ مَنْ لَا تَحْقِيقَ عِنْدَهُ، وَقَدْ جَمَعْتُ جُزْءًا فِيهِ التَّرْخِيصُ فِيهِ وَدَلَالَتُهُ، وَالْجَوَابُ عَمَّا يُوهَمُ كَرَاهَتُهُ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَصُونَ يَدَيْهِ عَنِ الْعَبَثِ، وَعَيْنَيْهِ عَنِ تَفْرِيقِ النَّظَرِ بِلَا حَاجَةٍ، وَيَلْتَمِسَ إِلَى الْحَاضِرِينَ التِّفَاتًا قَصْدًا بِحَسَبِ الْحَاجَةِ لِلْخُطَابِ، وَيَجْلِسَ فِي مَوْضِعٍ يَبْرُزُ فِيهِ وَجْهُهُ لِكُلِّهِمْ،

وَيَقْدُمُ عَلَى الدَّرْسِ تِلَاوَةً مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ يَسْمِعُ وَيَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى، وَيُصَلِّي وَيُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَدْعُو لِلْعُلَمَاءِ الْمَاضِينَ مِنْ مَشَائِخِهِ وَوَالِدِيهِ وَالْحَاضِرِينَ وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَقُولُ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ. فَإِنْ ذَكَرَ دُرُوسًا قَدَّمَ أَمَمَهَا، فَيَقْدُمُ التَّفْسِيرَ، ثُمَّ الْحَدِيثَ، ثُمَّ الْأُصُولَ، ثُمَّ الْمَذْهَبَ، ثُمَّ الْخِلَافَ، ثُمَّ الْجَدَلَ.

١٨ - وَلَا يَذْكُرُ الدَّرْسَ وَبِهِ مَا يُرْجَعُ كَمَرَضٍ، أَوْ جُوعٍ، أَوْ مُدَافَعَةٍ الْحَدِيثِ، أَوْ شِدَّةِ فَرَحٍ وَحُزْنٍ وَلَا يَطُولُ مَجْلِسُهُ تَطْوِيلًا يُمَلُّهُمْ أَوْ يَمْنَعُهُمْ فَهَمَ بَعْضِ الدَّرُوسِ أَوْ ضَبْطِهِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ إِفَادَتَهُمْ وَضَبْطَهُمْ، فَإِذَا صَارُوا إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ فَاتَهُ الْمَقْصُودُ.

١٩ - وَلْيَكُنْ مَجْلِسُهُ وَاسِعًا وَلَا يَرْفَعُ صَوْتُهُ زِيَادَةً عَلَى الْحَاجَةِ، وَلَا يَخْفِضُهُ خَفْضًا يَمْنَعُ بَعْضُهُمْ كَمَالَ فَهْمِهِ، وَيَصُونُ مَجْلِسَهُ مِنَ اللَّغَطِ، وَالْحَاضِرِينَ عَنْ سُوءِ الْأَدَبِ فِي الْمُبَاحَثَةِ، وَإِذَا ظَهَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ شَيْءٌ مِنْ مَبَادِي ذَلِكَ تَلَطَّفَ فِي دَفْعِهِ قَبْلَ انْتِشَارِهِ، وَيَذَكِّرُهُمْ أَنَّ اجْتِمَاعَنَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تَعَالَى، فَلَا يَلِيقُ بِنَا الْمُنَافَسَةُ وَالْمُشَاحَنَةُ، بَلْ شَأْنُنَا الرِّفْقُ وَالصَّفَاءُ، وَاسْتِفَادَةُ بَعْضِنَا مِنْ بَعْضٍ، وَاجْتِمَاعُ قُلُوبِنَا عَلَى ظُهُورِ الْحَقِّ وَحُصُولِ الْفَائِدَةِ.

٢٠ - وَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ أَعْجُوبَةٍ فَلَا يَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَإِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْرِفُهُ، أَوْ عَرَضَ فِي الدَّرْسِ مَا لَا يَعْرِفُهُ، فَلْيَقُلْ: لَا أَعْرِفُهُ أَوْ لَا أَتَحَقَّقُهُ، وَلَا يَسْتَنْكِفُ عَنْ ذَلِكَ، فَمِنْ عِلْمِ الْعَالِمِ أَنْ يَقُولَ فِيمَا لَا يَعْلَمُ: لَا أَعْلَمُ أَوْ اللَّهُ أَعْلَمُ، فَقَدْ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عِلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: "نُهِينَا عَنْ التَّكْلِيفِ" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالُوا: يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُورِثَ أَصْحَابَهُ لَا أُدْرِي. مَعْنَاهُ يُكْثِرُ مِنْهَا، وَلَيْسَ أَنْ مُعْتَقَدَ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّ قَوْلَ الْعَالِمِ: لَا أَدْرِي لَا يَضَعُ مَثَرَتَهُ، بَلْ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ مَحَلِّهِ، وَتَقْوَاهُ، وَكَمَالِ مَعْرِفَتِهِ؛ لِأَنَّ الْمُتَمَكِّنَ لَا يَضُرُّهُ عَدَمُ مَعْرِفَتِهِ مَسَائِلَ مَعْدُودَةٍ، بَلْ يُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِ: لَا أَدْرِي عَلَى تَقْوَاهُ، وَأَنَّهُ لَا يُجَازِفُ فِي فَتْوَاهُ، وَإِنَّمَا يَمْتَنِعُ مِنْ (لَا أَدْرِي) مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ، وَقَصُرَتْ مَعْرِفَتُهُ، وَضَعُفَتْ تَقْوَاهُ؛ لِأَنَّهُ يَخَافُ لِقُصُورِهِ أَنْ يَسْقُطَ مِنْ أَعْيُنِ الْحَاضِرِينَ، وَهُوَ جَهَالَةٌ مِنْهُ، فَإِنَّهُ بِإِقْدَامِهِ عَلَى الْجَوَابِ فِيمَا لَا يَعْلَمُهُ يَبُوءُ بِالِائْتِمَارِ الْعَظِيمِ، وَلَا يَرْفَعُهُ ذَلِكَ عَمَّا عُرِفَ لَهُ مِنَ الْقُصُورِ، بَلْ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى قُصُورِهِ؛ لِأَنَّ إِذَا رَأَيْنَا الْمُحَقِّقِينَ يَقُولُونَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوَاقَاتِ: لَا أَدْرِي، وَهَذَا الْقَاصِرُ لَا يَقُولُهَا أَبَدًا عَلِمْنَا أَنَّهُمْ يَتَوَرَّعُونَ لِعِلْمِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ

وَأَنَّهُ يُجَازِفُ لِحَظِهِ وَقَلَّةِ دِينِهِ، فَوَقَعَ فِيمَا فَرَّ عَنْهُ، وَاتَّصَفَ بِمَا اخْتَرَزَ مِنْهُ، لِفَسَادِ نِيَّتِهِ وَسُوءِ طَوِيلَتِهِ، وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ»^(١).

٢١ - وَيَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَنْظُرَ عَلَى أَصْحَابِهِ مَا يَرَاهُ مِنْ مُسْتَعَادِ الْمَسَائِلِ، وَيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ أَفْهَامَهُمْ وَيُظْهِرَ فَضْلَ الْفَاضِلِ وَيُثْنِيَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، تَرْغِيًّا لَهُ وَلِلْبَاقِينَ فِي الْإِشْتَغَالِ وَالْفِكْرِ فِي الْعِلْمِ وَلِيَتَدَرَّبُوا بِذَلِكَ وَيَعْتَادُوهُ، وَلَا يُعْنَفُ مَنْ غَلِطَ مِنْهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَرَى تَعْنِيفُهُ مَصْلَحَةً لَهُ، وَإِذَا فَرَغَ مِنْ تَعْلِيمِهِمْ أَوْ إِقَاءِ دَرَسٍ عَلَيْهِمْ أَمَرَهُمْ بِإِعَادَتِهِ، لِيُرْسَخَ حِفْظُهُمْ لَهُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ شَيْءٌ مَا، عَاوَدُوا الشَّيْخَ فِي إِيضَاحِهِ.

٢٢ - فَضْلٌ وَمِنْ أَمَمٍ مَا يُلَامَرُ بِهِ إِلَّا بِتَأْدِي مَنْ يَقْرَأُ عَلَيْهِ إِذَا قُرَأَ عَلَى غَيْرِهِ، وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ يُبْتَلَى بِهَا جَهْلَةُ الْمُعَلِّمِينَ لِعِبَاوَتِهِمْ وَفَسَادِ نِيَّتِهِمْ، وَهُوَ مِنْ الدَّلَائِلِ الصَّرِيحَةِ عَلَى عَدَمِ إِرَادَتِهِمْ بِالتَّعْلِيمِ وَجَهَ اللَّهِ تَعَالَى الْكَرِيمِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا عَنْ عَلِيٍّ ؑ الْإِغْلَاطَ فِي ذَلِكَ وَالتَّأْكِيدَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ. وَهَذَا إِذَا كَانَ الْمُعَلِّمُ الْآخِرُ أَهْلًا، فَإِنْ كَانَ فَاسِقًا أَوْ مُبْتَدِعًا أَوْ كَثِيرَ الْغَلِطِ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَلْيُحَذَّرْ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِهِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

(١) [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢١٩)، وَمُسْلِمٌ (٢١٣٠) وَأَبُو دَاوُدَ (٤٩٩٧)، وَأَخْمَدُ (٢٦٣٨١، ٢٦٣٨٩، ٢٦٤٣٧) عَنْ أَسْمَاءَ ؓ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٢٩)، وَأَخْمَدُ (٢٤٨١٢) عَنْ عَائِشَةَ ؓ: «أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقُولُ إِنَّ زَوْجِي أَغْطَانِي مَا لَمْ يُعْطَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ»].

بَابُ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ

أَمَّا آدَابُهُ فِي نَفْسِهِ وَدَرْسِهِ فَكَآدَابِ الْمُعَلِّمِ . وَقَدْ أَوْضَحْنَاهَا .

١ - وَيُسَبِّحُ أَنْ يُظَهِّرَ قَلْبَهُ مِنَ الْأَدْنَسِ لِيَصْلُحَ بِقَبُولِ الْعِلْمِ وَحِفْظِهِ وَاسْتِثْمَارِهِ ، فِيهِ الصَّحِيحِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ﴾ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢ ، ٢٠٥١) ، وَمُسْلِمٌ (١٥٩٩) عَنِ النُّعْمَانِ ابْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَقَالُوا : تَطْيِيبُ الْقَلْبِ لِلْعِلْمِ كَتَطْيِيبِ الْأَرْضِ لِلزَّرْعَةِ .

٢ - وَيُسَبِّحُ أَنْ يَقْطَعَ الْعَلَاتِقَ الشَّاعِلَةَ عَنْ كَمَالِ الاجْتِهَادِ فِي التَّحْصِيلِ ، وَيَرْضَى بِالْيَسِيرِ مِنَ الْقُوتِ ، وَيَصْبِرَ عَلَى ضِيقِ الْعَيْشِ .
قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَعَالَى : لَا يَطْلُبُ أَحَدٌ هَذَا الْعِلْمَ بِالْمُلْكِ وَعِزِّ النَّفْسِ فَيَفْلَحَ ، وَلَكِنْ مَنْ طَلَبَهُ بِذُلِّ النَّفْسِ ، وَضِيقِ الْعَيْشِ ، وَخِدْمَةِ الْعُلَمَاءِ أَفْلَحَ .
وَقَالَ أَيْضًا : لَا يُدْرِكُ الْعِلْمُ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى الذُّلِّ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَتْلُغُ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ مَا يُرِيدُ حَتَّى يُضِرَّ بِهِ الْفَقْرُ ، وَيُؤْثِرَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يُسْتَعَانُ عَلَى الْفَقْرِ بِجَمْعِ الْهِمَمِ ، وَيُسْتَعَانُ عَلَى حَذْفِ الْعَلَاتِقِ بِأَخْذِ الْيَسِيرِ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَلَا يَزْدُ .

وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ : يُسْتَحَبُّ لِلطَّالِبِ أَنْ يَكُونَ عَرَبًا مَا أَمَكَّنَهُ ،

لِئَلَّا يَقْطَعَهُ الْإِشْتِعَالُ بِحُقُوقِ الزَّوْجَةِ، وَالْإِهْتِمَامُ بِالْمَعِيشَةِ، عَنْ إِكْمَالِ طَلَبِ الْعِلْمِ.

وَمَذْهَبًا: أَنَّ مَنْ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى النِّكَاحِ أُسْتُحِبَّ لَهُ تَرْكُهُ، وَكَذَا إِنْ أَحْتَاجَ وَعَزَّ عَنْ مُؤَنَّتِهِ،

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ».

٣ - وَيَتَبَيَّنُ لَهُ أَنَّ يَتَوَاضَعُ لِلْعِلْمِ وَالْمُعَلِّمِ فَيَتَوَاضَعُ بِنَالِهِ، وَقَدْ أَمَرْنَا بِالتَّوَاضُعِ مُطْلَقًا فَهُنَا أَوْلَى، وَقَدْ قَالُوا:

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالِي كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي.
وَيَنْقَادُ لِمُعَلِّمِهِ، وَيُشَاوِرُهُ فِي أُمُورِهِ، وَيَأْتِمِرُ بِأَمْرِهِ، كَمَا يَنْقَادُ الْمَرِيضُ لِطَبِيبٍ حَاذِقٍ نَاصِحٍ، وَهَذَا أَوْلَى لِتَفَاوُتِ مَرْتَبَتَيْهِمَا.

قَالُوا: وَلَا يَأْخُذُ الْعِلْمُ إِلَّا بِمَنْ كَمَلَتْ أَهْلِيَّتُهُ، وَظَهَرَتْ دِيَانَتُهُ، وَتَحَقَّقَتْ مَعْرِفَتُهُ وَاشْتَهَرَتْ صَيَانَتُهُ وَسَيَادَتُهُ،

فَقَدْ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ وَمَالِكٌ وَخَلَائِقُ مِنَ السَّلَفِ: (هَذَا الْعِلْمُ دِينٌ فَاَنْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ بِكُمْ).

٤ - وَلَا يَكْفِي فِي أَهْلِ التَّعْلِيمِ أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الْعِلْمِ، بَلْ يَنْبَغِي مَعَ كَثْرَةِ عِلْمِهِ بِذَلِكَ الْفَنِّ كَوْنُهُ لَهُ مَعْرِفَةٌ فِي الْجُمْلَةِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْفُنُونِ الشَّرْعِيَّةِ، فَإِنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ، وَيَكُونُ لَهُ ذُرِيَّةٌ وَدِينٌ وَخُلُقٌ جَمِيلٌ وَذَهْنٌ صَحِيحٌ، وَاطِّلاَعٌ تَامٌ.

وَقَالُوا: وَلَا تَأْخُذْ الْعِلْمَ مِمَّنْ كَانَ أَخْذُهُ لَهُ مِنْ بُطُونِ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ قِرَاءَةٍ عَلَى شُيُوخٍ أَوْ شَيْخٍ حَاضِرٍ، فَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا مِنَ الْكُتُبِ يَقَعُ فِي التَّضْحِيفِ، وَيَكْثُرُ مِنْهُ الْغَلَطُ وَالتَّحْرِيفُ.

٥ - وَتَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ مُعَلِّمُهُ بِمَعْنَى الْإِحْرَامِ وَيَتَّقِيَ كَمَالَ أَهْلِيهِ، وَرُجْحَانَهُ عَلَى أَكْثَرِ طَبَقَتِهِ، فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى انْتِفَاعِهِ بِهِ، وَرُسُوحِ مَا سَمِعَهُ مِنْهُ فِي ذَهْنِهِ.

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ إِذَا ذَهَبَ إِلَى مُعَلِّمِهِ تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَسْتُرْ عَيْبَ مُعَلِّمِي عَنِّي، وَلَا تُذْهِبْ بَرَكَاتِ عِلْمِهِ مِنِّي.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: كُنْتُ أَصْفَحُ الْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيَّ مَالِكٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - صَفْحًا رَفِيقًا هَيَّئَ لَهُ. لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقَعَهَا.

وَقَالَ الرَّبِيعُ: وَاللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيَّئَ لَهُ.

وَقَالَ حَمْدَانُ بْنُ الْأَصْفَهَانِيِّ: وَكُنْتُ عِنْدَ شَرِيكِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَأَتَاهُ بَعْضُ أَوْلَادِ الْمَهْدِيِّ، فَاسْتَنَدَ إِلَى الْحَائِطِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا ثُمَّ عَادَ فَعَادَ لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَخِفُّ بِأَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ؟

فَقَالَ: شَرِيكَ: لَا وَلَكِنَّ الْعِلْمَ أَجَلٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ أَضْعُهُ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ شَرِيكَ: هَكَذَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ عَلَيْكَ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَامَّةً وَتَخْصَهُ بِالتَّحِيَّةِ، وَأَنْ تَجْلِسَ أَمَامَهُ، وَلَا تُشِيرَنَّ عِنْدَهُ بِيَدِكَ، وَلَا تَعْمِدَنَّ بِعَيْنِكَ غَيْرَهُ، وَلَا تَقُولَنَّ: قَالَ فُلَانٌ خِلَافَ قَوْلِهِ، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا تُسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَا تَأْخُذْ بِشُوبِهِ، وَلَا تُلِحَّ عَلَيْهِ إِذَا كَسَلَ، وَلَا تَشْبَعْ مِنْ طُولِ صُحْبَتِهِ، فَإِنَّمَا هُوَ كَالنَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ مَتَى يَسْقُطَ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ.

٦ - وَمِنْ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ: أَنْ يَتَحَرَّى رِضَا الْمُعَلِّمِ - وَإِنْ خَالَفَ رَأْيَ نَفْسِهِ - وَلَا يَغْتَابَ عِنْدَهُ وَلَا يُفْشِي لَهُ سِرًّا، وَأَنْ يَرُدَّ غَيْبَتَهُ إِذَا سَمِعَهَا، فَإِنْ عَجَزَ فَارَقَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ. وَأَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ، وَإِذَا دَخَلَ جَمَاعَةٌ قَدَّمُوا أَفْضَلَهُمْ وَأَسَنَّهُمْ، وَأَنْ يَدْخُلَ كَامِلَ الْهَيْئَةِ، فَارْغِ الْقَلْبَ مِنَ الشَّوَاغِلِ، مُتَطَهِّرًا مُتَنَظِّفًا بِسِوَاكِ، وَقَصِّ شَارِبٍ وَظُفْرٍ، وَإِزَالَةَ كَرِيهِ رَائِحَةٍ، وَيُسَلِّمَ عَلَى الْحَاضِرِينَ كُلِّهِمْ بِصَوْتٍ يُسْمِعُهُمْ إِسْمَاعًا مُحَقَّقًا، وَيُخَمِّصُ الشَّيْخَ بِزِيَادَةِ إِكْرَامٍ، وَكَذَلِكَ يُسَلِّمُ إِذَا انْصَرَفَ، فَفِي الْحَدِيثِ الْأَمْرُ بِذَلِكَ، وَلَا الْتِفَاتٍ إِلَى مَنْ أَنْكَرَهُ.

وَلَا يَخْطِي رِقَابَ النَّاسِ، وَأَنْ يَجْلِسَ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ إِلَّا أَنْ يُصْرِّحَ لَهُ الشَّيْخُ أَوْ الْحَاضِرُونَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّخْطِي، أَوْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِهِمْ إِثَارَ ذَلِكَ،

وَلَا يُقِيمُ أَحَدًا مِنْ مَجْلِسِهِ، فَإِنْ آثَرَهُ غَيْرُهُ بِمَجْلِسِهِ لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلْحَاضِرِينَ، بِأَنْ يَقْرُبَ مِنَ الشَّيْخِ، وَيُذَكِّرَهُ مُذَاكَرَةً يَنْتَفِعُ الْحَاضِرُونَ بِهَا،

وَلَا يَجْلِسُ وَسْطَ الْحَلْقَةِ إِلَّا لِضُرُورَةٍ، وَلَا بَيْنَ صَاحِبَيْنِ إِلَّا بِرِضَاهُمَا، وَإِذَا فُسِحَ لَهُ قَعْدٌ وَضَمَّ نَفْسَهُ، وَيَحْرِصُ عَلَى الْقُرْبِ مِنَ الشَّيْخِ لِيَفْهَمَ كَلَامَهُ فَهَمًّا كَامِلًا بِلا مَشَقَّةٍ، وَهَذَا بِشَرْطِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ فِي الْمَجْلِسِ عَلَى أَفْضَلِ مِنْهُ،

وَيَنْبَغِي أَنْ تَأْدُبَ مَعَ رُفَقَتِهِ وَحَاضِرِي الْمَجْلِسِ، فَإِنْ تَأَدَّبَهُ مَعَهُمْ تَأَدَّبَ مَعَ الشَّيْخِ، وَاحْتِرَامٌ لِمَجْلِسِهِ. وَيَقْعُدُ قَعْدَةً الْمُتَعَلِّمِينَ لَا قَعْدَةَ الْمُعَلِّمِينَ، وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ رَفْعًا بَلِيغًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَلَا يَضْحَكُ، وَلَا يُكْرِئُ الْكَلَامَ بِلا حَاجَةٍ، وَلَا يَتَبَثَّ بِيَدِهِ وَلَا غَيْرِهَا، وَلَا يَلْتَفِتَ بِلا حَاجَةٍ، بَلْ يَقْبَلُ عَلَى الشَّيْخِ مُضْغِيًّا إِلَيْهِ، وَلَا يَنْتَبِهَ إِلَى شَرْحِ مَسْأَلَةٍ أَوْ جَوَابِ سُؤَالٍ إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِ الشَّيْخِ إِثَارَ ذَلِكَ، لِيَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى فَضِيلَةِ الْمُتَعَلِّمِ. وَلَا يَقْرَأَ عَلَيْهِ عِنْدَ شُغْلِ قَلْبِ الشَّيْخِ وَمَلَلِهِ وَغَمِّهِ، وَنُعَاسِهِ وَاسْتِيقَاضِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَيْهِ، أَوْ يَمْنَعُهُ اسْتِيفَاءَ الشَّرْحِ. وَلَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَا يَكْرَهُهُ. وَلَا يُلِحُّ فِي السُّؤَالِ إِلَّا حَاحًا مُضْجِرًا، وَيَتَخَيَّرُ سُؤَالَ عِنْدَ طَيْبِ نَفْسِهِ وَفَرَاعِهِ، وَيَتَلَطَّفُ فِي سُؤَالِهِ، وَيُحْسِنُ خِطَابَهُ، وَلَا يَسْجِي مِنَ السُّؤَالِ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ، بَلْ يَسْتَوْضِحُّه أَكْمَلَ اسْتِضَاحٍ، فَمَنْ رَقَّ وَجْهُهُ رَقَّ عِلْمُهُ، وَمَنْ رَقَّ وَجْهُهُ عِنْدَ السُّؤَالِ

ظَهَرَ نَقْصُهُ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الرِّجَالِ. وَإِذَا قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: أَفَهِمْتَ؟ فَلَا يَقُلْ: نَعَمْ، حَتَّى يَتَّضِحَ لَهُ الْمَقْصُودُ إِضَاحًا جَلِيًّا؛ لِئَلَّا يَكْذِبَ وَيَفُوتَهُ الْفَهْمُ. وَلَا يَسْتَحْيِ مِنْ قَوْلِهِ: لَمْ أَفْهَمْ، لِأَنَّ اسْتِثْبَاتَهُ يُحْصِلُ لَهُ مَصَالِحَ عَاجِلَةٍ وَآجِلَةٍ، فَمِنْ الْعَاجِلَةِ: حِفْظُهُ الْمَسْأَلَةَ، وَسَلَامَتُهُ مِنْ كَذِبٍ وَنِفَاقٍ، بِإِظْهَارِهِ فَهْمَ مَا لَمْ يَكُنْ فَهَمَّهُ. وَمِنْهَا: اعْتِقَادُ الشَّيْخِ اعْتِنَاءَهُ وَرَغْبَتَهُ وَكَمَالَ عَقْلِهِ وَوَرَعَهُ، وَمِلْكُهُ لِنَفْسِهِ وَعَدَمَ نِفَاقِهِ، وَمِنْ الْآجِلَةِ ثُبُوتُ الصَّوَابِ فِي قَلْبِهِ دَائِمًا، وَاعْتِيَادُهُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ الْمُرْضِيَّةَ، وَالْأَخْلَاقَ الرَّضِيَّةَ.

وَيَسْتَحْيِ إِذَا سَمِعَ الشَّيْخَ يَقُولُ مَسْأَلَةً، أَوْ يَحْكِي حِكَايَةً وَهُوَ يَحْفَظُهَا، أَنْ يُضْغِي لَهَا إِضْغَاءً مَنْ لَمْ يَحْفَظْهَا، إِلَّا إِذَا عَلِمَ مِنْ حَالِ الشَّيْخِ إِشَارَةَ عِلْمِهِ بِأَنَّ الْمُتَعَلَّمَ حَافِظُهَا.

٧ - وَيَسْتَحْيِ أَنْ يَكُونَ حَرِيصًا عَلَى التَّعَلُّمِ، مُوَظِّبًا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، حَضْرًا أَوْ سَفَرًا، وَلَا يُذْهِبُ مِنْ أَوْقَاتِهِ شَيْئًا فِي غَيْرِ الْعِلْمِ، إِلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ، لِأَكْلِ وَنَوْمٍ قَدْرًا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَنَحْوِهِمَا كَاسْتِرَاحَةٍ يَسِيرَةٍ لِإِزَالَةِ الْمَلَلِ، وَشَبْهِ ذَلِكَ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ وَلَيْسَ بِعَاقِلٍ مَنْ أَمَكَّنَهُ دَرَجَةُ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ فَوَّتَهَا، وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي رِسَالَتِهِ: "حَقٌّ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ بُلُوغُ غَايَةِ جُهِدِهِمْ فِي الْإِسْتِكْثَارِ مِنْ عِلْمِهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى كُلِّ عَارِضٍ دُونَ طَلَبِهِ، وَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي إِدْرَاكِ عِلْمِهِ نَصًّا وَاسْتِثْنَاءً، وَالرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْعَوْنِ عَلَيْهِ".

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ : " لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ " .

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ : أَجُودُ أَوْقَاتِ الْحِفْظِ الْأَسْحَارُ، ثُمَّ نِصْفُ النَّهَارِ، ثُمَّ الْغَدَاةُ، وَحِفْظُ اللَّيْلِ أَنْفَعُ مِنْ حِفْظِ النَّهَارِ، وَوَقْتُ الْجُوعِ أَنْفَعُ مِنْ وَقْتِ الشَّبَعِ . قَالَ : وَأَجُودُ أَمَاكِنِ الْحِفْظِ الْغُرْفُ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ بَعْدَ عَنْ الْمُلْهِيَّاتِ، وَقَالَ : وَلَيْسَ بِمَحْمُودِ الْحِفْظِ بِحَضْرَةِ النَّبَاتِ، وَالْخُضْرَةِ، وَالْأَنْهَارِ، وَقَوَارِعِ الطُّرُقِ؛ لِأَنَّهَا تَمْنَعُ غَالِبًا خُلُوقَ الْقَلْبِ .

٨ - وَتَبَغْيِي أَنْ يَضْبِرَ عَلَى جَهْوَةِ شَيْخِي، وَسُوءِ خُلُقِهِ، وَلَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ مُلَازِمَتِهِ وَاعْتِقَادِ كَمَالِهِ، وَتَبَاوُلِ الْأَفْعَالِ الَّتِي ظَاهِرُهَا الْفَسَادُ تَأْوِيلَاتٍ صَحِيحَةٌ، فَمَا يَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا قَلِيلُ التَّوْفِيقِ .

وَإِذَا جَفَاءَ الشَّيْخُ ابْتَدَأَ هُوَ بِالِاعْتِذَارِ، وَأَظْهَرَ أَنَّ الذَّنْبَ لَهُ، وَالْعُتْبَ عَلَيْهِ، فَذَلِكَ أَنْفَعُ لَهُ دِينًا وَدُنْيَا، وَأَبْقَى لِقَلْبٍ شَيْخِهِ .

وَقَدْ قَالُوا : مَنْ لَمْ يَضْبِرْ عَلَى ذُلِّ التَّعَلُّمِ بَقِيَ عُمُرُهُ فِي عِمَايَةِ الْجَهَالَةِ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَيْهِ آلَ أَمْرِهِ إِلَى عِزِّ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا .

٩ - وَمِنْ آدَابِ الْحِلْمِ وَالْإِنَاءِ، وَأَنْ يَكُونَ هَيَّئُهُ غَالِيَةً، فَلَا يَرْضَى بِالْيَسِيرِ مَعَ إِمْكَانِ الْكَثِيرِ،

وَأَنْ لَا يُسَوِّفَ فِي اشْتِغَالِهِ، وَلَا يُؤَخِّرُ تَحْصِيلَ فَائِدَةٍ وَإِنْ قَلَّتْ إِذَا

تَمَكَّنَ مِنْهَا، وَإِنْ أَمِنَ حُصُولُهَا بَعْدَ سَاعَةٍ؛ لِأَنَّ لِلتَّأْخِيرِ آفَاتٍ، وَلَأنَّهُ فِي الزَّمَنِ الثَّانِي يُحْصَلُ غَيْرُهَا.

وَعَنْ الرَّبِيعِ قَالَ: " لَمْ أَرِ الشَّافِعِيَّ أَكَلًا بِنَهَارٍ، وَلَا نَائِمًا بِلَيْلٍ، لِاهْتِمَامِهِ بِالتَّصْنِيفِ،

وَلَا يُحْمِلُ نَفْسَهُ مَا لَا تُطِيقُ مَخَافَةُ الْمَلِكِ، وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النَّاسِ، وَإِذَا جَاءَ مَجْلِسَ الشَّيْخِ فَلَمْ يَجِدْهُ انْتِظَرُهُ وَلَا يُفَوِّتُ دَرْسَهُ إِلَّا أَنْ يَخَافَ كَرَاهَةَ الشَّيْخِ لِذَلِكَ، بِأَنْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِهِ الْإِقْرَاءَ فِي وَقْتٍ بَعَيْنِهِ فَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ بِطَلَبِ الْقِرَاءَةِ فِي غَيْرِهِ.

قَالَ الْخَطِيبُ: وَإِذَا وَجَدَهُ نَائِمًا لَا يَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ، بَلْ يَضْرِبُ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، أَوْ يَنْصَرِفُ وَالْاِخْتِيَارُ الصَّبْرُ، كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسَّلَفُ يَفْعَلُونَ.

١٠ - وَتَبَعِي أَنْ يَنْتَهِيَ التَّحْصِيلُ فِي رُتَبِ الْفَرَاغِ وَالنَّشَاطِ، وَحَالِ الشَّبَابِ وَقُوَّةِ الْبَدَنِ، وَنَبَاهَةِ الْخَاطِرِ، وَقِلَّةِ الشَّوَاغِلِ، قَبْلَ عَوَارِضِ الْبَطَالَةِ، وَارْتِفَاعِ الْمَنْزِلَةِ،

قَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ: (بَابُ الْإِعْتِنَاءِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَقَالَ عُمَرُ: تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَبَعْدَ أَنْ تُسَوِّدُوا، وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي كِبَرٍ سِنَّهُمْ).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: " تَفَقَّهُ قَبْلَ أَنْ تَرَأْسَ، فَإِذَا رَأْسَتْ فَلَا سَبِيلَ إِلَى التَّفَقُّهِ " .

وَيَعْتَنِي بِتَصْحِيحِ دَرْسِهِ الَّذِي يَتَحَفَّظُهُ، تَصْحِيحًا مُتَقَنًا عَلَى الشَّيْخِ، ثُمَّ يَحْفَظُهُ حِفْظًا مُحْكَمًا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُكَرِّرُهُ مَرَّاتٍ لِيَرَسَخَ رُسُوخًا مُتَأَكَّدًا، ثُمَّ يُرَاعِيهِ بِحَيْثُ لَا يَزَالُ مُحْفُوظًا جَيِّدًا،

وَيَبْدَأُ دَرْسَهُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَالِدُعَاءِ لِلْعُلَمَاءِ وَمَشَائِخِهِ وَوَالِدِيهِ وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُكْرِرُ بِدَرْسِهِ لِحَدِيثٍ: ﴿اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا﴾،

وَيَدَاوِمُ عَلَى تَكَرَّارِ مُحْفُوظَاتِهِ، وَلَا يَحْفَظُ ابْتِدَاءً مِنَ الْكُتُبِ اسْتِقْلَالًا، بَلْ يُصَحِّحُ عَلَى الشَّيْخِ كَمَا ذَكَرْنَا، فَالِاسْتِقْلَالُ بِذَلِكَ مِنْ أَضَرِّ الْمَفَاسِدِ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِقَوْلِهِ: "مَنْ تَفَقَّهَ مِنَ الْكُتُبِ ضَيَّعَ الْأَحْكَامَ". وَلِيَذَكِّرَ بِمُحْفُوظَاتِهِ، وَلِيُدِيمَ الْفِكْرَ فِيهَا، وَيَعْتَنِي بِمَا يُحْصَلُ فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ، وَلِيَرَفِقَ بَعْضَ حَاضِرِي حَلَقَةِ الشَّيْخِ فِي الْمَذَاكِرَةِ.

قَالَ الْخَطِيبُ: وَأَفْضَلُ الْمَذَاكِرَةِ مَذَاكِرَةُ اللَّيْلِ وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ يَبْدَأُونَ مِنَ الْعِشَاءِ فَرُبَّمَا لَمْ يَقُومُوا حَتَّى يَسْمَعُوا أَذَانَ الصُّبْحِ.

١١ - وَيَسْتَبْهِي أَنْ يَبْدَأَ مِنْ دُرُوسِهِ عَلَى الْمَشَائِخِ وَفِي الْحِفْظِ وَالتَّكْرَارِ وَالْمُطَالَعَةِ بِالْأَهَمِّ قَالِ الْأَهَمُّ، وَأَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ حِفْظُ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ فَهُوَ أَهَمُّ الْعُلُومِ، وَكَانَ السَّلَفُ لَا يُعَلِّمُونَ الْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ إِلَّا لِمَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ، وَإِذَا حَفِظَهُ فَلْيُحْدِثْ مِنَ الْإِسْتِعَالِ عَنْهُ بِالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَغَيْرِهِمَا

اشْتِغَالًا يُؤَدِّي إِلَى نِسْيَانِ شَيْءٍ مِنْهُ. أَوْ تَعْرِيبُهُ لِلنِّسْيَانِ.

وَبَعْدَ حِفْظِ الْقُرْآنِ يَحْفَظُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مُخْتَصَرًا، وَيَبْدَأُ بِالْأَهَمِّ، وَمِنْ أَهَمِّهَا الْفِئَةُ وَالنَّحْوُ، ثُمَّ الْحَدِيثُ وَالْأُصُولُ، ثُمَّ الْبَاقِي عَلَى مَا تيسَّرَ، ثُمَّ يَسْتَعِزُّ بِاسْتِزْجَارِ مَحْفُوظَاتِهِ، وَيَعْتَمِدُ مِنَ الشُّيُوخِ فِي كُلِّ فَنٍّ أَكْمَلَهُمْ فِي الصِّفَاتِ السَّابِقَةِ،

لِإِنْ أَمَكَّهُ شَرْحُ دُرُوسٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَعَلَ، وَإِلَّا اقْتَصَرَ عَلَى الْمُمَكِّنِ مِنْ دَرَسِينَ أَوْ ثَلَاثَةٍ وَغَيْرِهَا، فَإِذَا اعْتَمَدَ شَيْخًا فِي فَنٍّ وَكَانَ لَا يَتَأَدَّى بِقِرَاءَةِ ذَلِكَ الْفَنِّ عَلَى غَيْرِهِ فَلْيَقْرَأْ أَيْضًا عَلَى ثَانٍ وَثَالِثٍ وَأَكْثَرَ مَا لَمْ يَتَأَدَّوْا، فَإِنْ تَأَدَّى الْمُعْتَمِدُ اقْتَصَرَ عَلَيْهِ، وَرَاعَى قَلْبُهُ فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى انْتِفَاعِهِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَأَدَّى مِنْ هَذَا.

١٢- وَإِذَا بَحَثَ الْمُخْتَصَرَاتِ، انْتَقَلَ إِلَى بَحْثِ أَكْبَرِ مِنْهَا مَعَ الْمُطَالَعَةِ الْمُتَقَنَّةِ، وَالْعِنَايَةِ الدَّائِمَةِ الْمُحْكَمَةِ، وَتَعْلِيقِ مَا يَرَاهُ مِنَ النَّفَائِسِ وَالْغَرَائِبِ وَحَلِّ الْمُسْكِلاتِ مِمَّا يَرَاهُ فِي الْمُطَالَعَةِ أَوْ يَسْمَعُهُ مِنَ الشَّيْخِ.

وَلَا يَخْتَصِرَنَّ قَائِدَهُ يَرَاهَا أَوْ يَسْمَعُهَا فِي أَيِّ فَنٍّ كَانَتْ، بَلْ يُيَادِرُ إِلَى كِتَابَتِهَا ثُمَّ يُوَاطِبُ عَلَى مُطَالَعَةِ مَا كَتَبَهُ،

وَلْيَلِزِمِ حَلَقَةَ الشَّيْخِ وَلْيَعْتَنِ بِكُلِّ الدُّرُوسِ، وَيُعَلِّقْ عَلَيْهَا مَا أَمَكَنَ، فَإِنْ عَجَزَ اعْتَنَى بِالْأَهَمِّ،

وَلَا يُؤْخِرُ بِنَوْبَتِهِ، فَإِنَّ الْإِثَارَ بِالْقُرْبِ مَكْرُوهٌ، فَإِنْ رَأَى الشَّيْخُ الْمُضْلِحَةَ فِي ذَلِكَ فِي وَفْتٍ فَأَشَارَ بِهِ امْتَثَلَ أَمْرَهُ.

١٣ - وَيَسْجِي أَنْ يُرِيدَ رُقَّتَهُ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الطَّلَبَةِ إِلَى مَوَاطِنِ الْإِسْتِغَالِ وَالْقَائِدِ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ مَا اسْتَفَادَهُ عَلَى جِهَةِ النَّصِيحَةِ وَالْمُذَاكِرَةِ، وَإِرْشَادُهُمْ. يَبَارِكُ لَهُ فِي عِلْمِهِ، وَيَسْتَنْيرُ قَلْبُهُ، وَتَتَأَكَّدُ الْمَسَائِلُ مَعَهُ، مَعَ جَزِيلِ ثَوَابِ اللَّهِ - ﷻ - وَمَتَى بَخِلَ بِذَلِكَ كَانَ بِضِدِّهِ، فَلَا يَثْبُتَ مَعَهُ، وَإِنْ ثَبَتَ لَمْ يُثْمِرْ.

١٤ - وَلَا يَحْسُدُ أَحَدًا وَلَا يَحْطَرُّهُ، وَلَا يَعْجَبُ بِفَهْمِهِ،

فَإِذَا فَعَلَ مَا ذَكَرْنَاهُ وَتَكَامَلَتْ أَهْلِيَّتُهُ وَاسْتَهَرَتْ فَضِيلَتُهُ اسْتَعْلَ بِالتَّضْيِيفِ وَجَدَّ فِي الْجَمْعِ وَالتَّأْلِيفِ مُحَقَّقًا كُلَّ مَا يَذْكُرُهُ، مُتَّبِعًا فِي نَفْلِهِ وَاسْتِنْبَاطِهِ، مُتَحَرِّيًا إِضْحَاحَ الْعِبَارَاتِ، وَبَيَانَ الْمَشْكِلَاتِ، مُتَجَنِّبًا الْعِبَارَاتِ الرِّكِيكَاتِ، وَالْأَدِلَّةَ الْوَاهِيَاتِ، مُسْتَوْعِبًا مُعْظَمَ أَحْكَامِ ذَلِكَ الْفَنِّ، غَيْرَ مُخِلٍّ بِشَيْءٍ مِنْ أَصُولِهِ، مُنْبِّهًا عَلَى الْقَوَاعِدِ، فَبِذَلِكَ تَظْهَرُ لَهُ الْحَقَائِقُ، وَتَنْكَشِفُ الْمَشْكِلَاتُ، وَيَطْلُعُ عَلَى الْغَوَامِضِ وَحَلِّ الْمُعْضَلَاتِ، وَيَعْرِفُ مَذَاهِبَ الْعُلَمَاءِ، وَالرَّاجِحَ مِنَ الْمَرْجُوحِ، وَيَرْتَفِعُ عَنِ الْجُمُودِ عَلَى مَحْضِ التَّقْلِيدِ، وَيَلْتَحِقُ بِالْأَيِّمَةِ الْمُجْتَهِدِينَ أَوْ يَقَارِبُهُمْ إِنْ وَفَّقَ لِذَلِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

رَبَّنَا: قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي أَلْفِيَّتِهِ فِي مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ:

أَدَابُ طَالِبِ الْحَدِيثِ

٧١٣. وَأَخْلِصِ النِّيَّةَ فِي طَلَبِكَا
 ٧١٤. وَمَا يُهِمُّ ثُمَّ شُدَّ الرَّحْلَا
 ٧١٥. وَاعْمَلْ بِمَا تَسْمَعُ فِي الْفَضَائِلِ
 ٧١٦. عَلَيْهِ تَطَوُّلًا بِحَيْثُ يَضْجُرُ
 ٧١٧. أَوِ الْحَيَا عَنْ طَلَبٍ وَاجْتَنِبِ
 ٧١٨. مَا تَسْتَفِيدُ عَالِيًا وَنَازِلًا
 ٧١٩. وَمَنْ يَقُلْ إِذَا كَتَبْتَ قَمَشِ
 ٧٢٠. فَلَيْسَ مِنْ ذَا وَالْكِتَابُ تَمِّمِ
 ٧٢١. وَإِنْ يَضِقْ حَالٌ عَنْ اسْتِعَابِهِ
 ٧٢٢. أَوْ قَصَرَ اسْتِعَانٌ ذَا حِفْظٍ فَقَدْ
 ٧٢٣. وَعَلَّمُوا فِي الْأَصْلِ إِمَّا خَطَا
 ٧٢٤. وَلَا تَكُنْ مُقْتَصِرًا أَنْ تَسْمَعَا
 ٧٢٥. وَاقْرَأْ كِتَابًا فِي عُلُومِ الْأَثَرِ
 ٧٢٦. وَبِالصَّحِيحِينَ ابْدَأْ ثُمَّ السُّنَنُ
 ٧٢٧. بِمَا اقْتَضَتْهُ حَاجَةٌ مِنْ مُسْنَدِ
- وَجِدْ وَابْدَأْ بِعَوَالِي مِضْرِكَا
 لِغَيْرِهِ وَلَا تَسَاهَلْ حَمَلًا
 وَالشَّيْخَ بِجُلَّةٍ وَلَا تَثَاقُلِ
 وَلَا تَكُنْ يَمْنَعُكَ التَّكَبُّرُ
 كَتَمَ السَّمَاعِ فَهُوَ لَوْثٌ وَانْكُتِبِ
 لَا كَثْرَةَ الشُّيُوخِ صَيِّتًا عَاطِلًا
 ثُمَّ إِذَا رَوَيْتَهُ فَفَتِّشِ
 سَمَاعَهُ لَا تَنْتَخِبْهُ تَنْدِمِ
 لِعَارِفِ أَجَادٍ فِي انْتِخَابِهِ
 كَانَ مِنَ الْحِفَاطِ مَنْ لَهُ يُعَذِّ
 أَوْ هَمَزَتَيْنِ أَوْ بِصَادٍ أَوْ طَا
 وَكَتَبُهُ مِنْ دُونَ فَهْمِ نَفْعَا
 كَابِنِ الصَّلَاحِ أَوْ كَذَا الْمُخْتَصَرِ
 وَالْبَيْهَقِيِّ ضَبْطًا وَفَهْمًا ثُمَّ ثَنِ
 أَحْمَدَ وَالْمُوطَأَ الْمُمَهَّدِ

٧٢٨. وَعِلَلٍ، وَخَيْرُهَا لِأَحْمَدَ
٧٢٩. مِنْ خَيْرِهَا الْكَبِيرُ لِلْجُعْفِيِّ
٧٣٠. وَكُتِبَ الْمُؤْتَلَفُ الْمَشْهُورُ
٧٣١. وَاحْفَظْهُ بِالتَّذْرِيجِ ثُمَّ ذَاكِرِ
٧٣٢. إِذَا تَأَهَّلْتَ إِلَى التَّأْلِيفِ
٧٣٣. طَرِيقَتَانِ جَمْعُهُ أَبَوَابًا
٧٣٤. وَجَمْعُهُ مُعَلَّلًا كَمَا فَعَلَ
٧٣٥. وَجَمَعُوا أَبَوَابًا أَوْ شُيُوخًا أَوْ
٧٣٦. كَرَاهَةَ الْجَمْعِ لِذِي تَقْصِيرِ
- وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَالتَّوَارِيخُ غَدَا
وَالْجَزْحُ وَالتَّغْدِيلُ لِلرَّازِي
وَالْأَكْمَلُ الْإِكْمَالُ لِلْأَمِيرِ
بِهِ وَالْإِتْقَانُ اضْحَبَنَ وَبَادِرِ
تَمَهَّزَ وَتَذَكَّرَ وَهُوَ فِي التَّضْنِيفِ
أَوْ مُسْنَدًا تُفَرِّدُهُ صَحَابًا
يَغْقُوبُ أَعْلَى رُتْبَةً وَمَا كَمَلُ
تَرَاجُمًا أَوْ طُرُقًا وَقَدْ رَأَوْا
كَذَاكَ الْإِخْرَاجُ بِلَا تَخْرِيرِ

وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ فِي "شَرْحِ التَّبَصُّرَةِ وَالتَّذْكِرَةِ" - (ج ١ / ص ١٨٣):

وَلِيَحْذَرَ مِنَ التَّثْقِيلِ عَلَيْهِ لئَلَّا يُضْجِرَهُ وَيُمَلَّهُ. قَالَ الْخَطِيبُ: وَإِذَا حَدَّثَهُ فَيَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ الْعَفْوُ وَلَا يُضْجِرَهُ. قَالَ: وَالْإِضْجَارُ يُغَيِّرُ الْأَفْهَامَ، وَيُفْسِدُ الْأَخْلَاقَ، وَيُحِيلُ الطَّبَاعَ، وَقَدْ كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى سَاءَ خُلُقُهُ.

وَرَوَيْنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ: أَنَّهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ حَدِيثٍ وَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، فَقَالَ:

إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِقْ سَاءَكَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقٍ.

قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: (يُخْشَى عَلَى فَاعِلِ ذَلِكَ أَنْ يُحْرَمَ الْإِتِّفَاعَ).

قُلْتُ: وَقَدْ جَرَّبْتُ ذَلِكَ، فَإِنَّ شَيْخَنَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرْدَاوِيِّ، كَانَ كَبِيرَ وَعَجَزَ عَنِ الْإِسْمَاعِ حَتَّى كُنَّا نَتَأَلَّفُهُ عَلَى قِرَاءَةِ الشَّيْءِ الْيَسِيرِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِنَا فِيمَا بَلَّغَنِي "الْعُمْدَةَ" بِإِجَازَتِهِ مِنْ ابْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ وَأَطَالَ عَلَيْهِ فَأَضْجَرَهُ فَكَانَ يَقُولُ لَهُ الشَّيْخُ: لَا أَحْيَاكَ اللَّهُ أَنْ تَرَوِيهَا عَنِّي، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَمَاتَ الطَّالِبُ بَعْدَ قَلِيلٍ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا سَمِعَهُ عَلَيْهِ.

قَالَ الْخَطِيبُ: (وَالَّذِي نَسَجَحْتُهُ إِفَادَةُ الْحَدِيثِ لِمَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ وَالذَّلَالَةُ عَلَى الشُّيُوخِ وَالنَّبِيِّ عَلَى رَوَايَتِهِمْ، فَإِنَّ أَقْلًا مَا فِي ذَلِكَ التُّضْعُ لِلطَّالِبِ، وَالْحِفْظُ لِلْمَطْلُوبِ، مَعَ مَا يُكْتَسَبُ بِهِ مِنْ جَزِيلِ الْأَجْرِ، وَجَمِيلِ الذِّكْرِ)، ثُمَّ رَوَى بِإِسْنَادِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَهُ، قَالَ: إِخْوَانِي تَنَاصَحُوا فِي الْعِلْمِ وَلَا يَكْتُمُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَإِنَّ خِيَانَةَ الرَّجُلِ فِي عِلْمِهِ، أَشَدُّ مِنْ خِيَانَتِهِ فِي مَالِهِ. وَرَوَيْنَا عَنْ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى: لَا تَرُدَّنَّ عَلَيَّ مُعْجَبٍ خَطَأً، فَيَسْتَفِيدَ مِنْكَ عِلْمًا، وَيَتَّخِذَكَ بِهِ عَدُوًّا.

قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: (وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ: إِذَا كَتَبْتَ قَمَشًا، وَإِذَا حَدَّثْتَ فَفَتَّشْ). وَالتَّمْيِشُ وَالْقَمَشُ أَيْضًا: جَمْعُ الشَّيْءِ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا. وَكَأَنَّهُ أَرَادَ: اكْتُبِ الْفَائِدَةَ مِمَّنْ سَمِعْتَهَا وَلَا تُؤَخِّرْ ذَلِكَ حَتَّى تَنْظُرَ فِيمَنْ حَدَّثَكَ، أَهْوَاهُ أَنْ يُؤْخَذَ عَنْهُ أَمْ لَا؟ فَرَبَّمَا فَاتَ ذَلِكَ بِمَوْتِ الشَّيْخِ أَوْ سَفَرِهِ، أَوْ سَفَرِكَ. فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الرِّوَايَةِ عَنْهُ، أَوْ وَقْتُ الْعَمَلِ بِذَلِكَ، فَفَتَّشْ حَيْثُئِد.

وقولي: (لعارف) أي: بجودة الانتخاب فقد روينا عن يحيى بن معين قال: دَفَعَ إِلَيَّ ابْنُ وَهْبٍ كِتَابَيْنِ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ خَمْسَمِائَةٍ أَوْ سِتْمِائَةٍ حَدِيثٍ، فَانْتَقَيْتُ شَرَارَهَا لَمْ يَكُنْ لِي بِهَا يَوْمئِذٍ مَعْرِفَةٌ.

وَأَنَّ قَصَرَ الطَّالِبِ عَنْ مَعْرِفَةِ الْإِنْتِخَابِ وَجَوَدَتِهِ، فَقَالَ الْخَطِيبُ: (يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعِينَ بِبَعْضِ حِفَاطٍ وَقْتِهِ عَلَى اتِّقَاءِ مَا لَهُ عَرَضٌ فِي سَمَاعِهِ وَكُتُبِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِينَ بِحُسْنِ الْإِنْتِخَاءِ أَبَا زُرْعَةَ الرَّازِيَّ، وَأَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيَّ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ أَوْزَمَةَ الْأَصْبَهَانِيَّ،

قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ:

[٧٢٤] وَلَا تَكُنْ مُقْتَصِرًا أَنْ تَسْمَعَا وَكُتُبُهُ مِنْ دُونِ فَهْمِ نَفَعَا

[٧٢٥] وَاقْرَأْ كِتَابًا فِي عُلُومِ الْأَثَرِ كَابْنِ الصَّلَاحِ أَوْ كَذَا الْمُخْتَصَرِ

وَيَنْبَغِي لِلطَّالِبِ أَنْ يَقْدَّمَ قِرَاءَةَ كِتَابٍ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ حِفْظًا، أَوْ تَفْهِيمًا، لِيَعْرِفَ مُصْطَلَحَ أَهْلِهِ. قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: «ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مَدْخُلٌ إِلَى هَذَا الشَّأْنِ، مُفَصِّحٌ عَنْ أَصُولِهِ، وَفُرُوعِهِ، شَارِحٌ لِمُصْطَلَحَاتِ أَهْلِهِ، وَمُقَاصِدِهِمْ، وَمُتَهَمَاتِهِمْ الَّتِي يَنْقُصُ الْمَحْدُثُ بِالْجَهْلِ بِهَا نَقْصًا فَاحِشًا، فَهُوَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - جَدِيرٌ بِأَنْ تُقَدَّمَ الْعِنَايَةُ بِهِ». وقولي: (أَوْ كَذَا الْمُخْتَصَرِ)، إشارة إلى هذه الأَرْجُوزَةِ. اهـ.



ثُمَّ قَالَ النَّوَوِيُّ رحمته الله فِي مُقَدِّمَةِ " الْمَجْمُوعِ " :

فَصَلَ فِي آدَابِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ :

١ - يَنْبَغِي لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ لَا يُخْلَّ بِوُضُوعِهِ لِعُرُوضِ مَرَضٍ خَفِيفٍ وَنَحْوِهِ، مِمَّا يُمَكِّنُ مَعَهُ الْإِشْتَغَالَ، وَيَسْتَشْفِي بِالْعِلْمِ، وَلَا يَسْأَلُ أَحَدًا تَعَنُّتًا وَتَعْجِيزًا، فَالَسَّائِلُ تَعَنُّتًا وَتَعْجِيزًا لَا يَسْتَحِقُّ جَوَابًا، وَفِي حَدِيثِ النَّهْيِ عَنْ غُلُوطَاتِ الْمَسَائِلِ .

٢ - وَأَنْ يَعْنِي بِتَحْصِيلِ الْكُتُبِ شِرَاءً وَاسْتِعَارَةً، وَلَا يَشْغَلُ بِنَسْخِهَا إِنْ حَصَلَتْ بِالشَّرَاءِ؛ لِأَنَّ الْإِشْتَغَالَ أَهَمُّ إِلَّا أَنْ يَتَعَذَّرَ الشَّرَاءُ؛ لِعَدَمِ الثَّمَنِ؛ أَوْ لِعَدَمِ الْكِتَابِ مَعَ نَفَاسَتِهِ فَيَسْتَنْسِخُهُ وَإِلَّا فَلْيَنْسَخْهُ وَلَا يَهْتَمُّ بِتَحْسِينِ الْخَطِّ بَلْ بِتَضَحُّيهِ، وَلَا يَرْضَى الْإِسْتِعَارَةَ، مَعَ إِمْكَانِ تَحْصِيلِهِ مِلْكًا فَإِنْ اسْتَعَارَهُ لَمْ يُطِئْ بِهِ؛ لِئَلَّا يُفَوِّتَ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ عَلَى صَاحِبِهِ؛ وَلِئَلَّا يَكْسَلَ عَنْ تَحْصِيلِ الْفَائِدَةِ مِنْهُ، وَلِئَلَّا يَمْتَنِعَ عَنْ إِعَارَتِهِ غَيْرَهُ.

وَلَقَدْ جَاءَ فِي ذِمِّ الْإِبْطَاءِ بِرَدِّ الْكُتُبِ الْمُسْتَعَارَةِ عَنِ السَّلَفِ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ نَثَرًا وَنَقْلًا،

وَرَوَيْنَاهَا فِي كِتَابِ الْخَطِيبِ (الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّائِي وَالسَّامِعِ) مِنْهَا :

عَنِ الزُّهْرِيِّ : (إِيَّاكَ وَغُلُولُ الْكُتُبِ وَهُوَ حَبْسُهَا عَنْ أَصْحَابِهَا)،

وَعَنِ الْفُضَيْلِ : (لَيْسَ مِنْ أَفْعَالِ أَهْلِ الْوَرَعِ وَلَا مِنْ أَفْعَالِ الْحُكَمَاءِ أَنْ

يَأْخُذُ سَمَاعَ رَجُلٍ وَكِتَابَهُ، فَيَحْبِسُهُ عَنْهُ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ).
وَقَالَ الْخَطِيبُ: وَبَسَبَبِ حَبْسِهَا امْتَنَعَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ إِعَارَتِهَا، ثُمَّ رَوَى
ذَلِكَ جُمْلًا عَنْ السَّلَفِ وَأَنْشَدَ فِيهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً.

وَالْمُخْتَارُ اسْتِحْبَابُ الإِعَارَةِ لِمَنْ لَا ضَرَرَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِعَانَةٌ
عَلَى الْعِلْمِ مَعَ مَا فِي مُطْلَقِ الْعَارِيَّةِ مِنَ الْفَضْلِ، وَرَوَيْنَا عَنْ وَكِيعٍ: أَوَّلُ
بَرَكَةِ الْحَدِيثِ إِعَارَةُ الْكُتُبِ.

وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: مَنْ بَخِلَ بِالْعِلْمِ أَثَلِيَ بِإِخْلَى ثَلَاثٍ: أَنْ يَنْسَاهُ،
أَوْ يَمُوتَ وَلَا يَنْتَفِعَ بِهِ، أَوْ تَذْهَبَ كُتُبُهُ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ: أَعَرْنِي كِتَابَكَ، قَالَ:؟ إِنِّي أَكْرَهُ ذَلِكَ،
فَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَكَارِمَ مَوْصُولَةٌ بِالْمَكَارِهِ، فَأَعَارَهُ.

وَيُسْتَحَبُّ شُكْرُ الْمُعِيرِ لِإِحْسَانِهِ. فَهَذِهِ نُبَذَةٌ مِنْ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ
وَالْمُتَعَلِّمِ، وَهِيَ إِنْ كَانَتْ طَوِيلَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ فَهِيَ مُخْتَصَرَةٌ
بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا جَاءَ فِيهَا، وَإِنَّمَا قَصَدْتُ بِإِيرَادِهَا أَنْ يَكُونَ جَامِعًا لِكُلِّ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ طَالِبُ الْعِلْمِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.



بَابُ آدَابِ الْفَتَوَى وَالْمُفْتَى وَالْمُسْتَفْتَى :

اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْبَابَ مِنْهُمْ جِدًّا فَأَخْبِثْ تَقْدِيمَهُ لِعُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَقَدْ صَنَّفَ فِي هَذَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا مِنْهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ الصَّيْمَرِيُّ شَيْخُ صَاحِبِ الْحَاوِي [قَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ فِي "الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ": وَصَيْمَرٌ كَحِيدَرٍ وَقَدْ تَضَمَّ مِيمُهُ: بَلَدٌ بَيْنَ خُورِستَانَ وَبِلَادِ الْجَبَلِ، وَنَهْرٌ بِالْبَصْرَةِ عَلَيْهِ قُرَى، وَإِلَى أَحَدِهَا نُسِبَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ. وَالصَّيْمَرَةُ كَهَيْمَةِ: بَلَدٌ قُرْبَ الدِّينُورِ، وَنَاحِيَةُ بِالْبَصْرَةِ بِفَمِ نَهْرٍ مَغْقَلٍ، نُسِبَ إِلَيْهَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ، وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَنْفِيُّ، وَجَمَاعَةٌ عُلَمَاءَ.]، ثُمَّ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ الْحَافِظُ الْبَغْدَادِيُّ ثُمَّ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ، وَكُلُّ مِنْهُمْ ذَكَرَ نَفَائِسَ لَمْ يَذْكُرْهَا الْآخَرَانِ، وَقَدْ طَالَعْتُ كُتُبَ الثَّلَاثَةِ وَلَخَضْتُ مِنْهَا جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مُسْتَوْعِبَةً لِكُلِّ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْمُهْمِ، وَضَمَمْتُ إِلَيْهَا نَفَائِسَ مِنْ مُتَفَرِّقَاتِ كَلَامِ الْأَصْحَابِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

اعْلَمْ أَنَّ الْإِفْتَاءَ عَظِيمُ الْخَطَرِ، كَبِيرُ الْمَوْقِعِ، كَثِيرُ الْفَضْلِ، لِأَنَّ الْمُفْتَى وَارِثُ الْأَنْبِيَاءِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - وَقَائِمٌ بِفَرْضِ الْكِفَايَةِ وَلَكِنَّهُ مُعَرَّضٌ لِلْخَطَا؛ وَلِهَذَا قَالُوا: الْمُفْتَى مُوقَّعٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَوَيْنَا عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: الْعَالِمُ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَخَلْقِهِ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يَدْخُلُ بَيْنَهُمْ.

وَرَوَيْنَا عَنْ السَّلَفِ وَفُضَلَاءِ الْخَلْفِ مِنَ التَّوَقُّفِ عَنِ الْفِتْيَا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً

مَعْرُوفَةً نَذَكُرُ مِنْهَا أَحْرَفًا تَبَرُّكًا، وَرَوَيْنَا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: أَدْرَكْتُ عِشْرِينَ وَمِائَةً مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُسْأَلُ أَحَدُهُمْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَيَرُدُّهَا هَذَا إِلَى هَذَا، وَهَذَا إِلَى هَذَا، حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى الْأَوَّلِ. وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَنْ أَفْتَى عَنْ كُلِّ مَا يُسْأَلُ فَهُوَ مَجْنُونٌ.

وَعَنْ الشَّعْبِيِّ وَالْحَسَنِ وَأَبِي حَصِينٍ بَفَتْحِ الْحَاءِ التَّابِعِيِّينَ قَالُوا: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَفْتِي فِي الْمَسْأَلَةِ وَلَوْ وَرَدَتْ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرِ.

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ التَّابِعِيِّ: أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا يُسْأَلُ أَحَدُهُمْ عَنْ الشَّيْءِ فَيَتَكَلَّمُ وَهُوَ يُرْعَدُ،

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَجَلَانَ: إِذَا أَغْفَلَ الْعَالِمُ (لَا أَدْرِي) أَصِيبَتْ مُقَاتِلُهُ.

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَسُحُنُونَ: أَجَسَرُ النَّاسِ عَلَى الْفُتْيَا أَقْلُهُمْ عِلْمًا. وَعَنْ الشَّافِعِيِّ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَمْ يُجِبْ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: حَتَّى أَدْرِيَ أَنَّ الْفَضْلَ فِي السُّكُوتِ أَوْ فِي الْجَوَابِ.

وَعَنْ الْأَثَرِمِ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَدْرِي، وَذَلِكَ فِيمَا عَرَفَ الْأَقَاوِيلُ فِيهِ.

وَعَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ جَمِيلٍ: شَهِدْتُ مَالِكًا سُئِلَ عَنْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً

فَقَالَ فِي اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ مِنْهَا: لَا أَذْرِي. وَعَنْ مَالِكٍ أَيْضًا: أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ يُسْأَلُ عَنْ خَمْسِينَ مَسْأَلَةً فَلَا يُجِيبُ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ أَجَابَ فِي مَسْأَلَةٍ فَيَنْبَغِي قَبْلَ الْجَوَابِ أَنْ يَعْضِضَ نَفْسَهُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَكَيْفَ خَلَاصِهِ ثُمَّ يُجِيبُ. وَسُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: لَا أَذْرِي، فَقِيلَ: هِيَ مَسْأَلَةٌ خَفِيفَةٌ سَهْلَةٌ، فَغَضِبَ وَقَالَ: لَيْسَ فِي الْعِلْمِ شَيْءٌ خَفِيفٌ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا جَمَعَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ مِنْ آلَةِ الْفُتَيَّا مَا جَمَعَ فِي ابْنِ عُيَيْنَةَ أَسَكَتَ مِنْهُ عَنْ الْفُتَيَّا.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَوْلَا الْفَرْقُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَضِيعَ الْعِلْمُ مَا أَفْتَيْتُ، يَكُونُ لَهُمُ الْمَهْنُ وَعَلَيَّ الْوِزْرُ. وَأَقُولُهُمْ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ.

قَالَ الصِّمَرِيُّ وَالْخَطِيبُ: قَلَّ مَنْ حَرَصَ عَلَى الْفُتَيَّا، وَسَابَقَ إِلَيْهَا، وَثَابَرَ عَلَيْهَا، إِلَّا قَلَّ تَوْفِيقُهُ، وَاضْطَرَبَ فِي أُمُورِهِ. وَإِنْ كَانَ كَارِهَا لِذَلِكَ، غَيْرَ مُؤَثِّرٍ لَهُ مَا وَجَدَ عَنْهُ مَنْدُوحَةً، وَأَحَالَ الْأَمْرَ فِيهِ عَلَى غَيْرِهِ، كَانَتْ الْمَعُونَةُ لَهُ مِنَ اللَّهِ أَكْثَرَ، وَالصَّلَاحُ فِي جَوَابِهِ أَغْلَبَ، **وَأَسَدًا** بِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٦٢٢، ٦٧٢٢، ٧١٤٦، ٧١٤٧)، وَمُسْلِمٌ (١٦٥٢) عَنْ الْحَسَنِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنُ سَمُرَةَ؛ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَكَفَّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ».

فَضْلٌ:

قَالَ الْخَطِيبُ: يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يَتَصَفَّحَ أَحْوَالَ الْمُفْتِينَ، فَمَنْ صَلَحَ لِلْفَتْوَا أَقْرَهُ، وَمَنْ لَا يَصْلُحُ مَنَعَهُ، وَنَهَاةً أَنْ يَعُودَ، وَتَوَعَّدَهُ بِالْعُقُوبَةِ إِنْ عَادَ، وَطَرِيقُ الْإِمَامِ إِلَى مَعْرِفَةِ مَنْ يَصْلُحُ لِلْفَتْوَى أَنْ يَسْأَلَ عُلَمَاءَ وَقْتِهِ، وَيَعْتَمِدَ أَخْبَارَ الْمُوثُوقِ بِهِ، ثُمَّ رَوَى بِإِسْنَادِهِ عَنْ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: مَا أَفْتَيْتُ حَتَّى شَهِدَ لِي سَبْعُونَ أَنِّي أَهْلٌ لِدَٰلِكَ. وَفِي رِوَايَةٍ: مَا أَفْتَيْتُ حَتَّى سَأَلْتُ. مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي: هَلْ يَرَانِي مَوْضِعًا لِدَٰلِكَ؟ قَالَ مَالِكٌ: وَلَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ أَهْلًا لِشَيْءٍ حَتَّى يَسْأَلَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ.

فَضْلٌ:

قَالُوا: وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُفْتِي ظَاهِرَ الْوَرَعِ مَشْهُورًا بِالدِّينَانَةِ الظَّاهِرَةِ، وَالصِّيَانَةِ الْبَاهِرَةِ.

وَكَانَ مَالِكٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَعْمَلُ بِمَا لَا يُلْزِمُهُ النَّاسَ، وَيَقُولُ: لَا يَكُونُ عَالِمًا حَتَّى يَعْمَلَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِمَا لَا يُلْزِمُهُ النَّاسَ مِمَّا لَوْ تَرَكَهُ لَمْ يَأْثُمَّ. وَكَانَ يَحْكِي نَحْوَهُ عَنْ شَيْخِهِ رِبِيعَةَ.

فَضْلٌ:

شَرَطَ الْمُفْتِي كَوْنَهُ مُكَلِّفًا مُسْلِمًا وَثَقَةً مَأْمُونًا مُتَزَكِّيًا عَنْ أَسْبَابِ الْفُسْطِي وَخَوَارِمِ الْمَرْوَةِ، فَتِيَةِ النَّفْسِ، سَلِيمَ الذَّهْنِ، رَصِينَ الْفِكْرِ، صَحِيحَ التَّصَرُّفِ وَالِاسْتِنْبَاطِ، مُتَيَقِّظًا سَوَاءً فِيهِ الْحُرُّ وَالْعَبْدُ وَالْمَرْأَةُ وَالْأَعْمَى،

وَالْأَخْرَسُ إِذَا كَتَبَ أَوْ فَهِمَتْ إِشَارَتُهُ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ: وَيُسَمَّى أَنْ يَكُونَ كَالرَّائِي فِي أَنَّهُ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ قَرَابَةٌ وَعَدَاوَةٌ، وَجَرُّ نَفْعٍ وَدَفْعُ ضَرٍّ، لِأَنَّ الْمُفْتِيَ فِي حُكْمٍ مُخْبِرٍ عَنِ الشَّرْعِ بِمَا لَا اخْتِصَاصَ لَهُ بِشَخْصٍ، فَكَانَ كَالرَّائِي لَا كَالشَّاهِدِ، وَفَتْوَاهُ لَا يَرْتَبِطُ بِهَا إلْزَامٌ بِخِلَافِ حُكْمِ الْقَاضِي.

قَالَ: وَذَكَرَ صَاحِبُ الْحَاوِي أَنَّ الْمُفْتِيَ إِذَا تَابَعَ فِي فَتْوَاهُ شَخْصًا مُعَيَّنًا صَارَ خَصْمًا حَكَمًا مُعَانِدًا، فَتُرَدُّ فَتْوَاهُ عَلَى مَنْ عَادَاهُ كَمَا تُرَدُّ شَهَادَتُهُ عَلَيْهِ، وَاتَّقُوا عَلَى أَنَّ الْفَاسِقَ لَا تَصِحُّ فَتْوَاهُ، وَنَقَلَ الْخَطِيبُ فِيهِ إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ.

وَيَجِبُ عَلَيْهِ إِذَا وَقَعَتْ لَهُ وَاقِعَةٌ أَنْ يَعْمَلَ بِاجْتِهَادِ نَفْسِهِ، وَأَمَّا الْمُسْتَوْرُ وَهُوَ الَّذِي ظَاهِرُهُ الْعَدَالَةُ وَلَمْ تُخْتَبَرْ عَدَالَتُهُ بَاطِنًا، فَفِيهِ وَجْهَانِ: أَوَّلُهُمَا: جَوَازُ فَتْوَاهُ؛ لِأَنَّ الْعَدَالَةَ الْبَاطِنَةَ يَعْسُرُ مَعْرِفَتُهَا عَلَى غَيْرِ الْقَضَاةِ، وَالثَّانِي: لَا يَجُوزُ كَالشَّهَادَةِ، وَالْخِلَافُ كَالْخِلَافِ فِي صِحَّةِ النِّكَاحِ بِحُضُورِ الْمُسْتَوْرِينَ.

قَالَ الصَّيْمَرِيُّ: وَتَصِحُّ فِتَاوَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْخَوَارِجِ وَمَنْ لَا نُكْفَرُهُ بِذَنبِهِ وَلَا نُسَلِّتُهُ، وَنَقَلَ الْخَطِيبُ هَذَا ثُمَّ قَالَ: وَأَمَّا الشَّرَّارُ وَالرَّافِضَةُ الَّذِينَ يَسُبُّونَ السَّلَفَ الصَّالِحَ فَمِتَاوِيهِمْ مَرْدُودَةٌ وَأَقْوَالُهُمْ سَاقِطَةٌ.

وَالْقَاضِي كَثِيرُهُ فِي جَوَازِ الشُّبُهَاتِ بِإِلَافَةٍ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِنَا.

فَصَلَ:

قَالَ أَبُو عَمْرٍو: الْمُتَشَوِّعُ شِمَانٌ: مُسْتَقْتَلٌ وَغَيْرُهُ،

فَالْمُسْتَقْتَلُ شَرْطُهُ مَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنْ يَكُونَ قَبْلًا بِمَعْرِفَةِ أدَلَّةِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ، وَمَا التَّحَقَّقَ بِهَا عَلَى التَّفْصِيلِ، وَأَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِمَا يُشْتَرَطُ فِي الأدَلَّةِ، وَوُجُوهَ دَلَالَتِهَا، وَكَيْفِيَّةَ اقْتِبَاسِ الْأَحْكَامِ مِنْهَا، وَهَذَا يُسْتَفَادُ مِنْ أَصُولِ الْفِقْهِ، عَارِفًا مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ، وَالْحَدِيثِ، وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالتَّضْرِيفِ، وَاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ وَاتِّفَاقِهِمْ بِالْقَدْرِ الَّذِي يَتِمَكَّنُ مَعَهُ مِنَ الْوَفَاءِ بِشُرُوطِ الأدَلَّةِ وَالْإِقْتِبَاسِ مِنْهَا، ذَا دُرِّيَّةٍ وَارْتِيَاظٍ فِي اسْتِعْمَالِ ذَلِكَ، عَالِمًا بِالْفِقْهِ ضَابِطًا لِأَمَّهَاتِ مَسَائِلِهِ وَتَفَارِيعِهِ، فَمَنْ جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ فَهُوَ الْمُفْتِي الْمُطْلَقُ الْمُسْتَقْتَلُ، الَّذِي يَتَأَدَّى بِهِ فَرَضُ الْكِفَايَةِ. وَهُوَ الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ الْمُسْتَقْتَلُ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَقِلُّ بِالْأَدَلَّةِ بِغَيْرِ تَقْلِيدٍ وَتَقْيِيدٍ بِمَذْهَبٍ أَحَدٍ،

قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَمَا شَرْطَانَا مِنْ حِفْظِهِ لِمَسَائِلِ الْفِقْهِ لَمْ يُشْتَرَطْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ؛ لِكَوْنِهِ لَيْسَ شَرْطًا لِمَنْصِبِ الْإِجْتِهَادِ؛ لِأَنَّ الْفِقْهَ ثَمَرَتُهُ فَيَتَأَخَّرُ عَنْهُ، وَشَرْطُ الشَّيْءِ لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ، وَشَرْطُهُ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايْنِيُّ وَصَاحِبُهُ أَبُو مَنْصُورِ الْبَغْدَادِيُّ وَغَيْرُهُمَا،

وَإِشْرَاطُهُ فِي الْمُفْتِي الَّذِي يَتَأَدَّى بِهِ فَرَضُ الْكِفَايَةِ هُوَ الصَّحِيحُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فِي الْمُجْتَهِدِ الْمُسْتَقْتَلِ.

ثُمَّ لَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ الْأَحْكَامِ عَلَى ذَهَبِهِ، بَلْ يَكْفِيهِ كَوْنُهُ حَافِظًا الْمُعْظَمَ، مُتَمَكِّنًا مَنْ إِدْرَاكِ الْبَاقِي عَلَى قُرْبٍ.

وَهَلْ يُشْتَرَطُ أَنْ يَعْرِفَ مِنَ الْحِسَابِ مَا يَصَحُّ بِهِ الْمَسَائِلُ الْحِسَابِيَّةُ الْفِقْهِيَّةُ؟ حَكَى أَبُو إِسْحَاقَ وَأَبُو مَنْصُورٍ فِيهِ خِلَافًا لِأَصْحَابِنَا، وَالْأَصَحُّ اشْتِرَاطُهُ، ثُمَّ إِنَّمَا نَشْتَرِطُ اجْتِمَاعَ الْعُلُومِ الْمَذْكُورَةِ فِي مُنْتَبِ مُطْلَقٍ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الشَّرْعِ.

فَأَمَّا مُنْتَبِ فِي بَابِ خَاصِّ كَالْمَنَاسِكِ وَالْفَرَائِضِ فَيَكْفِيهِ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ الْبَابِ، كَذَا قَطَعَ بِهِ الْعَزَالِيُّ وَصَاحِبُهُ ابْنُ بَرْهَانَ (بِفَتْحِ الْبَاءِ) وَغَيْرُهُمَا، وَمِنْهُمْ مَنْ مَنَعَهُ مُطْلَقًا.

وَأَجَارَهُ ابْنُ الصَّبَّاحِ فِي الْفَرَائِضِ خَاصَّةً. وَالْأَصَحُّ جَوَارُهُ مُطْلَقًا.

"الْقِسْمُ الثَّانِي" : الْمُفْتِي الَّذِي لَيْسَ بِمُسْتَقِلٍّ :

وَمِنْ دَهْرِ طَوِيلٍ غُيِمَ الْمُفْتِي الْمُسْتَقِلُّ، وَصَارَتْ الْقُوَى إِلَى الْمُتَسَيِّنِ إِلَى أَيْمَةِ الْمَذَاهِبِ الْمَتَّبُوعَةِ، وَلِلْمُفْتِي الْمُنْسَبِ أَرْبَعَةُ أَحْوَالٍ :

"أَحَدُهَا" : أَنْ لَا يَكُونَ مُقَلِّدًا لِإِمَامِهِ، لَا فِي الْمَذْهَبِ وَلَا فِي دَلِيلِهِ، لِإِنِّصَافِهِ بِصِفَةِ الْمُسْتَقِلِّ. وَإِنَّمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ لِسُلُوكِهِ طَرِيقَهُ فِي الْاجْتِهَادِ.

وَادَّعَى الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ هَذِهِ الصِّفَةَ لِأَصْحَابِنَا، فَحَكَى عَنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَأَحْمَدَ وَدَاوُدَ وَأَكْثَرِ الْحَنْفِيَّةِ أَنَّهُمْ صَارُوا إِلَى مَذَاهِبِ أَيْمَتِهِمْ تَقْلِيدًا لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: وَالصَّحِيحُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ

مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَصْحَابُنَا : وَهُوَ أَنَّهُمْ صَارُوا إِلَى مَذَهَبِ الشَّافِعِيِّ لَا تَقْلِيدًا لَهُ ، بَلْ لَمَّا وَجَدُوا طُرْقَهُ فِي الاجْتِهَادِ وَالْقِيَاسِ أَسَدَ الطَّرِيقِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بُدٌّ مِنَ الاجْتِهَادِ سَلَكَوا طَرِيقَهُ . فَطَلَبُوا مَعْرِفَةَ الْأَحْكَامِ بِطَرِيقِ الشَّافِعِيِّ وَذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ السَّنَجِيُّ (بِكُثْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ) نَحْوَ هَذَا فَقَالَ : اتَّبَعْنَا الشَّافِعِيَّ دُونَ غَيْرِهِ ، ؛ لَأَنَّا وَجَدْنَا قَوْلَهُ أَرْجَحَ الْأَقْوَالِ وَأَعْدَلَهَا ، لَا أَنَّا قَلَّدْنَاهُ .

فُلَيْكُ : هَذَا الَّذِي ذَكَرَاهُ مُوَافِقٌ لِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ الشَّافِعِيُّ ثُمَّ الْمُزْنِي فِي أَوَّلِ مُخْتَصَرِهِ وَغَيْرِهِ بِقَوْلِهِ : " مَعَ إِعْلَامِيهِ نَهْيُهُ عَنْ تَقْلِيدِهِ وَتَقْلِيدِ غَيْرِهِ " . قَالَ أَبُو عَمْرٍو : دَعَايَ انْتِفَاءِ التَّقْلِيدِ عَنْهُمْ مُطْلَقًا لَا يَسْتَقِيمُ ، وَلَا يَلَايِمُ الْمَعْلُومَ مِنْ حَالِهِمْ أَوْ حَالِ أَكْثَرِهِمْ ، وَحَكَى بَعْضُ أَصْحَابِ الْأُصُولِ مِنَّا أَنَّهُ لَمْ يُوجَدْ بَعْدَ عَصْرِ الشَّافِعِيِّ . مُجْتَهِدٌ مُسْتَقِلٌّ ،

ثُمَّ فَتَاوَى الْمُفْتَيِّ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ كَفَتَاوَى الْمُسْتَقِلِّ فِي الْعَمَلِ بِهَا ، وَالْإِعْتِدَادِ بِهَا فِي الْإِجْمَاعِ وَالْخِلَافِ .

" الْحَالَةُ الثَّانِيَةُ : " أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا مُقَيَّدًا فِي مَذَهَبِ إِمَامِهِ ، مُسْتَقِلًّا بِتَشْرِيرِ أُصُولِهِ بِالذَّلِيلِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَتَجَاوَزُ فِي أُدْلَتِهِ أُصُولَ إِمَامِهِ وَقَوَاعِدَهُ ، وَشَرْطُهُ كَوْنُهُ عَالِمًا بِالْفِقْهِ وَأُصُولِهِ ، وَأَدِلَّةِ الْأَحْكَامِ تَفْصِيلًا ، بَصِيرًا بِمَسَالِكِ الْأَقْسِيسَةِ وَالْمَعَانِي ، تَامَّ الْإِرْتِيَاضِ فِي التَّخْرِيجِ وَالِاسْتِنْبَاطِ ، قَيِّمًا بِالْحَاقِ مَا لَيْسَ مَنْصُوصًا عَلَيْهِ لِإِمَامِهِ بِأُصُولِهِ ، وَلَا يَعْرِى عَنْ شَوْبِ تَقْلِيدٍ

لَهُ؛ لِإِخْلَالِهِ بِبَعْضِ أَدَوَاتِ الْمُسْتَقِلِّ، بِأَنْ يُخِلَّ بِالْحَدِيثِ أَوْ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَثِيرًا مَا أَخَلَّ بِهِمَا الْمُقَيَّدُ، ثُمَّ يَتَّخِذُ نُصُوصَ إِمَامِهِ أَصُولًا يَسْتَنْبِطُ مِنْهَا كِفْعِلَ الْمُسْتَقِلِّ بِنُصُوصِ الشَّرْعِ، وَرُبَّمَا اكْتَفَى فِي الْحُكْمِ بِدَلِيلِ إِمَامِهِ، وَلَا يَبْحَثُ عَنْ مُعَارِضِ كِفْعِلِ الْمُسْتَقِلِّ فِي النُّصُوصِ، وَهَذِهِ صِفَةُ أَصْحَابِنَا أَصْحَابِ الْوُجُوهِ، وَعَلَيْهَا كَانَ أَئِمَّةُ أَصْحَابِنَا أَوْ أَكْثَرُهُمْ، وَالْعَامِلُ بِفَتْوَى هَذَا مُقَلِّدٌ لِإِمَامِهِ لَا لَهُ.

ثُمَّ ظَاهِرُ كَلَامِ الْأَصْحَابِ أَنَّ مَنْ هَذَا حَالُهُ لَا يَتَأَدَّى بِهِ فَرَضَ الْكِفَايَةِ. قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَيُظْهَرُ تَأَدِّي الْفَرَضِ بِهِ فِي الْفَتْوَى إِنْ لَمْ يَتَأَدَّ فِي إِحْيَاءِ الْعُلُومِ الَّتِي مِنْهَا اسْتِمْدَادُ الْفَتْوَى؛ لِأَنَّهُ قَامَ مَقَامَ إِمَامِهِ الْمُسْتَقِلِّ تَقْرِيعًا عَلَى الصَّحِيحِ، وَهُوَ جَوَازُ تَقْلِيدِ الْمَيِّتِ.

ثُمَّ قَدْ يَسْتَقِلُّ الْمُقَيَّدُ فِي مَسْأَلَةٍ أَوْ بَابٍ خَاصٍّ كَمَا تَقَدَّمَ، وَلَهُ أَنْ يُفْتِيَ فِيَمَا لَا نَصَّ فِيهِ لِإِمَامِهِ بِمَا يُخْرِجُهُ عَلَى أَصُولِهِ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ، وَإِلَيْهِ مَفْزَعُ الْمُفْتِينَ مِنْ مُدَدِ طَوِيلَةٍ،

ثُمَّ إِذَا أَفْتَى بِخُرُوجِهِ فَالْمُسْتَفْتَى مُقَلِّدٌ لِإِمَامِهِ لَا لَهُ. هَكَذَا قَطَعَ بِهِ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي كِتَابِهِ الْغِيَاثِيِّ، وَمَا أَكْثَرَ فَوَائِدَهُ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو: وَيَنْبَغِي أَنْ يُخْرَجَ هَذَا عَلَى خِلَافِ حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيُّ وَغَيْرُهُ، أَنَّ مَا يُخْرِجُهُ أَصْحَابُنَا هَلْ يَجُوزُ نِسْبَتُهُ إِلَى الشَّافِعِيِّ وَالْأَصَحُّ أَنَّهُ لَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ،

ثُمَّ تَارَةً يُخْرِجُ مِنْ نَصْرِ مُعَيَّنٍ لِإِمَامِهِ وَتَارَةً لَا يَجِدُهُ، فَيُخْرِجُ عَلَى أَصُولِهِ بِأَنْ يَجِدَ دَلِيلًا عَلَى شَرْطٍ مَا يَحْتَجُّ بِهِ إِمَامُهُ فَيُفْتِي بِمُوجِبِهِ، فَإِنْ نَصَّ إِمَامُهُ عَلَى شَيْءٍ وَنَصَّ فِي مَسْأَلَةٍ تُشَبِّهُهَا عَلَى خِلَافِهِ فَخَرَجَ مِنْ أَحَدِهِمَا إِلَى الْآخَرِ سُمِّيَ قَوْلًا مُخَرَّجًا، وَشَرْطُ هَذَا التَّخْرِيجِ أَنْ لَا يَجِدَ بَيْنَ نَصِّهِ فَرْقًا، فَإِنْ وَجَدَهُ وَجَبَ تَقْرِيرُهُمَا عَلَى ظَاهِرِهِمَا، وَيَخْتَلِفُونَ كَثِيرًا فِي الْقَوْلِ بِالتَّخْرِيجِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ لِاخْتِلَافِهِمْ فِي إِمْكَانِ الْفَرْقِ. قُلْتُ: وَأَكْثَرُ ذَلِكَ يُمَكِّنُ فِيهِ الْفَرْقُ وَقَدْ ذَكَرُوهُ.

"الحالة الثالثة:" أَنْ لَا يَبْلُغَ رُتْبَةُ أَصْحَابِ الْوُجُوهِ، لَكِنَّهُ قَبْلَهُ النَّفْسِ، حَافِظُ مَذْهَبِ إِمَامِهِ، عَارِفٌ بِأَدِلَّتِهِ، قَائِمٌ بِتَقْرِيرِهَا، يُصَوِّرُ، وَيُحَرِّرُ، وَيَقَرِّرُ، وَيُمَهِّدُ، وَيُزَيِّفُ، وَيَرْجِّحُ. لَكِنَّهُ قَصُرَ عَنْ أُولَئِكَ لِفُضُولِهِ عَنْهُمْ فِي حِفْظِ الْمَذْهَبِ، أَوِ الْإِرْتِيَاظِ فِي الْإِسْتِنْبَاطِ، أَوْ مَعْرِفَةِ الْأَصُولِ وَنَحْوِهَا مِنْ أَدَوَاتِهِمْ، وَهَذِهِ صِفَةٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ إِلَى آخِرِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ الْمُصَنِّفِينَ الَّذِينَ رَتَّبُوا الْمَذْهَبَ وَحَرَّرُوهُ، وَصَنَّفُوا فِيهِ تَصَانِيفَ فِيهَا مُعْظَمُ اشْتِعَالِ النَّاسِ الْيَوْمَ، وَلَمْ يَلْحَقُوا الَّذِينَ قَبْلَهُمْ فِي التَّخْرِيجِ. وَأَمَّا كِتَابُهُمْ فَكَانُوا يَتَّبَسِّطُونَ فِيهَا تَبَسُّطَ أُولَئِكَ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ، وَيَقِيسُونَ غَيْرَ الْمَنْقُولِ عَلَيْهِ، غَيْرَ مُقْتَصِرِينَ عَلَى الْقِيَاسِ الْجَلِيِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ جُمِعَتْ فِتَاوِيهِ وَلَا تَبْلُغُ فِي التَّحَاقُّهَا بِالْمَذْهَبِ مَبْلَغَ فِتَاوَى أَصْحَابِ الْوُجُوهِ.

"الحالة الرابعة:" أَنْ يَقُومَ بِحِفْظِ الْمَذْهَبِ وَنَقْلِهِ وَفَهْمِهِ فِي الْوَاضِحَاتِ وَالشُّكُكَاتِ، وَلَكِنْ عِنْدَهُ ضَعْفٌ فِي تَقْرِيرِ أَدِلَّتِهِ وَتَخْرِيرِ أَقْسِيَّتِهِ، فَهَذَا يُعْتَمَدُ

نَقْلُهُ وَفَتْوَاهُ فِيمَا يَحْكِيهِ مِنْ مَسْطُورَاتِ مَذْهَبِهِ، مِنْ نُصُوصِ إِمَامِهِ، وَتَفْرِيعِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي مَذْهَبِهِ، وَمَا لَا يَجِدُهُ مَثْقُولًا إِنْ وَجَدَ فِي الْمَثْقُولِ مَعْنَاهُ، بِحَيْثُ يُدْرِكُ بِغَيْرِ كَبِيرٍ فِكْرَ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، جَائِزَ الْحَاقَّةِ بِهِ وَالْفَتْوَى بِهِ، وَكَذَا مَا يَعْلَمُ انْدِرَاجَهُ تَحْتَ ضَابِطِ مُمَهِّدٍ فِي الْمَذْهَبِ، وَمَا لَيْسَ كَذَلِكَ يَجِبُ إِمْسَاكُهُ عَنِ الْفَتْوَى فِيهِ، وَمِثْلُ هَذَا يَقَعُ نَادِرًا فِي حَقِّ الْمَذْكُورِ. إِذْ يَبْدُو كَمَا قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ: أَنْ تَقَعَ مَسْأَلَةٌ لَمْ يُنَصَّ عَلَيْهَا فِي الْمَذْهَبِ، وَلَا هِيَ فِي مَعْنَى الْمَنْصُوصِ، وَلَا مُنْدرِجَةٌ تَحْتَ ضَابِطٍ. وَشَرْطُهُ كَوْنُهُ فَقِيهَ النَّفْسِ ذَا حِظٍّ وَافِرٍ مِنَ الْفِقْهِ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَأَنْ يَكْتَفِيَ فِي حِفْظِ الْمَذْهَبِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا بِكَوْنِ الْمُعْظَمِ عَلَى ذَهْنِهِ، وَيَتِمَكَّنُ لِدُرْبَتِهِ مِنَ الْوُقُوفِ عَلَى الْبَاقِي عَلَى قُرْبٍ.

فَضْلٌ: هَذِهِ أَصْنَافُ الْمُفْتِينَ وَهِيَ خَمْسَةٌ، وَكُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا يُشْتَرَطُ فِيهِ حِفْظُ الْمَذْهَبِ وَفِقْهُ النَّفْسِ، فَمَنْ تَصَدَّى لِلْفَتْوَا وَلَيْسَ بِهِذِهِ الصِّفَةِ فَقَدْ بَاءَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ،

وَلَقَدْ قَطَعَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَغَيْرُهُ: بِأَنَّ الْأُصُولِي الْمَاهِرَ الْمُتَصَرِّفَ فِي الْفِقْهِ لَا يَجِلُّ لَهُ الْفَتْوَى بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ، وَلَوْ وَقَعَتْ لَهُ وَاقِعَةٌ لَزِمَهُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهَا، وَيَلْتَحِقَ بِهِ الْمُتَصَرِّفُ النَّظَارُ الْبَحَاثُ، مِنْ أَئِمَّةِ الْخِلَافِ وَفُحُولِ الْمُنَازِرِينَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَهْلًا لِإِدْرَاكِ حُكْمِ الْوَاقِعَةِ اسْتِقْلَالًا، لِقُصُورِ آلَتِهِ، وَلَا مِنْ مَذْهَبِ إِمَامٍ، لِعَدَمِ حِفْظِهِ لَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمُعْتَبَرِ.

فَإِنْ قِيلَ: مَنْ حَفِظَ كِتَابًا أَوْ أَكْثَرَ فِي الْمَذْهَبِ وَهُوَ قَاصِرٌ، لَمْ يَتَّصِفْ بِصِفَةِ

أَحَدٍ مِّمَّنْ سَبَقَ، وَلَمْ يَجِدْ الْعَامِّيَّ فِي بَلَدِهِ غَيْرَهُ، هَلْ لَهُ الرُّجُوعُ إِلَى قَوْلِهِ؟
 قَالِ الْجَوَابُ: إِنْ كَانَ فِي غَيْرِ بَلَدِهِ مُفْتٍ يَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ وَجَبَ التَّوَصُّلُ
 إِلَيْهِ بِحَسَبِ إِمْكَانِهِ، فَإِنْ تَعَدَّرَ ذَكَرَ مَسْأَلَتَهُ لِلْقَاصِرِ، فَإِنْ وَجَدَهَا بِعَيْنِهَا فِي
 كِتَابٍ مَوْثُوقٍ بِصِحَّتِهِ وَهُوَ مِمَّنْ يُقْبَلُ خَبَرُهُ نَقَلَ لَهُ حُكْمَهُ بِنَصِّهِ، وَكَانَ
 الْعَامِّيُّ فِيهَا مُقَلِّدًا صَاحِبَ الْمَذْهَبِ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَهَذَا وَجْدُهُ فِي
 ضَمْنِ كَلَامٍ بَعْضِهِمْ، وَالِدَّلِيلُ يُعْضِدُهُ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْهَا مَسْطُورَةً بِعَيْنِهَا لَمْ
 يَقْسُهَا عَلَى مَسْطُورٍ عِنْدَهُ، وَإِنْ اعْتَقَدَهُ مِنْ قِيَاسٍ لَا فَارِقَ، فَإِنَّهُ قَدْ يَتَوَهَّمُ
 ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: هَلْ لِمُقَلِّدٍ أَنْ يُفْتِيَ بِمَا هُوَ مُقَلِّدٌ فِيهِ؟

قُلْنَا: قَطَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَلِيمِيُّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوِينِيُّ وَأَبُو الْمَحَاسِنِ
 الرُّوْيَانِيُّ وَغَيْرُهُمْ بِتَحْرِيمِهِ،
 وَقَالَ الْقَفَّالُ الْمَرْوَزِيُّ: يَجُوزُ،

قَالَ أَبُو عَمْرٍو: قَوْلُ مَنْ مَنَعَهُ مَعْنَاهُ لَا يَذْكُرُهُ عَلَى صُورَةٍ مَنْ يَقُولُهُ مِنْ
 عِنْدِ نَفْسِهِ، بَلْ يُضِيفُهُ إِلَى إِمَامِهِ الَّذِي قَلَّدَهُ، فَعَلَى هَذَا مَنْ عَدَّدْنَاهُ مِنَ
 الْمُفْتِينَ الْمُقَلِّدِينَ لَيْسُوا مُفْتِينَ حَقِيقَةً، لَكِنْ لَمَّا قَامُوا مَقَامَهُمْ وَأَدَّوْا عَنْهُمْ
 عُدُّوهُمُ، وَسَيَلُّهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَثَلًا: مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ كَذَا أَوْ نَحْوَ هَذَا،
 وَمَنْ تَرَكَ مِنْهُمْ الْإِضَافَةَ فَهُوَ اكْتِفَاءٌ بِالْمَعْلُومِ مِنَ الْحَالِ عَنِ التَّصْرِيحِ بِهِ،
 وَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ.

وَذَكَرَ صَاحِبُ الْحَاوِي فِي الْعَامِّي إِذَا عَرَفَ حُكْمَ حَادِثَةٍ بِنَاءً عَلَى دَلِيلِهَا ثَلَاثَةً أَوْجُوهَ:

(أَحَدُهَا) يَجُوزُ أَنْ يُفْتِيَ بِهِ وَيَجُوزُ تَقْلِيدُهُ؛ لِأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى عِلْمِهِ. كَوُصُولِ الْعَالِمِ.

(وَالثَّانِي) يَجُوزُ إِنْ كَانَ دَلِيلُهَا كِتَابًا أَوْ سُنَّةً، وَلَا يَجُوزُ إِنْ كَانَ غَيْرَهُمَا.

(وَالثَّالِثُ) لَا يَجُوزُ مُطْلَقًا وَهُوَ الْأَصَحُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَضْلٌ: (فِي أَحْكَامِ الْمُتَشَبِّهِينَ فِيهِ مَسَائِلٌ):

(إِحْدَاهَا): الْإِفْتَاءُ فَرَضُ كِفَايَةٍ:

فَإِذَا أُسْتُفْتِيَ وَلَيْسَ فِي النَّاحِيَةِ غَيْرُهُ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْجَوَابُ، فَإِنْ كَانَ فِيهَا غَيْرُهُ وَحَضَرَ فَالْجَوَابُ فِي حَقِّهِمَا فَرَضُ كِفَايَةٍ، وَإِنْ لَمْ يَحْضَرْ غَيْرُهُ فَوَجْهَانِ أَصَحُّهُمَا: لَا يَتَعَيَّنُ لِمَا سَبَقَ عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، وَالثَّانِي: يَتَعَيَّنُ، وَهُمَا كَالْوَجْهَيْنِ فِي مِثْلِهِ فِي الشَّهَادَةِ.

وَلَوْ سَأَلَ عَامِّي عَمَّا لَمْ يَقَعْ لَمْ يَجِبْ جَوَابُهُ.

(الثَّانِيَةُ): إِذَا أَفْتَى بِشَيْءٍ ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ؛

فَإِنْ عَلِمَ الْمُسْتَفْتَى بِرُجُوعِهِ وَلَمْ يَكُنْ عَمَلٌ بِالأَوَّلِ لَمْ يَجْزِ الْعَمَلُ بِهِ،

وَكَذَلِكَ إِنْ نَكَحَ بِفَتْوَاهُ وَاسْتَمَرَ عَلَى نِكَاحٍ بِفَتْوَاهُ ثُمَّ رَجَعَ، لِزِمَةِ مُفَارَقَتِهَا

كَمَا لَوْ تَغَيَّرَ اجْتِهَادُ مَنْ قَلَّدَهُ فِي الْقِبْلَةِ فِي أَثْنَاءِ صَلَاتِهِ،

وَأِنْ كَانَ عَمَلٌ قَبْلَ رُجُوعِهِ فَإِنْ خَالَفَ دَلِيلًا قَاطِعًا لَزِمَ الْمُسْتَفْتَى نَقْضُ عَمَلِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي مَحَلِّ اجْتِهَادٍ لَمْ يَلْزَمُهُ نَقْضُهُ؛ لِأَنَّ الْاجْتِهَادَ لَا يُنْقَضُ بِالْاجْتِهَادِ.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَإِذَا كَانَ يُفْتَى عَلَى مَذْهَبِ إِمَامٍ فَرَجَعَ لِكَوْنِهِ بَانَ لَهُ قَطْعًا مُخَالَفَةُ نَصِّ مَذْهَبِ إِمَامِهِ، وَجَبَ نَقْضُهُ وَإِنْ كَانَ فِي مَحَلِّ الْاجْتِهَادِ؛ لِأَنَّ نَصَّ مَذْهَبِ إِمَامِهِ فِي حَقِّهِ كَنَصِّ الشَّارِعِ فِي حَقِّ الْمُجْتَهِدِ الْمُسْتَقِلِّ. أَمَّا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الْمُسْتَفْتَى بِرُجُوعِ الْمُفْتَى فَحَالُ الْمُسْتَفْتَى فِي عِلْمِهِ كَمَا قَبْلَ الرُّجُوعِ، وَيَلْزَمُ الْمُفْتَى إِعْلَامُهُ قَبْلَ الْعَمَلِ، وَكَذَا بَعْدَهُ حَيْثُ يَجِبُ النَّقْضُ،

وَإِذَا عَمِلَ بِفَتْوَاهُ فِي إِتْلَافٍ بَانَ خَطَاؤُهُ وَأَنَّهُ خَالَفَ الْقَاطِعَ: فَعَنْ الْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ: أَنَّهُ يَضْمَنُ إِنْ كَانَ أَهْلًا لِلْفَتَاوَى، وَلَا يَضْمَنُ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا؛ لِأَنَّ الْمُسْتَفْتَى قَصَرَ. وَهُوَ مُشْكِلٌ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُخْرَجَ الضَّمَانُ عَلَى قَوْلِي الْغُرُورِ الْمَعْرُوفِ فِي بَابِي الْغَضَبِ وَالنِّكَاحِ وَغَيْرِهِمَا، أَوْ يُقْطَعُ بِعَدَمِ الضَّمَانِ؛ إِذْ لَيْسَ فِي الْفَتَاوَى الْإِزَامُ وَلَا الْإِجَاءُ.

(الَّتَالِيَةُ) يَحْرُمُ التَّسَاهُلُ فِي الْفَتَاوَى، وَمَنْ عُرِفَ بِهِ حَرُمَ اسْتِفْتَاؤُهُ، فَمَنْ التَّسَاهُلُ: أَنْ لَا يَتَكَبَّرَ، وَيُسْرِعَ بِالْفَتَاوَى قَبْلَ اسْتِيفَاءِ حَقِّهَا مِنْ

النَّظَرِ وَالْفِكْرِ، فَإِنْ تَقَدَّمتْ مَعْرِفَتُهُ بِالْمَسْئُولِ عَنْهُ فَلَا بَأْسَ بِالْمُبَادَرَةِ، وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ مَا نُقِلَ عَنِ الْمَاضِينَ مِنْ مُبَادَرَةٍ.

وَمِنْ التَّسَاهُلِ أَنْ تَحْمِلَهُ الْأَغْرَاضُ الْفَاسِدَةُ عَلَى تَتَبُعِ الْحِيلِ الْمُحَرَّمَةِ أَوْ الْمَكْرُوهَةِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالشُّبْهِ طَلَبًا لِلتَّرْخِيصِ لِمَنْ يَرُومُ نَفْعَهُ، أَوْ التَّغْلِيطِ عَلَى مَنْ يُرِيدُ ضَرَّهُ، وَأَمَّا مَنْ صَحَّ قَضْدُهُ فَاحْتَسَبَ فِي طَلَبِ حِيلَةٍ لَا شُبْهَةَ فِيهَا، لِتَخْلِيصٍ مِنْ وَرْطَةٍ يَمِينٍ وَنَحْوِهَا فَذَلِكَ حَسَنٌ جَمِيلٌ. وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ مَا جَاءَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ مِنْ نَحْوِ هَذَا، كَقَوْلِ سُفْيَانَ: "إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَنَا الرُّخْصَةُ مِنْ ثِقَةٍ، فَأَمَّا التَّشْدِيدُ فَيُحْسِنُهُ كُلُّ أَحَدٍ"،

وَمِنْ الْحِيلِ الَّتِي فِيهَا شُبْهَةٌ وَيُذَمُّ فَاعِلُهَا: الْحِيلَةُ السَّرِيعِيَّةُ فِي سَدِّ بَابِ الطَّلَاقِ.

"الرَّابِعَةُ" يَتَّبِعِي أَنْ لَا يُفْتِيَ فِي حَالٍ يُغَيِّرُ خُلُقَهُ، وَيَشْغُلُ قَلْبَهُ، وَيَمْنَعُهُ الشَّامِلُ:

كَغَضَبٍ، وَجُوعٍ، وَعَطَشٍ، وَحُزْنٍ، وَفَرَحٍ غَالِبٍ، وَنَعَاسٍ، أَوْ مَلَلٍ، أَوْ حَرٍّ مُزْعِجٍ أَوْ مَرَضٍ مُؤْلِمٍ، أَوْ مُدَافَعَةٍ حَدَثَ، وَكُلُّ حَالٍ يَشْتَغِلُ فِيهِ قَلْبُهُ وَيَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْإِعْتِدَالِ فَإِنْ أَقْبَى فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ عَنِ الصَّوَابِ جَازَ وَإِنْ كَانَ مُخَاطِرًا بِهَا.

"الْحَامِصَةُ": الْمُخْتَارُ لِلْمُتَصَدِّقِ لِتَقْوَى أَنْ يَبْرَحَ بِذَلِكَ،

وَيَجُوزُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهِ رِزْقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ إِلَّا أَنْ يَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ وَلَهُ كِفَايَةٌ، فَيَحْرُمُ عَلَى الصَّحِيحِ.

ثُمَّ إِنْ كَانَ لَهُ رِزْقٌ لَمْ يَجُزْ أَخْذُ أَجْرَةٍ أَضَلًّا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ رِزْقٌ فَلَيْسَ لَهُ أَخْذُ أَجْرَةٍ مِنْ أَعْيَانٍ مَنْ يُفْتِيهِ عَلَى الْأَصَحِّ كَالْحَاكِمِ.
وَاحْتَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَاتِمٍ الْقُرُونِيُّ مِنْ أَصْحَابِنَا فَقَالَ: لَهُ أَنْ يَقُولَ: يَلْزُمُنِي أَنْ أُفْتِيَكَ قَوْلًا، وَأَمَّا كِتَابَةُ الْخَطِّ فَلَا، فَإِذَا اسْتَأْجَرَهُ عَلَى كِتَابَةِ الْخَطِّ جَازَ.

قَالَ الصَّيْمَرِيُّ وَالْخَطِيبُ: لَوْ اتَّفَقَ أَهْلُ الْبَلَدِ فَجَعَلُوا لَهُ رِزْقًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَى أَنْ يَتَفَرَّغَ لِفَتَاوِيهِمْ جَازَ، أَمَّا الْهَدِيَّةُ فَقَالَ أَبُو مُظَفَّرٍ السَّمْعَانِيُّ: لَهُ قَبُولُهَا، بِخِلَافِ الْحَاكِمِ فَإِنَّهُ يَلْزَمُ حُكْمُهُ.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو: يَنْبَغِي أَنْ يَحْرَمَ قَبُولُهَا إِنْ كَانَتْ رِشْوَةً عَلَى أَنْ يُفْتِيَهِ بِمَا يُرِيدُ كَمَا فِي الْحَاكِمِ وَسَائِرِ مَا لَا يُقَابَلُ بِعَوَضٍ.

قَالَ الْخَطِيبُ: وَعَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَفْرِضَ لِمَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِتَدْرِيسِ الْفِقْهِ وَالْفَتَاوَى فِي الْأَحْكَامِ مَا يُغْنِيهِ عَنِ الْإِحْتِرَافِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، ثُمَّ رَوَى بِإِسْنَادِهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِمَّنْ هَذِهِ صِفَتُهُ مِائَةَ دِينَارٍ فِي السَّنَةِ.

" السَّادِسَةُ " : لَا يَجُوزُ أَنْ يُفْتِيَ فِي الْأَيْمَانِ وَالْإِفْرَارِ وَنَحْوِهِمَا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْأَلْفَاطِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ بَلَدِ اللَّافِظِ، أَوْ مُتَنَزِّلًا مَنَزَلَتَهُمْ فِي الْخِبَرَةِ بِمُرَادِهِمْ مِنَ الْأَفَاطِهِمْ وَعُرْفِهِمْ فِيهَا.

" السَّابِعَةُ " : لَا يَجُوزُ لِمَنْ كَانَتْ قَوَاهُ تَقَالًا لِمَذْهَبِ إِمَامٍ إِذَا اعْتَمَدَ

الْكُتُبُ أَنْ يَتَّكِدَ إِلَّا عَلَى كِتَابٍ مَوْثُوقٍ بِصِحِّهِ، وَبِأَنَّهُ مَذْهَبُ ذَلِكَ
الْإِمَامِ، فَإِنْ وَثِقَ بِأَنْ أَضِلَّ التَّصْنِيفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لَكِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ النُّسَخَةُ
مُعْتَمَدَةً، فَلَيْسَتْ ظَهَرُ بِنُسْخٍ مِنْهُ مُتَّفَقَةً، وَقَدْ تَحْصُلُ لَهُ الثَّقَةُ مِنْ نُسَخَةٍ غَيْرِ
مَوْثُوقٍ بِهَا فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ إِذَا رَأَى الْكَلَامَ مُتَّظَمًا وَهُوَ خَيْرٌ فِطْنًا لَا
يَخْفَى عَلَيْهِ لِدُرَيْتِهِ مَوْضِعَ الْإِسْقَاطِ وَالتَّغْيِيرِ.

فَإِنْ لَمْ يَجِدْهُ إِلَّا فِي نُسَخَةٍ غَيْرِ مَوْثُوقٍ بِهَا فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: يَنْظُرُ فَإِنْ
وَجَدَهُ مُوَافِقًا لِأُصُولِ الْمَذْهَبِ، وَهُوَ أَهْلٌ لِتَخْرِيجِ مِثْلِهِ فِي الْمَذْهَبِ لَوْ لَمْ
يَجِدْهُ مَنُفَوَّلًا فَلَهُ أَنْ يُفْتِيَ بِهِ.

فَإِنْ أَرَادَ حِكَايَتَهُ عَنْ قَائِلِهِ فَلَا يَقُلْ: قَالَ الشَّافِعِيُّ مَثَلًا كَذَا، وَلْيَقُلْ:
وَجَدْتُ عَنْ الشَّافِعِيِّ كَذَا، أَوْ بَلَّغَنِي عَنْهُ، وَنَحْوَ هَذَا.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِتَخْرِيجِ مِثْلِهِ لَمْ يَجُزْ لَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ سَبِيلَهُ النُّقْلُ
الْمَحْضُ، وَلَمْ يَحْصُلْ مَا يُجَوِّزُ لَهُ ذَلِكَ، وَلَهُ أَنْ يَذْكُرَهُ لَا عَلَى سَبِيلِ الْفَتْوَى
مُفْصِحًا بِحَالِهِ، فَيَقُولُ: وَجَدْتُهُ فِي نُسَخَةٍ مِنَ الْكِتَابِ الْفُلَانِيِّ وَنَحْوِهِ.

ثَلَاثُ: لَا يَجُوزُ لِمُفْتٍ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ إِذَا اعْتَمَدَ النَّقْلَ أَنْ يَكْتَنِي
بِمُصَنَّفٍ وَمُصَنِّفَيْنِ وَنَحْوِهِمَا مِنْ كُتُبِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَكْثَرِ الْمُتَأَخِّرِينَ لِكَثْرَةِ
الْإِخْتِلَافِ بَيْنَهُمْ فِي الْجَزْمِ وَالتَّرْجِيحِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْمُفْتِيَ الْمَذْكُورَ إِنَّمَا يَنْقُلُ
مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ، وَلَا يَحْصُلُ لَهُ وَثُوقٌ بِأَنْ مَا فِي الْمُصَنِّفَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ
وَنَحْوِهِمَا هُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، أَوِ الرَّاجِحُ مِنْهُ؛ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْإِخْتِلَافِ،

وَهَذَا مِمَّا لَا يَتَشَكَّكُ فِيهِ مَنْ لَهُ أَدْنَى أَنْسٍ بِالْمَذْهَبِ، بَلْ قَدْ يَجْزِمُ نَحْوُ عَشْرَةٍ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ بِشَيْءٍ وَهُوَ شَاذٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرَّاجِحِ فِي الْمَذْهَبِ، وَمُخَالَفٌ لِمَا عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ، وَرُبَّمَا خَالَفَ نَصَّ الشَّافِعِيِّ أَوْ نُصُوصًا لَهُ، وَسَتَرَى فِي هَذَا الشَّرْحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أُمُثْلَةَ ذَلِكَ، وَأَرْجُو إِنْ تَمَّ هَذَا الْكِتَابُ أَنَّهُ يُسْتَعْنَى بِهِ عَنْ كُلِّ مُصَنِّفٍ وَيُعْلَمُ بِهِ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ عِلْمًا قَاطِعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

"الثَّانِيَةُ" إِذَا أَفْتَى فِي حَادِثَةٍ ثُمَّ حَدَّثَتْ بِهَا، فَإِنْ ذَكَرَ الْفَتَاوَى الْأُولَى وَدَلِيلَهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَضَلِّ الشَّرْعِ إِنْ كَانَ مُسْتَقِيلًا، أَوْ إِلَى مَذْهَبِهِ إِنْ كَانَ مُتَسَبِّبًا، أَفْتَى بِذَلِكَ بِلاَ نَظَرٍ، وَإِنْ ذَكَرَهَا وَلَمْ يَذْكُرْ دَلِيلَهَا وَلَا طَرَأَ مَا يُوجِبُ رُجُوعَهُ، فَقِيلَ: لَهُ أَنْ يُفْتِيَ بِذَلِكَ، وَالْأَصَحُّ وَجُوبُ تَجْدِيدِ النَّظَرِ، وَمِثْلُهُ الْقَاضِي إِذَا حَكَمَ بِالْاجْتِهَادِ ثُمَّ وَقَعَتِ الْمَسْأَلَةُ،

وَكَذَا تَجْدِيدُ الطَّلَبِ فِي التَّيْمُمِ، وَالْاجْتِهَادُ فِي الْقِبْلَةِ، وَفِيهِمَا الْوَجْهَانِ. قَالَ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ فِي تَعْلِيلِهِ فِي آخِرِ بَابِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ: وَكَذَا الْعَامِّي إِذَا وَقَعَتْ لَهُ مَسْأَلَةٌ فَسَأَلَ عَنْهَا ثُمَّ وَقَعَتْ لَهُ فَلْيَلْزِمُهُ السُّؤَالُ ثَانِيًا يَعْنِي عَلَى الْأَصَحِّ قَالَ: إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَسْأَلَةٌ يَكْثُرُ وَقُوعُهَا وَيَشُقُّ عَلَيْهِ إِعَادَةُ السُّؤَالِ عَنْهَا، فَلَا يَلْزِمُهُ ذَلِكَ، وَيَكْفِيهِ السُّؤَالُ الْأَوَّلُ لِلْمَشَقَّةِ.

"الثَّالِثَةُ" يَنْبَغِي أَنْ لَا يَقْتَصِرَ فِي قِتْوَاهُ عَلَى قَوْلِهِ: فِي الْمَسْأَلَةِ خِلَافٌ، أَوْ قَوْلَانِ، أَوْ وَجْهَانِ، أَوْ رَوَايَتَانِ، أَوْ يُرْجَعُ إِلَى رَأْيِ الْقَاضِي، وَنَحْوِ

ذَلِكَ، فَهَذَا لَيْسَ بِجَوَابٍ، وَمَقْصُودُ الْمُسْتَفْتِي بَيَانُ مَا يَعْمَلُ بِهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَجْزِمَ لَهُ بِمَا هُوَ الرَّاجِحُ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَوَقَّفَ حَتَّى يَظْهَرَ، أَوْ يَتْرَكَ الْإِفْتَاءَ كَمَا كَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِنَا يَمْتَنِعُونَ مِنَ الْإِفْتَاءِ فِي حِنْثِ النَّاسِي.

فَضَّلْ فِي آدَابِ الْفَتَاوَى فِيهِ مَسَائِلُ:

(إِحْدَاهَا): يُلْزَمُ الْمُفْتِي أَنْ يُبَيِّنَ الْجَوَابَ بَيَانًا يُزِيلُ الْإِشْكَالَ. ثُمَّ لَهُ الْإِقْتِصَارُ عَلَى الْجَوَابِ شِفَاهًا. فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ لِسَانَ الْمُسْتَفْتِي كَفَاهَ تَرْجَمَهُ ثِقَةً وَاحِدَةً؛ لِأَنَّهُ خَبَرٌ،

وَلَهُ الْجَوَابُ كِتَابَةً، وَإِنْ كَانَتْ الْكِتَابَةُ عَلَى خَطَرٍ.

وَكَانَ الْقَاضِي أَبُو حَامِدٍ كَثِيرَ الْهَرَبِ مِنَ الْفَتَاوَى فِي الرَّقَاعِ.

قَالَ الصِّمَرِيُّ: وَلَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ كَوْنُ السُّؤَالِ بِخَطِّ الْمُفْتِي، فَأَمَّا بِإِمْلَائِهِ وَتَهْذِيبِهِ فَوَاسِعٌ،

وَكَانَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيُّ قَدْ يَكْتُبُ السُّؤَالَ عَلَى وَرَقٍ لَهُ، ثُمَّ يَكْتُبُ الْجَوَابَ.

وَإِذَا كَانَ فِي الرُّفْعَةِ مَسَائِلُ فَلَا أَحْسَنُ تَرْتِيبُ الْجَوَابِ عَلَى تَرْتِيبِ السُّؤَالِ، وَلَوْ تَرَكَ التَّرْتِيبَ فَلَا بَأْسَ، وَيُشَبِّهُ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ...﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وَإِذَا كَانَ فِي الْمَسْأَلَةِ تَفْصِيلٌ لَمْ يُطْلَقِ الْجَوَابُ فَإِنَّهُ خَطَأٌ. ثُمَّ لَهُ أَنْ

يَسْتَفْصِلُ السَّائِلَ إِنْ حَضَرَ، وَيَقْيِدُ السُّؤَالَ فِي رُقْعَةٍ أُخْرَى ثُمَّ يُجِيبُ، وَهَذَا أَوْلَى وَأَسْلَمُ.

وَلَهُ أَنْ يَتَصَيَّرَ عَلَى جَوَابِ أَحَدِ الْأَقْسَامِ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ الْوَاقِعُ لِلْسَّائِلِ، وَيَقُولُ: هَذَا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا، وَلَهُ أَنْ يَفْصَلَ الْأَقْسَامَ فِي جَوَابِهِ، وَيَذْكُرَ حُكْمَ كُلِّ قِسْمٍ.

لَكِنْ هَذَا كَرِهَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ مِنْ أَئِمَّةِ الْمَالِكِيَّةِ وَغَيْرُهُ. وَقَالُوا: هَذَا تَعْلِيمُ النَّاسِ الْفُجُورَ،

وَإِذَا لَمْ يَجِدِ الْمُفْتَى مَنْ يَسْأَلُهُ فَصَلَ الْأَقْسَامَ وَاجْتَهَدَ فِي بَيَانِهَا وَاسْتِيفَائِهَا.

"الثَّانِيَّةُ": لَيْسَ لَهُ أَنْ يَكْتُبَ الْجَوَابَ عَلَى مَا عَلِمَهُ مِنْ صُورَةِ الْوَائِلَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الرُّقْعَةِ تَعَرُّضٌ لَهُ، بَلْ يَكْتُبُ جَوَابَ مَا فِي الرُّقْعَةِ فَإِنْ أَرَادَ جَوَابَ مَا لَيْسَ فِيهَا فَلْيَقُلْ: وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَا وَكَذَا، فَجَوَابُهُ كَذَا.

وَاسْتَحَبَّ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى مَا فِي الرُّقْعَةِ مَا لَهُ تَعَلُّقٌ بِهَا. مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ السَّائِلُ لِحَدِيثٍ: «هُوَ الظُّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتُهُ»^(١).

"الثَّالِثَةُ": إِذَا كَانَ الْمُسْتَفْتَى بَعِيدَ الْفَهْمِ فَلْيَرْفُثْ بِهِ، وَيَضْبِرْ عَلَى تَفْهِمِ سُؤَالِهِ، وَتَفْهِمِ جَوَابِهِ، فَإِنْ ثَوَابَهُ جَزِيلٌ.

(١) [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٨٣)، وَالنَّسَائِيُّ (٣٣٢، ٤٣٥٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٦٩)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٦٨، ٣٢٤٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

"الرَّابِعَةُ" : لِيَتَأَمَّلَ الرُّفْعَةَ تَأْمُلًا شَائِئًا ، وَآخِرُ مَا أَكَدُّ ، فَإِنَّ السُّؤَالَ فِي آخِرِهَا ، وَقَدْ يَتَقَيَّدُ الْجَمِيعُ بِكَلِمَةٍ فِي آخِرِهَا وَيُغْفَلُ عَنْهَا ، قَالَ الصِّمَرِيُّ : قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَوَقُّفُهُ فِي الْمَسْأَلَةِ السَّهْلَةِ كَالصَّعْبَةِ لِيَعْتَادَهُ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ يَفْعَلُهُ .

وَإِذَا وَجَدَ كَلِمَةً مُشْتَبِهَةً سَأَلَ الْمُسْتَفْتِي عَنْهَا وَنَقَطَهَا وَشَكَّلَهَا ، وَكَذَا إِنْ وَجَدَ لَحْنًا فَاحِشًا أَوْ خَطَأً يُحِيلُ الْمَعْنَى أَصْلَحَهُ ، وَإِنْ رَأَى بَيَاضًا فِي أَثْنَاءِ سَطْرِ أَوْ آخِرِهِ خَطَّ عَلَيْهِ أَوْ شَغَلَهُ ؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا قَصَدَ الْمُفْتَى بِالْإِيذَاءِ ، فَكَتَبَ فِي الْبَيَاضِ بَعْدَ فَتْوَاهُ مَا يُفْسِدُهَا ، كَمَا بَلَّيَ بِهِ الْقَاضِي أَبُو حَامِدٍ الْمَرُورُوذِي .

"الْخَامِسَةُ" : يُسْتَحَبُّ أَنْ يَفْرَأَهَا عَلَى حَاضِرِيهِ مِمَّنْ ، هُوَ أَهْلٌ لِدَلِّكَ ، وَيُسَاوِرُهُمْ وَيُبَاحِثُهُمْ بِرَفْقٍ وَإِنْصَافٍ ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ وَتَلَامِذَتُهُ ، ؛ لِإِقْتِدَاءِ بِالسَّلَفِ ، وَرَجَاءِ ظُهُورِ مَا قَدْ يَخْفَى عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَا يَقْبَحُ إِبْدَاؤُهُ ، أَوْ يُؤْثِرُ السَّائِلُ كِتْمَانَهُ ، أَوْ فِي إِشَاعَتِهِ مَفْسَدَةٌ .

"الْسَّادِسَةُ" : لِيَكْتُبَ الْجَوَابَ بِخَطٍّ وَاضِحٍ وَسَطٍ ، لَا دَقِيقٍ خَافٍ ، وَلَا غَلِيظٍ جَانِبٍ ، وَيَتَوَسَّطُ فِي سَطُورِهَا بَيْنَ تَوْسِيعِهَا وَتَضْيِيقِهَا ، وَتَكُونُ عِبَارَةً وَاضِحَةً صَحِيحَةً تَفْهَمُهَا الْعَامَّةُ وَلَا يَزْدَرِيهَا . الْخَاصَّةُ ، وَاسْتَحَبَّ بَعْضُهُمْ أَنْ لَا تَخْتَلِفَ أَقْلَامُهُ وَخَطُّهُ ؛ خَوْفًا مِنَ التَّزْوِيرِ ؛ وَلَكِنَّا يُشْتَبَّهَ خَطُّهُ ، قَالَ الصِّمَرِيُّ : قُلْ مَا وَجَدَ التَّزْوِيرُ عَلَى الْمُفْتَى ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَسَ أَمْرَ الدِّينِ .

وَإِذَا كَتَبَ الْجَوَابَ أَعَادَ نَظْرَهُ فِيهِ؛ خَوْفًا مِنْ اخْتِلَالٍ وَقَعَ فِيهِ، أَوْ
إِخْلَالٍ بِبَعْضِ الْمَسْئُولِ عَنْهُ.

"السَّابِعَةُ" إِذَا كَانَ هُوَ الْمُتَبَرِّيَ فَالْعَادَةُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنْ يَكْتُبَ فِي
النَّاحِيَةِ الْبُشْرَى مِنَ الْوَرَقَةِ.

قَالَ الصَّيْمَرِيُّ وَغَيْرُهُ: وَإِنْ كَتَبَ مِنْ وَسْطِ الرُّقْعَةِ أَوْ حَاشِيَّتِهَا فَلَا
عُتْبَ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْتُبُ فَوْقَ الْبَسْمَلَةِ بِحَالٍ،

وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُو إِذَا أَرَادَ الْإِفْتَاءَ. وَجَاءَ عَنْ مَكْحُولٍ وَمَالِكٍ -
رَحِمَهُمَا اللَّهُ - أَنَّهُمَا كَانَا يُفْتِيَانِ حَتَّى يَقُولَا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،
وَيَسْتَحِبُّ الْإِسْتِعَاذَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَتُسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى وَيَحْمَدُهُ، وَيُصَلِّي
عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلَيَقُولُ: ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥] الْآيَةَ وَنَحْوَ ذَلِكَ،
قَالَ الصَّيْمَرِيُّ: وَعَادَةُ كَثِيرِينَ أَنْ يَبْدُؤُوا فَتَاوِيهِمْ: الْجَوَابُ وَبِاللَّهِ
التَّوْفِيقُ وَحَذَفَ آخَرُونَ ذَلِكَ، قَالَ: وَلَوْ عَمِلَ ذَلِكَ فِيمَا طَالَ مِنَ الْمَسَائِلِ
وَاشْتَمَلَ عَلَى فُصُولٍ، وَحَذَفَ فِي غَيْرِهِ، كَانَ وَجْهًا.

قُلْتُ: الْمُخْتَارُ قَوْلُ ذَلِكَ مُطْلَقًا، وَأَحْسَنُهُ الْإِبْتِدَاءُ بِقَوْلٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ،
وَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَهُ بِلِسَانِهِ وَيَكْتُبَهُ، قَالَ الصَّيْمَرِيُّ: وَلَا يَدْعُ خَتَمَ جَوَابِهِ
بِقَوْلِهِ: وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، أَوْ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ، أَوْ: وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ، قَالَ: وَلَا
يَنْبَغِي قَوْلُهُ: الْجَوَابُ عِنْدَنَا، أَوْ: الَّذِي عِنْدَنَا، أَوْ: الَّذِي نَقُولُ بِهِ، أَوْ:
نَذْهَبُ إِلَيْهِ، أَوْ: نَرَاهُ كَذَا، ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ، قَالَ: وَإِذَا أَغْفَلَ السَّائِلُ

الدُّعَاءُ لِلْمُفْتِي أَوْ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي آخِرِ الْفَتْوَى أَلْحَقَ الْمُفْتِي ذَلِكَ بِخَطِّهِ، فَإِنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةٌ بِهِ.

قُلْتُ: وَإِذَا خَتَمَ الْجَوَابَ بِقَوْلِهِ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَنَحْوِهِ مِمَّا سَبَقَ فَلْيَكُنْ بَعْدَهُ: كَتَبَهُ فُلَانٌ، أَوْ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ الْفُلَانِيُّ، فَيُسَبِّحُ إِلَى مَا يُعْرَفُ بِهِ مِنْ قَبِيلَةٍ أَوْ بَلَدَةٍ أَوْ صِفَةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: الشَّافِعِيُّ، أَوْ: الْحَنَفِيُّ مَثَلًا، فَإِنْ كَانَ مَشْهُورًا بِالْإِسْمِ أَوْ غَيْرِهِ فَلَا بَأْسَ بِالْإِقْتِصَارِ عَلَيْهِ،

قَالَ الصَّيْمَرِيُّ: وَرَأَى بَعْضُهُمْ أَنْ يَكْتُبَ الْمُفْتِي بِالْبِدَادِ دُونَ الْجَبْرِ خَوْفًا مِنَ الْحَكِّ، قَالَ: وَالْمُسْتَحَبُّ الْجَبْرُ لَا غَيْرَ. قُلْتُ: لَا يَخْتَصُّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا هُنَا بِالِاسْتِحْبَابِ، بِخِلَافِ كُتُبِ الْعِلْمِ، فَالْمُسْتَحَبُّ فِيهَا الْجَبْرُ؛ لِأَنَّهَا تُرَادُّ لِلْبَقَاءِ، وَالْجَبْرُ أَبْقَى.

قَالَ الصَّيْمَرِيُّ وَيَنْبَغِي إِذَا تَعَلَّقْتَ الْفَتْوَى بِالسُّلْطَانِ أَنْ يَدْعُو لَهُ فَيَقُولَ: وَعَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَوْ السُّلْطَانِ أَصْلَحَهُ اللَّهُ أَوْ سَدَّدَهُ اللَّهُ أَوْ قَوَّى اللَّهُ عَزَمَهُ أَوْ أَصْلَحَ اللَّهُ بِهِ، أَوْ شَدَّ اللَّهُ أَرْزَهُ، وَلَا يَقُلْ: أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ فَلَيْسَتْ مِنْ أَلْفَاظِ السَّلَفِ قُلْتُ: نَقَلَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ وَغَيْرُهُ اتِّفَاقَ الْعُلَمَاءِ عَلَى كَرَاهَةِ قَوْلٍ: " أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ " وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ تَحِيَّةُ الزَّانِدَةِ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِمَارَةً إِلَى أَنَّ الْأُولَى تَرْكُ نَحْوِ هَذَا مِنَ الدُّعَاءِ بِطَوِيلِ الْبَقَاءِ وَأَشْبَاهِهِ. (١)

(١) [قُلْتُ: رَوَى مُسْلِمٌ (٢٦٦٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ اللَّهُمَّ =

"الْثَامِنَةُ": لِيُخْتَصِرَ جَوَابُهُ وَيَكُونُ بِحَيْثُ تَفْهَمُهُ الْعَامَّةُ.

قَالَ صَاحِبُ الْحَاوِي: يَقُولُ: يَجُوزُ، أَوْ لَا يَجُوزُ، أَوْ حَقٌّ، أَوْ بَاطِلٌ.
وَحَكَى شَيْخُهُ الصِّمَرِيُّ فِي شَيْخِهِ الْقَاضِي أَبِي حَامِدٍ أَنَّهُ كَانَ يَخْتَصِرُ
غَايَةَ مَا يُمَكِّنُهُ، وَاسْتَفْتَى فِي مَسْأَلَةٍ آخِرُهَا: يَجُوزُ أَمْ لَا؟ فَكَتَبَ: لَا،
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ.

"الْثَامِنَةُ": قَالَ الصِّمَرِيُّ وَالْخَطِيبُ: إِذَا سُئِلَ عَنْ قَالَ: أَنَا
أَصْدَقُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَوْ الصَّلَاةُ لَعِبٌ، وَشِبْهَ ذَلِكَ، فَلَا يُتَادَرُ
بِقَوْلِهِ: هَذَا حَلَالُ الدِّمِّ أَوْ: عَلَيْهِ الْقَتْلُ، بَلْ يَقُولُ: إِنَّ صَحَّ هَذَا بِإِفْرَاقِهِ أَوْ
بِالْبَيْتَةِ، اسْتَبَاطُ السُّلْطَانِ، فَإِنْ تَابَ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَتُبْ فَعَلَ بِهِ كَذَا
وَكَذَا، وَبَالَغَ فِي ذَلِكَ وَأَشْبَعَهُ.

قَالَ: وَإِنْ سُئِلَ عَنْ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ يَحْتَمِلُ وَجُوهًا يُكْفَرُ بِبَعْضِهَا دُونَ
بَعْضٍ قَالَ: يُسْأَلُ هَذَا الْقَائِلُ. فَإِنْ قَالَ: أَرَدْتُ كَذَا، فَالْجَوَابُ كَذَا. وَإِنْ
سُئِلَ عَنْ قَتَلَ أَوْ قَلَعَ عَيْنًا أَوْ غَيْرَهَا اخْتِطَاطًا، فَذَكَرَ الشُّرُوطَ الَّتِي يَجِبُ
بِجَمِيعِهَا الْقِصَاصُ، وَإِنْ سُئِلَ عَنْ فَعَلَ مَا يُوجِبُ التَّعْزِيرَ. ذَكَرَ مَا يُعَزَّرُ

= مَتَّعَنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَأَنَارَ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَا
يُعْجَلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ وَلَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ
يُعَاقِبَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ...[١].

بِهِ فَيَقُولُ: يَضْرِبُهُ السُّلْطَانُ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يُزَادُ عَلَى كَذَا، هَذَا كَلَامُ الصَّيْمَرِيِّ وَالْخَطِيبِ وَغَيْرِهِمَا. قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَلَوْ كَتَبَ: عَلَيْهِ الْقِصَاصُ، أَوْ التَّعْزِيرُ بِشَرْطِهِ. فَلَيْسَ ذَلِكَ بِإِطْلَاقٍ، بَلْ تَقْيِيدُهُ بِشَرْطِهِ يَحْمِلُ الْوَالِيَّ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ شَرْطِهِ وَالْبَيَانِ أَوَّلَى.

"الْعَاشِرَةُ": يَنْبَغِي إِذَا ضَاقَ مَوْضِعُ الْجَوَابِ أَنْ لَا يَكْتُبَهُ فِي رُقْعَةٍ أُخْرَى خَوْفًا مِنَ الْحِيلَةِ، وَلِهَذَا قَالُوا: يَصِلُ جَوَابُهُ بِآخِرِ سَطْرِ، وَلَا يَدْعُ فُرْجَةً؛ لِئَلَّا يَزِيدَ السَّائِلُ شَيْئًا يُفْسِدُهَا، وَإِذَا كَانَ مَوْضِعُ الْجَوَابِ وَرَقَةً مُلَصَّقةً كَتَبَ عَلَى الْإِلْصَاقِ، وَلَوْ ضَاقَ بَاطِنُ الرُّقْعَةِ وَكَتَبَ الْجَوَابَ فِي ظَهْرِهَا كَتَبَهُ فِي أَغْلَاهَا إِلَّا أَنْ يَتَدَيَّ مِنْ أَسْفَلِهَا مُتَّصِلًا بِالْإِسْتِفْتَاءِ فَيَضِيقَ الْمَوْضِعُ فَيَتِمُّهُ فِي أَسْفَلِ ظَهْرِهَا لِيَتَّصِلَ جَوَابُهُ، وَاخْتَارَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى ظَهْرِهَا لَا عَلَى حَاشِيَتِهَا، وَالْمُخْتَارُ عِنْدَ الصَّيْمَرِيِّ وَغَيْرِهِ أَنْ حَاشِيَتِهَا أَوَّلَى مِنْ ظَهْرِهَا، قَالَ الصَّيْمَرِيُّ وَغَيْرُهُ: وَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ قَرِيبٌ.

"الْحَادِيَةَ عَشْرًا": إِذَا ظَهَرَ لِلْمُسْتَفْتِي أَنَّ الْجَوَابَ خِلَافَ حَرَضِ الْمُسْتَفْتِي أَنَّهُ لَا يَرْضَى بِكِتَابَتِهِ فِي وَرَقَتِهِ فَلْيَقْتَصِرْ عَلَى مُشَافَهَتِهِ بِالْجَوَابِ، وَلْيَحْلِزْ أَنْ يَمِيلَ فِي فَتْوَاهُ مَعَ الْمُسْتَفْتِي أَوْ خَصْمِهِ،

وَوُجُوهُ السَّبِيلِ كَثِيرَةٌ لَا تُحْطَى:

مِنْهَا: أَنْ يَكْتُبَ فِي جَوَابِهِ مَا هُوَ لَهُ وَيَتْرَكَ مَا عَلَيْهِ،

وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَبْدَأَ فِي سَائِلِ الدَّعْوَى وَالْبَيِّنَاتِ بِوُجُوهِ الْمُخَالِصِ مِنْهَا،

وَإِذَا سَأَلَهُ أَحَدُهُمْ وَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ تَنْدَفِعُ دَعْوَى كَذَا وَكَذَا؟ أَوْ بَيْنَهُ كَذَا؟ لَمْ يُجِبْهُ كَيْ لَا يَتَوَصَّلَ بِذَلِكَ إِلَى إِبْطَالِ حَقٍّ، وَلَهُ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فِيمَا ادَّعَى عَلَيْهِ، فَإِذَا شَرَحَهُ عَرَفَهُ بِمَا فِيهِ مِنْ دَافِعٍ وَغَيْرِ دَافِعٍ.

قَالَ الصِّمَرِيُّ: وَيَسْجِي لِلْمُتْلِي إِذَا رَأَى لِلْسَّائِلِ طَرِيقًا يُرْشِدُهُ إِلَيْهِ يُنَبِّهُهُ عَلَيْهِ، يَعْنِي مَا لَمْ يَضُرَّ غَيْرَهُ ضَرَرًا بِغَيْرِ حَقٍّ، قَالَ: كَمَنْ حَلَفَ يُنْفِقُ عَلَى زَوْجَتِهِ شَهْرًا، يَقُولُ: يُعْطِيهَا مِنْ صَدَاقِهَا أَوْ قَرْضًا أَوْ بَيْعًا يُبْرِئُهَا، وَكَمَا حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِأَبِي حَنِيفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: حَلَفْتُ أَنِّي أَطَأُ امْرَأَتِي فِي نَهَارِ رَمَضَانَ وَلَا أَكْفُرُ وَلَا أَغْصِي، فَقَالَ: سَافِرٌ بِهَا.

الثَّانِيَةُ عَشْرَةٌ: قَالَ الصِّمَرِيُّ: إِذَا رَأَى الْمُتْلِي الْمَصْلَحَةَ أَنْ يُفْتِيَ لِعَامِّي بِمَا فِيهِ تَغْلِيظٌ وَهُوَ مِمَّا لَا يَتَعَقَّدُ ظَاهِرُهُ، وَلَهُ فِيهِ تَأْوِيلٌ، جَازَ ذَلِكَ زَجْرًا لَهُ، كَمَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ تَوْبَةِ قَاتِلٍ فَقَالَ: (لَا تَوْبَةَ لَهُ) وَسَأَلَهُ آخَرُ فَقَالَ: (لَهُ تَوْبَةٌ) ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا الْأَوَّلُ فَرَأَيْتُ فِي عَيْنِهِ إِرَادَةَ الْقَتْلِ فَمَنْعْتُهُ، وَأَمَّا الثَّانِي فَجَاءَ مُسْتَكِينًا قَدْ ضَلَّ فَلَمْ أُقْنِطْهُ "

قَالَ الصِّمَرِيُّ: وَكَذَا إِنْ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنْ قَتَلْتُ عَبْدِي عَلَيَّ قِصَاصٌ؟ فَوَاسِعٌ أَنْ يَقُولَ: إِنْ قَتَلْتُ عَبْدَكَ قَتَلْنَاكَ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ عَبْدَهُ قَتَلْنَاهُ، وَمَنْ جَدَعَ عَبْدَهُ جَدَعْنَاهُ» (١).

(١) [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٥١٥)، وَالنَّسَائِيُّ (٤٧٣٦، ٤٧٣٧، ٤٧٣٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٤١٤)، وَابْنُ مَاجَةَ (٢٦٦٣)، وَأَحْمَدُ (١٩٥٩٨، ١٩٦٨٥، ١٩٧٠٢)، =

وَلَا نَ الْقَتْلَ عِنْدَ الْعَرَبِ لَهُ مَعَانٍ، وَلَهُ أَقْسَامٌ.

وَلَوْ سُئِلَ عَنْ سَبِّ الصَّحَابِيِّ هَلْ يُوجِبُ الْقَتْلَ؟ فَوَاسِعٌ أَنْ يَقُولَ:
رُويَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَأَقْتُلُوهُ»^(١).
فَيَفْعَلُ كُلُّ هَذَا؛ زَجْرًا لِلْعَامَّةِ، وَمَنْ قَلَّ دِينُهُ وَمُرُوءَتُهُ.

"الثَّالِثَةُ عَشْرَةٌ": يَجِبُ عَلَى الْمُتَمَيِّ مِنْدَ اجْتِمَاعِ الرِّقَاعِ بِحَضْرَتِهِ أَنْ
يُقَدِّمَ الْأَسْبَقَ قَالِ الْأَسْبَقُ، كَمَا يَفْعَلُهُ الْقَاضِي فِي الْخُصُومِ، وَهَذَا فِيمَا يَجِبُ
فِيهِ الْإِفْتَاءُ، فَإِنْ تَسَاوَوْا أَوْ جَهِلَ السَّابِقُ قَدَّمَ بِالْقُرْعَةِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَجُوزُ
تَقْدِيمُ الْمَرْأَةِ وَالْمُسَافِرِ الَّذِي شَدَّ رَحْلَهُ وَفِي تَأْخِيرِهِ ضَرَرٌ بِتَخْلُفِهِ عَنْ رُفْقَتِهِ
وَنَحْوُ ذَلِكَ عَلَى مَنْ سَبَقَهُمَا إِلَّا إِذَا كَثُرَ الْمُسَافِرُونَ وَالنِّسَاءُ، بِحَيْثُ يَلْحَقُ

= وَالِدَارِمِيُّ (٢٣٥٨) عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ ؓ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
فَذَكَرَهُ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ هِشَامٍ مِثْلَ حَدِيثِ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا
الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ عَنْ ابْنِ أَبِي عُرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ بِإِسْنَادِ شُعْبَةَ مِثْلَهُ
زَادَ ثُمَّ إِنَّ الْحَسَنَ نَسِيَ هَذَا الْحَدِيثَ فَكَانَ يَقُولُ لَا يُقْتَلُ حُرٌّ بِعَبْدٍ. هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ
وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ: وَلَمْ يَسْمَعْهُ الْحَسَنُ مِنْ سَمُرَةَ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ
غَرِيبٌ، وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ إِلَى هَذَا،
وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: لَيْسَ بَيْنَ الْحُرِّ
وَالْعَبْدِ قِصَاصٌ فِي النَّفْسِ وَلَا فِيمَا دُونَ النَّفْسِ، وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ، وَقَالَ
بَعْضُهُمْ: إِذَا قَتَلَ عَبْدُهُ لَا يُقْتَلُ بِهِ، وَإِذَا قَتَلَ عَبْدٌ غَيْرَهُ قُتِلَ بِهِ؛ وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ
الثَّوْرِيِّ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ. وَالْحَدِيثُ ضَعْفُهُ الْأَلْبَانِيُّ].

(١) [لَمْ أَرَهُ مُسْنَدًا وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ فِي "الْفَقِيهِ وَالْمُتَمَقِّهِ" بِلَفْظِ: رُويَ].

غَيْرُهُمْ بِتَقْدِيمِهِمْ ضَرَرَ كَثِيرٌ فَيَعُودُ بِالتَّقْدِيمِ بِالسَّبْقِ أَوْ الْقُرْعَةِ. ثُمَّ لَا يَقْدَمُ أَحَدًا إِلَّا فِي فُتْيَا وَاحِدَةٍ.

"الرَّابِعَةُ عَشْرَةَ": قَالَ الصَّيْمَرِيُّ وَأَبُو عَمْرٍو: إِذَا سُئِلَ عَنْ مِيرَاثٍ فَلَيْسَتْ الْعَادَةُ أَنْ يَشْتَرِطَ فِي الْوَرَثَةِ عَدَمَ الرِّقِّ وَالْكَفْرِ وَالْقَتْلِ وَغَيْرِهَا مِنْ مَوَانِعِ الْمِيرَاثِ، بَلِ الْمُطْلَقُ مَحْمُولٌ عَلَى ذَلِكَ،

بِخِلَافِ مَا إِذَا أُطْلِقَ الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ وَالْأَعْمَامُ وَبَنِيهِمْ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ فِي الْجَوَابِ: مِنْ أَبِي وَأُمِّ، أَوْ مِنْ أَبِي، أَوْ مِنْ أُمِّ،

وَإِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةِ عَوْلٍ كَالْمُنْبَرِيَّةِ، وَهِيَ زَوْجَةٌ وَأَبَوَانِ وَبَنَتَانِ. فَلَا يَقُولُ: لِلزَّوْجَةِ الثُّمْنُ، وَلَا التُّسْعُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُطْلَقْ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ، بَلْ يَقُولُ: لَهَا الثُّمْنُ عَائِلًا، وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَصْهُمٍ مِنْ سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ لَهَا ثَلَاثَةُ أَصْهُمٍ مِنْ سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ،

أَوْ يَقُولُ: مَا قَالَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: صَارَ ثُمْنُهَا تِسْعًا.

وَإِذَا كَانَ فِي الْمَذْكُورِينَ فِي رُقْعَةِ الْإِسْتِفْتَاءِ مَنْ لَا يَرِثُ أَنْصَحَ بِسُقُوطِهِ فَقَالَ: وَسَقَطَ فُلَانٌ، وَإِنْ كَانَ سُقُوطُهُ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ قَالَ: وَسَقَطَ فُلَانٌ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ؛ لِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ أَنَّهُ لَا يَرِثُ بِحَالٍ.

وَإِذَا سُئِلَ عَنْ إِخْوَةٍ وَأَخَوَاتٍ، أَوْ بَنِينَ وَبَنَاتٍ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ، فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ يُشْكِلُ عَلَى الْعَامِّيِّ، بَلْ يَقُولُ:

يَقْتَسِمُونَ التَّرِكََّةَ عَلَى كَذَا وَكَذَا سَهْمًا، لِكُلِّ ذَكَرٍ كَذَا وَكَذَا سَهْمًا، وَلِكُلِّ أَنْثَى كَذَا وَكَذَا سَهْمًا.

قَالَ الصَّيْمَرِيُّ: قَالَ الشَّيْخُ: وَنَحْنُ نَجِدُ فِي تَعَمُّدِ الْعُدُولِ عَنْهُ حَزَازَةٌ فِي النَّفْسِ، لِكُونِهِ لَفْظَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، وَأَنَّهُ قَلَّمَا يَخْفَى مَعْنَاهُ عَلَى أَحَدٍ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي جَوَابِ مَسَائِلِ الْمُنَاسَخَاتِ شَدِيدَ التَّحَرُّزِ وَالتَّحْفُظِ، وَلِيُقْلَلَ فِيهَا لِفُلَانٍ كَذَا وَكَذَا مِيرَاثُهُ مِنْ أَبِيهِ، ثُمَّ مِنْ أَخِيهِ.

قَالَ الصَّيْمَرِيُّ: وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَخْتَارُ أَنْ يَقُولَ لِفُلَانٍ كَذَا وَكَذَا سَهْمًا، مِيرَاثُهُ عَنْ أَبِيهِ كَذَا، وَعَنْ أُمِّهِ كَذَا. قَالَ: وَكُلُّ هَذَا قَرِيبٌ، قَالَ الصَّيْمَرِيُّ وَغَيْرُهُ: وَحَسَنٌ أَنْ يَقُولَ: تُقْسَمُ التَّرِكََّةُ بَعْدَ إِخْرَاجِ مَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ مِنْ دَيْنٍ أَوْ وَصِيَّةٍ إِنْ كَانَا.

"الْحَامِصَةُ عَشْرَةٌ": إِذَا رَأَى الْمُفْتِي رُقْعَةَ الْإِسْتِثْنَاءِ فِيهَا خَطٌّ خَبِرَ، مِنْ هُوَ أَهْلٌ لِلْفَتْوَى، وَخَطُّهُ فِيهَا مُوَافِقٌ لِمَا عِنْدَهُ،

قَالَ الْخَطِيبُ وَغَيْرُهُ: كَتَبَ تَحْتَ خَطِّهِ: هَذَا جَوَابٌ صَحِيحٌ، وَبِهِ أَقُولُ. أَوْ كَتَبَ: جَوَابِي مِثْلُ هَذَا. وَإِنْ شَاءَ ذَكَرَ الْحُكْمَ بِعِبَارَةِ الْخَصِّ مِنْ عِبَارَةِ الَّذِي كَتَبَ،

وَأَمَّا إِذَا رَأَى فِيهَا خَطٌّ مِنْ لَيْسَ أَهْلًا لِلْفَتْوَى،

فَقَالَ الصَّيْمَرِيُّ: لَا يُفْتَى مَعَهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ تَقْرِيرٌ مِنْهُ لِمُنْكَرٍ، بَلْ يَضْرِبُ عَلَى ذَلِكَ بِأَمْرِ صَاحِبِ الرُّقْعَةِ، وَلَوْ لَمْ يَسْتَأْذِنْهُ فِي هَذَا الْقَدْرِ جَازًا، لَكِنْ

لَيْسَ لَهُ اخْتِبَاسُ الرُّقْعَةِ إِلَّا بِإِذْنِ صَاحِبِهَا.

قَالَ: وَلَهُ انْتِهَارُ السَّائِلِ وَرَجْرُهُ، وَتَعْرِيفُهُ قُبْحَ مَا أَتَاهُ، وَأَنَّهُ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ الْبَحْثُ عَنْ أَهْلِ الْفَتَاوَى، وَطَلَبُ مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِذَلِكَ، وَإِنْ رَأَى فِيهَا اسْمَ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَوَاسِعٌ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنَ الْفَتَاوَى مَعَهُ، خَوْفًا مِمَّا قُلْنَا.

قَالَ: وَكَانَ بَعْضُهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا يَكْتُبُ عَلَى ظَهْرِهَا، قَالَ: وَالْأُولَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنْ يُشَارَ عَلَى صَاحِبِهَا بِإِبْدَالِهَا، فَإِنْ أَبَى ذَلِكَ أَجَابَهُ شِفَاهًا. قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَإِذَا خَافَ فِتْنَةً مِنَ الضَّرْبِ عَلَى فُتْيَا الْعَادِمِ لِلْأَهْلِيَّةِ، لَمْ تَكُنْ خَطَأً، عَدَلَ إِلَى الْامْتِنَاعِ مِنَ الْفُتْيَا مَعَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْ فَتَاوِيهِ لِتَغْلِبِهِ فِي مَنْصِبِهَا بِجَاهٍ أَوْ تَلْيِيسٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، بِحَيْثُ صَارَ امْتِنَاعُ الْأَهْلِ مِنْ فُتْيَا مَعَهُ ضَارًّا بِالْمُسْتَفْتَيْنِ، فَلْيُفْتِ مَعَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَهْوَنُ الضَّرَرَيْنِ، وَلْيَتَلَطَّفْ مَعَ ذَلِكَ فِي إِظْهَارِ قُصُورِهِ لِمَنْ يَجْهَلُهُ.

أَمَّا إِذَا وَجَدَ فُتْيَا مَنْ هُوَ أَهْلٌ وَهِيَ خَطَأٌ مُطْلَقًا بِمُخَالَفَتِهَا الْقَاطِعَ، أَوْ خَطَأً عَلَى مَذْهَبٍ مَنْ يُفْتَى ذَلِكَ خُطِئَ عَلَى مَذْهَبِهِ قَطْعًا فَلَا يَجُوزُ لَهُ الْامْتِنَاعُ مِنَ الْإِفْتَاءِ، تَارِكًا لِلتَّشْبِيهِ فِي خَطِئِهَا إِذَا لَمْ يَكْفِهِ ذَلِكَ غَيْرُهُ، بَلْ عَلَيْهِ الضَّرْبُ عَلَيْهَا عِنْدَ تَيْسُرِهِ، أَوْ إِبْدَالُ وَتَقْطِيعُ الرُّقْعَةِ بِإِذْنِ صَاحِبِهَا، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ. وَمَا يَقُومُ مَقَامَهُ وَكَتَبَ صَوَابَ جَوَابِهِ عِنْدَ ذَلِكَ الْخَطَأَ،

ثُمَّ إِنْ كَانَ السُّخْطُ أَهْلًا لِلْفَتَاوَى فَحَسَنٌ أَنْ تُعَادَ إِلَيْهِ بِإِذْنِ صَاحِبِهَا،

أَمَّا إِذَا وَجَدَ فِيهَا قُتْبًا أَهْلَ الْفُتُوَى، وَهِيَ عَلَى خِلَافِ مَا يَرَاهُ هُوَ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَقْطَعُ بِخَطِئِهَا، فَلْيَقْتَصِرْ عَلَى كِتَابِ جَوَابِ نَفْسِهِ، لَا يَتَعَرَّضُ لِفُتْيَا غَيْرِهِ بِتَخْطِئَةٍ، وَلَا اعْتِرَاضٍ.

قَالَ صَاحِبُ الْحَاوِي: لَا يَسُوعُ إِذَا أُسْتُفْتِيَ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِجَوَابِ غَيْرِهِ بِرَدٍّ وَلَا تَخْطِئَةٍ، وَيُجِيبُ بِمَا عِنْدَهُ مُوَافَقَةً أَوْ مُخَالَفَةً.

" السَّادِسَةُ عَشْرَةَ " : إِذَا لَمْ يَفْهَمْ الْمُتَفَتِي السُّؤَالَ أَضَلًّا وَلَمْ يَحْضُرْ صَاحِبُ الْوَاقِعَةِ:

فَقَالَ الصِّمَرِيُّ: يَكْتُبُ " يُزَادُ فِي الشَّرْحِ لِنَجِيبِ عَنْهُ " . أَوْ لَمْ أَفْهَمْ مَا فِيهَا فَأَجِيبُ " قَالَ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَكْتُبُ شَيْئًا أَضَلًّا قَالَ: رَأَيْتُ بَعْضَهُمْ كَتَبَ فِي هَذَا: يَحْضُرُ السَّائِلُ لِنُخَاطَبَةِ شِفَاهَا.

وَقَالَ الْخَطِيبُ: يَنْبَغِي لَهُ إِذَا لَمْ يَفْهَمْ الْجَوَابَ أَنْ يُرْشِدَ الْمُسْتَفْتِيَ إِلَى مُفْتٍ آخَرَ كَانَ وَإِلَّا فَلْيُمْسِكْ حَتَّى يَعْلَمَ الْجَوَابَ،

قَالَ الصِّمَرِيُّ: وَإِذَا كَانَ فِي رُفْعَةِ اسْتِثْنَاءِ مَسَائِلَ فِهِمْ بَعْضُهَا دُونَ بَعْضٍ، أَوْ فَهِمَهَا كُلَّهَا وَلَمْ يُرَدِّ الْجَوَابَ فِي بَعْضِهَا، أَوْ احْتِاجَ فِي بَعْضِهَا إِلَى تَأْمُلٍ أَوْ مُطَالَعَةٍ. أَجَابَ عَمَّا أَرَادَ وَسَكَتَ عَنِ الْبَاقِي، وَقَالَ: لَنَا فِي الْبَاقِي نَظَرٌ أَوْ تَأْمُلٌ أَوْ زِيَادَةٌ نَظَرٍ.

" السَّابِعَةُ عَشْرَةَ " : لَيْسَ بِمُنْكَرٍ أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَفَتِي فِي قُتْوَاهُ الْحُجَّةَ إِذَا كَانَتْ نَصًّا وَاضِحًا مُخْتَصَرًا، قَالَ الصِّمَرِيُّ: لَا يَذْكُرُ الْحُجَّةَ إِنْ أَفْتَى

عَامِّيًّا، وَبَذْكُرُهَا إِنْ أَفْتَى فِيهَا،

كَمَنْ يُسْأَلُ عَنِ النِّكَاحِ بِلاَ وَلِيٍّ فَحَسَنٌ أَنْ يَقُولَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ»^(١).

أَوْ عَنْ رَجْعَةِ الْمُطَلَّقةِ بَعْدَ الدُّخُولِ فيقول: لَهُ رَجَعْتُهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبِعُولَتْنِ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ...﴾ [البقرة: ٢٢٨]، قَالَ: وَلَمْ تَجِرِ الْعَادَةُ أَنْ يَذْكَرَ فِي فِتْوَاهُ طَرِيقَ الاجْتِهَادِ، وَوَجْهَ الْقِيَاسِ وَالِاسْتِدْلَالِ، إِلَّا أَنْ تَتَعَلَّقَ الْفُتُوَى بِقَضَاءٍ قَاضٍ فَيُومِئُ فِيهَا إِلَى طَرِيقِ الاجْتِهَادِ وَيُلَوِّحُ بِالنُّكْتَةِ، وَكَذَا إِذَا أَفْتَى غَيْرَهُ فِيهَا يَغْلِطُ فَيَفْعَلُ ذَلِكَ لِيُنَبِّهَ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ فِيهَا يُفْتَى بِهِ غُمُوضٌ فَحَسَنٌ أَنْ يُلَوِّحَ بِحُجَّتِهِ.

وَقَالَ صَاحِبُ الْحَاوِي: لَا يَذْكَرُ حُجَّةً لِيُفَرِّقَ بَيْنَ الْفُتْيَا وَالتَّصْنِيفِ. قَالَ: وَلَوْ سَاغَ التَّجَاوُزُ إِلَى قَلِيلٍ لَسَاغَ إِلَى كَثِيرٍ، وَلَصَارَ الْمُفْتَى مُدْرَسًا. وَالتَّصْنِيفُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَوَّلَى مِنْ إِطْلَاقِ صَاحِبِ الْحَاوِي الْمُنْعَ.

وَقَدْ يَحْتَاجُ الْمُفْتَى فِي بَعْضِ الْوَقَائِعِ إِلَى أَنْ يَسُدَّ رِيبًا لِيَقُولَ: وَهَذَا إِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ: لَا أَعْلَمُ فِي هَذَا خِلَافًا، أَوْ: فَمَنْ خَالَفَ هَذَا فَقَدْ خَالَفَ الْوَاجِبَ وَعَدَلَ عَنِ الصَّوَابِ، أَوْ: فَقَدْ أَثِمَ وَفَسَقَ، أَوْ:

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٠٨٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١١٠١)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٨٨١)، وَأَحْمَدُ (١٩٠٢٤، ١٩٢١١، ١٩٢٤٧)، وَالدَّارِمِيُّ (٢١٨٢) عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ». [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَعَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يَأْخُذَ بِهَذَا وَلَا يُهْمَلَ الْأَمْرَ، وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ عَلَى حَنْبٍ مَا تَقْتَضِيهِ الْمَضْلَحَةُ وَتَوْجِيهِ الْحَالِ.

«الْثَّابِتَةُ عَشْرَةٌ»: قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو - رَحِمَهُ اللَّهُ -: لَيْسَ لَهُ إِذَا اسْتُنْفِي فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَسَائِلِ الْكَلَامِيَّةِ أَنْ يُنْتَهَى بِالتَّفْصِيلِ، بَلْ يَمْنَعُ مُسْتَفْتِيَهُ وَسَائِرَ الْعَامَّةِ مِنَ الْخَوْضِ فِي ذَلِكَ أَوْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ وَإِنْ قَلَّ. وَيَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يَفْتَصِّرُوا فِيهَا عَلَى الْإِيمَانِ جُمْلَةً مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ، وَيَقُولُوا فِيهَا وَفِي كُلِّ مَا وَرَدَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَخْبَارِهَا الْمُتَشَابِهَةِ: إِنَّ الثَّابِتَ فِيهَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَا هُوَ اللَّائِقُ فِيهَا بِجَلَالِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، وَكَمَالِهِ وَتَقْدِيرِهِ الْمُطْلَقِ، فَيَقُولُ مُعْتَقِدُنَا فِيهَا، وَلَيْسَ عَلَيْنَا تَفْصِيلُهُ وَتَعْيِينُهُ، وَلَيْسَ الْبَحْثُ عَنْهُ مِنْ شَأْنِنَا، بَلْ نَكِلُ عِلْمَ تَفْصِيلِهِ إِلَى اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَنَصْرِفُ عَنْ الْخَوْضِ فِيهِ قُلُوبَنَا وَالْأَسِنَّاتِ، فَهَذَا وَنَحْوُهُ هُوَ الصَّوَابُ مِنْ أُمَّةِ الْفُتَوَى فِي ذَلِكَ، وَهُوَ سَبِيلُ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَأُمَّةِ الْمَذَاهِبِ الْمُعْتَبَرَةِ، وَأَكَابِرِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَهُوَ أَصَوْنٌ وَأَسْلَمٌ لِلْعَامَّةِ وَأَشْبَاهِهِمْ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ اعْتَقَدَ اعْتِقَادًا بَاطِلًا تَفْصِيلًا، فَفِي هَذَا صَرَفٌ لَهُ عَنْ ذَلِكَ الْإِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ بِمَا هُوَ أَهْوَنُ وَأَيْسَرُ وَأَسْلَمٌ.

وَإِذَا عَزَرَ وَلِيُّ الْأَمْرِ مَنْ حَادَ مِنْهُمْ عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ، فَقَدْ تَأَسَّى بِعُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَغْزِيرِ (صَيِّغٍ) بِفَتْحِ الصَّادِ الْمُهِمْلَةِ الَّذِي كَانَ يَسْأَلُ عَنْ الْمُتَشَابِهَاتِ عَلَى ذَلِكَ ^(١).

(١) (قَالَ الْحَافِظُ: : بِفَتْحِ الْمُهِمْلَةِ وَكَسْرِ وَآخِرُهُ مُعْجَمَةٌ: صَيِّغُ بْنُ عَسَلٍ، =

قَالَ: وَالْمُتَكَلِّمُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا مُعْتَرِفُونَ بِصِحَّةِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَبِأَنَّهَا
أَسْلَمَ لِمَنْ سَلِمَتْ لَهُ،
وَكَانَ الْعَزَالِيُّ مِنْهُمْ فِي آخِرِ أَمْرِهِ شَدِيدَ الْمُبَالَغَةِ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْهَا
وَالْبَرَهْنَةِ عَلَيْهَا،

= الَّذِي سَأَلَ عُمَرَ عَنِ الْمُتَشَابِهِ. وَرَوَى الدَّارِمِيُّ (١٤٤) أَخْبَرَنَا أَبُو الثُّغَمَانِ حَدَّثَنَا
حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ حَازِمٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ: «أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ صَبِغٌ
قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَّاجِينَ
النَّخْلِ فَقَالَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِغٌ، فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُونًا مِنْ تِلْكَ
الْعَرَّاجِينَ فَضْرَبَهُ وَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ، فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ، فَقَالَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَسْبُكَ قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي» فَلَمْ يَلَمْسْ: وَرَجُلًا يُقَالُ لَكِنَّهُ
مُرْسَلٌ فَمَوْلِدُ سُلَيْمَانَ سَنَةَ ٢٤ هـ. وَرَوَاهُ الدَّارِمِيُّ (١٤٨) أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ
حَدَّثَنِي اللَّيْثُ أَخْبَرَنِي ابْنُ عَجَلَانَ عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ: «أَنَّ صَبِغًا الْعِرَاقِيَّ
جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَدِمَ مِصْرَ فَبَعَثَ بِهِ عُمَرُ
ابْنَ الْعَاصِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالْكِتَابِ فَقَرَأَهُ فَقَالَ: أَيْنَ
الرَّجُلُ؟ قَالَ: فِي الرَّحْلِ، قَالَ عُمَرُ: أَبْصِرْ أَيْكُونُ ذَهَبَ فَتُصْبِغُكَ مِنْهُ الْعُقُوبَةُ
الْمَوْجِعَةُ، فَأَتَاهُ بِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: تَسْأَلُ مُحَدَّثَةً، وَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى رَطَائِبَ مِنْ جَرِيدٍ
فَضْرَبَهُ بِهَا حَتَّى تَرَكَ ظَهْرَهُ دَبْرَةً، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، ثُمَّ عَادَ لَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ،
فَدَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ، قَالَ: فَقَالَ صَبِغٌ: إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ قَتْلِي فَأَقْتُلْنِي قَتْلًا جَمِيلًا، وَإِنْ
كُنْتُ تُرِيدُ أَنْ تُدَاوِينِي فَقَدْ وَاللَّهِ بَرَأْتُ، فَأَذِنَ لَهُ إِلَى أَرْضِهِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى
الْأَشْعَرِيِّ: أَنْ لَا يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ، فَكَتَبَ أَبُو
مُوسَى إِلَى عُمَرَ: أَنْ قَدْ حَسُنَتْ تَوْبَتُهُ، فَكَتَبَ عُمَرُ: أَنْ ائْذَنْ لِلنَّاسِ بِمُجَالَسَتِهِ
وَإِسْنَادَهُ حَسَنٌ وَلَكِنَّهُ مُرْسَلٌ أَيْضًا. وَهُوَ يَقْوَى الْأَثَرِ السَّابِقَ.

وَذَكَرَ شَيْخُهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي كِتَابِهِ الْغِيَاثِيِّ أَنَّ الْإِمَامَ يَحْرِصُ مَا أَمَكَنَهُ عَلَى جَمْعِ الْخَلْقِ عَلَى سُلُوكِ سَبِيلِ السَّلَفِ فِي ذَلِكَ .

وَاسْتَفْتِيَ الْغَزَالِيُّ فِي كَلَامِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِ :
وَأَمَّا الْخَوْضُ فِي أَنَّ كَلَامَهُ تَعَالَى حَرْفٌ وَصَوْتُ أَوْ لَيْسَ كَذَلِكَ فَهُوَ
بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ مَنْ يَدْعُو الْعَوَامَّ إِلَى الْخَوْضِ فِي هَذَا فَلَيْسَ مِنْ أَيْمَةِ الدِّينِ ،
وَأِنَّمَا هُوَ مِنَ الْمُضِلِّينَ ، وَمِثْلُهُ مَنْ يَدْعُو الصَّبِيَّانَ الَّذِينَ لَا يُحْسِنُونَ
السَّبَاحَةَ إِلَى خَوْضِ الْبَحْرِ ، وَمَنْ يَدْعُو الزَّمَانَ الْمُقْعَدَ إِلَى السَّفَرِ فِي
الْبَرَارِي مِنْ غَيْرِ مَرْكُوبٍ .

وَفِي رِسَالَةٍ لَهُ : الصَّوَابُ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ إِلَّا الشَّاذَّ النَّادِرَ ، الَّذِي لَا
تَسْمَحُ الْأَعْصَارُ إِلَّا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ أَوْ اثْنَيْنِ سُلُوكُ مَسَلِكِ السَّلَفِ فِي الْإِيمَانِ
الْمُرْسَلِ ، وَالتَّصْدِيقِ لِمُجْمَلِ ، بِكُلِّ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَتَفْتِيَشٍ ، وَالِاسْتِعْغَالِ بِالتَّقْوَى فِيهِ شُغْلٌ شَاغِلٌ .

وَقَالَ الصَّيْمَرِيُّ فِي كِتَابِهِ "أَدَبُ الْمُفْتِي وَالْمُسْتَفْتِي" : إِنَّ مِمَّا أَجْمَعَ
عَلَيْهِ أَهْلُ الْفَتْوَى أَنَّ مَنْ كَانَ مَوْسُومًا بِالْفَتْوَى فِي الْفِقْهِ لَمْ يَنْبَغِ لَهُ أَنْ يَضَعَ
خَطَّهُ بِفَتْوَى فِي مَسْأَلَةٍ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ ،

قَالَ : وَكَانَ بَعْضُهُمْ لَا يَسْتَتِمُّ قِرَاءَةَ مِثْلِ هَذِهِ الرُّقْعَةِ قَالَ : وَكَرِهَ بَعْضُهُمْ
أَنْ يَكْتُبَ : لَيْسَ هَذَا مِنْ عِلْمِنَا ، أَوْ مَا جَلَسْنَا لِهَذَا ، وَالسُّؤَالُ عَنْ غَيْرِ هَذَا
أَوَّلَى ، بَلْ لَا يَتَعَرَّضُ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

وَحَكَى الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْفَقِيهُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: الْامْتِنَاعَ مِنْ الْكَلَامِ فِي كُلِّ ذَلِكَ عَنِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْفَتَاوَى، قَالَ: وَإِنَّمَا خَالَفَ ذَلِكَ أَهْلُ الْبِدْعِ،

قَالَ الشَّيْخُ: فَإِنْ كَانَتْ الْمَسْأَلَةُ مِمَّا يُؤْمَنُ فِي تَفْصِيلِ جَوَابِهَا مِنْ ضَرَرِ الْخَوْصِ الْمَذْكُورِ جَازَ الْجَوَابُ تَفْصِيلًا، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ جَوَابُهَا مُخْتَصَرًا مَفْهُومًا، لَيْسَ لَهَا أَطْرَافٌ يَتَجَادَبُهَا الْمُتَنَازِعُونَ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ صَادِرٌ عَنْ مُسْتَرْشِدٍ خَاصٍّ مُتَقَادٍ، أَوْ مِنْ عَامَّةٍ قَلِيلَةٍ التَّنَازُعِ وَالْمُمَارَاةِ، وَالْمُفْتِيَّ مِمَّنْ يَنْقَادُونَ لِفَتْوَاهُ وَنَحْوِ هَذَا، وَعَلَى هَذَا وَنَحْوِهِ يُحْمَلُ مَا جَاءَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ مِنْ بَعْضِ الْفَتَاوَى فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْكَلَامِيَّةِ، وَذَلِكَ مِنْهُمْ قَلِيلٌ نَادِرٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

"الثَّاسِعَةُ عَشْرَةٌ": قَالَ الصِّمَرِيُّ وَالْخَطِيبُ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ -: وَإِذَا سُئِلَ فَقِيهٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ فَإِذَا كَانَتْ تَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ أَجَابَ عَنْهَا وَكَتَبَ خَطَّهُ بِذَلِكَ، كَمَنْ سُئِلَ عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، وَالْقُرْءِ. وَمَنْ بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ، وَإِنْ كَانَتْ لَيْسَتْ مِنْ مَسَائِلِ الْأَحْكَامِ، كَالسُّؤَالِ: عَنْ الرَّقِيمِ وَالنَّقِيرِ وَالْقُطْمِيرِ وَالْغُسْلَيْنِ، رَدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ، وَوَكَّلَهُ إِلَى مَنْ نَصَّبَ نَفْسَهُ لَهُ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، وَلَوْ أَجَابَهُ شِفَاهًا لَمْ يُسْتَقْبَحَ، هَذَا كَلَامُ الصِّمَرِيِّ وَالْخَطِيبِ.

وَلَوْ قِيلَ: إِنَّهُ يَحْسُنُ كِتَابَتُهُ لِلْفَقِيهِ الْعَارِفِ بِهِ لَكَانَ حَسَنًا، وَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَسَائِلِ الْأَحْكَامِ؟ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَضْلٌ (فِي آدَابِ الْمُسْتَفْتَى وَصِفَتِهِ وَأَحْكَامِهِ، فِيهِ مَسَائِلُ):

"إِحْدَاهَا" فِي صِنَةِ الْمُسْتَفْتَى:

كُلُّ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ دَرَجَةَ الْمُفْتَى فَهُوَ فِيمَا يُسْأَلُ عَنْهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مُسْتَفْتٍ مُقَلَّدٌ مَنْ يُفْتِيهِ، وَالْمُخْتَارُ فِي التَّقْلِيدِ: (أَنَّهُ قَبُولُ قَوْلِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِضْرَارُ عَلَى الْخَطَأِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ عَلَى عَيْنِ مَا قُبِلَ قَوْلُهُ فِيهِ).^(١)

وَيَجِبُ عَلَيْهِ الْاسْتِفْتَاءُ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ حَادِثَةٌ يَجِبُ عَلَيْهِ عِلْمُ حُكْمِهَا، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ بِلَدِهِ مَنْ يَسْتَفْتِيهِ وَجَبَ عَلَيْهِ الرَّحِيلُ إِلَى مَنْ يُفْتِيهِ، وَإِنْ بَعُدَتْ دَارُهُ، وَقَدْ رَحَلَ خَلَاتِقٌ مِنَ السَّلَفِ فِي الْمَسْأَلَةِ الْوَاحِدَةِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ.

"الثَّانِيَةُ" يَجِبُ عَلَيْهِ قَطْعًا الْبَحْثُ الَّذِي يُعْرِفُ بِهِ أَهْلِيَّةُ مَنْ يَسْتَفْتِيهِ لِلِإِفْتَاءِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَارِفًا بِأَهْلِيَّتِهِ.

فَلَا يَجُوزُ لَهُ اسْتِفْتَاءُ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى الْعِلْمِ، وَانْتَصَبَ لِلتَّدْرِيسِ وَالِإِقْرَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَاصِبِ الْعُلَمَاءِ، بِمُجَرَّدِ انْتِسَابِهِ وَانْتِصَابِهِ لِذَلِكَ.

وَيَجُوزُ اسْتِفْتَاءُ مَنْ اسْتَفَاضَ كَوْنَهُ أَهْلًا لِلْفَتْوَى.

وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الْمُتَأَخِّرِينَ: إِنَّمَا يُعْتَمَدُ قَوْلُهُ: أَنَا أَهْلٌ لِلْفَتْوَى لَا شُهْرَتُهُ بِذَلِكَ، وَلَا يُكْتَفَى بِالِاسْتِفَاضَةِ وَلَا بِالتَّوَاتُرِ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِفَاضَةَ وَالشُّهُرَةَ بَيْنَ الْعَامَّةِ لَا يُوثَقُ بِهَا، وَقَدْ يَكُونُ أَضْلُهَا التَّلْيِيسَ، وَأَمَّا التَّوَاتُرُ

(١) [فُلْكَ: وَذَكَرَ الْعَزَالِيُّ فِي "الْمُسْتَضْفَى" أَنَّ التَّقْلِيدَ هُوَ (قَبُولُ قَوْلِ بَعْضِ حُجَّةٍ)].

فَلَا يُفِيدُ الْعِلْمَ إِذَا لَمْ يَسْتَنْدِ إِلَى مَعْلُومٍ مَحْسُوسٍ .
 وَالصَّحِيحُ هُوَ الْأَوَّلُ ، لِأَنَّ إِقْدَامَهُ عَلَيْهَا إِخْبَارٌ مِنْهُ بِأَهْلِيَّتِهِ ، فَإِنَّ
 الصُّورَةَ مَفْرُوضَةٌ فِيمَنْ وَثِقَ بِدَيَانَتِهِ ،
 وَيَجُوزُ اسْتِفْتَاءُ مَنْ أَخْبَرَ الْمَشْهُورَ الْمَذْكُورَ بِأَهْلِيَّتِهِ ؛
 قَالَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الْمُصَنِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَغَيْرُهُ : يُقْبَلُ فِي أَهْلِيَّتِهِ خَبَرُ
 الْعَدْلِ الْوَاحِدِ .

قَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَيَسْبَحِي أَنْ نَشْتَرِطَ فِي الْمُخْبِرِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ
 وَالْبَصَرِ مَا يُمَيِّزُ بِهِ الْمُتَلَبِّسَ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَا يَتَّخِذُ فِي ذَلِكَ عَلَى خَبَرِ آحَادٍ
 الْعَامَّةِ ، لِكَثْرَةِ مَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِمْ مِنَ التَّلْبِيسِ فِي ذَلِكَ .
 وَإِذَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ فَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَجُوزُ اسْتِفْتَاؤُهُمْ : فَهَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ
 الْاجْتِهَادُ فِي أَعْلَمِهِمْ ؟ وَالْبَحْثُ عَنِ الْأَعْلَمِ وَالْأَوْرَعِ وَالْأَوْثَقِ لِيُقْلَدَهُ دُونَ
 غَيْرِهِ فِيهِ ؟ وَجَهَانِ .

"أَحَدُهُمَا" : لَا يَجِبُ ، بَلْ لَهُ اسْتِفْتَاءُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ ؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ
 أَهْلٌ ، وَقَدْ أَسْقَطْنَا الْاجْتِهَادَ عَنِ الْعَامِّيِّ ، وَهَذَا الْوَجْهُ هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ
 أَصْحَابِنَا الْعِرَاقِيِّينَ .

"وَالثَّانِي" : يَجِبُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُهُ هَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْاجْتِهَادِ بِالْبَحْثِ
 وَالسُّؤَالِ ، وَشَوَاهِدِ الْأَحْوَالِ . وَهَذَا الْوَجْهُ قَوْلُ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ .
 وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ وَهُوَ الظَّاهِرُ مِنْ حَالِ الْأَوَّلِينَ .

قَالَ أَبُو عَمْرٍو: لَكِنْ مَتَى اِطَّلَعَ عَلَى الْأَوْتَى، فَلَا ظَهْرَ أَنَّهُ يَلْزَمُهُ تَقْلِيدُهُ، كَمَا يَجِبُ تَقْدِيمُ أَرْجَحِ الدَّلِيلَيْنِ، وَأَوْثَقِ الرِّوَايَتَيْنِ، لَعَلِّي هَذَا يَلْزَمُهُ تَقْلِيدُ الْأَوْرَعِ مِنَ الْعَالِمِينَ، وَالْأَعْلَمِ مِنَ الْوَرَعِينَ، لِإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا أَعْلَمَ، وَالْآخَرُ أَوْرَعٌ، قَلَّدَ الْأَعْلَمَ عَلَى الْأَصَحِّ، وَفِي جَوَازِ تَقْلِيدِ الْمَيِّتِ وَجْهَانِ:

الصَّحِيحُ: جَوَازُهُ؛ لِأَنَّ الْمَذَاهِبَ لَا تَمُوتُ بِمَوْتِ أَصْحَابِهَا، وَلِهَذَا يُعْتَدُّ بِهَا بَعْدَهُمْ فِي الْإِجْمَاعِ وَالْخِلَافِ، وَلِأَنَّ مَوْتَ الشَّاهِدِ قَبْلَ الْحُكْمِ لَا يَمْنَعُ الْحُكْمَ بِشَهَادَتِهِ بِخِلَافِ فُسْقِهِ.

وَالثَّانِي: لَا يَجُوزُ لِفَوَاتِ أَهْلِيَّتِهِ كَالْفَاسِقِ، وَهَذَا ضَعِيفٌ لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ.

"الثَّالِثُ": هَلْ يَجُوزُ لِلْعَامِّي أَنْ يَتَخَيَّرَ وَيُقَلِّدَ أَيَّ مَذْهَبٍ شَاءَ؟

قَالَ الشَّيْخُ: يُنْظَرُ، إِنْ كَانَ مُتَنَسِّبًا إِلَى مَذْهَبٍ بَنَيْنَاهُ عَلَى وَجْهَيْنِ حَكَاهُمَا الْقَاضِي حُسَيْنٌ فِي أَنَّ الْعَامِّيَّ هَلْ لَهُ مَذْهَبٌ أَمْ لَا؟ (أَحَدُهُمَا) لَا مَذْهَبَ لَهُ؛ لِأَنَّ الْمَذْهَبَ لِعَارِفِ الْأَدِلَّةِ فَعَلَى هَذَا لَهُ أَنْ يَسْتَفْتِيَ مَنْ شَاءَ مِنْ حَنْفِيٍّ وَشَافِعِيٍّ وَغَيْرِهِمَا.

(وَالثَّانِي) وَهُوَ الْأَصَحُّ عِنْدَ الْقُقَالِ لَهُ مَذْهَبٌ فَلَا يَجُوزُ لَهُ مُحَالَفَتُهُ. وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي، الْمُفْتِي الْمُتَنَسِّبِ مَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُخَالَفَ إِمَامَهُ فِيهِ،

وَأِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَّسِبًا بَيْنِي عَلَى وَجْهَيْنِ حَكَاهُمَا ابْنُ بَرَّهَانَ: فِي أَنَّ
الْعَامِّيَّ هَلْ يُلْزَمُهُ أَنْ يَتَمَذَّهَبَ بِمَذْهَبٍ مُعَيَّنٍ؟ يَأْخُذُ بِرُخْصِهِ وَعَزَائِمِهِ؟

"أَحَدُهُمَا" لَا يُلْزَمُهُ كَمَا لَمْ يُلْزَمُهُ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ أَنْ يَخُصَّ بِتَقْلِيدِهِ
عَالِمًا بِعَيْنِهِ، فَعَلَى هَذَا هَلْ لَهُ أَنْ يَسْتَفْتِيَ مَنْ شَاءَ؟ أَمْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْبَحْثُ
عَنْ أَشَدِّ الْمَذَاهِبِ وَأَصَحِّهَا أَضْلًا لِيُقَلِّدَ أَهْلَهُ؟ فِيهِ وَجْهَانِ مَذْكُورَانِ
كَالْوَجْهَيْنِ السَّابِقَيْنِ فِي الْبَحْثِ عَنْ الْأَعْلَمِ وَالْأَوْثَقِ مِنَ الْمُتَشَكِّكِينَ.

"وَالثَّانِي": يُلْزَمُهُ وَبِهِ قَطَعَ أَبُو الْحَسَنِ إِيكِيَا^(١)، وَهُوَ جَارٍ فِي كُلِّ مَنْ
لَمْ يَبْلُغْ رُبَّةَ الاجْتِهَادِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَصْحَابِ سَائِرِ الْعُلُومِ، وَوَجْهُهُ أَنَّهُ لَوْ
جَازَ اتِّبَاعُ أَيِّ مَذْهَبٍ شَاءَ لَأَفْضَى إِلَى أَنْ يَلْتَقِطَ رُخْصَ الْمَذَاهِبِ مُتَّبِعًا
هَوَاهُ، وَيَتَخَيَّرَ بَيْنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ وَالْوُجُوبِ وَالْجَوَازِ. وَذَلِكَ يُؤَدِّي
إِلَى انْحِلَالِ رِبْقَةِ التَّكْلِيفِ بِخِلَافِ الْعَصْرِ الْأَوَّلِ،

فَإِنَّهُ لَمْ تَكُنْ الْمَذَاهِبُ الْوَاقِفَةُ بِأَحْكَامِ الْحَوَادِثِ مُهَذَّبَةً وَعُرِفَتْ، فَعَلَى
هَذَا يُلْزَمُهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي اخْتِيَارِ مَذْهَبٍ يُقَلِّدُهُ عَلَى التَّعْيِينِ، وَنَحْنُ نُمَهِّدُ لَهُ
طَرِيقًا يَسْلُكُهُ فِي اجْتِهَادِهِ سَهْلًا، فَتَقُولُ:

أَوَّلًا: لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَّبِعَ فِي ذَلِكَ مُجَرَّدَ التَّشَهِّيِّ، وَالْمِيلَ إِلَى مَا وَجَدَ
عَلَيْهِ آبَاءَهُ، وَلَيْسَ لَهُ التَّمَذُّبُ بِمَذْهَبٍ أَحَدٍ مِنْ أَيْمَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَغَيْرِهِمْ
مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَإِنْ كَانُوا أَعْلَمَ وَأَعْلَى دَرَجَةٍ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَفَرَّغُوا

(١) [فِي لُغَةِ الْفَرَسِ: الْكَبِيرُ].

لِتَدْوِينِ الْعِلْمِ وَضَبْطِ أَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مَذْهَبٌ مُهَذَّبٌ مُحَرَّرٌ مُقَرَّرٌ، وَإِنَّمَا قَامَ بِذَلِكَ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ النَّاحِلِينَ لِمَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، الْقَائِمِينَ بِتَمْهِيدِ أَحْكَامِ الْوَقَائِعِ قَبْلَ وَقُوعِهَا، النَّاهِضِينَ بِإِضْحَاحِ أَصُولِهَا وَفُرُوعِهَا، كَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمَا. وَلَمَّا كَانَ الشَّافِعِيُّ قَدْ تَأَخَّرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ فِي الْعَصْرِ. وَنَظَرَ فِي مَذَاهِبِهِمْ نَحْوَ نَظَرِهِمْ فِي مَذَاهِبِ مَنْ قَبْلَهُمْ، فَسَبَّرَهَا وَخَبَّرَهَا وَانْتَقَدَهَا. وَاخْتَارَ أَرْجَحَهَا، وَوَجَدَ مَنْ قَبْلَهُ قَدْ كَفَاهُ مُؤَنَةُ التَّصْوِيرِ وَالتَّأْصِيلِ. فَتَمَرَّعَ لِلِاخْتِيَارِ وَالتَّرْجِيحِ، وَالتَّكْمِيلِ وَالتَّنْقِيحِ، مَعَ مَعْرِفَتِهِ، وَبِرَاعَتِهِ فِي الْعُلُومِ. وَتَرَجَّحَ فِي ذَلِكَ عَلَى مَنْ سَبَقَهُ، ثُمَّ لَمْ يُوْجَدْ بَعْدَهُ مَنْ بَلَغَ مَحَلَّهُ فِي ذَلِكَ. كَانَ مَذْهَبُهُ أَوَّلَى الْمَذَاهِبِ بِالِاتِّبَاعِ وَالتَّقْلِيدِ، وَهَذَا مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِنْصَافِ، وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْقَدَحِ فِي أَحَدِ الْأَئِمَّةِ جَلِيِّ وَاضِحٍ، إِذَا تَأَمَّلَهُ الْعَامِّيُّ قَادَهُ إِلَى اخْتِيَارِ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَالتَّمَذُّبِ بِهِ^(١).

"الرَّابِعَةُ" : إِذَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ فُتَوَى مُفْتَيْنِ فِيهِ خَمْسَةُ أَوْجُهٍ لِلْأَصْحَابِ.

أَحَدُهَا : يَأْخُذُ بِأَغْلَظِهِمَا وَالثَّانِي : بِأَخْفَهُمَا، وَالثَّلَاثُ : يَجْتَهِدُ فِي الْأَوَّلَى فَيَأْخُذُ بِفُتَوَى الْأَعْلَمِ الْأَوْرَعِ، وَالرَّابِعُ : يَسْأَلُ مُفْتِيًا آخَرَ فَيَأْخُذُ بِفُتَوَى مَنْ وَافَقَهُ، وَالْخَامِسُ : يَتَخَيَّرُ فَيَأْخُذُ بِقَوْلِ أَيُّهُمَا شَاءَ وَهَذَا هُوَ الْأَصَحُّ عِنْدَ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيِّ، وَعِنْدَ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ، وَعَنْ أَكْثَرِ

(١) [ثُلُثٌ : وَكَذَا يُقَالُ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ].

أَصْحَابِنَا. وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو: الْمُخْتَارُ: أَنْ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْأَرْجَحِ فَيَعْمَلَ بِهِ فَإِنَّهُ حُكْمُ التَّعَارُضِ فَيَبْحَثُ عَنِ الْأَوْثَقِ مِنَ الْمُفْتَيْنِ فَيَعْمَلُ بِفَتْوَاهُ، وَإِنْ لَمْ يَتَرَجَّحْ عِنْدَهُ أَحَدُهُمَا اسْتَفْتَى آخَرَ، وَعَمِلَ بِفَتْوَى مَنْ وَافَقَهُ، فَإِنْ تَعَدَّرَ ذَلِكَ وَكَانَ اخْتِلَافُهُمَا فِي التَّحْرِيمِ وَالْإِبَاحَةِ، وَقَبْلَ الْعَمَلِ، اخْتَارَ التَّحْرِيمَ، فَإِنَّهُ أَحْوَطٌ، وَإِنْ تَسَاوَيَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ خَيْرَنَاهُ بَيْنَهُمَا، وَإِنْ أَبَيْنَا التَّخْيِيرَ فِي غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ ضَرُورَةٌ وَفِي صُورَةٍ نَادِرَةٍ.

قَالَ الشَّيْخُ: ثُمَّ إِنَّمَا نَخَاطِبُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ الْمُفْتَيْنَ، وَأَمَّا الْعَامِّي الَّذِي وَقَعَ لَهُ فَحُكْمُهُ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ ذَلِكَ ذِينَكَ الْمُفْتَيْنِ أَوْ مُفْتًى آخَرَ وَقَدْ أَرْشَدَنَا الْمُفْتَى إِلَى مَا يُجِيبُهُ بِهِ وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ الشَّيْخُ لَيْسَ بِقَوِيٍّ.

بَلْ الْأَظْهَرُ أَحَدُ الْأَوْجُوِّ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ: الثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ، وَالْخَامِسُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْخَامِسَ أَظْهَرُهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْاجْتِهَادِ، وَإِنَّمَا فَرَضُهُ أَنْ يُقَلَّدَ عَالِمًا أَهْلًا لِذَلِكَ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ بِأَخْذِهِ بِقَوْلٍ مَنْ شَاءَ مِنْهُمَا وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا نَصَّ عَلَيْهِ فِي الْقِبْلَةِ [وَهُوَ: أَنْ يَجْتَهِدَ فَيَأْخُذَ بِفَتْوَى الْأَعْلَمِ الْأَوْرَعِ]: أَنَّ أَمَارَتَهَا حِسِّيَّةٌ فَإِذَا رَأَى صَوَابَهَا أَقْرَبُ، فَيُظْهِرُ التَّفَاوُتَ بَيْنَ الْمُجْتَهِدِينَ فِيهَا، وَالْفَتْاوَى أَمَارَتُهَا مَعْنَوِيَّةٌ فَلَا يَظْهَرُ كَبِيرُ تَفَاوُتٍ بَيْنَ الْمُجْتَهِدِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

"الْخَامِسُ": قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ إِلَّا مُنْتَبِ وَاحِدٌ فَأَلْفَتْهُ لِرَبِّهِ فُتْوَاهُ.

وَقَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ - رحمته الله إِذَا سَمِعَ الْمُسْتَفْتِي جَوَابَ الْمُفْتِي لَمْ يَلْزَمُهُ الْعَمَلُ بِهِ إِلَّا بِالتَّزَامِهِ، قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ يَلْزَمُهُ إِذَا أَخَذَ فِي الْعَمَلِ بِهِ.

وَقِيلَ: يَلْزَمُهُ إِذَا وَقَعَ فِي نَفْسِهِ صِحَّتُهُ قَالَ السَّمْعَانِيُّ: وَهَذَا أَوْلَى الْأَوْجُه.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو: لَمْ أَجِدْ هَذَا لِغَيْرِهِ، وَقَدْ حَكَى هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ الْأُصُولِيِّينَ أَنَّهُ إِذَا أَفْتَاهُ بِمَا هُوَ مُخْتَلِفٌ فِيهِ خَيْرُهُ بَيْنَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ ثُمَّ اخْتَارَ هُوَ أَنَّهُ يَلْزَمُهُ الْاجْتِهَادُ فِي أَعْيَانِ الْمُفْتِينَ وَيَلْزَمُهُ الْأَخْذُ بِفُتْيَا مَنْ اخْتَارَهُ بِاجْتِهَادِهِ

قَالَ الشَّيْخُ: وَالَّذِي تَقْتَضِيهِ الْقَوَاعِدُ أَنْ نُفْصَلَ فنَقُولُ: إِذَا أَفْتَاهُ الْمُفْتِي نَظَرَ:

فَإِنْ لَمْ يُوَجِدْ مُفْتًى آخَرَ لَزِمَهُ الْأَخْذُ بِفُتْيَاهُ، وَلَا يَتَوَقَّفُ ذَلِكَ عَلَى التَّزَامِهِ لَا بِالْأَخْذِ فِي الْعَمَلِ بِهِ وَلَا بِغَيْرِهِ، وَلَا يَتَوَقَّفُ أَيْضًا عَلَى سُكُونِ نَفْسِهِ إِلَى صِحَّتِهِ.

وَإِنْ وَجَدَ مُفْتًى آخَرَ؛ فَإِنْ اسْتَبَانَ أَنَّ الَّذِي أَفْتَاهُ هُوَ الْأَعْلَمُ الْأَوْثَقُ لَزِمَهُ مَا أَفْتَاهُ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَبِنْ ذَلِكَ لَمْ يَلْزَمَهُ مَا أَفْتَاهُ بِمَجَرَّدِ إِفْتَائِهِ إِذْ يَجُوزُ لَهُ اسْتِفْتَاءُ غَيْرِهِ وَتَقْلِيدُهُ، وَلَا يَعْلَمُ اتِّفَاقَهُمَا فِي الْفُتُوى، فَإِنْ وَجَدَ الْإِتِّفَاقَ أَوْ حَكَمَ بِهِ عَلَيْهِ حَاكِمٌ لَزِمَهُ حَيْثُ دُ.

"السادسة" : إِذَا اسْتَفْتَى فَأُلْفِي ثُمَّ حَدَّثْتَ تِلْكَ الْوَاقِعَةَ لَهُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَهَلْ يَلْزَمُهُ تَجْدِيدُ السُّؤَالِ ؟ فِيهِ وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا : يَلْزَمُهُ ؛ لِاحْتِمَالِ ، تَغْيِيرِ رَأْيِ الْمُفْتَى ، وَالثَّانِي : لَا يَلْزَمُهُ وَهُوَ الْأَصَحُّ ، ؛ لِأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ الْحُكْمَ الْأَوَّلَ ، وَالْأَصْلُ اسْتِمْرَارُ الْمُفْتَى عَلَيْهِ .

"السابعة" : وَلَهُ أَنْ يَسْتَفِي بِنَفْسِهِ وَلَهُ أَنْ يَبْعَثَ نَفْسَهُ يُعْتَمِدُ خَبْرَهُ لِيَسْتَفِي لَهُ وَلَهُ الْإِعْتِمَادُ عَلَى خَطِّ الْمُفْتَى إِذَا أَخْبَرَهُ مَنْ يَثِقُ بِقَوْلِهِ أَنَّهُ خَطَّاهُ ، أَوْ كَانَ يَعْرِفُ خَطَّاهُ وَلَمْ يَتَشَكَّكَ فِي كَوْنِ ذَلِكَ الْجَوَابِ بِخَطِّهِ .

"الثامنة" : يَنْبَغِي لِلْمُسْتَفْتَى أَنْ يَتَأَدَّبَ مَعَ الْمُفْتَى وَيُجِلِّهَ فِي خِطَابِهِ وَجَوَابِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَلَا يُؤَمِّئَ بِيَدِهِ فِي وَجْهِهِ ، وَلَا يَقُلْ لَهُ مَا تَحْفَظُ فِي ، كَذَا؟ أَوْ مَا مَذْهَبُ إِمَامِكَ أَوْ الشَّافِعِيِّ فِي كَذَا؟ وَلَا يَقُلْ إِذَا أَجَابَهُ : هَكَذَا قُلْتُ أَنَا ، أَوْ كَذَا وَقَعَ لِي . وَلَا يَقُلْ : أَقْتَانِي فُلَانٌ أَوْ غَيْرُكَ بِكَذَا ، وَلَا يَقُلْ : إِنْ كَانَ جَوَابُكَ مُوَافِقًا لِمَنْ كَتَبَ فَارْتَبْ وَإِلَّا فَلَا تَكْتُبْ ، وَلَا يَسْأَلُهُ وَهُوَ قَائِمٌ أَوْ مُسْتَوْفِزٌ أَوْ عَلَى حَالَةٍ ضَجِرٍ أَوْ هَمٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُشْغِلُ الْقَلْبَ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْدَأَ بِالْأَسَنِ الْأَعْلَمِ مِنَ الْمُفْتَيْنِ ، وَبِالْأَوَّلَى فَلِأَوَّلَى إِنْ أَرَادَ جَمْعَ الْأَجُوبَةِ فِي رُقْعَةٍ ، فَإِنْ أَرَادَ إِفْرَادَ الْأَجُوبَةِ فِي رِقَاعٍ بَدَأَ بِمَنْ شَاءَ ، وَتَكُونُ رُقْعَةُ الْإِسْتِفْتَاءِ وَاسِعَةً ، لِيَتِمَكَّنَ الْمُفْتَى مِنْ اسْتِيفَاءِ الْجَوَابِ وَاضِحًا ، لَا مُحْتَصِرًا مُضِرًّا بِالْمُسْتَفْتَى . وَلَا يَدْعُ الدُّعَاءَ فِي رُقْعَةٍ لِمَنْ يَسْتَفْتِيهِ .

قَالَ الصَّيْمَرِيُّ فَإِنْ اقْتَصَرَ عَلَى فَتْوَى وَاحِدٍ قَالَ: مَا تَقُولُ - رَحِمَكَ اللَّهُ -؟ أَوْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ - أَوْ وَفَّقَكَ اللَّهُ، وَسَدَّدَكَ وَرَضِيَ عَنْكَ وَالِدَيْكَ؟ وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يَقُولَ: رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ.

وَإِنْ أَرَادَ جَوَابَ جَمَاعَةٍ قَالَ: مَا تَقُولُونَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ؟ أَوْ مَا تَقُولُ الْفُقَهَاءُ - سَدَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى -؟ وَيَنْدَفِعُ الرُّفْعَةُ إِلَى الْمُفْتِي مَنْشُورَةً، وَيَأْخُذُهَا مَنْشُورَةً فَلَا يُحَوِّجُهُ إِلَى نَشْرِهَا وَلَا إِلَى طَيِّهَا.

"التَّاسِعَةُ": يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَاتِبُ الرُّفْعَةِ مِمَّنْ يُحْسِنُ السُّؤَالَ، وَيَضَعُهُ عَلَى الْغَرَضِ مَعَ إِبَانَةِ الْخَطِّ وَاللَّفْظِ وَصِيَانَتِهِمَا عَمَّا يَتَعَرَّضُ لِلتَّضْحِيفِ.

قَالَ الصَّيْمَرِيُّ: يَحْرِصُ أَنْ يَكُونَ كَاتِبُهَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَانَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِمَّنْ لَهُ رِيَّاسَةٌ لَا يُفْتَى إِلَّا فِي رُفْعَةٍ كَتَبَهَا رَجُلٌ بَعِيْنُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِلَدِهِ، وَيَنْبَغِي لِلْعَامِّيِّ أَنْ لَا يُطَالِبَ الْمُفْتِيَّ بِالْأَدْلِيلِ، وَلَا يَقُلَ: لِمَ قُلْتَ؟ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْكُنَ نَفْسُهُ لِسَمَاعِ الْحُجَّةِ طَلَبَهَا فِي مَجْلِسٍ آخَرَ، أَوْ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ بَعْدَ قَبُولِ الْفَتْوَى مُجَرَّدَةً. وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ: لَا يُمْنَعُ مَنْ طَلَبَ الدَّلِيلَ، وَأَنَّهُ يَلْزَمُ الْمُفْتِيَّ أَنْ يَذْكُرَ لَهُ الدَّلِيلَ إِنْ كَانَ مَقْطُوعًا بِهِ، وَلَا يَلْزَمُهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَقْطُوعًا بِهِ لِإِفْتِقَارِهِ إِلَى اجْتِهَادٍ يَقْصُرُ فَهْمُ الْعَامِّيِّ عَنْهُ، وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ.

"الْعَاشِرَةُ": إِذَا لَمْ يَجِدْ صَاحِبَ الْوَاقِعَةِ مُفْتِيًّا وَلَا أَحَدًا يَقُولُ لَهُ حُكْمٌ وَاقِعَتِهِ لَا فِي بَلَدِهِ وَلَا غَيْرِهِ قَالَ الشَّيْخُ: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ فَتْرَةِ الشَّرِيعَةِ

الْأُصُولِيَّةِ، وَحُكْمُهَا حُكْمُ مَا قَبْلَ وَرُودِ الشَّرْعِ، وَالصَّحِيحُ فِي كُلِّ ذَلِكَ الْقَوْلُ بِإِتِّفَاعِ التَّكْلِيفِ عَنِ الْعَبْدِ، وَأَنَّهُ لَا يَثْبُتُ فِي حَقِّهِ حُكْمٌ لَا إِجَابَ وَلَا تَحْرِيمَ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ، فَلَا يُؤَاخَذُ إِذَنْ صَاحِبُ الْوَاقِعَةِ بِأَيِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ فِيهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ":

بَابٌ فِي فُصُولٍ مُهِمَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِالْمُهَذَّبِ وَيَدْخُلُ كَثِيرٌ مِنْهَا وَأَكْثَرُهَا فِي غَيْرِهِ أَيْضًا:

فَصَلِّ: إِذَا قَالَ الصَّاحِبِيُّ قَوْلًا وَلَمْ يُخَالِفْهُ غَيْرُهُ، وَلَمْ يَتَشَرَّ فَلَيْسَ هُوَ إِجْمَاعًا،

وَهَلْ هُوَ حُجَّةٌ؟ الصَّحِيحُ الْجَدِيدُ: أَنَّهُ لَيْسَ بِحُجَّةٍ.

فَإِنَّمَا إِذَا اخْتَلَفَتِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى قَوْلَيْنِ فَيُنَبِّئُنِي عَلَى مَا تَقَدَّمَ، فَإِنْ قُلْنَا بِالْجَدِيدِ لَمْ يَجْزُ تَقْلِيدُ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، بَلْ يَطْلُبُ الدَّلِيلُ، وَإِنْ قُلْنَا بِالْقَدِيمِ فَهُمَا دَلِيلَانِ تَعَارَضَا فَيَرْجَحُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ، فَإِنْ اسْتَوَى الْعَدَدُ قُدِّمَ بِالْأَيْمَةِ، فَيُقَدَّمُ مَا عَلَيْهِ إِمَامٌ مِنْهُمْ عَلَى مَا لَا إِمَامَ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ عَلَى أَحَدِهِمَا أَكْثَرُ عَدَدًا وَعَلَى الْآخَرِ أَقَلُّ إِلَّا أَنْ مَعَ الْقَلِيلِ إِمَامًا فَهُمَا سَوَاءٌ.

فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي الْعَدَدِ وَالْأَيْمَةِ إِلَّا أَنْ فِي أَحَدِهِمَا أَحَدَ الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَفِي الْآخَرِ غَيْرُهُمَا فَفِيهِ وَجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا، أَحَدُهُمَا:

أَنَّهُمَا سَوَاءٌ. وَالثَّانِي: يُقَدَّمُ مَا فِيهِ أَحَدُ الشَّيْخَيْنِ. هَذَا كُلُّهُ إِذَا لَمْ يَنْتَشِرْ قَوْلُ الصَّحَابِيِّ.

فَأَمَّا إِذَا انْتَشَرَ:

فَإِنْ حُورِلَتْ فَحُكْمُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ،

وَإِنْ لَمْ يُخَالَفْ فَفِيهِ خَمْسَةُ أَوْجُهٍ، الْأَرْبَعَةُ الْأُولَى ذَكَرَهَا أَصْحَابُنَا الْعِرَاقِيُّونَ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ حُجَّةٌ وَإِجْمَاعٌ، قَالَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ: هَذَا الْوَجْهُ هُوَ الْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ حُجَّةٌ وَلَيْسَ بِإِجْمَاعٍ.

وَالثَّالِثُ: إِنْ كَانَ فُتِيَ فَعِنْدَهُ فَسَكَتُوا عَنْهُ فَهُوَ حُجَّةٌ، وَإِنْ كَانَ حُكْمُ إِمَامٍ أَوْ حَاكِمٍ فَلَيْسَ بِحُجَّةٍ.

وَالرَّابِعُ: ضِدُّ هَذَا أَنَّهُ إِنْ كَانَ الْقَائِلُ حَاكِمًا أَوْ إِمَامًا كَانَ إِجْمَاعًا، وَإِنْ كَانَ فُتِيَ لَمْ يَكُنْ إِجْمَاعًا، وَدَلِيلُهُ أَنَّ الْحُكْمَ لَا يَكُونُ غَالِبًا إِلَّا بَعْدَ مَشُورَةٍ وَمُبَاحَثَةٍ وَمُنَازَعَةٍ، وَيَنْتَشِرُ انْتِشَارًا ظَاهِرًا، وَالْفُتْيَا تُخَالِفُ هَذَا.

وَالْخَامِسُ: وَهُوَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ الْغَزَالِيِّ فِي "الْمُسْتَصْفَى": أَنَّهُ لَيْسَ

بِإِجْمَاعٍ وَلَا حُجَّةٍ.

ثُمَّ ظَاهِرُ كَلَامِ جُمْهُورِ أَصْحَابِنَا أَنَّ الْقَائِلَ الْقَوْلَ الْمُتَشِيرَ مِنْ غَيْرِ

مُخَالَفَةً لَوْ كَانَ تَابِعِيًّا أَوْ غَيْرَهُ مِمَّنْ بَعْدَهُ، فَحُكْمُهُ حُكْمُ الصَّحَابِيِّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَوْجِهِ الْخَمْسَةِ.

قَالَ صَاحِبُ الشَّامِلِ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ يَكُونُ إِجْمَاعًا، وَهَذَا الَّذِي صَحَّحَهُ هُوَ الصَّحِيحُ. فَإِنَّ التَّابِعِيَّ كَالصَّحَابِيِّ فِي هَذَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ انْتَشَرَ وَبَلَغَ الْبَاقِينَ، وَلَمْ يُخَالِفُوا فَكَانُوا مُجْمِعِينَ، وَإِجْمَاعُ التَّابِعِينَ كإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ. وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَنْتَشِرْ قَوْلُ التَّابِعِيِّ فَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَيْسَ بِحُجَّةٍ ^(١).

نُضِلُّ:

قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحَدِيثُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ، صَحِيحٌ، وَحَسَنٌ، وَضَعِيفٌ. قَالُوا: وَإِنَّمَا يَجُوزُ الْاِخْتِجَاجُ مِنَ الْحَدِيثِ فِي الْأَحْكَامِ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَوْ الْحَسَنِ.

فَأَمَّا الضَّعِيفُ فَلَا يَجُوزُ الْاِخْتِجَاجُ بِهِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْعَقَائِدِ وَتَجُوزُ

(١) [قُلْتُ: قَالَ فِي "الْمَرَاقِي":

يَكُونُ حُجَّةً بِوَفْقِ مَنْ خَلَا	[٨٣٤] رَأْيُ الصَّحَابِيِّ عَلَى الْأَصْحَابِ لَا
وَمَا مُخَالَفٌ لَهُ قَطُّ ظَهَرَ	[٨٣٥] فِي غَيْرِهِ ثَالِثُهَا إِنْ انْتَشَرَ
مِنْهُمْ لَدَى تَحَقُّقِ الْمُتَعَمِّدِ	[٨٣٦] وَيَقْتَدِي مَنْ عَمَّ بِالْمُجْتَهِدِ
لَهُ مِنْ أَهْلِ الْاِجْتِهَادِ أَحَدٌ	[٨٣٧] وَالتَّابِعِيُّ فِي الرَّأْيِ لَا يُقَلَّدُ
مِنْهُ بِمَعْنَى النَّصِّ وَمَا يُحْظَلُّ	[٨٣٨] مَنْ لَمْ يَكُنْ مُجْتَهِدًا فَالْعَمَلُ

رِوَايَتُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ فِي غَيْرِ الْأَحْكَامِ كَالْقَصَصِ، وَفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ،
وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ،

فَالصَّحِيحُ مَا اتَّصَلَ سَنَدُهُ بِنَقْلِ الْعَدْلِ الضَّابِطِ عَنْ مِثْلِهِ، مِنْ غَيْرِ شُدُوذٍ
وَلَا عِلَّةٍ^(١).

وَلِي الشَّاذُّ خِلَافٌ:

مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَالْمُحَقِّقِينَ أَنَّهُ: (رِوَايَةُ الشُّقْرِ مَا يُخَالِفُ الثَّقَاتِ).

(١) [قُلْتُ: قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ

أَنَامُ الْحَبِيبِ

١١. وَأَهْلُ هَذَا الشَّانِ قَسَمُوا السُّنَنَ
١٢. فَأَلَاوُلُ الْمُتَّصِلُ الْإِسْنَادِ
١٣. عَنْ مِثْلِهِ مِنْ غَيْرِ مَا شُدُوذٍ
١٤. وَبِالصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ قَصَدُوا
١٥. إِمْسَاكَنَا عَنْ حُكْمِنَا عَلَى سَنَدٍ
١٦. خُصَّ بِهِ قَوْمٌ فَقِيلَ مَالِكُ
١٧. مَوْلَاهُ وَاخْتَرَحِيْتُ عَنْهُ يُسْنَدُ
١٨. وَجَزَمَ ابْنُ حَنْبَلٍ بِالرُّهْرِيِّ
١٩. وَقِيلَ: زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَنْ أَبِيهِ
٢٠. أَوْ قَائِنُ سَيْرِينَ عَنِ السَّلْمَانِيِّ
٢١. النَّخَعِيِّ عَنِ ابْنِ قَيْسٍ عَلَقَمَهُ
- إِلَى صَحِيحٍ وَضَعِيفٍ وَحَسَنٍ
- بِنَقْلِ عَدْلٍ ضَابِطِ الْفُؤَادِ
- وَعِلَّةٍ قَادِحَةٍ فَتُوذِي
- فِي ظَاهِرٍ لَا الْقَطْعَ، وَالْمُعْتَمَدُ
- بِأَنَّهُ أَصَحُّ مُطْلَقًا، وَقَدْ
- عَنْ نَافِعٍ بِمَا رَوَاهُ النَّاسِكُ
- الشَّافِعِيُّ قُلْتُ: وَعَنْهُ أَحْمَدُ
- عَنْ سَالِمٍ أَيْ: عَنْ أَبِيهِ الْبَرِّ
- عَنْ جَدِّهِ وَابْنِ شِهَابٍ عَنْهُ بِهِ
- عَنْهُ أَوْ الْأَعْمَشُ عَنْ ذِي الشَّانِ
- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَلَمْ مِنْ عَمَمَةٍ

وَمَذْهَبُ جَمَاعَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَذْهَبُ أَكْثَرِهِمْ: إِنَّهُ
(رَوَايَةُ الثَّقَةِ مَا لَمْ يَرَوْهُ الثَّقَاتُ) وَهَذَا ضَعِيفٌ^(١).

قال النووي: وَأَمَّا الْعِلَّةُ: (فَسَعَى خَفِيٌّ فِي الْحَدِيثِ، قَادِحٌ فِيهِ، ظَاهِرُهُ
السَّلَامَةُ مِنْهُ، إِنَّمَا يَعْرِفُهُ الْحَذَّاقُ الْمُتَّقُونَ)، الْعَوَاضُونَ عَلَى الدَّقَائِقِ^(٢).

(١) قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ:

الشَّاذُّ

١٦١. وَذُو الشُّذُودِ: مَا يُخَالِفُ الثَّقَّةَ فِيهِ الْمَلَا فَالشَّافِعِيُّ حَقَّقَهُ
وَالْخَلِيلِيُّ مُفْرَدُ الرَّاوي فَقَطْ
١٦٢. وَالْحَاكِمُ الْخِلَافَ فِيهِ مَا اشْتَرَطَ
وَرَدَّ مَا قَالَ بِفَرْدِ الثَّقَةِ
١٦٣. وَقَوْلُ مُسْلِمٍ: رَوَى الزُّهْرِيُّ
وَاخْتَارَ فِيمَا لَمْ يُخَالِفْ أَنْ مَنْ
١٦٤. أَوْ بَلَغَ الضَّبْطُ فَصَحَّحَ أَوْ بَعْدَ
١٦٥. عَنْهُ فِيمَا شَذَّ فَاطْرَحَهُ وَرَدَّ
١٦٦. فِيهِ الْمَلَا فَالشَّافِعِيُّ حَقَّقَهُ
وَالْخَلِيلِيُّ مُفْرَدُ الرَّاوي فَقَطْ
كَالْتَّهْيِ عَنْ بَيْعِ الْوَلَا وَالْهَبَةِ
تَسْعِينَ فَرْدًا كُلُّهَا قَوِيٌّ
يَقْرُبُ مِنْ ضَبْطِ فَرْدِهِ حَسَنٌ
عَنْهُ فِيمَا شَذَّ فَاطْرَحَهُ وَرَدَّ

الْمُنْكَرُ

١٦٧. وَالْمُنْكَرُ: الْفَرْدُ كَذَا الْبَرْدِجِيُّ
١٦٨. إِجْرَاءُ تَفْصِيلٍ لَدَى الشُّذُودِ مَرَّ
١٦٩. نَحْوُ «كُلُّوا الْبَلَحَ بِالتَّمْرِ» الْخَبَرُ
١٧٠. قُلْتُ: فَمَاذَا؟ بَلْ حَدِيثُ «نَزْعُهُ
أُطْلِقَ، وَالصَّوَابُ فِي التَّخْرِيجِ
فَهُوَ بِمَعْنَاهُ كَذَا الشَّيْخُ ذَكَرَ
وَمَالِكٌ سَمَى ابْنَ عُثْمَانَ: عُمَرُ
خَاتَمُهُ عِنْدَ الْخَلَا وَوَضِعُهُ

(٢) قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي "الْأَلْفِيَّةِ":

الْمَعْلُولُ

١٩٣. وَسَمَّ مَا بِعِلَّةٍ مَشْمُولٌ مُعْلَلًا، وَلَا تُقْلُ: مَعْلُولٌ =

وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْحَسَنُ فَيَقْسَمَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا لَا يَخْلُو إِسْنَادُهُ مِنْ مَسْئُورٍ لَمْ يَتَحَقَّقْ أَهْلِيَّتُهُ، وَلَيْسَ مُعَفَّلًا كَثِيرَ الْخَطَأِ، وَلَا ظَهَرَ مِنْهُ سَبَبٌ مُفْسِقٌ، وَيَكُونُ مَثْنُ الْحَدِيثِ مَعْرُوفًا بِرَوَايَةِ مِثْلِهِ أَوْ نَحْوِهِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ.

- = ١٩٤. وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ اسْبَابٍ طَرَتْ
 ١٩٥. تُذَرِّكُ بِالْخِلَافِ وَالتَّفَرُّدِ
 ١٩٦. جِهَئِذَا إِلَى إِطْلَاعِهِ عَلَى
 ١٩٧. أَوْ وَقَفَ مَا يُرْفَعُ، أَوْ مَثْنٌ دَخَلَ
 ١٩٨. ظَنَّنَا مُضَى، أَوْ وَقَفَ فَاحْجَمَا
 ١٩٩. وَهِيَ نَجِيءٌ غَالِيًا فِي السَّنَدِ
 ٢٠٠. أَوْ وَقَفَ مَرْفُوعٌ، وَقَدْ لَا يَقْدَحُ
 ٢٠١. بِوَهْمٍ (يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ): أَتَدَلَا
 ٢٠٢. وَعِلَّةُ الْمَثْنِ كُنْفِي الْبَسْمَلَةِ
 ٢٠٣. وَصَحَّ أَنْ أَنْسَا يَقُولُ: (لَا
 ٢٠٤. وَكَثُرَ التَّغْلِيلُ بِالْإِرْسَالِ
 ٢٠٥. وَقَدْ يُعْلُونَ بِكُلِّ قَدَحٍ
 ٢٠٦. وَمِنْهُمْ مَنْ يُطْلِقُ اسْمَ الْعِلَّةِ
 ٢٠٧. يَقُولُ: مَعْلُودٌ صَحِيحٌ كَالَّذِي
 ٢٠٨. وَالنَّسَخَ سَمَّى (الْتَرْمِذِيُّ) عِلَّةً
- فِيهَا غُمُوضٌ وَخَفَاءٌ أَثَرَتْ
 مَعَ قَرَائِنٍ تُضْمُّ، يَهْتَدِي
 تَضُوبٍ إِرْسَالٍ لِمَا قَدْ وَصَلَا
 فِي غَيْرِهِ، أَوْ وَهْمٍ وَاهِمٍ حَصَلَ
 مَعَ كَوْنِهِ ظَاهِرُهُ أَنْ سَلِمَا
 تَقْدَحُ فِي الْمَثْنِ بِقَطْعِ مُسْنَدٍ
 (كَالْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ) صَرَّحُوا
 (عَمْرًا) بـ (عَبْدِ اللَّهِ) حِينَ تَقْلَا
 إِذْ ظَنَّ رَاوٍ نَفْيَهَا فَنَقَلَهُ
 أَحْفَظُ شَيْئًا فِيهِ) حِينَ سُئِلَا
 لِلْوَضَلِ إِنْ يَقْوَى عَلَى اتِّصَالِ
 فِسْقٍ، وَغَفْلَةٍ، وَنَوْعِ جَرْحٍ
 لَغَبِيرٍ قَادِحٍ كَوَضَلٍ ثِقَةٍ
 يَقُولُ: صَحَّ مَعَ شُدُوزِ اخْتِلَافِ
 فَإِنْ يُرَدُّ فِي عَمَلٍ فَاجْتَنَحَ لَهُ

وَالنِّسْمُ الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ رَاوِيهِ مَشْهُورًا بِالصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ إِلَّا أَنَّهُ يُقَصِّرُ فِي الْحِفْظِ وَالْإِثْقَانِ عَنْ رِجَالِ الصَّحِيحِ بَعْضَ الْقُصُورِ .
وَأَمَّا الضَّعِيفُ : فَمَا لَيْسَ فِيهِ صِفَةُ الصَّحِيحِ وَلَا صِفَةُ الْحَسَنِ ^(١) .

(١) قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي "الْفَيْهَةِ الْحَدِيثِ" :

النِّسْمُ الثَّانِي : الْحَسَنُ

٥٠. وَالْحَسَنُ الْمَعْرُوفُ مَخْرَجًا وَقَدْ
٥١. (حَمَدٌ) وَقَالَ (التِّرْمِذِيُّ) : مَا سَلِمَ
٥٢. بِكَذِبٍ وَلَمْ يَكُنْ قَرْدًا وَرَدَّ
٥٣. وَقِيلَ : مَا ضَعُفَ قَرِيبٌ مُحْتَمَلٌ
٥٤. وَقَالَ : بَانَ لِي بِإِمْعَانِ النَّظَرِ
٥٥. قِسْمًا ، وَزَادَ كَوْنَهُ مَا عُلِّلَا
٥٦. وَالْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ يَسْتَعْمِلُهُ
٥٧. وَهُوَ بِأَقْسَامِ الصَّحِيحِ مُلْحَقٌ
٥٨. فَإِنْ يُقَالُ : يُحْتَجُّ بِالضَّعِيفِ
٥٩. رَوَاتُهُ بِسُوءِ حِفْظٍ يُجْبَرُ
٦٠. وَإِنْ يَكُنْ لِكَذِبٍ أَوْ شَذًّا
٦١. أَلَا تَرَى الْمُرْسَلَ حَيْثُ أُسْنِدَا
٦٢. وَالْحَسَنُ : الْمَشْهُورُ بِالْعَدَالَةِ
٦٣. طُرُقٌ أُخْرَى نَحْوَهَا مِنَ الطُّرُقِ
- أَشْتَهَرَتْ رِجَالُهُ بِذَاكَ حَدِّ
- مِنَ الشُّذُوزِ مَعَ رَاوِي مَا اتَّهِمَ
- قُلْتُ : وَقَدْ حَسَنَ بَعْضَ مَا انْفَرَدَ
- فِيهِ ، وَمَا بِكُلِّ ذَا حَدِّ حَصَلَ
- أَنَّ لَهُ قِسْمَيْنِ كُلُّ قَدْ ذَكَرَ
- وَلَا يَنْكُرُ أَوْ شُذُوزٍ شَمِلَا
- وَالْعُلَمَاءُ الْجُلُ مِنْهُمْ يَقْبَلُهُ
- حُجْبَةً وَإِنْ يَكُنْ لَا يُلْحَقُ
- فَقُلْتُ : إِذَا كَانَ مِنَ الْمَوْصُوفِ
- بِكَوْنِهِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ يُذَكَّرُ
- أَوْ قَوِي الضُّعْفُ فَلَمْ يُجْبَرْ ذَا
- أَوْ أُرْسَلُوا كَمَا يَجِيءُ اغْتِضَادًا
- وَالصَّدَقِ رَاوِيَهُ ، إِذَا أَتَى لَهُ
- صَحِّحَتُهُ كَمَثَلِ (لَوْلَا أَنْ أَشَقُّ) =

- ٦٤= . إِذْ تَابَعُوا (مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو)
 ٦٥ . قَالَ: وَمِنْ مَظَنَّةٍ لِلْحَسَنِ
 ٦٦ . فَإِنَّهُ قَالَ: ذَكَرْتُ فِيهِ
 ٦٧ . وَمَا بِهِ وَهَنْ شَدِيدٌ قُلْتُهِ
 ٦٨ . فَمَا بِهِ وَلَمْ يُصَحِّحْ وَسَكَتَ
 ٦٩ . و(ابْنُ رُشِيدٍ) قَالَ - وَهُوَ مُتَّحِهٌ -:
 ٧٠ . وَلِلْإِمَامِ (الْيَعْمُرِيِّ) إِنَّمَا
 ٧١ . حَيْثُ يَقُولُ: جُمْلَةُ الصَّحِيحِ لَا
 ٧٢ . فَاحْتَاجَ أَنْ يُنْزَلَ فِي الْإِسْنَادِ
 ٧٣ . وَنَحْوِهِ، وَإِنْ يَكُنْ ذُو السَّبْقِ
 ٧٤ . هَلَّا قَضَى عَلَى كِتَابِ (مُسْلِمٍ)
 ٧٥ . وَ (الْبَغَوِيِّ) إِذْ قَسَمَ الْمَصَابِحَا
 ٧٦ . أَنَّ الْحَسَانَ مَا رَوَاهُ فِي السُّنَنِ
 ٧٧ . كَانَ (أَبُو دَاوُدَ) أَقْوَى مَا وَجَدَ
 ٧٨ . فِي الْبَابِ غَيْرَهُ فَذَكَ عِنْدَهُ
 ٧٩ . وَالنَّسَبِي يُخْرِجُ مَنْ لَمْ يُجْمِعُوا
 ٨٠ . وَمَنْ عَلَيْهَا أَطْلَقَ الصَّحِيحَا
 ٨١ . وَدُونَهَا فِي رُتْبَةٍ مَا جُعِلَا
- عَلَيْهِ فَأَرْتَقَى الصَّحِيحَ بِجَرِي
 جَمْعُ (أَبِي دَاوُدَ) أَيِ فِي السُّنَنِ
 مَا صَحَّ أَوْ قَارَبَ أَوْ يَحْكِيهِ
 وَحَيْثُ لَا فَصَالِحَ خَرَجْتُهُ
 عَلَيْهِ عِنْدَهُ لَهُ الْحُسْنُ ثَبَتَ
 قَدْ يَبْلُغُ الصَّحَّةَ عِنْدَ مُخْرِجِهِ
 قَوْلُ (أَبِي دَاوُدَ) يَحْكِي (مُسْلِمًا)
 تُوجَدُ عِنْدَ (مَالِكٍ) وَالثَّبَلَا
 إِلَى (يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ)
 قَدْ فَاتَهُ، أَدْرَكَ بِاسْمِ الصَّدِّقِ
 بِمَا قَضَى عَلَيْهِ بِالتَّحْكُمِ
 إِلَى الصَّحَاحِ وَالْحَسَانِ جَانِحَا
 رَدَّ عَلَيْهِ إِذْ بِهَا غَيْرُ الْحَسَنِ
 يَرْوِيهِ، وَالضَّعِيفَ حَيْثُ لَا يَجِدُ
 مِنْ رَأْيِ أَقْوَى قَالَهُ (ابْنُ مَنْدَه)
 عَلَيْهِ تَرْكًا، مَذْهَبٌ مُتَّسِعُ
 فَقَدْ أَتَى تَسَاهُلًا صَرِيحًا
 عَلَى الْمَسَانِيدِ، فَيُدْعَى الْجَفَلَى =

قَالَ التَّوَوِيُّ: فَضْلٌ: إِذَا قَالَ الصَّحَابِيُّ أَمَرْنَا بِكَذَا أَوْ نُهَيْنا عَنْ كَذَا أَوْ مِنْ الشُّئْرِ كَذَا، أَوْ مَضَتْ الشُّئَةُ بِكَذَا، أَوْ الشُّئَةُ كَذَا، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَكُلُّهُ مَرْفُوعٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَذْهَبِنَا الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ وَمَذْهَبِ الْجَمَاهِيرِ. وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَقُولَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ بَعْدَهُ، صَرَّحَ بِهِ الْعَزَالِيُّ وَآخَرُونَ.

- ٨٢= كُمُسْنِدِ (الطَّيَالِسِيِّ) وَ (أَحْمَدًا) ٨٣. وَالْحُكْمُ لِلْإِسْنَادِ بِالصَّحَّةِ أَوْ ٨٤. وَأَقْبَلُهُ إِنْ أَطْلَقَهُ مَنْ يُعْتَمَدُ ٨٥. وَاسْتَشْكَلَ الْحُسْنَ مَعَ الصَّحَّةِ فِي ٨٦. بِهِ الضَّعِيفُ، أَوْ يَرُدُّ مَا يَخْتَلِفُ ٨٧. وَ (لَأَبِي الْفَتْحِ) فِي الْاِفْتِرَاحِ ٨٨. وَإِنْ يَكُنْ صَحَّ فَلَيْسَ يَلْتَبَسُ ٨٩. وَأُورِدُوا مَا صَحَّ مِنْ أَفْرَادٍ
- وَعَدُّهُ (لِلدَّارِمِيِّ) انْتِقَادًا بِالْحُسْنِ دُونَ الْحُكْمِ لِلْمَتْنِ رَأَوُا وَلَمْ يُعَقِّبْهُ بِضَعْفٍ يُنْتَقَدُ مَتْنٌ، فَإِنْ لَفَظًا يَرُدُّ فَقُلْ: صِفْ سَنَدُهُ، فَكَيْفَ إِنْ قَرُدَ وَصِفْ؟ أَنْ انْفِرَادَ الْحُسْنِ دُونَ اضْطِلَاحِ كُلِّ صَحِيحٍ حَسَنٌ لَا يَنْعَكِسُ حَيْثُ اشْتَرَطْنَا غَيْرَ مَا إِسْنَادٍ

القسم الثالث: الضعيف

٩٠. أَمَّا الضَّعِيفُ فَهُوَ مَا لَمْ يَتْلُغْ ٩١. فَفَاقِدُ شَرْطِ قَبُولِ قِسْمٍ ٩٢. سِوَاهُمَا فَثَالِثٌ، وَهَكَذَا ٩٣. قِسْمٌ سِوَاهَا ثُمَّ زِدْ غَيْرَ الَّذِي ٩٤. وَعَدُّهُ (الْبُسْتِيُّ) فِيمَا أَوْعَى
- مَرْبَّةَ الْحُسْنِ، وَإِنْ بَسَطَ بُغِيَ: وَائْتَيْنِ قِسْمٌ غَيْرُهُ، وَصَمُّوا وَعُدْ لِشَرْطِ غَيْرِ مَبْدُوءٍ فَذَا قَدَّمْتُهُ ثُمَّ عَلَى ذَا فَاحْتَلَزِي لِتِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ نَوْعًا

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ أَصْحَابِنَا: لَهُ حُكْمُ الْمَوْقُوفِ عَلَى الصَّحَابِيِّ^(١).

(١) قَالَ الْحَافِظُ الْمِرَاقِيُّ فِي "الْفَيْهَةِ الْحَدِيثِ":

فُرُوعُ

١٠٥. قَوْلُ الصَّحَابِيِّ (مِنَ السُّنَّةِ) أَوْ
١٠٦. بَعْدَ النَّبِيِّ قَالَهُ بِأَعْضُرِ
١٠٧. وَقَوْلُهُ (كُنَّا نَرَى) إِنْ كَانَ مَعَ
١٠٨. وَقِيلَ: لَا، أَوْ لَا فَلَا، كَذَاكَ لَهُ
١٠٩. مَرْفُوعًا (الْحَاكِمُ) وَ (الرَّازِيُّ
١١٠. لَكِنْ حَدِيثُ (كَانَ بَابُ الْمُصْطَفَى
١١١. حُكْمًا لَدَى (الْحَاكِمِ) وَ (الْخَطِيبِ)
١١٢. وَعَدُّ مَا فَسَّرَهُ الصَّحَابِيُّ
١١٣. وَقَوْلُهُمْ (يَرْفَعُهُ) (يَبْلُغُ بِهِ)
١١٤. وَإِنْ يَقُولُ (عَنْ تَابِعٍ) فَمُرْسَلُ
١١٥. تَصْحِيحٍ وَفِيهِ وَذُو اخْتِمَالٍ
١١٦. وَمَا أَتَى عَنْ صَاحِبٍ بِحَيْثُ لَا
١١٧. مَا قَالَ فِي الْمَحْضُولِ نَحْوُ مَنْ أَتَى
١١٨. وَمَا رَوَاهُ عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)
١١٩. كَرَّرَ (قَالَ) بَعْدُ، (فَالْخَطِيبُ)
- نَحْوُ (أَمْرَنَا) حُكْمُهُ الرَّفْعُ، وَلَوْ
- عَلَى الصَّحِيحِ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِ
- عَضُرِ النَّبِيِّ مِنْ قَبِيلِ مَا رَفَعَ
- وَ (لِلْخَطِيبِ) قُلْتُ: لَكِنْ جَعَلَهُ
- ابْنُ الْخَطِيبِ، وَهُوَ الْقَوِيُّ
- يُقْرَعُ بِالْأَظْفَارِ وَمَا وَقَفَا
- وَالرَّفْعُ عِنْدَ الشَّيْخِ دُو تَضْوِيبِ
- رَفْعًا فَمَحْمُولٌ عَلَى الْأَسْبَابِ
- رَوَايَةً يَنْمِيهِ رَفْعٌ فَأَنْتَبِهْ
- قُلْتُ: مِنَ السُّنَّةِ عَنْهُ نَقَلُوا
- نَحْوُ (أَمْرَنَا) مِنْهُ (لِلغَزَالِيِّ)
- يُقَالُ رَأَيْتُ حُكْمَهُ الرَّفْعُ عَلَى
- (فَالْحَاكِمِ) الرَّفْعُ لِهَذَا أَثْبَتْنَا
- (مُحَمَّدٌ) وَعَنْهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ
- رَوَى بِهِ الرَّفْعَ وَذَا عَجِيبُ

وَأَمَّا إِذَا قَالَ التَّابِعِيُّ: مِنْ السُّنَّةِ كَذَا فَفِيهِ وَجْهَانِ حَكَاهُمَا الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبْرِيُّ الصَّحِيحُ مِنْهُمَا وَالْمَشْهُورُ: أَنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَى بَعْضِ الصَّحَابَةِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَرْفُوعٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَكِنَّهُ مَرْفُوعٌ مُرْسَلٌ.

وَإِذَا قَالَ التَّابِعِيُّ " أَمَرْنَا بِكَذَا " قَالَ الْغَزَالِيُّ:

يُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ أَمَرَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ أَمَرَ كُلِّ الْأُمَّةِ، فَيَكُونُ حُجَّةً، وَيُحْتَمَلُ أَمْرُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، لَكِنْ لَا يَلِيقُ بِالْعَالِمِ أَنْ يُطْلَقَ ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ مَنْ تَجِبُ طَاعَتُهُ، فَهَذَا كَلَامُ الْغَزَالِيِّ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى خِلَافٍ فِي أَنَّهُ مَوْقُوفٌ أَوْ مَرْفُوعٌ مُرْسَلٌ.

أَمَّا إِذَا قَالَ الصَّحَابِيُّ: وَكُنَّا نَفْعَلُ كَذَا، أَوْ نَقُولُ كَذَا، أَوْ كَانُوا يَقُولُونَ كَذَا، وَيَفْعَلُونَ كَذَا، أَوْ لَا يَرَوْنَ بَأْسًا بِكَذَا، أَوْ كَانَ يُقَالُ: أَوْ يَفْعَلُ كَذَا، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ هَلْ يَكُونُ مَرْفُوعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْ لَا؟

فَقَالَ الْمُصَنِّفُ فِي اللَّمَعِ: إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَخْفَى فِي الْعَادَةِ كَانَ كَمَا لَوْ رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يُنْكِرْهُ، فَيَكُونُ مَرْفُوعًا،

وَإِنْ جَارَ خَفَاؤُهُ عَلَيْهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ مَرْفُوعًا، كَقَوْلِ الْأَنْصَارِ: (كُنَّا نَجَامِعُ فَتُكْسَلُ، وَلَا نَغْسِلُ)، فَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِ الْغُسْلِ مِنَ الْإِكْسَالِ؛ لِأَنَّهُ يُفْعَلُ سِرًّا فَيَخْفَى.

وَقَالَ غَيْرُ الشَّيْخِ: إِنَّ أَضَافَ ذَلِكَ إِلَى حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ مَرْفُوعًا حُجَّةً، كَقَوْلِهِ: (كُنَّا نَفْعَلُهُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ فِي زَمَنِهِ وَهُوَ فِينَا أَوْ وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا) وَإِنْ لَمْ يُضَفْ فَلَيْسَ بِمَرْفُوعٍ، وَبِهَذَا قَطَعَ الْغَزَالِيُّ فِي الْمُسْتَضْفَى وَكَثِيرُونَ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيُّ وَغَيْرُهُ: لَا يَكُونُ مَرْفُوعًا أَضَافَهُ أَمْ لَمْ يُضَفْهُ. وَظَاهِرُ اسْتِعْمَالِ كَثِيرِينَ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَأَصْحَابِنَا فِي كُتُبِ الْفِقْهِ أَنَّهُ مَرْفُوعٌ مُطْلَقًا، سَوَاءً أَضَافَهُ أَمْ لَمْ يُضَفْهُ، وَهَذَا قَوِيٌّ، فَإِنَّ الظَّاهِرَ مِنْ قَوْلِهِ: كُنَّا نَفْعَلُ أَوْ كَانُوا يَفْعَلُونَ، الْإِحْتِجَاجُ بِهِ وَأَنَّهُ فُعِلَ عَلَى وَجْهِ يُحْتَجُّ بِهِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَبْلُغُهُ.

قَالَ الْغَزَالِيُّ: وَأَمَّا قَوْلُ التَّابِعِيِّ: (كَانُوا يَفْعَلُونَ)، فَلَا يَدُلُّ عَلَى فِعْلِ جَمِيعِ الْأُمَّةِ، بَلْ عَلَى الْبَعْضِ فَلَا حُجَّةَ فِيهِ إِلَّا أَنْ يُصْرَحَ بِثَبُوتِهِ عَنْ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ وَفِي ثُبُوتِ الْإِجْمَاعِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ كَلَامٌ.

قُلْتُ: اخْتَلَفُوا فِي ثُبُوتِ الْإِجْمَاعِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ، فَاخْتِيارُ الْغَزَالِيِّ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ النَّاسِ. وَذَهَبَ طَائِفَةٌ إِلَى ثُبُوتِهِ، وَهُوَ اخْتِيارُ الرَّازِيِّ فَضَّلَ: الْحَدِيثُ الْمُرْسَلُ لَا يُحْتَجُّ بِهِ عِنْدَنَا وَعِنْدَ جُمْهُورِ الْمُحَدِّثِينَ، وَجَمَاعَةِ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَجَمَاهِيرِ أَصْحَابِ الْأُصُولِ وَالنَّظَرِ،

وَحَكَاهُ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَيْعٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَمَالِكٍ وَجَمَاعَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَفُقَهَاءِ الْحِجَازِ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ فِي الْمَشْهُورِ عَنْهُ، وَأَحْمَدُ وَكَثِيرُونَ مِنَ الْفُقَهَاءِ
أَوْ أَكْثَرُهُمْ: يُخْتَلَجُ بِهِ، وَنَقَلَهُ الْغَزَالِيُّ عَنْ الْجَمَاهِيرِ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ: وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِهِ إِذَا
كَانَ مُرْسَلُهُ غَيْرَ مُتَحَرِّزٍ، يُرْسَلُ عَنْ غَيْرِ الثَّقَاتِ^(١).

(١) قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي "أَلْفِيَّةِ الْحَدِيثِ":

الْمُرْسَلُ

- | | |
|--|---|
| ١٢٠. مَرْفُوعٌ تَابِعٍ عَلَى الْمَشْهُورِ | مُرْسَلٌ أَوْ قَبِيضُهُ بِالْكَبِيرِ |
| ١٢١. أَوْ سَقَطَ رَأْيُ مَنْهُ ذُو أَقْوَالٍ | وَالأَوَّلُ الْأَكْثَرُ فِي اسْتِعْمَالِ |
| ١٢٢. وَاحْتِجَّ (مَالِكٌ) كَذَا (النُّعْمَانُ) | وَتَابِعُوهُمَا بِهِ وَدَانُوا |
| ١٢٣. وَرَدَّهُ جَمَاهِرُ النُّقَّادِ؛ | لِلْجَهْلِ بِالسَّاقِطِ فِي الْإِسْنَادِ |
| ١٢٤. وَصَاحِبُ التَّمْهِيدِ عَنْهُمْ نَقَلَهُ | و(مُسْلِمٌ) صَدَرَ الْكِتَابِ أَصْلُهُ |
| ١٢٥. لَكِنْ إِذَا صَحَّ لَنَا مَخْرَجُهُ | بِمُسْنَدٍ أَوْ مُرْسَلٍ يُخْرِجُهُ |
| ١٢٦. مَنْ لَيْسَ يَرْوِي عَنْ رِجَالِ الْأَوَّلِ | نَقَبْلُهُ، قُلْتُ: الشَّيْخُ لَمْ يُفْصَلِ |
| ١٢٧. وَ (الشَّافِعِيُّ) بِالْكَبَارِ قَبِيذًا | وَمَنْ رَوَى عَنِ الثَّقَاتِ أَبَدًا |
| ١٢٨. وَمَنْ إِذَا شَارَكَ أَهْلَ الْحِفْظِ | وَأَفْقَهُمْ إِلَّا بِنَقْصِ لَفْظٍ |
| ١٢٩. فَإِنْ يُقَلَّ: فَالْمُسْنَدُ الْمُعْتَمَدُ | فَقُلْتُ: دَلِيلَانِ بِهِ يُعْتَضَدُ |
| ١٣٠. وَرَسَمُوا مُنْقَطِعًا عَنْ رَجُلٍ | وَفِي الْأَصُولِ نَعْتُهُ: بِالْمُرْسَلِ |
| ١٣١. أَمَّا الَّذِي أَرْسَلَهُ الصَّحَابِيُّ | فَحُكْمُهُ الْوَصْلُ عَلَى الصَّوَابِ |

وَدَلِيلُنَا فِي رَدِّ الْمُرْسَلِ مُطْلَقًا :

أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ رِوَايَةُ الْمَجْهُولِ الْمُسَمَّى لَا تُقْبَلُ لِجَهَالَةِ حَالِهِ، فَرِوَايَةُ الْمُرْسَلِ أَوْلَى؛ لِأَنَّ الْمُرَوِّىَّ عَنْهُ مَحْذُوفٌ مَجْهُولُ الْعَيْنِ وَالْحَالِ.

ثُمَّ إِنَّ مُرَادَنَا بِالْمُرْسَلِ هُنَا مَا انْقَطَعَ إِسْنَادُهُ فَسَقَطَ مِنْ رُوتِهِ وَاحِدٌ فَأَكْثَرُ، وَخَالَفْنَا فِي حَدِّهِ أَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ فَقَالُوا: هُوَ رِوَايَةُ التَّابِعِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: "وَأَحْتَجُّ بِمُرْسَلِ كِبَارِ التَّابِعِينَ إِذَا أُسْنِدَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، أَوْ أَرْسَلَهُ مَنْ أَخَذَ عَنْ غَيْرِ رِجَالِ الْأَوَّلِ مِمَّنْ يُقْبَلُ عَنْهُ الْعِلْمُ، أَوْ وَافَقَ قَوْلَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، أَوْ أَفْتَى أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ بِمُقْتَضَاهُ. قَالَ: وَلَا أَقْبَلُ مُرْسَلَ غَيْرِ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَلَا مُرْسَلَهُمْ إِلَّا بِالشَّرْطِ الَّذِي وَصَفْتُهُ".

هَذَا نَصُّ الشَّافِعِيِّ فِي الرِّسَالَةِ وَغَيْرِهَا، وَكَذَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْأَيْمَةُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ، كَالْبَيْهَقِيِّ وَالْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ وَآخَرِينَ، وَلَا فَرْقَ فِي هَذَا عِنْدَهُ بَيْنَ مُرْسَلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَغَيْرِهِ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي دَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ.

وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي مُخْتَصَرِ الْمُزْنِيِّ فِي آخِرِ بَابِ الرِّبَا: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «نَهَى عَنْ بَيْعِ اللَّحْمِ بِالْحَيَوَانِ».

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ جَزُورًا نُحِرَتْ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ فَجَاءَ رَجُلٌ بِعَنَاقٍ فَقَالَ: أَعْطُونِي بِهِذِهِ الْعَنَاقِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: لَا يَصْلُحُ هَذَا».

قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَكَانَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُحَرِّمُونَ بَيْعَ اللَّحْمِ بِالْحَيَوَانِ، قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَبِهَذَا نَأْخُذُ. قَالَ: وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَالَفَ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ ؓ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: "وإِرسَالُ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عِنْدَنَا. حَسَنٌ".
هَذَا نَصُّ الشَّافِعِيِّ فِي الْمُخْتَصَرِ نَقْلُهُ بِحُرُوفِهِ، لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْفَوَائِدِ.

فَإِذَا عُرِفَ هَذَا فَقَدْ اخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا الْمُتَقَدِّمُونَ فِي مَعْنَى قَوْلِ الشَّافِعِيِّ: "إِرسَالُ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عِنْدَنَا حَسَنٌ" عَلَى وَجْهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: مَعْنَاهُ أَنَّهَا حُجَّةٌ عِنْدَهُ بِخِلَافِ غَيْرِهَا مِنَ الْمَرَايِلِ. قَالُوا:
لَأَنَّهَا فُتِّشَتْ فَوُجِدَتْ مُسْنَدَةً،

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهَا لَيْسَتْ بِحُجَّةٍ عِنْدَهُ، بَلْ هِيَ كَغَيْرِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، وَقَالُوا: وَإِنَّمَا رَجَّحَ الشَّافِعِيُّ بِمُرْسَلِهِ، وَالتَّرْجِيحُ بِالْمُرْسَلِ جَائِزٌ.
وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِ (الْفَقِيهِ وَالْمُتَمَكِّنِ) وَالصَّوَابُ الْوَجْهُ الثَّانِي، وَأَمَّا الْأَوَّلُ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ فِي مَرَايِلِ سَعِيدٍ مَا لَمْ يُوَجَدْ مُسْنَدًا بِحَالٍ مِنْ وَجْهِ يَصِحُّ. قَالَ: وَقَدْ جَعَلَ الشَّافِعِيُّ لِمَرَايِلِ كِبَارِ التَّابِعِينَ مَزِيَّةً عَلَى غَيْرِهِمْ، كَمَا اسْتَحْسَنَ مُرْسَلَ سَعِيدٍ، هَذَا كَلَامُ الْخَطِيبِ.

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ نَصَّ الشَّافِعِيِّ كَمَا قَدَّمْتُهُ ثُمَّ قَالَ:

فَالشَّافِعِيُّ، يَقْبَلُ مَرَايِلَ كِبَارِ التَّابِعِينَ إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهَا مَا يُؤَكِّدُهَا، فَإِنْ لَمْ يَنْضَمَّ لَمْ يَقْبَلْهَا، سَوَاءٌ كَانَ مُرْسَلِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ أَوْ غَيْرِهِ. قَالَ: وَقَدْ ذَكَّرْنَا مَرَايِلَ لَابْنِ الْمُسَيَّبِ لَمْ يَقْبَلْهَا الشَّافِعِيُّ حِينَ لَمْ يَنْضَمَّ إِلَيْهَا مَا يُؤَكِّدُهَا، وَمَرَايِلُ لِعَيْرِهِ قَالَ بِهَا حَيْثُ انْضَمَّ إِلَيْهَا مَا يُؤَكِّدُهَا، قَالَ: وَزِيَادَةُ ابْنِ الْمُسَيَّبِ فِي هَذَا عَلَى غَيْرِهِ أَنَّهُ أَصَحُّ التَّابِعِينَ إِرْسَالًا فِيمَا زَعَمَ الْحُفَاطُ، فَهَذَا كَلَامُ الْبَيْهَقِيِّ وَالْخَطِيبِ، وَهُمَا إِمَامَانِ حَافِظَانِ فَقِيهَانِ شَافِعِيَّانِ، مُضْطَلِعَانِ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْأُصُولِ، وَالْخَبْرَةُ الثَّامَّةُ بِنُصُوصِ الشَّافِعِيِّ وَمَعَانِي كَلَامِهِ، وَمَحَلُّهُمَا مِنَ التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ، وَالنِّهَايَةِ فِي الْعِرْفَانِ، بِالْعَايَةِ الْقُضُوءِ، وَالدرَجَةِ الْعُلْيَا،

قُلْتُ: وَلَا يَصِحُّ تَعَلُّقُ مَنْ قَالَ: إِنَّ مُرْسَلَ سَعِيدٍ حُجَّةٌ بِقَوْلِهِ: إِرْسَالُهُ حَسَنٌ؛ لِأَنَّ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَعْتَمِدْ عَلَيْهِ وَحْدَهُ، بَلْ اعْتَمَدَهُ لَمَّا انْضَمَّ إِلَيْهِ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَمَنْ حَضَرَهُ وَانْتَهَى إِلَيْهِ قَوْلُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَعَ مَا انْضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ، وَهُمْ أَرْبَعَةٌ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ، وَقَدْ نَقَلَ صَاحِبُ الشَّامِلِ وَغَيْرُهُ هَذَا الْحُكْمَ عَنْ تَمَامِ السَّبْعَةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ. فَهَذَا عَاضِدٌ ثَانٍ لِلْمُرْسَلِ، فَلَا يَلْزَمُهُ مِنْ هَذَا الْإِحْتِجَاجُ بِمُرْسَلِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ إِذَا لَمْ يَعْتَصِدْ.

فَإِنْ قِيلَ: ذَكَرْتُمْ أَنَّ الْمُرْسَلَ إِذَا أُسْنِدَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أُحْتِجَّ بِهِ، وَهَذَا الْقَوْلُ فِيهِ تَسَاهُلٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أُسْنِدَ عَمَلُنَا بِالْمُسْنَدِ، فَلَا فَائِدَةَ حَيْثُ نِدَّ فِي الْمُرْسَلِ وَلَا عَمَلَ بِهِ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ بِالْمُسْنَدِ يَتَبَيَّنُ صِحَّةُ الْمُرْسَلِ، وَأَنَّهُ مِمَّا يُحْتَجُّ بِهِ، فَيَكُونُ فِي الْمَسْأَلَةِ حَدِيثَانِ صَحِيحَانِ حَتَّى لَوْ عَارَضَهُمَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدٍ، وَتَعَذَّرَ الْجَمْعُ قَدَمْنَاهُمَا عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، هَذَا كُلُّهُ فِي غَيْرِ مُرْسَلِ الصَّحَابِيِّ.

أَمَّا مُرْسَلُ الصَّحَابِيِّ كِإِخْبَارِهِ عَنْ شَيْءٍ فَعَلَّهُ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ نَحْوُهُ مِمَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَخْضُرْهُ لِصِغَرِ سِنِّهِ، أَوْ لِتَأَخُّرِ إِسْلَامِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَالْمَلَمَبُ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ الَّذِي قَطَعَ بِهِ جُمْهُورُ أَصْحَابِنَا، وَجَمَاهِيرُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ حُجَّةٌ، وَأَطْبَقَ الْمُحَدِّثُونَ الْمُشْتَرِطُونَ لِلصَّحِيحِ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْمُرْسَلَ لَيْسَ بِحُجَّةٍ عَلَى الْإِخْتِجَاجِ بِهِ، وَإِذْخَالِهِ فِي الصَّحِيحِ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ هَذَا مَا لَا يُخْصَى؛ لِأَنَّ رَوَايَتَهُمْ عَنْ غَيْرِ الصَّحَابِيِّ نَادِرَةٌ، وَإِذَا رَوَوْهَا بَيْنُوها، فَإِذَا أَطْلَقُوا ذَلِكَ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ عَنْ الصَّحَابَةِ، وَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَضْلٌ: قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِمْ:

إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ ضَعِيفًا لَا يُقَالُ فِيهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ فَعَلَ أَوْ أَمَرَ أَوْ نَهَى أَوْ حَكَمَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ صِيَغِ الْجَزْمِ، وَكَذَا لَا يُقَالُ فِيهِ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ، أَوْ قَالَ، أَوْ ذَكَرَ، أَوْ أَخْبَرَ، أَوْ حَدَّثَ، أَوْ نَقَلَ، أَوْ أَفْتَى، وَمَا أَشْبَهَهُ، وَكَذَا لَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِيمَا كَانَ ضَعِيفًا، فَلَا يُقَالُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بِصِغَةِ الْجَزْمِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ فِي هَذَا كُلُّهُ رَوَى عَنْهُ أَوْ

نُقِلَ عَنْهُ أَوْ حُكِيَ عَنْهُ أَوْ جَاءَ عَنْهُ أَوْ بَلَّغْنَا عَنْهُ، أَوْ يُقَالُ أَوْ يُذَكَّرُ أَوْ يُحَكَّى أَوْ يُرَوَّى أَوْ يُرْفَعُ أَوْ يُعْزَى، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ صِيغِ التَّمْرِيطِ، وَلَيْسَتْ مِنْ صِيغِ الْجَزْمِ،

قَالُوا: فَصِيغُ الْجَزْمِ مَوْضُوعَةٌ لِلصَّحِيحِ أَوِ الْحَسَنِ، وَصِيغُ التَّمْرِيطِ لِمَا سِوَاهُمَا، وَذَلِكَ أَنَّ صِيغَةَ الْجَزْمِ تَقْتَضِي صِحَّتَهُ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَقَ إِلَّا فِيمَا صَحَّ، وَإِلَّا فَيَكُونُ الْإِنْسَانُ فِي مَعْنَى الْكَاذِبِ عَلَيْهِ. وَهَذَا الْأَدَبُ أَحَلَّ بِهِ الْمُصَنِّفُ وَجَمَاهِيرُ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ، بَلْ جَمَاهِيرُ أَصْحَابِ الْعُلُومِ مُطْلَقًا، مَا عَدَا حُدُودَ الْمُحَدِّثِينَ، وَذَلِكَ تَسَاهُلٌ قَبِيحٌ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ كَثِيرًا فِي الصَّحِيحِ: رَوَى عَنْهُ، وَفِي الضَّعِيفِ: قَالَ، وَرَوَى فُلَانٌ، وَهَذَا حَيْدٌ عَنِ الصَّوَابِ.

فَصَلِّ: صَحَّ عَنِ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ قَالَ: (إِذَا رَجَدْتُمْ فِي كِتَابِي خِلَافَ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولُوا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَعُوا قَوْلِي).

وَرَوَى عَنْهُ: (إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ خِلَافَ قَوْلِي فَأَعْمَلُوا بِالْحَدِيثِ وَاتْرَكُوا قَوْلِي، أَوْ قَالَ: فَهُوَ مَذْهَبِي، وَرَوَى هَذَا الْمَعْنَى بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ).

وَقَدْ عَمِلَ بِهَذَا أَصْحَابُنَا فِي مَسْأَلَةِ التَّثْوِيبِ وَاشْتِرَاطِ التَّحْلِيلِ مِنَ الْإِحْرَامِ بِعَذْرِ الْمَرَضِ وَغَيْرِهِمَا، مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ الْمَذْهَبِ.

وَمِمَّنْ حَكَى عَنْهُ أَنَّهُ أَفْتَى بِالْحَدِيثِ مِنْ أَصْحَابِنَا أَبُو يَعْقُوبَ الْبُؤَيْطِيُّ وَأَبُو الْقَاسِمِ الدَّارَكِيُّ، وَمِمَّنْ نَصَّ عَلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ الْكِنْيَا الطَّبْرِيُّ فِي كِتَابِهِ

فِي أَصُولِ الْفِقْهِ، وَمِمَّنْ اسْتَعْمَلَهُ مِنْ أَصْحَابِنَا الْمُحَدِّثِينَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ
الْبَيْهَقِيُّ وَآخَرُونَ، وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ مُتَقَدِّمِي أَصْحَابِنَا إِذَا رَأَوْا مَسْأَلَةً فِيهَا
حَدِيثٌ، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ خِلَافُهُ عَمِلُوا بِالْحَدِيثِ، وَأَفْتَوْا بِهِ قَائِلِينَ:
مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ مَا وَافَقَ الْحَدِيثَ، وَلَمْ يَتَّفِقْ ذَلِكَ إِلَّا نَادِرًا، وَمِنْهُ مَا نُقِلَ
عَنِ الشَّافِعِيِّ فِيهِ قَوْلٌ عَلَى وَفْقِ الْحَدِيثِ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الشَّافِعِيُّ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ رَأَى حَدِيثًا صَحِيحًا
قَالَ: هَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَعَمِلَ بِظَاهِرِهِ، وَإِنَّمَا هَذَا فِيمَنْ لَهُ رُبَّةُ
الْاجْتِهَادِ فِي الْمَذْهَبِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ صِفَتِهِ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ، وَشَرْطُهُ: أَنْ
يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ الشَّافِعِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَمْ يَقِفْ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ أَوْ لَمْ
يَعْلَمْ صِحَّتَهُ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ مُطَالَعَةِ كُتُبِ الشَّافِعِيِّ كُلِّهَا وَنَحْوِهَا مِنْ
كُتُبِ أَصْحَابِهِ الْأَخِذِينَ عَنْهُ وَمَا أَشَبَّهَهَا.

وَهَذَا شَرْطٌ صَعْبٌ قَلَّ مَنْ يَتَّصِفُ بِهِ، وَإِنَّمَا اشْتَرَطُوا مَا ذَكَرْنَا؛ لِأَنَّ
الشَّافِعِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - تَرَكَ الْعَمَلَ بِظَاهِرِ أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ رَأَاهَا وَعَلِمَهَا، لَكِنْ قَامَ
الدَّلِيلُ عِنْدَهُ عَلَى طَعْنٍ فِيهَا أَوْ نَسْخِهَا أَوْ تَخْصِيصِهَا أَوْ تَأْوِيلِهَا أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو - رَحِمَهُ اللَّهُ -: لَيْسَ الْعَمَلُ بِظَاهِرِ مَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ
بِالْهَيْئِ، فَلَيْسَ كُلُّ فِقْهٍ يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِالْعَمَلِ بِمَا يَرَاهُ حُجَّةً مِنَ الْحَدِيثِ،
وَفِيمَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ مِنَ الشَّافِعِيِّينَ مَنْ عَمِلَ بِحَدِيثِ تَرْكِهِ
الشَّافِعِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَمْدًا، مَعَ عَلَيْهِ بِصِحَّتِهِ لِمَانِعٍ أَطْلَعَ عَلَيْهِ وَخَفِيَ عَلَى

غَيْرِهِ، كَأَبِي الْوَلِيدِ مُوسَى بْنِ أَبِي الْجَارُودِ مِمَّنْ صَحِبَ الشَّافِعِيَّ، قَالَ: صَحَّ حَدِيثُ «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»، فَأَقُولُ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ، فَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى أَبِي الْوَلِيدِ؛ لِأَنَّ الشَّافِعِيَّ تَرَكَهُ مَعَ عِلْمِهِ بِصِحَّتِهِ، لِكَوْنِهِ مَنْسُوخًا عِنْدَهُ، وَبَيَّنَ الشَّافِعِيُّ نَسْخَهُ وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا عَنْ ابْنِ خُزَيْمَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَا أَعْلَمُ سُنَّةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ لَمْ يُودَعْهَا الشَّافِعِيُّ كُتُبَهُ. وَجَلَالَةُ ابْنِ خُزَيْمَةَ وَإِمَامَتُهُ فِي الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَمَعْرِفَتُهُ بِنُصُوصِ الشَّافِعِيَّ بِالْمَحَلِّ الْمَعْرُوفِ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو: لَمَنْ وَجَدَ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ حَدِيثًا يُخَالِفُ مَذْهَبَهُ نَظَرَ:

إِنْ كُنْتُ آثَاتِ الاجْتِهَادِ فِيهِ مُطْلَقًا، أَوْ فِي ذَلِكَ الْبَابِ أَوْ الْمَسْأَلَةِ كَانَ لَهُ الْإِسْتِقْلَالُ بِالْعَمَلِ بِهِ. وَإِنْ لَمْ يَكْمُلْ وَشَقَّ عَلَيْهِ مُخَالَفَةُ الْحَدِيثِ بَعْدَ أَنْ بَحَثَ فَلَمْ يَجِدْ لِمُخَالَفَتِهِ عَنْهُ جَوَابًا شَافِيًا، فَلَهُ الْعَمَلُ بِهِ إِنْ كَانَ عَمِلَ بِهِ إِمَامٌ مُسْتَقِلٌّ غَيْرَ الشَّافِعِيَّ، وَيَكُونُ هَذَا عُذْرًا لَهُ فِي تَرْكِ مَذْهَبِ إِمَامِهِ هُنَا، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ حَسَنٌ مُتَعَيِّنٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَقُلْ: اخْتَلَفَ الْمُحَدِّثُونَ وَأَصْحَابُ الْأُصُولِ فِي جَوَازِ اخْتِصَارِ الْحَدِيثِ عَنِ الرَّوَايَةِ عَلَى مَذَاهِبَ:

أَصَحُّهَا: يَجُوزُ رِوَايَةُ بَعْضِهِ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُرْتَبِطٍ بِمَا حَدَفَهُ، بِحَيْثُ لَا تَخْتَلِفُ الدَّلَالَةُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ الْحُكْمُ بِذَلِكَ، وَلَمْ نَرِ أَحَدًا مِنْهُمْ مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْإِحْتِجَاجِ فِي التَّصَانِيفِ، وَهَكَذَا أَطْبَقَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ مِنْ كُلِّ

الطوائف، وأكثر منه أبو عبد الله البخاري في صحيحه وهو القدوة.

فصل: الاختجاج برواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ:

هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص،
 جده الأذنى محمد تابعي، والأعلى عبد الله صحابي،
 فإن أراد بجده الأذنى وهو محمد فهو مرسل، لا يحتج به.
 وإن أراد عبد الله كان متصلًا، واحتج به.

فإذا أطلق ولم يبين احتمل الأمرين، فلا يحتج به،
 و عمرو و شعيب و محمد ثقات، وثبت سماع شعيب من محمد ومن
 عبد الله، هذا هو الصواب الذي قاله المحققون والجماهير.

وذكر أبو حاتم بن حبان (بكسر الحاء) أن شعيبًا لم يلق عبد الله،
 وأبطل الدارقطني وغيره ذلك، وأثبتوا سماع شعيب من عبد الله وبنيوه.

فإذا عرف هذا فقد اختلف العلماء في الاختجاج بروايته هكذا،
 فمنعه طائفة من المحدثين، وذهب أكثر المحدثين إلى صحة الاختجاج
 به وهو الصحيح المختار. روى الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري
 بإسناده عن البخاري أنه سئل أychج به؟ فقال: رأيت أحمد بن حنبل وعلي
 ابن المديني والحميدي وإسحاق بن راهويه يحتجون بعمرو بن شعيب عن
 أبيه عن جده، ما تركه أحد من المسلمين،

وَذَكَرَ غَيْرُ عَبْدِ الْغَنِيِّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ الْبُخَارِيُّ: مَنْ النَّاسُ بَعْدَهُمْ؟!،

وَحَكَى الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ قَالَ: عَمَرُو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ كَأَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَهَذَا التَّشْبِيهُ نِهَايَةُ الْجَلَالَةِ مِنْ مِثْلِ إِسْحَاقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

وَإِخْتَارَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْأَكْثَرُونَ، وَهُمْ أَهْلُ هَذَا الْمَنْزِلِ وَعَنْهُمْ يُؤْخَذُ، وَيَكْفِي فِيهِ مَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ إِمَامِ الْمُحَدِّثِينَ الْبُخَارِيِّ، وَدَلِيلُهُ: أَنَّ ظَاهِرَهُ الْجَدُّ الْأَشْهُرُ الْمَعْرُوفُ بِالرَّوَايَةِ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ.

فَقُلْ فِي بَيَانِ الْقَوْلَيْنِ وَالْوَجْهَيْنِ وَالطَّرِيقَيْنِ:

قَالَ الْأَوَّلُ: لِلشَّافِعِيِّ،

وَالْأَوَّلُ: لِأَصْحَابِهِ، يُخْرِجُونَهَا عَلَى أَصُولِهِ، وَيَسْتَبْطِنُونَهَا مِنْ قَوَاعِيدِهِ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي بَعْضِهَا وَإِنْ لَمْ يَأْخُذُوهُ مِنْ أَصْلِهِ، وَهَلْ يُنْسَبُ الْمُخَرَّجُ إِلَى الشَّافِعِيِّ؟ الْأَصَحُّ: أَنَّهُ لَا يُنْسَبُ.

ثُمَّ قَدْ يَكُونُ الْقَوْلَانِ قَدِيمَيْنِ، وَقَدْ يَكُونَانِ جَدِيدَيْنِ، أَوْ قَدِيمًا وَجَدِيدًا، وَقَدْ يَقُولُهُمَا فِي وَقْتٍ، وَقَدْ يَقُولُهُمَا فِي وَقْتَيْنِ، وَقَدْ يُرْجَحُ أَحَدُهُمَا، وَقَدْ لَا يُرْجَحُ، وَقَدْ يَكُونُ الْوَجْهَانِ لِشَخْصَيْنِ، وَلِشَخْصٍ، وَالَّذِي لِشَخْصٍ يَنْقَسِمُ كَانْقِسَامِ الْقَوْلَيْنِ.

وَأَمَّا الطَّرِيقُ: فَهِيَ اخْتِلَافُ الْأَصْحَابِ فِي حِكَايَةِ الْمَذْهَبِ، فَيَقُولُ

بَعْضُهُمْ مَثَلًا: فِي الْمَسْأَلَةِ قَوْلَانِ، أَوْ وَجْهَانِ، وَيَقُولُ الْآخَرُ: لَا يَجُوزُ قَوْلًا وَاحِدًا، أَوْ وَجْهًا وَاحِدًا، أَوْ يَقُولُ أَحَدُهُمَا: فِي الْمَسْأَلَةِ تَفْصِيلٌ، وَيَقُولُ الْآخَرُ: فِيهَا خِلَافٌ مُطْلَقٌ.

وَقَدْ يَسْتَعْمِلُونَ الْوَجْهَيْنِ فِي مَوْضِعِ الطَّرِيقَيْنِ وَعَكْسِهِ؛ لِأَنَّ الطَّرِيقَ وَالْوُجُوهَ تَشْتَرِكُ فِي كَوْنِهَا مِنْ كَلَامِ الْأَصْحَابِ.

مَسْأَلَةٌ: كُلُّ مَسْأَلَةٍ فِيهَا قَوْلَانِ لِلشَّافِعِيِّ قَدِيمٌ وَجَدِيدٌ، فَالْجَدِيدُ هُوَ الصَّحِيحُ وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ؛

لِأَنَّ الْقَدِيمَ مَرْجُوعٌ عَنْهُ،

وَاسْتَنْتَى جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا نَحْوَ عِشْرِينَ مَسْأَلَةً أَوْ أَكْثَرَ، وَقَالُوا: يُفْتَى فِيهَا بِالْقَدِيمِ،

وَقَدْ يَخْتَلِفُونَ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا،

قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي "النِّهَايَةِ": قَالَ الْأَئِمَّةُ: كُلُّ قَوْلَيْنِ قَدِيمٌ وَجَدِيدٌ، فَالْجَدِيدُ أَصَحُّ إِلَّا فِي:

مَسْأَلَةِ الثَّوْبِ فِي أَذَانِ الصُّبْحِ، الْقَدِيمُ: اسْتِحْبَابُهُ،

وَمَسْأَلَةِ التَّبَاعُدِ عَنِ النَّجَاسَةِ فِي الْمَاءِ الْكَثِيرِ، الْقَدِيمُ: أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ،

وَقِرَاءَةِ السُّورَةِ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ أَنَّ الْقَدِيمَ أَنَّهُ لَا يُسْتَحَبُّ قَالَ:

وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ.

وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَصْحَابِنَا: أَنَّ الْمَسَائِلَ الَّتِي يُفْتَى بِهَا عَلَى الْقَدِيمِ أَرْبَعُ عَشْرَةَ، فَذَكَرَ الثَّلَاثَ الْمَذْكُورَاتِ،

وَمَسْأَلَةَ الْإِسْتِجَاءِ بِالْحَجَرِ فِيمَا جَاوَزَ الْمَخْرَجَ، وَالْقَدِيمُ جَوَّازُهُ.

وَمَسْأَلَةَ لَمَسِ الْمَحَارِمِ، وَالْقَدِيمُ: لَا يَنْقُضُ.

وَمَسْأَلَةَ الْمَاءِ الْجَارِي، الْقَدِيمُ: لَا يَنْجُسُ إِلَّا بِالتَّغْيِيرِ.

وَمَسْأَلَةَ تَعْجِيلِ الْعِشَاءِ، الْقَدِيمُ: أَنَّهُ أَفْضَلُ،

وَمَسْأَلَةَ وَقْتِ الْمَغْرِبِ. وَالْقَدِيمُ: امْتِدَادُهُ إِلَى غُرُوبِ الشَّفَقِ.

وَمَسْأَلَةَ الْمُتَفَرِّدِ إِذَا نَوَى الْإِقْتِدَاءَ فِي أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ، الْقَدِيمُ: جَوَّازُهُ.

وَمَسْأَلَةَ أَكْلِ جِلْدِ الْمَيِّتَةِ الْمَذْبُوعِ، الْقَدِيمُ: تَحْرِيمُهُ.

وَمَسْأَلَةَ وَطْءِ الْمَحْرَمِ بِمَلِكِ الْيَمِينِ، الْقَدِيمُ: أَنَّهُ يُوجِبُ الْحَدَّ.

وَمَسْأَلَةَ تَقْلِيمِ أَظْفَارِ الْمَيِّتِ، الْقَدِيمُ كَرَاهَتُهُ.

وَمَسْأَلَةَ شَرْطِ التَّحُلُّلِ مِنَ الْإِحْرَامِ بِمَرَضٍ وَنَحْوِهِ، الْقَدِيمُ: جَوَّازُهُ.

وَمَسْأَلَةَ اخْتِبَارِ النَّصَابِ فِي الرِّكَاعَةِ، الْقَدِيمُ: لَا يُعْتَبَرُ.

وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ الَّتِي ذَكَرَهَا هَذَا الْقَائِلُ لَيْسَتْ مُتَّفَقَةً عَلَيْهَا، بَلْ خَالَفَتْ

جَمَاعَاتٌ مِنَ الْأَصْحَابِ فِي بَعْضِهَا أَوْ أَكْثَرِهَا، وَرَجَّحُوا الْجَدِيدَ، وَنَقَلَ

جَمَاعَاتٌ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا قَوْلًا آخَرَ فِي الْجَدِيدِ يُوَافِقُ الْقَدِيمَ، فَيَكُونُ الْعَمَلُ

عَلَى هَذَا الْجَدِيدِ لَا الْقَدِيمِ.

وَأَمَّا حَضْرُهُ الْمَسَائِلِ الَّتِي يُفْتَى فِيهَا عَلَى الْقَدِيمِ فِي هَذِهِ فَضَعِيفٌ أَيْضًا،
فَإِنَّ لَنَا مَسَائِلَ أُخَرَ صَحَّحَ الْأَصْحَابُ أَوْ أَكْثَرُهُمْ أَوْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِيهَا
الْقَدِيمَ،

مِنْهَا الْجَهْرُ بِالتَّأْمِينِ لِلْمَأْمُومِ فِي صَلَاةِ جَهْرِيَّةٍ، الْقَدِيمُ: اسْتِحْبَابُهُ،
وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ الْأَصْحَابِ،

وَمِنْهَا مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ، الْقَدِيمُ: يَصُومُ عَنْهُ وَلِيِّهِ، وَهُوَ:
الصَّحِيحُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ،

وَمِنْهَا اسْتِحْبَابُ الْخَطِّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ عَصَا
وَنَحْوُهَا، الْقَدِيمُ: اسْتِحْبَابُهُ وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ الْمُصَنِّفِ وَجَمَاعَاتٍ.

وَمِنْهَا إِذَا امْتَسَحَ أَحَدُ الشَّرِيكَيْنِ مِنْ عِمَارَةِ الْجِدَارِ، أُجِبَ عَلَى الْقَدِيمِ،
وَمِنْهَا الصَّدَاقُ فِي يَدِ الزَّوْجِ مَضْمُونٌ ضَمَانُ الْيَدِ عَلَى الْقَدِيمِ، وَهُوَ
الْأَصَحُّ عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ وَابْنِ الصَّبَّاحِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

(١) [قَالَ التَّوَوُّيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ": (فَرُعٌ) قَالَ أَصْحَابُنَا: الْمَالُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَ
غَيْرِهِ قِسْمَانِ دَيْنٌ وَعَيْنٌ (أَمَّا) الدَّيْنُ فَسَنُوضِّحُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.
(وَأَمَّا) الدَّيْنُ فَضَرْبَانِ أَمَانَةٌ وَمَضْمُونٌ.

(الضَّرْبُ الْأَوَّلُ) الْأَمَانَةُ فَيَجُوزُ لِلْمَالِكِ بَيْعُ جَمِيعِ الْأَمَانَاتِ قَبْلَ قَبْضِهَا، لِأَنَّ
الْمِلْكَ فِيهَا تَامٌ وَهِيَ كَالْوَدِيعَةِ فِي يَدِ الْمُودَعِ وَمَالِ الشَّرِكَةِ وَالْقَرَاضِ فِي يَدِ
الشَّرِيكِ وَالْعَامِلِ،

= فالْمَالُ فِي يَدِ الْوَكِيلِ فِي الْبَيْعِ بَعْدَ فِكَائِكَ الرَّهْنِ، وَفِي يَدِ الْمُسْتَأْجِرِ بَعْدَ فَرَاغِ الْمُدَّةِ، وَالْمَالُ فِي يَدِ الْوَلِيِّ بَعْدَ بُلُوغِ الصَّبِيِّ وَرُشْدِهِ، وَرُشْدِ السَّفِيهِ، وَإِفَاقَةِ الْمَجْنُونِ، وَمَا كَسَبَهُ الْعَبْدُ بِاضْطِیَادٍ وَاحْتِطَابٍ وَاحْتِشَاشٍ وَنَحْوِهَا، أَوْ قَبْلَهُ بِالْوَصِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَهُ السَّيِّدُ مِنْ يَدِهِ، وَمَا أَثْبَهَ هَذَا كُلُّهُ يَجُوزُ بَيْعُهُ قَبْلَ قَبْضِهِ. وَلَوْ وَرِثَ مَالًا فَلَهُ بَيْعُهُ قَبْلَ قَبْضِهِ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمُورِثُ لَا يَمْلِكُ بَيْعَهُ أَيْضًا، بِأَنْ اشْتَرَاهُ وَلَمْ يَقْبُضْهُ،

(وَالضَّرْبُ الثَّانِي) الْمَضْمُونَاتُ وَهِيَ نَوَعَانِ:

الأوَّلُ: الْمَضْمُونُ بِالْقِيَمَةِ، وَيُسَمَّى ضَمَانُ الْيَدِ فَيَبِيعُ بَيْعُهُ قَبْلَ قَبْضِهِ لِتَمَامِ الْمَلِكِ فِيهِ وَيَدْخُلُ فِيهِ مَا صَارَ مَضْمُونًا بِالْقِيَمَةِ بِعَقْدٍ مَفْسُوحٍ وَغَيْرِهِ، حَتَّى لَوْ بَاعَ عَبْدًا وَجَدَ الْمُشْتَرِيَ بِهِ عَيًّا وَفَسَخَ الْبَيْعَ كَانَ لِلْبَائِعِ بَيْعُ الْعَبْدِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَرِدَّهُ وَيَقْبُضَهُ. وَلَوْ فُتِحَ السَّلْمُ لَا نَقْطَاعَ الْمُسْلِمِ فِيهِ كَانَ لِلْمُسْلِمِ بَيْعُ رَأْسِ الْمَالِ قَبْلَ اسْتِرْدَادِهِ، وَلَوْ بَاعَ سِلْعَةً فَأَفْلَسَ الْمُشْتَرِيَ بِالثَّمَنِ وَفَسَخَ بِهِ الْبَائِعُ فَلَهُ بَيْعُهَا قَبْلَ قَبْضِهَا، وَيَجُوزُ بَيْعُ الْمَالِ فِي يَدِ الْمُسْتَعِيرِ وَالْمُسْتَأْجِرِ، وَفِي يَدِ الْمُشْتَرِيَ شِرَاءَ فَاسِدًا، وَالْمُتَّهَبِ هَبَةً فَاسِدَةً، وَيَجُوزُ بَيْعُ الْمَغْضُوبِ لِلْغَاصِبِ.

(النَّوعُ الثَّانِي) الْمَضْمُونُ بِعَوَضٍ فِي عَقْدٍ مُعَاوَضَةٍ، لَا يَبِيعُ بَيْعُهُ قَبْلَ قَبْضِهِ، وَذَلِكَ كَالْمَبِيعِ وَالْأَجْرَةِ وَالْعَوَضِ الْمَصَالِحِ عَلَيْهِ عَنِ الْمَالِ، وَالْعَوَاضِينَ فِي الْهَبَةِ بِشَرْطِ ثَوَابٍ، حَيْثُ صَحَّحْنَاهَا، وَدَلِيلُهُ الْحَدِيثُ،

وَعَلَّلُوهُ بِعِلَّتَيْنِ: (إِحْدَاهُمَا) ضَعْفُ الْمَلِكِ لِتَعَرُّضِهِ لِلْإِنْفِسَاحِ بِتَلَفِهِ (وَالثَّانِي) تَوَالِي الضَّمَانِ، وَمَعْنَاهُ أَنْ يَكُونَ مَضْمُونًا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ لَا اثْنَيْنِ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، فَإِنَّهُ لَوْ صَحَّحْنَا بَيْعَهُ كَانَ مَضْمُونًا لِلْمُشْتَرِيَ الْأَوَّلِ عَلَى الْبَائِعِ =

ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَنَا أَفْتَوْا بِهَذِهِ الْمَسَائِلِ مِنَ الْقَدِيمِ، مَعَ أَنَّ الشَّافِعِيَّ رَجَعَ عَنْهُ، فَلَمْ يَبْقَ مَذْهَبًا لَهُ، هَذَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو: فَيَكُونُ الْخِيَارُ أَحَدِهِمَ لِلْقَدِيمِ فِيهَا مِنْ قِبَلِ اخْتِيَارِهِ مَذْهَبَ غَيْرِ الشَّافِعِيَّ إِذَا أَدَّاهُ اجْتِهَادُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ ذَا اجْتِهَادٍ أُتْبِعَ اجْتِهَادُهُ، وَإِنْ كَانَ اجْتِهَادُهُ مُقَيَّدًا مَشُوبًا بِتَقْلِيدٍ، نَقَلَ ذَلِكَ الشُّوبَ مِنَ التَّقْلِيدِ عَنْ ذَلِكَ الْإِمَامِ، وَإِذَا أَفْتَى بَيْنَ ذَلِكَ فِي فِتْوَاهُ، فَيَقُولُ: مَذْهَبُ الشَّافِعِيَّ كَذَا، وَلَكِنِّي أَقُولُ: بِمَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ وَهُوَ كَذَا.

فَرَعَ: اعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَ الْمَذْهَبِ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ أَبِي ثَوْرٍ، لَكِنَّهُ لَا يُنْصِفُهُ فَيَقُولُ: قَالَ أَبُو ثَوْرٍ كَذَا وَهُوَ خَطَأً، وَالتَّرَمَ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي أَقْوَالِهِ، وَرُبَّمَا كَانَ قَوْلُ أَبِي ثَوْرٍ أَقْوَى دَلِيلًا مِنَ الْمَذْهَبِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ. وَأَفْرَطَ الْمُصَنِّفُ فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ حَتَّى فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ الصَّحَابِيِّ ۞ الَّذِي مَحَلُّهُ فِي الْفِقْهِ وَأَنْوَاعِ الْعِلْمِ مَعْرُوفٌ قَلٌّ مِّنْ يُسَاوِيهِ فِيهِ مِنَ الصَّحَابَةِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ، لَا سِيَّمَا الْفَرَائِضُ فَحَكَى عَنْهُ فِي بَابِ الْجَدِّ

= الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي عَلَى الثَّانِي، وَسَوَاءٌ بَاعَهُ الْمُشْتَرِي لِلْبَائِعِ أَوْ لغيرِهِ لَا يَصِحُّ. (وَأَمَّا) بَيْعُ الشَّدَاقِ قَبْلَ الْقُبُورِ مِنْ بَدَنِ الرُّوحِ فَفِيهِ قَوْلَانِ: وَالْأَصَحُّ ضَمَانُ الْعَقْدِ (فَإِنْ قُلْنَا) ضَمَانُ الْيَدِ، جَازَ كَالْعَارِيَّةِ (وَإِنْ قُلْنَا) ضَمَانُ الْعَقْدِ فَهُوَ كَالْمَبِيعِ، فَلَا يَجُوزُ بَيْعُهُ قَبْلَ قَبْضِهِ لِأَجْنَبِيٍّ، وَفِي بَيْعِهِ لِلزَّوْجِ الْخِلَافُ. وَالْمَذْهَبُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ].

وَالِإِخْوَةَ مَذْهَبُهُ فِي الْمَسْأَلَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِمُرَبَّعَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا خَطَأً. وَلَا يَسْتَعْمَلُ الْمُصَنِّفُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ غَالِبًا فِي أَحَادٍ أَصْحَابِنَا أَصْحَابِ الْوُجُوهِ الَّذِينَ لَا يُقَارِبُونَ أَبَا ثَوْرٍ، وَرُبَّمَا كَانَتْ أَوُجُوهُهُمْ ضَعِيفَةً، بَلْ وَاهِيَةً. وَقَدْ أَجْمَعَ نَقْلَةُ الْعِلْمِ عَلَى جَلَالَةِ أَبِي ثَوْرٍ، وَإِمَامَتِهِ، وَبِرَاعَتِهِ فِي الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَحُسْنِ مُصَنَّفَاتِهِ فِيهِمَا، مَعَ الْجَلَالَةِ وَالِإِتْقَانِ، وَأَحْوَالِهِ مَبْسُوطَةً فِي تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ، وَفِي الطَّبَقَاتِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - . [رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى الْإِمَامِ النَّوَوِيِّ، مَا أَغْدَلَ كَلَامَهُ، وَمَا أَجْمَلَ طَرِيقَتَهُ].

فُضِّلَ: فِي نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَقَدَّمْتُهُ لِمَقَاصِدَ مِنْهَا: تَبَرُّكُ الْكِتَابِ بِهِ، وَمِنْهَا أَنْ يَحَالَ عَلَيْهِ مَا سَأَذْكُرُهُ مِنَ الْأَنْسَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَهُوَ ﷺ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ بْنِ مَعَدٍ بْنِ عَدْنَانَ. إِلَى هُنَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَمَا بَعْدَهُ إِلَى آدَمَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَلَا يُثْبِتُ فِيهِ شَيْءٌ، وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي (تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ، وَاللُّغَاتِ) عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَلْفَ اسْمٍ، وَذَكَرْتُ فِيهِ قِطْعَةً تَتَعَلَّقُ بِأَسْمَائِهِ، وَأَحْوَالِهِ ﷺ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

نُبْدَةُ مِنْ سِيَرِ أَيْمَةِ الْفَقْهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

١ - الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ (٨٠ - ١٥٠)

قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ فِي "سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ":

الْإِمَامُ، فَقِيهُ الْمِلَّةِ، عَالِمُ الْعِرَاقِ أَبُو حَنِيفَةَ الثُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ بْنِ زُوَيْلِ بْنِ التَّيْمِيِّ، الْكُوفِيُّ، مَوْلَى بَنِي تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ يُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ أَبْنَاءِ الْفُرْسِ. رَوَى لَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ

وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِينَ فِي حَيَاةِ صِغَارِ الصَّحَابَةِ، وَرَأَى أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْكُوفَةَ. وَلَمْ يَثْبُتْ لَهُ حَرْفٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ،

وَرَوَى عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَهُوَ أَكْبَرُ شَيْخٍ لَهُ وَأَفْضَلُهُمْ عَلَى مَا قَالَ، وَعَنِ الشَّعْبِيِّ، وَعَنْ جَبَلَةَ بْنِ سُوَيْدٍ، وَعَنْ ثَابِتٍ، وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمَزٍ الْأَعْرَجِ، وَحَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ وَبِهِ تَفَقَّهُ، وَابْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ، وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، وَهَشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَخَلْقٍ سِوَاهُمْ. حَتَّى إِنَّهُ رَوَى عَنْ شَيْبَانَ النَّحْوِيِّ وَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَهُمَا أَصْغَرُ مِنْهُ.

وَعَنِي بِطَلَبِ الْأَثَارِ، وَارْتَحَلَ فِي ذَلِكَ،

وَأَمَّا الْفِقْهُ وَالْتَدْقِيقُ فِي الرَّأْيِ وَعَوَامِصُهُ، فَإِلَيْهِ الْمُتَتَهَى وَالنَّاسُ عَلَيْهِ عِيَالٌ فِي ذَلِكَ.

حَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَالِمُ خُرَاسَانَ،

وَأَبْيَضُ بْنُ الْأَعْرَبِ بْنِ الصَّبَاحِ الْمُنْقَرِي، وَأَسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَغَيْرُهُمْ.
 قَالَ أَحْمَدُ الْعَجْلِيُّ: أَبُو حَنِيفَةَ تَيْمِيٌّ مِنْ رَهْطِ حَمْزَةِ الزِّيَّاتِ. كَانَ
 خَزَّازًا يَبِيعُ الْخَزْرَ. [قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الْخَزْرُ الْمَعْرُوفُ أَوَّلًا ثِيَابٌ تُنْسَجُ مِنْ صُوفٍ وَإِبْرِسِمٍ
 (حَرِيرٍ) وَهِيَ مُبَاحَةٌ، قَالَ: وَقَدْ لَبَسَهَا الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ فَيَكُونُ النَّهْيُ عَنْهَا لِأَجْلِ التَّشْبِهِ
 بِالْعَجَمِ وَزِيٍّ الْمُتَرَفِّينَ، قَالَ: وَإِنْ أُرِيدَ بِالْخَزْرِ النَّوعُ الْآخَرُ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ الْآنَ، فَهُوَ
 حَرَامٌ لِأَنَّهُ كُلُّهُ مَعْمُولٌ مِنَ الْإِبْرِسِمِ، قَالَ: وَعَلَيْهِ يَحْمَلُ الْحَدِيثُ الْآخَرُ: قَوْمٌ يَسْتَحِلُّونَ
 الْخَزْرَ وَالْحَرِيرَ.]

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ حَمَّادٍ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ: أَمَّا زَوْطَى فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ كَابُلَ،
 وَوُلِدَ ثَابِتٌ عَلَى الْإِسْلَامِ.

وَكَانَ زَوْطَى مَمْلُوكًا لَبْنِي تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ فَأُعْتِقَ فَوَلَّاهُ لَهُمْ، ثُمَّ لَبْنِي
 قُتِلَ. قَالَ: وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ خَزَّازًا، وَدُكَّانُهُ مَعْرُوفٌ فِي دَارِ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ.

... شَادَانَ الْمُرُوزِيَّ سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ يَقُولُ: أَنْبَأَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ
 حَمَّادٍ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ الثُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ
 الْأَحْرَارِ، وَاللَّهُ مَا وَقَعَ عَلَيْنَا رِقٌّ قَطُّ. وُلِدَ جَدِّي فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ، وَذَهَبَ
 ثَابِتٌ إِلَى عَلِيِّ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِيهِ وَفِي ذُرِّيَّتِهِ، وَنَحْنُ نَرْجُو
 مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ اسْتَجَابَ ذَلِكَ لِعَلِيِّ ﷺ فِينَا.

قَالَ: وَالثُّعْمَانُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ وَالِدُ ثَابِتٍ هُوَ الَّذِي أَهْدَى لِعَلِيِّ الْفَالُودَجَ
 فِي يَوْمِ النَّيْرُوزِ فَقَالَ عَلِيُّ: نَوْرُزُونَا كُلَّ يَوْمٍ، وَقِيلَ كَانَ ذَلِكَ فِي
 الْمَهْرَجَانِ، فَقَالَ: مَهْرَجُونَا كُلَّ يَوْمٍ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْعَوْفِيُّ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ يَقُولُ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ ثِقَةً لَا يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ إِلَّا بِمَا يَحْفَظُهُ، وَلَا يُحَدِّثُ بِمَا لَا يَحْفَظُ.

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ يَقُولُ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ ثِقَةً فِي الْحَدِيثِ، وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَرَّرٍ، عَنِ ابْنِ مَعِينٍ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ لَا بَأْسَ بِهِ. وَقَالَ مَرَّةً: هُوَ عِنْدَنَا مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ، وَلَمْ يُتَّهِمْ بِالْكَذِبِ. وَلَقَدْ ضَرَبَهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ عَلَى الْقَضَاءِ، فَأَبَى أَنْ يَكُونَ قَاضِيًا.

وَطَلَبَ أَبُو حَنِيفَةَ الْحَدِيثَ وَأَكْثَرَ مِنْهُ فِي سَنَةِ مِائَةٍ وَبَعْدَهَا، وَكَانَ يَطْلُبُهُ كِبَارُ الْعُلَمَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْفُقَهَاءِ عِلْمٌ بَعْدَ الْقُرْآنِ سِوَاهُ وَلَا كَانَتْ قَدْ دُونَتْ كُتُبُ الْفِقْهِ أَصْلًا.

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: قَدِمْتُ الْبَصْرَةَ فَظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَجَبْتُ فِيهِ. فَسَأَلُونِي عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي فِيهَا جَوَابٌ، فَجَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا أَفَارِقَ حَمَادًا حَتَّى يَمُوتَ، فَصَحِبْتُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً.

... عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي بِأَبِي حَنِيفَةَ وَسُفْيَانَ، كُنْتُ كَسَائِرِ النَّاسِ.

... أَحْمَدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ قَالَ: قِيلَ لِمَالِكٍ: هَلْ رَأَيْتَ أَبَا حَنِيفَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. رَأَيْتُ رَجُلًا لَوْ كَلَّمَكَ فِي هَذِهِ السَّارِيَةِ أَنْ يَجْعَلَهَا ذَهَبًا لَقَامَ بِحُجَّتِهِ.

... عَنِ الْقَاضِي أَبِي يُوسُفَ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ أَبِي حَنِيفَةَ، إِذْ

سَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ لِآخَرَ: هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ. فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: وَاللَّهِ لَا يَتَحَدَّثُ عَنِّي بِمَا لَمْ أَفْعَلْ. فَكَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ صَلَاةً وَتَضَرُّعًا وَدُعَاءً. وَقَدْ رُوِيَ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ.

وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ قَالَ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَبْعَةً، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صُورَةً، وَأَبْلَغِهِمْ نُطْقًا، وَأَعَذِبَهُمْ نَعْمَةً، وَأَبْيَنَهُمْ عَمَّا فِي نَفْسِهِ.

وَعَنْ حَمَادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ قَالَ: كَانَ أَبِي جَمِيلًا، تَعْلُوهُ سُمْرَةٌ، حَسَنُ الْهَيْئَةِ، كَثِيرُ التَّعَطُّرِ، هَيُوبًا، لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا جَوَابًا، وَلَا يَخُوضُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِيمَا لَا يَعْنِيهِ.

وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَوْقَرَ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَا أَحْسَنَ سَمْتًا وَحِلْمًا مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ.

... عَنْ الْمُثَنَّى بْنِ رَجَاءٍ قَالَ: جَعَلَ أَبُو حَنِيفَةَ عَلَى نَفْسِهِ، إِنْ حَلَفَ بِاللَّهِ صَادِقًا أَنْ يَتَصَدَّقَ بِدِينَارٍ. وَكَانَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى عِيَالِهِ نَفَقَةً تَصَدَّقَ بِمِثْلِهَا.

... عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَرِعًا تَقِيًّا، مُفْضِلًا عَلَى إِخْوَانِهِ.

وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يُسَمَّى الْوَتْدَ لِكَثْرَةِ صَلَاتِهِ.

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ كُمَيْتٍ، سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لِأَبِي حَنِيفَةَ: اتَّقِ اللَّهَ، فَاَنْتَفَضَ، وَاضْفَرَ، وَأَطْرَقَ، وَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا. مَا أَحْجَجَ النَّاسَ كُلَّ

وَقَتِ إِلَى مَنْ يَقُولُ لَهُمْ مِثْلَ هَذَا . وَيُرَوَّى أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ خَتَمَ الْقُرْآنَ سَبْعَةَ
آلَافٍ مَرَّةً . (لَوْ خَتَمَ كُلُّ لَيْلَةٍ لَكَانَتْ فِي ٢٧ سَنَةً) .

.. عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مَعْنٍ ، أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ قَامَ لَيْلَةً يُرَدِّدُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿بَلِ
السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٦] وَيَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ إِلَى الْفَجْرِ .
وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ ضَرَبَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، عَلَى أَنَّ
يَلِي الْقَضَاءَ فَلَمْ يُجِبْ .

وَرَوَى نُوحُ الْجَامِعُ ، عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ قَالَ : مَا جَاءَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ
فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ ، وَمَا جَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ اخْتَرْنَا ، وَمَا كَانَ مِنْ غَيْرِ
ذَلِكَ ، فَهُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ .

وَعَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ قَالَ : حُبُّ أَبِي حَنِيفَةَ مِنَ السُّنَّةِ .

وَعَنْ مُغِيثِ بْنِ بُدَيْلٍ قَالَ : دَعَا الْمُنْصُورُ أَبَا حَنِيفَةَ إِلَى الْقَضَاءِ فَاِمْتَنَعَ ،
فَقَالَ : أَتَرْغَبُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ؟ فَقَالَ : لَا أَصْلُحُ وَاللَّهِ مَا أَنَا بِمَأْمُونٍ الرِّضَا .
فَكَيْفَ أَكُونُ مَأْمُونًا الْغَضَبِ؟ قَالَ : كَذَبْتُ . قَالَ : فَقَدْ حَكَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيَّ أَنِّي لَا أَصْلُحُ ، فَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَلَا أَصْلُحُ ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَقَدْ
أَخْبَرْتُكُمْ أَنِّي لَا أَصْلُحُ ، فَحَبَسَهُ .

وَقَالَ الْفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّيْمَرِيُّ : لَمْ يَقْبَلِ الْعَهْدَ بِالْقَضَاءِ ، فَضُرِبَ
وَحُبِسَ ، وَمَاتَ فِي السَّجْنِ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ : لَا نَكْذِبُ اللَّهَ ، مَا سَمِعْنَا أَحْسَنَ مِنْ

رَأَيْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَخَذَنَا بِأَكْثَرِ أَقْوَالِهِ.

وَقَالَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ: كَلَامُ أَبِي حَنِيفَةَ فِي الْفِقْهِ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، لَا يَعْيبُهُ إِلَّا جَاهِلٌ.

وَرُوِيَ عَنِ الْأَعْمَشِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: إِنَّمَا يُحْسِنُ هَذَا النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ الْحَزَّازُ، وَأَطْنَتْهُ بُورِكَ لَهُ فِي عِلْمِهِ. [الْحَزَّازُ: ثِيَابٌ تُنْسَجُ مِنْ صُوفٍ وَابْرَيْسَمٍ، وَبِائِعُهَا حَزَّازٌ].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: النَّاسُ فِي الْفِقْهِ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ.

قَالَ الدَّهَبِيُّ: قُلْتُ: الْإِمَامَةُ فِي الْفِقْهِ وَدَقَائِقُهَا مُسَلَّمَةٌ إِلَى هَذَا الْإِمَامِ. وَهَذَا أَمْرٌ لَا شَكَّ فِيهِ.

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأُذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا اخْتَجَّ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ تُوفِّيَ شَهِيدًا مَسْقِيًّا فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَلَهُ سَبْعُونَ سَنَةً. [قُلْتُ: مَاتَ ﷺ بِدَاءِ الْإِسْتِسْقَاءِ. وَفِي "لِسَانِ الْعَرَبِ": وَفِي حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: أَنَّهُ سَقِيَ بَطْنَهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً. يُقَالُ: سَقِيَ بَطْنَهُ وَسَقَى بَطْنَهُ وَاسْتَسْقَى بَطْنَهُ أَيِ حَصَلَ فِيهِ الْمَاءُ الْأَضْفَرُ. اهـ].

وَصِيَّةُ أَبِي حَنِيفَةَ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

وَفِي الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ لِلْحَمَوِيِّ الْحَنْفِيِّ:

. وَصِيَّةُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ لِأَبِي يُوسُفَ ﷺ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ لَهُ مِنْهُ الرُّشْدُ

وَحُسْنُ السَّيْرِ وَالْأُقْبَالُ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ لَهُ:

يَا يَعْقُوبُ: وَزَّرَ السُّلْطَانُ وَعَظَّمْ مَنْزِلَتَهُ، وَإِيَّاكَ وَالْكَذِبَ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَاللُّخُولَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَا لَمْ يَدْعُكَ لِحَاجَةٍ عَلَيْهِ، فَإِنَّكَ إِذَا أَكْثَرْتَ إِلَيْهِ
الْاِخْتِلَافَ تَهَاوَنَ بِكَ وَصَغُرَتْ مَنْزِلَتُكَ عِنْدَهُ، فَكُنْ مِنْهُ كَمَا أَنْتَ مِنَ النَّارِ
تَنْتَفِعُ وَتَتَبَاعَدُ وَلَا تَذُنُ مِنْهَا، فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَرَى لِأَحَدٍ مَا يَرَى لِنَفْسِهِ،
وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْكَلَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُ عَلَيْكَ مَا قُلْتَهُ لِيُرِيَ مِنْ نَفْسِهِ
بَيْنَ يَدَيْ حَاشِيَتِهِ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْكَ وَأَنَّهُ يُحِطُّ بِكَ فَتَصْغُرُ فِي أَغْيُنِ قَوْمِهِ، وَلَكِنْ
إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ تَعْرِفُ قَدْرَكَ وَقَدَرَ غَيْرِكَ، وَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ مِنْ أَهْلِ
الْعِلْمِ مَنْ لَا تَعْرِفُهُ فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ أَدْوَنَ حَالًا مِنْهُ لَعَلَّكَ تَتَرَفَّعُ عَلَيْهِ فَيَضْرُكَ،
وَإِنْ كُنْتَ أَعْلَمَ مِنْهُ لَعَلَّكَ تَحُطُّ عَنْهُ فَتَسْقُطُ بِذَلِكَ مِنْ عَيْنِ السُّلْطَانِ.

وَإِذَا عَرَضَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِ فَلَا تَقْبَلْ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ
يَرْضَاكَ وَيَرْضَى مَذْهَبَكَ فِي الْعِلْمِ وَالْقَضَايَا، كَيْ لَا تَحْتَاجَ إِلَى ارْتِكَابِ
مَذْهَبِ غَيْرِكَ فِي الْحُكُومَاتِ وَلَا تُوَاصِلَ أَوْلِيَاءَ السُّلْطَانِ وَحَاشِيَتِهِ بَلْ
تَقَرَّبْ إِلَيْهِ فَقَطْ وَتَبَاعَدْ عَنْ حَاشِيَتِهِ لِيَكُونَ مَجْدُكَ وَجَاهُكَ بَاقِيًا وَلَا تَتَكَلَّمَ
بَيْنَ يَدَيْ الْعَامَّةِ إِلَّا بِمَا تُسْأَلُ عَنْهُ، وَإِيَّاكَ وَالْكَلَامَ فِي الْعَامَّةِ وَالتَّجَارَةَ إِلَّا
بِمَا يَرْجَعُ إِلَى الْعِلْمِ؛ كَيْ لَا يُوقَفَ عَلَى حُبِّكَ وَرَغْبَتِكَ فِي الْمَالِ؛ فَإِنَّهُمْ
يُسَيِّئُونَ الظَّنَّ بِكَ وَيَعْتَقِدُونَ مِيلَكَ إِلَى أَخْذِ الرِّشْوَةِ مِنْهُمْ. وَلَا تَضْحَكُ وَلَا
تَتَبَسَّمُ بَيْنَ يَدَيْ الْعَامَّةِ.

١ - وَلَا تُكْثِرِ الْخُرُوجَ إِلَى الْأَسْوَاقِ وَلَا تُكَلِّمِ الْمُرَاهِقِينَ؛ فَإِنَّهُمْ فِتْنَةٌ، وَلَا بَأْسَ أَنْ تُكَلِّمَ الْأَطْفَالَ وَتَمْسَحَ رُءُوسَهُمْ.

٢ - وَلَا تَمْشِ فِي قَارِعَةِ الطَّرِيقِ مَعَ الْمَشَائِخِ وَالْعَامَّةِ؛ فَإِنَّكَ إِنْ قَدَّمْتَهُمْ ازْدَرَى ذَلِكَ بِعِلْمِكَ، وَإِنْ أَخَّرْتَهُمْ ازْدَرَى بِكَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَسَنُّ مِنْكَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَلَمْ يُوقِّرْ كَبِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا﴾.

٣ - وَلَا تَقْعُدْ عَلَى قَوَارِعِ الطَّرِيقِ فَإِذَا دَعَاكَ ذَلِكَ فَاقْعُدْ فِي الْمَسْجِدِ،

٤ - وَلَا تَأْكُلْ فِي الْأَسْوَاقِ وَالْمَسَاجِدِ، وَلَا تَشْرَبْ مِنَ السَّقَايَاتِ وَلَا مِنْ أَيْدِي السَّقَاتِينِ وَلَا تَقْعُدْ عَلَى الْحَوَانِيتِ وَلَا تَلْبَسَ الدِّيَاجَ وَالْحُلِيَّ وَأَنْوَاعَ الْإِبْرَيْسَمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْضِي إِلَى الرُّعُونَةِ.

٥ - وَلَا تُكْثِرِ الْكَلَامَ فِي بَيْتِكَ مَعَ امْرَأَتِكَ فِي الْفِرَاشِ إِلَّا وَقْتَ حَاجَتِكَ إِلَيْهَا بِقَدْرِ ذَلِكَ، وَلَا تُكْثِرْ لَمْسَهَا وَمَسَّهَا وَلَا تَقْرُبَهَا إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا تَكَلِّمْ بِأَمْرِ نِسَاءِ الْغَيْرِ بَيْنَ يَدَيْهَا وَلَا بِأَمْرِ الْجَوَارِي، فَإِنَّهَا تَنْبَسِطُ إِلَيْكَ فِي كَلَامِكَ وَلَعَلَّكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ عَنْ غَيْرِهَا تَكَلَّمْتَ عَنْ الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ.

٥ - وَلَا تَتَزَوَّجْ امْرَأَةً كَانَ لَهَا بَعْلٌ أَوْ أَبٌ أَوْ أُمٌّ أَوْ بِنْتُ إِنْ قَدَرْتَ إِلَّا بِشَرْطِ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ أَقَارِبِكَ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ مَالٍ يَدَّعِي أَبُوهَا أَنْ جُمِعَ مَالُهَا لَهُ وَأَنَّهُ عَارِيَةٌ فِي يَدِهَا.

٧ - وَلَا تَدْخُلْ بَيْتَ أَبِيهَا مَا قَدَرْتَ.

٨ - وَإِيَّاكَ أَنْ تَرْضَى أَنْ تُرَفَّ فِي بَيْتِ أَبَوَيْهَا، فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَمْوَالَكَ وَيَظْمَعُونَ فِيهَا غَايَةَ الظَّمْعِ،

٩ . وَإِيَّاكَ وَأَنْ تَتَزَوَّجَ بِذَاتِ الْبَيْنِ وَالْبَنَاتِ، فَإِنَّهَا تَدَّخِرُ جَمِيعَ الْمَالِ لَهُمْ وَتَسْرِقُ مِنْ مَالِكَ وَتُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الْوَلَدَ أَعَزُّ عَلَيْهَا مِنْكَ وَلَا تَجْمَعُ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ. وَلَا تَتَزَوَّجْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ تَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ بِجَمِيعِ حَوَائِجِهَا .

١٠ - وَاطْلُبِ الْعِلْمَ أَوَّلًا ثُمَّ اجْمَعْ الْمَالَ مِنَ الْحَلَالِ. ثُمَّ تَزَوَّجْ، فَإِنَّكَ إِنْ طَلَبْتَ الْمَالَ فِي وَقْتِ التَّعَلُّمِ عَجَزْتَ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَدَعَاكَ الْمَالُ إِلَى شِرَاءِ الْجَوَارِي وَالْغُلَّامَانِ وَتَشْتَغِلُ بِالدُّنْيَا وَالنِّسَاءِ قَبْلَ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ؛ فَيَضِيعُ وَقْتُكَ وَيَجْتَمِعُ عَلَيْكَ الْوَلَدُ وَيَكْثُرُ عِيَالُكَ فَتَحْتَاجُ إِلَى الْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ وَتَتْرُكُ الْعِلْمَ.

١١ - وَاشْتَغِلْ بِالْعِلْمِ فِي عُمْرِكَ شَبَابِكَ وَوَقْتُ فَرَاغِ قَلْبِكَ وَخَاطِرِكَ ثُمَّ اشْتَغِلْ بِالْمَالِ لِيَجْتَمِعَ عِنْدَكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْوَلَدِ وَالْعِيَالِ يُشَوِّشُ الْبَالُ؛ فَإِذَا جَمَعْتَ الْمَالَ فَتَزَوَّجْ،

١٢ - وَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَالنَّصِيحَةِ لِجَمِيعِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَلَا تَسْتَخِفَّ بِالنَّاسِ، وَوَقِّرْ نَفْسَكَ وَوَقِّرْهُمْ، وَلَا تُكْثِرْ مُعَاشَرَتَهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُعَاشِرُوكَ، وَقَابِلْ مُعَاشَرَتَهُمْ بِذِكْرِ الْمَسَائِلِ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ اشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ أَحَبَّكَ وَإِيَّاكَ.

١٣ - وَعَلَيْكَ أَنْ تُكَلِّمَ الْعَامَّةَ بِأَمْرِ الدِّينِ فِي الْكَلَامِ؛ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ يُقَلِّدُونَكَ فَيَسْتَعْمِلُونَ بِذَلِكَ،

وَمَنْ جَاءَكَ يَسْتَغْفِرُكَ فِي الْمَسَائِلِ؛ فَلَا تُجِبْ إِلَّا عَنْ سُؤَالِهِ وَلَا تَضُمَّ إِلَيْهِ غَيْرَهُ؛ فَإِنَّهُ يُشَوِّشُ عَلَيْكَ جَوَابَ سُؤَالِهِ.

١٤ - وَإِنْ بَقِيَ عَشْرَ سِنِينَ بِلَا كَسْبٍ وَلَا قُوَّةٍ فَلَا تُعْرِضْ عَنِ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا أَعْرَضْتَ عَنْهُ كَانَتْ مَعِيشَتُكَ ضَنْكًا وَأَقْبَلُ عَلَى مُتَقَفِّهِكَ كَأَنَّكَ اتَّخَذْتَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ابْنًا وَوَلَدًا لِتَزِيدَهُمْ رَغْبَةً فِي الْعِلْمِ،

١٥ - وَمَنْ نَاقَشَكَ مِنَ الْعَامَّةِ وَالسُّوقَةِ فَلَا تُنَاقِشْهُ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ مَاءَ وَجْهِكَ، وَلَا تَحْتَشِمِ مِنْ أَحَدٍ عِنْدَ ذِكْرِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ سُلْطَانًا.

١٦ - وَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ مِنَ الْعِبَادَاتِ إِلَّا بِأَكْثَرِ مِمَّا يَفْعَلُهُ غَيْرُكَ وَيَتَعَاطَاهَا فَالْعَامَّةُ إِذَا لَمْ يَرَوْا مِنْكَ الْإِقْبَالَ عَلَيْهَا بِأَكْثَرِ مِمَّا يَفْعَلُونَ اعْتَقَدُوا فِيكَ قَلَّةَ الرِّغْبَةِ وَاعْتَقَدُوا أَنَّ عِلْمَكَ لَا يَنْفَعُكَ إِلَّا مَا نَفَعَهُمُ الْجَهْلُ الَّذِي هُمْ فِيهِ.

١٧ - وَإِذَا دَخَلْتَ بَلَدَةً فِيهَا أَهْلُ الْعِلْمِ؛ فَلَا تَتَّخِذْهَا لِنَفْسِكَ، بَلْ كُنْ كَوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِهَا لِيَعْلَمُوا أَنَّكَ لَا تَقْصِدُ جَاهَهُمْ، وَإِلَّا يَخْرُجُونَ عَلَيْكَ بِأَجْمَعِهِمْ وَيَطْعَنُونَ فِي مَذْهَبِكَ، وَالْعَامَّةُ يَخْرُجُونَ عَلَيْكَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْكَ بِأَعْيُنِهِمْ فَتَصِيرُ مَطْعُونًا عِنْدَهُمْ بِلَا فَائِدَةٍ،

١٨ - وَإِنْ اسْتَشْتَوَكَ الْمَسَائِلَ فَلَا تُنَاقِشْهُمْ فِي الْمُنَازَرَةِ وَالْمُطَارَحَاتِ،

وَلَا تَذْكُرْ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا عَنْ دَلِيلٍ وَاضِحٍ، وَلَا تَطْعَنْ فِي أَسَاتِذَتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَطْعُنُونَ فِيكَ، وَكُنْ مِنَ النَّاسِ عَلَى حَذَرٍ، وَكُنْ لِلَّهِ تَعَالَى فِي سِرِّكَ كَمَا أَنْتَ لَهُ فِي عَلَانِيَتِكَ، وَلَا تُضْلِحْ أَمْرَ الْعِلْمِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَجْعَلَ سِرَّهُ كَعَلَانِيَتِهِ،

١٩ - وَإِذَا أَوْلَاكَ السُّلْطَانُ عَمَلًا لَا يَضْلِحُ لَكَ فَلَا تَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يُؤَلِّيكَ ذَلِكَ لِعِلْمِكَ،

٢٠ - وَلِإِيَّاكَ وَأَنْ تَتَكَلَّمَ فِي مَجْلِسِ النَّظَرِ عَلَى خَوْفٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُورِثُ الْخَلَلَ فِي الْإِحَاطَةِ وَالْكَلِّ فِي اللِّسَانِ وَلِإِيَّاكَ أَنْ تُكْثِرَ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَلَا تَمْسُ إِلَّا عَلَى طُمَأْنِينَةٍ وَلَا تُكُنْ عَجُولًا فِي الْأُمُورِ، وَمَنْ دَعَاكَ مِنْ خَلْفِكَ فَلَا تُجِبْهُ، فَإِنَّ الْبَهَائِمَ تُنَادِي مِنْ خَلْفِهَا.

٢١ - وَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَا تُكْثِرْ صِيَاحَكَ وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ وَاتَّخِذْ لِنَفْسِكَ السُّكُونَ وَقَلَّةَ الْحَرَكَةِ عَادَةً كَيَّ يَتَحَقَّقَ عِنْدَ النَّاسِ ثَبَاتُكَ. وَأَكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ لِيَتَعَلَّمُوا ذَلِكَ مِنْكَ.

٢٢ - وَاتَّخِذْ لِنَفْسِكَ وَرْدًا خَلْفَ الصَّلَاةِ، تَقْرَأُ فِيهَا الْقُرْآنَ وَتَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَتَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْدَعَكَ مِنَ الصَّبْرِ وَأَوْلَاكَ مِنَ النِّعَمِ وَاتَّخِذْ لِنَفْسِكَ أَيَّامًا مَعْدُودَةً مِنْ كُلِّ شَهْرٍ تَصُومُ فِيهَا لِيُقْتَدِيَ غَيْرُكَ بِكَ.

٢٣ - وَرَاقِبْ نَفْسَكَ وَحَافِظْ عَلَى الْغَيْرِ تَتَنَفَّعُ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ بِعِلْمِكَ وَلَا تَشْتَرِ بِنَفْسِكَ وَلَا تَبِغْ، بَلْ اتَّخِذْ لَكَ غُلَامًا مُصْلِحًا يَقُومُ بِأَشْغَالِكَ وَتَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي أُمُورِكَ،

٢٤ - وَلَا تَطْمَئِنِّ إِلَى دُنْيَاكَ وَإِلَى مَا أَنْتَ فِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَائِلُكَ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ وَلَا تَشْتَرِ الْغُلَمَانَ الْمُرْدَانَ.

٢٥ - وَلَا تُظْهِرْ مِنْ نَفْسِكَ التَّقَرُّبَ إِلَى السُّلْطَانِ وَإِنْ قَرَّبَكَ؛ فَإِنَّهُ تُرْفَعُ إِلَيْكَ الْحَوَائِجُ فَإِنْ قُضِيَ أَهَانُكَ وَإِنْ لَمْ تَقْمِ أَعَابُكَ،

٢٦ - وَلَا تَتَّبِعِ النَّاسَ فِي خَطَايَاهُمْ بَلْ اتَّبِعْ فِي صَوَابِهِمْ،

٢٧ - وَإِذَا عَرَفْتَ إِنْسَانًا بِالشَّرِّ فَلَا تَذْكُرْهُ بِهِ بَلْ أُطْلَبْ مِنْهُ خَيْرًا فَادْكُرْهُ بِهِ، إِلَّا فِي بَابِ الدِّينِ، فَإِنَّكَ إِنْ عَرَفْتَ فِي دِينِهِ ذَلِكَ فَادْكُرْهُ لِلنَّاسِ كَيْ لَا يَتَّبِعُوهُ وَيَحْذَرُوهُ.

٢٨ - وَالَّذِي تَرَى مِنْهُ الْخَلَلَ فِي الدِّينِ فَادْكُرْ ذَلِكَ وَلَا تُبَالٍ مِنْ جَاهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُعِينُكَ وَنَاصِرُكَ وَنَاصِرُ الدِّينِ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ مَرَّةً هَابُوكَ وَلَمْ يَتَجَاسَرَ أَحَدٌ عَلَى إِظْهَارِ الْبِدْعَةِ فِي الدِّينِ.

٢٩ - وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ سُلْطَانِكَ مَا يُوَافِقُ الْعِلْمَ؛ فَادْكُرْ ذَلِكَ مَعَ طَاعَتِكَ إِيَّاهُ فَإِنَّ يَدَهُ أَقْوَى مِنْ يَدِكَ؛ تَقُولُ لَهُ: أَنَا مُطِيعٌ لَكَ فِي الَّذِي أَنْتَ فِيهِ سُلْطَانٌ وَمُسَلِّطٌ عَلَيَّ، غَيْرَ أَنِّي أَنْكُرُ مِنْ سِيرَتِكَ مَا لَا يُوَافِقُ الْعِلْمَ، فَإِذَا فَعَلْتَ مَعَ السُّلْطَانِ مَرَّةً كَفَاكَ لِأَنَّ إِذَا وَاطَبْتَ عَلَيْهِ وَدُمْتَ لَعَلَّهُمْ يَفْهَرُونَكَ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ قَمْعٌ لِلدِّينِ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ لِيَعْرِفَ مِنْكَ الْجَهْدَ فِي الدِّينِ وَالْحِرْصَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ. فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَادْخُلْ عَلَيْهِ وَحَدِّثْ فِي دَارِهِ وَانصَحْهُ فِي الدِّينِ وَنَازِرْهُ إِنْ كَانَ

مُبْتَدِعًا، وَإِنْ كَانَ سُلْطَانًا فَادْكُرْ لَهُ مَا يَحْضُرُكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ قَبِلَ مِنْكَ وَإِلَّا فَاسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَكَ مِنْهُ.

٣٠ - وَادْكُرْ الْمَوْتَ وَاسْتَغْفِرْ لِلْأُسْتَاذِ وَمَنْ أَخَذْتَ عَنْهُمْ الْعِلْمَ وَدَاوِمَ عَلَى التَّلَاوَةِ وَأَكْثِرْ مِنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ وَالْمَشَايِخِ وَالْمَوَاضِعِ الْمُبَارَكَةِ، وَاقْبَلْ مِنَ الْعَامَّةِ مَا يَعْزِضُونَ عَلَيْكَ مِنْ رُؤْيَاهُمْ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَفِي رُؤْيَا الصَّالِحِينَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَنَازِلِ وَالْمَقَابِرِ، وَلَا تُجَالِسْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ.

٣١ - وَلَا تُكْثِرِ اللَّعِبَ وَالشُّتْمَ وَإِذَا أَدَّكَ الْمُؤَذِّنُ فَتَأَهَّبْ لِدُخُولِ الْمَسْجِدِ كَيْ لَا تَتَقَدَّمَ عَلَيْكَ الْعَامَّةُ،

٣٢ - وَلَا تَتَّخِذْ دَارَكَ فِي جِوَارِ السُّلْطَانِ،

٣٣ - وَمَا رَأَيْتَ عَلَى جَارِكَ فَاسْتُرَهُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ أَمَانَةٌ وَلَا تُظْهِرْ أَسْرَارَ النَّاسِ،

٣٤ - وَمَنْ اسْتَشَارَكَ فِي شَيْءٍ فَأَشِرْ عَلَيْهِ بِمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ يَقْرُبُكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

٣٥ - وَاقْبَلْ وَصِيَّتِي هَذِهِ؛ فَإِنَّكَ تَنْتَفِعُ بِهَا فِي أَوَّلِكَ وَآخِرِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

٣٦ - وَإِيَّاكَ وَالْبُخْلَ فَإِنَّهُ يُبْغِضُ بِهِ الْمَرْءَ وَلَا تَكُ طَمَاعًا وَلَا كَذَّابًا

وَلَا صَاحِبَ تَخْلِيْطٍ، بَلْ احْفَظْ مُرُوءَتَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا.

٣٧ - وَابْسُ مِنَ الثِّيَابِ الْبَيْضِ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا،

٣٨ - وَأَظْهَرُ غِنَى الْقَلْبِ مُظْهِرًا مِنْ نَفْسِكَ قِلَّةُ الْحِرْصِ وَالرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا، وَأَظْهَرُ مِنْ نَفْسِكَ الْغِنَاءِ، وَلَا تُظْهِرُ الْفَقْرَ وَإِنْ كُنْتَ فَقِيرًا، وَكُنْ ذَا هِمَّةٍ؛ فَإِنَّ مَنْ ضَعُفَتْ هِمَّتُهُ ضَعُفَتْ مَنَزِلَتُهُ.

٣٩ - وَإِذَا مَشَيْتَ فِي الطَّرِيقِ، فَلَا تَلْتَفِتْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، بَلْ دَاوِمِ النَّظَرَ إِلَى الْأَرْضِ،

٤٠ - وَإِذَا دَخَلْتَ الْحَمَّامَ، فَلَا تُسَاوِ النَّاسَ فِي أَجْرَةِ الْحَمَّامِ وَالْمَجْلِسِ بَلْ أَرْجِحْ عَلَى مَا تُعْطِي الْعَامَّةَ لِتُظْهِرَ مُرُوءَتَكَ بَيْنَهُمْ فَيُعْظَمُونَكَ، وَلَا تُسَلِّمْ الْأُمْتِعَةَ إِلَى الْحَائِكِ وَسَائِرِ الصُّنَّاعِ بَلْ اتَّخِذْ لِنَفْسِكَ ثِقَةً يَفْعَلُ ذَلِكَ؛ وَلَا تُمَاسِكْ بِالْحَبَّاتِ وَالِدَّوَانِيقِ، وَلَا تَرِنِ الدَّرَاهِمَ بَلْ اعْتَمِدْ عَلَى غَيْرِكَ وَحَقِّرْ الدُّنْيَا الْمُحَقَّرَةَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْهَا.

٤١ - وَوَلِّ أُمُورَكَ غَيْرَكَ لِيُمْكِنَكَ الْإِقْبَالُ عَلَى الْعِلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْفَظُ لِحَاجَتِكَ.

٤٢ - وَلِيَاكَ أَنْ تُكَلِّمَ الْمَجَانِينَ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْمُنَاطَرَةَ وَالْحُجَّةَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالَّذِينَ يَطْلُبُونَ الْعِجَابَ. وَيَسْتَغْرِبُونَ بِذِكْرِ الْمَسَائِلِ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُمْ يَطْلُبُونَ تَخْجِيلَكَ وَلَا يُبَالُونَ مِنْكَ، وَإِنْ عَرَفُوكَ عَلَى الْحَقِّ.

٤٣ - وَإِذَا دَخَلْتَ عَلَى قَوْمٍ كِبَارٍ فَلَا تَرْفَعْ عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يَرْفَعُوكَ، كَيْ لَا يَلْحَقَ بِكَ مِنْهُمْ أَذِيَّةٌ وَإِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَلَا تَتَقَدَّمْ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ مَا لَمْ يُقَدِّمُوكَ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ،

٤٤ - وَلَا تَدْخُلِ الْحَمَّامَ وَقْتَ الظَّهيرةِ وَالْغَدَاةِ، وَلَا تَخْرُجْ إِلَى النَّظَارَاتِ وَلَا تَحْضُرْ مَظَالِمَ السَّلَاطِينِ؛ وَإِلَّا إِذَا عَرَفْتَ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ شَيْئًا يَنْزِلُونَ عَلَى قَوْلِكَ بِالْحَقِّ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا مَا لَا يَحِلُّ وَأَنْتَ عِنْدَهُمْ رَبِّمَا لَا تَمْلِكُ مَنْعَهُمْ وَيَظُنُّ النَّاسُ أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ لِسُكُوتِكَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقْتَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ.

٤٥ - وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ، وَلَا تَقْصُ عَلَى الْعَامَّةِ فَإِنَّ الْقَاصَّ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَكْذِبَ.

٤٦ - وَإِذَا أَرَدْتَ اتِّخَاذَ مَجْلِسٍ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ فَإِنْ كَانَ مَجْلِسَ فِقْهِ فَاحْضُرْ بِنَفْسِكَ وَاذْكُرْ فِيهِ مَا تَعْلَمُهُ وَإِلَّا فَلَا كَيْ لَا يَغْتَرَّ النَّاسُ بِحُضُورِكَ فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ عَلَى صِفَةٍ مِنَ الْعِلْمِ وَلَيْسَ هُوَ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ، وَإِنْ كَانَ يَصْلُحُ لِلْمُتَوَى فَادْكُرْ مِنْهُ ذَلِكَ وَإِلَّا فَلَا.

٤٧ - وَلَا تَقْعُدْ لِيُدْرَسَ الْآخَرُ بَيْنَ يَدَيْكَ بَلْ أَتْرُكْ عِنْدَهُ مِنْ أَصْحَابِكَ لِيُخْبِرَكَ بِكَيْفِيَّةِ كَلَامِهِ وَكَمِّيَّةِ عِلْمِهِ.

٤٨ - وَلَا تَحْضُرْ مَجَالِسَ الذُّكْرِ أَوْ مَنْ يَتَّخِذُ مَجْلِسَ عِظَةٍ بِجَاهِكَ وَتَرْكِيتِكَ لَهُ، بَلْ وَجْهَ أَهْلِ مَحَلَّتِكَ وَعَامَّتِكَ الَّذِينَ تَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ مَعَ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ.

٤٩ - وَفَوْضْ أَمْرَ الْمَنَاجِحِ إِلَى خَطِيبِ نَاجِيَّتِكَ، وَكَذَا صَلَاةَ الْجِنَازَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَلَا تَنْسِنِي مِنْ صَالِحِ دُعَائِكَ، وَاقْبَلْ هَذِهِ الْمَوْعِظَةَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أُوصِيكَ لِمَصْلَحَتِكَ وَمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ (الْتَهَى).

٢ - الإمام مَالِكُ (٩٣ - ١٧٩)

هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، حُجَّةُ الْأُمَّةِ، إِمَامُ دَارِ الْهَجْرَةِ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَالِكُ ابْنُ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غِيْمَانَ بْنِ خُثَيْلِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، وَهُوَ ذُو أَصْبَحَ بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ شَدَّادِ ابْنِ زُرْعَةَ، وَهُوَ حَمِيرُ الْأَصْغَرُ الْحَمِيرِيُّ ثُمَّ الْأَصْبَحِيُّ الْمَدَنِيُّ، حَلِيفُ بَنِي تَيْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَهُمْ خُلَفَاءُ عُثْمَانَ أَخِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَحَدِ الْعَشَرَةِ.

وَاللَّهُ هِيَ: عَالِيَةُ بِنْتُ شَرِيكِ الْأَزْدِيَّةِ. وَأَعْمَامُهُ هُمْ: أَبُو سُهَيْلٍ نَافِعٌ وَأُوَيْسٌ، وَالرَّبِيعُ، وَالنَّضْرُ، أَوْلَادُ أَبِي عَامِرٍ.

وَقَدْ رَوَى الزُّهْرِيُّ عَنْ وَالِدِهِ أَنَسٍ، وَعَمَّتِهِ أُوَيْسٍ وَأَبِي سُهَيْلٍ. وَقَالَ: مَوْلَى التَّيْمِيِّينَ، وَرَوَى أَبُو أُوَيْسٍ عَبْدُ اللَّهِ عَنْ عَمِّهِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ أَبُوهُمْ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ. أَخَذَ عَنْ عُثْمَانَ وَطَائِفَةٍ.

مَوْلِدُ مَالِكٍ عَلَى الْأَصَحِّ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ عَامَ مَوْتِ أَنَسٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَشَأَ فِي صَوْنٍ وَرَفَاهِيَةٍ وَتَجَمَّلَ. وَطَلَبَ الْعِلْمَ وَهُوَ حَدَّثَ بُعِيدَ مَوْتِ الْقَاسِمِ وَسَلِّمَ.

فَأَخَذَ عَنْ نَافِعٍ، وَسَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، وَعَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ الْمُنْكَدِرِ، وَالزُّهْرِيِّ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، وَرَبِيعَةَ الرَّأْيِ،

حَدَّثَ عَنْهُ مِنْ شُيُوخِهِ: عَمُّهُ أَبُو سُهَيْلٍ، وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، وَالزُّهْرِيُّ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَيَزِيدُ بْنُ الْهَادِ، وَغَيْرُهُمْ.

وَمِنْ أَقْرَانِهِ: مَعْمَرٌ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ،
وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَشُعْبَةُ، وَالثَّوْرِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَطَلَبَ مَالِكُ الْعِلْمَ وَهُوَ ابْنُ بَضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَتَأَهَّلَ لِلْفَتْحِ وَجَلَسَ
لِلْإِفَادَةِ، وَلَهُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ وَهُوَ حَيٌّ شَابٌّ
طَرِيفٌ، وَقَصَدَهُ طَلَبَةُ الْعِلْمِ مِنَ الْأَفَاقِ فِي آخِرِ دَوْلَةِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ وَمَا
بَعْدَ ذَلِكَ، وَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ فِي خِلَافَةِ الرَّشِيدِ، وَإِلَى أَنْ مَاتَ.

... حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي
صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «لَيَضْرِبَنَّ النَّاسُ أَكْبَادَ
الْإِبِلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ». هَذَا
حَدِيثٌ نَظِيفٌ الْإِسْنَادِ، غَرِيبُ الْمَثْنِ. رَوَاهُ عِدَّةٌ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ.

قُلْتُ: كَانَ عَالِمُ الْمَدِينَةِ فِي زَمَانِهِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، زَيْدُ
ابْنُ ثَابِتٍ، وَعَائِشَةُ، ثُمَّ ابْنُ عُمَرَ، ثُمَّ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، ثُمَّ الزُّهْرِيُّ، ثُمَّ
عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، ثُمَّ مَالِكُ.

وَعَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: مَالِكُ عَالِمُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَهُوَ حُجَّةُ زَمَانِهِ.
وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - وَصَدَقَ وَبَرَّ - إِذَا ذُكِرَ الْعُلَمَاءُ فَمَالِكُ النَّجْمُ.

فَضْلٌ:

وَلَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ عَالِمٌ مِنْ بَعْدِ التَّابِعِينَ يُشْبِهُ مَالِكًا فِي الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ،
وَالْجَلَالَةِ وَالْحِفْظِ، فَقَدْ كَانَ بِهَا بَعْدَ الصَّحَابَةِ مِثْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ،

وَالْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ وَالْقَاسِمِ، وَسَلِّمَ، وَعِكْرَمَةَ، وَنَافِعٍ، وَطَبَقْتَهُمْ، فَكَانَ مَالِكٌ هُوَ الْمُقَدَّمُ فِيهِمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالَّذِي تُضْرَبُ إِلَيْهِ أَبَاطُ الْإِبِلِ مِنَ الْأَفَاقِ، ﷺ تَعَالَى.

أَبُو مُضْعَبٍ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ نَزَلَ عَلَى مِثَالٍ لَهُ - يَعْنِي فُرْشَهُ - وَإِذَا عَلَى بِسَاطِهِ دَابَّتَانِ مَا تَرَوْنِ وَلَا تَبُولَانِ، وَجَاءَ صَبِيٌّ يَخْرُجُ ثُمَّ يَرْجِعُ، فَقَالَ لِي: أَتَدْرِي مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: هَذَا ابْنِي، وَإِنَّمَا يَفْرَعُ مِنْ هَيْبَتِكَ، ثُمَّ سَاءَ لَنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْهَا حَلَالٌ، وَمِنْهَا حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ لِي: أَنْتَ - وَاللَّهِ - أَعْقَلُ النَّاسِ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ. قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: بَلَى. وَلَكِنَّكَ تَكْتُمُ. ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَأَكْتُبَنَّ قَوْلَكَ كَمَا تُكْتَبُ الْمَصَاحِفُ، وَلَا أَبْعَثَنَّ بِهِ إِلَى الْأَفَاقِ، فَلَا حِمْلَ لَهُمْ عَلَيْهِ.

.. عَنْ خَلْفِ بْنِ عُمَرَ، سَمِعَ مَالِكًا يَقُولُ: مَا أَجَبْتُ فِي الْفُتُوى حَتَّى سَأَلْتُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي: هَلْ تَرَانِي مَوْضِعًا لِذَلِكَ؟ سَأَلْتُ رِبِيعَةَ، وَسَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، فَأَمْرَانِي بِذَلِكَ. فَقُلْتُ: فَلَوْ نَهَوَكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَنتَهِي، لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَبْذُلَ نَفْسَهُ حَتَّى يَسْأَلَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ.

قَالَ خَلْفٌ: وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا تَرَى؟ فَإِذَا رُؤْيَا بَعَثَهَا بَعْضُ إِخْوَانِهِ، يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ، فِي مَسْجِدٍ قَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ خَبَّأْتُ تَحْتَ مِنْبَرِي طَبِيبًا أَوْ عِلْمًا، وَأَمَرْتُ مَالِكًا أَنْ يُفَرِّقَهُ عَلَى النَّاسِ، فَاَنْصَرَفَ النَّاسُ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِذَا يُنْفَذُ مَالِكٌ مَا

أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَكَى، فَقُمْتُ عَنْهُ.

... قَالَ مَالِكُ: لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ ابْنِ شِهَابٍ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً، مَا حَدَّثْتُ بِهَا قَطُّ، وَلَا أَحَدٌ بِهَا.

صِفَةُ الْإِمَامِ مَالِكٍ:

عَنْ عِيسَى بْنِ عُمَرَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ قَطُّ بَيَاضًا وَلَا حُمْرَةً أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِ مَالِكٍ، وَلَا أَشَدَّ بَيَاضَ ثَوْبٍ مِنْ مَالِكٍ.

وَنَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ: أَنَّهُ كَانَ طَوَالًا، جَسِيمًا، عَظِيمَ الْهَامَةِ، أَشَقَرَ، أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ، عَظِيمَ اللَّحْيَةِ، أَضْلَعَ، وَكَانَ لَا يُخْفِي شَارِبَهُ وَيَرَاهُ مُثْلَةً. وَقِيلَ: كَانَ أَزْرَقَ الْعَيْنِ.

قَالَ أَشْهَبُ: كَانَ مَالِكُ إِذَا اعْتَمَّ، جَعَلَ مِنْهَا تَحْتَ ذَقْنِهِ، وَيُسَدِّلُ طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ.

وَقَالَ أَشْهَبُ: كَانَ مَالِكُ إِذَا اكْتَحَلَ لِلضَّرُورَةِ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ.

وَقِيلَ: كَانَ شَدِيدَ الْبَيَاضِ إِلَى صُفْرَةٍ، أَعْيَنَ أَشَمَّ، كَانَ يُوفِّرُ سَبْلَتَهُ وَيَحْتَجُّ بِفَتْلِ عُمَرَ شَارِبَهُ.

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: رَأَيْتُ مَالِكًا خَضَبَ بِحَنَاءٍ مَرَّةً.

وَقَالَ أَبُو مُضْعَبٍ: كَانَ مَالِكُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَجْلَاهُمْ عَيْنًا، وَأَنْقَاهُمْ بَيَاضًا، وَأَتَمَّهُمْ طَوَالًا، فِي جَوْدَةِ بَدَنِ.

مَوْلَاهُ: تَقَدَّمَ أَنَّهُ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَتِسْعِينَ، قَالَهُ يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ وَغَيْرُهُ،
وَقِيلَ: سَنَةٌ أَرْبَعٌ، قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَعُمَارَةُ بْنُ
وَيْثِمَةَ، وَغَيْرُهُمَا.

قَالَ خَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ: ذُو أَصْبَحٍ مِنْ حِمِيرٍ.
وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ مَالِكًا وَآلَهُ مَوَالِي بَنِي تَيْمٍ، فَأَخْطَأَ
وَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى سَبَبٍ فِي تَكْذِيبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ لَهُ، وَطَعْنِهِ عَلَيْهِ. وَقَدْ كَانَ
مَالِكٌ إِمَامًا فِي نَقْدِ الرِّجَالِ، حَافِظًا مُجَوِّدًا مُتَّقِنًا.

قَالَ بِشْرُ بْنُ عُمَرَ الزَّهْرَانِيُّ: سَأَلْتُ مَالِكًا عَنْ رَجُلٍ، فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتَهُ
فِي كُتُبِي؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: لَوْ كَانَ ثِقَةً لَرَأَيْتَهُ فِي كُتُبِي.

فَهَذَا الْقَوْلُ يُعْطِيكَ بِأَنَّهُ لَا يَرُوي إِلَّا عَمَّنْ هُوَ عِنْدَهُ ثِقَةٌ. وَلَا يَلْزَمُ مِنْ
ذَلِكَ أَنَّهُ يَرُوي عَنْ كُلِّ الثَّقَاتِ، ثُمَّ لَا يَلْزَمُ مِمَّا قَالَ أَنَّ كُلَّ مَنْ رَوَى عَنْهُ،
وَهُوَ عِنْدَهُ ثِقَةٌ، أَنْ يَكُونَ ثِقَةً عِنْدَ بَاقِي الْحُفَاطِ، فَقَدْ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ حَالِ
شَيْخِهِ مَا يَظْهَرُ لِغَيْرِهِ، إِلَّا أَنَّهُ بِكُلِّ حَالٍ كَثِيرُ التَّحَرِّيِ فِي نَقْدِ الرِّجَالِ - رَحِمَهُ اللَّهُ.

.. عَتِيقُ بْنُ يَعْقُوبَ، سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ بِبِضْعَةِ
وَأَرْبَعِينَ حَدِيثًا، ثُمَّ قَالَ: أَعَدَّهَا عَلَيَّ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ مِنْهَا أَرْبَعِينَ حَدِيثًا.

وَقَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ مَالِكٍ، قَالَ: قَدِمَ
عَلَيْنَا الزُّهْرِيُّ، فَأَتَيْنَاهُ وَمَعَنَا رِبِيعَةٌ، فَحَدَّثَنَا بَنِيفٍ وَأَرْبَعِينَ حَدِيثًا، ثُمَّ أَتَيْنَاهُ
مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: انْظُرُوا كِتَابًا حَتَّى أُحَدِّثَكُمْ مِنْهُ، أَرَأَيْتُمْ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِهِ

أَمْسِ، أَيْشٍ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْهُ؟ فَقَالَ رَبِيعَةُ: هَاهُنَا مَنْ يَرُدُّ عَلَيْكَ مَا حَدَّثْتَ بِهِ أَمْسِ. قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: ابْنُ أَبِي عَامِرٍ. قَالَ: هَاتِ، فَسَرَدَ لَهُ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنْهَا، فَقَالَ الزُّهْرِيُّ: مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ بَقِيَ مَنْ يَحْفَظُ هَذَا غَيْرِي. قَالَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: لِمَالِكٍ نَحْوُ مِنْ أَلْفِ حَدِيثٍ. **تِلْكَ:** أَرَادَ مَا اشتهر له في "الموطأ" وغيره، وإلا فعنده شيء كثير مما كان يفعل أن يرويه.

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مَالِكًا، مَا كَانَ أَشَدَّ اتِّقَادَهُ لِلرِّجَالِ.

.. عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: كَانَ مَالِكٌ لَا يُبْلَغُ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا صَحِيحًا، وَلَا يُحَدِّثُ إِلَّا عَنْ ثِقَةٍ، مَا أَرَى الْمَدِينَةَ إِلَّا سَتَخَرَّبَ بَعْدَ مَوْتِهِ - يَعْنِي مِنَ الْعِلْمِ.

الطَّحَاوِيُّ: حَدَّثَنَا يُونُسُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ - وَذَكَرَ حَدِيثًا - فَقَالُوا: يُخَالِفُكَ فِيهِ مَالِكٌ، فَقَالَ: أَتَقْرِنُنِي بِمَالِكٍ؟ مَا أَنَا وَهُوَ إِلَّا كَمَا قَالَ جَرِيرٌ: وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ ثُمَّ قَالَ يُونُسُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَالِكٌ وَابْنُ عُيَيْنَةَ الْقَرِينَانِ، وَلَوْلَا مَالِكٌ وَابْنُ عُيَيْنَةَ لَذَهَبَ عِلْمُ الْحِجَازِ. [وَفِي "لِسَانِ الْعَرَبِ": نَاقَةٌ قُنَاعِيْسٌ: طَوِيلَةٌ عَظِيمَةٌ سَنِمَةٌ، وَكَذَلِكَ الْجَمَلُ؛ وَقِيلَ: الْقُنَاعِيْسُ الْجَمَلُ الضَّخْمُ الْعَظِيمُ] وَقَالَ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ قَالَ: لَقَدْ كَانَ لِمَالِكٍ حَلَقَةٌ فِي حَيَاةٍ نَافِعٍ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا أَقْدُمُ عَلَى مَالِكٍ فِي صِحَّةِ الْحَدِيثِ أَحَدًا.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ أَقَمْتُ عِنْدَ مَالِكٍ ثَلَاثَ سِنِينَ وَكُسْرًا، وَسَمِعْتُ مِنْ لَفْظِهِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِ مِائَةِ حَدِيثٍ، فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ عَنْ مَالِكٍ امْتَلَأَ مَنْزِلُهُ، وَإِذَا حَدَّثَ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْكُوفِيِّينَ، لَمْ يَجِئْهُ إِلَّا الْيَسِيرُ. قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ الْعَدَنِيُّ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَالِكٌ مُعَلِّمِي، وَعَنْهُ أَخَذْتُ الْعِلْمَ.

وَعَنِ الشَّافِعِيِّ قَالَ: كَانَ مَالِكٌ إِذَا شَكَّ فِي حَدِيثٍ، طَرَحَهُ كُلَّهُ. وَعَنْ خَالِدِ بْنِ خِدَاشٍ، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى مَالِكٍ بِأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً، فَمَا أَجَابَنِي مِنْهَا إِلَّا فِي خَمْسِ مَسَائِلَ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: صَحَّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ: "لَا أَذْرِي" نِصْفُ الْعِلْمِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ رُمَحٍ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مَالِكًا وَاللَّيْتَ يَخْتَلِفَانِ، فَبِأَيِّهِمَا أَخْذُ؟ قَالَ: مَالِكُ مَالِكٍ.

أَشْهَبُ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّرَاوَرْدِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَيْتُهُ يَخْطُبُ، إِذْ أَقْبَلَ مَالِكٌ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: إِلَيَّ إِلَيَّ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنْهُ، فَسَلَّ ﷺ خَاتَمَهُ مِنْ خِنْصَرِهِ، فَوَضَعَهُ فِي خِنْصَرِ مَالِكٍ.

مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمَادٍ الزُّهْرِيُّ، سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: قَالَ لِي الْمَهْدِيُّ: ضَعْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ كِتَابًا

أَحْمِلُ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَّا هَذَا الصُّقْعُ - وَأَشْرْتُ إِلَى الْمَغْرِبِ - فَقَدْ كُفِّتُهُ، وَأَمَّا الشَّامُ فَفِيهِمْ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ - يَعْنِي الْأَوْزَاعِيَّ - وَأَمَّا الْعِرَاقُ فَهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ.

ابْنُ سَعْدٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: لَمَّا حَجَّ الْمَنْصُورُ دَعَانِي فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَحَادَّثَنِي، وَسَأَلَنِي فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ: عَزَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِكُتُبِكَ هَذِهِ - يَعْنِي " الْمَوْطَأَ " - فَتُنْسَخَ نَسْخًا، ثُمَّ أُبْعَثُ إِلَى كُلِّ مِصْرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ بِنُسخَةٍ، وَأَمُرُهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا، وَيَدْعُوا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْعِلْمِ الْمُحَدَّثِ، فَإِنِّي رَأَيْتُ أَصْلَ الْعِلْمِ رِوَايَةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَعِلْمَهُمْ. قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ سَيَقَتْ إِلَيْهِمْ أَقَاوِيلُ، وَسَمِعُوا أَحَادِيثَ، وَرَوَوْا رِوَايَاتٍ، وَأَخَذَ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا سِيقَ إِلَيْهِمْ، وَعَمِلُوا بِهِ، وَدَانُوا بِهِ، مِنْ اخْتِلَافِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَيْرِهِمْ، وَإِنَّ رَدَّهُمْ عَمَّا اعْتَقَدُوهُ شَدِيدٌ، فَدَعِ النَّاسَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ، وَمَا اخْتَارَ أَهْلُ كُلِّ بَلَدٍ لِنَفْسِهِمْ. فَقَالَ: لَعَمْرِي، لَوْ طَاوَعْتَنِي لَأَمَرْتُ بِذَلِكَ.

الْبَحْثُ:

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ: كَانَ مَالِكٌ قَدْ ضُرِبَ بِالسَّيَاطِ، وَاخْتَلَفَ فِي سَبَبِ ذَلِكَ،

فَحَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا ابْنُ ذَكْوَانَ، عَنْ مَرْوَانَ الْجَزْءِ الثَّامِنِ الطَّاطَرِيِّ، أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ نَهَى مَالِكًا عَنِ الْحَدِيثِ: ﴿لَيْسَ عَلَى

مُسْتَكْرَهُ طَلَاقٍ ۝ ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ مَنْ يَسْأَلُهُ، فَحَدَّثَهُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيَاطِ.

وَحَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمَّادٍ أَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى مَالِكٍ إِذَا أُقِيمَ مِنْ مَجْلِسِهِ، حَمَلَ يَدَهُ بِالْأُخْرَى.

ابْنُ سَعْدٍ: حَدَّثَنَا الْوَاقِدِيُّ قَالَ: لَمَّا دُعِيَ مَالِكٌ، وَشُورِرَ، وَسُمِعَ مِنْهُ، وَقِيلَ قَوْلُهُ، حُسَيْدٌ، وَبَعُوهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَمَّا وَلِيَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمَدِينَةَ، سَعَوْا بِهِ إِلَيْهِ، وَكَثُرُوا عَلَيْهِ عِنْدَهُ، وَقَالُوا: لَا يَرَى أَيْمَانَ بَيْعَتِكُمْ هَذِهِ بِشَيْءٍ، وَهُوَ يَأْخُذُ بِحَدِيثِ رَوَاهُ عَنْ ثَابِتِ بْنِ الْأَحْنَفِ فِي طَلَاقِ الْمُكْرَهَةِ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ عِنْدَهُ، قَالَ: فَغَضِبَ جَعْفَرٌ، فَدَعَا بِمَالِكٍ، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِمَا رُفِعَ إِلَيْهِ عَنْهُ، فَأَمَرَ بِتَجْرِيدِهِ وَضَرْبِهِ بِالسَّيَاطِ، وَجُبِذَتْ يَدُهُ حَتَّى انْخَلَعَتْ مِنْ كَتِفِهِ، وَارْتَكَبَ مِنْهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ مَالِكٌ بَعْدُ فِي رَفْعَةٍ وَعُلُوٍّ.

قُلْتُ: هَذَا ثَمَرَةُ الْمَحْنَةِ الْمَحْمُودَةِ، أَنَّهَا تَرْفَعُ الْعَبْدَ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِكُلِّ حَالٍ فَهِيَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا، وَيَعْفُو اللَّهُ عَنْ كَثِيرٍ.

.... وَشَأْنُ الطَّالِبِ أَنْ يَدْرُسَ أَوَّلًا مُصَنَّفًا فِي الْفِقْهِ، فَإِذَا حَفِظَهُ،

بَحَثَهُ، وَطَالَعَ الشُّرُوحَ، فَإِنْ كَانَ ذَكِيًّا فَقِيهَ النَّفْسِ، وَرَأَى حُجَجَ الْأُئِمَّةِ، فَلْيُرَاقِبِ اللَّهَ، وَلْيَحْتِظْ لِدِينِهِ، فَإِنَّ خَيْرَ الدِّينِ الْوَرَعُ، وَمِنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ الْجُزْءَ الثَّامِنَ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ.

فَالْمُقَلَّدُونَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشَرْطِ ثُبُوتِ الْإِسْنَادِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أئِمَّةُ
التَّابِعِينَ كَعَلْقَمَةَ، وَمَسْرُوقٍ، وَعَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَأَبِي
الشَّعْثَاءِ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَعُرْوَةَ، وَالْقَاسِمِ،
وَالشَّعْبِيِّ، وَالْحَسَنِ، وَابْنَ سِيرِينَ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ. ثُمَّ كَالْزُهْرِيِّ، وَأَبِي
الزُّنَادِ، وَأَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، وَرَبِيعَةَ، وَطَبَقَتِهِمْ. ثُمَّ كَأَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ،
وَالْأَوْزَاعِيِّ، وَابْنَ جُرَيْجٍ، وَمَعْمَرٍ، وَابْنَ أَبِي عَرُوبَةَ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ،
وَالْحَمَّادِينَ، وَشُعْبَةَ، وَاللَّيْثَ، وَابْنَ الْمَاجْشُونِ، وَابْنَ أَبِي ذَنْبٍ.

ثُمَّ كَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَمُسْلِمُ الزَّنَجِيِّ، وَالْقَاضِي أَبِي يُوسُفَ، وَالْهَقْلِيُّ بْنُ
زِيَادٍ، وَوَكَيْعٌ، وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَطَبَقَتِهِمْ. ثُمَّ كَالشَّافِعِيِّ، وَأَبِي عُبَيْدٍ،
وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، وَأَبِي ثَوْرٍ، وَالْبُؤَيْطِيِّ، وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ. ثُمَّ
كَالْمُزَنِيِّ، وَأَبِي بَكْرٍ الْأَثَرَمِ، وَالْبُخَارِيِّ، وَدَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ، وَمُحَمَّدَ بْنَ نَصْرِ
الْمُرُوزِيِّ، وَإِبْرَاهِيمَ الْحَرَبِيِّ، وَإِسْمَاعِيلَ الْقَاضِي. ثُمَّ كَمُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرِ
الطَّبْرِيِّ، وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَأَبِي عَبَّاسٍ بْنِ سُرَيْجٍ، وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ
الْمُنْذِرِ، وَأَبِي جَعْفَرِ الطَّحَاوِيِّ، وَأَبِي بَكْرٍ الْخَلَّالِ. ثُمَّ مِنْ بَعْدِ هَذَا التَّمَطُّ
تَنَاقَصَ الاجْتِهَادُ، وَوُضِعَتِ الْمُخْتَصَرَاتُ، وَأُخْلِدَ الْفُقَهَاءُ إِلَى التَّقْلِيدِ مِنْ
غَيْرِ نَظَرٍ فِي الْأَعْلَمِ، بَلْ بِحَسَبِ الْإِتِّفَاقِ، وَالتَّشَهِّي، وَالتَّعْظِيمِ، وَالْعَادَةِ،
وَالْبَلَدِ. فَلَوْ أَرَادَ الطَّالِبُ الْيَوْمَ أَنْ يَتِمَّذَّهَبَ فِي الْمَغْرِبِ لِأَبِي حَنِيفَةَ،
لَعَسَرَ عَلَيْهِ، كَمَا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّذَّهَبَ لِابْنِ حَنْبَلٍ بِبُخَارَى، وَسَمَرْقَنْدَ،
لَصَعُبَ عَلَيْهِ، فَلَا يَجِيءُ مِنْهُ حَنْبَلِيٌّ، وَلَا مِنَ الْمَغْرِبِيِّ حَنْفِيٌّ، وَلَا مِنَ

الْهِنْدِيَّ مَالِكِيٍّ. وَبِكُلِّ حَالٍ: فَإِلَى فِقْهِ مَالِكٍ الْمُتَّهَى. فَعَامَّةُ آرَائِهِ مُسَدَّدَةٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا حَسْمُ مَادَّةِ الْحِيلِ، وَمُرَاعَاةُ الْمَقَاصِدِ، لَكَفَاهُ. وَمَذْهَبُهُ قَدْ مَلَأَ الْمَغْرِبَ، وَالْأَنْدَلُسَ، وَكَثِيرًا مِنْ بِلَادِ مِصْرَ، وَبَعْضِ الشَّامِ، وَالْيَمَنِ، وَالسُّودَانِ، وَبِالْبَصْرَةِ، وَبَغْدَادَ، وَالْكُوفَةِ، وَبَعْضِ خُرَاسَانَ.

وَلَمْ يَتَّقِ الْيَوْمَ إِلَّا هَذِهِ الْمَذَاهِبَ الْأَرْبَعَةَ. وَقَلَّ مَنْ يَنْهَضُ بِمَعْرِفَتِهَا كَمَا يَنْبَغِي، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا.

وَانْقَطَعَ أَتْبَاعُ أَبِي ثَوْرٍ بَعْدَ الثَّلَاثِ مِائَةٍ، وَأَصْحَابُ دَاوُدَ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَبَقِيَ مَذْهَبُ ابْنِ جَرِيرٍ إِلَى مَا بَعْدَ الْأَرْبَعِ مِائَةٍ.

وَاللَّزِيدِيَّةُ مَذْهَبٌ فِي الْفُرُوعِ بِالْحِجَازِ وَبِالْيَمَنِ، لَكِنَّهُ مَعْدُودٌ فِي أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدْعِ، كَالْإِمَامِيَّةِ، وَلَا بَأْسَ بِمَذْهَبِ دَاوُدَ، وَفِيهِ أَقْوَالٌ حَسَنَةٌ، وَمُتَابِعَةٌ لِلنُّصُوصِ، مَعَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ لَا يَعْتَدُّونَ بِخِلَافِهِ، وَلَهُ شُدُودٌ فِي مَسَائِلَ شَانَتْ مَذْهَبَهُ.

وَأَمَّا الْقَاضِي، فَذَكَرَ مَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ تَقْلِيدِهِمْ إِجْمَاعًا، فَإِنَّهُ سَمَّى الْمَذَاهِبَ الْأَرْبَعَةَ، وَالسُّفْيَانِيَّةَ، وَالْأَوْزَاعِيَّةَ، وَالِدَّائِدِيَّةَ. ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ: فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَقَعَ إِجْمَاعُ النَّاسِ عَلَى تَقْلِيدِهِمْ، مَعَ الْإِخْتِلَافِ فِي أَغْيَانِهِمْ، وَاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ، وَالْإِقْتِدَاءِ بِمَذَاهِبِهِمْ، وَدَرَسِ كُتُبِهِمْ، وَالتَّفَقُّهِ عَلَى مَا خِذَهُمْ، وَالتَّفَرُّعِ عَلَى أَصُولِهِمْ، دُونَ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ

تَقَدَّمَهُمْ أَوْ عَاصَرَهُمْ، لِلْعَلَلِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا. وَصَارَ النَّاسُ الْيَوْمَ فِي الدُّنْيَا إِلَى خَمْسَةِ مَذَاهِبٍ، فَالْخَامِسُ: هُوَ مَذَهَبُ الدَّائِدِيَّةِ. فَحَقُّ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَعْرِفَ أَوْلَاهُمْ بِالتَّقْلِيدِ، لِيَحْضَلَ عَلَى مَذَهَبِهِ. وَهَذَا نَحْنُ نُبَيِّنُ أَنَّ مَالِكًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - هُوَ ذَلِكَ، لِجَمْعِهِ أَدَوَاتِ الْإِمَامَةِ وَكَوْنِهِ أَعْلَمَ الْقَوْمِ.

ثُمَّ وَجَّهَ الْقَاضِي دَعْوَاهُ، وَحَسَّنَهَا وَنَمَّقَهَا، وَلَكِنْ مَا يَعْجِزُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ حَنْفِيٍّ، وَشَافِعِيٍّ، وَحَنْبَلِيٍّ، وَدَاوُدِيٍّ، عَنْ ادِّعَاءِ مِثْلِ ذَلِكَ لِمَتَّبِعِهِ، بَلْ ذَلِكَ لِسَانُ حَالِهِ، وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ بِهِ.

ثُمَّ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: وَعِنْدَنَا - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - لِكُلِّ إِمَامٍ مِنَ الْمَذْكُورِينَ مَنَاقِبُ تَقْضِي لَهَا بِالْإِمَامَةِ.

ثُمَّ: وَلَكِنْ هَذَا الْإِمَامَ الَّذِي هُوَ التَّجْمُ الْهَادِي قَدْ أَنْصَفَ، وَقَالَ قَوْلًا فَضْلًا، حَيْثُ يَقُولُ: كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ ﷺ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَنْسَ مِنْ نَفْسِهِ فَقْهًا، وَسَعَةً عِلْمًا، وَحُسْنَ قَصْدٍ، فَلَا يَسَعُهُ الْإِلْتِزَامُ بِمَذَهَبٍ وَاحِدٍ فِي كُلِّ أَقْوَالِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ تَبَرَّهَنَ لَهُ مَذَهَبُ الْغَيْرِ فِي مَسَائِلَ، وَلَا حَاجَةَ لَهُ الدَّلِيلُ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، فَلَا يُقَلَّدُ فِيهَا إِمَامُهُ، بَلْ يَعْمَلُ بِمَا تَبَرَّهَنَ، وَيُقَلَّدُ الْإِمَامَ الْآخَرَ بِالْبُرْهَانِ، لَا بِالتَّشْهِي وَالْغَرَضِ. لَكِنَّهُ لَا يُفْتِي الْعَامَّةَ إِلَّا بِمَذَهَبِ إِمَامِهِ، أَوْ لِيَصْمُتَ فِيمَا خَفِيَ عَلَيْهِ دَلِيلُهُ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: الْعِلْمُ يَدُورُ عَلَى ثَلَاثَةٍ: مَالِكٍ، وَاللَّيْثِ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ.

فُلَّكُ: بَلْ وَعَلَى سَبْعَةٍ مَعَهُمْ، وَهُمْ: الْأَوْزَاعِيُّ، وَالثَّوْرِيُّ، وَمَعْمَرٌ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَشُعْبَةُ، وَالْحَمَّادَانِ.

وَرُويَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذَكَرَ مَالِكًا يَقُولُ: عَالِمُ الْعُلَمَاءِ، وَمُفْتِي الْحَرَمَيْنِ.

وَعَنْ بَقِيَّةٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ بِسُنَّةِ مَاضِيَةٍ مِنْكَ يَا مَالِكُ.

وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ، وَابْنِ أَبِي لَيْلَى.

وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ مَالِكًا، فَقَدَّمَهُ عَلَى الْأَوْزَاعِيِّ، وَالثَّوْرِيِّ، وَاللَّيْثِ، وَحَمَّادٍ، وَالْحَكَمِ، فِي الْعِلْمِ. وَقَالَ: هُوَ إِمَامٌ فِي الْحَدِيثِ وَفِي الْفِقْهِ. وَقَالَ الْقَطَّانُ: هُوَ إِمَامٌ يُقْتَدَى بِهِ.

وَقَالَ بُهْلُولُ بْنُ رَاشِدٍ: مَا رَأَيْتُ أَنْزَعَ بَايَةً مِنْ مَالِكٍ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِالصَّحِيحِ وَالسَّقِيمِ.

... عَنِ الْفَضْلِ بْنِ زِيَادٍ، سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ: مَنْ ضَرَبَ مَالِكًا؟ قَالَ: بَعْضُ الْوُلَاةِ فِي طَلَاقِ الْمُكْرَهَةِ، كَانَ لَا يُجِيزُهُ، فَضَرَبَهُ لِذَلِكَ. وَبِهِ قَالَ أَبُو نَعِيمٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ الْجَنْدِيُّ، سَمِعْتُ أَبَا مُضْعَبٍ، سَمِعْتُ مَالِكًا، يَقُولُ: مَا أَفْتَيْتُ حَتَّى شَهِدَ لِي سَبْعُونَ أَنِّي أَهْلٌ لِذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو مُضْعَبٍ: كَانَ مَالِكُ لَا يُحَدِّثُ إِلَّا وَهُوَ عَلَى طَهَارَةٍ إِجْلَالًا لِلْحَدِيثِ.

وَبِهِ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ حَيَّانَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: إِذَا جَاءَ الْأَثَرُ كَانَ مَالِكُ كَالنَّجْمِ، وَهُوَ وَسُفْيَانُ الْقَرِينَانِ.

... ابْنِ وَهْبٍ: أَنَّ مَالِكًا لَمَّا ضُرِبَ، حُلِقَ وَحُمِلَ عَلَى بَعِيرٍ، فَقِيلَ لَهُ: نَادِ عَلَى نَفْسِكَ. فَقَالَ: أَلَا مَنْ عَرَفَنِي، فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي فَأَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، أَقُولُ: طَلَاقُ الْمُكْرَهَةِ لَيْسَ بِشَيْءٍ. فَبَلَغَ ذَلِكَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَمِيرَ، فَقَالَ: أَذْرِكُوهُ، أَنْزِلُوهُ.

... نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ، سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا ارْتَفَعَ مِثْلَ مَالِكٍ، لَيْسَ لَهُ كَثِيرُ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ سَرِيرَةٌ. **قُلْتُ:** مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَنَشْرِهِ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ لِمَنْ أَرَادَ بِهِ اللَّهُ.

وَبِهِ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا الْمُقَدَّمُ بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ، سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: شَاوَرَنِي هَارُونُ الرَّشِيدُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي أَنْ يُعَلِّقَ الْمُوَطَّأَ فِي الْكَعْبَةِ، وَيَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى مَا فِيهِ، وَفِي أَنْ يَنْقُضَ مِنْبَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَجْعَلَهُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَجَوْهَرٍ، وَفِي أَنْ يُقَدِّمَ نَافِعًا إِمَامًا فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ **قُلْتُ:** أَمَّا تَعْلِيْقُ "الْمُوَطَّأِ"، فَإِنَّ

الصَّحَابَةُ اخْتَلَفُوا فِي الْفُرُوعِ، وَتَفَرَّقُوا، وَكُلٌّ عِنْدَ نَفْسِهِ مُصِيبٌ. وَأَمَّا نَقْضُ الْمُنْبَرِ، فَلَا أَرَى أَنْ يُحْرَمَ النَّاسُ أَثَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَمَّا تَقْدِيمُكَ نَافِعًا فَإِنَّهُ إِمَامٌ فِي الْقِرَاءَةِ، لَا يُؤْمَنُ أَنْ تَبْدُرَ مِنْهُ بَادِرَةٌ فِي الْمِحْرَابِ، فَتُحْفَظَ عَلَيْهِ. فَقَالَ: وَفَقَّكَ اللَّهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ.

هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ، لَكِنْ لَعَلَّ الرَّاويَ وَهَمَ فِي قَوْلِهِ: هَارُونُ، لِأَنَّ نَافِعًا قَبْلَ خِلَافَةِ هَارُونٍ مَاتَ.

وَبِهِ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا السَّاجِي، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا أَبُو ثَوْرٍ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: كَانَ مَالِكٌ إِذَا جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ دِينِي، وَأَمَّا أَنْتَ، فَشَاكَ، اذْهَبْ إِلَى شَاكَ مِثْلِكَ فَخَاصِمُهُ.

... يَحْيَى بْنُ خَلْفِ الطَّرُسُوسِيِّ - وَكَانَ مِنْ ثِقَاتِ الْمُسْلِمِينَ -، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَالِكٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: زَنْدِيقٌ، اقْتُلُوهُ. فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّمَا أَحْكِي كَلَامًا سَمِعْتُهُ، قَالَ: إِنَّمَا سَمِعْتُهُ مِنْكَ، وَعَظَّمَ هَذَا الْقَوْلَ.

... سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: رَأَيْتُ فِيهِمْ أَنْ يُسْتَتَابُوا، فَإِنْ تَابُوا، وَإِلَّا قُتِلُوا - يَعْنِي الْقَدَرِيَّةَ.

... جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ مَالِكٍ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿طه: ٥﴾ كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَمَا

وَجَدَ مَالِكٌ مِنْ شَيْءٍ مَا وَجَدَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَنَظَرَ إِلَى الْأَرْضِ، وَجَعَلَ يَنْكُثُ بِعُودٍ فِي يَدِهِ، حَتَّى عَلَاهُ الرُّحْضَاءُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَرَمَى بِالْعُودِ، وَقَالَ: الْكَيْفُ مِنْهُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالِإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَأَظْنُكَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ. وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ.

.. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ مَالِكٌ: اللَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّغَانِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ. الجزء الثامن

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ فِي سِيرَةِ مَالِكٍ قَالَ ابْنُ نَافِعٍ وَأَشْهَبُ - وَأَحَدُهُمَا يَزِيدُ عَلَى الْآخِرِ - قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ: ﴿وَجُوهٌ يُؤْمِدُ نَازِرَةٌ ۖ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَازِرَةٌ ﴿۱۳﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، بِأَعْيُنِهِمْ هَاتَيْنِ. قُلْتُ: فَإِنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ: نَازِرَةٌ: بِمَعْنَى مُنْتَظِرَةٌ إِلَى الثَّوَابِ. قَالَ: بَلْ تَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ مُوسَى: ﴿رَبِّ ارْفَعْ أُنْظُرْ إِلَيْكَ﴾... [الأعراف: ١٤٣] أَتَرَاهُ سَأَلَ مُحَاوَلًا؟ قَالَ اللَّهُ: لَنْ تَرَانِي فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّهَا دَارُ فَنَاءٍ، فَإِذَا صَارُوا إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ، نَظَرُوا بِمَا يَبْقَى إِلَى مَا يَبْقَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]

قَالَ الْقَاضِي وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ مَالِكٍ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ

وَيَنْقُصُ، وَيَغْضُهُ أَفْضَلُ مِنْ بَغْضٍ.

قَالَ: وَرَوَى ابْنُ نَافِعٍ، عَنْ مَالِكٍ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، يُجْلَدُ وَيُخْبَسُ.

قَالَ: وَفِي رِوَايَةِ بَشْرِ بْنِ بَكْرٍ، عَنْ مَالِكٍ قَالَ: يُقْتَلُ وَلَا تُقْبَلُ لَهُ تَوْبَةٌ. يُونسُ الصَّدْفِيُّ: حَدَّثَنَا أَشْهَبُ، عَنْ مَالِكٍ، قَالَ: الْقَدَرِيَّةُ لَا تَنَاجِحُوهُمْ، وَلَا تُصَلُّوا خَلْفَهُمْ.

أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ مَالِكٌ: لَا يُسْتَتَابُ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُسْلِمِينَ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: قَالَ مَعْنُ: انْصَرَفَ مَالِكٌ يَوْمًا، فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْجَوِيرِيَّةِ، مُتَّهِمٌ بِالْإِرْجَاءِ. فَقَالَ: اسْمَعْ مِنِّي، قَالَ: اخْذُرْ أَنْ أَشْهَدَ عَلَيْكَ. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ إِلَّا الْحَقَّ، فَإِنْ كَانَ صَوَابًا فَقُلْ بِهِ، أَوْ فَتَكَلَّمْ. قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتَنِي؟ قَالَ: اتَّبِعْنِي. قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتُكَ؟ قَالَ: اتَّبِعْتُكَ. قَالَ: فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ فَكَلَّمْنَا، فَعَلَبْنَا؟ قَالَ: اتَّبِعْنَاهُ. فَقَالَ مَالِكٌ: يَا هَذَا، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِدَيْنٍ وَاحِدٍ، وَأَرَاكَ تَتَنَقَّلُ.

وَعَنْ مَالِكٍ قَالَ: الْجِدَالُ فِي الدِّينِ يُنْشِئُ الْمِرَاءَ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْعِلْمِ مِنَ الْقَلْبِ وَيُقْسِي، وَيُورِثُ الضُّغْنَ.

ابْنُ وَهْبٍ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: حَقٌّ عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَخَشْيَةٌ، وَالْعِلْمُ حَسَنٌ لِمَنْ رُزِقَ خَيْرُهُ، وَهُوَ قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ

تَعَالَى فَلَا تُمَكِّنِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُوَفَّقَ لِلْخَيْرِ،
وَأَنَّ مِنْ شِقْوَةِ الْمَرْءِ أَنْ لَا يَزَالَ يُخْطِئُ، وَذُلُّ وَإِهَانَةُ لِلْعِلْمِ أَنْ يَتَكَلَّمَ
الرَّجُلُ بِالْعِلْمِ عِنْدَ مَنْ لَا يُطِيعُهُ.

الْقَعْنَبِيُّ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: كَانَ الرَّجُلُ يَخْتَلِفُ إِلَى الرَّجُلِ ثَلَاثِينَ
سَنَةً يَتَعَلَّمُ مِنْهُ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ: جَالَسْتُ مَالِكًا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْلَأَ أَلْوَاحِي مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ: " لَا أَذْرِي "
لَفَعَلْتُ.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: حَجَجْتُ سَنَةً ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً، وَصَائِحُ يَصِيحُ:
لَا يُفْقِي النَّاسَ إِلَّا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَابْنُ الْمَاجِشُونِ.

ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ مَالِكٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ مَا زَهَدَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا وَاتَّقَى،
إِلَّا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ.

ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ مَالِكٍ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَهَبَ يَمْدَحُ نَفْسَهُ، ذَهَبَ
بَهَاؤُهُ.

... سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: اجْتَمَعَ مَالِكُ وَأَبُو يُوسُفَ عِنْدَ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ، فَتَكَلَّمُوا فِي الْوُقُوفِ، وَمَا يَحْبِسُهُ النَّاسُ. فَقَالَ يَعْقُوبُ: هَذَا
بَاطِلٌ. قَالَ شَرِيحٌ: جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِإِطْلَاقِ الْحَبْسِ. فَقَالَ مَالِكُ: إِنَّمَا
أُطْلِقَ مَا كَانُوا يَحْبِسُونَهُ لِإِلَهْتِهِمْ مِنَ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ. فَأَمَّا الْوُقُوفُ، فَهَذَا

وَقَفَّ عُمَرُ، قَدْ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ﴿حَبَسْ أَصْلَهَا، وَسَبِّلْ ثَمَرَتَهَا﴾ وَهَذَا وَقَفَّ الزُّبَيْرُ، فَأَعْجَبَ الْخَلِيفَةَ ذَلِكَ مِنْهُ.

ابْنُ وَهْبٍ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ قَالَ: كَانَ بَيْنَ جِدَارِ قِبْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُنْبَرِ قَدْرُ مَمَرِ الرَّجُلِ مُتَحَرِّجًا، وَقَدْرُ مَمَرِ الشَّاةِ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَدَّمَ جِدَارَ الْقِبْلَةِ حَتَّى جَعَلَهَا عِنْدَ الْمَقْصُورَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. وَإِنَّ عُثْمَانَ قَرَّبَهَا إِلَى حَيْثُ هِيَ الْيَوْمَ.

دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: سَأَلْتُ مَالِكًا عَنْ تَفْضِيضِ الْمَصَاحِفِ، فَأَخْرَجَ إِلَيْنَا مُصْحَفًا، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي: أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ عُثْمَانَ، وَأَنَّهُمْ فَضَّضُوا الْمَصَاحِفَ عَلَى هَذَا أَوْ نَحْوِهِ.

قَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ: لِمَالِكٍ نَحْوُ أَلْفِ حَدِيثٍ، يَعْنِي مَرْفُوعَةً. وَرَوَى الْقَعْنَبِيُّ، عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: مَا تَرَكَ مَالِكٌ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِثْلَهُ.

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: كَانَ مَالِكٌ ثَقَّةً، ثَبَّتًا، حُجَّةً، عَالِمًا، وَرِعًا. وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: لَوْلَا مَالِكٌ، وَاللَّيْثُ، لَضَلَلْنَا. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مَا فِي الْأَرْضِ كِتَابٌ فِي الْعِلْمِ أَكْثَرُ صَوَابًا مِنْ "مَوْطَأِ" مَالِكٍ.

قُلْتُ: هَذَا قَالَهُ قَبْلَ أَنْ يُؤَلَّفَ الصَّحِيحَانِ.

قَالَ خَالِدُ بْنُ نِزَارٍ الْأَيْلِيُّ: بَعَثَ الْمَنْصُورُ إِلَى مَالِكٍ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ اخْتَلَفُوا بِالْعِرَاقِ، فَضَعَّ كِتَابًا نَجَمَهُمْ عَلَيْهِ. فَوَضَعَ "الْمَوْطَأَ".

قَالَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَاصِمٍ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: رَجُلٌ يُحِبُّ أَنْ يَحْفَظَ حَدِيثَ رَجُلٍ بِعَيْنِهِ؟ قَالَ: يَحْفَظُ حَدِيثَ مَالِكٍ. قُلْتُ: فَرَأَيْ؟ قَالَ: رَأَيْ مَالِكٍ.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: قِيلَ لِأُخْتِ مَالِكٍ: مَا كَانَ شُغْلُ مَالِكٍ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: الْمُصْحَفُ، التَّلَاوَةُ.

قَالَ أَبُو مُصْعَبٍ: كَانُوا يَزْدَحِمُونَ عَلَى بَابِ مَالِكٍ حَتَّى يَقْتَتِلُوا مِنَ الزَّحَامِ. وَكُنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَهُ لَا يَلْتَفِتُ ذَا إِلَى ذَا، قَائِلُونَ بِرُءُوسِهِمْ هَكَذَا. وَكَانَتِ السَّلَاطِينُ تَهَابُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: لَا، وَنَعَمْ. وَلَا يُقَالُ لَهُ: مَنْ أَيْنَ قُلْتَ ذَا؟

أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمُتَعَالِ بْنِ صَالِحٍ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ، قَالَ: قِيلَ لِمَالِكٍ: إِنَّكَ تَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ، وَهُمْ يَظْلِمُونَ، وَيَجُورُونَ، فَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ. فَأَيْنَ الْمُكَلَّمُ بِالْحَقِّ.

وَقَالَ مُوسَى بْنُ دَاوُدَ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: قَدِمَ عَلَيْنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ، فَقَالَ: يَا مَالِكُ، كَثُرَ شَيْبُكَ. قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنْ أَتَتْ عَلَيْهِ السُّنُونَ كَثُرَ شَيْبُهُ. قَالَ: مَا لِي أَرَاكَ تَعْتَمِدُ

عَلَى قَوْلِ ابْنِ عُمَرَ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ؟ قُلْتُ: كَانَ آخِرَ مَنْ بَقِيَ عِنْدَنَا مِنَ الصَّحَابَةِ، فَاحْتَاجَ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَسَأَلُوهُ، فَتَمَسَّكُوا بِقَوْلِهِ.

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ أَصْحَابَ نَافِعٍ، فَقَالَ: مَالِكٌ وَإِثْقَانُهُ، وَأَيُّوبُ وَفَضْلُهُ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ وَحِفْظُهُ.

ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: قَالَ لِي مُحَمَّدٌ: أَيُّهُمَا أَعْلَمُ صَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ؟ - يَعْنِي أَبَا حَنِيفَةَ وَمَالِكًا - قُلْتُ: عَلَى الْإِنْصَافِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ، مَنْ أَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ؟ قَالَ: صَاحِبُكُمْ. قُلْتُ: مَنْ أَعْلَمُ بِالسُّنَّةِ؟ قَالَ: صَاحِبُكُمْ. قُلْتُ: فَمَنْ أَعْلَمُ بِأَقَاوِيلِ الصَّحَابَةِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ؟ قَالَ: صَاحِبُكُمْ. قُلْتُ: فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقِيَاسُ، وَالْقِيَاسُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْأُصُولَ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَقِيسُ؟

قُلْتُ: وَعَلَى الْإِنْصَافِ، لَوْ قَالَ قَائِلٌ: بَلْ هُمَا سَوَاءٌ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ، وَالْأَوَّلُ أَعْلَمُ بِالْقِيَاسِ، وَالثَّانِي أَعْلَمُ بِالسُّنَّةِ، وَعِنْدَهُ عِلْمٌ جَمٌّ مِنْ أَقْوَالِ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ أَعْلَمُ بِأَقَاوِيلِ عَلِيٍّ، وَابْنِ مَسْعُودٍ وَطَائِفَةٍ مِمَّنْ كَانَ بِالْكُوفَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَدْ صِرْنَا فِي وَفْتٍ لَا يَقْدِرُ الشَّخْصُ عَلَى النُّطْقِ بِالْإِنْصَافِ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ.

قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرُهُ: كَانَ خَاتَمُ مَالِكٍ الَّذِي مَاتَ وَهُوَ فِي

يَدِهِ فَضُّهُ أَسْوَدُ حَجَرِيٍّ، وَنَقَشُهُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَكَانَ يُلْبِسُهُ فِي يَسَارِهِ، وَرُبَّمَا لَبِسَهُ فِي يَمِينِهِ.

وَعَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَهْيَبَ، وَلَا أَتَمَّ عَقْلًا مِنْ مَالِكٍ، وَلَا أَشَدَّ تَقْوَى.

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: مَا نَقَلْنَا مِنْ أَدَبِ مَالِكٍ أَكْثَرَ مِمَّا تَعَلَّمْنَا مِنْ عِلْمِهِ. وَعَنْ مَالِكٍ قَالَ: مَا جَالَسْتُ سَفِيهَا قَطُّ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: أَفْتَى مَالِكٌ مَعَ نَافِعٍ وَرَبِيعَةَ.

وَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِيُّ: رُوِيَ أَنَّ الْمَنْصُورَ حَجَّ، وَأَقَادَ مَالِكًا مِنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الَّذِي كَانَ ضَرَبَهُ. فَأَبَى مَالِكٌ، وَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ.

قَالَ مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَالِكٍ:

يَدْعُ الْجَوَابَ فَلَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِي الْأَذْقَانِ
عِزُّ الْوَقَارِ وَنُورُ سُلْطَانِ الثَّقَى فَهُوَ الْمَهِيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

... عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الرَّمَّاحِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مَالِكٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا فِي الصَّلَاةِ مِنْ فَرِيضَةٍ؟ وَمَا فِيهَا مِنْ سُنَّةٍ؟ أَوْ قَالَ: نَافِلَةٍ، فَقَالَ مَالِكٌ: كَلَامُ الزَّنادِقَةِ، أَخْرِجُوهُ.

وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ سَلَمَةَ الْخُزَاعِيُّ: كُنْتُ عِنْدَ مَالِكٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَقَمْتُ عَلَى بَابِكَ سَبْعِينَ يَوْمًا حَتَّى كَتَبْتُ سِتِّينَ حَدِيثًا، فَقَالَ: سِتُّونَ حَدِيثًا! وَجَعَلَ يَسْتَكْثِرُهَا. فَقَالَ الرَّجُلُ: رُبَّمَا كَتَبْنَا بِالْكُوفَةِ

أَوْ بِالْعِرَاقِ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ سِتِّينَ حَدِيثًا، فَقَالَ: وَكَيْفَ بِالْعِرَاقِ دَارُ
الضَّرْبِ، يُضْرَبُ بِاللَّيْلِ، وَيُنْفَقُ بِالنَّهَارِ؟
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّرَّاجُ: سَمِعْتُ الْبُخَارِيَّ يَقُولُ: أَصَحُّ الْأَسَانِيدِ:
مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي " التَّمْهِيدِ " : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ الْعُمَرِيَّ الْعَابِدَ
كَتَبَ إِلَى مَالِكٍ يَحُضُّهُ عَلَى الْإِنْفِرَادِ وَالْعَمَلِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَالِكٌ : إِنَّ اللَّهَ
قَسَمَ الْأَعْمَالَ كَمَا قَسَمَ الْأَرْزَاقَ ، قُرْبُ رَجُلٍ فُتِحَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ ، وَلَمْ
يُفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ ، وَآخِرُ فُتْحٍ لَهُ فِي الصَّدَقَةِ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ ،
وَآخِرُ فُتْحٍ لَهُ فِي الْجِهَادِ . فَنَشَرُ الْعِلْمِ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ ، وَقَدْ رَضِيتُ
بِمَا فُتِحَ لِي فِيهِ ، وَمَا أَظُنُّ مَا أَنَا فِيهِ بِدُونِ مَا أَنْتَ فِيهِ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ
كِلَانَا عَلَى خَيْرٍ وَبَرٍّ .

قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ حَسَنِ بْنِ مُهَاجِرٍ الْحَافِظُ : سَمِعْتُ أَبَا مُصْعَبٍ
الزُّهْرِيَّ يَقُولُ : كَانَ مَالِكٌ بَعْدَ تَخَلُّفِهِ عَنِ الْمَسْجِدِ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِهِ فِي
جَمَاعَةٍ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ ، وَكَانَ يُصَلِّي صَلَاةَ الْجُمُعَةِ فِي مَنْزِلِهِ وَحْدَهُ .

قَالَ الْقَعْنَبِيُّ : سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : عُمُرُ مَالِكٍ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، مَاتَ
سَنَةً تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً .

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ : مَرِضَ مَالِكٌ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَهْلِنَا عَمَّا قَالَ
عِنْدَ الْمَوْتِ ، قَالُوا : تَشْهَدُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ... ﴾

[الروم: ٤]، وَتُوُفِّيَ صَبِيحَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ الْهَاشِمِيُّ، وَلَدُ زَيْنَبَ بِنْتِ سُلَيْمَانَ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَيُعْرَفُ بِأُمِّهِ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: الصَّحِيحُ وَقَاتُهُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ يَوْمَ الْأَحَدِ لِتَمَامِ اثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ يَوْمًا مِنْ مَرَضِهِ.

وَعَسَلَهُ ابْنُ أَبِي زَنْبَرٍ وَابْنُ كِنَانَةَ، وَابْنُهُ يَحْيَى وَكَاتِبُهُ حَبِيبُ يَصْبَانَ عَلَيْهِمَا الْمَاءُ، وَنَزَلَ فِي قَبْرِهِ جَمَاعَةٌ، وَأَوْصَى أَنْ يُكْفَنَ فِي ثِيَابٍ بَيْضٍ، وَأَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ الْأَمِيرُ الْمَذْكُورُ. قَالَ: وَكَانَ نَائِبًا لِأَبِيهِ مُحَمَّدٍ عَلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ مَشَى أَمَامَ جَنَازَتِهِ، وَحَمَلَ نَعْشَهُ، وَبَلَغَ كَفَنُهُ خُمُسَةَ دَنَانِيرَ.

قُلْتُ: تَوَاتَرَتْ وَقَاتُهُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ فَلَا اغْتِبَارَ لِقَوْلِ مَنْ غَلِطَ وَجَعَلَهَا فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ.

وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَّاضُ أَنَّ أَسَدَ بْنَ مُوسَى قَالَ: رَأَيْتُ مَالِكًا بَعْدَ مَوْتِهِ، وَعَلَيْهِ طَوِيلَةٌ، وَثِيَابٌ خُضْرٌ وَهُوَ عَلَى نَاقَةٍ، يَطِيرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ مَتَّ؟ قَالَ: بَلَى. فَقُلْتُ: فَإِلَا مَ صِرْتُ؟ فَقَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَبِّي وَكَلَّمَنِي كِفَاحًا، وَقَالَ: سَلْنِي أُعْطِكَ، وَتَمَنَّ عَلَيَّ أَرْضِكَ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: وَاخْتُلِفَ فِي سِنِّهِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعِ الصَّائِغُ، وَابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، وَحَبِيبٌ: إِنَّ عُمُرَهُ خَمْسٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً. قَالَ: وَقِيلَ: أَرْبَعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَقِيلَ: سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: تِسْعُونَ سَنَةً، وَقَالَ الْفَرَيَّابِيُّ، وَأَبُو مُصْعَبٍ: سِتُّ وَثَمَانُونَ سَنَةً. وَقَالَ الْقَعْنَبِيُّ: تِسْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، قَالَ: عَاشَ سَبْعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً. وَشَدَّ أَيُّوبُ بْنُ صَالِحٍ، فَقَالَ: الْجُزْءُ الثَّامِنُ عَاشَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ سَنَةً. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الضَّرَّابُ: هَذَا خَطَأً. الصَّوَابُ سِتُّ وَثَمَانُونَ.

وَاخْتُلِفَ فِي حَمْلِ أُمِّهِ بِهِ: فَقَالَ مَعْنٌ، وَالصَّائِغُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ: حَمَلَتْ بِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ. وَقَالَ نَحْوُهُ وَالِدُ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ، وَعَنْ الْوَاقِدِيِّ: حَمَلَتْ بِهِ سَتَيْنِ.

قُلْتُ: وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ اتِّفَاقًا، وَقَبْرُهُ مَشْهُورٌ يُزَارُ - رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَيُقَالُ: إِنَّهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، رَأَى رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَائِلًا يَنْشُدُ: وَيُقَالُ: إِنَّهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، رَأَى رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَائِلًا يَنْشُدُ: لَقَدْ أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ زُغْزَعَ رُكْنُهُ غَدَاةَ ثَوَى الْهَادِي لَدَى مَلْحَدِ الْقَبْرِ إِمَامُ الْهُدَى مَا زَالَ لِلْعِلْمِ صَائِنًا عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ فِي آخِرِ الدَّهْرِ قَالَ: فَانْتَبَهْتُ، فَإِذَا الصَّارِخَةُ عَلَى مَالِكٍ.

قُلْتُ: قَدْ كَانَ هَذَا الْإِمَامُ مِنَ الْكِبَرَاءِ السُّعْدَاءِ، وَالسَّادَةِ الْعُلَمَاءِ، ذَا

حِشْمَةٍ وَتَجْمُلٍ، وَعَبِيدٍ، وَدَارٍ فَاخِرَةٍ، وَنِعْمَةٍ ظَاهِرَةٍ، وَرِفْعَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. كَانَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَيَأْكُلُ طَيِّبًا، وَيَعْمَلُ صَالِحًا.

تَرْجَمَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ مِنْ مَوَاهِبِ الْجَلِيلِ لِلْحَطَّابِ:

وَمَالِكٌ هُوَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْأَصْبَحِيُّ بِفَتْحِ الْبَاءِ نِسْبَةً إِلَى ذِي أَصْبَحَ بَطْنٌ مِنْ حِمَيْرَ وَهُوَ مِنَ الْعَرَبِ حَلَفُهُ فِي قُرَيْشِ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ فَهُوَ مَوْلَى حَلَفٍ لَا مَوْلَى عَتَاقَةٍ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَهُوَ إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ وَعَالِمُ الْمَدِينَةِ وَأَحَدُ أَيْمَةِ الْمَذَاهِبِ الْمَتَّبُوعَةِ وَهُوَ مِنْ تَابِعِي التَّابِعِينَ؛

وَجَدَّهُ أَبُو عَامِرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ حَضَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَغَازِيَهُ كُلَّهَا إِلَّا بَذْرًا،

وَجَدَّهُ مَالِكٌ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ وَهُوَ أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ حَمَلُوا عُثْمَانَ إِلَى قَبْرِهِ وَغَسَلُوهُ وَدَفَنُوهُ لَيْلًا، وَأَبُوهُ أَنَسٌ كَانَ فَقِيهًا.

وَفَضَائِلُهُ وَمَنَاقِبُهُ مَشْهُورَةٌ دُونَتْ بِهَا الدَّوَاوِينُ،

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله: إِذَا جَاءَ الْأَثَرُ فَمَالِكُ النَّجْمِ، وَقَالَ أَيُّضًا: إِذَا ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ فَمَالِكُ النَّجْمِ، وَمَا أَحَدٌ أَمِنُ عَلَيَّ فِي دِينِ اللَّهِ مِنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَقَالَ مَالِكٌ أَسْتَاذِي وَعَنْهُ أَخَذْنَا الْعِلْمَ وَمَا أَحَدٌ أَمِنُ عَلَيَّ مِنْ مَالِكٍ وَجَعَلْتُ مَالِكًا حُجَّةً بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ مَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ آمَنُ عَلَى حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: مَالِكُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: أَصَحُّ الْأَسَانِيدِ مَالِكُ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ.
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: قُلْتُ لِأَبِي: مَنْ أَثْبَتُ أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ؟ قَالَ: مَالِكُ أَثْبَتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ: كَانَ مَالِكُ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ.

قَالَ فِي مُخْتَصَرِ الْمَدَارِكِ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: مَالِكُ أَتْبَعُ مِنْ سُفْيَانَ وَسُئِلَ عَنِ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكِ إِذَا اخْتَلَفَا أَيُّهُمَا أَفْقَهُ؟ قَالَ: مَالِكُ أَكْبَرُ فِي قَلْبِي. قِيلَ لَهُ: فَمَالِكُ وَالْأَوْزَاعِيُّ؟ قَالَ: مَالِكُ أَحَبُّ إِلَيَّ وَإِنْ كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ مِنَ الْأَئِمَّةِ. قِيلَ: فَمَالِكُ وَاللَّيْثُ؟ قَالَ: مَالِكُ، قِيلَ: فَمَالِكُ وَالْحَكَمُ وَحَمَّادُ؟ قَالَ: مَالِكُ، قِيلَ: فَمَالِكُ وَالنَّحْعِيُّ؟ قَالَ: ضَعْفُهُ مَعَ أَهْلِ زَمَانِهِ مَالِكُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَهُوَ إِمَامٌ فِي الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَمَنْ مِثْلُ مَالِكِ؟

وَقِيلَ لَهُ: الرَّجُلُ يُرِيدُ يَحْفَظُ الْحَدِيثَ حَدِيثَ مَنْ تَرَى يَحْفَظُ؟ قَالَ حَدِيثَ مَالِكٍ فَإِنَّهُ حُجَّةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مَالِكًا كَانَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمَكَانٍ.

قَالَ: وَسُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ مَنْ أَعْلَمُ أَمَالِكُ أَوْ أَبُو حَنِيفَةَ؟ قَالَ: مَالِكُ أَعْلَمُ مِنْ أُسْتَاذِي أَبِي حَنِيفَةَ وَهُوَ إِمَامٌ فِي الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ وَمَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ آمَنُ عَلَى حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَالِكٍ وَلَا أُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَحَدًا فِي صِحَّةِ الْحَدِيثِ وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِثْلَهُ انْتَهَى

وَذَكَرَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ خَلْفِ بْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: مَا أَجَبْتُ فِي الْفُتْيَا حَتَّى سَأَلْتُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي هَلْ يَرَانِي مَوْضِعًا لِذَلِكَ؛ سَأَلْتُ رَبِيعَةَ وَسَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ فَأَمَرَانِي بِذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَلَوْ نَهَوَكَ قَالَ: كُنْتُ أَنْتَهِي لَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ أَهْلًا لِشَيْءٍ حَتَّى يَسْأَلَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ انْتَهَى.

وَقَالَ فِي الْمَدْخَلِ: قَالَ الْقَرَافِيُّ: مَا أَفْتَى مَالِكٌ ﷺ حَتَّى أَجَاذَهُ أَرْبَعُونَ مُحْتَكًا ذَكَرَهُ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الْمَزِيَّةَ يَخْرُجُ بِهَا مِنَ الْمَكْرُوهِ؛ لِأَنَّ وَصْفَهُمْ بِالتَّحْنِيكِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ امْتَاذُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ وَإِلَّا فَمَا كَانَ لَوْصِفِهِمْ بِالتَّحْنِيكِ فَائِدَةٌ إِذْ الْكُلُّ مُجْتَمِعُونَ فِيهِ انْتَهَى.

وَعَنْ الْمُثَنَّى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا بَثُّ لَيْلَةٍ إِلَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

وَمَذْهَبُهُ ﷺ مَبْنِيٌّ عَلَى سَدِّ الذَّرَائِعِ وَاتِّقَاءِ الشُّبُهَاتِ فَهُوَ أَبْعَدُ الْمَذَاهِبِ عَنْ الشُّبْهِ.

قَالَ فِي الدِّيْبَاجِ: وَكَانَ رَبِيعَةُ إِذَا جَاءَ مَالِكٌ يَقُولُ: جَاءَ الْعَاقِلُ.

وَاتَّقُوا عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَعْقَلَ أَهْلِ زَمَانِهِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: قَالَ مَالِكٌ: مَا جَالَسْتُ سَفِيهَا قَطُّ. وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ غَيْرُهُ وَلَا فِي فَضَائِلِ الْعُلَمَاءِ أَجَلٌ مِنْ هَذَا.

وَذَكَرَ يَوْمًا شَيْئًا فَقِيلَ لَهُ: مَنْ حَدَّثَكَ بِهَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّا لَمْ نُجَالِسِ السُّفَهَاءَ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ أَيْضًا فِي الْمَدَارِكِ رَوَايَةَ الْإِمَامِ مَالِكٍ قَالَ: وَرَوَى عَنْهُ الْأَيْمَةُ الْأَجَلَاءُ مِنْ شُيُوخِهِ وَغَيْرِهِمْ فَمِنْ شُيُوخِهِ مِنَ التَّابِعِينَ مُحَمَّدُ بْنُ شَهَابٍ الزُّهْرِيُّ وَمَاتَ قَبْلَ مَالِكٍ بِخَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَرَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمَاتَ قَبْلَهُ بِثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَهَشَامُ بْنُ عُرْوَةَ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَمِنْ شُيُوخِهِ مِنْ غَيْرِ التَّابِعِينَ نَافِعُ بْنُ أَبِي نُعَيْمٍ الْقَارِي قَرَأَ مَالِكٌ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَرَوَى هُوَ عَنْ مَالِكٍ وَابْنُ أَبِي ذَنْبٍ وَسُلَيْمَانُ بْنُ مِهْرَانَ الْأَعْمَشُ، وَمِنْ أَفْرَادِهِ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَاللِّيثُ بْنُ سَعْدٍ الْمِصْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَحَمَّادُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَالْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ وَابْنُهُ حَمَّادٌ وَأَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَمِنْ طَبَقَةِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيُّ الْمَالِكِيُّ وَالْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ مَشَاهِيرِ الرُّوَاةِ وَعَدَّ الْقَاضِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَلْفًا وَنِيفًا، قَالَ: وَتَرَكْنَا كَثِيرًا مِمَّنْ لَمْ يَشْتَهَرْ.

وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ وَابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ قَالَ: مَا أَحَدٌ مِمَّنْ نَقَلْتُ عَنْهُ هَذَا الْعِلْمَ إِلَّا اضْطُرَّ إِلَيَّ حَتَّى سَأَلَنِي عَنْ أَمْرِ دِينِهِ.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ: لَا نَعْلَمُ أَحَدًا تَقَدَّمَ أَوْ تَأَخَّرَ اجْتَمَعَ لَهُ مَا اجْتَمَعَ لِمَالِكٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ رَوَى عَنْهُ رَجُلَانِ حَدِيثًا وَاحِدًا بَيْنَ وَفَاتَيْهِمَا نَحْوُ مِنْ مِائَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مُحَمَّدُ بْنُ شَهَابٍ الزُّهْرِيُّ شَيْخُهُ تُوفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ وَأَبُو حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ تُوفِّيَ بَعْدَ الْخَمْسِينَ وَالْمِائَتَيْنِ رَوَى عَنْهُ حَدِيثُ الْفَرِيعَةِ بِنْتِ مَالِكٍ فِي سُكْنَى الْمُعْتَدَّةِ.

وَتَوَرَّعَهُ وَتَكَنَّبَهُ فِي الْفُتَا مَشْهُورٌ وَذَكَرَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْلَأَ أَلْوَاحِي مِنْ قَوْلِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ لَا أَذْرِي فَعَلْتُ.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا جَاءَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ أَيَّامًا مَا يُجِيبُهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ الْخُرُوجَ، قَالَ: فَأَطْرَقَ طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ يَا هَذَا، فَقَالَ: إِنِّي إِنَّمَا أَتَكَلَّمُ فِيمَا أُحْتَسِبُ فِيهِ الْخَيْرَ وَلَيْسَ أَحْسِنُ مَسْأَلَتَكَ هَذِهِ.

وَقَالَ ابْنُ مَهْدِيٍّ: سَأَلَ رَجُلٌ مَالِكًا عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ مَالِكٌ: لَا أَحْسِنُهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي ضَرَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ كَذَا وَكَذَا لِأَسْأَلَكَ عَنْهَا، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: فَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى مَكَانِكَ وَمَوْضِعِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: لَا أَحْسِنُهَا.

(وَلَيْدٌ عَلَيْهِ) بِذِي الْمَرْوَةِ مَوْضِعٌ مِنْ مَسَاجِدِ تَبُوكَ عَلَى ثَمَانِيَةِ بُرْدٍ مِنْ

الْمَدِينَةِ هَكَذَا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ فِي أَوَّلِ الْمَشَارِقِ : إِنَّهُ مَدَنِي الدَّارِ وَالْمَوْلِدِ وَالنَّشْأَةِ وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا قَبْلَهُ ؛ لِأَنَّ ذَا الْمَرْوَةَ مِنْ أَعْمَالِ الْمَدِينَةِ وَوُلِدَ ﷺ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَقِيلَ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَقِيلَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَقِيلَ سَنَةَ تِسْعِينَ . وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ بِالْمَدِينَةِ وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ ﷺ : وَكَانَ ﷺ طَوِيلًا جَسِيمًا عَظِيمَ الْهَامَةِ أَضْلَعَ أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ أَبْيَضَ شَدِيدَ الْبَيَاضِ إِلَى الصُّفْرِ حَسَنَ الصُّورَةِ أَشَمَّ عَظِيمَ اللَّحْيَةِ تَامَهَا تَبْلُغُ صَدْرُهُ ذَاتَ سَعَةٍ وَطُولٍ وَكَانَ يَأْخُذُ أَطَارَ شَارِبِهِ وَلَا يَحْلِقُهُ وَيَرَى حَلْقَهُ مُثَلَّةً وَكَانَ يَتْرُكُ لَهُ سِبَالَيْنِ طَوِيلَيْنِ وَيَحْتَجُّ بِفَتْلِ عُمَرِ لَشَارِبِهِ إِذَا أَهَمَّهُ أَمْرٌ .

وَقَالَ مُضَعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ : كَانَ مَالِكٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَأَخْلَاهُمْ عَيْنًا وَأَنْقَاهُمْ بَيَاضًا وَأَتَمَّهُمْ طُولًا فِي جُودَةِ بَدَنِ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ ﷺ : كَانَ مَالِكٌ ﷺ يَأْتِي الْمَسْجِدَ وَيَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَالْجَنَائِزَ وَيَعُودُ الْمَرْضَى وَيَقْضِي الْحُقُوقَ وَيُجِيبُ الدَّعْوَةَ ثُمَّ تَرَكَ الْجُلُوسَ فِي الْمَسْجِدِ فَكَانَ يُصَلِّي وَيَنْصَرِفُ ، ثُمَّ تَرَكَ عِيَادَةَ الْمَرْضَى وَشُهُودَ الْجَنَائِزِ فَكَانَ يَأْتِي أَصْحَابَهَا ، فَيُعْزِّيهِمْ ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ فَلَمْ يَكُنْ يَشْهَدُ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا الْجُمُعَةَ وَلَا يَأْتِي أَحَدًا يُعْزِّيهِ وَلَا يَقْضِي لَهُ حَقًّا فَاحْتَمَلَ النَّاسُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ وَكَانَ رَبَّمَا قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَيَقُولُ : لَيْسَ

كُلُّ النَّاسِ يَقْدِرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِعُذْرِهِ. وَقَالَ فِي مُخْتَصَرِ الْمَدَارِكِ: ثُمَّ تَرَكَ عِيَادَةَ الْمَرْضَى وَشُهُودَ الْجَنَائِزِ وَكَانَ أَصْحَابُهَا يَأْتُونَ إِلَيْهِ فَيُعْزِّيهِمْ ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ كَلَامِهِ: فَاحْتَمَلَ النَّاسُ لَهُ كُلَّ ذَلِكَ وَكَانُوا أَرْغَبَ فِيهِ وَأَشَدَّ تَعْظِيمًا فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ سُئِلَ عَنْ تَخْلُفِهِ عَنِ الْمَسْجِدِ وَكَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ سَبْعَ سِنِينَ قَبْلَ مَوْتِهِ فَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلِهِ مِنَ الْآخِرَةِ مَا أَخْبَرْتُكُمْ بِبِي سَلَسُ بَوْلٍ فَكَرِهْتُ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَرِهْتُ أَنْ أَذْكَرَ عَلَيَّ فَاشْكُو رَبِّي وَقِيلَ: كَانَ اعْتَرَاهُ فَتَقٌ مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي ضَرَبَهُ فَكَانَتْ الرِّيحُ تَخْرُجُ مِنْهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُودِيَ الْمَسْجِدَ وَالنَّاسَ.

(وَاخْتَلَتْ لِيَمَنْ ضَرَبَهُ نَفْسِي سَبَبٌ ضَرَبَهُ): فَلَا شَهْرَ أَنْ جَعْفَرَ بْنُ سُلَيْمَانَ هُوَ الَّذِي ضَرَبَهُ فِي وَلايَتِهِ الْأُولَى بِالْمَدِينَةِ.

وَأَمَّا سَبَبُهُ فَقِيلَ: إِنَّ أَبَا جَعْفَرَ نَهَاهُ عَنْ حَدِيثِ «لَيْسَ عَلَى مُسْتَكْرِهِ طَلَقٌ» ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَحَدَّثَ بِهِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ،

وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي نَهَاهُ هُوَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَقِيلَ: إِنَّهُ سَعَى بِهِ إِلَى جَعْفَرَ وَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ لَا يَرَى أَيْمَانَ بَيْعَتِكُمْ بِشَيْءٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَفْتَى عِنْدَ قِيَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ بِأَنْ بَيْعَةَ أَبِي جَعْفَرَ لَا تُلْزَمُ لَأَنَّهَا عَلَى الْإِكْرَاهِ عَلَى هَذَا أَكْثَرُ الرُّوَاةِ،

وَقَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ إِنَّمَا ضُرِبَ فِي تَقْدِيمِهِ عُثْمَانُ عَلَى عَلِيٍّ فَقِيلَ لِابْنِ بُكَيْرٍ: خَالَفْتَ أَصْحَابَكَ، فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ مِنْ أَصْحَابِي، وَالْأَشْهَرُ أَنَّ

ذَلِكَ كَانَ فِي خِلَافَةِ أَبِي جَعْفَرٍ .

وَاحْتُلِفَ فِي مِثْدَارِ ضَرْبِهِ مِنْ ثَلَاثِينَ إِلَى مِائَةٍ وَمُدَّتْ يَدَاهُ حَتَّى
انْخَلَعَتْ كَتِفُهُ وَبَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ مُطَالُ الْيَدَيْنِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْفَعَهُمَا وَلَا أَنْ
يُسَوِّيَ رِجْلَيْهِ .

وَلَمَّا حَجَّ الْمَنْصُورُ أَقَادَهُ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَأَرْسَلَهُ لِيَقْتَصَرَ مِنْهُ
فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ، وَاللَّهِ مَا أُرْتَفِعُ مِنْهَا سَوَاطِءَ عَنْ جِسْمِي إِلَّا وَأَنَا أَجْعَلُهُ
فِي حِلٍّ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ لِقَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَقِيلَ: حُمِلَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ وَدَخَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، قَالَ: أَشْهَدُكُمْ
أَنِّي جَعَلْتُ ضَارِبِي فِي حِلٍّ ثُمَّ قَالَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ أَمُوتَ
أَمْسٍ فَأَلْقَى النَّبِيُّ ﷺ فَاسْتَحْيَى مِنْهُ بِأَنْ يَدْخُلَ بَعْضُ آلِهِ النَّارَ بِسَبَبِي فَمَا كَانَ
إِلَّا مُدَّةً حَتَّى غَضِبَ الْمَنْصُورُ عَلَى ضَارِبِهِ فَضْرَبَهُ وَنِيلَ مِنْهُ أَمْرٌ شَدِيدٌ .

وَقَالَ الدَّأُوْدِيُّ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ حِينَ ضُرِبَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ وَكَانَ ضَرْبُهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ وَقِيلَ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ .
وَكَانَ يَقُولُ: ضُرِبْتُ فِيمَا ضُرِبَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ وَرَبِيعَةُ وَابْنُ
الْمُسَيَّبِ وَيَذْكُرُ قَوْلَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا أَغْبَطَ أَحَدًا لَمْ يُصِبْهُ فِي هَذَا
الْأَمْرِ أَذَى .

قَالَ الْإِسْبَاهِيُّ: مَا زَالَ مَالِكٌ بَعْدَ ذَلِكَ الضَّرْبِ فِي رِفْعَةٍ مِنَ النَّاسِ
وِاعْظَامٍ حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْأَسْوَاطُ إِلَّا حُلِيًّا حُلِيًّا بِهِ ﷺ ،

وَقَالَ الْجَلَالُ الشُّوْطِيُّ فِي حَاشِيَةِ الْمُوَظِّلِ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ: كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ إِلَى مَالِكٍ يَحْضُهُ عَلَى الْإِنْفِرَادِ وَالْعَمَلِ وَتَرْكِ اجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَالِكٌ: إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ الْأَعْمَالَ كَمَا قَسَمَ الْأَرْزَاقَ فَرُبَّ رَجُلٍ فَتَحَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ وَآخَرَ فَتَحَ لَهُ فِي الصَّدَقَةِ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ وَآخَرَ فَتَحَ لَهُ فِي الْجِهَادِ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ فِي الصَّلَاةِ وَنَشَرُ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمُهُ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَقَدْ رَضِيتُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ لِي مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَظُنُّ مَا أَنَا فِيهِ بِدُونِ مَا أَنْتَ فِيهِ وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ كُلُّنَا عَلَى خَيْرٍ وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ وَالسَّلَامُ ١ هـ.

وَقَالَ ﷺ: طَلَبُ الْعِلْمِ حَسَنٌ لِمَنْ رُزِقَ خَيْرُهُ وَهُوَ قِسْمٌ مِنْ قِسْمِ اللَّهِ ﷻ وَلَكِنْ أَنْظِرْ مَا يَلْزَمُكَ مِنْ حِينٍ تُصْبِحُ إِلَى حِينٍ تُمَسِّي فَالْزَمُهُ.

وَقَالَ: لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَإِنَّمَا هُوَ نُورٌ يَضَعُهُ اللَّهُ فِي الْقُلُوبِ،

وَقَالَ: شَرُّ الْعِلْمِ الْغَرِيبُ وَخَيْرُ الْعِلْمِ الظَّاهِرُ الَّذِي رَوَاهُ النَّاسُ،

وَقَالَ لَابْنِ وَهْبٍ: أَدَّ مَا سَمِعْتَ وَحَسْبُكَ وَلَا تَحْمِلْ لِأَحَدٍ عَلَى ظَهْرِكَ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: أَخْسَرُ النَّاسِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاةٍ وَأَخْسَرُ مِنْهُ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ. وَقِيلَ: يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ إِذَا خُوِّلَ عِلْمًا وَكَانَ رَأْسًا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ أَنْ يَضَعَ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ وَيَعْتَبُ نَفْسَهُ إِذَا خَلَا بِهَا وَلَا يَفْرَحُ بِالرَّئِاسَةِ فَإِنَّهُ إِذَا أُضْجِعَ فِي قَبْرِهِ وَوُسِدَ التُّرَابَ سَاءَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ.

وَقَالَ: إِنَّ الْمَسْأَلَةَ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا الرَّجُلُ فَلَمْ يُجِبْ وَانْدَفَعَتْ عَنْهُ فَإِنَّمَا

هِيَ بَلِيَّةٌ صَرَفَهَا اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ: مَنْ صَدَقَ فِي حَدِيثِهِ مُنِعَ بِعَقْلِهِ وَلَمْ يُصِبْهُ مَا يُصِيبُ النَّاسَ مِنَ الْهَرَمِ وَالْخَرَفِ.

وَقَالَ: لَا يَصْلُحُ الرَّجُلُ حَتَّى يَتْرُكَ مَا لَا يَعْنِيهِ وَيَسْتَغْلِبَ بِمَا يَعْنِيهِ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ يُوشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ قَلْبُهُ. وَقَالَ: مَا زَهَدَ أَحَدٌ فِيهَا إِلَّا أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْحِكْمَةِ،

وَقَالَ: عَلَيْكَ بِمُجَالَسَةِ مَنْ يَزِيدُ فِي عَمَلِكَ قَوْلُهُ وَيَدْعُوكَ إِلَى الْآخِرَةِ فِعْلُهُ وَإِيَّاكَ وَمُجَالَسَةِ مَنْ يُضِلُّكَ قَوْلُهُ وَيَدْعُوكَ إِلَى الدُّنْيَا فِعْلُهُ.

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَلَا تَحْسِبْهُ فَوَاقًا حَتَّى تُمَضِّيهُ فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ الْأَحْدَاثَ، وَإِذَا هَمَمْتَ بِغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تُمَضِّيهُ وَلَوْ فَوَاقًا فَلَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ لَكَ تَرْكَهُ وَلَا تَسْتَحْيِي إِذَا دُعِيتَ لِأَمْرٍ لَيْسَ بِحَقٍّ أَنْ تَعْمَلَ الْحَقَّ، وَاقْرَأْ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ...﴾ [الأحزاب: ٥٣] وَطَهَّرْ ثِيَابَكَ وَنَقِّهَا مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَعَلَيْكَ بِمَعَالِي الْأُمُورِ وَكِبَارِهَا وَاتَّقِ رَذَائِلَهَا وَسَفَاسِفَهَا فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَأَكْثَرَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَاجْتِهَدُ فِي الْخَيْرِ وَاذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ.

وَقَالَ: كَثْرَةُ الْكَلَامِ تَمُجُّ الْعَالِمَ وَتُذِلُّهُ وَتُنْقِصُهُ، وَمَنْ عَمِلَ هَذَا ذَهَبَ بِهِأُوهُ وَلَا يُوجَدُ ذَلِكَ إِلَّا فِي النِّسَاءِ وَالصِّغَارِ، وَكَانَ يُقَالُ: نِعَمَ الرَّجُلُ فَلَانَ لَوْلَا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ كَلَامَ شَهْرِ فِي يَوْمٍ.

وَقَالَ: طَلَبُ الرِّزْقِ فِي شُبْهَةِ خَيْرٍ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ.

(وَتَأْلِفُهُ عَلَيْهِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا كِتَابُ الْمُوَظِّحِ الَّذِي لَمْ يُسَبِّقْ إِلَى مِثْلِهِ قَالَ ابْنُ

مَهْدِيٍّ: مَا كِتَابُ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ أَنْفَعُ لِلنَّاسِ مِنَ الْمُوَطَّأِ وَلَا أَصَحُّ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْهُ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مَا فِي الْأَرْضِ كِتَابٌ فِي الْعِلْمِ أَكْثَرُ صَوَابًا مِنْ كِتَابِ مَالِكٍ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ أَصَحُّ مِنْهُ وَفِي رِوَايَةٍ أَفْضَلُ مِنْهُ. وَقَالَ أَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ: مَا أَحْسَنُهُ لِمَنْ تَدَيَّنَ بِهِ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ مَذْحَهُ نَثْرًا وَنَظْمًا وَاعْتَنَى الْعُلَمَاءُ بِهِ شَرْحًا وَكَلَامًا عَلَى الرِّجَالِ وَالْأَسَانِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَرَوَاهُ عَنْ مَالِكٍ خَلْقٌ كَثِيرٌ،

وَمِنْ تَأْلِيْفِهِ رِسَالَتُهُ إِلَى ابْنِ وَهْبٍ فِي الْقَدْرِ وَالرَّدِّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ. قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: هِيَ مِنْ أَجْلِ الْكُتُبِ فِي هَذَا الْبَابِ وَتَدُلُّ عَلَى سَعَةِ عِلْمِهِ بِهَذَا الشَّانِ،

وَمِنْهَا كِتَابُهُ فِي النُّجُومِ: حِسَابُ دَوَرَانِ الزَّمَانِ وَمَنَازِلِ الْقَمَرِ وَهُوَ كِتَابٌ حَسَنٌ مُفِيدٌ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ النَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ وَجَعَلُوهُ أَصْلًا،

وَمِنْهَا رِسَالَتُهُ فِي الْأَقْصِيَّةِ كَتَبَ بِهَا إِلَى بَعْضِ الْقُضَاةِ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ.

وَرِسَالَتُهُ إِلَى ابْنِ عَسَّانَ فِي الْفُتُوى وَهِيَ مَشْهُورَةٌ.

وَرِسَالَتُهُ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ فِي الْأَدَبِ وَالْمَوَاعِظِ،

وَمِنْهَا كِتَابُهُ فِي التَّفْسِيرِ لِعَرِيبِ الْقُرْآنِ،

وَمِنْهَا رِسَالَتُهُ إِلَى اللَّيْثِ فِي إِجْمَاعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَنُسِبَ لَهُ كِتَابُ السَّرِّ وَأُنْكِرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَمَنَاقِبُهُ وَفَضَائِلُهُ وَأَحْوَالُهُ كَثِيرَةٌ وَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْهَا قَلٌّ مِنْ كَثَرٍ وَإِنَّمَا أَرَدْنَا التَّنْبِيْهَ عَلَى مَا لَا بُدَّ مِنْهُ. اهـ.

٣ - الإمام الشافعي رحمه الله (١٥٠ - ٢٠٤)

وَطَرَفٌ مِنْ أُمُورِهِ، وَأَحْوَالِهِ

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي "مُقَدِّمَةِ الْمَجْمُوعِ": الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ شَافِعِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ الْقُرَشِيِّ الْمُطَّلِبِيُّ الشَّافِعِيُّ الْحِجَازِيُّ الْمَكِّيُّ يَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَبْدِ مَنَافٍ.

وَالشَّافِعِيُّ قُرَيْشِيُّ مُطَّلِبِيٍّ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ النَّقْلِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ، وَأُمُّهُ أَزْدِيَّةٌ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ فِي فَضَائِلِ قُرَيْشٍ، وَانْعَقَدَ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَى تَفْضِيلِهِمْ عَلَى جَمِيعِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ﴾،

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿النَّاسُ تَبَعُ لِقُرَيْشٍ فِي الْخَيْرِ، وَالشَّرِّ﴾، وَفِي كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ أَحَادِيثُ فِي فَضَائِلِ الْأَزْدِ. [قُلْتُ: رَوَى التِّرْمِذِيُّ (٣٩٣٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿الْمَلِكُ فِي قُرَيْشٍ، وَالْقَضَاءُ فِي الْأَنْصَارِ، وَالْأَذَانُ فِي الْحَبَشَةِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الْأَزْدِ يَعْنِي الْيَمَنَ﴾]. [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

فَصَلِّ. فِي مَوْلِدِ الشَّافِعِيِّ ؓ وَوَفَاتِهِ، وَذَكَرِ نُبْدٍ مِنْ أُمُورِهِ، وَحَالَاتِهِ، وَأَجْمَعُوا أَنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةً، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي تُوفِّيَ فِيهَا أَبُو حَنِيفَةَ ؓ، وَقِيلَ إِنَّهُ تُوفِّيَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ الشَّافِعِيُّ، وَلَمْ يَثْبُتِ التَّقْيِيدُ

بِالْيَوْمِ، ثُمَّ الْمَشْهُورُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ الشَّافِعِيَّ وُلِدَ بِغَزَّةَ، وَقِيلَ: بِعَسْطَلَانَ، وَهُمَا مِنَ الْأَرَاضِي الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَإِنَّهُمَا عَلَى نَحْوِ مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى مَكَّةَ، وَهُوَ ابْنُ سَتَيْنِ، وَتُوُفِّيَ بِمَضَرَ سَنَةِ أَرْبَعٍ، وَمِائَتَيْنِ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ، وَخَمْسِينَ سَنَةً قَالَ الرَّبِيعُ: تُوُفِّيَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَأَنَا عِنْدَهُ، وَذُفِنَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ، وَقَبْرُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَضَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَلَالَةِ، وَلَهُ مِنَ الْإِحْتِرَامِ مَا هُوَ لَا يُقْبَلُ بِمَنْصِبٍ ذَلِكَ الْإِمَامُ.

قَالَ الرَّبِيعُ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنَّ آدَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَاتَ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ: هَذَا مَوْتُ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، فَمَا كَانَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ الشَّافِعِيُّ، وَرَأَى غَيْرُهُ لَيْلَةَ مَاتَ الشَّافِعِيُّ قَائِلًا يَقُولُ: اللَّيْلَةَ مَاتَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَشَأَ يَتِيمًا فِي حَجَرٍ أُمِّهِ فِي قَلَّةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَضِيقِ حَالٍ،

وَكَانَ فِي صِبَاهُ يُجَالِسُ الْعُلَمَاءَ، وَيَكْتُبُ مَا يَسْتَفِيدُهُ فِي الْعِظَامِ، وَنَحْوِهَا، حَتَّى مَلَأَ مِنْهَا خَبَايَا، وَعَنْ مُضْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ: كَانَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ يَطْلُبُ الشُّعْرَ، وَأَيَّامَ الْعَرَبِ، وَالْأَدَبِ، ثُمَّ أَخَذَ فِي الْفِقْهِ بَعْدُ، قَالَ: وَكَانَ سَبَبُ أَخْذِهِ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا يَسِيرُ عَلَى دَابَّةٍ لَهُ، وَخَلْفَهُ كَاتِبٌ لِأَبِي، فَتَمَثَّلَ بَيْتِ شِعْرِ فَقَرَعَهُ كَاتِبُ أَبِي بِسَوِّطِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مِثْلُكَ يَذْهَبُ بِمُرُوءَتِهِ فِي مِثْلِ هَذَا؟ أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْفِقْهِ؟

فَهَرَّهْ ذَلِكَ فَقَصَدَ مُجَالَسَةَ الزُّنْجِيِّ مُسْلِمِ بْنِ خَالِدٍ، وَكَانَ مُفْتِي مَكَّةَ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا فَلَزِمَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ،

وَعَنْ الشَّافِعِيِّ رحمته الله قَالَ: كُنْتُ أَنْظُرُ فِي الشَّعْرِ فَارْتَقَيْتُ عَقَبَةً بِمَنَى، فَإِذَا صَوْتُ مَنْ خَلْفِي: عَلَيْكَ بِأَلْفِقِهِ،

وَعَنْ الْحَمِيدِيِّ قَالَ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: خَرَجْتُ أَطْلُبُ النَّحْوَ، وَالْأَدَبَ فَاقْبَنِي مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ الزُّنْجِيُّ فَقَالَ: يَا فَتَى مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَالَ: أَيْنَ مَنْزِلُكَ؟ قُلْتُ: شُعْبٌ بِالْخَيْفِ قَالَ: مِنْ أَيِّ قَبِيلَةٍ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ قَالَ: بَخٍ بَخٍ لَقَدْ شَرَّفَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ، أَلَا جَعَلْتَ فَهْمَكَ فِي هَذَا الْفِقْهِ فَكَانَ أَحْسَنَ بِكَ؟ ثُمَّ رَحَلَ الشَّافِعِيُّ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَاصِدًا الْأَخْذَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رحمته الله، وَفِي رِحْلَتِهِ مُصَنَّفٌ مَشْهُورٌ مَسْمُوعٌ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ قَرَأَ عَلَيْهِ الْمُوَطَّأَ حِفْظًا، فَأَعْجَبَتْهُ قِرَاءَتُهُ، وَلَا زَمَهُ، وَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: اتَّقِ اللَّهَ، وَاجْتَنِبِ الْمَعَاصِيَ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ تعالى قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا فَلَا تُظْفِهْ بِالْمَعَاصِي، وَكَانَ لِلشَّافِعِيِّ رحمته الله حِينَ أَتَى مَالِكًا ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةً ثُمَّ نَزَلَ بِالْيَمَنِ.

وَأَشْهُرُ مِنْ حُسْنِ سِيرَتِهِ، وَحَمَلِهِ النَّاسَ عَلَى السُّنَّةِ، وَالطَّرَائِقِ الْجَمِيلَةِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مَعْرُوفَةٍ.

ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ، وَأَخَذَ فِي الْإِشْتِعَالِ بِالْعُلُومِ، وَرَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ،

وَنَظَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَغَيْرُهُ، وَنَشَرَ عِلْمَ الْحَدِيثِ، وَمَذْهَبَ أَهْلِهِ،
وَنَصَرَ السُّنَّةَ، وَشَاعَ ذِكْرُهُ، وَفَضَّلُهُ،

وَطَلَبَ مِنْهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ إِمَامَ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِهِ أَنْ
يُصَنِّفَ كِتَابًا فِي أُصُولِ الْفِقْهِ فَصَنَّفَ كِتَابَ الرِّسَالَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ كِتَابٍ
صُنِّفَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ،

وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ يُعْجَبَانِ بِهِ، وَكَانَ
الْقَطَّانُ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَدْعُوَانِ لِلشَّافِعِيِّ فِي صَلَاتَيْهِمَا.

وَأَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى اسْتِحْسَانِ رِسَالَتِهِ، وَأَقْوَالُهُمْ فِي ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ،
وَقَالَ الْمُزَنِيُّ: قَرَأْتُ الرِّسَالََةَ خَمْسِمِائَةَ مَرَّةً مَا مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَاسْتَفَدْتُ مِنْهَا
فَائِدَةً جَدِيدَةً، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ قَالَ: أَنَا أَنْظُرُ فِي الرِّسَالَةِ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً،
مَا أَعْلَمُ أَنِّي نَظَرْتُ فِيهَا مَرَّةً إِلَّا، وَاسْتَفَدْتُ شَيْئًا لَمْ أَكُنْ عَرَفْتُهُ.

فِي نَوَادِرَ مِنْ حِكْمِ الشَّافِعِيِّ، وَأَخْوَالِهِ

قَالَ ﷺ: طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ،

وَقَالَ: مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ،

وَقَالَ: مَا تُقَرِّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِشَيْءٍ بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ

الْعِلْمِ، وَقَالَ: مَا أَفْلَحَ فِي الْعِلْمِ إِلَّا مَنْ طَلَبَهُ بِالْقَلَمِ،

وَقَالَ ﷺ: النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَذِهِ السُّورَةِ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ

لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ [العصر: ١-٢]، وَكَانَ قَدْ جَزَأَ اللَّيْلَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: الثُّلُثُ
الْأَوَّلُ يَكْتُبُ، وَالثَّانِي يُصَلِّي، وَالثَّالِثُ يَنَامُ،
وَقَالَ الرَّبِيعُ: نِمْتُ فِي مَنْزِلِ الشَّافِعِيِّ لَيْلًا فَلَمْ يَكُنْ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا
أَيْسَرَهُ،

وَقَالَ بَحْرُ بْنُ نَصْرِ: مَا رَأَيْتُ، وَلَا سَمِعْتُ كَانَ فِي عَصْرِ الشَّافِعِيِّ
أَتَقَى لِلَّهِ، وَلَا أَوْرَعَ، وَلَا أَحْسَنَ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ مِنْهُ،
وَقَالَ الْحُمَيْدِيُّ: كَانَ الشَّافِعِيُّ يَخْتِمُ فِي كُلِّ شَهْرٍ سِتِّينَ خَتْمَةً.
وَقَالَ حَرْمَلَةُ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنْ كُلَّ عِلْمٍ أَعْلَمُهُ تَعْلَمَهُ
النَّاسُ أَوْ جَرُّ عَلَيْهِ، وَلَا يَحْمَدُونَنِي،
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رحمته الله: كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَمَعَ فِي الشَّافِعِيِّ كُلَّ
خَيْرٍ،

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رحمته الله: الظُّرْفُ الْوُقُوفُ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ وَقَفَ،
وَقَالَ: مَا كَذَبْتُ قَطُّ، وَلَا حَلَفْتُ بِاللَّهِ تَعَالَى صَادِقًا، وَلَا كَاذِبًا،
وَقَالَ: مَا تَرَكْتُ غُسْلَ الْجُمُعَةِ فِي بَرْدٍ، وَلَا سَفَرٍ، وَلَا غَيْرِهِ، وَقَالَ: مَا
شَبِعْتُ مُنْذُ سِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ إِلَّا شَبَعَةً طَرَحْتُهَا مِنْ سَاعَتِي، وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ
عِشْرِينَ سَنَةً، وَقَالَ: مَنْ لَمْ تُعِزَّهُ التَّقْوَى فَلَا عِزَّ لَهُ، وَقَالَ: مَا فَرِغْتُ مِنْ
فَقْرٍ قَطُّ، وَقَالَ: طَلَبُ فُضُولِ الدُّنْيَا عُقُوبَةٌ عَاقَبَ اللَّهُ بِهَا أَهْلَ التَّوْحِيدِ،
وَقِيلَ لِلشَّافِعِيِّ: مَا لَكَ تُذَمِّنُ إِمْسَاكَ الْعَصَا، وَلَسْتَ بِضَعِيفٍ؟ فَقَالَ:
لَا ذُكْرَ أَنِّي مُسَافِرٌ يَعْنِي فِي الدُّنْيَا،

وَقَالَ: مَنْ شَهِدَ الضَّعْفَ مِنْ نَفْسِهِ نَالَ الْإِسْتِقَامَةَ، وَقَالَ: مَنْ غَلَبَتْهُ شِدَّةُ الشَّهْوَةِ لِلدُّنْيَا لَزِمَتْهُ الْعُبُودِيَّةُ لِأَهْلِهَا، وَمَنْ رَضِيَ بِالْقُنُوعِ زَالَ عَنْهُ الْخُضُوعُ،

وَقَالَ: خَيْرُ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ فِي خَمْسٍ خِصَالٍ: غِنَى النَّفْسِ، وَكَفِّ الْأَذَى، وَكَسْبُ الْحَلَالِ، وَلِبَاسُ التَّقْوَى، وَالثِّقَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقَالَ لِلرَّبِيعِ: " عَلَيْكَ بِالزُّهْدِ " وَقَالَ: أَنْفَعُ الذَّخَائِرِ التَّقْوَى، وَأَضَرُّهَا الْعُدْوَانُ.

وَقَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَوْ يُنَوِّرَهُ، فَعَلَيْهِ بِتَرْكِ الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَغْنِيهِ، وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي، وَيَكُونُ لَهُ خَبِيئَةٌ فِيمَا بَيْنَهُ، وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عَمَلٍ، وَفِي رِوَايَةٍ: فَعَلَيْهِ بِالْخُلُوعِ، وَقِلَّةِ الْأَكْلِ، وَتَرْكِ مُحَالَظَةِ السُّفَهَاءِ، وَبُغْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ لَيْسَ مَعَهُمْ إِنْصَافٌ وَلَا أَدَبٌ "،

وَقَالَ: " يَا رَبِيعُ لَا تَتَكَلَّمْ فِيمَا لَا يَغْنِيكَ، فَإِنَّكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْكَ، وَلَمْ تَمْلِكْهَا "،

وَقَالَ لِيُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى: " لَوْ اجْتَهِدْتَ كُلَّ الْجُهِدِ عَلَى أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ كُلَّهُمْ فَلَا سَبِيلَ، فَأَخْلِصْ عَمَلَكَ، وَنِيَّتَكَ لِلَّهِ ﷻ " .

وَقَالَ: " لَا يَعْرِفُ الرِّبَاءَ مُخْلِصٌ " ، وَقَالَ: لَوْ أَوْصَى رَجُلٌ بِشَيْءٍ لِأَعْقَلِ النَّاسِ صُرِفَ إِلَى الزُّهَادِ، وَقَالَ: سِيَاسَةُ النَّاسِ أَشَدُّ مِنْ سِيَاسَةِ الدَّوَابِّ .

وَقَالَ: "الْعَاقِلُ مَنْ عَقَلَهُ عَقْلُهُ عَنْ كُلِّ مَذْمُومٍ"، وَقَالَ: "لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ شُرْبَ الْمَاءِ الْبَارِدِ يُنْقِصُ مِنْ مُرْوَعَتِي مَا شَرِبْتُهُ".

وَقَالَ: "لِلْمُرُوءَةِ أَرْبَعَةٌ أَرْكَانٍ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالسَّخَاءُ، وَالتَّوَاضُّعُ، وَالنُّسْكُ"، وَقَالَ: "الْمُرُوءَةُ عِفَّةُ الْجَوَارِحِ عَمَّا لَا يَغْنِيهَا"، وَقَالَ: "أَصْحَابُ الْمُرُوءَاتِ فِي جُهْدٍ"،

وَقَالَ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ لَهُ بِالْخَيْرِ فَلْيُحْسِنِ الظَّنَّ بِالنَّاسِ"، وَقَالَ: "لَا يَكْمُلُ الرَّجَالُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِأَرْبَعٍ: بِالدِّيَانَةِ، وَالْأَمَانَةِ، وَالصِّيَانَةِ، وَالرِّزَانَةِ"،

وَقَالَ: أَقَمْتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَسْأَلُ إِخْوَانِي الَّذِينَ تَزَوَّجُوا عَنْ أَحْوَالِهِمْ فِي تَزَوُّجِهِمْ فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ قَالَ "إِنَّهُ رَأَى خَيْرًا"، وَقَالَ: "لَيْسَ بِأَخِيكَ مَنْ احْتَجَجْتَ إِلَى مُدَارَاتِهِ"، وَقَالَ: "مَنْ صَدَقَ فِي أُخُوَّةِ أَخِيهِ قَبْلَ عِلَلِهِ، وَسَدَّ خَلَلَهُ، وَغَفَرَ زَلَلَهُ"، وَقَالَ: "مِنْ عَلَامَةِ الصَّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لِصَدِيقِ صَدِيقِهِ صَدِيقًا". وَقَالَ: لَيْسَ سُرُورٌ يَعْدِلُ صُحْبَةَ الْإِخْوَانِ، وَلَا غَمٌّ يَعْدِلُ فِرَاقَهُمْ"،

وَقَالَ: "لَا تُقْصِرْ فِي حَقِّ أَخِيكَ اعْتِمَادًا عَلَى مَوَدَّتِهِ"، وَقَالَ: "لَا تَبْذُلْ، وَجْهَكَ إِلَى مَنْ يَهُونُ عَلَيْهِ رَدُّكَ"، وَقَالَ: مَنْ بَرَكَ فَقَدْ أَوْثَقَكَ، وَمَنْ جَفَاكَ فَقَدْ أَطْلَقَكَ"، وَقَالَ: "مَنْ نَمَّ لَكَ نَمَّ بِكَ"، وَقَالَ: "الْكَيْسُ الْعَاقِلُ هُوَ الْفَطِنُ الْمُتَعَاظِلُ"،

وَقَالَ: " مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ، وَزَانَهُ، وَمَنْ، وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ، وَشَانَهُ "،

وَقَالَ: " مَنْ سَامَ بِنَفْسِهِ فَوْقَ مَا يُسَاوِي، رَدَّهَ اللَّهُ إِلَى قِيَمَتِهِ " .

وَقَالَ: " الْفُتُوَّةُ حُلِيٌّ الْأَحْرَارِ " وَقَالَ: " مَنْ تَزَيَّنَ بِبَاطِلٍ هُتِكَ سِرُّهُ " .

وَقَالَ: " التَّوَاضُّعُ مِنْ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ، وَالتَّكَبُّرُ مِنْ شِيمِ اللَّثَامِ " .

وَقَالَ: " التَّوَاضُّعُ يُورِثُ الْمَحَبَّةَ، وَالْفَنَاعَةُ تُورِثُ الرَّاحَةَ " .

وَقَالَ: " أَرْفَعُ النَّاسَ قَدْرًا مَنْ لَا يَرَى قَدْرَهُ، وَأَكْثَرُهُمْ فَضْلًا مَنْ لَا

يَرَى فَضْلَهُ " وَقَالَ: " إِذَا كَثُرَتْ الْحَوَائِجُ فَايْدَأْ بِأَهْمِّهَا " وَقَالَ: " مَنْ

كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ فِي يَدِهِ " وَقَالَ: " الشَّفَاعَاتُ زَكَاةُ الْمُرُوءَاتِ " ،

وَقَالَ: " مَا ضَحِكَ مِنْ خَطَأٍ رَجُلٌ إِلَّا ثَبَتَ صَوَابُهُ فِي قَلْبِهِ " .

وَأَرْجُو بِمَا أَذْكُرُهُ، وَأُشِيعُهُ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّافِعِيِّ رحمته الله وَأَدْعُو لَهُ فِي

كِتَابَتِي، وَغَيْرَهَا مِنْ أَحْوَالِي، أَنْ أَكُونَ مُوفِيًا لِحَقِّهِ أَوْ بَعْضِ حَقِّهِ عَلَيَّ

لِمَا، وَصَلَنِي مِنْ كَلَامِهِ، وَعِلْمِهِ، وَانْتَفَعْتُ بِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ

إِحْسَانِهِ إِلَيَّ رحمته الله وَأَرْضَاهُ، وَأَكْرَمَ نُزُلَهُ، وَمَثْوَاهُ، وَجَمَعَ بَيْنِي، وَبَيْنَهُ مَعَ

أَحْبَابِنَا فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، وَنَفَعَنِي بِإِنْتِسَابِي إِلَيْهِ، وَانْتِمَائِي إِلَى صُحْبَتِهِ .

٤ - الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (١٦٤ - ٢٤١) (ع)

قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ فِي " سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ " :

هُوَ الْإِمَامُ حَقًّا، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ صِدْقًا، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ

ابن حَنْبَلٍ بنِ هَلَالٍ بنِ أَسَدٍ بنِ إِدْرِيسَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ حَيَّانَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ
 أَنَسٍ بنِ عَوْفٍ بنِ قَاسِطٍ بنِ مَازِنٍ بنِ شَيْبَانَ بنِ ذُهْلٍ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكَّابَةَ بنِ
 صَعْبٍ بنِ عَلِيٍّ بنِ بَكْرٍ وَائِلٍ الذُّهَلِيُّ، الشَّيْبَانِيُّ، المَرْوَزِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ
 ابْنُ قَاسِطٍ بنِ هَنْبٍ بنِ أَفْصَى بنِ دُعْمِيٍّ بنِ جَدِيلَةَ بنِ أَسَدٍ بنِ رَبِيعَةَ بنِ نِزَارٍ
 ابنِ مَعَدٍّ بنِ عَدْنَانَ بنِ أَدٍّ بنِ أَدَدَ بنِ الهُمَيْسَعِ بنِ نَبْتٍ بنِ قَيْذَارٍ بنِ إِسْمَاعِيلَ
 ابنِ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَعَلَى نَسَبِنَا. أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ.
 وَكَانَ مُحَمَّدٌ وَالِدُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ أَجْنَادِ مَرَوَ، مَاتَ شَابًّا، لَهُ نَحْوُ مِنْ
 ثَلَاثِينَ سَنَةً.

وَرُبِّي أَحْمَدُ يَتِيمًا،

وَقِيلَ: إِنَّ أُمَّهُ تَحَوَّلَتْ مِنْ مَرَوَ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ فَقَالَ صَالِحٌ، قَالَ لِي
 أَبِي: وَلِدْتُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ.
 قَالَ حَنْبَلٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: طَلَبْتُ الْحَدِيثَ سَنَةَ تِسْعٍ
 وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، فَسَمِعْتُ بِمَوْتِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَأَنَا فِي مَجْلِسِ هُشَيْمٍ.
 شَيْخُهُ:

طَلَبَ الْعِلْمَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فِي الْعَامِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ
 مَالِكٌ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ.

فَسَمِعَ مِنْ: إِبْرَاهِيمَ بنِ سَعْدٍ قَلِيلًا. وَمِنْ: هُشَيْمِ بنِ بَشِيرٍ فَأَكْثَرَ وَجُودًا.
 وَمِنْ: عَبَّادِ بنِ عَبَّادٍ الْمُهَلَّبِيِّ، وَمُعْتَمِرِ بنِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، وَسُفْيَانَ بنِ

عُيَيْنَةُ الْهَلَالِيِّ، وَأَيُّوبُ بْنُ النَّجَّارِ، وَوَكَيْعٌ - فَأَكْثَرَ - وَيَحْيَى الْقَطَّانِ -
فَبَالَغَ - وَمُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ، وَأَبِي عَاصِمٍ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَأَبِي
نُعَيْمٍ، وَعَقْفَانُ، وَحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ، وَخَلَّاتِقُ.

إِلَى أَنْ يَنْزَلَ فِي الرَّوَايَةِ عَنْ: قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ، وَعَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ،
وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَهَارُونَ بْنُ مَعْرُوفٍ، وَجَمَاعَةِ أَقْرَانِهِ. فِيهِ
شُيُوخُهُ الَّذِينَ رَوَى عَنْهُمْ فِي (الْمُسْنَدِ): مَائَتَانِ وَثَمَانُونَ وَنِيفٌ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَذَلِكَ قَبْلَ
الْمِحْنَةِ. وَلَمْ يُحَدِّثْ أَبِي عَنْهُ بَعْدَ الْمِحْنَةِ بِشَيْءٍ.

قُلْتُ: يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّ أَبَاهُ لَمْ يَحْمِلْ عَنْهُ بَعْدَ الْمِحْنَةِ
شَيْئًا، وَإِلَّا فَسَمَاعُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ لِسَائِرِ كِتَابِ (الْمُسْنَدِ) مِنْ أَبِيهِ كَانَ
بَعْدَ الْمِحْنَةِ بِسَنَوَاتٍ، فِي حُدُودِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَمَا
سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ شَيْئًا مِنْ أَبِيهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ إِلَّا بَعْدَ الْمِحْنَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ أَيَّامَ
الْمِحْنَةِ صَبِيًّا مُمَيِّزًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

حَدَّثَ عَنْهُ: الْبُخَارِيُّ حَدِيثًا، وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ عَنْهُ حَدِيثًا آخَرَ
فِي الْمَغَازِي.

وَحَدَّثَ عَنْهُ: مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ بِجُمْلَةٍ وَافِرَةٍ.

وَرَوَى: أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْهُ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ أَيْضًا: وَلَدَاهُ: صَالِحٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، وَابْنُ عَمِّهِ حَنْبَلُ بْنُ

إِسْحَاقَ، وَشُيُوخَهُ؛ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَالْحَسَنُ بْنُ مُوسَى الْأَشِيبِ، وَأَبُو
عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ، لَكِنَّ الشَّافِعِيَّ لَمْ يُسَمِّهِ، بَلْ قَالَ: حَدَّثَنِي الثَّقَةُ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ: عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَدَحِيمٌ، وَأَحْمَدُ
ابْنُ صَالِحٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَّارِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الدُّهْلِيُّ، وَأَحْمَدُ
ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الدُّورَقِيِّ، وَأَحْمَدُ بْنُ الْفَرَاتِ.

قَالَ أَحْمَدُ: وَحَبَّبْتُ خَمْسَ حَبِجٍ، مِنْهَا ثَلَاثُ رَاجِلًا، أَنْفَقْتُ فِي
إِحْدَاهَا ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا.

وَقَدِمَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ، وَفِيهَا أَوَّلُ سَمَاعِي مِنْ
هُشِيمٍ، فَذَهَبْتُ إِلَى مَجْلِسِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، فَقَالُوا: قَدْ خَرَجَ إِلَى طَرَسُوسَ،
وَكُتِبَتْ عَنْ هُشِيمٍ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ.

وَلَوْ كَانَ عِنْدِي خَمْسُونَ دِرْهَمًا، لَخَرَجْتُ إِلَى جَرِيرٍ إِلَى الرَّيِّ -
قُلْتُ: قَدْ سَمِعَ مِنْهُ أَحَادِيثَ -.

وَقَدْ رَوَى عَنْ أَحْمَدَ مِنْ شُيُوخِهِ: ابْنُ مَهْدِيٍّ.

... عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ يَقُولُ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عِنْدِي،
فَقَالَ: نَظَرْنَا فِيمَا كَانَ يُخَالِفُكُمْ فِيهِ وَكَيْعٌ، أَوْ فِيمَا يُخَالِفُ وَكَيْعُ النَّاسِ،
فَإِذَا هِيَ نَيْفٌ وَسِتُّونَ حَدِيثًا.

رَوَى: صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: مَاتَ هُشِيمٌ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِينَ
سَنَةً، وَأَنَا أَخْفَظُ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ.

وَمِنْ صِفَتِهِ:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّاسِ النَّخَوِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ حَسَنَ الْوَجْهِ، رُبْعَةً، يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ خِضَابًا لَيْسَ بِالقَانِي، فِي لِحْيَتِهِ شَعْرَاتٌ سُودٌ، وَرَأَيْتُ ثِيَابَهُ غَلَاظًا بَيْضًا، وَرَأَيْتُهُ مُعْتَمًا، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ. وَقَالَ الْمَرُوزِيُّ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِذَا كَانَ فِي الْبَيْتِ عَامَّةً جُلُوسِهِ مُتَرَبِّعًا خَاشِعًا.

رَحْلَتُهُ وَحِفْظُهُ:

قَالَ صَالِحٌ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: خَرَجْتُ إِلَى الْكُوفَةِ، فَكُنْتُ فِي بَيْتٍ تَحْتَ رَأْسِي لَبَنَةً، فَحَجَجْتُ، فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي، وَلَمْ أَكُنْ اسْتَأْذَنْتُهَا. وَقَالَ حَنْبَلٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: تَرَوُّجٌ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَزَقَ اللَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا.

قَالَ أَبُو بَكْرِ الْخَلَّالُ فِي كِتَابِ (أَخْلَاقِ أَحْمَدَ) - وَهُوَ مُجَلَّدٌ -:

أَمَلَى عَلَيَّ زُهَيْرُ بْنُ صَالِحٍ بْنِ أَحْمَدَ، قَالَ: تَرَوُّجٌ جَدِّي عَبَّاسَةُ بِنْتُ الْفَضْلِ؛ مِنَ الْعَرَبِ، فَلَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْهَا غَيْرُ أَبِي، وَتُوفِّيَتْ، فَتَرَوُّجٌ بَعْدَهَا رِيحَانَةً، فَوَلَدَتْ عَبْدَ اللَّهِ عَمِّي، ثُمَّ تُوفِّيَتْ، فَاشْتَرَى حُسَيْنٌ، فَوَلَدَتْ أُمَّ عَلِيٍّ زَيْنَبَ، وَوَلَدَتْ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ تَوَآمًا، وَمَاتَا بِقُرْبٍ وَلَا ذَيْهَمًا، ثُمَّ وَلَدَتْ الْحَسَنَ وَمُحَمَّدًا، فَعَاشَا حَتَّى صَارَا مِنَ السَّنِّ إِلَى نَحْوِ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ وَلَدَتْ سَعِيدًا.

قِيلَ: كَانَتْ وَالِدَةُ عَبْدِ اللَّهِ عَوْرَاءَ، وَأَقَامَتْ مَعَهُ سِنِينَ.

قَالَ الْمَرْوُذِيُّ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: اخْتَلَفْتُ إِلَى الْكِتَابِ، ثُمَّ اخْتَلَفْتُ إِلَى الدِّيْوَانِ، وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً.

.. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ لِي أَبِي: خُذْ أَيَّ كِتَابٍ شِئْتَ مِنْ كُتُبِ وَكِيعٍ مِنَ الْمُصَنِّفِ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْأَلَنِي عَنِ الْكَلَامِ حَتَّى أُخْبِرَكَ بِالْإِسْنَادِ، وَإِنْ شِئْتَ بِالْإِسْنَادِ حَتَّى أُخْبِرَكَ أَنَا بِالْكَلَامِ.

قَالَ عَارِمٌ: وَضَعَ أَحْمَدُ عِنْدِي نَفَقَتَهُ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ مِنَ الْعَرَبِ.

فَقَالَ: يَا أَبَا النُّعْمَانِ، نَحْنُ قَوْمٌ مَسَاكِينُ. فَلَمْ يَزَلْ يُدَافِعُنِي حَتَّى خَرَجَ، وَلَمْ يَقُلْ لِي شَيْئًا.

... عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: نَحْنُ كَتَبْنَا الْحَدِيثَ مِنْ سِتَّةِ وُجُوهِ وَسَبْعَةِ لَمْ نَضْبِطْهُ، فَكَيْفَ يَضْبِطُهُ مَنْ كَتَبَهُ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ؟!

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ لِي أَبُو زُرْعَةَ: أَبُوكَ يَحْفَظُ أَلْفَ أَلْفِ حَدِيثٍ. فَقِيلَ لَهُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟

قَالَ: ذَاكِرْتُهُ، فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ.

فَهَذِهِ حِكَايَةٌ صَحِيحَةٌ فِي سَعَةِ عِلْمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَكَأَنَّا نَعُدُّونَ فِي ذَلِكَ الْمُكَرَّرَ، وَالْأَثَرَ، وَفَتْوَى الشَّابِعِيِّ، وَمَا فَسَّرَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَاَلْمُتُونِ الْمَرْفُوعَةَ الْقَوِيَّةَ لَا تَبْلُغُ عَشَرَ مِئَاتٍ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو: يَا أَبَا زُرْعَةَ، أَنْتَ أَحْفَظُ، أَمْ أَحْمَدُ؟ قَالَ: بَلْ أَحْمَدُ.

قُلْتُ: كَيْفَ عَلِمْتَ؟ قَالَ: وَجَدْتُ كُتُبَهُ، لَيْسَ فِي أَوَائِلِ الْأَجْزَاءِ أَسْمَاءُ الَّذِينَ حَدَّثُوهُ، فَكَانَ يَحْفَظُ كُلَّ جُزْءٍ مِمَّنْ سَمِعَهُ، وَأَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَى هَذَا. وَعَنْ أَبِي زُرْعَةَ، قَالَ: حُزِرْتُ كُتُبُ أَحْمَدَ يَوْمَ مَاتَ، فَبَلَغَتْ اثْنِي عَشَرَ جِمْلًا وَعَدَلًا، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ مِنْهَا: حَدِيثُ فُلَانٍ، وَلَا فِي بَطْنِهِ: حَدَّثَنَا فُلَانٌ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَحْفَظُهُ.

وَقَالَ حَسَنُ بْنُ مُنْبِيٍّ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ:

أَخْرَجَ إِلَيَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَجْزَاءَ كُلِّهَا سُفْيَانُ سُفْيَانُ، لَيْسَ عَلَى حَدِيثٍ مِنْهَا: حَدَّثَنَا فُلَانٌ، فَظَنَنْتُهَا عَنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَاثْتَحَبْتُ مِنْهَا.

فَلَمَّا قَرَأَ ذَلِكَ عَلَيَّ، جَعَلَ يَقُولُ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَيَحْيَى، وَحَدَّثَنَا فُلَانٌ، فَعَجِبْتُ، وَلَمْ أَقْدِرْ أَنَا عَلَى هَذَا.

أَحْمَدُ بْنُ سَلَمَةَ: سَمِعْتُ ابْنَ رَاهُوِيَةَ يَقُولُ: كُنْتُ أَجَالِسُ أَحْمَدَ وَابْنَ مَعِينٍ، وَنَتَذَاكِرُ، فَأَقُولُ: مَا فَهْمُهُ؟ مَا تَفْسِيرُهُ؟ فَيَسْكُتُونَ إِلَّا أَحْمَدَ.

قَالَ أَبُو بَكْرِ الْخَلَّالُ: كَانَ أَحْمَدُ قَدْ كَتَبَ كُتُبَ الرَّأْيِ وَحَفِظَهَا، ثُمَّ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا.

وَعَنْ ابْنِ مَهْدِيٍّ، قَالَ: مَا نَظَرْتُ إِلَى أَحْمَدَ، إِلَّا ذَكَرْتُ بِهِ سُفْيَانَ.

الْخَلَّالُ: حَدَّثَنَا الرَّمَادِيُّ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّزَّاقِ، وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، فَدَمَعْتُ عَيْنَاهُ، فَقَالَ:

بَلَّغْنِي أَنْ نَفَقَتَهُ نَفَدْتُ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَأَقَمْتُهُ خَلْفَ الْبَابِ، وَمَا مَعَنَا أَحَدٌ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ لَا تَجْتَمِعُ عِنْدَنَا الدَّنَائِيرُ، إِذَا بَعْنَا الْغَلَّةَ، أَشْغَلْنَاهَا فِي شَيْءٍ، وَقَدْ وَجَدْتُ عِنْدَ النِّسَاءِ عَشْرَةَ دَنَائِيرٍ، فَخُذْهَا، وَأَرْجُو أَنْ لَا تُنْفِقَهَا حَتَّى يَتَهَيَّأَ شَيْءٌ. فَقَالَ لِي: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ قَبِلْتُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا، قَبِلْتُ مِنْكَ. أَبُو إِسْحَاقَ الْجَوْزَجَانِيُّ، قَالَ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يُصَلِّي بِعَبْدِ الرَّزَّاقِ، فَسَأَلَ عَنْهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ شَيْئًا.

وَقَالَ قُتَيْبَةُ: لَوْلَا الثَّوْرِيُّ، لَمَاتَ الْوَرَعُ، وَلَوْلَا أَحْمَدُ، لَأُحْدِثُوا فِي الدِّينِ، أَحْمَدُ إِمَامُ الدُّنْيَا.

قَالَ الْمُزْنِيُّ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: رَأَيْتَ بَغْدَادَ شَابًّا، إِذَا قَالَ: حَدَّثَنَا، قَالَ النَّاسُ كُلُّهُمْ: صَدَقَ.

قُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

وَقَالَ حَرْمَلَةُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ، فَمَا خَلَّفْتُ بِهَا رَجُلًا أَفْضَلَ، وَلَا أَعْلَمَ، وَلَا أَفْقَهَ، وَلَا أَتَقَى مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُويَةَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ لِي أَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ: تَعَالَ حَتَّى أُرِيكَ مَنْ لَمْ يَرِ مِثْلَهُ، فَذَهَبَ بِي إِلَى الشَّافِعِيِّ.

قَالَ أَبِي -إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُويَه-: وَمَا رَأَى الشَّافِعِيَّ مِثْلَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ. وَلَوْلَا أَحْمَدُ وَبَذَلَ نَفْسِهِ، لَذَهَبَ الْإِسْلَامُ - يُرِيدُ الْمِحْنَةَ - .

... عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ يَقُولُ: أَحْمَدُ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي زَمَانِهِ؛ لِأَنَّ سَعِيدًا كَانَ لَهُ نُظَرَاءُ.

وَعَنِ ابْنِ الْمَدِينِيِّ، قَالَ: أَعَزَّ اللَّهُ الدِّينَ بِالصَّدِّيقِ يَوْمَ الرَّدَّةِ، وَبِأَحْمَدَ يَوْمَ الْمِحْنَةِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ: مَا شَبَّهْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ إِلَّا بِابْنِ الْمُبَارَكِ فِي سَمْتِهِ وَهَيْئَتِهِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ: سَمِعْتُ بِشَرَ بْنَ الْحَارِثِ يَقُولُ: أَنَا أَسْأَلُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ؟! إِنَّ أَحْمَدَ أَدْخَلَ الْكَبِيرَ، فَخَرَجَ ذَهَبًا أَحْمَرَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، أَيُّهُمَا أَحْفَظُ؟

فَقَالَ: كَانَا فِي الْحِفْظِ مُتَقَارِبَيْنِ، وَكَانَ أَحْمَدُ أَفْقَهُ، إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يُحِبُّ أَحْمَدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَكْبَرُ مِنْ إِسْحَاقَ وَأَفْقَهُ، مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْمَلَ مِنْ أَحْمَدَ.

... أَبَا عُمَيْرِ بْنِ النَّحَّاسِ الرَّمْلِيِّ، وَذَكَرَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: ﷺ،

عَنِ الدُّنْيَا مَا كَانَ أَصْبَرُهُ! وَبِالْمَاضِينَ مَا كَانَ أَشْبَهُهُ!، وَبِالصَّالِحِينَ مَا كَانَ أَلْحَقَهُ! عُرِضَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَبَاَهَا، وَالْبَدْعُ فَتَفَاَهَا.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: كَانَ أَبُو عُمَيْرٍ مِنْ عِبَادِ الْمُسْلِمِينَ.

وَقَالَ النَّسَائِيُّ: جَمَعَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ الْمَعْرِفَةَ بِالْحَدِيثِ وَالْفِقْهَ وَالْوَرَعَ وَالزُّهْدَ وَالصَّبْرَ.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: كَانَتْ مَجَالِسُ أَحْمَدَ مَجَالِسَ الْآخِرَةِ، لَا يُذَكَّرُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، مَا رَأَيْتُهُ ذَكَرَ الدُّنْيَا قَطُّ.

وَعَنِ ابْنِ الْمَدِينِيِّ، قَالَ: أَمَرَنِي سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ.

الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ أَبُو مَعِينٍ الرَّازِيُّ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمَدِينِيِّ يَقُولُ: لَيْسَ فِي أَصْحَابِنَا أَحْفَظُ مِنْ أَحْمَدَ، وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ لَا يُحَدِّثُ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ، وَلَنَا فِيهِ أُسْوَةٌ. وَعَنْهُ قَالَ: أَحْمَدُ الْيَوْمَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ.

.. عَنِ الْمُزَنِيِّ قَالَ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَوْمَ الْمِحْنَةِ، أَبُو بَكْرٍ يَوْمَ الرَّدَّةِ، وَعُمَرُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ، وَعُثْمَانُ يَوْمَ الدَّارِ، وَعَلِيٌّ يَوْمَ صِفِّينَ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ شُعَيْبٍ، قَالَ: عِنْدَنَا الْمَثَلُ الْكَائِنُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنْ أَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ يُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَوْلَا أَنَّ أَحْمَدَ قَامَ بِهَذَا الشَّأْنِ، لَكَانَ عَارًا عَلَيْنَا أَنْ قَوْمًا سُبِكُوا، فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فُلْتُ: كَانَ أَحْمَدُ عَظِيمَ الشَّانِ، رَأْسًا فِي الْحَدِيثِ وَفِي الْفَقْهِ، وَفِي الثَّأْلَةِ، أَتَى عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنْ خُصُومِهِ، فَمَا الظَّنُّ بِإِخْوَانِهِ وَأَقْرَانِهِ؟ وَكَانَ مَهِيًا فِي ذَاتِ اللَّهِ، حَتَّى لَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: مَا هَبْتُ أَحَدًا فِي مَسْأَلَةٍ، مَا هَبْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ.

... مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ الشَّاذْكُونِيُّ، قَالَ: يُشَبَّهُ عَلِيَّ ابْنَ الْمَدِينِيِّ بِأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ؟ أَيَهَاتَ!! مَا أَشَبَّهُ السُّكَّ بِاللُّكِّ [اللَّهُ: الطَّيْبُ، وَاللُّكُّ: صَبَغٌ أَحْمَرُ يُضْبَغُ بِهِ]، لَقَدْ حَضَرْتُ مِنْ وَرَعِهِ شَيْئًا بِمَكَّةَ: أَنَّهُ أَرْهَنَ سَطْلًا عِنْدَ فَامِيٍّ، فَأَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا لِيُقَوِّتَهُ، فَجَاءَ، فَأَعْطَاهُ فِكَكَاهُ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ سَطْلَيْنِ، فَقَالَ: انْظُرْ أَيُّهُمَا سَطْلُكَ؟ فَقَالَ: لَا أَذْرِي أَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْهُ، وَمَا أَعْطَيْتَكَ، وَلَمْ يَأْخُذْهُ. قَالَ الْفَامِيُّ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَسَطْلُهُ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَمْتَحِنَهُ فِيهِ.

فِي نَفْسِهِ وَتَأْلُهُ وَشَمَائِلِهِ:

.. قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَهَنَ نَعْلَهُ عِنْدَ خَبَّازٍ بِالْيَمَنِ، وَأَكْرَى نَفْسَهُ مِنْ جَمَالَيْنَ عِنْدَ خُرُوجِهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّزَّاقِ دَرَاهِمَ صَالِحَةً، فَلَمْ يَقْبَلْهَا. وَبِهِ حَدَّثَنَا صَالِحٌ، قَالَ: قَالَ أَبِي: جَاءَنِي يَحْيَى بْنُ يَحْيَى - قَالَ أَبِي: وَمَا أَخْرَجَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَ ابْنِ الْمُبَارَكِ رَجُلًا يُشَبِّهُ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى - فَجَاءَنِي ابْنُهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي أَوْصَى بِمَبْطَنَةٍ لَهُ لَكَ، وَقَالَ يُذَكِّرُنِي بِهَا.

فَقُلْتُ: جِئْتُ بِهَا. فَجَاءَ بِرُزْمَةِ ثِيَابٍ، فَقُلْتُ لَهُ: اذْهَبْ رَحِمَكَ اللَّهُ - يَعْنِي: وَلَمْ يَقْبَلْهَا -.

قُلْتُ: وَقِيلَ: أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهَا ثَوْبًا وَاحِدًا.

وَبِهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا صَالِحٌ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: إِنَّ أَحْمَدَ الدَّورَقِيَّ أُعْطِيَ أَلْفَ دِينَارٍ.

فَقَالَ: يَا بُنَيَّ: ﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].

... عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْمِمْوْنِيُّ قَالَ مَا أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْظَفَ بَدَنًا، وَلَا أَشَدَّ تَعَاهِدًا لِنَفْسِهِ فِي شَارِبِهِ وَشَعْرِ رَأْسِهِ وَشَعْرِ بَدَنِهِ، وَلَا أَنْقَى ثَوْبًا بِشِدَّةِ بَيَاضٍ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.
كَانَ ثِيَابُهُ بَيْنَ الثَّوْبَيْنِ، تَسْوَى مَلْحَفَتِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَكَانَ ثَوْبٌ قَمِيصُهُ يُؤْخَذُ بِالدِّينَارِ وَنَحْوِهِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ دِقَّةٌ تُنْكِرُ، وَلَا غِلْظٌ يُنْكِرُ، وَكَانَ مَلْحَفَتُهُ مُهَدَّبَةً.

وَبِهِ: حَدَّثَنَا صَالِحٌ، قَالَ رُبَّمَا رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ الْكِسْرَ، يَنْفُضُ الْغُبَارَ عَنْهَا، وَيُصَيِّرُهَا فِي قَصْعَةٍ، وَيَصُبُّ عَلَيْهَا مَاءً، ثُمَّ يَأْكُلُهَا بِالْمَلْحِ، وَمَا رَأَيْتُهُ اشْتَرَى رُمَانًا وَلَا سَفَرْجَلًا وَلَا شَيْئًا مِنَ الْفَاكِهَةِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِطَيِّخَةٍ - فَيَأْكُلُهَا بِخُبْزٍ - وَعِنَبًا وَتَمْرًا.

وَقَالَ لِي: كَانَتْ وَالِدَتُكَ فِي الظَّلَامِ تَغْزِلُ غَزْلًا دَقِيقًا، فَتَبِيعُ الْأُسْتَارَ بِدِرْهَمَيْنِ أَقَلٍّ أَوْ أَكْثَرَ، فَكَانَ ذَلِكَ قُوَّتَنَا، وَكَانَ رُبَّمَا خُبْرَ لَهُ، فَيَجْعَلُ فِي

فَخَارِقَ عَدَسًا وَشَحْمًا وَتَمَرَاتٍ، فَيَجِيءُ الصَّبِيَّانُ، فَيُصَوِّتُ بَعْضُهُمَا، فَيَدْفَعُهُ إِلَيْهِمَا، فَيَضْحَكُونَ وَلَا يَأْكُلُونَ. وَكَانَ يَأْتِدُمُ بِالْخَلِّ كَثِيرًا. قَالَ: وَقَالَ أَبِي: إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي قِطْعَةٌ، أَفْرَحُ.

وَكَانَ إِذَا تَوَضَّأَ، لَا يَدَعُ مَنْ يَسْتَقِي لَهُ، وَرُبَّمَا اعْتَلَّتْ فَيَأْخُذُ قَدْحًا فِيهِ مَاءً، فَيَقْرَأُ فِيهِ، ثُمَّ يَقُولُ: اشْرَبْ مِنْهُ، وَاعْسِلْ وَجْهَكَ وَيَدَيْكَ. وَكَانَتْ لَهُ قَلَنْسُوَةٌ خَاطَهَا بِيَدِهِ، فِيهَا قُطْنٌ، فَإِذَا قَامَ بِاللَّيْلِ، لَبَسَهَا وَكَانَ رُبَّمَا أَخَذَ الْقُدُومَ، وَخَرَجَ إِلَى دَارِ السَّكَّانِ، يَعْمَلُ الشَّيْءَ بِيَدِهِ، وَاعْتَلَّ فَتَعَالَجَ.

... أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، قَالَ: وَقُلْتُ لَهُ: قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ طَرَسُوسَ، فَقَالَ: كُنَّا فِي بِلَادِ الرُّومِ فِي الْغَزْوِ إِذَا هَذَا اللَّيْلُ، رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِاللُّعَاءِ، ادْعُوا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَكُنَّا نُمَدُّ الْمِنْجَنِيْقَ، وَنَرْمِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ.

وَلَقَدْ رُمِيَ عَنْهُ بِحَجَرٍ، وَالْعُلُجُ عَلَى الْحِصْنِ مُتَتَرِّسٌ بِدَرَقَةٍ، فَذَهَبَ بِرَأْسِهِ وَبِالدَّرَقَةِ. قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَقَالَ: لَيْتَهُ لَا يَكُونُ اسْتَدْرَاجًا. قُلْتُ: كَلَّا.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: خَرَجَ أَبِي إِلَى طَرَسُوسَ مَاشِيًا، وَحَجَّ حَجَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا مَاشِيًا، وَكَانَ أَصْبَرَ النَّاسِ عَلَى الْوَحْدَةِ.

وَقَالَ عَبَّاسُ الدُّورِيِّ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي فَرَّازَةَ - جَارُنَا - قَالَ: كَانَتْ أُمِّي مُقْعَدَةً مِنْ نَحْوِ عِشْرِينَ سَنَةً، فَقَالَتْ لِي يَوْمًا: اذْهَبْ إِلَى أَحْمَدَ

ابن حَنْبَلٍ، فَسَلُّهُ أَنْ يَدْعُوَ لِي. فَأَتَيْتُ، فَدَقَقْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي دِهْلِيزِهِ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: رَجُلٌ سَأَلْتَنِي أُمِّي - وَهِيَ مُقْعَدَةٌ - أَنْ أَسْأَلَكَ الدُّعَاءَ. فَسَمِعْتُ كَلَامَهُ كَلَامَ رَجُلٍ مُغْضَبٍ، فَقَالَ: نَحْنُ أَخَوُجُ أَنْ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا. فَوَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا، فَخَرَجْتُ عَجُوزٌ، فَقَالَتْ: قَدْ تَرَكْتَهُ يَدْعُو لَهَا. فَجِئْتُ إِلَى بَيْتِنَا، وَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَخَرَجْتُ أُمِّي عَلَى رِجْلَيْهَا تَمْشِي. هَذِهِ الْوَاقِعَةُ نَقَلَهَا: ثِقَتَانِ عَنْ عَبَّاسٍ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: كَانَ أَبِي يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثَلَاثَ مِائَةِ رَكْعَةٍ، فَلَمَّا مَرِضَ مِنْ تِلْكَ الْأَسْوَاطِ، أَضْعَفَتْهُ، فَكَانَ يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِائَةً وَخَمْسِينَ رَكْعَةً.

وَعَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ التُّرْمِذِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِعَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ رِبْحِ تِجَارَتِهِ إِلَى أَحْمَدَ، فَرَدَّهَا.

وَقِيلَ: إِنَّ صَيْرَفِيًّا بَذَلَ لِأَحْمَدَ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ، فَلَمْ يَقْبَلْ.

وَمِنْ آدَابِهِ:

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَضَعُهَا عَلَى فِيهِ يَقْبُلُهَا. وَأَحْسِبُ أَنِّي رَأَيْتُهُ يَضَعُهَا عَلَى عَيْنِهِ، وَيَغْمِسُهَا فِي الْمَاءِ وَيَشْرِبُهَا يَسْتَشْفِي بِهِ. وَرَأَيْتُهُ أَخَذَ قِصْعَةَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَعَسَلَهَا فِي حُبِّ الْمَاءِ، ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا، وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ يَسْتَشْفِي بِهِ، وَيَمْسَحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ.

وَقَالَ الْمَرُودِيُّ: قَالَ لِي أَحْمَدُ: مَا كَتَبْتُ حَدِيثًا إِلَّا وَقَدْ عَمِلْتُ بِهِ،
حَتَّى مَرَّ بِي أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اخْتَجَمَ، وَأَعْطَى أَبَا طَيْبَةَ
دِينَارًا، فَأَعْطَيْتُ الْحَجَّامَ دِينَارًا حِينَ اخْتَجَمْتُ.

وَقَالَ حَنْبَلٌ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ، قَالَ لِجُلَسَائِهِ: إِذَا
شِئْتُمْ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَا رَأَيْتُ أَبِي حَدَّثَ مِنْ غَيْرِ كِتَابٍ إِلَّا بِأَقْلٍ مِنْ مِائَةِ
حَدِيثٍ، وَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ:

قَالَ الشَّافِعِيُّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِذَا صَحَّ عِنْدَكُمْ الْحَدِيثُ، فَأَخْبِرُونَا
حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْهِ، أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِالْأَخْبَارِ الصَّحَاحِ مِنَّا، فَإِذَا كَانَ خَبْرٌ صَحِيحٌ،
فَاعْلَمْنِي حَتَّى أَذْهَبَ إِلَيْهِ كُوفِيًّا كَانَ أَوْ بَصْرِيًّا أَوْ شَامِيًّا.

الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ: سَمِعْتُ ابْنَ رَاهُوَيْه يَقُولُ:

لَمَّا خَرَجَ أَحْمَدُ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ، انْقَطَعَتْ بِهِ النَّفَقَةُ، فَأَكْرَى نَفْسَهُ مِنْ
بَعْضِ الْجَمَّالِينَ إِلَى أَنْ وَافَى صَنْعَاءَ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ الْمُوَاسَاةَ،
فَلَمْ يَأْخُذْ.

أَبُو نَعِيمٍ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَاكِرُ بْنُ جَعْفَرٍ، سَمِعْتُ
أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الشُّسْتَرِيَّ يَقُولُ:

ذَكَرُوا أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ أَتَى عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا طَعِمَ فِيهَا، فَبَعَثَ إِلَى

صَدِيقٍ لَهُ، فَأَقْرَضَ مِنْهُ دَقِيقًا، فَجَهَّزُوهُ بِسُرْعَةٍ، فَقَالَ: كَيْفَ ذَا؟ قَالُوا: تَنُورُ صَالِحٍ مُسَجَّرٌ، فَخَبَرْنَا فِيهِ. فَقَالَ: ارْفُعُوا. وَأَمَرَ بِسَدِّ بَابٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَالِحٍ. قُلْتُ: لِكُونِهِ أَخَذَ جَائِزَةَ الْمُتَوَكِّلِ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَحْمَدَ، صَحِبْنَاهُ خَمْسِينَ سَنَةً، مَا افْتَخَرَ عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: كَانَ أَبِي يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعًا، وَكَانَ يَنَامُ نَوْمَةً خَفِيفَةً بَعْدَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الصُّبْحِ يُصَلِّي وَيَدْعُو. وَكَانَ يَقُولُ: الْخَوْفُ يَمْنَعُنِي أَكْلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَإِذَا ذَكَرْتُ الْمَوْتَ، هَانَ عَلَيَّ كُلُّ أَمْرِ الدُّنْيَا، إِنَّمَا هُوَ طَعَامٌ دُونَ طَعَامٍ، وَلِبَاسٌ دُونَ لِبَاسٍ، وَإِنَّهَا أَيَّامٌ قَلِيلٌ، مَا أَعْدِلُ بِالْفَقْرِ شَيْئًا، وَلَوْ وَجَدْتُ السَّبِيلَ، لَخَرَجْتُ حَتَّى لَا يَكُونَ لِي ذِكْرٌ.

وَمِنْ سِيرَتِهِ:

قَالَ الْخَلَّالُ: قُلْتُ لِرُزْهَمِ بْنِ صَالِحٍ: هَلْ رَأَيْتَ جَدَّكَ؟

قَالَ: نَعَمْ، مَاتَ وَأَنَا فِي عَشْرِ سِنِينَ، كُنَّا نَدْخُلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ أَنَا وَأَخَوَاتِي، وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ بَابٌ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا حَبَّتَيْنِ حَبَّتَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ فِي رُقْعَةٍ إِلَى فَامِيٍّ يُعَامِلُهُ.

وَرُبَّمَا مَرَزْتُ بِهِ وَهُوَ قَاعِدٌ فِي الشَّمْسِ، وَظَهْرُهُ مَكْشُوفٌ، فِيهِ أَثَرُ الضَّرْبِ بَيِّنٌ.

وَقَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ خُرَاسَانَ ابْنُ خَالَةِ جَدِّي، فَنَزَلَ عَلَى أَبِي، فَدَخَلْتُ مَعَهُ إِلَى جَدِّي، فَجَاءَتِ الْجَارِيَةُ بِطَبَقٍ خِلَافٍ، وَعَلَيْهِ خُبْزٌ وَبَقْلٌ وَمِلْحٌ، وَبِغُضَارَةٍ، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ أَيْدِينَا، فِيهَا مَضْلِيَّةٌ فِيهَا لَحْمٌ وَصِلَقٌ كَثِيرٌ، فَأَكَلْنَا مَعًا، وَسَأَلَ ابْنُ خَالَتِهِ عَمَّنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِهِ بِخُرَاسَانَ فِي خِلَالِ الْأَكْلِ، فَرَبَّمَا اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ، فَيُكَلِّمُهُ جَدِّي بِالْفَارِسِيَّةِ، وَيَضَعُ اللَّحْمَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَبَيْنَ يَدَيَّ. ثُمَّ أَخَذَ طَبَقًا إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ فِيهِ تَمْرٌ وَجَوْزٌ، وَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيُنَاوِلُ الرَّجُلَ.

وَعَنِ الْمَرْوُذِيِّ، قَالَ: لَمْ أَرَ الْفَقِيرَ فِي مَجْلِسٍ أَعَزَّ مِنْهُ فِي مَجْلِسِ أَحْمَدَ، كَانَ مَائِلًا إِلَيْهِمْ، مُقْصِرًا عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَكَانَ فِيهِ حِلْمٌ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْعَجُولِ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُعِ، تَعْلُوهُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَإِذَا جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ لِلْفُتْيَا، لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يُسْأَلَ، وَإِذَا خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِهِ، لَمْ يَتَصَدَّرْ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: رَأَيْتُ أَبِي حَرَجَ عَلَى النَّمْلِ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ دَارِهِ، فَرَأَيْتُ النَّمْلَ قَدْ خَرَجَ بَعْدَ نَمْلًا سُودًا، فَلَمْ أَرَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَمِنْ كَرَمِهِ:

الْخَلَّالُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ الْمُؤَدَّبُ: كُنْتُ آتِي أَبَاكَ، فَيَدْفَعُ إِلَيَّ الثَّلَاثَةَ دَرَاهِمَ وَأَقْلَّ وَأَكْثَرَ، وَيَقْعُدُ مَعِيَ، فَيَتَحَدَّثُ، وَرُبَّمَا أَعْطَانِي الشَّيْءَ، وَيَقُولُ: أَعْطَيْتَكَ نِصْفَ مَا عِنْدَنَا. فَجِئْتُ يَوْمًا، فَأَطْلُتُ الْقُعُودَ أَنَا وَهُوَ. قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ وَمَعَهُ تَحْتَ

كِسَائِهِ أَرْبَعَةُ أَرْغَفَةٍ، فَقَالَ: هَذَا نِصْفُ مَا عِنْدَنَا. فَقُلْتُ: هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ غَيْرِكَ.

وَقَالَ هَارُونُ الْمُسْتَمْلِي: لَقِيتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقُلْتُ: مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ، فَأَعْطَانِي خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ، وَقَالَ: مَا عِنْدَنَا غَيْرُهَا.

وَكَانَ إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ يَهْمُهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، لَمْ يُفْطِرْ وَوَاصِلَ.

قَالَ حَمْدَانُ بْنُ عَلِيٍّ: لَمْ يَكُنْ لِبَاسُ أَحْمَدَ بَذَاكَ، إِلَّا أَنَّهُ قُظِنُ نَظِيفٌ.

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ: رَأَيْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي الشِّتَاءِ قَمِيصَيْنِ وَجُبَّةً مُلَوَّنَةً بَيْنَهُمَا، وَرُبَّمَا قَمِيصًا وَفَرَوًا ثَقِيلًا، وَرَأَيْتُهُ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ فَوْقَ الْقَلَنْسُوَّةِ، وَكِسَاءٌ ثَقِيلًا.

... أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الْمُرُوزِيَّ حَدَّثَهُمْ فِي آدَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لَا يَجْهَلُ، وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ، حَلَمَ وَاحْتَمَلَ، وَيَقُولُ: يَكْفِي اللَّهَ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْحَقُودِ وَلَا الْعُجُولِ، كَثِيرَ التَّوَاضُّعِ، حَسَنَ الْخُلُقِ، دَائِمَ الْبُشْرِ، لَيْنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَكَانَ يُحِبُّ فِي اللَّهِ، وَيُبْغِضُ فِي اللَّهِ، وَإِذَا كَانَ فِي أَمْرٍ مِنَ الدِّينِ، اشْتَدَّ لَهُ غَضَبُهُ، وَكَانَ يَحْتَمِلُ الْأَذَى مِنَ الْجِيرَانِ.

وَقَالَ الْمُرُوزِيُّ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُومُ لَوْرِدِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ حَتَّى يُقَارِبَ السَّحَرَ، وَرَأَيْتُهُ يَرْكَعُ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.

وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ لَيْتَةً، رُبَّمَا لَمْ أَفْهَمْ بَعْضَهَا، وَكَانَ يَصُومُ وَيُذِمُّ، ثُمَّ

يُفْطِرُ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَلَا يَتْرُكُ صَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ وَأَيَّامِ الْبَيْضِ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنَ الْعُسْكَرِ، أَدْمَنَ الصَّوْمَ إِلَى أَنْ مَاتَ.

قَالَ الْمَرْوُذِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: حَجَجْتُ عَلَى قَدَمِي حَجَّتَيْنِ، وَكَفَّانِي إِلَى مَكَّةَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا.

تَرْكُهُ لِلْجِهَاتِ جُمْلَةً:

... حَدَّثَنَا الْأَثَرُ، قَالَ: أَخْبَرْتُ أَنَّ الشَّافِعِيَّ قَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ -يَعْنِي مُحَمَّدًا- سَأَلَنِي أَنَّ أَلْتَمَسَ لَهُ قَاضِيًا لِلْيَمَنِ، وَأَنْتَ تُحِبُّ الْخُرُوجَ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ، فَقَدْ نِلْتَ حَاجَتَكَ، وَتَقْضِي بِالْحَقِّ. فَقَالَ لِلشَّافِعِيِّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْكَ ثَانِيَةً، لَمْ تَرِنِي عِنْدَكَ.

فَظَنَنْتُ أَنَّهُ كَانَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، أَوْ سَبْعًا وَعِشْرِينَ. وَعَنْ رَجُلٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَثَرَ الْعَمِّ فِي وَجْهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَقَدْ أَتْنِي عَلَيْهِ شَخْصٌ، وَقِيلَ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا. قَالَ: بَلْ جَزَى اللَّهُ الْإِسْلَامَ عَنِّي خَيْرًا، مَنْ أَنَا؟ وَمَا أَنَا؟!

الْخَلَّالُ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الطَّيَالِسِيِّ، قَالَ: وَقَالَ الْمَرْوُذِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ذَكَرَ أَخْلَاقَ الْوَرَعِينَ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ لَا يَمُقَّتَنَا، أَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَؤُلَاءِ؟!!

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِذَا مَشَى فِي الطَّرِيقِ، يَكْرَهُ أَنْ يَتَّبِعَهُ أَحَدٌ.

قُلْتُ: إِنَّمَا الْخُمُولُ وَالتَّوَاضُّعُ وَكَثْرَةُ الْوَجَلِ مِنْ عِلَامَاتِ التَّقْوَى وَالْفَلَاحِ.

... الْعَبَّاسُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ شَمَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ أَعْرِفُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَهُوَ غُلَامٌ، وَهُوَ يُحْيِي اللَّيْلَ.

.. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَبُو زُرْعَةَ نَزَلَ عِنْدَ أَبِي، فَكَانَ كَثِيرَ الْمَذَاكِرَةِ لَهُ؛ فَسَمِعْتُ أَبِي يَوْمًا يَقُولُ: مَا صَلَّيْتُ الْيَوْمَ غَيْرَ الْفَرِيضَةِ، اسْتَأْثَرْتُ بِمَذَاكِرَةِ أَبِي زُرْعَةَ عَلَى نَوَافِلِي.

.. سَمِعْتُ الرَّمَادِيَّ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّزَّاقِ - وَذَكَرَ أَحْمَدَ، فَدَمَعَتْ عَيْنُهُ - وَقَالَ:

قَدِمَ وَبَلَغَنِي أَنَّ نَفَقَتَهُ نَفَدَتْ، فَأَخَذْتُ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ، وَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ، فَتَبَسَّمَ، وَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ قَبِلْتُ شَيْئًا مِنَ النَّاسِ، قَبِلْتُ مِنْكَ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنِّي شَيْئًا.

الْحَاكِمُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، سَمِعْتُ زَكَرِيَّا بْنَ يَحْيَى الضَّرِيرَ يَقُولُ:

قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: كَمْ يَكْفِي الرَّجُلَ مِنَ الْحَدِيثِ حَتَّى يَكُونَ مُفْتِيًّا؟ يَكْفِيهِ مِائَةُ أَلْفٍ؟

فَقَالَ: لَا إِلَى أَنْ قَالَ: فَيَكْفِيهِ خَمْسُ مِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ؟ قَالَ: أَرْجُو.

الْمِخْنَةُ

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَدِينُهُمْ قَائِمًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ .
فَلَمَّا اسْتَشْهَدَ قُفِلَ بَابُ الْفِتْنَةِ؛ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَانْكَسَرَ الْبَابُ،
قَامَ رُؤُوسُ الشَّرِّ عَلَى الشَّهِيدِ عُثْمَانَ حَتَّى دُبِحَ صَبْرًا، وَتَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ،
وَتَمَّتْ وَقَعَةُ الْجَمَلِ، ثُمَّ وَقَعَةُ صِفِينَ، فَظَهَرَتِ الْخَوَارِجُ، وَكَفَّرَتْ سَادَةُ
الصَّحَابَةِ، ثُمَّ ظَهَرَتِ الرَّوَافِضُ وَالنَّوَاصِبُ .
وَلَمَّا آخَرَ زَمَنِ الصَّحَابَةِ ظَهَرَتِ الْقَدَرِيَّةُ، ثُمَّ ظَهَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ بِالْبَصْرَةِ،
وَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمُجَسِّمَةُ بِخُرَاسَانَ فِي أَثْنَاءِ عَصْرِ التَّابِعِينَ مَعَ ظُهُورِ السُّنَّةِ
وَأَهْلِهَا إِلَى بَعْدِ الْمَائَتَيْنِ،

فَظَهَرَ الْمَأْمُونُ الْخَلِيفَةُ - وَكَانَ ذَكِيًّا مُتَكَلِّمًا، لَهُ نَظَرٌ فِي الْمَعْقُولِ -
فَاسْتَجْلَبَ كُتُبَ الْأَوَائِلِ، وَعَرَّبَ حِكْمَةَ الْيُونَانِ، وَقَامَ فِي ذَلِكَ
وَقَعَدَ، وَخَبَّ وَوَضَعَ، وَرَفَعَتِ الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ رُؤُوسَهَا، بَلْ وَالشَّيْعَةُ،
فَإِنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ، وَآلَ بِهِ الْحَالُ أَنْ حَمَلَ الْأُمَّةَ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ،
وَامْتَحَنَ الْعُلَمَاءُ، فَلَمْ يُمَهِّلْ.

وَهَلَكَ لِعَامِهِ، وَخَلَّى بَعْدَهُ شَرًّا وَبَلَاءً فِي الدِّينِ، فَإِنَّ الْأُمَّةَ مَا زَالَتْ
عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كَلَامُ اللَّهِ -تَعَالَى- وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ، لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ

ذَلِكَ، حَتَّى نَبَعَ لَهُمُ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ مَجْعُولٌ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى- إِضَافَةٌ تَشْرِيفٍ، كَبَيْتِ اللَّهِ، وَنَاقَةِ اللَّهِ، فَانْكَرَ ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ.

وَلَمْ تُكُنِ الْجَهْمِيَّةُ يَظْهَرُونَ فِي دَوْلَةِ الْمَهْدِيِّ وَالرَّشِيدِ وَالْأَمِينِ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمَأْمُونُ، كَانَ مِنْهُمْ، وَأَظْهَرَ الْمَقَالََةَ.

رَوَى: أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّورَقِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ: أَنَّ الرَّشِيدَ قَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّ بَشَرَ بْنَ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيَّ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَلِلَّهِ عَلَيَّ إِنْ أَظْفَرَنِي بِهِ، لَا أَقْتُلَنَّهُ.

قَالَ الدَّورَقِيُّ: وَكَانَ مُتَوَارِيًا أَيَّامَ الرَّشِيدِ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّشِيدُ، ظَهَرَ، وَدَعَا إِلَى الضَّلَالَةِ.

قُلْتُ: ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ نَظَرَ فِي الْكَلَامِ، وَنَاطَرَ، وَبَقِيَ مُتَوَقِّفًا فِي الدُّعَاءِ إِلَى بِدْعَتِهِ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوَازِيِّ: خَالَطَهُ قَوْمٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، فَحَسَّنُوا لَهُ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ وَيُرَاقِبُ بَقَايَا الشُّيُوخِ، ثُمَّ قَوِيَ عَزْمُهُ، وَامْتَحَنَ النَّاسَ.

... ابْنُ أَكْثَمَ، قَالَ: قَالَ لَنَا الْمَأْمُونُ: لَوْلَا مَكَانُ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، لَأَظْهَرْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ.

قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ:

لَمَّا دَخَلْنَا عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ لِلْمِحْنَةِ، قَرَأَ عَلَيْنَا كِتَابَ الَّذِي صَارَ إِلَى طَرَسُوسَ -يَعْنِي: الْمَأْمُونُ- فَكَانَ فِيهَا قُرِئَ عَلَيْنَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾ [الشورى: ١١]: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢]. فَقُلْتُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: ثُمَّ امْتَحَنَ الْقَوْمَ، وَوَجَّهَ بِمَنْ امْتَنَعَ إِلَى الْحَبْسِ، فَأَجَابَ الْقَوْمَ جَمِيعًا غَيْرَ أَرْبَعَةٍ: أَبِي، وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ، وَالْقَوَارِيرِيُّ، وَالْحَسَنُ بْنُ حَمَّادٍ سَجَّادَةً.

ثُمَّ أَجَابَ هَذَانِ، وَبَقِيَ أَبِي وَمُحَمَّدٌ فِي الْحَبْسِ أَيَّامًا، ثُمَّ جَاءَ كِتَابٌ مِنْ طَرَسُوسَ بِحَمَلِهِمَا مُقَيَّدَيْنِ زَمِيلَيْنِ.

الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ الْقَطِيعِيُّ، قَالَ: لَمَّا أُخْضِرْنَا إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ أَيَّامَ الْمِحْنَةِ، وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَدْ أُخْضِرَ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ يُجِيبُونَ، وَكَانَ رَجُلًا لَيِّنًا، فَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَذَهَبَ ذَلِكَ اللَّيْنُ. فَقُلْتُ: إِنَّهُ قَدْ غَضِبَ لِلَّهِ، فَقُلْتُ: أَبْشِرْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُمَيْعٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: كَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَنْ إِذَا أُريدَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ، رَأَيْتَ حَمَالِيقَ عَيْنَيْهِ فِي رَأْسِهِ تَدُورُ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ. الْأَصَمُّ: حَدَّثَنَا عَبَّاسُ الدُّورِيِّ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْأَنْبَارِيَّ يَقُولُ:

لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ إِلَى الْمَأْمُونِ، أَخْبَرْتُ، فَعَبَرْتُ الْفُرَاتَ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْحَاوِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، تَعَنَيْتَ. فَقُلْتُ: يَا هَذَا، أَنْتَ الْيَوْمَ رَأْسُ، وَالنَّاسُ يَقْتَدُونَ بِكَ، فَوَ اللَّهُ لَئِنْ أَجَبْتَ إِلَى خَلْقِ الْقُرْآنِ، لَيَجِيبَنَّ خَلْقُ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُجِبْ، لَيَمْتَنِعَنَّ خَلْقُ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الرَّجُلَ إِنْ لَمْ يَقْتُلْكَ فَإِنَّكَ تَمُوتُ، لَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُجِبْ. فَجَعَلَ أَحْمَدُ يَبْكِي، وَيَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، أَعِدْ عَلَيَّ. فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنجِي: جَعَلُوا يُذَاكِرُونَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِالرَّقَّةِ فِي التَّقِيَّةِ وَمَا رُويَ فِيهَا.

فَقَالَ: كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِحَدِيثِ خَبَّابٍ: ﴿إِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يُنْشَرُ أَحَدُهُمْ بِالْمِنْشَارِ، لَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ﴾ فَأَيْسَنَا مِنْهُ.

وَقَالَ: لَسْتُ أَبَالِي بِالْحَبْسِ، مَا هُوَ وَمَنْزِلِي إِلَّا وَاحِدٌ، وَلَا قَتْلًا بِالسَّيْفِ، إِنَّمَا أَخَافُ فِتْنَةَ السَّوْطِ.

فَسَمِعَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحَبْسِ، فَقَالَ: لَا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، فَمَا هُوَ إِلَّا سَوْطَانٍ، ثُمَّ لَا تَذِرِي أَيْنَ يَقَعُ الْبَاقِي، فَكَأَنَّهُ سُرِّي عَنْهُ.

قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: حُمِلَ أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ مِنْ بَغْدَادَ مُقَيَّدَيْنِ، فَصَرْنَا مَعَهُمَا إِلَى الْأَنْبَارِ، فَسَأَلَ أَبُو بَكْرٍ الْأَحْوَلُ أَبِي: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنْ عُرِضَتْ عَلَى السَّيْفِ، تُجِيبُ؟ قَالَ: لَا. ثُمَّ سِيرَا، فَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ:

صِرْنَا إِلَى الرَّحْبَةِ، وَرَحَلْنَا مِنْهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَعَرَضَ لَنَا رَجُلٌ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؟ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا، فَقَالَ لِلْجَمَّالِ: عَلَى رِسْلِكَ. ثُمَّ قَالَ: يَا هَذَا، مَا عَلَيْكَ أَنْ تُقْتَلَ هَا هُنَا، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ ثُمَّ قَالَ: أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ، وَمَضَى، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ لِي: هَذَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ رِبِيعَةَ يَعْمَلُ الشَّعْرَ فِي الْبَادِيَةِ، يُقَالُ لَهُ: جَابِرُ بْنُ عَامِرٍ، يُذَكَّرُ بِخَيْرٍ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: مَا سَمِعْتُ كَلِمَةً مُنْذُ وَقَعْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَقْوَى مِنْ كَلِمَةِ أَغْرَابِيٍّ كَلَّمَنِي بِهَا فِي رَحْبَةِ طَوْقٍ، قَالَ: يَا أَحْمَدُ، إِنَّ يَقْتُلَكَ الْحَقُّ مَتَّ شَهِيدًا، وَإِنْ عِشْتَ عِشْتَ حَمِيدًا.

فَقَوَّى قَلْبِي، قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ أَبِي: فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى أَذَنَةِ، وَرَحَلْنَا مِنْهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَفُتِحَ لَنَا بَابُهَا، إِذَا رَجُلٌ قَدْ دَخَلَ، فَقَالَ: الْبُشْرَى! قَدْ مَاتَ الرَّجُلُ - يَعْنِي: الْمَأْمُونُ -.

قَالَ أَبِي: وَكُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ أَنْ لَا أَرَاهُ.

قَالَ صَالِحٌ: لَمَّا صَدَرَ أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ إِلَى طَرَسُوسَ، رُدَّا فِي أَقْيَادِهِمَا.

فَلَمَّا صَارَ إِلَى الرَّقَّةِ، حُمِلَا فِي سَفِينَةٍ، فَلَمَّا وَصَلَا إِلَى عَانَةِ، تَوَفَّى مُحَمَّدٌ، وَفُكَّ قَيْدُهُ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبِي.

وَقَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ، وَقَدَرِ عِلْمِهِ أَقْوَمَ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ.

قَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، اللَّهُ اللَّهُ، إِنَّكَ لَسْتَ مِثْلِي، أَنْتَ رَجُلٌ يُقْتَدَى بِكَ، قَدْ مَدَّ الْخَلْقُ أَعْنَاقَهُمْ إِلَيْكَ، لِمَا يَكُونُ مِنْكَ، فَاتَّقِ اللَّهَ، وَاثْبُتْ لِأَمْرِ اللَّهِ، أَوْ نَحْوِ هَذَا، فَمَاتَ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَدَفَنْتُهُ، أَظُنُّ قَالَ: بِعَانَةَ.

... حَبْلٌ: حُبْسَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي دَارِ عُمَارَةَ بَبْغَدَادَ، فِي إِصْطَبْلِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ؛ أَخِي إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ فِي حَبْسٍ ضَيْقٍ، وَمَرَضَ فِي رَمَضَانَ.

ثُمَّ حُوِّلَ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى سِجْنِ الْعَامَّةِ، فَمَكَثَ فِي السِّجْنِ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ شَهْرًا.

وَكُنَّا نَأْتِيهِ، فَقَرَأَ عَلَيَّ كِتَابَ (الْإِزْجَاءِ) وَغَيْرَهُ فِي الْحَبْسِ، وَرَأَيْتُهُ يُصَلِّي بِهِمْ فِي الْقَيْدِ، فَكَانَ يُخْرِجُ رِجْلَهُ مِنْ حَلَقَةِ الْقَيْدِ وَقَتَ الصَّلَاةِ وَالنَّوْمِ.

قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ أَبِي: كَانَ يُوجَّهُ إِلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ بَرَجَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا يُقَالُ لَهُ: أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رَبَاحٍ، وَالْآخَرُ أَبُو شُعَيْبِ الْحَجَّامُ، فَلَا يَزَالَانِ يُنَاطِرَانِي، حَتَّى إِذَا قَامَا دُعِيَ بِقَيْدٍ، فَزِيدَ فِي قُيُودِي، فَصَارَ فِي رِجْلَيَّ أَرْبَعَةُ أَقْيَادَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، دَخَلَ عَلَيَّ، فَنَاطَرَنِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي عِلْمِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَخْلُوقٌ.

قُلْتُ: كَفَرْتُ بِاللَّهِ. فَقَالَ الرَّسُولُ الَّذِي كَانَ يَحْضُرُ مِنْ قَبْلِ إِسْحَاقَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ: إِنَّ هَذَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَدْ كَفَرَ. فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ، وَجَّهَ -يَعْنِي: الْمُعْتَصِمَ- بَيْعًا الْكَبِيرَ إِلَى إِسْحَاقَ، فَأَمَرَهُ بِحَمَلِي إِلَيْهِ، فَأَدْخَلْتُ عَلَى إِسْحَاقَ، فَقَالَ:

يَا أَحْمَدُ، إِنَّهَا -وَاللَّهِ- نَفْسُكَ، إِنَّهُ لَا يَقْتُلُكَ بِالسَّيْفِ، إِنَّهُ قَدْ آلَى -إِنْ لَمْ تُجِبْهُ- أَنْ يَضْرِبَكَ ضَرْبًا بَعْدَ ضَرْبٍ، وَأَنْ يَقْتُلَكَ فِي مَوْضِعٍ لَا يَرَى فِيهِ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا...﴾ [الزُّحْرُفُ: ٣]، أَفَيَكُونُ مَجْعُولًا إِلَّا مَخْلُوقًا؟ فَقُلْتُ: فَقَدْ قَالَ -تَعَالَى- ﴿جَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] أَفَخَلَقَهُمْ؟ قَالَ: فَسَكَتَ.

لَمَّا صِرْنَا إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ الْبُسْتَانِ، أُخْرِجْتُ، وَجِيءَ بِدَابَّةٍ، فَأَرْكَبْتُ وَعَلَيَّ الْأَقْيَادُ، مَا مَعِيَ مَنْ يُمَسِّكُنِي، فَكِدْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ أَنْ أَخِرَّ عَلَى وَجْهِي لِثِقَلِ الْقِيُودِ.

فَجِيءَ بِي إِلَى دَارِ الْمُعْتَصِمِ، فَأَدْخَلْتُ حُجْرَةً، ثُمَّ أُدْخِلْتُ بَيْتًا، وَأَقْفَلَ الْبَابَ عَلَيَّ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَلَا سَرَاجَ. فَأَرَدْتُ الْوُضُوءَ، فَمَدَدْتُ يَدِي، فَإِذَا أَنَا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ، وَطُسْتُ مَوْضِعًا، فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، أُخْرِجْتُ تِكَّتِي، وَشَدَدْتُ بِهَا الْأَقْيَادَ أَحْمِلُهَا، وَعَظَفْتُ سَرَائِيلِي.

فَجَاءَ رَسُولُ الْمُعْتَصِمِ، فَقَالَ: أَجِبْ. فَأَخَذَ بِيَدِي، وَأَدْخَلَنِي عَلَيْهِ،

وَالْتَّكُّةُ فِي يَدَيَّ، أَحْمِلُ بِهَا الْأَقْيَادَ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ حَاضِرٌ، وَقَدْ جَمَعَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ.

فَقَالَ لِي الْمُعْتَصِمُ: ادْنُ، ادْنُ. فَلَمْ يَزَلْ يُدْنِينِي حَتَّى قَرُبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: اجْلِسْ. فَجَلَسْتُ، وَقَدْ أَنْقَلَتْنِي الْأَقْيَادُ، فَمَكِثْتُ قَلِيلًا، ثُمَّ قُلْتُ: أَتَأْذَنُ فِي الْكَلَامِ؟ قَالَ: تَكَلَّمْ. فَقُلْتُ: إِلَى مَا دَعَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ فَسَكَتَ هُنَيْئَةً، ثُمَّ قَالَ: إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَقُلْتُ: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ جَدَّكَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَمَّا قَدِمَ وَقَدْ عَبْدَ الْقَيْسَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَأَلُوهُ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: ﴿أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ).

قَالَ أَبِي: فَقَالَ -يَعْنِي: الْمُعْتَصِمَ-: لَوْلَا أَنِّي وَجَدْتُكَ فِي يَدٍ مَنْ كَانَ قَبْلِي، مَا عَرَضْتُ لَكَ.

ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ إِسْحَاقَ، أَلَمْ أَمُرْكَ بِرَفْعِ الْمِحْنَةِ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّ فِي هَذَا لَفَرْجًا لِلْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: نَاضِرُوهُ، وَكَلِّمُوهُ، يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَلِّمَهُ.

فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟

قُلْتُ: مَا تَقُولُ أَنْتَ فِي عِلْمِ اللَّهِ؟

فَسَكَتَ، فَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ: أَلَيْسَ قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ [الرَّعْدُ: ١٦] وَالْقُرْآنُ أَلَيْسَ شَيْئًا؟

فَقُلْتُ: قَالَ اللَّهُ: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ [الْأَحْقَافُ: ٢٥] فَدَمَّرْتُ إِلَّا مَا أَرَادَ اللَّهُ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ...﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٢] أَفَيَكُونُ مُحَدِّثٌ إِلَّا مَخْلُوقًا؟

فَقُلْتُ: قَالَ اللَّهُ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، فَالذِّكْرُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَتِلْكَ لَيْسَ فِيهَا أَلِفٌ وَلَا مٌ.

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ حَدِيثَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الذُّكْرَ﴾،

فَقُلْتُ: هَذَا خَطَأٌ، حَدَّثَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الذُّكْرَ﴾.

وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ [مَوْفُوفًا]: (مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ أَعْظَمَ مِنْ آيَةِ الْكُرْسِيِّ)^(١). فَقُلْتُ: إِنَّمَا وَقَعَ الْخَلْقُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَى الْقُرْآنِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: حَدِيثُ خَبَّابٍ: (يَا هَتَاهُ، تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ،

(١) [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٨٨٤)].

فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ). فَقُلْتُ: هَكَذَا هُوَ.

قَالَ صَالِحٌ: وَجَعَلَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ يَنْظُرُ إِلَى أَبِي كَالْمُغْضَبِ.

قَالَ أَبِي: وَكَانَ يَتَكَلَّمُ هَذَا، فَأَرَدْتُ عَلَيْهِ، وَيَتَكَلَّمُ هَذَا، فَأَرَدْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا انْقَطَعَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ، اعترضَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ، فَيَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ -وَاللَّهِ- ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ!

فَيَقُولُ: كَلِّمُوهُ، نَاطِرُوهُ.

فَيَكَلِّمُنِي هَذَا، فَأَرَدْتُ عَلَيْهِ، وَيَكَلِّمُنِي هَذَا، فَأَرَدْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا انْقَطَعُوا، يَقُولُ الْمُعْتَصِمُ: وَيَحَكَ يَا أَحْمَدُ! مَا تَقُولُ؟ فَأَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى أَقُولَ بِهِ.

فَيَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ: أَنْتَ لَا تَقُولُ إِلَّا مَا فِي الْكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: تَأَوَّلْتَ تَأْوِيلًا، فَأَنْتَ أَعْلَمُ، وَمَا تَأَوَّلْتُ مَا يُحْبَسُ عَلَيْهِ، وَلَا يُقَيَّدُ عَلَيْهِ.

قَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: لَقَدْ احْتَجُّوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ مَا يَقْوَى قَلْبِي، وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي أَنْ أَحْكِيَهُ.

أَنْكَرُوا الْآثَارَ، وَمَا ظَنَنْتُهُمْ عَلَى هَذَا حَتَّى سَمِعْتُهُ، وَجَعَلُوا يُرْغُونَ، يَقُولُ الْخَضَمُ كَذَا وَكَذَا، فَاحْتَجَجْتُ عَلَيْهِمْ بِالْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَتَأَبَّتِ لِمَ تَعْبُدُ

مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ . . . ﴿ [مريم: ٤٢] أَفَهَذَا مُنْكَرٌ عِنْدَكُمْ؟ فَقَالُوا: شَبَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَبَّهَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنجِيُّ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا: أَنَّ أَحْمَدَ ابْنَ أَبِي دَوَادَ أَقْبَلَ عَلَى أَحْمَدَ يُكَلِّمُهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، حَتَّى قَالَ الْمُعْتَصِمُ: يَا أَحْمَدُ، أَلَا تُكَلِّمُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ فَقُلْتُ: لَسْتُ أَغْرِفُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَأُكَلِّمُهُ!!

قَالَ صَالِحٌ: وَجَعَلَ ابْنُ أَبِي دَوَادَ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهِ لَئِنْ أَجَابَكَ، لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَيَعُدُّ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَعُدَّ.

فَقَالَ: لَئِنْ أَجَابَنِي لِأُطْلِقَنَّ عَنْهُ يَدَيَّ، وَلَأَرْكَبَنَّ إِلَيْهِ بِجُنْدِي، وَلَأَطَّانَ عَقِبَهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ، وَاللَّهِ إِنِّي عَلَيْكَ لَشَفِيقٌ، وَإِنِّي لِأُشْفِقُ عَلَيْكَ كَشَفَقَتِي عَلَى ابْنِي هَارُونَ، مَا تَقُولُ؟

فَأَقُولُ: أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

فَلَمَّا طَالَ الْمَجْلِسُ، ضَجَرَ، وَقَالَ: قُومُوا، وَحَبَسَنِي -يَعْنِي عِنْدَهُ- وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ يُكَلِّمُنِي، وَقَالَ: وَيَحَكَ! أَجِئْنِي.

وَقَالَ: وَيَحَكَ! أَلَمْ تَكُنْ تَأْتِينَا؟

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْرِفُهُ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، يَرَى طَاعَتَكَ وَالْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَعَكَ.

فَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَالِمٌ، وَإِنَّهُ لَفَقِيهٌ، وَمَا يَسْوؤُنِي أَنْ يَكُونَ مَعِيَ يَرُدُّ عَنِّي أَهْلَ الْمَلَلِ.

ثُمَّ قَالَ: مَا كُنْتَ تَعْرِفُ صَالِحًا الرَّشِيدِيَّ؟
قُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهِ.

قَالَ: كَانَ مُؤَدِّبِي، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ جَالِسًا - وَأَشَارَ إِلَى نَاحِيَةِ
مِنَ الدَّارِ - فَسَأَلَنِي عَنِ الْقُرْآنِ، فَخَالَفَنِي، فَأَمَرْتُ بِهِ، فَوُطِئَ وَسُحِبَ! يَا
أَحْمَدُ، أَجِبْنِي إِلَى شَيْءٍ لَكَ فِيهِ أَدْنَى فَرْجٍ حَتَّى أُطْلِقَ عَنْكَ يَدَيَّ.
قُلْتُ: أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

فَطَالَ الْمَجْلِسُ، وَقَامَ، وَرُدِدْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَجَّهَ إِلَيَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ،
بَيِّنَانِ عِنْدِي وَيُنَاطِرَانِي وَيُقِيمَانِ مَعِيَ، حَتَّى إِذَا كَانَ وَقْتُ الْإِفْطَارِ، جِئْتُ
بِالطَّعَامِ، وَيَجْتَهِدَانِ بِي أَنْ أَفْطِرَ فَلَا أَفْعَلُ - قُلْتُ: وَكَانَتْ لِيَالِي رَمَضَانَ -.

قَالَ: وَوَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ إِلَيَّ ابْنَ أَبِي دَوَادَ فِي اللَّيْلِ، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: مَا تَقُولُ؟

فَأَرُدُّ عَلَيْهِ نَحْوًا مِمَّا كُنْتُ أَرُدُّ.

فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَتَبَ اسْمَكَ فِي السَّبْعَةِ: يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَغَيْرِهِ، فَمَحَوْتُهُ، وَلَقَدْ سَاءَ نِيَّي أَخْذُهُمْ إِيَّاكَ.

ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ حَلَفَ أَنْ يَضْرِبَكَ ضَرْبًا بَعْدَ ضَرْبٍ، وَأَنْ يُلْقِيَكَ فِي مَوْضِعٍ لَا تَرَى فِيهِ الشَّمْسَ.

وَيَقُولُ: إِنَّ أَجَابَنِي، جِئْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أُطْلِقَ عَنْهُ يَدَيَّ، ثُمَّ انْصَرَفَ. فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، جَاءَ رَسُولُهُ، فَأَخَذَ يَدَيَّ حَتَّى ذَهَبَ بِي إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: نَاظِرُوهُ، وَكَلِّمُوهُ.

فَجَعَلُوا يُنَاطِرُونِي، فَأَرَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا جَاؤُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قُلْتُ: مَا أَدْرِي مَا هَذَا.

قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِذَا تَوَجَّهْتَ لَهُ الْحُجَّةُ عَلَيْنَا، ثَبَتَ، وَإِذَا كَلَّمْنَاهُ بِشَيْءٍ، يَقُولُ: لَا أَدْرِي مَا هَذَا. فَقَالَ: نَاظِرُوهُ.

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَحْمَدُ، أَرَاكَ تَذْكُرُ الْحَدِيثَ وَتَتَحَلَّهُ.

فَقُلْتُ: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُؤْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِنْهُ حَظٌّ الْأُنثَىَيْنِ...﴾ [النساء: ١١]؟

قَالَ: خَصَّ اللَّهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ.

قُلْتُ: مَا تَقُولُ: إِنْ كَانَ قَاتِلًا أَوْ عَبْدًا؟

فَسَكَتَ، وَإِنَّمَا احْتَجَجْتُ عَلَيْهِمْ بِهَذَا، لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْتَجُّونَ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ.

فَحَيْثُ قَالَ لِي: أَرَأَيْكَ تَتَحَلَّى الْحَدِيثَ، احْتَجَجْتُ بِالْقُرْآنِ -يَعْنِي: وَإِنَّ السُّنَّةَ خَصَّصْتَ الْقَاتِلَ وَالْعَبْدَ، فَأَخْرَجْتَهُمَا مِنَ الْعَمُومِ-.
قَالَ: فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ إِلَى قُرْبِ الزَّوَالِ.
فَلَمَّا ضَجَرَ، قَالَ: قَوْمُوا.

ثُمَّ خَلَا بِي، وَبَعْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُنِي، ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ، وَرُدِدْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ، قُلْتُ: خَلِيقٌ أَنْ يَحْدُثَ غَدًا مِنْ أَمْرِي شَيْءٌ، فَقُلْتُ لِلْمَوَكَّلِ بِي: أُرِيدُ خِيَطًا. فَجَاءَنِي بِخِيَطٍ، فَشَدَدْتُ بِهِ الْأَقْيَادَ، وَرَدِدْتُ التَّكَّةَ إِلَى سَرَائِيلِي مَخَافَةَ أَنْ يَحْدُثَ مِنْ أَمْرِي شَيْءٌ، فَأَتَعَرَّى.
فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، أُدْخِلْتُ إِلَى الدَّارِ، فَإِذَا هِيَ غَاصَّةٌ، فَجَعَلْتُ أُدْخِلُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السُّيُوفُ، وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السَّيَاطُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَلَمْ يَكُنْ فِي الْيَوْمِ الْمَاضِيَيْنِ كَبِيرُ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: اقْعُدْ. ثُمَّ قَالَ: نَاطِرُوهُ، كَلِّمُوهُ.

فَجَعَلُوا يُنَاطِرُونِي، يَتَكَلَّمُ هَذَا، فَأَرُدُّ عَلَيْهِ، وَيَتَكَلَّمُ هَذَا، فَأَرُدُّ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ صَوْتِي يعلو أصواتهم.

فَجَعَلَ بَعْضُ مَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي يَوْمِي إِلَى يَدَيْهِ، فَلَمَّا طَالَ
الْمَجْلِسُ، نَحَّانِي، ثُمَّ خَلَا بِهِمْ، ثُمَّ نَحَّاهُمْ، وَرَدَّنِي إِلَى عِنْدِهِ، وَقَالَ:
وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ! أَجْبَنِي حَتَّى أَطْلُقَ عَنْكَ يَدَيَّ.

فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ نَحْوَ رَدِّي، فَقَالَ: عَلَيْكَ.. - وَذَكَرَ اللَّعْنَ - خُذُوهُ،
اسْحَبُوهُ، خَلُّوهُ. فَسُحِبْتُ، وَخُلِعْتُ.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ صَارَ إِلَيَّ شَعْرٌ مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فِي كُمَّ قَمِيصِي، فَوَجَّهَ إِلَيَّ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: مَا هَذَا الْمَصْرُورُ؟
قُلْتُ: شَعْرٌ مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَعَى
بَعْضُهُمْ لِيَخْرِقَ الْقَمِيصَ عَنِّي.

فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ: لَا تَخْرِقُوهُ. فَتَنَعَ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا دُرِيَ عَنِ الْقَمِيصِ
الْخَرَقُ بِالشَّعْرِ.

قَالَ: وَجَلَسَ الْمُعْتَصِمُ عَلَى كُرْسِيِّ، ثُمَّ قَالَ: الْعُقَابَيْنِ وَالسَّيَاطِ.
فَجِيءَ بِالْعُقَابَيْنِ، فَمُدَّتْ يَدَايَ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ خَلْفِي: خُذْ
نَاتِيَّ الْخَشْبَتَيْنِ بِيَدَيْكَ، وَشُدَّ عَلَيْهِمَا.
فَلَمْ أَفْهَمْ مَا قَالَ، فَتَخَلَّعْتُ يَدَايَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنجِيُّ: ذَكَرُوا أَنَّ الْمُعْتَصِمَ أَلَانَ فِي أَمْرِ
أَحْمَدَ لَمَّا عَلَّقَ فِي الْعُقَابَيْنِ، وَرَأَى ثَبَاتَهُ وَتَصْمِيمَهُ وَصَلَابَتَهُ، حَتَّى أَغْرَاهُ

أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ تَرْكَتَهُ، قِيلَ: قَدْ تَرَكَ مَذْهَبَ الْمَأْمُونِ، وَسَخَطَ قَوْلَهُ. فَهَاجَهُ ذَلِكَ عَلَى ضَرْبِهِ.

وَقَالَ صَالِحٌ: قَالَ أَبِي: وَلَمَّا جِيءَ بِالسَّيَاطِ، نَظَرَ إِلَيْهَا الْمُعْتَصِمُ، فَقَالَ: اثْنُونِي بِغَيْرِهَا. ثُمَّ قَالَ لِلْجَلَادِينَ: تَقَدَّمُوا.

فَجَعَلَ يَتَقَدَّمُ إِلَيَّ الرَّجُلُ مِنْهُمْ، فَيَضْرِبُنِي سَوْطِينَ، فَيَقُولُ لَهُ: شُدَّ، قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ! ثُمَّ يَتَنَحَّى وَيَتَقَدَّمُ آخَرُ، فَيَضْرِبُنِي سَوْطِينَ، وَهُوَ يَقُولُ فِي كُلِّ ذَلِكَ: شُدَّ، قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ!

فَلَمَّا ضُرِبْتُ سَبْعَةَ عَشَرَ سَوْطًا، قَامَ إِلَيَّ -يَعْنِي: الْمُعْتَصِمُ- فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، عَلَامَ تَقْتُلُ نَفْسَكَ؟ إِنِّي -وَاللَّهِ- عَلَيْكَ لَشَفِيقٌ.

وَجَعَلَ عُجِيفٌ يَنْخَسِنِي بِقَائِمَةِ سَيْفِهِ، وَقَالَ: أَتُرِيدُ أَنْ تَغْلِبَ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ؟

وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: وَيْلَكَ! إِمَامُكَ عَلَى رَأْسِكَ قَائِمٌ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، دُمُهُ فِي عُنُقِي، اقْتُلْهُ.

وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ صَائِمٌ، وَأَنْتَ فِي الشَّمْسِ قَائِمٌ!

فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ، مَا تَقُولُ؟

فَأَقُولُ: أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ أَقُولُ بِهِ.

فَرَجَعَ، وَجَلَسَ، وَقَالَ لِلْجَلَّادِ: تَقَدَّمْ، وَأَوْجِعْ، قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ.
ثُمَّ قَامَ الثَّانِيَّةَ، وَجَعَلَ يَقُولُ: وَيَحَكَ يَا أَحْمَدُ! أَجِبْنِي.
فَجَعَلُوا يَقْبَلُونَ عَلَيَّ، وَيَقُولُونَ: يَا أَحْمَدُ، إِمَامُكَ عَلَى رَأْسِكَ قَائِمٌ!
وَجَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: مَنْ صَنَعَ مِنْ أَصْحَابِكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَا
تَصْنَعُ؟

وَالْمُعْتَصِمُ يَقُولُ: أَجِبْنِي إِلَى شَيْءٍ لَكَ فِيهِ أَدْنَى فَرْجٍ حَتَّى أُطْلِقَ عَنْكَ
بِيَدِي.

ثُمَّ رَجَعَ، وَقَالَ لِلْجَلَّادِ: تَقَدَّمْ.
فَجَعَلَ يَضْرِبُنِي سَوَاطِينِ، وَيَتَنَحَّى، وَهُوَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَقُولُ: شُدَّ،
قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ.

فَذَهَبَ عَقْلِي، ثُمَّ أَفْقَتُ بَعْدُ، فَإِذَا الْأَقْيَادُ قَدْ أَطْلَقَتْ عَنِّي.
فَقَالَ لِي رَجُلٌ مِمَّنْ حَضَرَ: كَبَيْتَاكَ عَلَى وَجْهِكَ، وَطَرَحْنَا عَلَى ظَهْرِكَ
بَارِيَّةً [هِيَ الْحَصِيرُ الْمَعْمُولُ مِنَ الْقَصَبِ] وَدُسْنَاكَ!
قَالَ أَبِي: فَمَا شَعَرْتُ بِذَلِكَ، وَأَتَوْنِي بِسَوِيْقٍ، وَقَالُوا: اشْرَبْ وَتَقَيَّأْ.
فَقُلْتُ: لَا أَفْطِرُ.

ثُمَّ جِيءَ بِي إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَحَضَرْتُ الظَّهَرَ، فَتَقَدَّمَ ابْنُ
سِمَاعَةَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْقَضَى مِنْ صَلَاتِهِ، وَقَالَ لِي: صَلَّيْتَ، وَالِدُكَ يَسِيلُ
فِي ثَوْبِكَ؟

قُلْتُ: قَدْ صَلَّى عُمَرُ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا.

قَالَ صَالِحٌ: ثُمَّ خُلِّيَ عَنْهُ، فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

وَكَانَ مَكْتُهُ فِي السَّجْنِ مُنْذُ أَخَذَ إِلَى أَنْ ضُرِبَ وَخُلِّيَ عَنْهُ، ثَمَانِيَّةَ وَعِشْرِينَ شَهْرًا.

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَا مَعَهُ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يُشَبِّهُهُ، وَلَقَدْ جَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ فِي وَقْتِ مَا يُوجَّهُ إِلَيْنَا بِالطَّعَامِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَنْتَ صَائِمٌ، وَأَنْتَ فِي مَوْضِعِ تَفْتَةٍ. وَلَقَدْ عَطِشَ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الشَّرَابِ: نَاوِلْنِي.

فَنَاوَلَهُ قَدَحًا فِيهِ مَاءٌ وَثَلَجٌ، فَأَخَذَهُ، وَنَظَرَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّهُ، وَلَمْ يَشْرَبْ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، وَهُوَ فِيمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْهَوْلِ. قَالَ صَالِحٌ: فَكُنْتُ أَلْتَمِسُ وَأَحْتَالُ أَنْ أُوصَلَ إِلَيْهِ طَعَامًا أَوْ رَغِيفًا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، فَلَمْ أَقْدِرْ.

وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ حَضَرَهُ: أَنَّهُ تَفَقَّدهُ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ وَهُمْ يُنَظَرُونَهُ، فَمَا لَحَنَ فِي كَلِمَةٍ.

قَالَ: وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَحَدًا يَكُونُ فِي مِثْلِ شَجَاعَتِهِ وَشِدَّةِ قَلْبِهِ.

قَالَ حَنْبَلٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ:

ذَهَبَ عَقْلِي مِرَارًا، فَكَانَ إِذَا رُفِعَ عَنِّي الضَّرْبُ، رَجَعْتُ إِلَيَّ نَفْسِي،

وَإِذَا اسْتَرَحِيتُ وَسَقَطْتُ، رُفِعَ الضَّرْبُ، أَصَابَنِي ذَلِكَ مِرَارًا.
 وَرَأَيْتُهُ -يَعْنِي: الْمُعْتَصِمَ- قَاعِدًا فِي الشَّمْسِ بِغَيْرِ مِظَلَّةٍ، فَسَمِعْتُهُ -
 وَقَدْ أَفْقَتْ- يَقُولُ لِابْنِ أَبِي دُوَادَ: لَقَدْ ارْتَكَبْتُ إِثْمًا فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ.
 فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ -وَاللَّهِ- كَافِرٌ مُشْرِكٌ، قَدْ أَشْرَكَ مِنْ غَيْرِ
 وَجْهِ. فَلَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى يَصْرِفَهُ عَمَّا يُرِيدُ. وَقَدْ كَانَ أَرَادَ تَخْلِيَّتِي بِلَا
 ضَرْبٍ، فَلَمْ يَدْعُهُ، وَلَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ.
 قَالَ حَنْبَلٌ: وَبَلَغَنِي أَنَّ الْمُعْتَصِمَ قَالَ لِابْنِ أَبِي دُوَادَ بَعْدَ مَا ضُرِبَ أَبُو
 عَبْدِ اللَّهِ: كَمْ ضُرِبَ؟
 قَالَ: أَرْبَعَةً، أَوْ ثَلَاثِينَ سَوًّا.

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ عُبَيْدُ اللَّهِ الزُّهْرِيُّ: قَالَ الْمُرُوذِيُّ: قُلْتُ - وَأَبُو
 عَبْدِ اللَّهِ بَيْنَ الْهُنَازِينَ -: يَا أَسْتَاذُ، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا
 أَنْفُسَكُمْ...﴾ [النساء: ٢٩].

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْفَضْلِ الْأَسَدِيُّ، قَالَ:
 لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ لِيُضْرَبَ، جَاءُوا إِلَى بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَقَالُوا: قَدْ
 وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ.

فَقَالَ: أَتُرِيدُونَ مِنِّي أَقُومَ مَقَامَ الْأَنْبِيَاءِ، لَيْسَ ذَا عِنْدِي، حَفِظَ اللَّهُ
 أَحْمَدَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ.

.. أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ: أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ الْمُعْتَصِمَ نَظَرَ عِنْدَ ضَرْبِهِ إِيَّاهُ إِلَى شَيْءٍ مَصْرُورٍ فِي كُمِّهِ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ قَالَ: شَعْرٌ مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: هَاتِيهِ، وَأَخَذَهَا مِنْهُ.

ثُمَّ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ: كَانَ يَسْبِي أَنْ يَرَحِمَهُ عِنْدَمَا رَأَى شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ.

وَبِهِ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: قَالَ أَبُو الْفَضْلِ صَالِحٌ: خُلِّيَ عَنْهُ، فَصَارَ إِلَى الْمَنْزِلِ، وَوُجَّهَ إِلَى الْمَطْبِقِ، فَجِيءَ بِرَجُلٍ مِمَّنْ يُبْصِرُ الضَّرْبَ وَالْعِلَاجَ، فَنَظَرَ إِلَى ضَرْبِهِ، فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ مَنْ ضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ، مَا رَأَيْتُ ضَرْبًا مِثْلَ هَذَا، لَقَدْ جُرَّ عَلَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ، وَمِنْ قُدَّامِهِ، ثُمَّ أَخَذَ مِيلًا، فَأَدْخَلَهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْجَرَاحَاتِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: لَمْ يُنْقَبْ؟ وَجَعَلَ يَأْتِيهِ، وَيَعَالِجُهُ. وَكَانَ قَدْ أَصَابَ وَجْهَهُ غَيْرُ ضَرْبَةٍ، وَمَكُثَ مُنْكَبًا عَلَى وَجْهِهِ كَمَا شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا شَيْئًا أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَهُ، فَجَاءَ بِحَدِيدَةٍ، فَجَعَلَ يُعَلِّقُ اللَّحْمَ بِهَا، فَيَقْطَعُهُ بِسِكِّينٍ مَعَهُ، وَهُوَ صَابِرٌ لِذَلِكَ، يَجْهَرُ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ، فَبَرَأَ مِنْهُ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَوَجَّعُ مِنْ مَوَاضِعَ مِنْهُ، وَكَانَ أَثَرُ الضَّرْبِ بَيِّنًا فِي ظَهْرِهِ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ.

وَدَخَلْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ لَهُ: بَلَّغْنِي أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَيْكَ، فَقَالَ: اجْعَلْنِي فِي حِلٍّ إِذْ لَمْ أَقُمْ بِنُصْرَتِكَ، فَقُلْتُ: لَا أَجْعَلُ أَحَدًا فِي حِلٍّ، فَتَبَسَّمَ أَبِي، وَسَكَتَ، وَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: لَقَدْ جَعَلْتُ الْمَيِّتَ فِي حِلٍّ مِنْ ضَرْبِهِ إِيَّايَ.

ثُمَّ قَالَ: مَرَرْتُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...﴾ [الشُّورَى: ٤٠]، فَتَنَظَّرْتُ فِي تَفْسِيرِهَا، فَإِذَا هُوَ مَا أَخْبَرَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، أَخْبَرَنَا الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، قَالَ:

أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ الْحَسَنَ يَقُولُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَشَّتِ الْأُمَمُ كُلُّهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ نُودِيَ أَنْ لَا يَقُومَ إِلَّا مَنْ أَجَرَهُ عَلَى اللَّهِ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا فِي الدُّنْيَا. قَالَ: فَجَعَلْتُ الْمَيِّتَ فِي حِلٍّ.

ثُمَّ قَالَ: وَمَا عَلَى رَجُلٍ أَنْ لَا يُعَذِّبَ اللَّهُ بِسَيِّئِهِ أَحَدًا.

وَبِهِ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، قَالَ:

بَلَغَنِي أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ جَعَلَ الْمُعْتَصِمَ فِي حِلٍّ يَوْمَ فَتْحِ عَاصِمَةِ بَابَك، وَظَفَرِهِ، أَوْ فِي فَتْحِ عَمُورِيَّةَ، فَقَالَ: هُوَ فِي حِلٍّ مِنْ ضَرِيبي... قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ:

دَعَا الْمُعْتَصِمُ بِعَمِّ أَحْمَدَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: تَعْرِفُونَهُ؟

قَالُوا: نَعَمْ، هُوَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

قَالَ: فَانظُرُوا إِلَيْهِ، أَلَيْسَ هُوَ صَحِيحَ الْبَدَنِ؟

قَالُوا: نَعَمْ، وَلَوْلَا أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لَكُنْتُ أَخَافُ أَنْ يَقَعَ شَيْءٌ لَا يُقَامُ لَهُ.

قَالَ: وَلَكِنَّمَا قَالَ: قَدْ سَلَّمْتُهُ إِلَيْكُمْ صَحِيحَ الْبَدَنِ، هَذَا النَّاسُ وَسَكُنُوا.

قَالَ: مَا قَالَ هَذَا مَعَ تَمَكُّنِهِ فِي الْخِلَافَةِ وَشَجَاعَتِهِ إِلَّا عَنِ أَمْرِ كَبِيرٍ،

كَأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَمُوتَ مِنَ الضَّرْبِ، فَتَخَرَّجَ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ. وَلَوْ خَرَجَ عَلَيْهِ
عَامَّةُ بَغْدَادَ، لَرُبَّمَا عَجَزَ عَنْهُمْ.

وَقَالَ حَنْبَلٌ: لَمَّا أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ بِتَخْلِيَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، خَلَعَ عَلَيْهِ مُبَطَّنَةً
وَقَمِيصًا، وَطِيلَسَانًا وَقَلَنْسُوءَةً وَخُفًّا.

فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَالنَّاسُ فِي الْمِيدَانِ وَالْدُرُوبِ وَغَيْرِهَا،
وَعُلِقَتِ الْأَسْوَاقُ، إِذْ خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَى دَابَّةٍ مِنْ دَارِ الْمُعْتَصِمِ فِي
تِلْكَ الثِّيَابِ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ عَنْ يَمِينِهِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ -يَعْنِي:
نَائِبَ بَغْدَادَ- عَنْ يَسَارِهِ.

فَلَمَّا صَارَ فِي الدَّهْلِيزِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ، قَالَ لَهُمُ ابْنُ أَبِي دُوَادَ: اكشِفُوا
رَأْسَهُ.

فَكَشَفُوهُ -يَعْنِي: مِنَ الطَّلِيسَانِ- وَذَهَبُوا يَأْخُذُونَ بِهِ نَاحِيَةَ الْمِيدَانِ
نَحْوَ طَرِيقِ الْحَبْسِ، فَقَالَ لَهُمُ إِسْحَاقُ: خُذُوا بِهِ هَا هُنَا - يُرِيدُ دِجْلَةً -
فَذَهَبَ بِهِ إِلَى الزَّوْرَقِ، وَحُمِلَ إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ
إِلَى أَنْ صُلِّيَتِ الظُّهْرُ، وَبَعَثَ إِلَى وَالِدِيهِ جِيرَانِنَا وَمَشَايِخِ الْمَحَالِّ،
فَجُمِعُوا، وَأُدْخِلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمُ: هَذَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِنْ كَانَ فِيكُمْ
مَنْ يَعْرِفُهُ، وَإِلَّا فَلْيَعْرِفْهُ، قَالَ ابْنُ سَمَاعَةَ - حِينَ دَخَلَ الْجَمَاعَةُ - لَهُمُ:
هَذَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَازَرَهُ فِي أَمْرِهِ، وَقَدْ خَلَى سَبِيلَهُ،
وَهَا هُوَ ذَا، فَأَخْرَجَ عَلَى فَرَسٍ لِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ،

فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَمَعَهُ السُّلْطَانُ وَالنَّاسُ، وَهُوَ مُنْحَنٍ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْزِلَ، احْتَضَتْهُ، وَلَمْ أَعْلَمْ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى مَوْضِعِ الضَّرْبِ، فَصَاحَ، فَنَحَيْتُ يَدِي، فَنَزَلَ مُتَوَكِّئًا عَلَيَّ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ، وَدَخَلْنَا مَعَهُ، وَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى وَجْهِهِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَحَرَّكَ إِلَّا بِجَهْدٍ، وَنَزَعَ مَا كَانَ خُلِعَ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ بِهِ، فَبِيعَ، وَتَصَدَّقَ بِثَمْنِهِ.

وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ أَمَرَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ لَا يَقْطَعَ عَنْهُ خَبْرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَرَكَ فِيمَا حُكِيَ لَنَا عِنْدَ الْإِيَّاسِ مِنْهُ.

وَبَلَّغْنَا: أَنَّ الْمُعْتَصِمَ نَدِمَ، وَأَسْقَطَ فِي يَدِهِ، حَتَّى صَلَحَ، فَكَانَ صَاحِبُ خَبَرِ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ يَأْتِينَا كُلَّ يَوْمٍ يَتَعَرَّفُ خَبْرَهُ، حَتَّى صَحَّ، وَبَقِيَتْ إِبْهَامَاهُ مُنْخَلَعَتَيْنِ، يَضْرِبَانِ عَلَيْهِ فِي الْبَرْدِ، فَيُسَخَّنُ لَهُ الْمَاءَ، وَلَمَّا أَرَدْنَا عِلَاجَهُ، خِفْنَا أَنْ يَدُسَّ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ سُمًّا إِلَى الْمَعَالِجِ، فَعَمِلْنَا الدَّوَاءَ وَالْمَرْهَمَ فِي مَنْزِلِنَا.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: كُلُّ مَنْ ذَكَرَنِي فِي حِلٍّ إِلَّا مُبْتَدِعًا، وَقَدْ جَعَلْتُ أَبَا إِسْحَاقَ -يَعْنِي: الْمُعْتَصِمَ- فِي حِلٍّ، وَرَأَيْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ...﴾ [النُّور: ٢٢] وَأَمَرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبَا بَكْرٍ بِالْعَفْوِ فِي قِصَّةِ مِسْطَحٍ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَمَا يَنْفَعُكَ أَنْ يُعَذِّبَ اللَّهُ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ فِي سَبَيْكَ؟!!

قَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ بُرْغُوثٌ -يَعْنِي: يَوْمَ الْمِحْنَةِ-: يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ، اضْرَبْ عُنُقَهُ، وَدَمُهُ فِي عُنُقِي .
 وَقَالَ شُعَيْبٌ كَذَلِكَ أَيْضًا: تَقَلَّدْ دَمِي، فَلَمْ يَلْتَفِتْ أَبُو إِسْحَاقَ إِلَيْهِمَا .
 وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: لَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَشَدُّ تَكْفِيرًا لِي مِنْهُمَا،
 وَأَمَّا ابْنُ سِمَاعَةَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ شَرَفٍ
 وَلَهُمْ قَدَمٌ، وَلَعَلَّهُ يَصِيرُ إِلَى الَّذِي عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَأَنَّهُ رَقٌّ عِنْدَهَا،
 وَكَانَ إِذَا كَلَّمَنِي ابْنُ أَبِي دُوَادَ، لَمْ أَلْتَفِتْ إِلَى كَلَامِهِ، وَإِذَا كَلَّمَنِي أَبُو
 إِسْحَاقَ، أَلَنْتُ لَهُ الْقَوْلَ .

سُخْنَةُ الْوَائِقِ :

قَالَ حَنْبَلٌ: لَمْ يَزَلْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ بَرِئَ مِنَ الضَّرْبِ يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ
 وَالْجَمَاعَةَ، وَيُحَدِّثُ وَيُفْتِي، حَتَّى مَاتَ الْمُعْتَصِمُ، وَوَلِيَ ابْنُهُ الْوَائِقُ،
 فَأَظْهَرَ مَا أَظْهَرَ مِنَ الْمِحْنَةِ وَالْمِيلِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادَ وَأَصْحَابِهِ .

فَلَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى أَهْلِ بَغْدَادَ، وَأَظْهَرَتِ الْقَضَاةُ الْمِحْنَةَ بِخَلْقِ
 الْقُرْآنِ، وَفُرِّقَ بَيْنَ فَضْلِ الْأَنْمَاطِيِّ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، وَبَيْنَ أَبِي صَالِحٍ وَبَيْنَ
 امْرَأَتِهِ، كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَشْهَدُ الْجُمُعَةَ، وَيُعِيدُ الصَّلَاةَ إِذَا رَجَعَ، وَيَقُولُ:
 تُؤْتَى الْجُمُعَةُ لِفَضْلِهَا، وَالصَّلَاةُ تُعَادُ خَلْفَ مَنْ قَالَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةَ .

وَجَاءَ نَفَرٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَقَالُوا: هَذَا الْأَمْرُ قَدْ فَشَا وَتَفَاقَمَ،
 وَنَحْنُ نَخَافُهُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا، وَذَكَرُوا ابْنَ أَبِي دُوَادَ، وَأَنَّهُ عَلَى أَنْ يَأْمُرَ
 الْمُعَلِّمِينَ بِتَعْلِيمِ الصَّبْيَانِ فِي الْمَكَاتِبِ: الْقُرْآنَ كَذَا وَكَذَا، فَنَحْنُ لَا نَرْضَى

بِإِمَارَتِهِ . فَمَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَازَرَهُمْ . وَحَكَى أَحْمَدُ قَصْدَهُ فِي مُنَازَرَتِهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ .

قَالَ : قُبِينَا نَحْنُ فِي أَيَّامِ الْوَائِقِ ، إِذْ جَاءَ يَعْقُوبُ لَيْلًا بِرِسَالَةِ الْأَمِيرِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ :

يَقُولُ لَكَ الْأَمِيرُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ ذَكَرَكَ ، فَلَا يَجْتَمِعَنَّ إِلَيْكَ أَحَدٌ وَلَا تُسَاكِنَنِي بِأَرْضٍ وَلَا مَدِينَةٍ أَنَا فِيهَا ، فَاهْبُ حَيْثُ شِئْتَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ .
قَالَ : فَاخْتَفَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِقِيَّةِ حَيَاةِ الْوَائِقِ .

وَكَانَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ ، وَقُتِلَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ الْخُزَاعِيُّ .

وَلَمْ يَزَلْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُخْتَفِيًا فِي الْبَيْتِ لَا يَخْرُجُ إِلَى صَلَاةٍ وَلَا إِلَى غَيْرِهَا حَتَّى هَلَكَ الْوَائِقُ ،

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَانِيٍّ ، قَالَ : اخْتَفَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عِنْدِي ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : اطْلُبْ لِي مَوْضِعًا .

قُلْتُ : لَا أَمْنٌ عَلَيْكَ .

قَالَ : افْعَلْ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ، أَفَدْتُكَ .

فَطَلَبْتُ لَهُ مَوْضِعًا ، فَلَمَّا خَرَجَ ، قَالَ : اخْتَفَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْغَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَحَوَّلَ .

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبُوشَنجِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَ أَحْمَدُ بِبَعْدَادَ جَهْرَةً حِينَ مَاتَ الْمُعْتَصِمُ .

فَرَجَعْتُ مِنَ الْكُوفَةِ، فَأَذْرَكْتُهُ فِي رَجَبٍ، سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَهُوَ يُحَدِّثُ، ثُمَّ قَطَعَ الْحَدِيثَ لِثَلَاثٍ بَقِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ بِلَا مَنَعٍ.
بَلْ كَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْجَعْدِ قَاضِي بَغْدَادَ إِلَى ابْنِ أَبِي دُوَادَ: إِنَّ أَحْمَدَ قَدْ انْبَسَطَ فِي الْحَدِيثِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَحْمَدَ، فَقَطَعَ الْحَدِيثَ وَإِلَى أَنْ تُوفِّيَ.

فَضْلٌ فِي حَالِ الْإِمَامِ فِي دَوْلَةِ الْمُتَوَكِّلِ:

قَالَ حَنْبَلٌ: وَلِيَ الْمُتَوَكِّلُ جَعْفَرُ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ السُّنَّةَ، وَفَرَّجَ عَنِ النَّاسِ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُنَا وَيُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ.
وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا كَانَ النَّاسُ إِلَى الْحَدِيثِ وَالْعِلْمِ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَيْهِ فِي زَمَانِنَا.

قَالَ حَنْبَلٌ: ثُمَّ إِنَّ الْمُتَوَكِّلَ ذَكَرَهُ، وَكَتَبَ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي إِخْرَاجِهِ إِلَيْهِ، فَجَاءَ رَسُولُ إِسْحَاقَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ يَأْمُرُهُ بِالْحُضُورِ، فَمَضَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ رَجَعَ، فَسَأَلَهُ أَبِي عَمَّا دُعِيَ لَهُ؟
فَقَالَ: قَرَأَ عَلَيَّ كِتَابَ جَعْفَرٍ يَأْمُرُنِي بِالْخُرُوجِ إِلَى الْعَسْكَرِ -يَعْنِي: سُرَّ مَنْ رَأَى-.

قَالَ: وَقَالَ لِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟
فَقُلْتُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ نَهَى عَنْ هَذَا.

قَالَ: وَخَرَجَ إِسْحَاقُ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَقَدَّمَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا يَنْوِبُ عَنْهُ بِبَغْدَادَ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ لِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: لَا تُعَلِّمَ أَحَدًا أَنِّي سَأَلْتُكَ عَنِ الْقُرْآنِ!

قُلْتُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ.

وَقَالَ لِي: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟

فَقُلْتُ: قَالَ اللَّهُ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾ [الْأَعْرَافُ: ٥٤]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ.

فَقَالَ إِسْحَاقُ: الْأَمْرُ مَخْلُوقٌ.

فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! أَمَخْلُوقٌ يَخْلُقُ خَلْقًا؟!!

قُلْتُ: يَعْنِي: إِنَّمَا خَلَقَ الْكَائِنَاتِ بِأَمْرِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿كُنْ...﴾ [الْأَنْعَامُ: ٧٣].

قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: عَمَّنْ تَحْكِي أَنَّهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؟

قُلْتُ: عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ.

قَالَ حَنْبَلٌ: وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَا يَتَحَمَّلُ بِهِ أَوْ يُنْفِقُهُ، وَكَانَتْ عِنْدِي مِائَةُ دِرْهَمٍ، فَأَتَيْتُ بِهَا أَبِي، فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ، فَأَصْلَحَ بِهَا مَا احتَاجَ إِلَيْهِ، وَاکْتَرَى وَخَرَجَ، وَلَمْ يَمُضِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَا سَلَّمَ عَلَيْهِ. فَكَتَبَ بِذَلِكَ مُحَمَّدٌ إِلَى أَبِيهِ، فَحَقَّقَهَا إِسْحَاقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ أَحْمَدَ خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ، وَلَمْ يَأْتِ مَوْلَاكَ مُحَمَّدًا.

فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ: يُرَدُّ وَلَوْ وَطِئَ بِسَاطِي - وَكَانَ أَحْمَدُ قَدْ بَلَغَ بُصْرَى - .
فَرُدَّ، فَارْجَعَ وَامْتَنَعَ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا لَوْلَدِهِ وَلَنَا، وَرُبَّمَا قَرَأَ عَلَيْنَا فِي
مَنْزِلِنَا .

ثُمَّ إِنَّ رَافِعًا رَفَعَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ: إِنَّ أَحْمَدَ رَبَّصَ عَلَوِيًّا فِي مَنْزِلِهِ، يُرِيدُ
أَنْ يُخْرِجَهُ وَيُبَايِعَ عَلَيْهِ .

قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا عِلْمٌ، فَبَيْنَا نَحْنُ ذَاتَ لَيْلَةٍ نِيَامُ فِي الصَّيْفِ،
سَمِعْنَا الْجَلْبَةَ، وَرَأَيْنَا النَّيْرَانَ فِي دَارِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَأَسْرَعْنَا، وَإِذَا بِهِ
قَاعِدٌ فِي إِزَارٍ، وَمُظَفَّرُ بْنُ الْكَلْبِيِّ صَاحِبُ الْخَبَرِ وَجَمَاعَةٌ مَعَهُمْ، فَقَرَأَ
صَاحِبُ الْخَبَرِ كِتَابَ الْمُتَوَكِّلِ:

وَرَدَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ عِنْدَكُمْ عَلَوِيًّا رَبَّصْتَهُ لِتُبَايِعَ لَهُ
وَتُظْهِرَهُ... ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ .
ثُمَّ قَالَ لَهُ مُظَفَّرٌ: مَا تَقُولُ؟

قَالَ: مَا أَعْرِفُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، وَإِنِّي لَأَرَى لَهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي
عُسْرِي وَيُسْرِي، وَمَنْشَطِي وَمَكْرَهِي، وَأَثَرَةَ عَلَيٍّ، وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ لَهُ
بِالتَّسْدِيدِ وَالتَّوْفِيقِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... ، فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ .
فَقَالَ مُظَفَّرٌ: قَدْ أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُحْلِفَكَ .

قَالَ: فَأَحْلَفَهُ بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنَّ مَا عِنْدَهُ طَلَبَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

ثُمَّ فَتَّشُوا مَنْزِلَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَالسَّرْبَ وَالْغُرْفَ وَالسُّطُوحَ، وَفَتَّشُوا تَابُوتَ الْكُتُبِ، وَفَتَّشُوا النِّسَاءَ وَالْمَنَازِلَ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، وَلَمْ يُحِسُّوا بِشَيْءٍ، وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ، فَوَقَعَ مِنْهُ مَوْقِعًا حَسَنًا، وَعَلِمَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ.

وَكَانَ الَّذِي دَسَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْعِ، وَلَمْ يَمُتْ حَتَّى يَبَيِّنَ اللَّهُ أَمْرَهُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ ابْنُ الثَّلْجِيِّ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ بِبَابِ الدَّارِ، إِذَا يَعْقُوبُ - أَحَدُ حُجَّابِ الْمُتَوَكِّلِ - قَدْ جَاءَ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَدَخَلَ، وَدَخَلَ أَبِي وَأَنَا، وَمَعَ بَعْضِ غِلْمَانِهِ بَذْرَةَ عَلَى بَغْلٍ، وَمَعَهُ كِتَابُ الْمُتَوَكِّلِ، فَقَرَأَهُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ:

إِنَّهُ صَحَّ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَرَاءَةٌ سَاحَتِكَ، وَقَدْ وَجَّهَ إِلَيْكَ بِهَذَا الْمَالِ تَسْتَعِينُ بِهِ.

فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، وَقَالَ: مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ. فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَقْبِلْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَمَرَكَ بِهِ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكَ عِنْدَهُ، فَإِنَّكَ إِنْ رَدَدْتَهُ، خِفْتُ أَنْ يَظُنَّ بِكَ سُوءًا. فَحِينَئِذٍ قَبِلَهَا. فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ.

قُلْتُ: لَبَّيْكَ. قَالَ: ارْفَعْ هَذِهِ الْإِنْجَانَةَ وَضَعْهَا - يَعْنِي: الْبَذْرَةَ - تَحْتَهَا. فَفَعَلْتُ، وَخَرَجْنَا.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ، إِذَا أُمُّ وَلَدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَدُقُّ عَلَيْنَا الْحَائِطَ، فَقَالَتْ: مَوْلَايَ يَدْعُو عَمَّهُ.

فَأَعْلَمْتُ أَبِي، وَخَرَجْنَا، فَدَخَلْنَا عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَذَلِكَ فِي جَوْفِ
الَّيْلِ، فَقَالَ: يَا عَمُّ! مَا أَخَذَنِي النَّوْمُ.

قَالَ: وَلِمَ؟

قَالَ: لِهَذَا الْمَالِ.

وَجَعَلَ يَتَوَجَّعُ لِأَخْذِهِ، وَأَبِي يُسَكِّنُهُ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: حَتَّى
تُصْبِحَ وَتَرَى فِيهِ رَأْيَكَ، فَإِنَّ هَذَا لَيْلٌ، وَالنَّاسُ فِي الْمَنَازِلِ.

فَأَمْسَكَ وَخَرَجْنَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ السَّحَرِ، وَجَّهَ إِلَى عُبْدُوسِ بْنِ مَالِكٍ،
وَالِىِ الْحَسَنِ بْنِ الْبَزَّارِ، فَحَضَرَا، وَحَضَرَ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ: هَارُونُ الْحَمَّالُ،
وَأَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وَابْنُ الدَّورَقِيِّ، وَأَبِي، وَأَنَا، وَصَالِحٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ،
وَجَعَلْنَا نَكْتُبُ مَنْ يَذْكُرُونَهُ مِنْ أَهْلِ السِّرِّ وَالصَّلَاحِ بِبَغْدَادَ وَالْكُوفَةِ، فَوَجَّهَ
مِنْهَا إِلَى أَبِي كُرَيْبٍ، وَلِلْأَشَجِّ، وَإِلَى مَنْ يَعْلَمُونَ حَاجَتَهُ، فَفَرَّقَهَا كُلَّهَا مَا
بَيْنَ الْخَمْسِينَ إِلَى الْمِائَةِ، وَإِلَى الْمِائَتَيْنِ، فَمَا بَقِيَ فِي الْكِيسِ دِرْهَمٌ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، مَاتَ الْأَمِيرُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُهُ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ
وَلِيَ بَغْدَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ، فَجَاءَ رَسُولٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ،
فَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ الْمُتَوَكِّلِ، وَقَالَ لَهُ: يَا مَرْكَ بِالْخُرُوجِ - يَعْنِي: إِلَى سَامَرَاءَ -.

فَقَالَ: أَنَا شَيْخٌ ضَعِيفٌ عَلِيلٌ.

فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ، فَوَرَدَ جَوَابُ الْكِتَابِ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ.

فَوَجَّهَ عَبْدُ اللَّهِ أَجْنَادًا، فَبَاتُوا عَلَى بَابِنَا أَيَّامًا، حَتَّى تَهَيَّأَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
لِلْخُرُوجِ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ صَالِحٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَأَبِي زُمَيْلَةَ.

وَقَالَ صَالِحٌ: كَانَ حَمْلُ أَبِي إِلَى الْمُتَوَكِّلِ سَنَةً سَبْعَ وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ وَإِلَى
أَنْ مَاتَ أَبِي قَلَّ يَوْمٌ يَمْضِي إِلَّا وَرَسُولُ الْمُتَوَكِّلِ يَأْتِيهِ.

وَقَالَ صَالِحٌ: وَجَّهَ إِسْحَاقُ إِلَى أَبِي: الزَّمِ بَيْتَكَ، وَلَا تَخْرُجْ إِلَى
جَمَاعَةٍ وَلَا جُمُعَةٍ، وَإِلَّا نَزَلَ بِكَ مَا نَزَلَ بِكَ أَيَّامَ أَبِي إِسْحَاقَ.

قَالَ حَنْبَلٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ:

دَخَلْنَا إِلَى الْعَسْكَرِ، فَإِذَا نَحْنُ بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ مُقْبِلٍ، فَلَمَّا حَازَى بَنَّا،
قَالُوا: هَذَا وَصِيفٌ.

وَإِذَا بِفَارِسٍ قَدْ أَقْبَلَ، فَقَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: الْأَمِيرُ وَصِيفٌ يُقْرِئُكَ
السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَكَّنَكَ مِنْ عَدُوِّكَ -يَعْنِي: ابْنَ أَبِي دُوَادَ-
وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْبَلُ مِنْكَ، فَلَا تَدْعُ شَيْئًا إِلَّا تَكَلَّمْتُ بِهِ.

فَمَا رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَيْئًا، وَجَعَلْتُ أَنَا أَدْعُو لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،
وَدَعَوْتُ لِوَصِيفٍ، وَمَضَيْنَا، فَأَنْزَلَنَا فِي دَارِ إِيْتَاخَ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ، فَسَأَلَ بَعْدُ: لِمَنْ هَذِهِ الدَّارُ؟

قَالُوا: هَذِهِ دَارُ إِيْتَاخَ.

قَالَ: حَوِّلُونِي، اكْتَرُوا لِي دَارًا.

قَالُوا: هَذِهِ دَارُ أَنْزَلَكَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ: لَا أَيْتُ هَا هُنَا.

وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اكْتَرَيْنَا لَهُ دَارًا، وَكَانَتْ تَأْتِينَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَائِدَةٌ فِيهَا أَلْوَانُ
يَأْمُرُ بِهَا الْمُتَوَكِّلُ وَالثَّلْجُ وَالْفَاكِهِةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ، فَمَا ذَاقَ مِنْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
شَيْئًا، وَلَا نَظَرَ إِلَيْهَا، وَكَانَ نَفَقَةُ الْمَائِدَةِ فِي الْيَوْمِ مِائَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا.

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ خَاقَانَ، وَابْنُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ، وَعَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ يَخْتَلِفُونَ إِلَى
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بِرِسَالَةِ الْمُتَوَكِّلِ، وَدَامَتِ الْعِلَّةُ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَضَعُفَ شَدِيدًا.

وَكَانَ يُوَاصِلُ، وَمَكَثَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، فَفِي الثَّامِنِ
دَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَادَ أَنْ يُطْفَأَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! ابْنُ الزُّبَيْرِ كَانَ
يُوَاصِلُ سَبْعَةَ، وَهَذَا لَكَ الْيَوْمَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ!

قَالَ: إِنِّي مُطِيقٌ.

قُلْتُ: بِحَقِّي عَلَيْكَ.

قَالَ: فَإِنِّي أَفْعَلُ.

فَأَتَيْتُهُ بِسَوِيقٍ، فَشَرِبَ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ بِمَالٍ عَظِيمٍ، فَرَدَّهُ، فَقَالَ لَهُ
عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى: فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَيَّ وَلَدِكَ وَأَهْلِكَ.

قَالَ: هُمْ مُسْتَغْنُونَ.

فَرَدَّهَا عَلَيْهِ، فَأَخَذَهَا عُبَيْدُ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا عَلَى وَلَدِهِ، ثُمَّ أَجْرَى

الْمُتَوَكِّلُ عَلَى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّهُمْ فِي كِفَايَةٍ، وَلَيْسَتْ بِهِمْ حَاجَةٌ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ: إِنَّمَا هَذَا لِوَلَدِكَ، فَمَا لَكَ وَلِهَذَا؟

فَأَمْسَكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، فَلَمْ يَزَلْ يُجْرِي عَلَيْنَا حَتَّى مَاتَ الْمُتَوَكِّلُ.

وَجَرَى بَيْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَبِي كَلَامٍ كَثِيرٌ، وَقَالَ: يَا عَمُّ! مَا بَقِيَ مِنْ أَعْمَارِنَا، كَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ نَزَلَ، فَاللَّهِ اللَّهُ، فَإِنَّ أَوْلَادَنَا إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا بِنَا، وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ قَلِيلٌ، وَإِنَّمَا هَذِهِ فِتْنَةٌ.

قَالَ أَبِي: فَقُلْتُ: أَرْجُو أَنْ يُؤْمِنَكَ اللَّهُ مِمَّا تَحْذَرُ.

فَقَالَ: كَيْفَ وَأَنْتُمْ لَا تَتْرُكُونَ طَعَامَهُمْ وَلَا جَوَائِزَهُمْ؟ لَوْ تَرَكْتُمُوهَا، لَتَرَكْتُمُكُمْ، مَاذَا نَنْتَظِرُ؟ إِنَّمَا هُوَ الْمَوْتُ، فَإِمَّا إِلَى جَنَّةٍ، وَإِمَّا إِلَى نَارٍ، فَطُوبَى لِمَنْ قَدِمَ عَلَى خَيْرٍ.

قَالَ: فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرْتَ مَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ مِنْ غَيْرِ إِشْرَافِ نَفْسٍ وَلَا مَسْأَلَةٍ أَنْ تَأْخُذَهُ؟

قَالَ: قَدْ أَخَذْتُ مَرَّةً بِلَا إِشْرَافِ نَفْسٍ، فَالْثَّانِيَّةُ وَالثَّلَاثَةُ؟ أَلَمْ تَسْتَشْرِفْ نَفْسُكَ؟

قُلْتُ: أَفَلَمْ يَأْخُذِ ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ؟

فَقَالَ: مَا هَذَا وَذَلِكَ!

وَقَالَ: لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّ هَذَا الْمَالَ يُؤْخَذُ مِنْ وَجْهِهِ، وَلَا يَكُونُ فِيهِ ظُلْمٌ وَلَا حَيْفٌ، لَمْ أُبَالِ.

قَالَ حَنْبَلٌ: وَلَمَّا طَالَتْ عِلَّةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، كَانَ الْمُتَوَكِّلُ يَبْعَثُ بِابْنِ مَسْوِيهِ الْمُتَطَبِّبِ، فَيَصِفُ لَهُ الْأَدْوِيَةَ، فَلَا يَتَعَالَجُ، وَيَدْخُلُ ابْنُ مَسْوِيهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَتْ بِأَحْمَدَ عِلَّةً، إِنَّمَا هُوَ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ وَالصِّيَامِ وَالْعِبَادَةِ. فَسَكَتَ الْمُتَوَكِّلُ.

وَبَلَغَ أُمُّ الْمُتَوَكِّلِ خَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَتْ لِابْنِهَا: أَشْتَهِي أَنْ أَرَى هَذَا الرَّجُلَ.

فَوَجَّهَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى ابْنِهِ الْمُعْتَزِّ، وَيَدْعُو لَهُ، وَيُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَيَجْعَلَهُ فِي حَجْرِهِ، فَاْمْتَنَعَ، ثُمَّ أَجَابَ، رَجَاءً أَنْ يُطْلَقَ وَيَنْحَدِرَ إِلَى بَغْدَادَ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ خِلْعَةً، وَأَتَوْهُ بِدَابَّةٍ يَرْكَبُهَا إِلَى الْمُعْتَزِّ، فَاْمْتَنَعَ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ مِشْرَةُ نُمُورٍ، فَقُدِّمَ إِلَيْهِ بَعْلٌ لِتَاجِرٍ، فَرَكِبَهُ، وَجَلَسَ الْمُتَوَكِّلُ مَعَ أُمِّهِ فِي مَجْلِسٍ مِنَ الْمَكَانِ، وَعَلَى الْمَجْلِسِ سِتْرٌ رَقِيقٌ، فَدَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْمُعْتَزِّ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ وَأُمُّهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ، قَالَتْ: يَا بَنِيَّ، اللَّهُ اللَّهُ فِي هَذَا الرَّجُلِ، فَلَيْسَ هَذَا مِمَّنْ يُرِيدُ مَا عِنْدَكُمْ، وَلَا الْمَصْلَحَةَ أَنْ تَحْبِسَهُ عَنْ مَزَلِهِ، فَاتِّدَنْ لَهُ لِيَذْهَبَ.

فَدَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْمُعْتَزِّ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

وَجَلَسَ، وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ، فَسَمِعَتْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بَعْدُ يَقُولُ:

لَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَجَلَسْتُ، قَالَ مُؤَدِّبُهُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، هَذَا هُوَ الَّذِي أَمَرَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُؤَدِّبُكَ وَيُعَلِّمُكَ؟ فَقَالَ الصَّبِيُّ: إِنَّ عَلَّمَنِي شَيْئًا، تَعَلَّمْتُهُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: فَعَجِبْتُ مِنْ ذِكَايِهِ وَجَوَابِهِ عَلَى صِغَرِهِ، وَكَانَ صَغِيرًا. وَكَامَتْ عِلَّةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَبَلَغَ الْمُتَوَكِّلَ مَا هُوَ فِيهِ، وَكَلَّمَهُ يَحْيَى بْنُ خَاقَانَ أَيْضًا، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ لَا يُرِيدُ الدُّنْيَا، فَأَذِنَ لَهُ فِي الْإِنْصِرَافِ، فَجَاءَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى وَقَتَ الْعَصْرِ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَذِنَ لَكَ، وَأَمَرَ أَنْ يَفْرُشَ لَكَ حَرَّاقَةً تَنْحَدِرُ فِيهَا.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: اطْلُبُوا لِي زَوْرَقًا أَنْحَدِرِ السَّاعَةَ.

فَطَلَبُوا لَهُ زَوْرَقًا، فَاِنْحَدَرَ لَوَقْتِهِ.

قَالَ حَنْبَلٌ: فَمَا عَلِمْنَا بِقُدُومِهِ حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ قَدْ وَافَى.

فَاسْتَقْبَلْتُهُ بِنَاحِيَةِ الْقَطِيعَةِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنَ الزَّوْرِقِ، فَمَشَيْتُ مَعَهُ، فَقَالَ لِي: تَقَدَّمَ لَا يَرَاكَ النَّاسُ فَيَعْرِفُونِي، فَتَقَدَّمْتُ.

قَالَ: فَلَمَّا وَصَلَ، أَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى قَفَاهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْعِيَاءِ.

وَكَانَ رُبَّمَا اسْتَعَارَ الشَّيْءَ مِنْ مَنْزِلِنَا وَمَنْزِلِ وَلَدِهِ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْنَا مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ مَا صَارَ، امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى لَقَدْ وُصِفَ لَهُ فِي عِلَّتِهِ قَرْعَةٌ تُشْوَى، فَشُوِيَتْ فِي تَنْوِيرِ صَالِحٍ، فَعَلِمَ، فَلَمْ يَسْتَعْمِلْهَا، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ.

وَقَدْ ذَكَرَ صَالِحٌ قِصَّةَ خُرُوجِ أَبِيهِ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَرُجُوعِهِ، وَتَفْتِيشِ
يُتُوتِهِمْ عَلَى الْعَلَوِيِّ، وَوُرُودِ يَعْقُوبَ بِالْبَدْرَةِ، وَأَنَّ بَعْضَهَا كَانَ مَائَتِي
دِينَارٍ، وَأَنَّهُ بَكَى، وَقَالَ: سَلِمْتُ مِنْهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ عُمْرِي،
بُلِيتُ بِهِمْ، عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ تُفَرِّقَهَا غَدًا.

فَلَمَّا أَصْبَحَ، جَاءَهُ حَسَنُ بْنُ الْبَزَّارِ، فَقَالَ: جِئَنِي يَا صَالِحُ بِمِيزَانٍ،
وَجِّهُوا إِلَيَّ أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَإِلَى فُلَانٍ.

حَتَّى فَرَّقَ الْجَمِيعَ، وَنَحْنُ فِي حَالَةِ اللَّهِ بِهَا عَلِيمٌ، فَجَاءَنِي ابْنُ لِي،
فَطَلَبَ دِرْهَمًا، فَأَخْرَجْتُ قِطْعَةً، فَأَعْطَيْتُهُ، فَكَتَبَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ: إِنَّهُ
تَصَدَّقَ بِالْكُلِّ لِيَوْمِهِ، حَتَّى بِالْكَيْسِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ تَصَدَّقَ بِهَا، وَعَلِمَ
النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ قَبِلَ مِنْكَ، وَمَا يَصْنَعُ أَحْمَدُ بِالْمَالِ؟! وَإِنَّمَا قُوَّتُهُ رَغِيفٌ.
قَالَ: صَدَقْتُ.

قَالَ صَالِحٌ: ثُمَّ أَخْرَجَ أَبِي لَيْلًا، وَمَعَنَا حُرَّاسٌ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَ:
أَمَعَكَ دَرَاهِمُ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: أَعْطِهِمْ.

... وَصَارَ إِلَيْهِ يَحْيَى بْنُ خَاقَانَ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، قَدْ أَمَرَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ أَنْ آتِيكَ لِتَرْكَبَ إِلَيَّ ابْنَهُ الْمُعْتَزَّ.

وَقَالَ لِي: أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُجْرِي عَلَيْهِ وَعَلَى قَرَابَتِكُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ.
ثُمَّ عَادَ يَحْيَى مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، تَرْكُبُ؟
قَالَ: ذَاكَ إِلَيْكُمْ.

وَلَبَسَ إِزَارَهُ وَخُفَّهُ، وَكَانَ لِلْخُفِّ عِنْدَهُ خُمُسَةُ عَشَرَ عَامًا، قَدْ رُقِعَ
بِرِقَاعٍ عِدَّةٍ، فَأَشَارَ يَحْيَى أَنْ يَلْبَسَ قَلَنْسُوءَةً.
قُلْتُ: مَا لَهُ قَلَنْسُوءَةٌ...، إِلَى أَنْ قَالَ:

فَدَخَلَ دَارَ الْمُعْتَزِّ، وَكَانَ قَاعِدًا عَلَى مَصْطَبَةٍ فِي الدَّارِ، فَصَعَدَ،
وَقَعَدَ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَاءَ بِكَ لِيُسَرَّ
بِقُرْبِكَ، وَيُصَيِّرَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ فِي حَجْرِكَ.

فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْخُدَّامِ أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ كَانَ قَاعِدًا وَرَاءَ سِتْرِ، فَقَالَ لِأُمِّهِ:
يَا أُمَّهُ، قَدْ أَنَارَتِ الدَّارُ.

ثُمَّ جَاءَ خَادِمٌ بِمَنْدِيلٍ، فَأَخَذَ يَحْيَى الْمَنْدِيلَ، وَذَكَرَ قِصَّةَ فِي الْبَاسِ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ الْقَمِيصَ وَالْقَلَنْسُوءَةَ وَالطَّلِيسَانَ، وَهُوَ لَا يُحْرِّكُ يَدَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ.
وَقَدْ كَانُوا تَحَدَّثُوا: أَنَّهُ يَخْلَعُ عَلَيْهِ سَوَادًا.

فَلَمَّا جَاءَ، نَزَعَ الثِّيَابَ، وَجَعَلَ يَبْكِي، وَقَالَ: سَلِمْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ مُنْذُ
سِتِّينَ سَنَةً، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ عُمْرِي، بُلِيتُ بِهِمْ! مَا أَحْسَنَنِي سَلِمْتُ
مِنْ دُخُولِي عَلَى هَذَا الْغُلَامِ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَجِبُ عَلَيَّ نَصْحُهُ؟! يَا صَالِحُ،

وَجَهَ بِهِذِهِ الثَّيَابِ إِلَى بَغْدَادَ تَبَاعُ، وَيَتَصَدَّقُ بِثَمَنِهَا، وَلَا يَشْتَرِي أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا.

فَوَجَّهَتْ بِهَا إِلَى يَعْقُوبَ بْنِ بُخْتَانَ، فَبَاعَهَا، وَفَرَّقَ ثَمَنَهَا، وَبَقِيََتْ عِنْدِي الْقَلَنْسُوءَةُ.

قَالَ: وَمَكَثَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا يُفْطِرُ كُلَّ ثَلَاثٍ عَلَى ثَمَنِ سَوِيْقٍ، ثُمَّ جَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ يُفْطِرُ لَيْلَةً عَلَى رَغِيفٍ، وَلَيْلَةً لَا يُفْطِرُ، وَإِذَا جَاؤُوا بِالْمَائِدَةِ، تَوَضَّعَ فِي الدَّهْلِيْزِ لِنَآلِ يَرَاهَا، وَكَانَ إِذَا أَجْهَدَهُ الْحَرُّ، بَلَّ خِرْقَةً، فَيَضَعُهَا عَلَى صَدْرِهِ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُوجِّهُ إِلَيْهِ بَابُنِ مَاسَوِيَه، فَيَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَنَا أَمِيلُ إِلَيْكَ وَإِلَى أَصْحَابِكَ، وَمَا بِكَ عِلَّةٌ سِوَى الضَّعْفِ وَقِلَّةِ الرُّزِّ.

قَالَ: وَجَعَلَ يَعْقُوبُ وَغِيَاثٌ يَصِيرَانِ إِلَيْهِ، وَيَقُولَانِ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: مَا تَقُولُ فِي ابْنِ أَبِي دُوَادَ وَفِي مَالِهِ؟ فَلَا يُجِيبُ بِشَيْءٍ. وَجَعَلَ يَعْقُوبُ وَيَحْيَى يُخْبِرَانِهِ بِمَا يَحْدُثُ فِي أَمْرِ ابْنِ دُوَادَ.

ثُمَّ بَعَثَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ مَا أَشْهَدَ عَلَيْهِ بِسَمْعِ ضِيَاعِهِ، وَكَانَ رَبُّمَا جَاءَ يَحْيَى بْنُ خَاقَانَ - وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ يُصَلِّي - فَيَجْلِسُ فِي الدَّهْلِيْزِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ.

وَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ أَنْ تُشْتَرَى لَنَا دَارٌ، فَقَالَ: يَا صَالِحُ. قُلْتُ: لَبَّيْكَ.

قَالَ: لَئِنْ أَقَرَّتْ لَهُمْ بِشِرَاءِ دَارٍ، لَتَكُونَنَّ الْقَطِيعَةُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُصَيِّرُوا هَذَا الْبَلَدَ لِي مَأْوَى.

فَلَمْ يَزَلْ يُدَافِعُ بِشِرَاءِ الدَّارِ حَتَّى انْدَفَعَ.

وَجَعَلَتْ رُسُلُ الْمُتَوَكِّلِ تَأْتِيهِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ خَبَرِهِ، وَيَرْجِعُونَ، فَيَقُولُونَ: هُوَ ضَعِيفٌ.

وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَرَاكَ.

وَجَاءَهُ يَعْقُوبُ، فَقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُشْتَاقٌ إِلَيْكَ، وَيَقُولُ: انْظُرْ يَوْمًا تَصِيرُ فِيهِ - أَيَّ يَوْمٍ - حَتَّى أَعْرِفَهُ. فَقَالَ: ذَاكَ إِلَيْكُمْ. فَقَالَ: يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَخَرَجَ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ، جَاءَ، فَقَالَ: الْبُشْرَى يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: قَدْ أَعْفَيْتَكَ مِنْ لُبْسِ السُّودِ وَالرُّكُوبِ إِلَى وُلاَةِ الْعُهُودِ وَإِلَى الدَّارِ، فَالْبَسْ مَا شِئْتَ. فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ: إِنَّ لِي ابْنًا بِهِ مُعْجَبٌ، وَإِنَّ لَهُ فِي قَلْبِي مَوْعَاً، فَأَجِبْ أَنْ تُحَدِّثَهُ بِأَحَادِيثَ.

فَسَكَتَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: أَتُرَاهُ لَا يَرَى مَا أَنَا فِيهِ؟!!!

وَكَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ مِنْ جُمُعَةٍ إِلَى جُمُعَةٍ، وَإِذَا خَتَمَ، دَعَا، وَنَحْنُ

نُؤْمِنُ، فَلَمَّا كَانَ غَدَاةَ الْجُمُعَةِ، وَجَّهَ إِلَيَّ وَإِلَى أَخِي .
 فَلَمَّا خَتَمَ، جَعَلَ يَدْعُو وَنَحْنُ نُؤْمِنُ، فَلَمَّا فَرَغَ، جَعَلَ يَقُولُ: أَسْتَخِيرُ
 اللَّهَ مَرَاتٍ. فَجَعَلْتُ أَقُولُ: مَا يُرِيدُ؟
 ثُمَّ قَالَ: إِنِّي أُعْطِيَ اللَّهَ عَهْدًا، إِنَّ عَهْدَهُ كَانَ مَسْئُولًا، وَقَالَ -
 تَعَالَى-: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾ [المائدة: ١] إِنِّي لَا
 أَحَدُثُ بِحَدِيثٍ تَمَامٍ أَبَدًا حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، وَلَا أَسْتَشْنِي مِنْكُمْ أَحَدًا.
 فَخَرَجْنَا، وَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ، فَأَخْبَرَنَا، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
 رَاجِعُونَ.

وَأَخْبَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِذَلِكَ.

وَقَالَ: إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَحَدًا، وَيَكُونُ هَذَا الْبَلَدُ حَبْسِي، وَإِنَّمَا كَانَ
 سَبَبَ الَّذِينَ أَقَامُوا بِهَذَا الْبَلَدِ لَمَّا أُعْطُوا فَقَبِلُوا، وَأَمَرُوا فَحَدَّثُوا، وَاللَّهِ
 لَقَدْ تَمَنَّيْتُ الْمَوْتَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ، وَإِنِّي لَأَتَمَنَّى الْمَوْتَ فِي هَذَا
 وَذَاكَ، إِنَّ هَذَا فِتْنَةُ الدُّنْيَا، وَذَاكَ كَانَ فِتْنَةُ الدِّينِ.

ثُمَّ جَعَلَ يَضُمُّ أَصَابِعَهُ، وَيَقُولُ: لَوْ كَانَ نَفْسِي فِي يَدِي، لَأَرْسَلْتُهَا.
 ثُمَّ يَفْتَحُ أَصَابِعَهُ.

وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ يُكْرِرُ السُّؤَالَ عَنْهُ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ يَأْمُرُ لَنَا بِالْمَالِ،
 وَيَقُولُ: لَا يَعْلَمُ شَيْخُهُمْ فَيُعْتَمَّ، مَا يُرِيدُ مِنْهُمْ؟ إِنْ كَانَ هُوَ لَا يُرِيدُ الدُّنْيَا،
 فَلِمَ يَمْنَعُهُمْ؟!

وَقَالُوا لِلْمُتَوَكِّلِ: إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِكَ، وَلَا يَجْلِسُ عَلَى فِرَاشِكَ، وَيُحَرِّمُ الَّذِي تَشْرَبُ.

فَقَالَ: لَوْ نَشِرَ لِي الْمُعْتَصِمُ، وَقَالَ فِيهِ شَيْئًا، لَمْ أَقْبَلْ مِنْهُ.
قَالَ صَالِحٌ: ثُمَّ انْحَدَرْتُ إِلَى بَغْدَادَ، وَخَلَفْتُ عَبْدَ اللَّهِ عِنْدَهُ، فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ قَدْ قَدِمَ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ؟
قَالَ: أَمَرَنِي أَنْ أَنْحَدِرَ.

وَقَالَ: قُلْ لِمُصَالِحٍ: لَا تَخْرُجْ، فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ آفَتِي، وَاللَّهِ لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا أَخْرَجْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ مَعِي، لَوْلَاكُمْ لِمَنْ كَانَتْ تَوْضَعُ هَذِهِ الْمَائِدَةُ، وَتُفْرَشُ الْفُرُشُ، وَتُجْرَى الْأَجْرَاءُ؟
فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَعْلِمُهُ بِمَا قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ، فَكَتَبَ إِلَيَّ بِخَطِّهِ:

أَحْسَنَ اللَّهُ عَاقِبَتَكَ، وَدَفَعَ عَنْكَ كُلَّ مَكْرُوهِ وَمَحْذُورٍ، الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى الْكِتَابِ إِلَيْكَ الَّذِي قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ، لَا يَأْتِينِي مِنْكُمْ أَحَدٌ رَجَاءً أَنْ يَنْقَطِعَ ذِكْرِي وَيَخْمَلَ، وَإِذَا كُنْتُمْ هَا هُنَا، فَشَا ذِكْرِي، وَكَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْكُمْ قَوْمٌ يَنْقُلُونَ أَخْبَارَنَا، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا خَيْرٌ، فَإِنْ أَقَمْتَ فَلَمْ يَأْتِنِي أَنْتَ وَلَا أَحْوَكُ، فَهُوَ رِضَائِي، وَلَا تَجْعَلْ فِي نَفْسِكَ إِلَّا خَيْرًا، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.
قَالَ: وَلَمَّا سَافَرْنَا، رُفِعَتِ الْمَائِدَةُ وَالْفُرُشُ، وَكُلُّ مَا أُقِيمَ لَنَا.

قَالَ صَالِحٌ: وَبَعَثَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى أَبِي بِأَلْفِ دِينَارٍ لِيُقْسِمَهَا، فَجَاءَهُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ يُهَيِّئُ لَهُ حَرَّاقَةً، ثُمَّ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ

بِأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَذِنَ لَكَ، وَأَمَرَ لَكَ بِهَذَا. فَقَالَ: قَدْ أَعْفَانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا أَكْرَهُ.

فَرَدَّهَا، وَقَالَ: أَنَا رَقِيقٌ عَلَى الْبَرْدِ، وَالظَّهْرُ أَرْفَقُ بِي. فَكُتِبَ لَهُ جَوَازٌ، وَكُتِبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي بَرِّهِ وَتَعَاهُدِهِ. فَقَدِمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ قَالَ: يَا صَالِحُ. قُلْتُ: لَبَّيْكَ. قَالَ: أَحِبُّ أَنْ تَدْعَ هَذَا الرِّزْقَ، فَإِنَّمَا تَأْخُذُونَهُ بِسَبَبِي. فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَا لَكَ؟

قُلْتُ: أَكْرَهُ أَنْ أُعْطِيَكَ بِلِسَانِي، وَأُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَكْثَرُ عِيَالًا مِنِّي، وَلَا أَعْذَرُ، وَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو إِلَيْكَ، وَتَقُولُ: أَمْرُكَ مُنْعِقِدٌ بِأَمْرِي، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَحُلَّ عَنِّي هَذِهِ الْعُقْدَةَ، وَقَدْ كُنْتُ تَدْعُو لِي، فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدِ اسْتَجَابَ لَكَ.

فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَفْعَلُ.

فَقُلْتُ: لَا.

فَقَالَ: لِمَ؟ فَعَلَ اللَّهُ بِكَ وَفَعَلَ!!

وَذَكَرَ قِصَّةَ فِي دُخُولِ عَبْدِ اللَّهِ أَخِيهِ عَلَيْهِ، وَقَوْلِهِ وَجَوَابِهِ لَهُ، ثُمَّ دُخُولِ عَمِّهِ عَلَيْهِ، وَإِنْكَارِهِ لِلْأَخِذِ.

قَالَ: فَهَجَرْنَا أَبِي، وَسَدَّ الْأَبْوَابَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَتَحَامَى مَنَازِلَنَا، ثُمَّ أَخْبَرَ بِأَخِذِ عَمِّهِ، فَقَالَ: نَافَقْتَنِي وَكَذَبْتَنِي!!

ثُمَّ هَجَرَهُ، وَتَرَكَ الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ، وَخَرَجَ إِلَى مَسْجِدٍ آخَرَ يُصَلِّي فِيهِ.
ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةً فِي دُعَائِهِ صَالِحًا، وَمُعَاتِبَتِهِ لَهُ، ثُمَّ فِي كِتَابَتِهِ إِلَى يَحْيَى
ابْنِ خَاقَانَ لِيَتْرَكَ مَعُونَةَ أَوْلَادِهِ، وَأَنَّ الْخَبَرَ بَلَغَ الْمُتَوَكِّلَ، فَأَمَرَ بِحَمْلِ مَا
اجْتَمَعَ لَهُمْ مِنْ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ إِلَيْهِمْ، فَكَانَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.
وَأَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَ بِذَلِكَ، فَسَكَتَ قَلِيلًا، وَأَطْرَقَ، ثُمَّ قَالَ: مَا
حِيلَتِي إِنْ أَرَدْتُ أَمْرًا، وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا؟!

قَالَ صَالِحٌ: وَكَانَ رَسُولُ الْمُتَوَكِّلِ يَأْتِي أَبِي يُبْلِغُهُ السَّلَامَ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ
حَالِهِ.

قَالَ: فَتَأْخُذُهُ فُشْعَرِيرَةٌ حَتَّى نُدَثِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ نَفْسِي فِي
يَدِي، لَأَرْسَلْتُهَا.

وَجَاءَ رَسُولُ الْمُتَوَكِّلِ إِلَيْهِ يَقُولُ: لَوْ سَلِمَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، سَلِمْتَ
أَنْتَ، رَفَعَ رَجُلٌ إِلَيْنَا: أَنَّ عَلَوِيًّا قَدِمَ مِنْ خُرَاسَانَ، وَأَنَّكَ وَجَّهْتَ إِلَيْهِ مَنْ
يَلْقَاهُ، وَقَدْ حَبَسْتَ الرَّجُلَ، وَأَرَدْتَ ضَرْبَهُ، فَكْرَهُتُ أَنْ تَغْتَمَّ، فَمُرْ فِيهِ.
قَالَ: هَذَا بَاطِلٌ يُخْلَى سَبِيلُهُ.

... أَنَّ الْمَرُودِيَّ حَدَّثَهُمْ، قَالَ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِالْعَسْكَرِ يَقُولُ:
انْظُرْ، هَلْ تَجِدُ مَاءً بَاقِلِي؟ فَكُنْتُ رُبَّمَا بَلَلْتُ حُبْرَهُ بِالمَاءِ، فَيَأْكُلُهُ بِالمَلْحِ.
وَمُنْذُ دَخَلْنَا الْعَسْكَرَ إِلَى أَنْ خَرَجْنَا، مَا ذَاقَ طَبِيخًا وَلَا دَسْمًا.

وَعَنِ الْمَرُودِيِّ، قَالَ: أَنْبَهَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لَيْلَةً، وَكَانَ قَدْ وَاصَلَ، فَقَالَ: هُوَ ذَا يُدَارُ بِي مِنَ الْجُوعِ، فَأَطْعِمْنِي شَيْئًا. فَجِئْتُهُ بِأَقْلٍ مِنْ رَغِيفٍ، فَأَكَلَهُ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ الْعَوْنَ عَلَى نَفْسِي، مَا أَكَلْتُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: أَوْصَى أَبِي هَذِهِ:

هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَنْبَلٍ، أَوْصَى أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...، إِلَى أَنْ قَالَ:

وَأَوْصَى أَنْ عَلَيَّ لِفُورَانَ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ دِينَارًا، وَهُوَ مُصَدَّقٌ فِيمَا قَالَ، فَيُقْضَى مِنْ غَلَّةِ الدَّارِ، فَإِذَا اسْتَوْفَى، أُعْطِيَ وَلَدُ عَبْدِ اللَّهِ وَصَالِحٌ، كُلُّ ذَكَرٍ وَأُنْثَى عَشْرَةَ دَرَاهِمَ.

شَهِدَ: أَبُو يُوسُفَ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَصَالِحٌ؛ ابْنَا أَحْمَدَ.

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادَ، قَالَ: قَالَ أَبِي:

مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ قَلْبًا مِنْ هَذَا -يَعْنِي: أَحْمَدَ- جَعَلْنَا نُكَلِّمُهُ، جَعَلَ الْخَلِيفَةُ يُكَلِّمُهُ، يُسَمِّيهِ مَرَّةً وَيَكْنِيهِ مَرَّةً، وَهُوَ يَقُولُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْجَدَنِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ حَتَّى أَجِيكَ إِلَيْهِ.

أَبُو يَعْقُوبَ الْقَرَّابُ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الصَّرَّامُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرَوِيُّ، قَالَ:

دَخَلْتُ أَنَا وَالْحَارِثُ بْنُ مِسْكِينٍ عَلَى أَحْمَدَ حَدَّثَانِ ضَرْبِهِ، فَقَالَ لَنَا:
ضُرِبْتُ فَسَقَطْتُ وَسَمِعْتُ ذَاكَ -يَعْنِي: ابْنُ أَبِي دُوَادَ- يَقُولُ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ وَاللَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ.

فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ عُفَيْرٍ، عَنْ مَالِكٍ، أَنَّ الزُّهْرِيَّ
سُعِيَ بِهِ حَتَّى ضُرِبَ بِالسِّيَاطِ.
وَقِيلَ: عَلَّقْتُ كُتْبَهُ فِي عُنُقِهِ.

ثُمَّ قَالَ مَالِكٌ: وَقَدْ ضُرِبَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَحُلِقَ رَأْسُهُ وَلَحِيتُهُ،
وَضُرِبَ أَبُو الزِّنَادِ، وَضُرِبَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ، وَأَصْحَابُ لَهُ فِي حَمَامٍ
بِالسِّيَاطِ.

وَمَا ذَكَرَ مَالِكٌ نَفْسَهُ، فَأَعْجَبَ أَحْمَدُ بِقَوْلِ الْحَارِثِ.
قَالَ مَكِّيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: ضُرِبَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ مَالِكًا تِسْعِينَ سَوْطًا سَنَةَ ١٤٧.
وَرُويَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَمِينَةَ، عَنْ شَابَّاصِ التَّائِبِ، قَالَ:
لَقَدْ ضُرِبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ثَمَانِينَ سَوْطًا، لَوْ ضَرَبْتَهُ عَلَى فِيلٍ، لَهَدَّتُهُ.
(٢٩٦/١١)

وَمِنْ سِرِّهِ:

... إِدْرِيسُ الْحَدَّادُ، قَالَ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ إِذَا ضَاقَ بِهِ الْأَمْرُ
أَجَرَ نَفْسَهُ مِنَ الْحَاكَةِ، فَسَوَّى لَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ أَيَّامَ الْمُحَنَةِ، وَصُرِفَ إِلَى

بَيْتِهِ، حُمِلَ إِلَيْهِ مَالٌ، فَرَدَّهُ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى رَغِيفٍ، فَجَعَلَ عَمَّهُ إِسْحَاقُ
يَحْسُبُ مَا يَرُدُّ، فَإِذَا هُوَ نَحْوُ خَمْسِ مِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ: فَقَالَ: يَا عَمُّ، لَوْ
طَلَبْنَاهُ لَمْ يَأْتِنَا، وَإِنَّمَا أَتَانَا لَمَّا تَرَكَنَاهُ.

.... أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَزِيدَ الْوَرَّاقُ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ
يَقُولُ: مَا شَبَّهْتُ الشَّبَابَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَانَ فِي كُمِّي، فَسَقَطَ.
وَقَالَ عَبَّاسُ الدُّورِيِّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ يَقُولُ: أَوَّلُ مَا طَلَبْتُ اخْتَلَفْتُ
إِلَى أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَتَبَ أَبِي عَنْ أَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدِ الْكُتُبِ، وَكَانَ
يَحْفَظُهَا، فَقَالَ لِي مُهَنَّى: كُنْتُ أَسْأَلُهُ فَيَقُولُ: لَيْسَ ذَا فِي كُتُبِهِمْ. فَأَرْجِعْ
إِلَيْهِمْ، فَيَقُولُونَ: صَاحِبُكَ أَعْلَمُ مِنَّا بِالْكِتَابِ.

... قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: سَمِعْتُ أَبِي سَنَةَ ٢٣٧ يَقُولُ: قَدْ اسْتَخَرْتُ اللَّهَ
أَنْ لَا أَحْدِثَ حَدِيثًا عَلَى تَمَامِهِ أَبَدًا.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾
[المائدة: ١]، وَإِنِّي أَعَاهِدُ اللَّهَ أَنْ لَا أَحْدِثَ بِحَدِيثٍ عَلَى تَمَامِهِ أَبَدًا. ثُمَّ
قَالَ: وَلَا لَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تَشْتَهِي. فَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَشْهَرٍ: أَلَيْسَ يُرَوَى
عَنْ شَرِيكِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ. قَالَ: الْعَهْدُ يَمِينٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. ثُمَّ سَكَتَ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَكْفُرُ،
فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ، قُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ يَنْشِطْ لِلْكَفَّارَةِ، ثُمَّ لَمْ أَسْمَعْهُ
يَحْدِثُ بِحَدِيثٍ عَلَى تَمَامِهِ.

ثُمَّ بَلَغَهُ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الدَّوْلَةِ - وَهُوَ ابْنُ أَكْثَمَ - أَنَّهُ قَالَ: قَدْ أَرَدْتُ أَنْ يَأْمُرَهُ الْخَلِيفَةُ أَنْ يُكْفِّرَ عَنْ يَمِينِهِ وَيُحَدِّثَ، فَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنْ قَبْلِ صَاحِبِ الْكَلَامِ: لَوْ ضَرَبْتَ ظَهْرِي بِالسَّيَاطِ، مَا حَدَّثْتُ.

مِنْ تَوَاضُعِهِ:

... أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَشْتَرِي الْخُبْزَ مِنَ السُّوقِ، وَيَحْمِلُهُ فِي الزَّنْبِيلِ، وَرَأَيْتُهُ يَشْتَرِي الْبَاقِلَاءَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَيَجْعَلُهُ فِي خِرْقَةٍ، فَيَحْمِلُهُ آخِذًا بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِهِ.

مِنْ جِهَادِهِ:

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْفَرَجِ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ يَقُولُ: خَرَجَ أَبِي إِلَى طَرَسُوسَ، وَرَابَطَ بِهَا، وَغَزَا. ثُمَّ قَالَ أَبِي: رَأَيْتُ الْعِلْمَ بِهَا يَمُوتُ. وَعَنْ أَحْمَدَ، أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: عَلَيْكَ بِالثَّغْرِ، عَلَيْكَ بِقَرْوَيْنَ، وَكَانَتْ ثَغْرًا.

فصل:

.. صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ الْهَاشِمِيُّ... قَالَ الْمُهْتَدِي بِإِلَافَةٍ: مَا زِلْتُ أَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ صَدْرًا مِنْ أَيَّامِ الْوَاتِقِ حَتَّى أَقْدَمَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ عَلَيْنَا شَيْخًا مِنْ أَذْنَةِ [قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّيْرَازِيُّ الْحَافِظُ: هَذَا الْأَذْنَبِيُّ هُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَذْرَمِيِّ.]، فَأُدْخِلَ عَلَى الْوَاتِقِ مُقَيَّدًا، فَرَأَيْتُهُ اسْتَحْيَا مِنْهُ، وَرَقَّ لَهُ، وَقَرَّبَهُ، فَسَلَّمَ، وَدَعَا، فَقَالَ: يَا شَيْخُ، نَظَرِ ابْنُ أَبِي دُوَادَ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنُ أَبِي دُوَادَ يَضْعُفُ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ.
فَغَضِبَ الْوَائِقِيُّ، وَقَالَ: أَيَضْعُفُ عَنْ مُنَاطَرَتِكَ أَنْتَ؟
فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَوْنٌ عَلَيْكَ، فَأَتَذُنُّ لِي فِي مُنَاطَرَتِهِ، فَإِنْ
رَأَيْتَ أَنْ تَحْفَظَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ.
قَالَ: أَفْعَلُ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ، أَخْبِرْنِي عَنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، هِيَ مَقَالَةٌ وَاجِبَةٌ
دَاخِلَةٌ فِي عَقْدِ الدِّينِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى تُقَالَ فِيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ.
قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ بُعِثَ،
هَلْ سَرَّ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ؟ قَالَ: لَا.
قَالَ: فَدَعَا الْأُمَّةَ إِلَى مَقَالَتِكَ هَذِهِ؟ فَسَكَتَ، فَالْتَفَتَ الشَّيْخُ إِلَى
الْوَائِقِيِّ، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ.
قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ حِينَ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾
وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي... ﴿[الْمَائِدَةُ: ٣]، هَلْ كَانَ الصَّادِقُ فِي إِكْمَالِ دِينِهِ،
أَوْ أَنْتَ الصَّادِقُ فِي نُقْصَانِهِ حَتَّى يُقَالَ بِمَقَالَتِكَ هَذِهِ؟ فَسَكَتَ، فَقَالَ:
أَجِبْ، فَلَمْ يُجِبْ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اثْنَتَانِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ، أَخْبِرْنِي عَنْ مَقَالَتِكَ، أَعْلِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمْ لَا؟

قَالَ: عَلِمَهَا. قَالَ: فَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا؟ فَسَكَتَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ثَلَاثٌ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ، فَاتَّسَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَعْلَمَهَا وَأَمْسَكَ عَنْهَا كَمَا رَعِمْتَ، وَلَمْ يُطَالِبْ أُمَّتَهُ بِهَا؟

قَالَ: نَعَمْ. وَاتَّسَعَ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

فَأَعْرَضَ الشَّيْخُ، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَدَّمْتُ أَنَّهُ يَضْعُفُ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ، إِنْ لَمْ يَتَّسَعْ لَنَا الْإِمْسَاكُ عَنْهَا، فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَّسَعْ لَهُ مَا اتَّسَعَ لَهُمْ.

فَقَالَ الْوَائِقُ: نَعَمْ، اقْطَعُوا قَيْدَ الشَّيْخِ. فَلَمَّا قُطِعَ، ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الْقَيْدِ لِيَأْخُذَهُ، فَجَاذَبَهُ الْحَدَّادُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ الْوَائِقُ: لِمَ أَخَذْتُهُ؟

قَالَ: لِأَنِّي نَوَيْتُ أَنْ أُوصِيَ أَنْ يُجْعَلَ فِي كَفَنِي حَتَّى أُحَاصِمَ بِهِ هَذَا الظَّالِمَ غَدًا. وَبَكَى، فَبَكَى الْوَائِقُ وَبَكَيْنَا، ثُمَّ سَأَلَهُ الْوَائِقُ أَنْ يُجْعَلَهُ فِي حِلٍّ، فَقَالَ: لَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ إِكْرَامًا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ لِكَوْنِكَ مِنْ أَهْلِهِ. فَقَالَ لَهُ: أَقِمَّ قِبَلَنَا فَتَنْتَفِعَ بِكَ، وَتَنْتَفِعَ بِنَا.

قَالَ: إِنَّ رَدَّكَ إِلَيَّ إِلَى مَوْضِعِي أَنْفَعُ لَكَ، أَصِيرُ إِلَى أَهْلِي وَوَلَدِي، فَأَكْفَتْ دُعَاءَهُمْ عَلَيْكَ، فَقَدْ خَلَفْتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ: فَتَقَبَّلُ مِنَّا صِلَةً؟ قَالَ: لَا تَحِلُّ لِي، أَنَا عَنْهَا غَنِيٌّ.

قَالَ الْمُهْتَلِي: فَرَجَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَأَظُنُّ أَنَّ أَبِي رَجَعَ عَنْهَا مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ.

عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ يَجْتَمِعُ فِي مَجْلِسِ أَحْمَدَ زُهَاءُ خَمْسَةِ آلَافٍ - أَوْ يَزِيدُونَ نَحْوَ خَمْسِ مِائَةٍ - يَكْتُبُونَ، وَالْبَاقُونَ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ حُسْنَ الْأَدَبِ وَالسَّمْتِ.

ابْنُ بَطَّةَ: سَمِعَ النَّجَّادَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ الْمُطَوَّعِيِّ يَقُولُ: اخْتَلَفْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ثِنْتِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَهُوَ يَقْرَأُ «الْمُسْتَدَّ» عَلَى أَوْلَادِهِ، فَمَا كَتَبْتُ عَنْهُ حَدِيثًا وَاحِدًا، إِنَّمَا كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى هَدْيِهِ وَأَخْلَاقِهِ.

قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّوَّاسِيُّ: يُقَالُ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَشْبَهَ هَدْيًا وَسَمْتًا وَدَلَالًا مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ بِالنَّبِيِّ ﷺ - وَكَانَ أَشْبَهَ النَّاسِ بِهِ عِلْقَمَةُ، وَكَانَ أَشْبَهَ النَّاسِ بِعَلْقَمَةَ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ أَشْبَهُهُمْ بِإِبْرَاهِيمَ مَنْصُورُ ابْنِ الْمُعْتَمِرِ، وَأَشْبَهَ النَّاسِ بِهِ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَأَشْبَهَ النَّاسِ بِهِ وَكِيعٌ، وَأَشْبَهَ النَّاسِ بِوَكَيْعٍ - فِيمَا قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْجَمَّالُ - أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ: كُنْتُ فِي مَجْلِسِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُمْ؟

قُلْنَا: مِنْ مَجْلِسِ أَبِي كُرَيْبٍ.

فَقَالَ: اكْتُبُوا عَنْهُ، فَإِنَّهُ شَيْخٌ صَالِحٌ.

فَقُلْنَا: إِنَّهُ يَطْعُنُ عَلَيْكَ.

فَقَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ حِيلَتِي، شَيْخٌ صَالِحٌ قَدْ بُلِيَ بِي.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ أَبِي سُئِلَ: لِمَ لَمْ تَسْمَعْ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ سَعْدٍ كَثِيرًا، وَقَدْ نَزَلَ فِي جِوَارِكَ بِدَارِ عُمَارَةَ؟ فَقَالَ: حَضَرْنَا مَجْلِسَهُ مَرَّةً فَحَدَّثَنَا، فَلَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ الثَّانِي، رَأَى شَبَابًا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الشُّيُوخِ، فَعْضَبَ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا حَدَّثْتُ سَنَةً. فَمَاتَ وَلَمْ يُحَدِّثْ.

وَعَنِ الْمَيْمُونِيِّ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَنْقَى ثَوْبًا، وَلَا أَشَدَّ بَيَاضًا مِنْ أَحْمَدَ.

ابْنُ الْمُنَادِي: عَنْ جَدِّهِ؛ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: كَانَ أَحْمَدُ مِنْ أَحْيَى النَّاسِ وَأَكْرَمِهِمْ، وَأَحْسَنِهِمْ عِشْرَةً وَأَدَبًا، كَثِيرَ الْإِطْرَاقِ، لَا يُسْمَعُ مِنْهُ إِلَّا الْمَذَاكِرَةُ لِلْحَدِيثِ، وَذِكْرُ الصَّالِحِينَ فِي وَقَارٍ وَسُكُونٍ، وَلَفْظٍ حَسَنِ، وَإِذَا لَقِيَهُ إِنْسَانٌ، بَشَّرَ بِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَتَوَاضَعُ لِلشُّيُوخِ شَدِيدًا، وَكَانُوا يُعْظَمُونَهُ، وَكَانَ يَفْعَلُ بِيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ مَا لَمْ أَرَهُ يَعْمَلُ بِغَيْرِهِ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالتَّكْرِيمِ وَالتَّبَجِيلِ، كَانَ يَحْيَى أَكْبَرَ مِنْهُ بِسَبْعِ سِنِينَ.

الْخُطْبِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: كَانَ أَبِي إِذَا أَتَى الْبَيْتَ مِنَ الْمَسْجِدِ، ضَرَبَ بِرِجْلِهِ حَتَّى يَسْمَعُوا صَوْتَ نَعْلِهِ، وَرُبَّمَا تَنَحَّنَحَ لِيَعْلَمُوا بِهِ.

الْخَلَّالُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا مُهَنَّى، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَرَّاتٍ يُقَبِّلُ وَجْهَهُ وَرَأْسَهُ، وَلَا يَقُولُ شَيْئًا وَلَا يَمْتَنِعُ، وَرَأَيْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ الْهَاشِمِيَّ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَجَبْهَتَهُ، لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَكْرَهُهُ.

وَقَالَ عَبْدُوسُ الْعَطَّارُ: وَجَّهْتُ بِابْنِي مَعَ الْجَارِيَةِ يُسَلِّمُ عَلَى أَبِي

عَبْدُ اللَّهِ، فَرَحَّبَ بِهِ، وَأَجْلَسَهُ فِي حَجْرِهِ، وَسَاءَ لَهُ، وَاتَّخَذَ لَهُ خَیْصًا^(١)،
وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ: كُلِّي مَعَهُ، وَجَعَلَ يُبْسِطُهُ.

وَقَالَ الْمِیْمُونِيُّ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَسَنَ الْخُلُقِ، دَائِمَ الْبِشْرِ، يَحْتَمِلُ
الْأَذَى مِنَ الْجَارِ.

ابْنُ بَطَّة: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ، سَمِعْتُ
أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ لِأَحْمَدَ الْوَكِيعِيِّ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! إِنِّي لِأُحِبُّكَ،
حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنِ الْمُقْدَامِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ
-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُعْلِمْهُ﴾.

ابْنُ بَطَّة: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَافِلَانِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ هَانِئٍ،
قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَنْزِلِهِ، وَمَعَهُ الْمَرْوُذِيُّ، وَمُهَنَّى، فَدَقَّ
دَاقُ الْبَابِ، وَقَالَ: الْمَرْوُذِيُّ هَا هُنَا؟ فَكَأَنَّ الْمَرْوُذِيَّ كَرِهَ أَنْ يُعْلَمَ
مَوْضِعُهُ، فَوَضَعَ مُهَنَّى أَصْبَعَهُ فِي رَاحَتِهِ، وَقَالَ: لَيْسَ الْمَرْوُذِيُّ هَا هُنَا،
وَمَا يَصْنَعُ الْمَرْوُذِيُّ هَا هُنَا؟

فَضَحِكَ أَحْمَدُ، وَلَمْ يُنْكِرْ.

لِي تَعْلَمَ:

قَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ: خَلَفَ لَهُ أَبُوهُ طُرُزًا^(٢) وَدَارًا يَسْكُنُهَا، فَكَانَ يَكْرِي
تِلْكَ الطُّرُزَ، وَيَتَعَقَّفُ بِهَا.

(١) الْخَيْصُ: الْحُلُوءُ.

(٢) الطُّرُزُ: بَيْتٌ إِلَى الطُّوْلِ، فَارِسِيٌّ، وَقِيلَ: هُوَ الْبَيْتُ الصَّيْفِيُّ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: أَرَاهُ =

تِلْكَ: وَرُبَّمَا نَسَخَ بِأَجْرَةٍ، وَرُبَّمَا عَمِلَ التَّكَا، وَأَجَرَ نَفْسَهُ لِحِمَالٍ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - .

فَصْلٌ:

قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنِ الْمُسْلِمِ يَقُولُ لِلنَّصْرَانِيِّ: أَكْرَمَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَنْوِي بِهَا الْإِسْلَامَ.

وَقِيلَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْ رَجُلٍ نَذَرَ أَنْ يَطُوفَ عَلَى أَرْبَعٍ، فَقَالَ: يَطُوفُ طَوَافِينَ، وَلَا يَطُوفُ عَلَى أَرْبَعٍ.

قُلْتُ: ... وَوَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ فِي الْفِقْهِ خَاصَّةً رُبَّةَ اللَّيْثِ، وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ، وَفِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ رُبَّةَ الْفَضْلِ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَذْهَمَ، وَفِي الْحِفْظِ رُبَّةَ شُعْبَةَ، وَيَحْيَى الْقَطَّانِ، وَابْنَ الْمَدِينِيِّ.

الْخَلَّالُ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ السَّمْسَارُ، حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ هَانِيٍّ، قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ:

بَكَرْتُ حَتَّى نَعَارِضَ بِشَيْءٍ مِنَ الزُّهْدِ. فَبَكَرْتُ إِلَيْهِ، وَقُلْتُ لَأُمٍّ وَلَدِهِ: أَعْطِنِي حَصِيرًا وَمِخْدَةً.

وَبَسَطْتُ فِي الدُّهْلِيِّزِ، فَخَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَمَعَهُ الْكُتُبُ وَالْمِجْبَرَةُ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟

= مَعَرَّبًا وَأَضْلُهُ تَرْزُ.

فَقُلْتُ: لِنَجْلِسَ عَلَيْهِ. فَقَالَ: ارفَعُهُ، الزُّهْدُ لَا يَحْسُنُ إِلَّا بِالزُّهْدِ.
فَرَفَعْتُهُ، وَجَلَسَ عَلَى التُّرَابِ.

قَالَ: وَأَخْبِرْنِي يُوسُفُ بْنُ الصَّحَّاحِ، حَدَّثَنِي ابْنُ جَبَلَةَ، قَالَ:
كُنْتُ عَلَى بَابِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَالبَابُ مُجَافٌ، وَأُمُّ وَلَدِهِ تُكَلِّمُهُ،
وَتَقُولُ: أَنَا مَعَكَ فِي ضَيْقٍ، وَأَهْلُ صَالِحٍ يَأْكُلُونَ وَيَفْعَلُونَ، وَهُوَ يَقُولُ:
قُولِي خَيْرًا. وَخَرَجَ الصَّبِيُّ مَعَهُ، فَبَكَى، فَقَالَ: مَا تُرِيدُ؟
قَالَ: زَيْبٌ. قَالَ: اذْهَبْ، خُذْ مِنَ البَقَالِ بِحَبَّةٍ.
وَقَالَ المِمْونِيُّ: كَانَ مَنْزِلُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ضَيْقًا صَغِيرًا، وَيَنَامُ فِي الْحَرِّ
فِي أَسْفَلِهِ.

وَقَالَ لِي عَمُّهُ: رُبَّمَا قُلْتُ لَهُ فَلَا يَفْعَلُ، يَنَامُ فَوْقَ.
وَقَدْ رَأَيْتُ مَوْضِعَ مَضْجَعِهِ، وَفِيهِ شَاذْكُونَةٌ وَبَرْدَعَةٌ، قَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا
الْوَسَخُ.

الْخَلَّالُ: أَخْبَرَنِي حَامِدُ بْنُ أَحْمَدَ، سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ
الْحَارِثِ يَقُولُ:

دَخَلْتُ دَارَ أَحْمَدَ، فَرَأَيْتُ فِي بَهْوِهِ حَصِيرًا خَلَقًا وَمِخْدَةً - وَكُتُبَهُ
مَظْرُوحَةً حَوَالِيهِ - وَحُبَّ خَرْفٍ.

وَقِيلَ: كَانَ عَلَى بَابِهِ مِسْحٌ مِنْ شَعْرِ.

فَصْلٌ:

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: كَانَ الْإِمَامُ لَا يَرَى وَضَعَ الْكُتُبِ، وَيَنْهَى عَنْ كِتَابَةِ كَلَامِهِ وَمَسَائِلِهِ، وَلَوْ رَأَى ذَلِكَ، لَكَانَتْ لَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ، وَصَنَّفَ (الْمُسْنَدَ)؛ وَهُوَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ حَدِيثٍ، وَكَانَ يَقُولُ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ: احْتَفِظْ بِهَذَا (الْمُسْنَدِ)، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، وَ(التَّفْسِيرَ) وَهُوَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، وَ(النَّاسِخَ وَالْمَنْشُورَ)، وَ(التَّارِخَ)، وَ(حَدِيثَ شُعْبَةَ)، وَ(الْمُقَدِّمَ وَالْمُؤَخَّرَ فِي الْقُرْآنِ)، وَ(جَوَابَاتِ الْقُرْآنِ)، وَ(الْمَنَاسِكَ) الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ، وَأَشْيَاءَ أُخَرَ. قُلْتُ: وَكِتَابَ (الْإِيمَانِ)، وَكِتَابَ (الْأَشْرِيَةِ)، وَرَأَيْتُ لَهُ وَرَقَةً مِنْ كِتَابِ (الْفَرَائِضِ).

فَتَفْسِيرُهُ الْمَذْكُورُ شَيْءٌ لَا وَجُودَ لَهُ، وَلَوْ وَجَدَ، لَاجْتَهَدَ الْفَضْلَاءُ فِي تَحْصِيلِهِ، وَلَا شُتْهَرَهُ، ثُمَّ لَوْ أَلْفَ تَفْسِيرًا، لَمَا كَانَ يَكُونُ أَزِيدَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ أَثَرٍ، وَلَا قُتِضِيَ أَنْ يَكُونَ فِي خَمْسِ مُجَلَّدَاتٍ. فَهَذَا (تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ) الَّذِي جَمَعَ فِيهِ فَأَوْعَى، لَا يَبْلُغُ عِشْرِينَ أَلْفًا. وَمَا ذَكَرَ (تَفْسِيرُ أَحْمَدَ) أَحَدُ سِوَى أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُنَادِي، فَقَالَ فِي (تَارِيخِهِ):

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَرَوَى فِي الدُّنْيَا عَنْ أَبِيهِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ؛ لِأَنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ (الْمُسْنَدَ) وَهُوَ ثَلَاثُونَ أَلْفًا، وَ(التَّفْسِيرَ) وَهُوَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، سَمِعَ ثُلَاثِيهِ، وَالْبَاقِي وَجَادَةً.

ابْنُ السَّمَاكِ: حَدَّثَنَا حَنْبَلٌ، قَالَ:

جَمَعْنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، أَنَا وَصَالِحٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْنَا (الْمُسْنَدُ)، مَا سَمِعَهُ غَيْرُنَا.

وَقَالَ: هَذَا الْكِتَابُ جَمَعْتُهُ وَانْتَقَيْتُهُ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ سَبْعِ مِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا، فَمَا اخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَارْجِعُوا إِلَيْهِ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُ فِيهِ، وَإِلَّا فَلَيْسَ بِحُجَّةٍ.

قُلْتُ: فِي (الصُّرَحِيِّينَ) أَحَادِيثٌ قَلِيلَةٌ لَيْسَتْ فِي (الْمُسْنَدِ).

لَكِنْ قَدْ يُقَالُ: لَا تَرُدُّ عَلَى قَوْلِهِ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهَا، ثُمَّ مَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ: أَنَّ مَا وَجَدَ فِيهِ أَنْ يَكُونَ حُجَّةً، فَفِيهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ مِمَّا يَسُوعُ نَقْلُهَا، وَلَا يَجِبُ الْاِخْتِجَاجُ بِهَا، وَفِيهِ أَحَادِيثٌ مَعْدُودَةٌ شَبَهُ مَوْضُوعَةٍ، وَلَكِنَّهَا قَطْرَةٌ فِي بَحْرِ، وَفِي غُصُونِ (الْمُسْنَدِ) زِيَادَاتٌ جَمَّةٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ.

قَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ: وَلَهُ -يَعْنِي: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ- مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ: كِتَابُ (نَفْيِ الشَّيْءِ) مُجَلَّدَةٌ، وَكِتَابُ (الْإِمَامَةِ) مُجَلَّدَةٌ صَغِيرَةٌ، وَكِتَابُ (الرَّدِّ عَلَى الزُّنَادِقَةِ) ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ، وَكِتَابُ (الزُّهْدِ) مُجَلَّدٌ كَبِيرٌ، وَكِتَابُ (الرُّسَالَةِ فِي الصَّلَاةِ) - قُلْتُ: هُوَ مَوْضُوعٌ عَلَى الْإِمَامِ -.

قَالَ: وَكِتَابُ (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ) مُجَلَّدَةٌ.

قُلْتُ: فِيهِ زِيَادَاتٌ لِعَبْدِ اللَّهِ؛ ابْنِهِ، وَلَأَبِي بَكْرٍ الْقَطِيعِيِّ؛ صَاحِبِهِ.

وَقَدْ دَوَّنَ عَنْهُ كِبَارُ تَلَامِيذِهِ مَسَائِلَ وَافِرَةً فِي عِدَّةٍ مُجَلَّدَاتٍ،
كَالْمَرْوُذِيِّ، وَالْأَثَرِمِ، وَحَرْبٍ، وَابْنِ هَانِيٍّ، وَالْكَوَسَجِ، وَأَبِي طَالِبٍ،
وَقُورَانَ، وَبَذْرِ الْمَغَازِلِيِّ، وَأَبِي يَحْيَى النَّاقِدِ، وَيُوسُفَ بْنِ مُوسَى
الْحَرَبِيِّ، وَعَبْدُوسَ الْعَطَّارِ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى بْنِ مُشَيْشٍ، وَيَعْقُوبَ بْنَ
بُخْتَانَ، وَمُهَنَّى الشَّامِيِّ، وَصَالِحَ بْنِ أَحْمَدَ، وَأَخِيهِ، وَابْنَ عَمَّهُمَا؛
حَنْبَلٍ، وَأَبِي الْحَارِثِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّائِغِ، وَالْفَضْلَ بْنَ زِيَادٍ، وَأَبِي
الْحَسَنِ الْمِيمُونِيِّ، وَالْحَسَنَ بْنَ ثَوَابٍ، وَأَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيَّ، وَهَارُونَ
الْحَمَّالَ، وَالْقَاضِي أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَرْتِيِّ، وَأَيُّوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ
سَافِرِيٍّ، وَهَارُونَ الْمُسْتَمْلِيَّ، وَبِشْرَ بْنَ مُوسَى، وَأَحْمَدَ بْنَ الْقَاسِمِ -
صَاحِبَ أَبِي عُبَيْدٍ - وَيَعْقُوبَ بْنَ الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيِّ، وَحُبَيْشَ بْنَ سِنْدِيٍّ،
وَأَبِي الصَّفْرِ يَحْيَى بْنَ يَزْدَادَ الْوَرَّاقِ، وَأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى
الْكَحَّالَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ حَبِيبِ الْبَزَّازِ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى النَّهْرَتِيرِيِّ، وَمُحَمَّدَ
ابْنَ أَحْمَدَ بْنَ وَاصِلِ الْمُقْرِئِ، وَأَحْمَدَ بْنَ أَضْرَمَ الْمُزْنِيِّ، وَعَبْدُوسَ
الْحَرَبِيِّ - قَدِيمٌ، عِنْدَهُ عَنْ أَحْمَدَ نَحْوُ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ مَسْأَلَةٍ لَمْ يُحَدِّثْ
بِهَا - وَإِبْرَاهِيمَ الْحَرَبِيَّ، وَأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ بْنِ
بَدِينَا، وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَذِيلِ الْكُوفِيِّ - وَكَانَ يُشَبِّهُونَهُ فِي الْجَلَالَةِ
بِمُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ - وَأَبِي شَيْبَةَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي
شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُطَيَّنِّ، وَجَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ الْوَاسِطِيِّ، وَالْحَسَنَ
ابْنَ عَلِيٍّ الْإِسْكَافِيِّ، وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ بَحْرِ بْنِ بَرِّي الْقَطَّانِ، وَالْحُسَيْنَ

ابن إسحاق التُّسْتَرِيُّ، وَالْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَارِثِ السَّجِسْتَانِيِّ - قَالَ
الْخَلَّالُ: يَقْرُبُ مِنْ أَبِي دَاوُدَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَبَصَرِ الْحَدِيثِ وَالتَّفَقُّهِ -
وَإِسْمَاعِيلَ بْنَ عُمَرَ السَّجَزِيِّ الْحَافِظِ، وَأَحْمَدَ بْنَ الْفُرَاتِ الرَّازِيَّ الْحَافِظَ،
وَوَلَدَهُ سَيِّدَ هَؤُلَاءِ، سَمَّاهُمُ الْخَلَّالُ فِي أَصْحَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، نَقَلُوا
الْمَسَائِلَ الْكَثِيرَةَ وَالْقَلِيلَةَ.

وَجَمَعَ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ سَائِرَ مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَقْوَالِ أَحْمَدَ،
وَفَتَاوِيهِ، وَكَلَامِهِ فِي الْعِلَلِ وَالرِّجَالِ وَالسُّنَنِ وَالْفُرُوعِ، حَتَّى حَصَلَ عِنْدَهُ
مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُوصَفُ كَثْرَةً.

وَرَحَلَ الْخَلَّالُ إِلَى النَّوَاجِي فِي تَحْصِيلِهِ، وَكَتَبَ عَنْ نَحْوِ مِائَةِ
نَفْسٍ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ.

ثُمَّ كَتَبَ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ عَنْ أَصْحَابِ أَصْحَابِهِ، وَبَعْضُهُ عَنْ رَجُلٍ، عَنْ
آخَرَ، عَنْ آخَرَ، عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، ثُمَّ أَخَذَ فِي تَرْتِيبِ ذَلِكَ وَتَهْدِيهِ، وَتَبْوِيهِ.
وَعَمِلَ كِتَابَ (الْعِلْمِ)، وَكِتَابَ (الْعِلَلِ)، وَكِتَابَ (السُّنَةِ)، كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْ الثَّلَاثَةِ فِي ثَلَاثِ مُجَلَّدَاتٍ.

وَيَرْوِي فِي غُضُونِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْعَالِيَةِ عِنْدَهُ، عَنْ أَقْرَانِ أَحْمَدَ
مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَوَكَيْعٍ، وَبَقِيَّةٍ، مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالْإِمَامَةِ وَالتَّقَدُّمِ.
وَأَلَّفَ كِتَابَ (الْجَامِعِ) فِي بَضْعَةِ عَشَرَ مُجَلَّدَةً، أَوْ أَكْثَرَ.

وَقَدْ قَالَ: فِي كِتَابِ (أَخْلَاقِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ) لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عَلِمْتُ

عُنِيَ بِمَسَائِلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَطُّ، مَا عُنِيََتْ بِهَا أَنَا.

وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوُذِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَقُولُ لِي: إِنَّهُ لَمْ يُعْنَ أَحَدٌ بِمَسَائِلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَا عُنِيََتْ بِهَا أَنْتَ، إِلَّا رَجُلٌ بِهِمْدَانٌ، يُقَالُ لَهُ مَتَوِيهٌ، وَاسْمُهُ: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، جَمَعَ سَبْعِينَ جُزْءًا كِبَارًا.

وَمَوْلِدُ الْخَلَّالِ كَانَ فِي حَيَاةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ رَأًهُ وَهُوَ صَبِيٌّ.

زَوْجَانُهُ وَاللَّهُ:

قَالَ زُهَيْرُ بْنُ صَالِحٍ: تَزَوَّجَ جَدِّي بِأُمِّ أَبِي عَبَّاسَةَ، فَلَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْهَا سِوَى أَبِي، ثُمَّ تَزَوَّجَتْ،

ثُمَّ تَزَوَّجَ بَعْدَهَا رِيحَانَةَ -امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ- فَمَا وَلَدَتْ لَهُ سِوَى عَمِّي عَبْدِ اللَّهِ.

قَالَ الْخَلَّالُ: سَمِعْتُ الْمَرْوُذِيَّ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ذَكَرَ أَهْلَهُ، فَتَرَحَّمَ عَلَيْهَا، وَقَالَ: مَكُنَّا عِشْرِينَ سَنَةً، مَا اخْتَلَفْنَا فِي كَلِمَةٍ، وَمَا عَلِمْنَا أَحْمَدَ تَزَوَّجَ ثَالِثَةً.

قَالَ يَعْقُوبُ بْنُ بُخْتَانَ: أَمَرْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَنْ نَشْتَرِيَ لَهُ جَارِيَةً، فَمَضَيْتُ أَنَا وَفُورَانُ، فَتَبِعَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَقَالَ: يَا أَبَا يُوسُفَ، يَكُونُ لَهَا لَحْمٌ.

وَقَالَ زُهَيْرٌ: لَمَّا تُوفِّيتُ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ، اشْتَرَى جَدِّي حُسْنَ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُمَّ عَلِيٍّ زَيْنَبَ، وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ تَوَآمًا، وَمَاتَا بِالْقُرْبِ مِنْ وَلَا دَيْهَمًا، ثُمَّ وَلَدَتْ الْحَسَنَ وَمُحَمَّدًا، فَعَاشَا نَحْوَ الْأَرْبَعِينَ، ثُمَّ وَلَدَتْ بَعْدَهُمَا سَعِيدًا.

قَالَ الْخَلَّالُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ بَحْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ حُسْنَ أُمَّ وَلَدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَقُولُ: قُلْتُ لِمَوْلَايَ: اضْرِبْ فَرْدَ خَلْخَالِي، قَالَ: وَتَطِيبُ نَفْسُكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَبِيعَ بِثَمَانِيَةِ دَنَانِيرَ وَنُصْفٍ، وَفَرَّقَهَا وَقْتَ حَمْلِي. فَلَمَّا وَلَدْتُ حَسَنًا، أُعْطِيَ مَوْلَاتِي كَرَامَةً دِرْهَمًا، فَقَالَ: اشْتَرِي بِهِذَا رَأْسًا.

فَجَاءَتْ بِهِ، فَأَكَلْنَا، فَقَالَ: يَا حُسْنُ، مَا أَمْلِكُ غَيْرَ هَذَا الدَّرْهَمِ.

قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ، فَرِحَ يَوْمَهُ. (١١/٣٣٣)

وَقَالَ يَوْمًا: أُرِيدُ أَحْتَجِمُ، وَمَا مَعَهُ شَيْءٌ، فَبِعْتُ نَصِيفًا مِنْ غَزَلٍ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَيْتُ لَحْمًا بِنُصْفٍ، وَأَعْطَى الْحَجَّامَ دِرْهَمًا.

قَالَتْ: وَاشْتَرَيْتُ طِيًّا بِدِرْهَمٍ.

وَلَمَّا خَرَجَ إِلَى سُرٍّ مَنْ رَأَى، كُنْتُ قَدْ غَزَلْتُ غَزْلًا لَيْنًا، وَعَمِلْتُ ثَوْبًا حَسَنًا، فَلَمَّا قَدِمَ، أَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ، وَكُنْتُ قَدْ أُعْطِيتُ كِرَاءَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا مِنَ الْعَلَّةِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ، قَالَ: مَا أُرِيدُهُ.

قُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، عِنْدِي غَيْرُ هَذَا.

فَدَفَعْتُ الثَّوْبَ إِلَى فُورَانَ، فَبَاعَهُ بِاثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا، وَغَزَلْتُ ثَوْبًا كَبِيرًا، فَقَالَ: لَا تَقْطَعِيهِ، دَعِيهِ، فَكَانَ كَفَنَهُ.

وَكَانَ أَسَنَ بَنِي أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ صَالِحٍ، فَوَلِيَ قَضَاءَ أَصْبَهَانَ، وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، عَنْ نَيْفٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

يُرْوَى عَنْ: أَبِي وَلِيدٍ الطَّيَالِسِيِّ، وَالْكَبَارِ.
 وَخَلَّفَ ابْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا زُهَيْرُ بْنُ صَالِحٍ، مُحَدِّثٌ، ثِقَةٌ، مَاتَ سَنَةَ
 ثَلَاثٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ.
 وَالْآخَرُ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، لَا أَعْلَمُ مَتَى تُوُفِّيَ، يُرْوَى عَنْهُ وَلَدُهُ مُحَمَّدُ
 ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ.
 فَمَاتَ مُحَمَّدٌ هَذَا سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ، كَهَلًا.
 وَأَمَّا الْوَلَدُ الثَّانِي، فَهُوَ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ،
 رَاوِيَةٌ أَبِيهِ، مِنْ كِبَارِ الْأُئِمَّةِ، مَاتَ سَنَةَ تِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، عَنْ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ
 سَنَةً، وَلَهُ تَرْجَمَةٌ أَفْرَدْتُهَا.
 وَالْوَلَدُ الثَّلَاثُ سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ، فَهَذَا وُلِدَ لِأَحْمَدَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسِينَ
 يَوْمًا، فَكَبِرَ وَتَفَقَّهَ، وَمَاتَ قَبْلَ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ.
 وَأَمَّا حَسَنٌ وَمُحَمَّدُ وَزَيْنَبُ، فَلَمْ يَبْلُغْنَا شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، وَانْقَطَعَ
 عَقْبُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِيمَا نَعْلَمُ.
 وَصِيَّةُ أَحْمَدَ:

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْمَرْوُذِيِّ، قَالَ: نَبَّهَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَكَانَ قَدْ
 وَاصَلَ، فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ، فَقَالَ: هُوَ ذَا يُدَارُ بِي مِنَ الْجُوعِ، فَأَطْعِمْنِي شَيْئًا.
 فَجِئْتُهُ بِأَقْلٍ مِنْ رَغِيفٍ، فَأَكَلَهُ.

وَكَانَ يَقُومُ إِلَى الْحَاجَةِ فَيَسْتَرِيحُ، وَيَقْعُدُ مِنْ ضَعْفِهِ، حَتَّى إِنْ كُنْتُ
لِلْأَبْلِ الْخِرْقَةَ، فَيُلْقِيهَا عَلَى وَجْهِهِ لِيَرْجِعَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ بِحَيْثُ إِنَّهُ أَوْصَى،
فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ وَصِيَّتِهِ - نَحْنُ بِالْعَسْكَرِ - وَأَشْهَدُ عَلَى وَصِيَّتِهِ:

(هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَوْصَى أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ). وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ:
مَكَثَ أَبِي بِالْعَسْكَرِ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَرَأَيْتُ مَا قِيَهُ دَخَلْنَا فِي حَدَقَتَيْهِ.

مَرَضُهُ:

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: اسْتَكْمَلْتُ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً،
وَدَخَلْتُ فِي ثَمَانٍ، فَحُمَّ مِنْ لَيْلَتِهِ، وَمَاتَ الْيَوْمَ الْعَاشِرَ.

وَقَالَ صَالِحٌ: لَمَّا كَانَ أَوَّلُ ربيعِ الأولِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ
وَمِائَتَيْنِ، حُمَّ أَبِي لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَاتَ وَهُوَ مَحْمُومٌ، يَتَنَفَّسُ تَنَفُّسًا
شَدِيدًا، وَكُنْتُ قَدْ عَرَفْتُ عِلَّتَهُ، وَكُنْتُ أَمْرُضُهُ إِذَا اعْتَلَّ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا
أَبِي، عَلَى مَا أَفْطَرْتَ الْبَارِحَةَ؟

قَالَ: عَلَى مَاءٍ بَاقِلِي. ثُمَّ أَرَادَ الْقِيَامَ، فَقَالَ: خُذْ بِيَدِي.

فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْخَلَاءِ، ضَعُفَ، وَتَوَكَّأَ عَلَيَّ، وَكَانَ
يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ غَيْرُ مُتَطَبِّبٍ كُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ، فَوَصَفَ لَهُ مُتَطَبِّبٌ قَرْعَةً تُسَوِّى،
وَيُسْقَى مَاءَهَا - وَهَذَا كَانَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، فَمَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ - فَقَالَ:
يَا صَالِحُ. قُلْتُ: لَبَّيْكَ.

قَالَ: لَا تُشَوِّى فِي مَنْزِلِكَ، وَلَا فِي مَنْزِلِ أَخِيكَ.

وَصَارَ الْفَتْحُ بْنُ سَهْلٍ إِلَى الْبَابِ لِيَعُودَهُ، فَحَجَبَتْهُ، وَأَتَى ابْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْجَعْدِ، فَحَبَسَتْهُ، وَكَثُرَ النَّاسُ، فَقَالَ: فَمَا تَرَى؟ قُلْتُ: تَأْذَنُ لَهُمْ، فَيَدْعُونَ لَكَ.

قَالَ: أَسْتَخِيرُ اللَّهَ. فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ أَفْوَاجًا، حَتَّى تَمْتَلِئَ الدَّارُ، فَيَسْأَلُونَهُ، وَيَدْعُونَ لَهُ، وَيَخْرُجُونَ، وَيَدْخُلُ فَوْجٌ، وَكَثُرَ النَّاسُ، وَامْتَلَأَ الشَّارِعُ، وَأَغْلَقْنَا بَابَ الرُّفَاقِ، وَجَاءَ جَارٌ لَنَا قَدْ خَضَبَ، فَقَالَ أَبِي: إِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ يُحْيِي شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ، فَأَفْرَحُ بِهِ.

فَقَالَ لِي: وَجْهٌ فَاشْتَرِ تَمْرًا، وَكَفِّرْ عَنِّي كَفَّارَةً يَمِينٍ. قَالَ: فَبَقِيَ فِي خُرَيْقَتِهِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ.

فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ.

وَقَالَ: اقْرَأْ عَلَيَّ الْوَصِيَّةَ. فَقَرَأْتُهَا، فَأَقْرَأَهَا.

وَكُنْتُ أَنَامُ إِلَى جَنْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ حَاجَةً، حَرَّكَنِي فَأَنَاوِلُهُ، وَجَعَلَ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ، وَلَمْ يَتَنَّنْ إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُوفِّيَ فِيهَا، وَلَمْ يَزَلْ يُصَلِّي قَائِمًا، أُمْسِكُهُ فَيَرْكَعُ وَيَسْجُدُ، وَأَرْفَعُهُ فِي رُكُوعِهِ.

قَالَ: وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ أَوْجَاعُ الْحَضَرِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَزَلْ عَقْلُهُ ثَابِتًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، لِسَاعَتَيْنِ مِنَ النَّهَارِ، تُوفِّيَ.

وَقَالَ المَرُوزِيُّ: مَرَضَ أَحْمَدُ تِسْعَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَ رُبَّمَا أَذِنَ لِلنَّاسِ،
فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِ أَفْوَاجًا، يُسَلِّمُونَ وَيَرُدُّ يَدَيْهِ، وَتَسَامَعِ النَّاسُ وَكَثُرُوا.

وَسَمِعَ السُّلْطَانُ بِكَثْرَةِ النَّاسِ، فَوَكَّلَ السُّلْطَانُ بِيَابِهِ وَبِبَابِ الزُّفَاقِ
الرَّابِطَةَ وَأَصْحَابَ الْأَخْبَارِ، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَ الزُّفَاقِ، فَكَانَ النَّاسُ فِي
الشُّوَارِعِ وَالْمَسَاجِدِ، حَتَّى تَعَطَّلَ بَعْضُ الْبَاعَةِ.

وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ، رُبَّمَا دَخَلَ مِنْ بَعْضِ الدُّوَرِ وَطُرِزَ
الْحَاكِمَةُ، وَرُبَّمَا تَسَلَّقَ، وَجَاءَ أَصْحَابُ الْأَخْبَارِ، فَقَعَدُوا عَلَى الْأَبْوَابِ.
وَجَاءَهُ حَاجِبُ ابْنِ طَاهِرٍ، فَقَالَ: إِنَّ الْأَمِيرَ يُقَرِّئُكَ السَّلَامَ، وَهُوَ
يَسْتَهْيِي أَنْ يَرَاكَ.

فَقَالَ: هَذَا مِمَّا أَكْرَهُ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَعْفَانِي مِمَّا أَكْرَهُ.
قَالَ: وَأَصْحَابُ الْخَبَرِ يَكْتُبُونَ بِخَبَرِهِ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَالْبُرْدُ تَخْتَلِفُ كُلَّ
يَوْمٍ.

وَجَاءَ بَنُو هَاشِمٍ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، وَجَعَلُوا يَبْكُونَ عَلَيْهِ.
وَجَاءَ قَوْمٌ مِنَ الْقُضَاةِ وَغَيْرِهِمْ، فَلَمْ يُؤْذَنَ لَهُمْ.
وَدَخَلَ عَلَيْهِ شَيْخٌ، فَقَالَ: اذْكُرْ وَقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ. فَشَهِقَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ، وَسَالَتْ دُمُوعُهُ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، قَالَ: ادْعُوا لِي
الصَّبِيَّانَ بِلِسَانٍ ثَقِيلٍ.

قَالَ: فَجَعَلُوا يَنْضَمُّونَ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ يَشْمُهُمْ وَيَمْسَحُ رُؤُوسَهُمْ، وَعَيْنُهُ تَدْمَعُ، وَأَدْخَلَتْ تَحْتَهُ الطَّسْتِ، فَرَأَيْتُ بَوْلَهُ دَمًا عَيْطًا، فَقُلْتُ لِلطَّيِّبِ، فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ قَدْ فَتَّتَ الْحُزْنَ وَالْغَمَّ جَوْفَهُ.

وَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَوَضَّأَتْهُ، فَقَالَ: خَلَّلِ الْأَصَابِعَ. فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، ثَقُلَ، وَقُبِضَ صَدْرُ النَّهَارِ، فَصَاحَ النَّاسُ، وَعَلَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْبَكَاءِ، حَتَّى كَأَنَّ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَجَّتْ، وَامْتَلَأَتِ السُّكُكُ وَالشَّوَارِعُ.

الْخَلَّالُ: أَخْبَرَنِي عِصْمَةُ بْنُ عِصَامٍ، حَدَّثَنَا حَنْبَلٌ، قَالَ: أَعْطَى بَعْضُ وَلَدِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ - وَهُوَ فِي الْحَبْسِ - ثَلَاثَ شَعْرَاتٍ، فَقَالَ: هَذِهِ مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. فَأَوْصَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُجْعَلَ عَلَى كُلِّ عَيْنٍ شَعْرَةٌ، وَشَعْرَةٌ عَلَى لِسَانِهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، وَمُطَيِّنٌ، وَغَيْرُهُمَا: مَاتَ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رِبْعِ الْأَوَّلِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ. وَقَالَ ذَلِكَ: الْبُخَارِيُّ، وَعَبَّاسُ الدُّورِيِّ.

الْخَلَّالُ: حَدَّثَنَا الْمَرْوُذِيُّ، قَالَ: أُخْرِجَتِ الْجَنَازَةُ بَعْدَ مُنْصَرَفِ النَّاسِ مِنَ الْجُمُعَةِ.

رَوَى التِّرْمِذِيُّ (١٠٧٤)، وَأَحْمَدُ (٦٥٤٦) مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ سَيْفٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ ﴾ . قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ قَالَ وَهَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِمُتَّصِلٍ رَبِيعَةُ بْنُ سَيْفٍ إِنَّمَا يَرْوِي عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَلَا نَعْرِفُ لِرَبِيعَةَ بْنِ سَيْفٍ سَمَاعًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو . [وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ] .

قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ : وَجَّهَ ابْنُ طَاهِرٍ -يَعْنِي : نَائِبَ بَغْدَادَ- بِحَاجِبِهِ مُظَفَّرٍ، وَمَعَهُ غُلَامَانِ مَعَهُمَا مَنَادِيلُ فِيهَا ثِيَابٌ وَطِيبٌ، فَقَالُوا : الْأَمِيرُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ : قَدْ فَعَلْتُ مَا لَوْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَاضِرَهُ كَانَ يَفْعَلُهُ . فَقُلْتُ : أَقْرِئِ الْأَمِيرَ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَعْفَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِ مِمَّا يَكْرَهُ، وَلَا أُحِبُّ أَنْ أُتْبِعَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ بِمَا كَانَ يَكْرَهُهُ .

فَعَادَ، وَقَالَ : يَكُونُ شِعَارُهُ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ مِثْلَ قَوْلِي . وَقَدْ كَانَ غَزَلْتُ لَهُ الْجَارِيَةَ ثَوْبًا عُشَارِيًّا قَوْمَ بِشْمَانِيَّةٍ وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا، لِيَقْطَعَ مِنْهُ قَمِيصَيْنِ، فَقَطَعْنَا لَهُ لُفَاتَيْنِ، وَأَخَذْنَا مِنْ فُورَانٍ لُفَافَةً أُخْرَى، فَأَدْرَجْنَاهُ فِي ثَلَاثِ لُفَافَةٍ .

وَاشْتَرَيْنَا لَهُ حَنُوطًا، وَفُرْعَ مِنْ غَسْلِهِ، وَكَفَّنَاهُ، وَحَضَرَ نَحْنُ مَائَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَنَحْنُ نُكْفُّهُ، وَجَعَلُوا يُقْبِلُونَ جَبْهَتَهُ حَتَّى رَفَعْنَاهُ عَلَى السَّرِيرِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : صَلَّى عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ، غَلَبْنَا عَلَى

الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، وَقَدْ كُنَّا صَلَّيْنَا عَلَيْهِ نَحْنُ وَالْهَاشِمِيُّونَ فِي الدَّارِ. وَقَالَ صَالِحٌ: وَجَّهَ ابْنُ طَاهِرٍ إِلَيَّ: مَنْ يُصَلِّي عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: أَنَا.

فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى الصَّحَرَاءِ، إِذَا بِابْنِ طَاهِرٍ وَقَفْتُ، فَخَطَا إِلَيْنَا خُطَوَاتٍ، وَعَزَّانَا، وَوَضَعَ السَّرِيرَ، فَلَمَّا انتَظَرْتُ هُنَيْئَةً، تَقَدَّمْتُ، وَجَعَلْنَا نُسَوِّي الصُّفُوفَ، فَجَاءَنِي ابْنُ طَاهِرٍ، فَقَبَضَ هَذَا عَلَى يَدِي، وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ عَلَى يَدِي، وَقَالُوا: الْأَمِيرُ.

فَمَانَعْتُهُمْ، فَتَحَّيَّنِي وَصَلَّى هُوَ، وَلَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْغَدِ، عَلِمُوا، فَجَعَلُوا يَجِئُونَ، وَيُصَلُّونَ عَلَى الْقَبْرِ، وَمَكَثَ النَّاسُ مَا شَاءَ اللَّهُ، يَأْتُونَ فَيُصَلُّونَ عَلَى الْقَبْرِ.

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَاقَانَ: سَمِعْتُ الْمُتَوَكِّلَ يَقُولُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: طُوبَى لَكَ يَا مُحَمَّدُ، صَلَّيْتَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ -.

قَالَ الْخَلَّالُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقَ يَقُولُ: مَا بَلَّغْنَا أَنَّ جَمْعًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا الْإِسْلَامِ مِثْلُهُ - يَعْنِي: مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ - حَتَّى بَلَّغْنَا أَنَّ الْمَوْضِعَ مُسَبَّحٌ وَخُزِرَ عَلَى الصَّحِيحِ، فَإِذَا هُوَ نَحْوُ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ.

وَحَزَرْنَا عَلَى الْقُبُورِ نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ امْرَأَةٍ، وَفَتَحَ النَّاسُ أَبْوَابَ الْمَنَازِلِ فِي الشَّوَارِعِ وَالْدُّرُوبِ، يُنَادُونَ مَنْ أَرَادَ الْوُضُوءَ.

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ الْخُرَاسَانِيُّ: أَخْبَرَنَا بُنَانُ بْنُ أَحْمَدَ الْقَصَبَانِيُّ: أَنَّهُ حَضَرَ جَنَازَةَ أَحْمَدَ، فَكَانَتْ الصُّفُوفُ مِنَ الْمِيدَانِ إِلَى قَنْطَرَةِ بَابِ الْقُطَيْعَةِ.

وَحُزِرَ مَنْ حَضَرَهَا مِنَ الرِّجَالِ بِثَمَانٍ مِائَةِ أَلْفٍ، وَمِنَ النِّسَاءِ بِسِتِّينَ أَلْفٍ امْرَأَةً، وَنَظَرُوا فِيمَنْ صَلَّى الْعَصْرَ يَوْمَئِذٍ فِي مَسْجِدِ الرُّصَافَةِ، فَكَانُوا نِيفًا وَعِشْرِينَ أَلْفًا.

قَالَ مُوسَى بْنُ هَارُونَ الْحَافِظُ: يُقَالُ: إِنَّ أَحْمَدَ لَمَّا مَاتَ، مُسِحَتْ الْأَمَكْنَةُ الْمَبْسُوطَةُ الَّتِي وَقَفَ النَّاسُ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهَا، فَحُزِرَ مَقَادِيرُ النَّاسِ بِالمَسَاحَةِ عَلَى التَّقْدِيرِ سِتُّ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ أَكْثَرَ، سِوَى مَا كَانَ فِي الْأَطْرَافِ وَالْحَوَالِي وَالسُّطُوحِ وَالْمَوَاضِعِ الْمُتَفَرِّقَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ أَلْفٍ. قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ النَّيْسَابُورِيِّ: حَدَّثَنِي فَتْحُ بْنُ الْحَجَّاجِ، قَالَ:

سَمِعْتُ فِي دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ الْأَمِيرِ، أَنَّ الْأَمِيرَ بَعَثَ عِشْرِينَ رَجُلًا، فَحَزَرُوا كَمَ صَلَّى عَلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَحَزَرُوا، فَبَلَغَ أَلْفَ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفًا سِوَى مَنْ كَانَ فِي السُّفُنِ.

رَوَاهَا حُشْنَامُ بْنُ سَعْدٍ، فَقَالَ: بَلَغُوا أَلْفَ أَلْفٍ وَثَلَاثَ مِائَةِ أَلْفٍ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْمُتَوَكَّلَ أَمَرَ أَنْ يُمَسَحَ الْمَوْضِعُ الَّذِي وَقَفَ عَلَيْهِ النَّاسُ

حَيْثُ ضَلِّي عَلَى أَحْمَدَ، فَبَلَغَ مَقَامَ أَلْفِي أَلْفٍ وَخَمْسَةِ مِائَةِ أَلْفٍ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ: بَلَغَنِي عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ:

أَنَّ ابْنَ طَاهِرٍ أَمَرَ أَنْ يُحْزَرَ الْخَلْقُ الَّذِينَ فِي جَنَازَةِ أَحْمَدَ، فَاتَّفَقُوا عَلَى سَبْعِ مِائَةِ أَلْفٍ نَفْسٍ .

قَالَ أَبُو هَمَّامٍ السَّكُونِيُّ: حَضَرْتُ جَنَازَةَ شَرِيكِ، وَجَنَازَةَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ، وَرَأَيْتُ حُضُورَ النَّاسِ، فَمَا رَأَيْتُ جَمْعًا قَطُّ مِثْلَ هَذَا -يَعْنِي: جَنَازَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ- .

قَالَ السُّلَمِيُّ: حَضَرْتُ جَنَازَةَ أَبِي الْفَتْحِ الْقَوَّاسِ مَعَ الدَّارَقُطْنِيِّ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْجَمْعِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَهْلٍ بْنَ زِيَادٍ يَقُولُ:

سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قُولُوا لِأَهْلِ الْبِدْعِ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَوْمَ الْجَنَائِزِ .

قَالَ صَالِحٌ: وَدَخَلَ عَلَى أَبِي مُجَاهِدٍ بْنُ مُوسَى، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، قَدْ جَاءَتْكَ الْبُشْرَى، هَذَا الْخَلْقُ يَشْهَدُونَ لَكَ، مَا تُبَالِي لَوْ وَرَدَتْ عَلَى اللَّهِ السَّاعَةُ، وَجَعَلَ يُقْبَلُ يَدَهُ وَيَبْكِي، وَيَقُولُ: أَوْصِنِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. فَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ .

وَدَخَلَ سَوَّارُ الْقَاضِي، فَجَعَلَ يُبَشِّرُهُ وَيُخْبِرُهُ بِالرُّخْصِ .

وَذَكَرَ عَنْ مُعْتَمِرٍ: أَنَّ أَبَاهُ قَالَ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ: حَدِّثْنِي بِالرُّخْصِ .

وَقَالَ لِي أَبِي: جِئْنِي بِالْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ حَدِيثُ ابْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ طَاوُوسٍ: أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الْأَنِينَ، فَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَتَنَّ إِلَّا لَيْلَةً وَفَاتِهِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ أَبِي: أَخْرَجَ حَدِيثَ الْأَنِينَ. فَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ، فَمَا سَمِعَ لَهُ أَنِينَ حَتَّى مَاتَ.

وَفِي جُزْءِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِمِ الدِّينِ: سَمِعْنَاهُ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ يَقُولُ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي الْوَفَاةَ، جَلَسْتُ عِنْدَهُ وَبِيَدِي الْخِرْقَةُ لِأَشُدَّ بِهَا لَحْيَيْهِ، فَجَعَلَ يَغْرُقُ ثُمَّ يُفِيقُ، ثُمَّ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا لَا بَعْدُ لَا بَعْدُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ، قُلْتُ: يَا أَبَتِ، أَيُّ شَيْءٍ هَذَا الَّذِي لَهَجْتَ بِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟

فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، مَا تَدْرِي؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: إِبْلِيسُ - لَعَنَهُ اللَّهُ - قَائِمٌ بِحَدَائِي، وَهُوَ عَاضٌ عَلَى أُنَامِلِهِ، يَقُولُ: يَا أَحْمَدُ فُتْنِي، وَأَنَا أَقُولُ: لَا بَعْدُ حَتَّى أَمُوتَ. فَهَذِهِ حِكَايَةُ غَرِيبَةٍ، تَفَرَّدَ بِهَا ابْنُ عَلِمٍ - فَاللَّهُ أَعْلَمُ -.

وَقَدْ أَنْبَأَنَا الثَّقَةُ، عَنْ أَبِي الْمَكَارِمِ السَّيِّمِيِّ، أَخْبَرَنَا الْحَدَّادُ، أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: هَلْ عَقَلَ أَبُوكَ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

كُنَّا نُوَضِّئُهُ، فَجَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ، فَقَالَ لِي صَالِحٌ: أَيَّ شَيْءٍ يَقُولُ؟
فَقُلْتُ: هُوَ ذَا يَقُولُ: خَلَّلُوا أَصَابِعِي، فَخَلَّلْنَا أَصَابِعَهُ، ثُمَّ تَرَكَ
الْإِشَارَةَ، فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ.

وَقَالَ صَالِحٌ: جَعَلَ أَبِي يُحَرِّكُ لِسَانَهُ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ.

وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ دَاوُدَ الْأَحْمَسِيِّ، قَالَ: رَفَعْنَا جَنَازَةَ أَحْمَدَ مَعَ الْعَصْرِ،
وَدَفَّنَاهُ مَعَ الْغُرُوبِ.

قَالَ صَالِحٌ: لَمْ يَحْضُرْ أَبِي وَقْتُ غَسْلِهِ غَرِيبٌ، فَأَرَدْنَا أَنْ نُكَفِّنَهُ،
فَعَلَبْنَا عَلَيْهِ بَنُو هَاشِمٍ، وَجَعَلُوا يَبْكُونَ عَلَيْهِ، وَيَأْتُونَ بِأَوْلَادِهِمْ فَيَكْبُونَهُمْ
عَلَيْهِ، وَيَقْبَلُونَهُ، وَوَضَعْنَاهُ عَلَى السَّرِيرِ، وَشَدَدْنَا بِالْعَمَائِمِ.

قَالَ صَالِحٌ: وَبَعْدَ أَيَّامٍ جَاءَ كِتَابُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ إِلَى ابْنِ طَاهِرٍ،
يَأْمُرُهُ بِتَعْرِيتِنَا، وَيَأْمُرُ بِحَمْلِ الْكُتُبِ.

قَالَ: فَحَمَلْتُهَا، وَقُلْتُ: إِنَّهَا لَنَا سَمَاعٌ، فَتَكُونُ فِي أَيْدِينَا وَتُنْسَخُ عِنْدَنَا.

فَقَالَ: أَقُولُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

فَلَمْ يَزَلْ يُدَافِعُ الْأَمِيرَ، وَلَمْ تُخْرَجْ عَنِ أَيْدِينَا - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ -.

وَمِنْ الْمَنَاقِبِ:

وَبِهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطُّهْرَانِيُّ،

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عِيْسَى، عَنْ أَخِي أَبِي عَقِيلٍ، قَالَ: رَأَيْتُ شَابًّا تُؤْفِي بِقُرُوبَيْنِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ بِكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي. وَرَأَيْتُهُ مُسْتَعِجِلًا فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: لِأَنَّ أَهْلَ السَّمَوَاتِ قَدْ اشْتَغَلُوا بِعَقْدِ الْأُلُويَةِ لِاسْتِقْبَالِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَأَنَا أُرِيدُ اسْتِقْبَالَهُ. وَكَانَ أَحْمَدُ تُؤْفِي تِلْكَ الْأَيَّامَ.

أَخْبَرَنَا الْقَوَارِيرِيُّ عُبيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: جَاءَنِي شَيْخٌ، فَخَلَا بِي، فَقَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَاعِدًا، وَمَعَهُ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ، فَقَالَ: عَلَى فُلَانٍ لَعْنَةُ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَعَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَإِنَّهُمَا يَكِيدَانِ الدِّينَ وَأَهْلَهُ، وَيَكِيدَانِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَالْقَوَارِيرِيَّ، وَلَيْسَ يَصِلَانِ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُمَا -إِنْ شَاءَ اللَّهُ-. ثُمَّ قَالَ: أَقْرَأْ أَحْمَدَ وَالْقَوَارِيرِيَّ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُمَا: جَزَاكُمَا اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا وَعَنِ أُمَّتِي.

وَبِهِ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِذُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي دُوَادَ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَيَّامَ الْمِحْنَةِ؛ كَأَنَّ رَجُلًا خَرَجَ مِنَ الْمَقْصُورَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَفُلَانٍ. وَقَالَ: نَسِيتُ اسْمَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَيَّامَ قَتْلِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ، -يَعْنِي: اقْتَدُوا فِي وَقْتِكُمْ هَذَا-.

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَلَّالُ: أَخْبَرَنَا عُبيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّهْرِيُّ، قَالَا: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مِقْسَمٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ أَحْمَدَ

النَّهْأَوْنَدِيِّ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، مَا أَفْضَلَ مَا تَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْكَ الْمُتَقَرَّبُونَ؟ قَالَ: بِكَلَامِي يَا أَحْمَدُ.

قُلْتُ: يَا رَبِّ، بِفَهْمٍ، أَوْ بِغَيْرِ فَهْمٍ؟

قَالَ: بِفَهْمٍ، وَبِغَيْرِ فَهْمٍ.

وَفِي (الْحَلِيقَةِ) بِإِسْنَادٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ خُرَزَادَةَ، قَالَ: رَأَى جَارٌ لَنَا كَأَنَّ مَلَكًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، مَعَهُ سَبْعَةُ تَيْجَانٍ، فَأَوَّلُ مَنْ تَوَجَّعَ مِنَ الدُّنْيَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

أَبُو عُمَرَ بْنُ حَيَّوَيْهِ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الشَّافِعِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا عَزْرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَطَالُوثُ بْنُ لُقْمَانَ، قَالَا: سَمِعْنَا زَكَرِيَّا بْنَ يَحْيَى السُّمَسَارَ يَقُولُ:

رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي الْمَنَامِ، عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مُرَصَّعٌ بِالْجَوْهَرِ، فِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ، وَهُوَ يَخْطُرُ بِهِمَا.

قُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي، وَأَدْنَانِي، وَتَوَجَّعَنِي بِيَدِهِ بِهَذَا التَّاجِ، وَقَالَ لِي: هَذَا بِقَوْلِكَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. قُلْتُ: مَا هَذِهِ الْخَطَرَةُ الَّتِي لَمْ أَعْرِفْهَا لَكَ فِي دَارِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: هَذِهِ مِشْيَةُ الْخُدَّامِ فِي دَارِ السَّلَامِ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْأَنْصَارِيُّ: سَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ بَاخْرَزَ - وَهِيَ مِنْ نَوَاحِي نِسَابُورَ - يَقُولُ:

رَأَيْتُ كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ، وَإِذَا بِرَجُلٍ عَلَى فَرَسٍ بِهِ مِنَ الْحُسْنِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَمُنَادٍ يُنَادِي: أَلَا لَا يَتَقَدَّمَنَّهُ الْيَوْمَ أَحَدٌ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. قَالَ أَبُو عَمَرَ السَّمَاكُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ، قَالَ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: مَا صَنَعَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي. وَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، ضُرِبْتَ فِيَّ. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: هَذَا وَجْهِي، فَاَنْظُرْ إِلَيْهِ، قَدْ أَبْحَثَكَ النَّظَرُ إِلَيْهِ.

وَذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِإِسْنَادٍ طَوِيلٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الرَّمْلِيِّ قَاضِي دِمَشْقَ، قَالَ: دَخَلْتُ الْعِرَاقَ وَالْحِجَازَ، وَكَتَبْتُ، فَمِنْ كَثْرَةِ الْاِخْتِلَافِ لَمْ أَذِرْ بِأَيِّهَا أَخْذُ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي، فَنِمْتُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَعَنْ يَمِينِهِ الشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَهُوَ يَبْتَاسِمُ إِلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِمَ أَخْذُ؟ فَأَوْمَأَ إِلَيَّ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ، وَقَالَ: ﴿أَوَّلَتِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ...﴾ [الأنعام: ٨٩]، وَذَكَرَ الْقِصَّةَ.

أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي دَاوُدَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ السَّجِسْتَانِيُّ، قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ، وَكَأَنَّ النَّاسَ جَاؤُوا إِلَى قَنْطَرَةٍ، وَرَجُلٌ يَخْتِمُ وَيُعْطِيهِمْ، فَمَنْ جَاءَ بِخَاتَمٍ جَازَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُعْطِي النَّاسَ الْخَوَاتِيمَ؟ قَالُوا: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

الخلال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُخَرَّمِيُّ، سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ لَوْلُؤًا يَقُولُ:

رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ مِتَّ؟
قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟
قَالَ: غَفَرَ لِي وَلِكُلِّ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ.
قُلْتُ: فَقَدْ كَانَ فِيهِمْ أَصْحَابُ بَدْعٍ.
قَالَ: أُولَئِكَ أُخْرُوا.

أَبُو بَكْرِ بْنُ شَاذَانَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ أَبِي عِصْمَةَ،
حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا بُنْدَارُ، قَالَ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي
النَّوْمِ كَالْمُغْضَبِ، فَقُلْتُ: مَا لِي أَرَاكَ مُغْضَبًا؟

قَالَ: وَكَيْفَ لَا أَغْضَبُ، وَجَاءَنِي مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، يَسْأَلَانِي مَنْ رَبُّكَ؟
فَقُلْتُ: وَلِمَثْلِي يُقَالُ هَذَا؟

فَقَالَ: صَدَقْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، وَلَكِنْ بِهَذَا أُمِرْنَا.

الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ دُوسٍ بْنِ كَامِلٍ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ
ابْنُ الْفَرَجِ - جَارُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ - قَالَ: لَمَّا نَزَلَ بِأَحْمَدَ مَا نَزَلَ، دَخَلَ
عَلَيَّ مُصِيبَةً، فَأَتَيْتُ فِي مَنَامِي، فَقِيلَ لِي: أَلَا تَرْضَى أَنْ يَكُونَ أَحْمَدُ عِنْدَ
اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ أَبِي السَّوَّارِ الْعَدَوِيِّ، أَوْ لَسْتَ تَرَوِي خَبْرَهُ؟

جَمَاعَةً: سَمِعُوا سَلَمَةَ بْنَ شَيْبٍ يَقُولُ:

كُنَّا جُلُوسًا مَعَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَنْ مِنْكُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؟

فَسَكَتْنَا، فَقَالَ: أَنَا أَحْمَدُ، مَا حَاجَتُكَ؟

قَالَ: صِرْتُ إِلَيْكَ مِنْ أَرْبَعِ مِائَةِ فَرَسَخٍ بَرًّا وَبَحْرًا، جَاءَنِي الْخَضِرُ فِي مَنَامِي، فَقَالَ: تَعْرِفُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: ائْتِ بَغْدَادَ، وَسَلِّ عَنْهُ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ الْخَضِرَ يُقَرِّئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: إِنَّ سَاكِنَ السَّمَاءِ الَّذِي عَلَى عَرْشِهِ رَاضٍ عَنْكَ، وَالْمَلَائِكَةُ رَاضُونَ عَنْكَ بِمَا صَيَّرْتَ نَفْسَكَ لِلَّهِ. فَقَالَ أَحْمَدُ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، أَلَيْكَ حَاجَةٌ غَيْرُ هَذِهِ؟ قَالَ: مَا جِئْتُكَ إِلَّا لِهَذَا، وَانْصَرَفَ.

الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَبَّارُ، حَدَّثَنِي حُبَيْشُ بْنُ أَبِي الْوَرْدِ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا بَالُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ؟

قَالَ: سَيَأْتِيكَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَسَلِّهِ. فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ بُلِي فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَوُجِدَ صَادِقًا، فَأُلْحِقَ بِالصَّادِقِينَ.

وَلَيْسَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِمَّنْ يَحْتَاجُ تَقْرِيرَ وَلَايَتِهِ إِلَى مَنَامَاتٍ، وَلَكِنَّهَا جُنْدٌ مِنَ اللَّهِ، تَسُرُّ الْمُؤْمِنَ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا تَوَاتَرَتْ.

الْخَلَّالُ: أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بِالرَّقَّةِ، حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ السَّنْجَارِيُّ، حَدَّثَنَا الْأَثَرُمُ، سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ فُورَانَ يَقُولُ: رَأَى إِنْسَانٌ رُؤْيَا، قَالَ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقُلْتُ: إِلَى مَا صِرْتَ؟ قَالَ: أَنَا مَعَ الْعَشْرَةِ. قُلْتُ: أَنْتَ عَاشِرُ الْقَوْمِ؟ قَالَ: لَا، أَنَا حَادِي عَشَرَ.

الْخَلَّالُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْوَزَّانُ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَذْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا بُنْدَارُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: رَأَيْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، فَقُلْتُ: إِلَى مَا صِرْتَ؟ قَالَ: إِلَى أَكْثَرِ مِمَّا أَمَلْتُ. فَقُلْتُ: مَا هَذَا فِي كُمِّكَ؟ قَالَ: دُرٌّ وَيَاقُوتٌ، قَدِمْتُ عَلَيْنَا رُوحُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُنْثَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَهَذَا نَصِيْبِي.

الْخَلَّالُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حِصْنٍ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ لَمَّا مَاتَ فَوَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى الشَّاشِ، سَعَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: قُومُوا حَتَّى نُصَلِّيَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ كَمَا صَلَّى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى النَّجَاشِيِّ. فَخَرَجُوا إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفُّوا، فَصَلُّوا عَلَيْهِ. اهـ. مُخْتَصَرًا مِنْ "سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ".

الْشَيْخُ مَرْجِيُّ بْنُ يُوسُفَ صَاحِبُ "الدَّلِيلِ"

قَالَ الْمُجَبِّي فِي "خُلَاصَةِ الْأَثَرِ فِي أَعْيَانِ الْقُرُونِ الْحَادِي عَشَرَ" :

هُوَ الشَّيْخُ مَرْجِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَحْمَدَ الْكَرْمِيِّ نِسْبَةً لِطُورِ كَرْمٍ قَرْيَةٍ بِقُرْبِ نَابُلُسَ ثُمَّ الْمَقْدِسِيِّ، أَحَدُ أَكَابِرِ عُلَمَاءِ الْحَنَابِلَةِ بِمِصْرَ،

كَانَ إِمَامًا مُحَدِّثًا فَقِيهًا ذَا إِطْلَاعٍ وَاسِعٍ عَلَى نَقُولِ الْفِقْهِ وَدَقَائِقِ الْحَدِيثِ وَمَعْرِفَةٍ تَامَّةٍ بِالْعُلُومِ الْمُتَدَاوِلَةِ،

أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْمِرْدَاوِيِّ وَعَنْ الْقَاضِي يَحْيَى الْحَجَّارِيِّ، وَدَخَلَ مِصْرَ وَتَوَطَّنَهَا وَأَخَذَ بِهَا عَنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ حِجَازِيِّ الْوَاعِظِ، وَالْمُحَقِّقِ أَحْمَدَ الْغَنِيمِيِّ وَكَثِيرٍ مِنَ الْمَشَائِخِ الْمِصْرِيِّينَ، وَأَجَازَهُ شَيْخُهُ وَتَصَدَّرَ لِلإِقْرَاءِ وَالتَّدْرِيسِ بِجَامِعِ الْأَزْهَرِ، ثُمَّ تَوَلَّى الْمَشِيخَةَ بِجَامِعِ السُّلْطَانِ حَسَنِ ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْهُ عَصْرِيَّةُ الْعَلَامَةِ إِبْرَاهِيمَ الْمِيمُونِيِّ وَوَقَعَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُفَاوَضَاتِ مَا يَقَعُ بَيْنَ الْأَقْرَانِ،

وَكَانَ مِنْهُمْ عَلَى الْعُلُومِ انْهِمَاكًا كُلِّيًّا فَقَطَعَ زَمَانَهُ بِالْإِفْتَاءِ وَالتَّدْرِيسِ وَالتَّحْقِيقِ وَالتَّصْنِيفِ فَسَارَتْ بِتَأْلِيفِهِ الرُّكْبَانُ وَمَعَ كَثْرَةِ أَضْدَادِهِ وَأَعْدَائِهِ مَا أَمَكَّنَ أَنْ يَطْعَنَ فِيهَا أَحَدٌ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ بَعِينَ الْإِزْرَاءِ إِلَيْهَا، فَبَيْنَمَا كِتَابُ "غَايَةِ الْمُتَهَمَى" فِي الْفِقْهِ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ كُرَّاسًا، وَهُوَ مَتْنٌ جَمَعَ مِنَ الْمَسَائِلِ أَقْصَاهَا وَأَذْنَاهَا مَشَى فِيهِ مَشْيَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي التَّصْحِيحِ وَالِاخْتِيَارِ وَالتَّرْجِيحِ،

وَلَهُ كِتَابٌ "دَلِيلُ الطَّالِبِ" فِي الْفِقْهِ نَحْوُ عَشْرَةِ كَرَارِيسَ، وَ"دَلِيلُ
 الطَّالِبِينَ لِكَلَامِ النَّحْوِيِّينَ"، وَ"إِرْشَادُ مَنْ كَانَ قَصْدُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَحْدَهُ"، وَ"مُقَدِّمَةُ الْخَائِضِ فِي عِلْمِ الْفَرَائِضِ"، وَ"الْقَوْلُ الْبَدِيعُ فِي عِلْمِ
 الْبَدِيعِ"، وَ"أَقَاوِيلُ الثَّقَاتِ فِي تَأْوِيلِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ"، وَ"الآيَاتُ
 الْمُحْكَمَاتُ وَالْمُتَشَابِهَاتُ"، وَ"قُرَّةُ عَيْنِ الْوُدُودِ بِمَعْرِفَةِ الْمُقْصُورِ
 وَالْمَمْدُودِ"، وَ"الْفَوَائِدُ الْمَوْضُوعَةُ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ"،
 وَ"بَدِيعُ الْإِنْشَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الْمُكَاتَبَاتِ وَالْمُرَاسَلَاتِ"، وَ"بَهْجَةُ
 النَّاطِرِينَ فِي آيَاتِ الْمُسْتَدَلِّينَ"، نَحْوُ عِشْرِينَ كُرَّاسًا يَشْتَمِلُ عَلَى الْعَجَائِبِ
 وَالْعَرَائِبِ وَ"الْبُرْهَانُ" فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لَمْ يَتِمَّ، وَ"تَنْوِيرُ بَصَائِرِ الْمُقْلِدِينَ
 فِي مَنَاقِبِ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ"، وَ"الْكَوَاكِبُ الدَّرِّيَّةُ فِي مَنَاقِبِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ"
 وَ"الْأَدِلَّةُ الْوَفِيَّةُ بِتَضْوِيَةِ قَوْلِ الْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ"، وَ"سُلُوكُ الطَّرِيقَةِ فِي
 الْجَمْعِ بَيْنَ كَلَامِ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ"، وَ"رَوْضُ الْعَارِفِينَ وَتَسْلِيكُ
 الْمُرِيدِينَ" وَ"إِيقَافُ الْعَارِفِينَ عَلَى حِكْمِ أَوْقَافِ السَّلَاطِينِ" وَ"تَهْذِيبُ
 الْكَلَامِ فِي حُكْمِ أَرْضِ مِصْرَ وَالشَّامِ"، وَ"تَشْوِيقُ الْأَنَامِ إِلَى الْحَجِّ إِلَى
 بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ" وَ"مُحَرِّكُ سَوَاكِينِ الْعَرَامِ إِلَى حَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ"، وَ
 "قَلَائِدُ الْمَرْجَانِ فِي النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنَ الْقُرْآنِ"، وَ"أَرْوَاحُ الْأَشْبَاحِ
 فِي الْكَلَامِ عَلَى الْأَرْوَاحِ"، وَ"مِرَاةُ الْفِكْرِ فِي الْمَهْدِيِّ الْمُتَنْظَرِ"،
 وَ"إِرْشَادُ ذَوِي الْأَفْهَامِ لِنُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ"، وَ"الرَّوْضُ النَّصِيرِ فِي الْكَلَامِ
 عَلَى الْخَضَرِ"، وَ"تَحْقِيقُ الظُّنُونِ بِأَخْبَارِ الطَّاعُونَ" وَ"مَا يَفْعَلُهُ الْأَطِبَّاءُ"

وَالدَّاعُونَ لِدَفْعِ شَرِّ الطَّاغُوتِ" ، وَ "تَلْخِيصُ أَوْصَافِ الْمُصْطَفَى وَذِكْرُ مَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ" وَ "إِتْحَافُ ذَوِي الْأَلْبَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى يَمْحُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ" ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ فِتَاوَى وَرِسَائِلَ نَافِعَةٍ تَدَاوَلَهَا النَّاسُ .

وَهُوَ الْقَائِلُ :

لَيْنٌ قَلَدَ النَّاسُ الْأَيِّمَةَ إِنَّنِي لَفِي مَذْهَبِ الْحَبْرِ ابْنِ حَنْبَلٍ رَاغِبٌ
أَقْلَدُ فَتَوَاهُ وَأَعَشَقُ قَوْلَهُ وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَغْشَقُونَ مَذَاهِبُ
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمَضَرَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَلْفٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الْشَيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَالِمٍ بْنِ صُويَّانَ

قَالَ الزُّرْكَانِيُّ فِي "الْأَعْلَامِ" :

ابْنُ صُويَّانَ (١٢٧٥ - ١٣٥٣ هـ = ١٨٥٨ - ١٩٣٥ م) :

إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَالِمٍ بْنِ صُويَّانَ ، مِنْ بَنِي زَيْدِ سُكَّانِ شَقْرَاءَ بِنَجْدٍ : فَقِيهٌ ، لَهُ عِلْمٌ بِالْأَنْسَابِ وَاشْتِعَالٌ بِالتَّارِيخِ ، مِنْ أَهْلِ (الرَّسِّ) بِنَجْدٍ ، كَانُوا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي حَلِّ مُعْضَلَاتِهِمْ وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بِهَا ، وَكَانَ مُلَازِمًا لِلْمَسْجِدِ ، وَأَلَفَ كُتُبًا ، مِنْهَا :

(مَنَارُ السَّبِيلِ - مَطْبُوعٌ) مُجَلَّدَانِ فِي شَرْحِ (دَلِيلِ الطَّالِبِ) لِمَرْعِيِّ بْنِ يُوسُفَ الْكَرْمِيِّ ، فِي فَقْهِ ابْنِ حَنْبَلٍ ، وَرِسَالَةٌ فِي (أَنْسَابِ أَهْلِ نَجْدٍ - مَخْطُوطٌ) ، وَرِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ (فِي التَّارِيخِ - مَخْطُوطٌ) فِي الرِّيَاضِ ، ذَكَرَ

فِيهَا بَعْضُ الْغَزَوَاتِ وَالْوَفَيَّاتِ مِنْ سَنَةِ ٧٥٠ هـ إِلَى اسْتِيلَاءِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ آلِ سُعُودٍ عَلَى الرِّيَاضِ سَنَةَ ١٣١٩ هـ، وَ (رَفَعَ الثَّقَابَ عَنْ تَرَاجِمِ الْأَصْحَابِ. أَيِ الْحَنَابِلَةِ - مَخْطُوطٌ). وَكَفَّ بَصْرُهُ عَامَ ١٣٥٠ هـ. ١ هـ.

وَفِي "مَشَاهِيرِ عُلَمَاءِ نَجْدٍ" لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّطِيفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ آلِ الشَّيْخِ:

(ص ٢٢٢): الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ ضُوَيَّانَ:

هُوَ الشَّيْخُ الْعَالِمُ الْفَقِيهُ الْمُؤَرِّخُ النَّسَابَةُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ضُوَيَّانَ، يَمُتُ بِنَسَبِهِ إِلَى قَبِيلَةِ آلِ زُهَيْرٍ الَّتِي تُنسَبُ إِلَى قَبِيلَةِ بَنِي صَخْرٍ.

وُلِدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِمَدِينَةِ الرَّسِّ بِالْقَصِيمِ سَنَةَ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَخَمْسٍ وَسَبْعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَنَشَأَ بِهَا وَقَرَأَ عَلَى عُلَمَائِهَا مِنْهُمْ الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ قُرْنَسٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قُرْنَسٍ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى مَدِينَتَيْ عُنَيْزَةٍ وَبُرَيْدَةٍ بِالْقَصِيمِ فَقَرَأَ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَانِعٍ وَعَلَى الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ سُلَيْمٍ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الرَّسِّ وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بِهَا وَتَدْرِيسَ الْعِلْمِ فِي مَسْجِدِهَا فَتَخَرَّجَ عَلَى يَدَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ شَغَلُوا مَنَاصِبَ الْقَضَاءِ وَالْوَعْظِ وَالتَّدْرِيسِ؛ مِنْهُمْ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُشَيْدٍ.

أَلَفَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ عِدَّةَ مُؤَلَّفَاتٍ:

مِنْهَا رِسَالَةٌ فِي أَنْسَابِ أَهْلِ نَجْدٍ (مَخْطُوطَةٌ)، وَرِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ فِي التَّارِيخِ ابْتِدَاءً مِنْ سَنَةِ ٧٥٠ هـ إِلَى ١٣١٩ هـ ذَكَرَ فِيهَا الْغَزَوَاتِ وَالْوَقَائِعِ

وَالْوَفِيَّاتِ (مَخْطُوطٌ)، وَأَلَّفَ "كَشَفَ النَّقَابِ فِي تَرَاجِمِ الْأَصْحَابِ" ابْتِدَاءً مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ إِلَى وَقْتِهِ (مَخْطُوطٌ)، وَ "مَنَارَ السَّبِيلِ شَرْحَ الدَّلِيلِ"، طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ الشَّيْخِ قَاسِمِ بْنِ دَرْوَيْشٍ فَخْرُو، وَأَلَّفَ "حَاشِيَةً عَلَى الرَّوْضِ الْمُرْبِعِ شَرْحِ زَادِ الْمُسْتَفْنَعِ" (لَا تَرَأَى مَوْجُودَةً بِحَظِّهِ)،

وَكَانَ عَلَى جَانِبِ عَظِيمٍ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالرُّهْدِ وَالْوَرَعِ، تُوفِّيَ فَجَاءَةً فِي لَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ سَنَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ. ﷺ وَغَفَرَ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ إِنَّهُ سَمِعَ مُجِيبٌ. اهـ.

الْمُجْتَهِدُونَ الْكِبَارُ

فِي "الْمَوْسُوعَةِ الْفَقْهِيَّةِ":

طَبَقَاتُ الْمُجْتَهِدِينَ وَالْفُقَهَاءِ:

٣١ - فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ سَنَبُّ طَبَقَاتِ الْمُجْتَهِدِينَ عَلَى سَبِيلِ السَّرْدِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْبَسْطِ، لِأَنَّ بَسْطَ هَذَا الْمَوْضُوعِ تَكْفُلَ بِهِ عِلْمُ تَارِيخِ التَّشْرِيعِ وَكُتُبُ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ. وَقَدْ قَسَمَ الْعُلَمَاءُ الْمُجْتَهِدِينَ إِلَى الطَّبَقَاتِ الْآتِيَةِ:

١ - (الْمُجْتَهِدُونَ الْكِبَارُ):

وَهُمْ أَصْحَابُ الْمَذَاهِبِ الْمَعْرُوفَةِ وَالْمُنْتَدِرَةِ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ لَهُ مَنْهَجُهُ الْخَاصُّ فِي الْاجْتِهَادِ تَأْصِيلاً وَتَفْرِيعاً، كَأَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، الَّتِي يَعْتَقُّهَا الْكَثَرَةُ الْكَائِرَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا.

وَكَانَ يُعَاصِرُ هَؤُلَاءِ أَيْمَةً لَا يَقْلُونَ عَنْهُمْ مَنْزِلَةً - وَإِنْ اُنْذَرْتُ مَذَاهِبَهُمْ
كَأَلَوْزَاعِيٍّ بِالشَّامِ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ بِمِصْرَ، وَابْنِ أَبِي لَيْلَى وَالثَّوْرِيِّ
بِالْعِرَاقِ... إِلَى غَيْرِ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ زَخَرَتْ بِهِمْ كُتُبُ الْخِلَافِ وَالتَّفَاسِيرِ
وَشُرُوحِ الْأَحَادِيثِ وَالْأَثَارِ.

ب - (الْمُجْتَهِدُونَ الْمُتَّبِعُونَ):

وَهُمْ أَصْحَابُ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةِ وَتَلَامِيذُهُمْ.

وَهُمْ يَتَّبِعُونَ مَعَ إِمَامِهِمْ فِي الْقَوَاعِدِ وَالْأُصُولِ. وَقَدْ يَخْتَلِفُونَ مَعَهُ فِي
التَّفْرِيعِ.

وَأَرَادَهُمْ نَعْتَبَرُ مِنَ الْمَذْهَبِ الَّذِي يَتَّبِعُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ رَأْيُهُ
غَيْرَ مَرْوِيِّ عَنْ صَاحِبِ الْمَذْهَبِ كَأَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدٍ وَزُفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ
أَبِي حَنِيفَةَ،

وَكَعْبِدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ وَابْنِ وَهْبٍ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ،

وَكَاثِمُزْنِي الشَّافِعِيِّ. (فِي الْوَافِي بِالْوَقَائِتِ (٣/ ٢٥١) إِسْمَاعِيلُ بْنُ
يَحْيَى أَبُو إِبْرَاهِيمَ الْفَقِيهُ الْمِصْرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْمُزْنِيِّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ ﷺ،
كَانَ زَاهِدًا عَالِمًا مُجْتَهِدًا مُنَاطِرًا مُحْجَا جَا عَوَاصًا عَلَى الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ..)

أَمَّا أَصْحَابُ أَحْمَدَ فَكَانُوا رُؤَاةَ فَقْطَ لِأَحَادِيثِهِ وَآرَائِهِ الْفَقْهِيَّةِ وَلَمْ يُؤَثِّرْ
عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ خَالَفَ إِمَامَهُ فِي أَصْلِ أَوْ فَرْعٍ. وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الْأَثَرُمُ
وَأَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ وَأَبُو إِسْحَاقَ الْحَرَبِيُّ.

ج - (مُجْتَهِدُو الْمَذَاهِبِ):

وَهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ مَعَ أَقْبَتِهِمْ لَا فِي الْأَصُولِ وَلَا فِي الْفُرُوعِ، وَلَكِنْ يُخْرِجُونَ الْمَسَائِلَ الَّتِي لَمْ يَرِدْ عَنِ الْإِمَامِ وَأَصْحَابِهِ رَأْيٌ فِيهَا، مُلْتَزِمِينَ مِنْهُجَ الْإِمَامِ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ. وَرُبَّمَا يُخَالِفُونَ إِمَامَهُمْ فِي الْمَسَائِلِ الْمُبْنِيَّةِ عَلَى الْعُرْفِ. وَيُعْبَرُونَ عَنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ قِبَلِ اخْتِلَافِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ، وَلَكِنْ لِاخْتِلَافِ الْعُرْفِ وَالزَّمَانِ، بِحَيْثُ لَوْ أَطْلَعَ إِمَامُهُمْ عَلَى مَا أَطْلَعُوا عَلَيْهِ لَذَهَبَ إِلَى مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِمْ فِي تَحْقِيقِ الْمَذْهَبِ وَتَثْبِيتِ قَوَاعِيدِهِ وَجَمْعِ شَتَاتِهِ.

د - (الْمُجْتَهِدُونَ الْمُرجَّحُونَ):

وَهَؤُلَاءِ مُهِمَّتُهُمْ تَرْجِيحُ بَعْضِ الرُّوَايَاتِ عَلَى بَعْضٍ، مُرَاعِينَ الْقَوَاعِدَ الَّتِي وَضَعَهَا الْمُتَقَدِّمُونَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ جَعَلُوا هَاتَيْنِ الطَّبَقَتَيْنِ: ج، د طَبَقَةً وَاحِدَةً.

هـ - طَبَقَةُ الْمُسْتَدَلِّينَ:

وَهَؤُلَاءِ لَا يَسْتَنْبِطُونَ وَلَا يُرْجِّحُونَ قَوْلًا عَلَى قَوْلٍ، وَلَكِنْ يَسْتَدِلُّونَ لِلْأَقْوَالِ، وَيُسَيِّئُونَ مَا اعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ، وَيُؤَاوِنُونَ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ مِنْ غَيْرِ تَرْجِيحٍ لِلْحُكْمِ، وَلَا بَيَانٍ لِمَا هُوَ أَجْدَرُ بِالْعَمَلِ.

وَأَنْتَ إِذَا دَقَّقْتَ النَّظَرَ رَأَيْتَ أَنَّ هَذِهِ الطَّبَقَةَ لَا تَقِلُّ قَدْرًا عَنْ سَابِقَتَيْهَا، إِذْ لَا يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ اشْتِغَالُهُمْ بِالْإِسْتِدْلَالِ لِلْأَحْكَامِ لَا يَنْتَهِي إِلَى تَرْجِيحِ

رَأْيٍ عَلَى رَأْيٍ. وَمِنْ هُنَا فَالْأَوَّلَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الطَّبَقَاتُ الثَّلَاثُ مُتَدَاخِلَةً.

٣٢ - وَمِمَّنْ عُدُّوا فِي هَذِهِ الطَّبَقَاتِ الثَّلَاثِ كَمُجْتَهِدِي مَذْهَبٍ، أَوْ مِنْ أَهْلِ التَّرْجِيحِ، أَوْ الْمُسْتَلَبِينَ:

مِنْ الْحَنَفِيَّةِ: أَبُو مَنْصُورِ الْمَاتُرِيدِيُّ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْكَرْخِيُّ، وَالْجَصَّاصُ الرَّازِيُّ، وَأَبُو زَيْدِ الدُّبُوسِيُّ (فِي "تَبْصِيرِ الْمُشْتَبِهِ بِتَحْرِيرِ الْمُشْتَبِهِ": الدُّبُوسِيُّ: الْقَاضِي أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَيْسَى مِنْ كِبَارِ الْحَنَفِيَّةِ نُسِبَ إِلَى دُبُوسِيَّةٍ: بَلَدَةٍ بَيْنَ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ، وَهِيَ بِتَخْفِيفِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ.)، وَشَمْسُ الْأَيْمَةِ الْحُلَوَانِيُّ (فِي "تَبْصِيرِ الْمُشْتَبِهِ بِتَحْرِيرِ الْمُشْتَبِهِ": يَفْتَحُ أَوَّلُهُ - نِسْبَةً إِلَى الْحَلَاوَةِ: شَمْسُ الْأَيْمَةِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ الْبُخَارِيُّ الْحُلَوَانِيُّ، وَيُقَالُ الْحُلَوَانِيُّ بِهَمْزَةٍ بَدَلِ النُّونِ، كَانَ عَالِمَ الشَّرْقِ مَاتَ سَنَةَ ٤٥٦ هـ.)، وَشَمْسُ الْأَيْمَةِ السَّرَخْسِيُّ الْخُ.

وَمِنْ الْمَالِكِيَّةِ: أَبُو سَعِيدِ الْبَرَادِعِيُّ، وَاللَّخْمِيُّ، وَالْبَاجِي، وَابْنُ رُشْدٍ، وَالْمَازِرِيُّ، وَابْنُ الْحَاجِبِ، وَالْقَرَافِيُّ.

وَمِنْ الشَّافِعِيَّةِ: أَبُو سَعِيدِ الْإِصْطَخْرِيُّ، وَالْقَفَّالُ الْكَبِيرُ الشَّاشِيُّ، وَحُجَّةُ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيُّ.

وَمِنْ الْحَنَابِلَةِ: أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ (فِي "الْعَبَرِ فِي خَبَرِ مَنْ عَبَرَ": أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هَارُونَ الْبَغْدَادِيُّ، الْفَقِيهُ الْحَبْرُ الَّذِي أَنْفَقَ عُمُرَهُ فِي جَمْعِ مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَتَضَمِينِهِ، تَفَقَّهَ عَلَى الْمَرْوُذِيِّ، وَسَمِعَ

مِنْ الْحَسَنِ بْنِ عَرَفَةَ وَأَقْرَانِهِ، تُوفِّيَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ٣١١ هـ. وَفِي "سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ" (١٤ / ٢٩٧) وَلَدَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ، أَوْ فِي الَّتِي تَلِيهَا، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَأَى الْإِمَامَ أَحْمَدَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ الْفَقْهَ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَتَلَمَّذَ لِأَبِي بَكْرٍ الْمُرُودِيِّ.، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْخَرَقِيُّ، وَالْقَاضِي أَبُو يَعْلَى الْكَبِيرُ.

[زِيَادَةُ: مِنْ "الْمَذْخَلِ": فَمِنْ طَبَقَةِ الْمُجْتَهِدِينَ بِإِطْلَاقٍ: بَعْدَ إِمَامِ الْمَذْهَبِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٢٤١ هـ) ﷺ تعالى: * الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى الْكَبِيرُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٤٥٨ هـ).

* أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ عُقَيْلٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٥١٣ هـ).

* الْمُوَفَّقُ ابْنُ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٦٢٠ هـ).

* شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٢٨ هـ).

* ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٥١ هـ).

وَمِنْ طَبَقَةِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْمَذْهَبِ فِي الْمُتَقَدِّمِينَ:

الْخَلَّالُ. ت سَنَةَ (٣١١ هـ)،

وَعُلَامُهُ. ت سَنَةَ (٣٦٣ هـ) (فِي "سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ" (٣١ / ١٦٧) غُلَامُ الْخَلَّالِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَغْدَادِيِّ، الشَّيْخُ، الْإِمَامُ، الْعَلَّامَةُ، شَيْخُ الْحَنَابِلَةِ، أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَزَادَةَ الْبَغْدَادِيِّ الْفَقِيهَ، تَلْمِيزُ أَبِي بَكْرٍ الْخَلَّالِ، وَلَدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَتَيْنِ.،

وَالْخِرَقِيُّ. ت سنة (٣٣٤هـ)،

وَالْبَرْبَهَارِيُّ. ت (٣٢٩هـ)،

وَابْنُ الْمُسْلِمِ. ت سنة (٣٨٧هـ)،

وَحَاتِمَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ الْحَسَنُ بْنُ حَامِدٍ. ت سنة (٤٠٣هـ). وَغَيْرُهُمْ
مِمَّنْ مَضَى ذِكْرُهُمْ فِي طَبَقَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ.

وَفِي طَبَقَةِ الْمُتَوَسِّطِينَ مِنْ مُجْتَهِدِي الْمَذْهَبِ: جُلُّ آلِ أَبِي يَعْلَى،
وَجُلُّ الْبُيُوتَاتِ الْآتِيَةِ: آلُ قُدَّامَةَ الْمَقَادِسَةِ، وَآلُ تَيْمِيَّةَ، وَآلُ مُفْلِحٍ،
وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْبُيُوتَاتِ الْحَنْبَلِيَّةِ].

وَبِالرَّجُوعِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ نَجِدُ أَنَّ الْمُؤَرِّخِينَ اخْتَلَفُوا فِي
تَقْدِيرِهِمْ وَفِي طَبَقَاتِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ لَهُمْ قَدَمٌ صَدِيقٌ
فِي تَثْبِيتِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَلَهُمْ الْأَثَرُ الْبَعِيدُ فِي بَقَائِهَا وَتَثْبِيتِ أَرْكَانِهَا.

٣٣ - الْمُفْلَحُونَ: وَهَؤُلَاءِ لَيْسَ لَهُمْ اجْتِهَادٌ، وَإِنَّمَا عَمَلُهُمْ فِي قُوَّةِ
النَّقْلِ. وَهُمْ طَبَقَتَانِ:

طَبَقَةُ الْحَفَاطِ، وَطَبَقَةُ الْإِتْبَاعِ الْمَجَرَّدِ.

١ - (طَبَقَةُ الْحَفَاطِ): هُمُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ أَكْثَرَ أَحْكَامِ الْمَذْهَبِ وَرِوَايَاتِهِ،

وَهُمْ حُجَّةٌ فِي النَّقْلِ لَا فِي الْاجْتِهَادِ، فَهُمْ حُجَّةٌ فِي نَقْلِ الرِّوَايَاتِ، وَبَيَانِ
أَوْضَحِهَا، وَنَقْلِ أَقْوَى الْأَرَآءِ تَرْجِيحًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُرْجَّحُوا.

وَيَقُولُ فِيهِمْ ابْنُ عَابِدِينَ: وَإِنَّهُمْ الْقَادِرُونَ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَقْوَى

وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، وَظَاهِرُ الرِّوَايَةِ وَظَاهِرُ الْمَذْهَبِ وَالرِّوَايَةِ النَّادِرَةُ، كَأَصْحَابِ الْمُتُونِ الْمُعْتَبَرَةِ كَصَاحِبِ الْكَتْرِ وَصَاحِبِ تَنْوِيرِ الْأَبْصَارِ وَصَاحِبِ الْوَقَايَةِ وَصَاحِبِ الْمَجْمَعِ. وَشَأْنُهُمْ أَلَّا يَنْقُلُوا فِي كُتُبِهِمُ الْأَقْوَالَ الْمَرْدُودَةَ وَالرِّوَايَاتِ الضَّعِيفَةَ، وَعَلَى هَذَا لَا يَكُونُ عَمَلُهُمُ التَّرْجِيحَ، وَلَكِنْ مَعْرِفَةَ دَرَجَاتِ التَّرْجِيحِ وَتَرْتِيبِهَا عَلَى حَسَبِ مَا قَامَ بِهِ الْمُرْجِحُونَ، وَيَخْتَلِفُونَ حَيْثُ فِي نَقْلِ التَّرْجِيحِ، فَقَدْ يَنْقُلُ بَعْضُهُمْ تَرْجِيحَ رَأْيٍ عَلَى رَأْيٍ، وَيَنْقُلُ الْآخَرُ خِلَافَ ذَلِكَ، فَيَخْتَارُ مِنْ أَقْوَالِ الْمُرْجِحِينَ أَقْوَاهَا تَرْجِيحًا وَأَكْثَرَهَا اعْتِمَادًا عَلَى أَصُولِ الْمَذْهَبِ، أَوْ مَا يَكُونُ أَكْثَرَ عَدَدًا، أَوْ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ أَكْثَرَ حُجَّةً فِي الْمَذْهَبِ. وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حَقُّ الْإِفْتَاءِ كَالسَّابِقِينَ، وَلَكِنْ فِي دَائِرَةِ ضَيْقَةٍ عَنِ الْأَوَّلِينَ. وَقَدْ قَالَ فِيهِمْ ابْنُ عَابِدِينَ: وَلَا شَكَّ أَنَّ مَعْرِفَةَ رَاجِحِ الْمُخْتَلِفِ مِنْ مَرْجُوحِهِ وَمَرَاتِبِهِ قُوَّةٌ وَضَعْفًا هُوَ نِهَايَةُ مَالِ الْمُشْمِرِينَ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ. فَالْمَفْرُوضُ عَلَى الْمُفْتِيِّ وَالْقَاضِيِ التَّثَبُّتُ فِي الْجَوَابِ، وَعَدَمُ الْمُجَازَفَةِ فِيهِ، خَوْفًا مِنَ الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِتَحْلِيلِ حَرَامِهِ وَتَحْرِيمِ ضِدِّهِ. وَنَرَى أَنَّ هَذِهِ الطَّبَقَةَ دَرَأَتْهَا دِرَاسَةُ جَمْعٍ وَتَضْنِيفٍ وَتَرْتِيبٍ لِلْأَقْوَالِ فِي الْمَذْهَبِ مِنْ حَيْثُ صِحَّةُ نَقْلِهَا، لَا مِنْ حَيْثُ قُوَّةُ دَلِيلِهَا.

ب - (الْمُتَّبِعُونَ): نَقَصِدُ بِهِؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ غَيْرَهُمْ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَذْهَبِ، فَيَتَّبِعُونَ مَنْ سَبَقَهُمْ فِي الْاجْتِهَادِ، وَفِي التَّرْجِيحِ بَيْنَ الْأَرَآءِ، وَفِي الْاسْتِدْلَالِ، وَفِي التَّرْجِيحِ فِي النُّقْلِ وَفِي سَلَامَتِهِ.

فَهَؤُلَاءِ لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا فَهْمُ الْكُتُبِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى التَّرْجِيحِ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ التَّرْجِيحَ بَيْنَ الرُّوَايَاتِ، وَلَمْ يُؤْتُوا عِلْمًا كَعِلْمِ الْمُرْجِّحِينَ فِي أَيِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ التَّرْجِيحِ، وَتَمَيِّزِ دَرَجَاتِ التَّرْجِيحِ.

وَهَؤُلَاءِ قَالَ فِيهِمْ ابْنُ عَابِدِينَ: لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْغُثِّ وَالسَّهْمِ، وَلَا يُمَيِّزُونَ الشَّمَالَ مِنَ الْيَمِينِ، بَلْ يَجْمَعُونَ مَا يَجِدُونَ كَحَاطِبِ لَيْلٍ، فَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ قَلَدَهُمْ. وَإِنَّ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ قَدْ كَثُرَ فِي الْعُصُورِ الْأَخِيرَةِ، فَهُمْ يَعْكُفُونَ عَلَى عِبَارَاتِ الْكُتُبِ، لَا يَتَّجِهُونَ إِلَّا إِلَى الْإِلْتِقَاطِ مِنْهَا، مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لَتَعْرِفَ دَلِيلَ مَا يَلْتَقِطُونَ، وَيَبْنُونَ عَلَيْهِ، بَلْ يَكْتُمُونَ بِأَنْ يَقُولُوا: هُنَاكَ قَوْلٌ بِهَذَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ دَلِيلٌ قَوِيٌّ. وَلَقَدْ كَانَ لِهَذَا الْفَرِيقِ أَثَرَانِ مُخْتَلِفَانِ:

أَحَدُهُمَا: خَيْرٌ، وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْقَضَاءِ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الْقَضَاءُ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِالرَّاجِحِ مِنَ الْمَذْهَبِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ عَمَلُهُمُ الْإِتِّبَاعُ لِهَذَا الرَّاجِحِ، وَفِي ذَلِكَ ضَبْطٌ لِلْقَضَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فُرْطًا. وَتَقْيِيدُ الْقَضَاءِ فِي الْأَزْمَانِ الَّتِي تَنَحَرَفُ فِيهَا الْأَفْكَارُ وَاجِبٌ، بَلْ إِنَّ الْإِتِّبَاعَ لَا يَكُونُ حَسَنًا إِلَّا فِي الْأَحْكَامِ الْقَضَائِيَّةِ.

الْأَثَرُ الثَّانِي: أَنَّ هَذَا فِيهِ تَقْدِيسٌ لِأَقْوَالِ الْفُقَهَاءِ السَّابِقِينَ، وَاعْتِبَارُ أَقْوَالِهِمْ حُجَّةٌ سَائِغَةٌ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى قُوَّةِ الدَّلِيلِ، وَمَقْدَارِ صِلَةِ الْقَوْلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى صِلَاتِهِ لِلتَّطْيِيقِ، وَقَدْ اخْتَلَطَ الْحَابِلُ

بِالنَّابِلِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا أَثَرٌ فِي الْبَيِّنَاتِ الَّتِي تُحَاوَلُ أَنْ تَجِدَ مُسَوِّغًا لِمَا تَفْعَلُ ، فَيَسَارِعُ الْمُرَاءُونَ الْمُتَمَلِّقُونَ إِلَى تَبْرِيرِ أَفْعَالِ بَعْضِ ذَوِي النُّفُوزِ ، بِذِكْرِ أَقْوَالٍ شَادَّةٍ ، فَيَتَعَلَّقُ هَؤُلَاءِ بِأَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ أَجَازُوا مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ ، وَمَا ارْتَكَبُوهُ مِنْ أَفْعَالٍ ، أَيًّا كَانَ قَائِلُهُ ، وَأَيًّا كَانَتْ حُجَّتُهُ بَلْ أَيًّا كَانَتْ سَلَامَةُ نَفْلِهِ أَوْ قُوَّتُهُ فِي الْمَذْهَبِ الَّذِي دُونَهُ فِي كُتُبِهِ ، ثُمَّ يَنْشُرُ هَؤُلَاءِ الْمُتَمَلِّقُونَ ذَلِكَ نَثْرًا فِي الْمَجَالِسِ ، مُبَاهَاةً بِكَثْرَةِ الْعِلْمِ . فَالْوَيْلُ لَهُؤُلَاءِ ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ قَلَّدَهُمْ ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَأْخُذُ كَلَامَهُ حُجَّةً فِي الدِّينِ ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ يُشَجِّعُهُمْ .

٣٤ - فِي عُصُورِ الْاجْتِهَادِ الْمُخْتَلِفَةِ ، سَوَاءً أَكَانَ مُطْلَقًا أَمْ مُقَيَّدًا ، بَلْ وَفِي عُصُورِ الثَّقَلِيدِ ، لَمْ نَجِدْ أَحَدًا مِنَ الْمُشْتَغِلِينَ بِالْفِقْهِ اعْتَمَدَ فِي اسْتِنْبَاطِ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ عَلَى غَيْرِ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَلَمْ يَنْجِ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى الْأَخْذِ مِنَ الْقَانُونِ الرُّومَانِيِّ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْقَوَانِينِ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً فِي الْبِلَادِ الْمَفْتُوحَةِ . وَعَلَى الَّذِينَ يُسَكُّونَ فِي أَنَّ فَقَهَاءَنَا قَدْ اعْتَمَدُوا عَلَى الْقَانُونِ الرُّومَانِيِّ فِي اسْتِنْبَاطِهِمْ أَنْ يَدُلُّونَا عَلَى حُكْمٍ وَاحِدٍ اعْتَمَدُوا فِيهِ عَلَى هَذَا الْقَانُونِ أَوْ غَيْرِهِ ، فَإِنْ وَجَدَ حُكْمٌ مُطَابِقٌ لِمَا فِي الْقَانُونِ الرُّومَانِيِّ فَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّهُ مُسْتَنْبَطٌ مِنْهُ ، بَلْ هُوَ مِمَّا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْفِطْرُ السَّلِيمَةُ ، وَمِنْ الْمَسَائِلِ الَّتِي لَمْ تَخْتَلِفْ بِاخْتِلَافِ الْعُصُورِ وَالْأَزْمَانِ . وَعِنْدَ النَّظَرِ فِي مَصْدَرِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ - إِنْ وَجَدَتْ - سَنَجِدُ أَنَّهَا مُعْتَمَدَةٌ عَلَى أَصْلِ شَرْعِيٍّ .

مِنْ أَعْلَامِ عُلَمَاءِ الْمَذْهَبِ الْحَنْبَلِيِّ

مِنْ كِتَابِ الْمَذْخَلِ الْمُفْصَّلِ لِلْعَلَامَةِ الشَّيْخِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو زَيْدٍ:
 * ابْنُ قُدَامَةَ (٥٦٢٠هـ): * الْمُؤَوَّقُ. * الْمُؤَوَّقُ بْنُ قُدَامَةَ. * صَاحِبُ
 الْمُغْنِيِّ. * فِي "الْمُغْنِيِّ" لِأَبِي مُحَمَّدٍ. * أَبُو مُحَمَّدٍ * أَبُو مُحَمَّدٍ فِي
 "الْمُغْنِيِّ". * الْمُصَنَّفُ. * الشَّيْخُ. * شَيْخُنَا. * شَيْخُ الْإِسْلَامِ. * شَيْخُ
 الْمَذْهَبِ. هذه الأربعة تأتي في محلها من حرف: الشين.

كل هذه إطلاقاتٍ لِعَلَمٍ واحدٍ من أعلام المذهب، هو: أَبُو مُحَمَّدٍ
 مُؤَوَّقُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ
 (٥٦٢٠هـ) وَاسِطَةُ الْعِقْدِ [العقد]: بِالنَّكْسِرِ الْفِلَادَةُ وَوَأَسِطَتُهَا أَفْضَلُهَا وَأَشْرَفُهَا [فِي
 طَبَقَةِ الْمُتَوَسِّطِينَ وَشَيْخُ الْمَذْهَبِ فِي زَمَانِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

* ابْنُ أَبِي عُمَرَ، الشَّمْسُ ابْنُ قُدَامَةَ، الشَّارِحُ، صَاحِبُ "الشَّرْحِ"،
 "الشَّرْحِ"، فِي "الشَّرْحِ".

مَتَى أُطْلِقَ وَاحِدٌ مِنْهَا، فَيُرَادُ بِهِ: أَبُو مُحَمَّدٍ شَمْسُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 ابْنُ الشَّيْخِ أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيِّ: ت سَنَةَ (٦٨٢هـ)
 صَاحِبُ "الشَّرْحِ الْكَبِيرِ" عَلَى كِتَابِ عَمِّهِ الْمُؤَوَّقِ: "الْمُقَنَّنِ" الْمُتَوَفَّى
 سَنَةَ (٥٦٢٠هـ). وَيَضْطَلِحُونَ عَلَى كِتَابِهِ بِاسْمِ: "الشَّرْحِ"، فِي "الشَّرْحِ".
 * ابْنُ تَيْمِيَّةَ: تَقِيُّ الدِّينِ. تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ. أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ.
 الشَّيْخُ. الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ. * شَيْخُ الْإِسْلَامِ. شَيْخُنَا.

اضْطَلَحَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي حَقِّ شَيْخِ الْإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ
الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ النَّمِيرِيِّ، الْحَرَّانِيِّ، ثُمَّ الدَّمَشْقِيِّ. ت. سَنَةِ (٥٧٢٨هـ) -
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-. وَلَهُ مَعَ غَيْرِهِ: الشَّيْخَانِ.

وَلِكُنْهِ بِلَفْظٍ: * الْفَتَاوَى. الْمَجْمُوعِ. * مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى. الْفَتَاوَى
الْمُضَرِّيَّةِ. مَجْمُوعِ فَتَاوَى ابْنِ تَيْمِيَّةَ.

* أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ: * أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ فِي "الشَّافِي". * غُلَامُ
الْخَلَالِ. * غُلَامُ الْخَلَالِ فِي "الشَّافِي". * قَالَهُ فِي "الشَّافِي". كل هذه
الإطلاقات لِغُلَامٍ وَاحِدٍ، هُوَ: أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ جَعْفَرِ الْبَغْدَادِيِّ،
الْمَعْرُوفُ بِغُلَامِ الْخَلَالِ. ت. سَنَةِ (٥٣٦٣هـ) لَهُ: كِتَابٌ: "الشَّافِي" فِي
الْفَقْهِ، وَهُوَ أَوَّلُ كِتَابٍ بِهَذَا الْاسْمِ فِي الْمَذْهَبِ، فِي نَحْوِ ثَمَانِينَ جُزْءًا.

* أَبُو يَعْلَى الْكَبِيرُ (٥٤٥٨هـ): مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْفَرَّاءِ، لُقِّبَ بِالْكَبِيرِ
لَأَنَّهُ جَدُّ الْحَنَابِلَةِ مِنْهُمْ فَهُوَ أَوَّلُ حَنْبَلِيٍّ مِنْ أَهْلِهِ، وَلِلتَّفْرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْحَفِيدِ أَبِي يَعْلَى الصَّغِيرِ. وَيَأْتِي.

وَأَبُو يَعْلَى: كُنْيَةُ لِلْقَاضِي: مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْفَرَّاءِ. فَلَا تَنْصَرِفُ عِنْدَ
الْإِطْلَاقِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْحَابِ. * الْفَرَّاءُ: وَيُقَالُ: ابْنُ الْفَرَّاءِ: وَهُمَا
شُهْرَتُهُ. * الْقَاضِي: وَيُقَالُ: الْقَاضِي الْكَبِيرُ، وَيَأْتِي فِي حَرْفِ الْقَافِ. *
شَيْخُنَا: انْظُرْهُ فِي حَرْفِ الشُّينِ. * شَيْخُ الْمَذْهَبِ: انْظُرْهُ فِي حَرْفِ الشُّينِ.
* الْوَالِدُ السَّعِيدُ: مِنْ اضْطِلَاحِ ابْنِهِ فِي: "الطَّبَقَاتِ". كُلُّ هَذِهِ إِطْلَاقَاتٌ

لَعَلَّم وَاحِدٌ هُوَ: الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى، مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلْفِ ابْنِ أَحْمَدَ الْبَغْدَادِيِّ الْفَرَّاءِ، وَيُقَالُ: ابْنُ الْفَرَّاءِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٥٤٥هـ) - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

وهو رئيس الطبقة المتوسطة من علماء المذهب، وتقدمت البيانات عنه هناك فلتنظر.

* أَبُو يَعْلَى الصَّغِيرُ تُوْفِيَ سَنَةَ (٥٦٠هـ) . :

هو حفيد القاضي أبي يعلى الكبير - الجَدِّ - نعتَه بذلك ابن رجب، فقال: "محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء، القاضي "أبو يعلى الصغير" ويلقب عماد الدين ابن القاضي أبي خازم ابن القاضي الكبير أبي يعلى شيخ المذهب في وقته" . توفي سنة (٥٦٠هـ) .

فالمراد بِأَبِي يَعْلَى الصَّغِيرِ: محمد بن محمد أبي خازم بن محمد أبي يعلى الكبير، فهو حفيده.

ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ أَبَا يَعْلَى الْكَبِيرِ الْقَاضِي لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْنَاءٍ وَهُمْ: عبيد الله أبو الْقَاسِمِ،

ومحمد أبو الحسين القاضي الشهيد. ت سنة (٥٢٦هـ) صاحب الطبقات، ومحمد أبو خازم، ت سنة (٥٢٧هـ) .

وَ "أَبُو يَعْلَى الصَّغِيرُ" ابْنُ مُحَمَّدٍ أَبِي خَازِمٍ، فَهُوَ حُفِيدُ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى الْكَبِيرِ.

قال ابن مانع - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ -: "وأبو يعلى الكبير جد أبي يعلى الصغير، المتوفى سنة (٥٦٠هـ) : محمد ابن محمد أبي خازم بن محمد بن الفراء صاحب المؤلفات الكثيرة، أثنى عليه تلميذه الإمام ابن الجوزي، المتوفى سنة (٥٩٧هـ) - رحمه الله تعالى -".

وَقَالَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ فِي "تَارِيخِ الْإِسْلَامِ" :

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْفَرَّاءِ. الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى الصَّغِيرُ، شَيْخُ الْحَنَابِلَةِ. تَفَقَّهَ عَلَى : أَبِيهِ، وَعَمِّهِ الْقَاضِي أَبِي الْحُسَيْنِ.

وكان من أنبل الفقهاء وأنظرهم وأفصحهم.

وفي سنة ثمان وعشرين زكي، ثم بعد ذلك ولي قضاء واسط، فبقي بها مدة، ثم عزل عن القضاء والعدالة، ولزم العلم والمقام بمنزلة إلى أن توفي وقد أسن.

سمع: الحسن بن محمد التكمي، وأبا الحسن بن العلاف، وأبا الغنائم بن النرسي.

روى عنه: أبو الفتح المندائي، وأبو محمد بن الأخضر، وغيرهما. وتوفي في ربيع الآخر ببغداد، وله ست وستون سنة. والأصح أنه توفي في خامس جمادى الأولى، وقد درس وأفتى وأفاد وتخرج به خلق. وكانت جنازته مشهودة.

مَقَدِّمَاتُ فِقْهِيَّةٍ

قَالَ مُحَمَّدٌ عَلَاءُ الدِّينِ الْحَضَكْفِيُّ فِي "الدُّرِّ الْمُخْتَارِ" :

[شَرَحَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَمِينُ (ابْنُ عَابِدِينَ) الْحَنْفِيُّ فِي "رَدِّ الْمُخْتَارِ" :

مُقَدِّمَةٌ: حَقٌّ عَلَى مَنْ حَاوَلَ عِلْمًا أَنْ يَتَصَوَّرَهُ بِحَدِّهِ أَوْ رَسْمِهِ، وَيَعْرِفَ مَوْضُوعَهُ وَغَايَتَهُ وَاسْتِمْدَادَهُ.

ثَالِثَةٌ لَعَنَهُ: الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ، ثُمَّ خُصَّ بِعِلْمِ الشَّرِيعَةِ،

وَقَبِيحَةٌ بِالْكَسْرِ فِيهَا عِلْمٌ، وَقَفَّةٌ بِالضَّمِّ فَقَاهَةٌ صَارَ فِقْهِيًّا.

وَاصْطِلَاحًا: عِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ: (الْعِلْمُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفُرْعِيَّةِ الْمُكَتَسَبِ مِنْ أَدِلَّتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ).

وَعِنْدَ الْفُقَهَاءِ: (حِفْظُ الْفُرُوعِ وَأَقْلُهُ ثَلَاثٌ).

وَعِنْدَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ: (الْجَمْعُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ).

لِقَوْلِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: (إِنَّمَا الْفَقِيهُ الْمُعْرِضُ عَنِ الدُّنْيَا، الرَّاهِدُ فِي الْآخِرَةِ، الْبَصِيرُ بِمُيُوبِ نَفْسِهِ).

وَمَوْضُوعُهُ: (فِعْلُ الْمُكَلِّفِ ثُبُوتًا أَوْ سَلْبًا).

وَاسْتِمْدَادُهُ: مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ.

وَعَايَتُهُ: الْفُورُ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ.

وَأَمَّا فَضْلُهُ: فَكَثِيرٌ شَهِيرٌ، [وَمِنْهُ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ مُعَاوِيَةَ ؓ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ﴾]
وَتَعْلَمُ الْفِقْهُ أَفْضَلُ مَنْ تَعْلَمُ بَاقِيَ الْقُرْآنِ وَجَمِيعِ الْفِقْهِ لَا بُدَّ مِنْهُ.
وَقِيلَ:

إِذَا مَا اغْتَرَزَ ذُو عِلْمٍ بِعِلْمٍ فَعِلْمُ الْفِقْهِ أَوْلَى بِاغْتِرَازِ
فَكَمِ طِيبٍ يَفُوحُ وَلَا كَوْمِسِكٍ وَكَمِ طَيْرٍ يَطِيرُ وَلَا كَبَازِي
وَقَدْ مَدَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَسْمِيَّتِهِ خَيْرًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى - ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٦٦﴾﴾
[البقرة: ٢٦٩] -

وَقَدْ فَسَّرَ الْحِكْمَةَ زُمرَةُ أَرْبَابِ التَّفْسِيرِ بِعِلْمِ الْقُرْوَاعِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْفِقْهِ.
وَمِنْ كَلَامِ عَلِيِّ ؓ :

مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ
وَوَزُنَ كُلُّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَقُرْ بِعِلْمٍ وَلَا تَجْهَلْ بِهِ أَبَدًا النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
وَقَدْ قِيلَ: الْعِلْمُ وَسِيلَةٌ إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ، الْعِلْمُ يَرْفَعُ الْمَمْلُوكَ إِلَى
مَجَالِسِ الْمُلُوكِ، لَوْلَا الْعُلَمَاءُ لَهَلَكَ الْأَمْرَاءُ. وَإِنَّمَا الْعِلْمُ لِأَرْبَابِهِ وَلَايَةٌ
لَيْسَ لَهَا عَزْلٌ إِنَّ الْأَمِيرَ هُوَ الَّذِي يَضْحَى أَمِيرًا عِنْدَ عَزْلِهِ إِنْ زَالَ سُلْطَانُ
الْوِلَايَةِ كَانَ فِي سُلْطَانٍ فَضْلِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَمِينُ (ابْنُ عَابِدِينَ) الْحَنَفِيُّ فِي "رَدِّ الْمُخْتَارِ" عَلَى
"الدَّرِّ الْمُخْتَارِ" لِلْحَضَكْفِيِّ:

(قَوْلُهُ: مُقَدِّمَةٌ) بِالرَّفْعِ خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ: أَي هَذِهِ مُقَدِّمَةٌ أَوْ
بِالنَّصْبِ مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مَحذُوفٍ: أَي خُذْ مُقَدِّمَةً، وَهِيَ بِكُسْرِ الدَّالِ كَمَا
صَرَّحَ بِهِ فِي "الْفَائِقِ"،

فَهِيَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ قَدَّمَ الْمُتَعَدِّي: أَي مُقَدِّمَةٌ مِنْ فَهَمَهَا عَلَى غَيْرِهِ لِمَا
اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ تَعْرِيفِ الْفَقْهِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا، وَمَوْضُوعِهِ وَاسْتِمْدَادِهِ
وَمَحْظُورِهِ وَمُبَاحِهِ وَفَضْلِ الْعِلْمِ وَتَعَلُّمِهِ وَتَرْجَمَةِ الْإِمَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ،
وَإِنَّمَا مِنَ اللَّازِمِ بِمَعْنَى تَقَدَّمَ: أَي مُتَقَدِّمَةٌ بِذَاتِهَا عَلَى غَيْرِهَا،

وَيَجُوزُ فَتَحُ الدَّالِ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنَ الْمُتَعَدِّي: أَي قَدَّمَهَا أَرْبَابُ الْعُقُولِ
عَلَى غَيْرِهَا لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ صِفَةٌ ثُمَّ جُعِلَتْ اسْمًا
لِلطَّائِفَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنَ الْجَيْشِ، ثُمَّ نُقِلَتْ إِلَى أَوَّلِ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ جُعِلَتْ
اسْمًا لِلْأَلْفَافِ الْمَخْصُوصَةِ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً إِنْ لُوْحِظَ أَنَّهَا فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ
الْمَفْهُومِ الْكُلِّيِّ، أَوْ مَجَازًا إِنْ لُوْحِظَ خُصُوصُهَا.

وَهِيَ قِسْمَانِ: مُقَدِّمَةُ الْعِلْمِ، وَهِيَ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ الشُّرُوعُ فِي مَسَائِلِهِ
مِنَ الْمَعَانِي الْمَخْصُوصَةِ، وَمُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ: وَهِيَ طَائِفَةٌ مِنَ الْكَلَامِ قُدِّمَتْ
أَمَامَ الْمَقْصُودِ لِارْتِبَاطِ لَهُ بِهَا وَانْتِفَاعِ بِهَا فِيهِ، وَتَمَامُ تَحْقِيقِ ذَلِكَ فِي
الْمُطَوَّلِ وَحَوَاشِيهِ.

(قوله: حَقٌّ عَلَى مَنْ حَاوَلَ عِلْمًا) أَي وَاجِبٌ صِنَاعَةٌ لِيَكُونَ شُرُوعُهُ عَلَى بَصِيرَةٍ صَوْنًا لِسَعْيِهِ عَنِ الْعَبَثِ.

(قوله: عِلْمًا) أَي رَامَ عِلْمًا: أَيِّ عِلْمٍ كَانَ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَغَيْرِهَا. نَالِ الشَّرْعِيَّةِ: عِلْمُ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالتَّوْحِيدِ،

وغيرُ الشَّرْعِيَّةِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: أَدَبِيَّةٌ، وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ كَمَا فِي شَيْخِي زَادَهُ. وَعَدَهَا بَعْضُهُمْ أَرْبَعَةً عَشَرَ: اللُّغَةُ وَالِاشْتِقَاقُ وَالتَّضْرِيفُ وَالنَّحْوُ وَالْمَعَانِي وَالْبَيَانُ وَالبَدِيعُ وَالْعُرُوضُ وَالْقَوَافِي وَقَرِيبُضُ الشُّعْرِ وَإِنْشَاءُ النَّثْرِ وَالْكِتَابَةِ، وَالْقِرَاءَاتِ وَالْمُحَاضَرَاتِ وَمِنْهُ التَّارِيخُ.

وَرِيَاضِيَّةٌ: كَالْهَنْدَسَةِ وَالْهَيْئَةِ وَالْعِلْمِ التَّعْلِيمِيِّ وَالْحِسَابِ وَالْجَبْرِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَتَذْيِيرِ الْمَنْزِلِ.

وَعَقْلِيَّةٌ: مَا عَدَا ذَلِكَ كَالْمَنْطِقِ وَالْجَدَلِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْدِّينِ وَالْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ وَالطَّبِيعِيِّ وَالطَّبِّ وَالْمِيقَاتِ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْكِيمْيَاءِ كَذَا ذَكَرَهُ بَعْضُهُمْ. ا هـ، ابْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ.

(قوله: أَنْ يَتَصَوَّرَهُ بِحَدِّهِ أَوْ رَسْمِهِ) الْحَدُّ: مَا كَانَ بِالدَّيَّانِيَّاتِ كَالْحَيَوَانِ النَّاطِقِ لِلْإِنْسَانِ، وَالرَّسْمُ مَا كَانَ بِالْعَرَضِيَّاتِ كَالضَّاحِكِ لَهُ.

وَذَكَرَ السَّيِّدُ فِي حَوَاشِي شَرْحِ الشُّمُسِيَّةِ أَنَّ أَرْبَابَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأُصُولِ يَسْتَعْمِلُونَ الْحَدَّ بِمَعْنَى الْمَعْرِفِ، وَأَنَّ اللَّفْظَ إِذَا وُضِعَ فِي اللُّغَةِ أَوْ الْإِصْطِلَاحِ لِمَفْهُومٍ مُرَكَّبٍ، فَمَا كَانَ دَاخِلًا فِيهِ كَانَ دَلِيلًا لَهُ. وَمَا كَانَ

خَارِجًا عَنْهُ كَانَ عَرَضِيًّا لَهُ، فَحُدُودُ هَذِهِ الْمَفْهُومَاتِ وَرُسُومُهَا تُسَمَّى حُدُودًا وَرُسُومًا بِحَسَبِ الْإِسْمِ، بِخِلَافِ الْحَقَائِقِ فَإِنَّ حُدُودَهَا وَرُسُومَهَا بِحَسَبِ الْحَقِيقَةِ.

إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ ظَهَرَ لَكَ: أَنَّ حَدَّ الْفَقْهِ كَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ حَدٌّ اسْمِيٌّ لِتَبْيِينِ مَا تَعَقَّلَهُ الْوَاضِعُ وَوَضَعَ الْإِسْمَ بِإِزَائِهِ فَلِذَا جَعَلُوهُ مُقَدِّمَةً لِلشُّرُوعِ. وَجَوَزَ بَعْضُهُمْ كَوْنَهُ حَدًّا حَقِيقِيًّا، وَعَلَيْهِ فَقِيلَ لَا يَكُونُ مُقَدِّمَةً؛ لِأَنَّ الْحَدَّ الْحَقِيقِيَّ بِسَرْدِ الْعَقْلِ كُلِّ الْمَسَائِلِ: أَيِ بَتَصَوُّرِ جَمِيعِ مَسَائِلِ الْعِلْمِ الْمَحْدُودِ وَذَلِكَ هُوَ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ نَفْسِهِ لَا مُقَدِّمَةَ الشُّرُوعِ فِيهِ،

وَقِيلَ يَجُوزُ أَخْذُ جَنْسٍ وَفَضْلٍ لَهُ بِلا حَاجَةٍ إِلَى سَرْدِ الْكُلِّ فَلَا مَانِعَ مِنْ وَقُوعِهِ مُقَدِّمَةً، وَجَعَلَ فِي التَّحْرِيرِ الْخِلَافَ لَفْظِيًّا وَتَمَامَ تَحْقِيقِهِ فِيهِ فَافْهَمْ.

(قَوْلُهُ: وَتَعَرَّفَتْ مَوْضُوعُهُ وَغَايَتُهُ وَاسْتِمْدَادُهُ) اَعْلَمْ أَنَّ مَبَادِيَّ كُلِّ عِلْمٍ

عَشْرَةٌ نَظَمَهَا ابْنُ ذَكْرِيٍّ فِي تَحْصِيلِ الْمَقَاصِدِ فَقَالَ:

فَأَوَّلُ الْأَبْوَابِ فِي الْمَبَادِي وَتِلْكَ عَشْرَةٌ عَلَى الْمُرَادِ
الْحَدُّ وَالْمَوْضُوعُ ثُمَّ الْوَاضِعُ وَالْإِسْمُ وَاسْتِمْدَادُ حُكْمِ الشَّارِعِ
تَصَوُّرُ الْمَسَائِلِ الْفَضِيلَةُ وَنِسْبَةُ فَائِدَةٍ جَلِيلَةٍ

بَيْنَ الشَّارِحِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ وَبَقِيَ سِتَّةٌ.

لَوَاضِعُهُ: أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَعَالَى وَاسْمُهُ الْفَقْهُ.

وَحُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ: وَجُوبُ تَحْصِيلِ الْمُكَلَّفِ مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ.

وَمَسَائِلُهُ: كُلُّ جُمْلَةٍ مَوْضُوعُهَا فِعْلٌ الْمُكَلَّفِ.

وَمَحْمُولُهَا: أَحَدُ الْأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ، نَحْوُ هَذَا الْفِعْلِ وَاجِبٌ.

وَفَضِيلَتُهُ: كَوْنُهُ أَفْضَلَ الْعُلُومِ سِوَى الْكَلَامِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ.

وَنِسْبَتُهُ لِصَلَاحِ الظَّاهِرِ: كَنِسْبَةِ الْعَقَائِدِ وَالتَّصَوُّفِ لِصَلَاحِ الْبَاطِنِ أَفَادَهُ ح.

(قَوْلُهُ: ثُمَّ حُصِيَ بِعِلْمِ الشَّرِيعَةِ) نَقَلَهُ فِي الْبَحْرِ عَنْ ضِيَاءِ الْحُلُومِ.

(قَوْلُهُ: وَفَقَّهَ الْخ) قَالَ فِي الْبَحْرِ بَعْدَ كَلَامٍ: وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْفَقَّهَ اللَّغَوِيَّ مَكْسُورُ الْقَافِ فِي الْمَاضِي وَالْإِضْطِلَاحِي مَضْمُومُهَا فِيهِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْكَرْمَانِيُّ.

وَنَقَلَ الْعَلَّامَةُ الرَّمْلِيُّ فِي حَاشِيَّتِهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ يُقَالُ فَقَّهَ بِكسْرِ الْقَافِ: إِذَا فَهِمَ، وَفَقَّهَ بفتحها: إِذَا سَبَقَ غَيْرُهُ إِلَى الْفَهْمِ، وَفَقَّهَ بِضَمِّهَا: إِذَا صَارَ الْفَقَّهَ لَهُ سَجِيَّةً.

(قَوْلُهُ: اضْطِلَاحًا) الْإِضْطِلَاحُ لُغَةٌ الْإِتِّفَاقُ. وَاضْطِلَاحًا اتِّفَاقُ طَائِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ عَلَى إِخْرَاجِ الشَّيْءِ عَنْ مَعْنَاهُ إِلَى مَعْنَى آخَرَ رَمَلِي.

(قَوْلُهُ: الْعِلْمُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفَرْعِيَّةِ الْمُكْتَسَبُ مِنْ أَدِلَّتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ):

اعْلَمْ أَنَّ الْمُحَقِّقَ ابْنَ الْهَمَامِ أَبَدَلَ الْعِلْمَ بِالتَّصْدِيقِ وَهُوَ الْإِدْرَاكُ الْقَطْعِيُّ، سِوَاءَ كَانَ ضَرُورِيًّا أَوْ نَظَرِيًّا صَوَابًا أَوْ خَطَأً بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْفَقَّهَ كُلَّهُ

قَطْعِيٌّ. فَالظَّنُّ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَكَذَا الْأَحْكَامُ الْمَظْنُونَةُ لَيْسَا مِنَ الْفِقْهِ،
وَبَعْضُهُمْ خَصَّهُ بِالظَّنِّيَّةِ، فَيَخْرُجُ عَنْهُ مَا عَلِمَ ثُبُوتَهُ قَطْعًا.
وَبَعْضُهُمْ جَعَلَهُ شَامِلًا لِلْقَطْعِيِّ وَالظَّنِّيِّ. وَقَدْ نَصَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ
الْمُتَأَخِّرِينَ عَلَى أَنَّهُ الْحَقُّ وَعَلَيْهِ عَمَلُ السَّلَفِ، وَتَمَامُهُ فِي "شَرْحِ التَّحْرِيرِ".
فَالْمُرَادُ بِالْعِلْمِ هُنَا (الْإِدْرَاكُ الصَّادِقُ عَلَى الْيَقِينِ وَالظَّنِّ) كَمَا هُوَ
اصْطِلَاحُ الْمُنْطَقِيِّ.

وَعَلَى الْأَوَّلِ فَالْمُرَادُ بِهِ الْمُقَابِلُ لِلظَّنِّ كَمَا هُوَ اصْطِلَاحُ الْأُصُولِيِّ.
قَالَ صَدْرُ الشَّرِيعَةِ فِي "التَّوْضِيحِ": وَمَا قِيلَ إِنَّ الْفِقْهَ ظَنِّيٌّ فَلِمَ أُطْلِقَ
الْعِلْمُ عَلَيْهِ؟
فَجَوَابُهُ:

أَوَّلًا: أَنَّهُ مَقْطُوعٌ بِهِ، فَإِنَّ الْجُمْلَةَ الَّتِي ذَكَرْنَا أَنَّهَا فِقْهٌ وَهِيَ مَا قَدْ ظَهَرَ
نَزُولُ الْوَحْيِ بِهِ وَمَا انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَيْهِ قَطْعِيَّةً.
وَتَانِيًا: أَنَّ الْعِلْمَ يُطْلَقُ عَلَى الظَّنِّيَّاتِ وَتَمَامُهُ فِيهِ فَافْهَمْ.

وَالْأَحْكَامُ: جَمْعُ حُكْمٍ، قِيلَ (هُوَ خِطَابُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُتَعَلِّقُ بِأَفْعَالِ
الْمُكَلَّفِينَ). وَرَدَّ صَدْرُ الشَّرِيعَةِ بِأَنَّ الْحُكْمَ الْمُصْطَلَحَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ مَا
ثَبَتَ بِالْخِطَابِ كَالْوُجُوبِ وَالْحُرْمَةِ مَجَازًا كَالْخَلْقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ ثُمَّ صَارَ
حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً. وَخَرَجَ بِهَا الْعِلْمُ بِالذَّوَاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ،

وَالْمُرَادُ بِالشَّرْعِيَّةِ كَمَا فِي "التَّوْضِيحِ" : (مَا لَا يُدْرِكُ لَوْلَا خِطَابُ الشَّارِعِ سِوَاءَ كَانَ الْخِطَابُ بِنَفْسِ الْحُكْمِ أَوْ بِتَنْظِيرِهِ الْمَقْيَسِ هُوَ عَلَيْهِ كَالْمَسَائِلِ الْقِيَاسِيَّةِ)، فَيُخْرَجُ عَنْهَا مِثْلَ وَجُوبِ الْإِيمَانِ وَالْأَحْكَامِ الْمَأْخُودَةِ مِنَ الْعَقْلِ كَالْعِلْمِ بِأَنَّ الْعَالَمَ حَادِثٌ، أَوْ مِنَ الْحِسِّ كَالْعِلْمِ بِأَنَّ النَّارَ مُخْرِقَةٌ، أَوْ مِنَ الْوَضْعِ وَالْإِصْطِلَاحِ كَالْعِلْمِ بِأَنَّ الْفَاعِلَ مَرْفُوعٌ، وَالْمُرَادُ بِالْفَرْعِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةُ بِمَسَائِلِ الْفُرُوعِ، فَخَرَجَ الْأَصْلِيَّةُ كَكَوْنِ الْإِجْمَاعِ أَوْ الْقِيَاسِ حُجَّةً.

وَأَمَّا الْإِعْتِقَادِيَّةُ كَكَوْنِ الْإِيمَانِ وَاجِبًا فَخَرَجَ بِالشَّرْعِيَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ فَافْهَمْ، وَقَوْلُهُ (عَنْ أَدْلَتِهَا) أَيِ نَاشِئًا عَنْ أَدْلَتِهَا حَالٌ مِنَ الْعِلْمِ: أَيِ أَدْلَتِهَا الْأَرْبَعَةُ الْمَخْصُوصَةُ بِهَا وَهِيَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ وَالْقِيَاسُ، فَخَرَجَ عِلْمُ الْمُقْلَدِ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَوْلُ الْمُجْتَهِدِ دَلِيلًا لَهُ لَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ الْمَخْصُوصَةِ،

وَخَرَجَ مَا لَمْ يَخْضُلْ بِالدَّلِيلِ كَعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِلْمِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ فِي "الْبَحْرِ" : وَاخْتَلَفَ فِي عِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ الْحَاصِلِ عَنْ اجْتِهَادِهِ، هَلْ يُسَمَّى فَقْهًا؟ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ بِإِعْتِبَارِ أَنَّهُ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ لِلْحُكْمِ لَا يُسَمَّى فَقْهًا، وَإِعْتِبَارِ حُصُولِهِ عَنْ دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ يُسَمَّى فَقْهًا اصْطِلَاحًا. ١ هـ.

وَأَمَّا الْمَعْلُومُ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ مِثْلُ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، فَقِيلَ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْفِقْهِ، إِذْ لَيْسَ حُصُولُهُ بِطَرِيقِ الْإِسْتِدْلَالِ وَجَعَلَهُ فِي التَّوْضِيحِ مِنْهُ،

وَلَعَلَّ وَجْهَهُ أَنَّ وُضُوءَهُ إِلَى حَدِّ الضَّرُورَةِ عَارِضٌ لِكَوْنِهِ صَارَ مِنْ شِعَارِ الدِّينِ، فَلَا يَنَافِي كَوْنُهُ فِي الْأَصْلِ ثَابِتًا بِالذَّلِيلِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ الْبَدِيعِيَّةِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ كَكَوْنِ الْكُلِّ أَعْظَمَ مِنَ الْجُزْءِ نَعَمْ يَحْتَاجُ إِلَى إِخْرَاجِهِ عَلَى قَوْلٍ مَنْ خَصَّ الْفِقْهَ بِالظَّنِّيِّ، (قَوْلُهُ التَّضْيِيقُ): تَضْرِيحٌ بِإِلَازِمٍ كَمَا حَقَّقَهُ فِي "التَّحْرِيرِ"، وَغَلِطَ مَنْ جَعَلَهُ لِلِاخْتِرَازِ، وَفِي هَذَا الْمَقَامِ تَحْقِيقَاتٌ ذَكَرْتَهَا فِي [مِنْحَةِ الْخَالِقِ فِيمَا عَلَفَتْهُ عَلَى الْبَحْرِ الرَّائِقِ].

(قَوْلُهُ: وَعِنْدَ الْفُقَهَاءِ الْخ) قَالَ فِي "الْبَحْرِ": فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْوَقْفَ فِي الْأُصُولِ عِلْمُ الْأَحْكَامِ مِنْ دَلَالَتِهَا كَمَا تَقَدَّمَ، فَلَيْسَ الْفَقِيهُ إِلَّا الْمُجْتَهِدُ عِنْدَهُمْ، وَإِطْلَاقُهُ عَلَى الْمُقَلِّدِ الْحَافِظِ لِلْمَسَائِلِ مَجَازٌ. وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ بِدَلِيلِ انْصِرَافِ الْوَقْتِ وَالْوَصِيَّةِ لِلْفُقَهَاءِ إِلَيْهِمْ. (وَأَكْثُهُ ثَلَاثَةُ أَحْكَامٍ) كَمَا فِي الْمُتَقَى.

وَذَكَرَ فِي "التَّحْرِيرِ": أَنَّ الشَّائِعَ إِطْلَاقُهُ عَلَى مَنْ يَحْفَظُ الصُّرُوعَ مُطْلَقًا يَعْنِي سِوَاءَ كَانَتْ بِدَلَالَتِهَا أَوْ لَا ١ هـ لَكِنْ سَيَذْكُرُ فِي بَابِ الْوَصِيَّةِ لِلْأَقَارِبِ أَنَّ الْفَقِيهَ مَنْ يُدَقِّقُ النَّظَرَ فِي الْمَسَائِلِ وَإِنْ عَلِمَ ثَلَاثَ مَسَائِلَ مَعَ أَدْلَتِهَا، حَتَّى قِيلَ مَنْ حَفِظَ أُلُوفًا مِنَ الْمَسَائِلِ لَمْ يَدْخُلْ تَحْتَ الْوَصِيَّةِ. ١ هـ. لَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ هَذَا حَيْثُ لَا عُرْفَ وَإِلَّا فَالْعُرْفُ الْآنَ هُوَ مَا ذَكَرَ فِي التَّحْرِيرِ أَنَّهُ الشَّائِعُ. (قَوْلُهُ: وَعِنْدَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ) هُمْ الْجَامِعُونَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ

الْمُوصِلَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْحَقِيقَةُ لُبُّ الشَّرِيعَةِ وَسَيَأْتِي تَمَامُهُ.

(قَوْلُهُ: الْفَقِيهُ الرَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِبُ فِي الْآخِرَةِ) كَذَا فِي "الْبَحْرِ".
وَفِي "الْإِحْيَاءِ" لِلْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ بِيَزَادَةَ حَيْثُ قَالَ: سَأَلَ فَرْقَدُ السَّبَخِيُّ
الْحَسَنَ عَنْ شَيْءٍ فَأَجَابَهُ، فَقَالَ إِنَّ الْفُقَهَاءَ يُخَالِفُونَكَ، فَقَالَ الْحَسَنُ:
تَكِلْنِكَ أُمَّكَ، وَهَلْ رَأَيْتَ فَقِيهًا بَعَيْنِكَ؟ إِنَّمَا الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا
الرَّاعِبُ فِي الْآخِرَةِ، الْبَصِيرُ بِدِينِهِ الْمُدَاوِمُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ، الْوَرَعُ الْكَافُ
عَنْ أَغْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ، الْعَفِيفُ عَنْ أَمْوَالِهِمُ النَّاصِحُ لِحِمَاةِهِمْ.
(قَوْلُهُ: وَمَوْضُوعُهُ الْخ). مَوْضُوعُ كُلِّ عِلْمٍ مَا يَبْحَثُ فِيهِ عَنْ عَوَارِضِهِ
الذَّاتِيَّةِ.

قَالَ فِي "الْبَحْرِ": وَأَمَّا مَوْضُوعُهُ (فَفِعْلُ الْمُكَلِّفِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ
مُكَلِّفٌ)؛ لِأَنَّهُ يَبْحَثُ فِيهِ عَمَّا يَعْزِضُ لِفِعْلِهِ مِنْ حِلٍّ وَحُرْمَةٍ وَوُجُوبٍ وَنَدْبٍ،
وَالْمُرَادُ بِالْمُكَلِّفِ الْبَالِغُ الْعَاقِلُ، فَفِعْلُ غَيْرِ الْمُكَلِّفِ لَيْسَ مِنْ
مَوْضُوعِهِ، وَضَمَانُ الْمُتَلَفَاتِ وَنَفَقَةُ الزَّوْجَاتِ إِنَّمَا الْمُخَاطَبُ بِهَا الْوَلِيُّ لَا
الصَّبِيُّ وَالْمَجْنُونُ، كَمَا يُخَاطَبُ صَاحِبُ الْبَهِيمَةِ بِضَمَانٍ مَا أَتْلَفَتْهُ حَيْثُ
فَرَطَ فِي حِفْظِهَا لِتَنْزِيلِ فِعْلِهَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ بِمَنْزِلَةِ فِعْلِهِ.

وَأَمَّا صِحَّةُ عِبَادَةِ الصَّبِيِّ كَصَلَاتِهِ وَصَوْمِهِ الْمُثَابِ عَلَيْهَا فَهِيَ عَلَيْهَا
عَقْلِيَّةٌ مِنْ بَابِ رِبْطِ الْأَحْكَامِ بِالْأَسْبَابِ، وَلِذَا لَمْ يَكُنْ مُخَاطَبًا بِهَا بَلْ
لِيَعْتَادَهَا فَلَا يَتْرُكُهَا بَعْدَ بُلُوغِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَيَّدْنَا بِحَيْثِيَّةِ التَّكْلِيفِ؛

لَأَنَّ فِعْلَ الْمُكَلَّفِ لَا مِنْ حَيْثُ التَّكْلِيفُ لَيْسَ مَوْضُوعُهُ كَفِعْلِهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَخْلُوقُ اللَّهِ تَعَالَى. ١ هـ.

(قَوْلُهُ: بُيُوتًا أَوْ سَلَبًا) أَيِ مِنْ حَيْثُ ثُبُوتُ التَّكْلِيفِ بِهِ كَالْوَاجِبِ وَالْحَرَامِ، أَوْ سَلْبُهُ كَالْمَنْدُوبِ وَالْمُبَاحِ، وَقَصْدُ ذَلِكَ دَفْعُ مَا قَدْ يُقَالُ إِنَّ قَيْدَ الْحَيْثِيَّةِ مُرَاعَى، فَالْمُرَادُ فِعْلُ الْمُكَلَّفِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُكَلَّفٌ كَمَا مَرَّ. فَيَرُدُّ عَلَيْهِ أَنَّ فِعْلَ الْمُكَلَّفِ الْمَنْدُوبِ أَوْ الْمُبَاحِ مِنْ مَوْضُوعِ الْفِقْهِ أَيْضًا مَعَ أَنَّهُ لَا تَكْلِيفَ فِيهِ لِحَوَازِ فِعْلِهِ وَتَرْكِهِ. وَالْجَوَابُ أَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْهُ فِي الْفِقْهِ مِنْ حَيْثُ سَلَبُ التَّكْلِيفِ بِهِ عَنْ طَرَفِي فِعْلِ الْمُكَلَّفِ.

(قَوْلُهُ: وَاسْتِمْدَادُهُ) أَيِ مَأْخَذُهُ.

(قَوْلُهُ: مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ) وَأَمَّا شَرِيعَةٌ مَنْ قَبْلَنَا فَتَابِعَةٌ لِلْكِتَابِ.

وَأَمَّا أَقْوَالُ الصَّحَابَةِ فَتَابِعَةٌ لِلسُّنَّةِ، وَأَمَّا تَعَامُلُ النَّاسِ فَتَابِعٌ لِلْإِجْمَاعِ، وَأَمَّا التَّحَرِّيُّ وَاسْتِصْحَابُ الْحَالِ فَتَابِعَانِ لِلْقِيَاسِ.

(قَوْلُهُ: وَغَايَتُهُ) أَيِ ثَمَرَتُهُ الْمُتَرْتِبَةُ عَلَيْهِ. (قَوْلُهُ: بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ) أَيِ دَارِ الدُّنْيَا يَنْقَلِبُ نَفْسِهِ مِنْ حَاضِيضِ الْجَهْلِ إِلَى ذُرْوَةِ الْعِلْمِ، وَبَيَّانِ مَا لِلنَّاسِ وَمَا عَلَيْهِمْ لِقَطْعِ الْخُصُومَاتِ وَدَارِ الْآخِرَةِ بِالنَّعْمِ الْفَآخِرَةِ. اهـ.



مُقَدِّمَةٌ

السَّيِّدُ إِبرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَالِمٍ بْنِ ضُويَّانَ
مُؤَلِّفُ "مَنَارِ السَّبِيلِ"

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي شَرَحَ صَدْرَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ لِلْفَقْهِ
فِي الدِّينِ، وَوَفَّقَ لِاتِّبَاعِ آثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نِدَّ وَلَا مُعِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ،

أَمَّا بَعْدُ؛

فَهَذَا شَرْحٌ عَلَى كِتَابِ "دَلِيلِ الطَّالِبِ لِتَلِيلِ الْمَطَالِبِ" الَّذِي أَلْفَهُ
السَّيِّدُ مَرْعِيُّ بْنُ يُوسُفَ الْمَقْدِسِيُّ الْحَنْبَلِيُّ؛ تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ، وَأَبَاحَهُ
بِحُبُوحَةِ جَنَّتِهِ، ذَكَرْتُ فِيهِ مَا حَضَرَنِي مِنَ الدَّلِيلِ وَالتَّعْلِيلِ، لِيَكُونَ وَافِيًا
بِالْغَرَضِ مِنْ غَيْرِ تَطْوِيلٍ، وَزِدْتُ فِي بَعْضِ الْأَبْوَابِ مَسَائِلَ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا
النَّبِيلُ، وَرَبَّمَا ذَكَرْتُ رِوَايَةً ثَانِيَةً أَوْ وَجْهًا ثَانِيًا لِقُوَّةِ الدَّلِيلِ، نَقَلْتُهُ مِنْ
كِتَابِ "الْكَافِي" لِمُؤَفِّقِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ قُدَامَةَ
الْمَقْدِسِيِّ ثُمَّ الدَّمَشْقِيِّ، وَمِنْ شَرْحِ "الْمُنْعِجِ" "الْكَبِيرِ" لِشَمْسِ الدِّينِ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عُمَرَ بْنِ قُدَامَةَ، وَغَالِبُ نَقْلِي مِنْ مُخْتَصَرِهِ، وَمِنْ "فُرُوعِ"

ابْنِ مُفْلِحٍ وَقَوَاعِدِ ابْنِ رَجَبٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْكُتُبِ .

وَقَدْ أَفْرَغْتُ فِي جَمْعِهِ طَاقَتِي وَجَهْدِي ، وَبَذَلْتُ فِيهِ فِكْرِي وَقَضْدِي ،
وَلَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّي أَنْ أَتَعَرَّضَ لِذَلِكَ ، لِعِلْمِي بِالْعَجْزِ عَنِ الْخَوْضِ فِي تِلْكَ
الْمَسَالِكِ ، فَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ صَوَابٍ فِيمَنْ اللَّهُ ، أَوْ خَطَأٍ فِيمَنِّي ، وَأَسْأَلُهُ
سُبْحَانَهُ الْعَفْوَ عَنِّي ،

وَلَمَّا تَكَفَّفْتُهُ مِنْ أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ وَتَطَفَّلْتُ بِهِ عَلَى مَوَائِدِ الْفُقَهَاءِ تَمَثَّلْتُ
بِقَوْلِ بَعْضِ الْفَضَلَاءِ (مِنْ الْبَسِيطِ) :

أَسِيرُ خَلْفَ رِكَابِ النُّجُبِ ذَا عَرَجٍ مُؤَمَّلًا كَشَفَ مَا لَا قِيَتُ مِنْ عَوَجٍ
فَإِنْ لَحِقْتُ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا سَبَقُوا فَكَمْ لِرَبِّ الْوَرَى فِي ذَاكَ مِنْ فَرَجٍ
وَإِنْ بَقِيَتْ بِظَهْرِ الْأَرْضِ مُنْقَطِعًا فَمَا عَلَى عَرَجٍ فِي ذَاكَ مِنْ حَرَجٍ
وَإِنَّمَا عَلَّقْتُهُ لِنَفْسِي ، وَلِمَنْ فَهْمُهُ قَاصِرٌ كَفَهْمِي ، عَسَى أَنْ يَكُونَ تَذَكُّرَةً
فِي الْحَيَاةِ ، وَذَخِيرَةً بَعْدَ الْمَمَاتِ ، وَسَمِيَّتُهُ "مَنَارَ السَّبِيلِ فِي شَرْحِ
الدَّلِيلِ" ، أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَهُ لَوَجْهِهِ خَالِصًا ، وَإِلَيْهِ مُقَرَّبًا ، وَأَنْ
يَغْفِرَ لِي وَيَرْحَمَنِي وَالْمُسْلِمِينَ ، إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .



مُقَدِّمَةُ صَاحِبِ الْمَثْنِ مَعَ شَرْحِهَا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»: ابْتَدَأَ كِتَابَهُ بِالْبَسْمَلَةِ ثُمَّ بِالْحَمْدَةِ
اِقْتَدَاءً بِكِتَابِ اللَّهِ ﷺ، وَعَمَلًا بِحَدِيثٍ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَتَرُّ» أَي ذَاهِبُ الْبَرَكَةِ، رَوَاهُ الْخَطِيبُ
وَالْحَافِظُ عَبْدُ الْقَادِرِ الرَّهَائِيُّ. [وَقَالَ الْأَبْنَائِيُّ ضَعِيفٌ جِدًّا]، وَبِحَدِيثٍ:
«كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَهُوَ أَقْطَعُ»، وَفِي رِوَايَةٍ:
«بِحَمْدِ اللَّهِ» وَفِي رِوَايَةٍ «بِالْحَمْدِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَهُوَ أَجْذَمُ»
رَوَاهَا الْحَافِظُ الرَّهَائِيُّ فِي الْأَرْبَعِينَ لَهُ [وَضَعَّفَهُ الْأَبْنَائِيُّ]

(وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مَالِكٌ يَوْمَ الدِّينِ):

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُقَاتِلٌ: "قَاضِي يَوْمِ الْحِسَابِ"، وَقَالَ قَتَادَةُ:
"الدِّينُ الْجَزَاءُ"،

وَأِنَّمَا خَصَّ يَوْمَ الدِّينِ بِالذِّكْرِ مَعَ كَوْنِهِ مَالِكًا لِلْأَيَّامِ كُلِّهَا لِأَنَّ
الْأَمْلاكَ يَوْمَئِذٍ زَائِلَةٌ فَلَا مُلْكَ وَلَا أَمْرَ إِلَّا لَهُ.

(وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُسَيَّنُّ لِأَحْكَامِ شَرَائِعِ الدِّينِ):

بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَتَقْرِيرَاتِهِ، وَالدِّينُ هُنَا الْإِسْلَامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة: ٣]، وَقَالَ ﷺ فِي حَدِيثٍ

عُمَرَ ؓ : ﴿ هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(١) .

(الْفَائِزُ بِمُنْتَهَى الْإِرَادَاتِ مِنْ رَبِّهِ) : كَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ، وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ ١ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ٥ ﴾ [الضحى : ٤-٥] ، وَالْقُرْآنُ : النَّجَاةُ وَالظَّفَرُ بِالْخَيْرِ قَالَهُ فِي " الْقَامُوسِ " .

(فَمَنْ تَمَسَّكَ بِشَرِيْعَتِهِ بِفِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ فَهُوَ مِنَ الْفَائِزِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ)

حَكَى الْبُخَارِيُّ فِي " صَحِيحِهِ " عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ : " الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠ ، ٤٧٧٧) ، وَمُسْلِمٌ (٩ ، ١٠) ، وَابْنُ مَاجَهَ (٦٤ ، ٤٠٤٤) ، وَأَحْمَدُ (٩٢١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ : ﴿ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ ، قَالَ : مَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، قَالَ : مَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، قَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا ، إِذَا وَلَدَتْ الْأُمَةُ رَبِّهَا ، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الْإِبِلِ الْبُتَّانِ ، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ، ثُمَّ تلا النَّبِيُّ ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) الْآيَةَ ، ثُمَّ أَذْبَرَ فَقَالَ : رُدُّوهُ ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا ، فَقَالَ : هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ قَالَ الْبُخَارِيُّ : جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ اهـ. هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ وَأَحْمَدَ .

تَعَالَى: ثَنَاؤُهُ عَلَى عَبْدِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى " ، وَقِيلَ: الرَّحْمَةُ، وَقِيلَ: رَحْمَةٌ مَقْرُونَةٌ بِتَعْظِيمٍ،

وَتُسَبِّحُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ - ﷺ - لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَواتٌ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَاكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ﴾^(١).

وَتَأْتِي فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ وَيَوْمِهَا وَعِنْدَ ذِكْرِهِ ﷺ .

وَقِيلَ: تَجِبُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ﴾^(٢)،

وَحَدِيثُ: ﴿رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ﴾^(٣).

(١) [رَوَى أَبُو دَاوُدَ (١٠٤٧، ١٥٣١)، وَالتَّسَائِيُّ (١٣٧٤)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٦٣٦)، وَأَحْمَدُ (١٥٧٢٩) وَرَوَى الدَّارِمِيُّ (١٥٧٢) عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَاكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟ يَقُولُونَ: بَلِيَّتْ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

(٢) [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٤٦)، وَأَحْمَدُ (١٧٣٨) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ﴾ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]

(٣) [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٤٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿رَغِمَ أَنْفُ =

وَهِيَ رُكْنٌ فِي التَّشْهَدِ الْأَخِيرِ وَخُطْبَتِي الْجُمُعَةِ كَمَا يَأْتِي.
وَالنَّبِيُّ: إِنْسَانٌ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرِّعٍ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِتَبْلِيغِهِ؛ فَإِنْ أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ
فَهُوَ رَسُولٌ.

(وَعَلَى آلِ كُلِّ وَصَّيْهِ أَجْمَعِينَ): وَالنَّبِيُّ ﷺ: أَتْبَاعُهُ عَلَى دِينِهِ
الصَّحِيحِ عِنْدَنَا، وَقِيلَ: أَقَارِبُهُ الْمُؤْمِنُونَ.

وَالصَّحْبُ: إِسْمٌ جَمَعَ لِصَاحِبٍ مَعْنَى الصَّحَابِيِّ، وَهُوَ: (مَنْ
اجْتَمَعَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مُؤْمِنًا وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ)، وَجَمَعَ بَيْنَ الْآلِ وَالصَّحْبِ
رَدًّا عَلَى الشَّيْعَةِ الْمُبْتَدِعَةِ حَيْثُ يُوَالُونَ الْآلَ دُونَ الصَّحْبِ.

(وَبَعْدُ): يُؤْتَى بِهَا لِلانْتِقَالِ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى آخَرَ اسْتِحْبَابًا فِي
الْخُطْبِ وَالْمُكَاتَبَاتِ لِفِعْلِهِ ﷺ^(١).

(فَهَذَا مُخْتَصَرٌ): وَهُوَ مَا قَلَّ لَفْظُهُ وَكَثُرَ مَعْنَاهُ، قَالَ عَلِيٌّ ؓ:
(خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَدَلَّ، وَلَمْ يَطْلُ قِيْلٌ).

= رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ
انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ
الْجَنَّةَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: حَسَنٌ
صَحِيحٌ. وَقَوْلُهُ: (رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ) أَي لَصِقَ أَنْفُهُ بِالثَّرَابِ؛ كِنَايَةً عَنْ حُضُولِ
الدَّلِّ، وَالْمَعْنَى: بَعِيدٌ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ إِجْرَاءِ كَلِمَاتٍ مَعْدُودَةٍ عَلَى لِسَانِهِ
فَيَقُورَ بِهَا فَلَمْ يَغْتَنِمَهُ فَحَقِيقُ أَنْ يُذَلَّهُ اللَّهُ. [

(١) [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، لَكِنْ بِلَفْظِ " أَمَّا بَعْدُ "]

(في الفقه): وَهُوَ لُغَةً: الْفَهْمُ، وَاصْطِلَاحًا: (مَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْقَرِيبَةِ بِالْفِعْلِ - أي بالاستدلال - أو بِالْقُوَّةِ الْقَرِيبَةِ - أي بالتهبؤ لمعرفتها بالاستدلال -) ^(١).

(عَلَى الْمَذْهَبِ الْأَحْمَدِيِّ مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيِّ رحمهما وَأَرْضَاهُ) وَلِدَ بَغْدَادَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، وَمَاتَ بِهَا فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفَضَّائِلُهُ وَمَنَاقِبُهُ شَهِيرَةٌ، (بَالَغْتُ فِي إِضَاحِهِ رَجَاءُ الْفُقَرَاءِ) مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَبَيَّنْتُ فِيهِ الْأَحْكَامَ أَحْسَنَ بَيَانٍ.

وَالْأَحْكَامُ خَمْسَةٌ: الْوُجُوبُ وَالْحُرْمَةُ وَالنَّدْبُ وَالْكَرَاهَةُ وَالْإِبَاحَةُ، (لَمْ أَذْكَرْ فِيهِ إِلَّا مَا جَزَمَ بِصِحِّهِ أَهْلُ التَّصْحِيحِ وَالْعِرْقَانِ، وَعَلَيْهِ الْفَتْوَى فِيمَا بَيْنَ أَهْلِ التَّرْجِيحِ وَالْإِثْقَانِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَسَمَّيْتُهُ بِـ (دَلِيلِ الطَّالِبِ لِذِيْلِ الْمَطَالِبِ) وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ مَنْ اشْتَغَلَ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَرْحَمَنِي وَالْمُسْلِمِينَ؛ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) آمِينَ ^(٢).

(١) قُلْتُ: الْفَقْهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالْفِعْلِ؛ بِأَنْ يُسْأَلَ الْفَقِيهُ عَنِ الْمَسَائِلِ فَيُجِيبَ عَنْ الْأَسْئَلَةِ بِإِدْلَتِهَا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالْقُوَّةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْفِعْلِ بِأَنْ تَكُونَ لَدَيْهِ الْأَهْلِيَّةُ لِيُحْتَثِ الْمَسَائِلَ الْعِلْمِيَّةَ وَالتَّرْجِيحَ وَالتَّعَامُلَ مَعَ النُّصُوصِ عَلَى مُفْتَضَى الْجَادَّةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَهَذَا فَقِيهٌ بِالْقُوَّةِ. اهـ.

(٢) وَقَالَ أَبُو الْبَقَاءِ الْفُتُوخِيُّ الْحَنْبَلِيُّ فِي "شَرْحِ الْكَوَكِبِ الْمُنِيرِ": (وَالْفَقْهُ شَرْعًا) أَي فِي اصْطِلَاحِ فُقَهَاءِ الشَّرْعِ (مَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ) =

= دُونَ الْعَقْلِيَّةِ (الْفَرْعِيَّةِ) لَا الْأُصُولِيَّةِ، وَمَعْرِفَتُهَا إمَّا (بِالْفِعْلِ) أَيْ بِالِاسْتِدْلَالِ (أَوْ) بِ (الْقُوَّةِ الْقَرِيبَةِ) مِنَ الْفِعْلِ، أَيْ بِالتَّهَيُّؤِ لِمَعْرِفَتِهَا بِالِاسْتِدْلَالِ. وَهَذَا الْحَدُّ لَأَكْثَرِ أَصْحَابِنَا الْمُتَقَدِّمِينَ.

وَقِيلَ: (هُوَ الْعِلْمُ بِأَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ الشَّرْعِيَّةِ دُونَ الْعَقْلِيَّةِ، مِنْ تَحْلِيلِ وَتَحْرِيمِ وَحَظَرٍ وَإِبَاحَةٍ).

وَقِيلَ: (مَعْرِفَةُ أَحْكَامٍ جُمْلَةٍ كَثِيرَةٍ عُرْفًا مِنْ مَسَائِلِ الْفُرُوعِ الْعِلْمِيَّةِ مِنْ أَدِلَّتِهَا الْحَاصِلَةِ بِهَا).

ثُمَّ الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ الْقَرِيبُ: هُوَ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ بِالْخَطِ فِي اعْتِقَادِ مُفْتَضَاهُ، وَلَا فِي الْعَمَلِ بِهِ قَدْخٌ فِي الدِّينِ، وَلَا وَعِيدٌ فِي الْآخِرَةِ، كَالنِّيَّةِ فِي الْوُضُوءِ وَالنِّكَاحِ بِلَا وَلِيٍّ وَنَحْوِهِمَا.

(وَالْفَقِيهَةُ) فِي اضْطِلَاحِ أَهْلِ الشَّرْعِ (مَنْ عَرَفَ جُمْلَةً غَالِبَةً) أَيْ كَثِيرَةً (مِنْهَا) أَيْ مِنْ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفَرْعِيَّةِ (كَذَلِكَ) أَيْ بِالْفِعْلِ أَوْ بِالْقُوَّةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْفِعْلِ، وَهِيَ التَّهَيُّؤُ لِمَعْرِفَتِهَا عَنْ أَدِلَّتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ.

لَا يُطْلَقُ الْفَقِيهَةُ عَلَى مَنْ عَرَفَهَا عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ، كَمَا لَا يُطْلَقُ الْفَقِيهَةُ عَلَى مُحَدِّثٍ وَلَا مُفَسِّرٍ، وَلَا مُتَكَلِّمٍ وَلَا نَحْوِيٍّ وَنَحْوِهِمْ.

وَقِيلَ: الْفَقِيهَةُ مَنْ لَهُ أَهْلِيَّةٌ تَامَّةٌ يَعْرِفُ الْحُكْمَ بِهَا إِذَا شَاءَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ جُمْلًا كَثِيرَةً مِنَ الْأَحْكَامِ الْفَرْعِيَّةِ، وَحُضُورِهَا عِنْدَهُ بِأَدِلَّتِهَا الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فَخَرَجَ بِقَيْدِ "الْأَحْكَامِ" الذَّوَاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ،

وَخَرَجَ بِقَيْدِ "الْفَرْعِيَّةِ" الْأَدِلَّةُ الْأُصُولِيَّةُ الْإِجْمَالِيَّةُ، الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي قَنْ الْخِلَافِ، نَحْوُ: ثَبَتَ الْحُكْمُ بِالْمُقْتَضَى، وَانْتَفَى بِوُجُودِ النَّافِي.

(وَأُصُولُ الْفَقِيهِ عِلْمًا: الْقَوَاعِدُ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفَرْعِيَّةِ). =

= وَقِيلَ: (مَجْمُوعُ طُرُقِ الْفِقْهِ إِجْمَالًا، وَكَيْفِيَّةُ الاسْتِفَادَةِ مِنْهَا، وَحَالُ الْمُسْتَفِيدِ).
 وَقِيلَ: (مَعْرِفَةُ دَلَائِلِ الْفِقْهِ إِجْمَالًا، وَكَيْفِيَّةُ الاسْتِفَادَةِ مِنْهَا، وَحَالُ الْمُسْتَفِيدِ).
 وَقِيلَ: (مَا تُبْنَى عَلَيْهِ مَسَائِلُ الْفِقْهِ، وَتُعَلَّمُ أَحْكَامُهَا بِهِ).
 وَقِيلَ: (هِيَ أدِلَّتُهُ الْكُلِّيَّةُ الَّتِي تُفِيدُهُ بِالنَّظَرِ عَلَى وَجْهِ كُلِّيٍّ).
 فَالْقَوَاعِدُ: جَمْعُ قَاعِدَةٍ: (وَهِيَ هُنَا عِبَارَةٌ عَنْ صُورٍ كُلِّيَّةٍ تَنْطَبِقُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَلَى جُزْئِيَّاتِهَا الَّتِي تَحْتَهَا)، وَذَلِكَ كَقَوْلِكَ: " حُقُوقُ الْعَقْدِ تَتَعَلَّقُ بِالْمُوَكَّلِ دُونَ الْوَكِيلِ ".
 وَكَقَوْلِكَ: " الْحِيلُ فِي الشَّرْعِ بَاطِلَةٌ ".

فَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْقَضِيَّتَيْنِ يُتَعَرَّفُ بِالنَّظَرِ فِيهَا قَضَايَا مُتَعَدِّدَةٌ.
 فَمِمَّا يُتَعَرَّفُ بِالنَّظَرِ فِي الْقَضِيَّةِ الْأُولَى: أَنَّ عَهْدَةَ الْمُشْتَرِي عَلَى الْمُوَكَّلِ دُونَ الْوَكِيلِ، وَأَنَّ مَنْ حَلَفَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا، فَوَكَّلَ مَنْ فَعَلَهُ: حَنِثَ. وَأَنَّهُ لَوْ وَكَّلَ مُسْلِمٌ ذِمِّيًّا فِي شِرَاءِ خَمْرٍ أَوْ خِنْزِيرٍ: لَمْ يَصِحَّ.

وَمِمَّا يُتَعَرَّفُ بِالنَّظَرِ فِي الْقَضِيَّةِ الثَّانِيَةِ: عَدَمُ صِحَّةِ نِكَاحِ الْمُحَلَّلِ، وَبَيْعِ الْعَيْنَةِ، وَعَدَمُ سُقُوطِ الشُّفْعَةِ بِالْحِيلَةِ عَلَى إِبْطَالِهَا، وَعَدَمُ حِلِّ الْخَمْرِ بِتَخْلِيلِهَا عِلَاجًا.
 وَكَذَا قَوْلُنَا - وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا - " الْأَمْرُ لِلْوُجُوبِ وَالْفَوْرِ " وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(وَالْأُصُولِيُّ) فِي عُرْفِ أَهْلِ هَذَا الْفَنِّ: (مَنْ عَرَفَهَا) أَيِ (مَنْ عَرَفَ الْقَوَاعِدَ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفُرْعِيَّةِ). وَلَا تَصِحُّ النِّسْبَةُ إِلَّا مَعَ قِيَامِ مَعْرِفَتِهِ بِهَا وَإِتْقَانِهِ لَهَا، كَمَا أَنَّ مَنْ اتَّقَنَ الْفِقْهَ يُسَمَّى فَقِيهًا، وَمَنْ اتَّقَنَ الطَّبَّ يُسَمَّى طَبِيبًا وَنَحْوُ ذَلِكَ. اهـ.

كِتَابُ الطَّهَارَةِ

(وهي رَفْعُ الْحَدَثِ): أَي زَوَالُ الْوُضْفِ الْقَائِمِ بِالْبَدَنِ الْمَانِعِ مِنَ الصَّلَاةِ وَنَحْوِهَا.

(وَزَوَالُ الْخَبَثِ): أَي النَّجَاسَةِ، أَوْ زَوَالُ حُكْمِهَا بِالاسْتِجْمَارِ أَوْ التَّيْمُمِ^(١).

(١) قَالَ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ" شَرْحَ "الْمَهْدَبِ":

قَوْلُهُ: كِتَابٌ، أَضْلُ الْكُتُبِ فِي اللُّغَةِ الضَّمُّ، وَمِنْهُ كِتَابُ الْخَيْلِ لِتَتَابُعِهَا وَاجْتِمَاعِهَا فَسُمِّيَ كِتَابًا لِضَمِّ حُرُوفِهِ وَمَسَائِلِهِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَالْكِتَابُ اسْمٌ لِلْمَكْتُوبِ مَجَازًا، وَهُوَ مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الْمَعْمُولِ بِالْمَصْدَرِ، وَهُوَ كَثِيرٌ، وَهُوَ فِي اضْطِلَاحِ الْمُصَنِّفِينَ: (كَالْجِنْسِ الْمُسْتَقِلِّ الْجَامِعِ لِأَبْوَابٍ، تِلْكَ الْأَبْوَابُ أَنْوَاعُهُ).

وَالْبَابُ: هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى الشَّيْءِ وَالْمَوْصِلُ إِلَيْهِ، وَبَابُ الْمَسْجِدِ وَالْدَّارِ مَا دُخِلَ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَبَابُ الْمِيَاهِ مَا يُوصَلُ بِهِ إِلَى أَحْكَامِهَا. وَقَدْ يَذْكُرُونَ فِي الْبَابِ أَشْيَاءَ لَهَا تَعَلُّقٌ بِمَقْصُودِ الْبَابِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّا تُرْجَمُ لَهُ كَادُخَالِهِ الْخِتَانُ وَتَقْلِيمُ الْأظْفَارِ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَنَحْوِهَا فِي بَابِ السَّوَاكِ؛ لِكُونِهَا جَمِيعًا مِنْ خِصَالِ الْفِطْرَةِ فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ بَابُ السَّوَاكِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَيُقَارِبُهُ.

وَلَفْظَةُ يَجُوزُ: يَسْتَعْمَلُونَهَا تَارَةً بِمَعْنَى يَحِلُّ، وَتَارَةً بِمَعْنَى يَصِحُّ، وَتَارَةً تَضْلُحُ لِلْأَمْرَيْنِ.

وَأَمَّا الطَّهَارَةُ: فَهِيَ فِي اللُّغَةِ النَّظَافَةُ وَالنَّزَاهَةُ عَنِ الْأَذْنَانِ،

أقسام المياه

(وَأَقْسَامُ الْمَاءِ ثَلَاثَةٌ:)

(أَحَدُهَا: ظُهُورٌ؛ وَهُوَ الْبَاقِي عَلَى خُلُقَتِهِ) الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا سَوَاءٌ نَبَعَ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى أَيِّ لَوْنٍ كَانَ،
(يَرْفَعُ الْحَدَثَ وَيُزِيلُ الْخَبَثَ): لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنْ

= وَيُقَالُ: ظَهَرَ الشَّيْءُ بِفَتْحِ الْهَاءِ وَظَهَرَ بِضَمِّهَا، وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ، يَظْهَرُ بِالضَّمِّ،
وَالِاسْمُ الظُّهْرُ،

وَالظُّهُورُ بِفَتْحِ الطَّاءِ: اسْمٌ لِمَا يُتَطَهَّرُ بِهِ، وَالظُّهُورُ بِالضَّمِّ: اسْمٌ لِلْفِعْلِ،
هَذِهِ اللَّغَةُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي عَلَيْهَا الْأَكْثَرُونَ مِنْ أَهْلِ اللَّغَةِ.

وَاللُّغَةُ الثَّانِيَةُ: الظُّهُورُ بِالْفَتْحِ فِيهِمَا وَافْتَصَرَ عَلَيْهَا جَمَاعَاتٌ مِنْ كِبَارِ أَهْلِ
اللُّغَةِ.

وَحَكَى صَاحِبُ "مَطَالِعِ الْأَنْوَارِ" الضَّمَّ فِيهِمَا، وَهُوَ غَرِيبٌ شَاذٌ ضَعِيفٌ.
وَأَمَّا الطَّهَارَةُ فِي اضْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ: (فِيهِ إِزَالَةُ حَدَثٍ أَوْ نَجَسٍ أَوْ مَا فِي
مَعْنَاهُمَا وَعَلَى صُورَتَيْهِمَا).

وَقَوْلُنَا (فِي مَعْنَاهُمَا): أَرَدْنَا بِهِ التَّيْمُّمَ وَالْأَغْسَالَ الْمَسْنُونَةَ كَالْجُمُعَةِ وَتَجْدِيدِ
الْوُضُوءِ، وَالْغَسْلَةَ الثَّانِيَةَ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْحَدَثِ وَالنَّجَسِ، أَوْ مَسْحَ الْأُذُنِ
وَالْمَضْمَضَةَ وَنَحْوَهَا مِنْ نَوَافِلِ الطَّهَارَةِ، وَطَهَارَةِ الْمُسْتَحَاضَةِ وَسَلْسِ الْبَوْلِ،
فَهَذِهِ كُلُّهَا طَهَارَاتٌ، وَلَا تَرْفَعُ حَدَثًا وَلَا نَجَسًا، وَفِي الْمُسْتَحَاضَةِ وَالسَّلْسِ
وَالتَّيْمُّمِ وَجْهٌ ضَعِيفٌ: أَنَّهَا تَرْفَعُ [قُلْتُ: وَهُوَ الْأَرْجَحُ]. اهـ.

السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ... ﴿[الأنفال: ١١]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ :
 ﴿اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالمَاءِ وَالتَّلْجِ وَالْبَرْدِ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(١).
 وَقَوْلِهِ فِي الْبَحْرِ: ﴿هُوَ الطَّهُّورُ مِائُهُ الْحِلُّ مِيتَتُهُ﴾. رَوَاهُ الْخَمْسَةُ
 وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ ^(٢).

(١) [رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٧٦)، وَالنَّسَائِيُّ (٤٠٢، ٤٠٣)، وَأَخْمَدُ (١٨٦٣٩)] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ أَبِي أَوْفَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: ﴿اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاءِ وَمِلْءُ
 الْأَرْضِ وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالتَّلْجِ وَالْبَرْدِ وَالمَاءِ الْبَارِدِ،
 اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ [وَفِي رِوَايَةٍ
 لِمُسْلِمٍ: كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّرَنِ، وَفِي رِوَايَةٍ: مِنَ الدَّنَسِ]. وَرَوَى
 الْبُخَارِيُّ (٧٤٤)، وَمُسْلِمٌ (٥٩٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ﴿كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً، فَقُلْتُ: يَا أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِسْكَاتُكَ
 بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ
 بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ
 الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالتَّلْجِ وَالْبَرْدِ﴾.

(٢) [رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٨٣)، وَالنَّسَائِيُّ (٣٣٢، ٤٣٥٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٦٩)، وَابْنُ مَاجَةَ
 (٣٦٨، ٣٢٤٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ﴿سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ
 اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا أَفْتَوَضَّأُ مِنَ
 مَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُوَ الطَّهُّورُ مِائُهُ الْحِلُّ مِيتَتُهُ﴾ هَذَا لَفْظُ التِّرْمِذِيِّ،
 وَقَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ جَابِرٍ وَالْفَرَّاسِيِّ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ،
 وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَابْنُ عَبَّاسٍ =

= لَمْ يَرَوْا بِأَسَا بِمَاءِ الْبَحْرِ. [وَصَحَّحَهُ الْحَافِظُ فِي "التَّلْخِصِ" (١)، وَالْأَلْبَانِيُّ فِي "الْإِرْوَاءِ" (٩)] قَالَ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ" شَرْحَ "الْمُهَذَّبِ" :

وَأَمَّا الْمَاءُ فَجَمْعُ مَاءٍ، وَهُوَ جَمْعُ كَثْرَةٍ وَجَمْعُهُ فِي الْقِلَّةِ أَمْوَاءٌ، وَجَمْعُ الْقِلَّةِ عَشْرَةٌ فَمَا دُونَهَا، وَالْكَثْرَةُ فَوْقَهَا،

وَأَصْلُ مَاءٍ مَوَّةٌ، وَهُوَ أَصْلٌ مَرْفُوضٌ، وَالْهَمْزَةُ فِي مَاءٍ بَدَلٌ مِنَ الْهَاءِ إِبْدَالٌ لَا زِمَ عِنْدَ بَعْضِ النُّحَوِيِّينَ.

وَلِنَّمَا قِيلَ: مِيَاءٌ بِجَمْعِ الْكَثْرَةِ؛ لِأَنَّ أَنْوَاعَ الْمَاءِ زَائِدَةٌ عَلَى الْعَشْرَةِ، فَإِنَّهُ طَاهِرٌ وَطَهُورٌ وَنَجَسٌ، وَالطَّهْوَرُ يَنْقَسِمُ إِلَى مَاءِ السَّمَاءِ وَمَاءِ الْأَرْضِ، وَمَاءِ السَّمَاءِ يَنْقَسِمُ إِلَى مَطَرٍ وَذَوْبٍ ثَلَجٍ وَبَرَدٍ،

وَمَاءِ الْأَرْضِ إِلَى مَاءٍ أَنْهَارٍ وَبِحَارٍ وَأَبَارٍ وَمُشَمِّسٍ وَمُسَخَّنٍ وَمُتَغَيِّرٍ بِالْمُكْتِ، وَبِمَا لَا يُمَكِّنُ صَوْنَهُ مِنْهُ وَبِالْتُّرَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِهِ، وَيَنْقَسِمُ الطَّاهِرُ وَالنَّجَسُ أَقْسَامًا مَعْرُوفَةً.

وَبِنَاءُ كَثِيرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِكِتَابِ الطَّهَارَةِ ثُمَّ بَابُ الْمِيَاءِ لِمُنَاسَبَةِ حَسَنَةِ، ذَكَرَهَا صَاحِبُ التَّيَمِّمَةِ وَهُوَ أَبُو سَعِيدٍ الْمُتَوَلَّى، قَالَ: بَدَأْنَا بِذَلِكَ لِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَالْحَجُّ وَصَوْمُ رَمَضَانَ»، وَفِي رِوَايَةٍ «وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَالْحَجُّ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٨)، وَمُسْلِمٌ (١٦)، وَالنَّسَائِيُّ (٥٠٠١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦٠٩)، وَأَحْمَدُ (٤٧٨٣)، وَمُسْلِمٌ (٥٩٧٩)، وَابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه، فَبَدَأَ ﷺ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالصَّلَاةِ، وَالْعَرَبُ تَبْدَأُ بِالْأَهَمِّ فَكَانَ تَقْدِيمُ الصَّلَاةِ أَهَمَّ، وَأَمَّا التَّوْحِيدُ فَلَهُ كُتِبَ مُسْتَقَلَّةً أَه.

أَنْوَاعُ الْمَاءِ الطَّهُورِ

(وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ :)

١- (مَاءٌ يَحْرُمُ اسْتِعْمَالُهُ وَلَا يَرْفَعُ الْحَدَثَ، وَيُزِيلُ الْخَبَثَ، وَهُوَ مَا لَيْسَ بِمُبَاحٍ) كَمَغْضُوبٍ وَنَحْوِهِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَنَى: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٢١٨) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ.

٢- (وَمَاءٌ يَرْفَعُ حَدَثَ الْأُنْثَى لَا الرَّجُلِ الْبَالِغِ وَالْخُثَى، وَهُوَ مَا خَلَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ الْمُكَلَّفَةُ لِبَطَارَةِ كَامِلَةٍ عَنْ حَدِيثٍ): لِحَدِيثِ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ ؓ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى أَنْ يَتَوَضَّأَ الرَّجُلُ بِفَضْلِ طَهُورِ الْمَرْأَةِ» رَوَاهُ الْخَمْسَةُ [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَقَالَ أَحْمَدُ: جَمَاعَةٌ كَرِهُوهُ. وَخَصَّضَاهُ بِالْخُلُوةِ لِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ: (تَوَضَّأْتُ هَاهُنَا وَهِيَ هَاهُنَا فَأَمَّا إِذَا خَلْتُ بِهِ فَلَا تَقْرَبْنِي)^(١).

(١) رَوَى فِي مَالِكٍ فِي الْمُوَطَّلِ (٤٦)، وَكَذَا الْبُخَارِيُّ (١٩٣) وَأَبُو دَاوُدَ (٧٩)، وَالنَّسَائِيُّ (٧١)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٨١)، وَأَحْمَدُ (٤٤٦٧، ٥٧٦٥، ٥٨٩٢)، مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَتَوَضَّئُونَ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمِيعًا»

وَفِي لَفْظِ أَبِي دَاوُدَ (٧٩): «كَانَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَتَوَضَّئُونَ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ مُسَدَّدٌ مِنَ الْإِنَاءِ الْوَاحِدِ جَمِيعًا». وَلَا بِنِ مَاجَةَ (٣٨١): «كَانَ =

= الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَتَوَضَّئُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٨٠) مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدِ اللَّهِ حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: ﴿كُنَّا نَتَوَضَّأُ نَحْنُ وَالنِّسَاءُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ نُذْلِي فِيهِ أَيْدِينَا﴾ [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (٦٢٤٧) حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ: ﴿كَانَ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ يَتَوَضَّئُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَيُشْرِعُونَ فِيهِ جَمِيعًا﴾. وَرَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي "صَحِيحِهِ" (١٢١) نَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنْعَانِيُّ نَا الْمُعْتَمِرُ قَالَ سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: ﴿أَنَّهُ أَبْصَرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ يَتَطَهَّرُونَ وَالنِّسَاءُ مَعَهُمُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ كُلُّهُمْ يَتَطَهَّرُ مِنْهُ﴾ [قَالَ الْأَعْظَمِيُّ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي "فَتْحِ الْبَارِي":

قَوْلُهُ: (كَانَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ) ظَاهِرُهُ التَّعْمِيمُ فَالْأَمُّ لِلْجِنْسِ لَا لِلِاسْتِغْرَاقِ. قَوْلُهُ (فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) يُسْتَدَادُ مِنْهُ أَنَّ الْبُخَارِيَّ يَرَى أَنَّ الصَّحَابَةَ إِذَا أَضَافَ الْفِعْلَ إِلَى زَمَنِ الرَّسُولِ ﷺ يَكُونُ حُكْمُهُ الرَّفْعَ وَهُوَ الصَّحِيحُ، وَحُكْمِي عَنْ قَوْمٍ خِلَافُهُ لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ لَمْ يَطْلُعْ، وَهُوَ ضَعِيفٌ لِتَوَفُّرِ دَوَاعِي الصَّحَابَةِ عَلَى سُؤَالِهِمْ إِيَّاهُ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَقَعُ لَهُمْ وَمِنْهُمْ، وَلَوْ لَمْ يَسْأَلُوهُ لَمْ يَقْرَأُوا عَلَى فِعْلِ غَيْرِ الْجَائِزِ فِي زَمَنِ التَّشْرِيعِ، فَقَدْ اسْتَدَلَّ أَبُو سَعِيدٍ وَجَابِرٌ عَلَى إِبَاحَةِ الْعَزْلِ بِكُونِهِمْ كَانُوا يَفْعَلُونَهُ وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ وَلَوْ كَانَ مَنْهِيًّا لَنَهَى عَنْهُ الْقُرْآنُ،

وَزَادَ ابْنُ مَاجَهَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ مَالِكٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ "مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ"، وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ "نُذْلِي فِيهِ أَيْدِينَا".

= رَوَاهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِغْتِرَافَ مِنَ الْمَاءِ الْقَلِيلِ لَا يُصِيرُهُ مُسْتَعْمَلًا لِأَنَّ أَوَائِيَهُمْ كَانَتْ صِغَارًا كَمَا صَرَّحَ بِهِ الشَّافِعِيُّ فِي "الْأَمِّ" فِي عِدَّةٍ مَوَاضِعَ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى طَهَارَةِ الدُّمِيِّ وَاسْتِعْمَالِ فَضْلِ طَهُورِهَا وَسُورِهَا لِجَوَازِ تَزَوُّجِهِنَّ وَعَدَمِ التَّفْرِقَةِ فِي الْحَدِيثِ بَيْنَ الْمُسْلِمَةِ وَغَيْرِهَا.

قَوْلُهُ: (جَمِيعًا) ظَاهِرُهُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الْمَاءَ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، وَحَكَى ابْنُ التِّينِ عَنْ قَوْمٍ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ كَانُوا يَتَوَضَّئُونَ جَمِيعًا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، هَؤُلَاءِ عَلَى حَدِّهِ وَهَؤُلَاءِ عَلَى حَدِّهِ، وَالْإِنَاءُ الْمُتَقَدِّمَةُ فِي قَوْلِهِ "مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ" قَدْ رُوِيَ عَلَيْهِ، وَكَانَ هَذَا الْقَائِلَ اسْتِجْمَاعَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الْأَجَانِبِ،

وَقَدْ أَجَابَ ابْنُ التِّينِ عَنْهُ بِمَا حَكَاهُ عَنْ سَحْنُونٍ أَنَّ مَعْنَاهُ: كَانَ الرِّجَالُ يَتَوَضَّئُونَ وَيَذْهَبُونَ ثُمَّ تَأْتِي النِّسَاءُ فَيَتَوَضَّئْنَ، وَهُوَ خِلَافُ الظَّاهِرِ مِنْ قَوْلِهِ "جَمِيعًا"، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْجَمِيعُ ضِدُّ الْمُفْتَرِقِ، وَقَدْ وَقَعَ مُصَرِّحًا بِوَاحِدَةِ الْإِنَاءِ فِي صَحِيحِ ابْنِ خُزَيْمَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ طَرِيقِ مُعْتَمِرٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّهُ أَبْصَرَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ يَتَطَهَّرُونَ وَالنِّسَاءُ مَعَهُمْ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ كُلُّهُمْ يَتَطَهَّرُ مِنْهُ»،

وَالْأَوَّلَى فِي الْجَوَابِ أَنَّ يُقَالُ: لَا مَانِعَ مِنَ الْاجْتِمَاعِ قَبْلَ نُزُولِ الْحِجَابِ، وَأَمَّا بَعْدُهُ فَيَخْتَصُّ بِالزَّوْجَاتِ وَالْمَحَارِمِ.

وَنَقَلَ الطَّحَاوِيُّ ثُمَّ الْقُرْطُبِيُّ وَالتَّوَوِيُّ: الْإِتِّفَاقَ عَلَى جَوَازِ إِغْتِسَالِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ مِنَ الْإِنَاءِ الْوَاحِدِ.

وَفِيهِ نَظَرٌ، لِمَا حَكَاهُ ابْنُ الْمُثَنِّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْهُ، وَكَذَا حَكَاهُ =

= إِبْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ قَوْمٍ، وَهَذَا الْحَدِيثُ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ.
 وَنَقَلَ النَّوَوِيُّ: الْإِتِّفَاقَ عَلَى جَوَازِ وُضُوءِ الْمَرْأَةِ بِفَضْلِ الرَّجُلِ دُونَ الْعَكْسِ،
 وَبِهِ نَظَرٌ أَيْضًا فَقَدْ أَثْبَتَ الْخِلَافَ فِيهِ الطَّحَاوِيُّ،
 وَبَيَّنَّ عَنْ إِبْنِ عُمَرَ وَالشَّعْبِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ الْمَنْعَ لَكِنْ مُقَيَّدًا بِمَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا،
 وَأَمَّا عَنْهُ فَصَحَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ الصَّحَابِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ
 وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُمْ مَنَعُوا التَّطَهُّرَ بِفَضْلِ الْمَرْأَةِ،
 وَبِهِ قَالَ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، لَكِنْ قَبْلَهُ بِمَا إِذَا خَلَّتْ بِهِ لِأَنَّ أَحَادِيثَ الْبَابِ ظَاهِرَةٌ
 فِي الْجَوَازِ إِذَا اجْتَمَعَا،
 وَنَقَلَ الْمِيمُونِيُّ عَنْ أَحْمَدَ أَنَّ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي مَنَعِ التَّطَهُّرِ بِفَضْلِ الْمَرْأَةِ
 وَفِي جَوَازِ ذَلِكَ مُضْطَرِئَةٌ، قَالَ: لَكِنْ صَحَّ عَنْ عِدَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الْمَنْعُ فِيمَا إِذَا
 خَلَّتْ بِهِ،
 وَغُرُوضُ بَصَحَةِ الْجَوَازِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ إِبْنُ عَبَّاسٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
 وَأَشْهُرُ الْأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْجِهَتَيْنِ حَدِيثُ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ فِي
 الْمَنْعِ، وَحَدِيثُ مِيمُونَةَ فِي الْجَوَازِ.
 أَمَّا حَدِيثُ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرِو: فَأَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ وَحَسَنَهُ التِّرْمِذِيُّ
 وَصَحَّحَهُ إِبْنُ حِبَّانَ، وَأَعْرَبَ النَّوَوِيُّ فَقَالَ: اتَّفَقَ الْحُقَاطُ عَلَى تَضْعِيفِهِ.
 وَفِي الْمَنْعِ أَيْضًا مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 الْجَمْعِيِّ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا صَحَبَ النَّبِيَّ ﷺ أَرْبَعَ سِنِينَ فَقَالَ: ﴿نَهَى رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ أَنْ تَغْتَسِلَ الْمَرْأَةُ بِفَضْلِ الرَّجُلِ أَوْ يَغْتَسِلَ الرَّجُلُ بِفَضْلِ الْمَرْأَةِ =

= وَلِيُغْتَرِفَا جَمِيعًا رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَلَمْ أَقِفْ لِمَنْ أَعْلَهُ عَلَى حُجَّةٍ قَوِيَّةٍ، وَدَعَايَ
الْبَيْهَقِيِّ أَنَّهُ فِي مَعْنَى الْمُرْسَلِ مَرْدُودَةٌ لِأَنَّ إِبْهَامَ الصَّحَابِيِّ لَا يَضُرُّ، وَقَدْ صَرَّحَ
التَّابِعِيُّ بِأَنَّهُ لَقِيَهُ،

وَدَعَايَ ابْنَ حَزْمٍ أَنَّ دَاوُدَ رَاوِيَهُ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هُوَ ابْنُ يَزِيدَ الْأَوْدِيِّ
وَهُوَ ضَعِيفٌ مَرْدُودَةٌ، فَإِنَّهُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْدِيِّ وَهُوَ ثِقَةٌ، وَقَدْ صَرَّحَ بِاسْمِ أَبِيهِ
أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

وَأَمَّا حَدِيثُ مَيْمُونَةَ: فَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، لَكِنْ أَعْلَهُ قَوْمٌ لِيَتَرَدَّدَ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَمْرِو
ابْنِ دِينَارٍ حَيْثُ قَالَ: عَلِمِي وَالَّذِي يَخْطُرُ عَلَى بَالِي أَنَّ أَبَا الشَّعْثَاءِ أَخْبَرَنِي...
فَذَكَرَ الْحَدِيثَ،

وَقَدْ وَرَدَ طَرِيقُ الْآخَرَى بِلا تَرَدُّدٍ لَكِنَّ رَاوِيَهَا غَيْرُ ضَابِطٍ وَقَدْ خُولِفَ،
وَالْمَحْفُوظُ مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ بِلَفْظٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمَيْمُونَةَ كَانَا يَغْتَسِلَانِ مِنْ
إِنَاءٍ وَاحِدٍ»،

وَمِنْ أَحَادِيثِ الْجَوَارِ: مَا أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ وَالذَّارِقُطْنِيُّ وَصَحَّحَهُ
الترمذي وابن خزيمة وغيرهما مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ ﷺ قَالَتْ:
«أَجَنَّبْتُ فَأَغْتَسَلْتُ مِنْ جَفْنَةٍ، فَفَضَلْتُ فِيهَا فَضْلَةً، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَغْتَسِلُ مِنْهُ،
فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ " الْمَاءُ لَيْسَ عَلَيْهِ جَنَابَةٌ، وَاغْتَسَلَ مِنْهُ ». لَفْظُ الذَّارِقُطْنِيِّ.

وَقَدْ أَعْلَهُ قَوْمٌ بِسَمَّاكِ بْنِ حَرْبٍ رَاوِيَهُ عَنْ عِكْرِمَةَ لِأَنَّهُ كَانَ يَقْبَلُ التَّلْقِينَ، لَكِنْ
قَدْ رَوَاهُ عَنْهُ شُعْبَةُ وَهُوَ لَا يَحْمِلُ عَنْ مَشَايِخِهِ إِلَّا صَحِيحَ حَدِيثِهِمْ.

وَقَوْلُ أَحْمَدَ: إِنَّ الْأَحَادِيثَ مِنَ الطَّرِيقَيْنِ مُضْطَرِبَةٌ إِنَّمَا يُصَارُ إِلَيْهِ عِنْدَ تَعَدُّرِ
الْجَمْعِ،

=

= وَالْجَمْعُ مُنْكَرٌ بِأَنْ تُحْمَلَ أَحَادِيثُ النَّهْيِ عَلَى مَا تَسَاقَطَ مِنْ الْأَعْضَاءِ، وَالْجَوَازُ عَلَى مَا بَقِيَ مِنَ الْمَاءِ، وَبِذَلِكَ جَمْعُ الْخَطَائِي، أَوْ يُحْمَلُ النَّهْيُ عَلَى التَّزْيِيدِ جَمْعًا بَيْنَ الْأَوَّلَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ: (بَابُ وُضُوءِ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ وَفَضْلِ وُضُوءِ الْمَرْأَةِ وَتَوَضُّأِ عُمَرُ بِالْحَمِيمِ وَمِنْ بَيْتِ نَضْرَانِيَّةٍ).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي "فَتْحِ الْبَارِي":

قَوْلُهُ: (بَابُ وُضُوءِ الرَّجُلِ) بِضَمِّ الْوَاوِ لِأَنَّ الْقَصْدَ بِهِ الْفِعْلُ.

قَوْلُهُ: (وَفَضْلُ وُضُوءِ الْمَرْأَةِ) بِفَتْحِ الْوَاوِ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمَاءُ الْفَاضِلُ فِي الْإِنَاءِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْوُضُوءِ وَهُوَ بِالْخَفْضِ عَظْفًا عَلَى قَوْلِهِ "وُضُوءُ الرَّجُلِ".

قَوْلُهُ: (وَتَوَضُّأِ عُمَرُ بِالْحَمِيمِ) أَي: بِالْمَاءِ الْمُسَخَّنِ،

وَهَذَا الْأَثَرُ وَصَلَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ وَغَيْرُهُمَا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ بِلَفْظِ "إِنَّ عُمَرَ كَانَ يَتَوَضَّأُ بِالْحَمِيمِ وَيَغْتَسِلُ مِنْهُ" وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالدَّارَقُطْنِيُّ بِلَفْظِ "كَانَ يُسَخِّنُ لَهُ مَاءً فِي قُمْقُمٍ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ" قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَمُنَاسَبَتُهُ لِلتَّرْجَمَةِ مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ أَهْلَ الرَّجُلِ تَبِعَ لَهُ فِيمَا يَفْعَلُ، فَأَشَارَ الْبُخَارِيُّ إِلَى الرَّدِّ عَلَى مَنْ مَنَعَ الْمَرْأَةَ أَنْ تَتَطَهَّرَ بِفَضْلِ الرَّجُلِ؛ لِأَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ امْرَأَةَ عُمَرَ كَانَتْ تَتَوَضَّأُ بِفَضْلِهِ أَوْ مَعَهُ، فَيُنَاسِبُ قَوْلُهُ "وُضُوءُ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ" أَي مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ. وَأَمَّا مَسْأَلَةُ التَّطَهُّرِ بِالْمَاءِ الْمُسَخَّنِ فَاتَّقُوا عَلَى جَوَازِهِ إِلَّا مَا نُقِلَ عَنْ مُجَاهِدٍ.

قَوْلُهُ: (وَمِنْ بَيْتِ نَضْرَانِيَّةٍ) أَي: وَتَوَضَّأَ عُمَرُ مِنْ بَيْتِ نَضْرَانِيَّةٍ،

وَهَذَا الْأَثَرُ وَصَلَهُ الشَّافِعِيُّ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ =

[تَابِعُ أَنْوَاعِ الْمَاءِ الطَّهُورِ]

٣ - (وَمَاءُ يَكْرَهُ اسْتِعْمَالُهُ مَعَ عَدَمِ الْاِخْتِاجِ إِلَيْهِ):

(وَهُوَ مَاءٌ يُرَى بِمَشْبُورَةٍ): قَالَ فِي "الْفُرُوعِ" فِي الْأَطْعِمَةِ: وَكَرِهَ أَحْمَدُ

= أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ بِهِ،

وَلَفْظُ الشَّافِعِيِّ "تَوَضَّأَ مِنْ مَاءٍ فِي جَرَّةٍ نَضْرَانِيَّةٍ" وَلَمْ يَسْمَعْهُ ابْنُ عُيَيْنَةَ مِنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، فَقَدْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ سَعْدَانَ بْنِ نَضْرِ عَنْهُ قَالَ "حَدَّثُونَا عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ" فَذَكَرَهُ مُطَوَّلًا.

وَرَوَاهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْهُ بِإِبْنَاتِ الْوَاسِطَةِ فَقَالَ "عَنْ ابْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ بِهِ" وَأَرَادَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَسَامَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَأَوْثَقُهُمْ وَأَكْبَرُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ، وَأُظِنَّهُ هُوَ الَّذِي سَمِعَ ابْنُ عُيَيْنَةَ مِنْهُ ذَلِكَ، وَلِهَذَا جَزَمَ بِهِ الْبُخَارِيُّ. وَهَذَا الثَّانِي مُنَاسِبٌ لِقَوْلِهِ "وَفَضْلُ وَضُوءِ الْمَرْأَةِ" لِأَنَّ عُمَرَ تَوَضَّأَ بِمَائِهَا وَلَمْ يَسْتَفْصِلْ، مَعَ جَوَازِ أَنْ تَكُونَ تَحْتَ مُسْلِمٍ وَاعْتَسَلَتْ مِنْ حَيْضٍ لِيَجِلَّ لَهُ وَظُؤُهَا فَفَضَلَ مِنْهُ ذَلِكَ الْمَاءُ، وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَقَعْ التَّضَرُّيخُ بِهِ لَكِنَّهُ مُحْتَمَلٌ، وَجَرَتْ عَادَةُ الْبُخَارِيِّ بِالتَّمَسُّكِ بِمِثْلِ ذَلِكَ عِنْدَ عَدَمِ الْاِسْتِفْصَالِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ لَا يَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ التَّطَهُّرِ بِفَضْلِ وَضُوءِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ أَسْوَأَ حَالًا مِنَ النَّضْرَانِيَّةِ.

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ اسْتِعْمَالِ مِيَاهِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ غَيْرِ اسْتِفْصَالٍ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي "الْأَمِّ": لَا بَأْسَ بِالْوُضُوءِ مِنْ مَاءِ الْمُشْرِكِ وَبِفَضْلِ وَضُوءِهِ مَا لَمْ تَعْلَمْ فِيهِ نَجَاسَةً.

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: اِنْفَرَدَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ بِكَرَاهَةِ فَضْلِ الْمَرْأَةِ إِذَا كَانَتْ جُنُبًا.

ماءٍ بئرٍ بَيْنَ الْقُبُورِ، وَشَوَّكَهَا وَبَقَلَهَا، قَالَ ابْنُ عُقَيْلٍ: كَمَا سُمِّدَ بِنَجَسٍ وَالْجَلَالَةُ. انْتَهَى.

(وَمَاءٌ اشْتَدَّ خَرُّهُ أَوْ بَرْدُهُ) لِأَنَّهُ يُؤْذِي، وَيَمْنَعُ كَمَالَ الطَّهَارَةِ
(أَوْ سُخْنٌ بِنَجَاسَةٍ، أَوْ [سُخْرٍ] بِمَغْضُوبٍ) لِأَنَّهُ لَا يَسْلَمُ غَالِبًا مِنْ
صُعُودِ أَجْزَاءٍ لَطِيفَةٍ إِلَيْهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ﴿دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا
يَرِيكَ﴾. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.^(١)

(أَوْ اسْتَعْمِلَ فِي طَهَارَةٍ لَمْ تَحِبْ) لِتَجْدِيدِ وَغُسْلِ جُمُعَةٍ.
(أَوْ فِي غُسْلِ كَافِرٍ) خُرُوجًا مِنْ خِلَافٍ مَنْ قَالَ: يَسْلُبُهُ الطَّهْوَرِيَّةُ.
(أَوْ تَغْيِيرَ بِمِلْحٍ مَائِيٍّ) كَالْمِلْحِ الْبَحْرِيِّ، لِأَنَّهُ مُنْعَقِدٌ مِنَ الْمَاءِ.

(١) [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٥١٨) عَنْ أَبِي الْحَوَّاءِ السَّغْدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ؛ فَإِنَّ الصَّدَقَ طَمَآنِينَةٌ وَإِنَّ الْكُذْبَ رِيَّةٌ﴾ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٥٧١١)، وَأَحْمَدُ (٢٧٨١٩)، وَالدَّارِمِيُّ (٢٥٣٢) مُخْتَصَرًا وَلَفْظُهُ: عَنْ أَبِي الْحَوَّاءِ السَّغْدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْهُ: ﴿دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ﴾. [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَبْرٍ فِي "فَتْحِ الْبَارِي": "قَوْلُهُ: (يَرِيكَ) بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَجُوزُ الضَّمِّ يُقَالُ رَابَهُ يَرِيئُهُ بِالْفَتْحِ، وَأَرَابَهُ يُرِيئُهُ بِالضَّمِّ رِيَّةٌ وَهِيَ الشُّكُّ وَالتَّرَدُّدُ، وَالْمَعْنَى إِذَا شَكَّكَتْ فِي شَيْءٍ فَدَعَهُ، وَتَرَكْ مَا يُشْكُ فِيهِ أَضَلُّ عَظِيمٌ فِي الْوَرَعِ. اهـ.

(أَوْ بِمَا لَا يُمَارِجُهُ) كَتَغْيِيرِهِ بِالْعُودِ الْقَمَارِيِّ، وَقَطْعِ الْكَافُورِ،
وَالدُّهْنِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ، لِأَنَّهُ تَغْيِيرٌ عَنْ مُجَاوَرَةٍ، لِأَنَّهُ لَا يُمَارِجُ
الْمَاءَ، وَكَرَاهَتُهُ خُرُوجًا مِنَ الْخِلَافِ^(١).

قَالَ فِي "الشَّرْحِ": وَفِي مَعْنَاهُ: مَا تَغَيَّرَ بِالْقَطِرَانِ وَالزُّفْتِ
وَالشَّمْعِ، لِأَن فِيهِ دُهْنِيَّةً يَتَغَيَّرُ بِهَا الْمَاءُ.

(وَلَا يُكْرَهُ مَاءٌ زَمْزَمٌ إِلَّا فِي إِزَالَةِ الْخَبَثِ) تَعْظِيمًا لَهُ، وَلَا يُكْرَهُ
الْوُضُوءُ وَالْغُسْلُ مِنْهُ، لِحَدِيثِ أُسَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: ﴿دَعَا
بِسَجَلٍ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَتَوَضَّأَ﴾ رَوَاهُ أَحْمَدُ (٥٦٥) عَنْ عَلِيٍّ
ﷺ [وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ]

وَعَنْهُ: يُكْرَهُ الْغُسْلُ. لِقَوْلِ الْعَبَّاسِ ﷺ: (لَا أُحِلُّهَا لِمُغْتَسِلٍ)،
وَحَصَّنَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ الْكَرَاهَةَ بِغُسْلِ الْجَنَابَةِ.

[تَابِعْ أَنْوَاعَ الْمَاءِ الطَّهُورِ]:

٤ - (وَمَاءٌ لَا يُكْرَهُ اسْتِعْمَالُهُ):

(كَمَاءِ الْبَحْرِ) لِمَا تَقَدَّمَ.

(وَالْأَبَارِ وَالْعُيُونِ وَالْأَنْهَارِ) لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: ﴿قِيلَ: يَا رَسُولَ

(١) [قُلْتُ: وَفِي "لِسَانِ الْعَرَبِ": وَقَمَارٍ: مَوْضِعٌ إِلَيْهِ يُنْسَبُ الْعُودُ الْقَمَارِيُّ. وَعُودٌ
قَمَارِيٌّ: مَنْسُوبٌ إِلَى مَوْضِعٍ بِبِلَادِ الْهِنْدِ. اهـ].

اللَّهُ، أَنْتَوَضَّأُ مِنْ بَثْرِ بُضَاعَةٍ، (وَهِيَ بَثْرٌ يُلْقَى فِيهَا الْحَيْضُ وَلُحُومُ الْكِلَابِ وَالشَّئْ)؟ فَقَالَ ﷺ: الْمَاءُ طَهُورٌ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ ﴿ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ. ^(١)

وَحَدِيثٌ: ﴿أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا يَبِابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. ^(٢)

(١) [رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٦٧)، وَالنَّسَائِيُّ (٣٢٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٦٦)، وَأَحْمَدُ (١٠٨٦٤)] مِنْ طَرِيقِ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ رَافِعٍ بْنِ خَدِيجٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَوَضَّأُ مِنْ بَثْرِ بُضَاعَةٍ وَهِيَ بَثْرٌ يُلْقَى فِيهَا الْحَيْضُ وَلُحُومُ الْكِلَابِ وَالشَّئْ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ الْمَاءَ طَهُورٌ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ﴾. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَقَدْ جَوَّدَ أَبُو أُسَامَةَ هَذَا الْحَدِيثَ فَلَمْ يَزِدْ أَحَدٌ حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ فِي بَثْرِ بُضَاعَةٍ أَحْسَنَ مِمَّا رَوَى أَبُو أُسَامَةَ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَفِي الْبَابِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

(٢) [رَوَى الْبُخَارِيُّ (٥٢٨)، وَمُسْلِمٌ (٦٦٧)، وَالنَّسَائِيُّ (٤٦٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٨٦٨)، وَأَحْمَدُ (٨٧٠٥، ٩٢٢١، ٩٣٩٩)، وَالْدَّارِمِيُّ (١١٨٣)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا يَبِابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقَى مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا لَا يُبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا﴾ وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (١٣٩٧)، وَأَحْمَدُ (٥٢٠) عَنْ عُثْمَانَ ؓ.

وَرَوَى أَحْمَدُ (١٥٣٧) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَسَمِعْتُهُ أَنَا مِنْ =

(وَالْحَمَّامُ) لِأَنَّ الصَّحَابَةَ دَخَلُوا الْحَمَّامَ، وَرَخَّصُوا فِيهِ، وَمَنْ نُقِلَ عَنْهُ الْكَرَاهَةُ عُلِّلَ بِخَوْفِ مُشَاهَدَةِ الْعَوْرَةِ أَوْ قَصْدِ التَّنَعُّمِ بِهِ ذَكَرَهُ فِي "الْمُبْدِعِ" .^(١)

وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ (عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُسَخِّنُ لَهُ مَاءً فِي قُمْصٍ فَيَغْتَسِلُ بِهِ) . [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]
وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ (ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ يَغْتَسِلُ بِالْحَمِيمِ) .
[وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] .

= هَارُونَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ حَدَّثَنِي مَخْرَمَةُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ سَمِعْتُ سَعْدًا وَنَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ: ﴿كَانَ رَجُلَانِ أَخَوَانِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَفْضَلَ مِنَ الْآخَرِ، فَتَوَفَّيَ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُهُمَا، ثُمَّ عَمَّرَ الْآخَرُ بَعْدَهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ تَوَفَّيَ، فَذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضْلُ الْأَوَّلِ عَلَى الْآخَرِ، فَقَالَ: أَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي؟ فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَانَ لَا بَأْسَ بِهِ، فَقَالَ: مَا يُدْرِيكُمْ مَاذَا بَلَغَتْ بِهِ صَلَاتُهُ، ثُمَّ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلَوَاتِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ بِبَابٍ رَجُلٍ عَمِرَ عَذْبٌ يَفْتَحُهُ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا تُرَوْنَ يُبْقِي ذَلِكَ مِنْ دَرَاهِمِهِ. وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَرِوَايَةُ مَخْرَمَةَ عَنْ أَبِيهِ وَجَادَةٌ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

(١) [رَوَى أَحْمَدُ (١٢٦): عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقْعُدَنَّ عَلَى مَا يَدَّارُ عَلَيْهَا بِالْخَمْرِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلُ الْحَمَّامَ إِلَّا بِإِزَارٍ، وَمَنْ كَانَتْ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا تَدْخُلُ الْحَمَّامَ﴾ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْإِرْوَاءِ (٦/٧)].

(وَلَا يُكْرَهُ الْمَسْحُ بِالسُّنْسَنِ) وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: تُكْرَهُ الطَّهَارَةُ بِمَا قُصِدَ تَشْمِيسُهُ، لِحَدِيثٍ: ﴿لَا تَفْعَلِي فَإِنَّهُ يُورِثُ الْبَرَصَ﴾ رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ. ^(١)
وَلَاَّهُ لَوْ كُرِهَ لِأَجْلِ الضَّرَرِ لَمَا اخْتَلَفَ بِقَصْدِ تَشْمِيسِهِ وَعَدَمِهِ.
(وَالْمُتَغَيِّرُ بِطَوِيلِ الْمَكْثِ) وَهُوَ الْآجِنُ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: أَجْمَعَ كُلُّ مَنْ نَحَفَظَ عَنْهُ أَنَّ الْوُضُوءَ بِالْمَاءِ الْآجِنِ جَائِزٌ سِوَى ابْنِ سِيرِينَ ^(٢).
وكَذَلِكَ مَا تَغَيَّرَ فِي آيَةِ الْأُدْمِ. ^(٣)

، وَالنُّحَاسُ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يُسَافِرُونَ، وَغَالِبُ أَسْقِيَتِهِمُ الْأُدْمُ، وَهِيَ تُغَيِّرُ أَوْصَافَ الْمَاءِ عَادَةً، وَلَمْ يَكُونُوا يَتَيَمَّمُونَ مَعَهَا.
قَالَ فِي "الشَّرْحِ".

(أَوْ بِالرَّيْحِ، مِنْ نَحْوِ مَيْتَةٍ) قَالَ فِي "الشَّرْحِ": لَا نَعْلَمُ فِي ذَلِكَ خِلَافًا.
(أَوْ بِمَا يَشُقُّ صَوْنَ الْمَاءِ عَنْهُ: كَالطُّحْلُبِ وَوَرَقِ شَجَرٍ، مَا لَمْ يُوضَعَا)
وكَذَلِكَ مَا تَغَيَّرَ بِمَمَرِهِ عَلَى كِبَرِيَةٍ وَقَارٍ وَغَيْرِهِمَا، وَوَرَقِ شَجَرٍ عَلَى

(١) [قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: مَوْضُوعٌ]، وَقَالَ: يَرْوِيهِ خَالِدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، وَهُوَ مَثْرُوكٌ، وَعَمَرُو الْأَعْسَمُوهُو مُنْكَرُ الْحَدِيثِ.

(٢) [قُلْتُ: وَفِي "لِسَانِ الْعَرَبِ": الْآجِنُ: هُوَ الْمَاءُ الْمُتَغَيِّرُ الطَّعْمِ وَاللَّوْنِ، أَجَنَ الْمَاءُ يَاجُنُ وَيَاجُنُ أَجَنًا وَأَجُونًا. اهـ].

(٣) [فِي "الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ": جَمْعُ أَدِيمٍ: أَدَمَةٌ وَأَدَمٌ وَأَدَامٌ. وَالْأُدْمُ: اسْمٌ لِلْجَمْعِ، وَالْأَدِيمُ: أَوْ الْجِلْدُ، أَوْ أَحْمَرُهُ، أَوْ مَذْبُوعُهُ وَهُوَ أَيْضًا الطَّعَامُ الْمَادُومُ. اهـ].

السَّوَاقِي وَالْبِرْكُ، وَمَا تُلْقِيهِ الرِّيحُ وَالسُّيُوفُ فِي الْمَاءِ، مِنَ الْحَشِيشِ وَالتَّنِّينِ، وَنَحْوِهِمَا، لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ صَوْنُ الْمَاءِ عَنْهُ. قَالَ فِي "الْكَافِي" ^(١).

(الثاني: طاهرٌ يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ فِي غَيْرِ رَفْعِ الْحَدِّثِ وَزَوَالِ الْحَبِّثِ: وَهُوَ مَا تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْ لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ أَوْ رِيحِهِ بِشَيْءٍ طَاهِرٍ) غَيَّرَ اسْمَهُ حَتَّى صَارَ: صَبْغًا، أَوْ خَلًّا، أَوْ طُبَخَ فِيهِ فَصَارَ مَرَقًا، فَيَسْلُبُهُ الطَّهَوْرِيَّةُ، قَالَ فِي "الْكَافِي": بِغَيْرِ خِلَافٍ، لِأَنَّهُ أَزَالَ عَنْهُ اسْمَ الْمَاءِ فَأَشْبَهَ الْخَلَّ.

(١) [التَّخْلِبُ وَالتَّخْلِبُ وَالتَّخْلِبُ: خُضْرَةُ تَغْلُو الْمَاءَ الْمُزْمِنَ. وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الْمَاءِ، كَأَنَّهُ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ].

قَالَ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ" شَرْحَ "الْمُهَذَّبِ":

لَا تُعْتَبَرُ فِي الْمُغَيَّرِ لِمُجَاوِرِهِ مُجَاوَرَتُهُ لِجَمِيعِ أَجْزَاءِ الْمَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمُخَالِطُ، بَلْ يَكْفِي مُجَاوَرَةُ بَعْضِهِ كَمَا فِي الدُّهْنِ وَالْعُودِ، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُخَالِطِ وَالْمُجَاوِرِ، هَذَا كَلَامُ أَبِي عَمْرٍو.

وَقَدْ صَرَّحَ بِهَذَا الْفُورَانِيُّ فَقَالَ فِي الْإِبَانَةِ: الْيَسِيرُ مِنَ الْكَافُورِ الَّذِي يَخْتَلِطُ بِالْمَاءِ وَيَذُوبُ فِيهِ، بِحَيْثُ لَا يَصِلُ جَمِيعُ أَجْزَاءِ الْمَاءِ إِذَا وَقَعَ فِي الْمَاءِ وَتَرَوَّحَ بِهِ فِيهِ وَجْهَانِ..

وَقَالَ الْمَاوَرِدِيُّ: لِلْكَافُورِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ: حَالٌ يُغْلَمُ انْجِلَالُهُ فِي الْمَاءِ فَيَسْلُبُ؛ لِأَنَّهُ مُخَالِطٌ، وَحَالٌ يُغْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَنْحَلْ فَلَا يَسْلُبُ؛ لِأَنَّهُ مُجَاوِرٌ، وَحَالٌ يُشَكُّ فَإِنْ تَغَيَّرَ بِطَعْمٍ أَوْ لَوْنٍ يَسْلُبُ، وَإِنْ تَغَيَّرَ بِرَائِحَةٍ فَوَجْهَانِ. هَذَا كَلَامُ الْمَاوَرِدِيِّ، وَقَوْلُهُ فِي الْحَالِ الْأَوَّلِ يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ عَلَى كَافُورٍ كَثِيرٍ؛ لِيُؤْفَقَ مَا سَبَقَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(فَإِنْ زَالَ تَغْيِيرُهُ بِنَفْسِهِ عَادَ إِلَى طَهُورِيَّتِهِ، وَمِنْ الظَّاهِرِ مَا كَانَ قَلِيلًا
وَاسْتَعْمَلَ فِي رَفْعِ حَدِيثٍ) ﴿لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَبَّ عَلَى جَابِرٍ مِنْ وَضُوئِهِ﴾
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١).

وَفِي حَدِيثِ صَلَاحِ الْحُدَيْيَةِ: ﴿وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى
وَضُوئِهِ﴾.^(٢)

وَيُعْنَى عَنْ يَسِيرِهِ، وَهُوَ ظَاهِرُ حَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ لَأَنَّهُمْ
[كَانُوا] يَتَوَضَّؤُونَ مِنَ الْأَقْدَاحِ.^(٣)

(أَوْ انْتَمَسَتْ فِيهِ كُلُّ يَدِ الْمُسْلِمِ الْمُكَلَّفِ النَّائِمِ لَيْلًا نَوْمًا يَنْقُضُ
الْوُضُوءَ، قَبْلَ غَسَلِهَا ثَلَاثًا بَيِّنَةً وَتَسْبِيَةً، وَذَلِكَ وَاجِبٌ) لِقَوْلِهِ ﷺ:

(١) [رَوَى الْبُخَارِيُّ (١٩٤، ٤٥٧٧، ٥٦٥١، ٥٦٧٦)، وَمُسْلِمٌ (١٦١٦)] عَنْ
جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَوِّدُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَغْقِلُ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ
عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ فَعَقَلْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنِ الْمِيرَاثُ؟ إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةٌ؛
فَنَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ».

(٢) [رَوَى الْبُخَارِيُّ (١٨٩، ٢٧٤٣)، وَأَحْمَدُ (١٨٤٤٩)] عَنْ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ
وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ فِي قِصَّةِ الْحُدَيْيَةِ: «... وَإِذَا
تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ».

(٣) [الْأَقْدَاحُ: هِيَ الْكِبْرَانُ الصَّغِيرَةُ. وَفِي "لِسَانِ الْعَرَبِ": الْقَدْحُ مِنَ الْآنِيَةِ بِالتَّخْرِيكِ:
مُفْرَدُ الْأَقْدَاحِ الَّتِي لِلشُّرْبِ، مَعْرُوفٌ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: يُرْوَى الرَّجُلَيْنِ. وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ
يَجْمَعُ صِغَارَهَا وَكِبَارَهَا، وَالْجَمْعُ أَقْدَاحٌ، وَمُتَّخِذُهَا: قَدَّاحٌ، وَصِنَاعَتُهُ: الْقِدَاحَةُ].

﴿ إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُمَا فِي الْإِنَاءِ ثَلَاثًا، فَإِنْ أَحَدَكُمُ لَا يَذَرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ ﴾ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. ^(١)

وَيَقْتَرِنُ لِلنِّبَةِ لِحَدِيثِ عُمَرَ: ﴿ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ﴾. ^(٢)

وَلِلتَّنْمِيَةِ قِيَاسًا عَلَى الْوُضُوءِ. قَالَهُ أَبُو الْخَطَّابِ ^(٣).

(١) رَوَى الْبُخَارِيُّ (١٦٢) وَمُسْلِمٌ (٢٧٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ ثَمًّا لِيَنْثُرَ، وَمَنْ اسْتَجَمَرَ فَلْيُوتِرْ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ فَإِنْ أَحَدَكُمُ لَا يَذَرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ ﴾ هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ.

(٢) [رَوَى الْبُخَارِيُّ (١، ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٩٩٨)، وَمُسْلِمٌ (١٩٠٧)] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؓ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِكُلِّ امْرَأٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ﴾ وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ (١) ﴿ بِالنِّيَّاتِ ﴾.

(٣) [هُوَ الْكُلُودَانِيُّ الْبَغْدَادِيُّ: مَحْفُوظُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَقِيهَ الْحَنْبَلِيِّ. ت. سَنَةِ (٥١٠هـ)]. وَهَذَا غَيْرُ الْخَطَّابِيِّ الْإِمَامِ الْعَلَامَةِ الْحَافِظِ اللَّغَوِيِّ أَبِي سُلَيْمَانَ حَمْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَطَّابِ الْبُسْتِيِّ الْخَطَّابِيِّ، صَاحِبِ التَّصَانِيفِ. قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي "السِّيَرِ": وَلِدَ سَنَةِ بَضْعَ عَشْرَةٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ. وَسَمِعَ مِنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْأَعْرَابِيِّ بِمَكَّةَ، وَمِنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ الصَّفَّارِ وَطَبَقَتِهِ بِبَغْدَادَ، وَمِنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ دَاسَةَ وَغَيْرِهِ بِالْبَصْرَةِ، وَأَخَذَ الْفِقْهَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْقَفَّالِ الشَّاشِيِّ، وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَنُظَرَائِهِمَا. وَكَانَ قَدْ رَحَلَ فِي الْحَدِيثِ وَقِرَاءَةِ الْعُلُومِ، وَطَوَّفَ، ثُمَّ أَلَّفَ فِي فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَصَنَّفَ، وَفِي شُيُوخِهِ كَثْرَةٌ، وَكَذَلِكَ فِي تَصَانِيفِهِ، مِنْهَا =

= "شَرْحُ السُّنَنِ"، وَكِتَابُهُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ، تُوفِّيَ الْخَطَّابِيُّ بِبُسْتٍ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ.]

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ الْحَبْلِيُّ فِي "الْمُعْنَى":

غَسَلَ الْيَدَيْنِ فِي أَوَّلِ الْوُضُوءِ مَسْنُونٌ فِي الْجُمْلَةِ، سَوَاءٌ قَامَ مِنَ النَّوْمِ أَوْ لَمْ يَقُمْ؛ لِأَنَّهَا الَّتِي تُغْمَسُ فِي الْإِنَاءِ وَتَنْقُلُ الْوُضُوءَ إِلَى الْأَعْضَاءِ، فَفِي غَسْلِهِمَا إِخْرَازٌ لِجَمِيعِ الْوُضُوءِ، ﴿وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ﴾،

فَإِنَّ عُثْمَانَ ؓ وَصَفَ وَضُوءَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ﴿دَعَا بِالْمَاءِ فَأَفْرَغَ عَلَى كَفِّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَعَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ.﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وكَذَلِكَ وَصَفَ عَلِيٌّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمَا،

وَلَيْسَ ذَلِكَ بِوَاجِبٍ عِنْدَ غَيْرِ الْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ، بِغَيْرِ خِلَافٍ نَعْلَمُهُ،

فَأَمَّا عِنْدَ الْقِيَامِ مِنْ نَوْمِ اللَّيْلِ، فَاخْتَلَفَتْ الرُّوَايَةُ فِي وَجُوبِهِ؛ فَرُويَ عَنْ أَحْمَدَ وَجُوبُهُ، وَهُوَ الظَّاهِرُ عَنْهُ، وَاخْتِيَارُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ مَذْهَبُ ابْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُمَا الْإِنَاءَ ثَلَاثًا؛ فَإِنْ أَحَدَكُمُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ.﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي لَفْظِ لِمُسْلِمٍ: ﴿فَلَا يَغْمَسُ يَدَهُ فِي وَضُوءٍ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا﴾.

وَأَمْرُهُ يَقْتَضِي الْوُجُوبَ، وَنَهْيُهُ يَقْتَضِي التَّحْرِيمَ.

وَرُويَ أَنَّ ذَلِكَ مُسْتَحَبٌّ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ. وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ وَمَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ، وَإِسْحَاقُ، وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ...﴾ [المائدة: ٦]. الْآيَةُ. قَالَ زَيْدٌ ابْنُ أَسْلَمٍ فِي تَفْسِيرِهَا: إِذَا قُمْتُمْ مِنْ نَوْمٍ.

= وَلَاَنَّ الْقِيَامَ مِنَ النَّوْمِ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ الْآيَةِ، وَقَدْ أَمَرَهُ بِالْوُضُوءِ مِنْ غَيْرِ غَسْلِ
الْكَفَّيْنِ فِي أَوَّلِهِ، وَالْأَمْرُ بِالشَّيْءِ يَقْتَضِي حُصُولَ الْإِجْرَاءِ بِهِ؛
وَلَأَنَّهُ قَائِمٌ مِنَ نَوْمٍ، فَأَشْبَهَ الْقَائِمَ مِنَ نَوْمِ النَّهَارِ، وَالْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى
الِاسْتِحْبَابِ، لِتَغْلِيلِهِ بِمَا يَقْتَضِي ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ
يَدُهُ» وَطَرِيقَانِ الشَّكُّ عَلَى يَقِينِ الطَّهَارَةِ لَا يُؤْثِّرُ فِيهَا، كَمَا لَوْ تَيَقَّنَ الطَّهَارَةَ
وَشَكَّ فِي الْحَدِيثِ، فَيَذُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ التَّنْذِبَ.
(١٢١) كَسَلٌ: وَلَا تَخْتَلِفُ الرَّوَايَةُ فِي أَنَّهُ لَا يَجِبُ غَسْلُهُمَا مِنْ نَوْمِ النَّهَارِ،
وَسَوَى الْحَسَنِ بَيْنَ نَوْمِ اللَّيْلِ وَنَوْمِ النَّهَارِ فِي الْوُجُوبِ؛ لِعُمُومِ قَوْلِهِ: «إِذَا قَامَ
أَحَدُكُمُ مِنْ نَوْمِهِ». وَلَكِنَّا أَنَّ فِي الْخَبَرِ مَا يَذُلُّ عَلَى إِرَادَةِ نَوْمِ اللَّيْلِ؛ لِقَوْلِهِ: «فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ
يَدُهُ»، وَالْمَيْتُ يَكُونُ بِاللَّيْلِ خَاصَّةً،
وَلَا يَصِحُّ قِيَاسُ غَيْرِهِ عَلَيْهِ لِوَجْهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا أَنَّ الْحُكْمَ ثَبَتَ تَعَبُّدًا، فَلَا يَصِحُّ تَعْدِيَّتُهُ.
الثَّانِي: أَنَّ اللَّيْلَ مَظَنَّةُ النَّوْمِ وَالِاسْتِغْرَاقِ فِيهِ وَطَوِيلُ مُدَّتِهِ، فَاحْتِمَالُ إِصَابَةِ يَدِهِ
لِنَجَاسَةٍ لَا يَشْعُرُ بِهَا أَكْثَرُ مِنْ احْتِمَالِ ذَلِكَ فِي نَوْمِ النَّهَارِ.
قَالَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ الْأَثَرِ: الْحَدِيثُ فِي الْمَيْتِ بِاللَّيْلِ، فَأَمَّا النَّهَارُ فَلَا بَأْسَ
بِهِ.

(١٢٢) فَضْلٌ: فَإِنْ عَمَسَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ قَبْلَ غَسْلِهَا، فَعَلَى قَوْلٍ مَنْ لَمْ يُوجِبْ
غَسْلَهَا، لَا يُؤْثِّرُ عَمْسُهَا شَيْئًا،
وَمَنْ أَوْجَبَهُ قَالَ: إِنْ كَانَ الْمَاءُ كَثِيرًا يَذْفَعُ النَّجَاسَةَ عَنْ نَفْسِهِ، لَمْ يُؤْثِرْ أَيْضًا؛ =

= لَأَنَّهُ يَذْفَعُ الْخُبْنَ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا، فَقَالَ أَحْمَدُ: أَعْجَبُ إِلَيَّ أَنْ يُهْرِيقَ الْمَاءَ، فَيَحْمِلُ أَنْ تَجِبَ إِزَاقَتُهُ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ لَأَنَّ النَّهْيَ عَنْ غَمْسِ الْيَدِ فِيهِ يَدُلُّ عَلَى تَأْثِيرِهِ فِيهِ،

وَقَدْ رَوَى أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ الْمُسْلِمِ الْعُكْبَرِيُّ فِي الْخَبَرِ زِيَادَةً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ :
«فَإِنْ أَدْخَلَهَا قَبْلَ الْغَسْلِ أَرَأَيْتَ الْمَاءَ» .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا تَزُولَ طَهُورِيَّتُهُ وَلَا تَجِبَ إِزَاقَتُهُ؛ لِأَنَّ طَهُورِيَّةَ الْمَاءِ كَانَتْ ثَابِتَةً بَيِّنِينَ، وَالْغَمْسُ الْمُحَرَّمُ لَا يَقْتَضِي إِبْطَالَ طَهُورِيَّةِ الْمَاءِ؛ لَأَنَّهُ إِنْ كَانَ لَوْهَمُ النَّجَاسَةِ، فَالْوَهْمُ لَا يَزُولُ بِهِ يَقِينُ الطَّهُورِيَّةِ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يُزَلْ يَقِينُ الطَّهَارَةِ، فَكَذَلِكَ لَا يُزِيلُ الطَّهُورِيَّةَ، فَإِنَّا لَمْ نَحْكَمْ بِنَجَاسَةِ الْيَدِ وَلَا الْمَاءِ؛ وَلِأَنَّ الْيَقِينَ لَا يَزُولُ بِالشَّكِّ فَبِالْوَهْمِ أَوْلَى، وَإِنْ كَانَ تَعَبُّدًا فَتَقْتَصِرُ عَلَى مُقْتَضَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَهُوَ وَجُوبُ الْغَسْلِ وَتَحْرِيمُ الْغَمْسِ، وَلَا يُعَدَّى إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا يَصِحُّ قِيَاسُهُ عَلَى رَفْعِ الْحَدِّ؛ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ بِحَدِّ؛

وَلِأَنَّ مِنْ شَرْطِ تَأْثِيرِ غَمْسِ الْمُحَدِّثِ أَنْ يَنْوِيَ رَفْعَ الْحَدِّ، وَلَا فَرْقَ هَاهُنَا بَيْنَ أَنْ يَنْوِيَ أَوْ لَا يَنْوِيَ.

وَقَالَ أَبُو الْخَطَّابِ: إِنْ غَمَسَ يَدَهُ فِي الْمَاءِ قَبْلَ غَسْلِهَا، فَهَلْ تَبْطُلُ طَهُورِيَّتُهُ؟ عَلَى رِوَايَتَيْنِ. اهـ..

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي "فَتْحِ الْبَارِي" :

قَوْلُهُ (وَإِذَا اسْتَيْقِظَ) هَكَذَا عَطَفَهُ الْبُخَارِيُّ، وَاقْتَضَى سِيَاقُهُ أَنَّهُ حَدِيثٌ وَاحِدٌ، وَلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ فِي الْمُوَطَّأِ. وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي "الْمُسْتَدْرَجِ" مِنْ مُوَطَّأِ يَحْيَى رِوَايَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ مُفَرَّقًا، وَكَذَا هُوَ فِي مُوَطَّأِ =

= يَخْيَى ابْنُ بُكَيْرٍ وَغَيْرِهِ، وَكَذَا فَرَّقَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ، وَكَذَا أَخْرَجَ مُسْلِمٌ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، وَالثَّانِي مِنْ طَرِيقِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ. وَعَلَى هَذَا فَكَانَ الْبُخَارِيُّ كَانَ يَرَى جَوَارَ جَمْعِ الْحَدِيثَيْنِ إِذَا اتَّحَدَ سَنَدُهُمَا فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ، كَمَا يَرَى جَوَارَ تَفْرِيقِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَمَلَ عَلَى حُكْمَيْنِ مُسْتَقِلَّيْنِ.

قَوْلُهُ: (مِنْ نَوْمِهِ) أَخَذَ بِعُمُومِهِ الشَّافِعِيُّ وَالْجُمْهُورُ فَاسْتَحْبُّوا عَقِبَ كُلِّ نَوْمٍ، وَخَصَّه أَحْمَدُ بِنَوْمِ اللَّيْلِ لِقَوْلِهِ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ «بَاتَتْ يَدُهُ» لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْمَبِيتِ أَنْ يَكُونَ فِي اللَّيْلِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ سَأَلَ مُسْلِمٌ إِسْنَادَهَا: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ» وَكَذَا لِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ صَحِيحٍ، وَلِأَبِي عَوَانَةَ فِي رِوَايَةٍ سَأَلَ مُسْلِمٌ إِسْنَادَهَا أَيْضًا: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوُضُوءِ حِينَ يُصْبِحُ»، لَكِنَّ التَّحْلِيلَ يَقْتَضِي إِنْحَاقَ نَوْمِ النَّهَارِ بِنَوْمِ اللَّيْلِ، وَإِنَّمَا خُصَّ نَوْمُ اللَّيْلِ بِالدُّخْرِ لِلْعَلَبَةِ. قَالَ الرَّافِعِيُّ فِي شَرْحِ "الْمُسْنَدِ": يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ الْكَرَاهَةُ فِي الْغَمَسِ لِمَنْ نَامَ لَيْلًا أَشَدَّ مِنْهَا لِمَنْ نَامَ نَهَارًا؛ لِأَنَّ الْإِحْتِمَالَ فِي نَوْمِ اللَّيْلِ أَقْرَبُ لِطَوِيلِهِ عَادَةً، ثُمَّ الْأَمْرُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ عَلَى النَّدْبِ،

وَحَسَنَهُ أَحْمَدُ عَلَى الْوُجُوبِ فِي نَوْمِ اللَّيْلِ دُونَ النَّهَارِ، وَعَنْهُ فِي رِوَايَةٍ اسْتِحْبَابُهُ فِي نَوْمِ النَّهَارِ، وَاتَّقُوا عَلَى أَنَّهُ لَوْ غَمَسَ يَدُهُ لَمْ يَضُرَّ الْمَاءُ، وَقَالَ إِسْحَاقُ وَدَاوُدُ وَالطَّبْرِيُّ يَنْجُسُ،

وَاسْتَدِلَّ لَهُمْ بِمَا وَرَدَ مِنَ الْأَمْرِ بِإِرَاقَتِهِ؛ لَكِنَّهُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِيٍّ، وَالْقَرِيبَةُ الصَّارِقَةُ لِلْأَمْرِ عَنِ الْوُجُوبِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ التَّحْلِيلُ بِأَمْرِ يَقْتَضِي الشُّكَّ؛ =

= لَأَنَّ الشَّكَّ لَا يَفْتَضِي وَجُوبًا فِي هَذَا الْحُكْمِ اسْتِصْحَابًا لِأَصْلِ الطَّهَارَةِ .
 وَاسْتَدَلَّ أَبُو عَوَانَةَ عَلَى عَدَمِ الْوُجُوبِ بِوُضُوئِهِ ﷺ مِنَ الشَّنِّ الْمُعَلَّتِي بَعْدَ قِيَامِهِ
 مِنَ النَّوْمِ كَمَا سَيَأْتِي فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
 وَنُقِبَ بِأَنَّ قَوْلَهُ « أَحَدُكُمْ » يَقْتَضِي اخْتِصَاصَهُ بِغَيْرِهِ ﷺ ،
 وَأُجِبَ بِأَنَّهُ صَحَّ عَنْهُ غَسْلُ يَدَيْهِ قَبْلَ إِدْخَالِهِمَا فِي الْإِنَاءِ حَالِ الْيَقَظَةِ ،
 فَاسْتِحْبَابُهُ بَعْدَ النَّوْمِ أَوْلَى ، وَيَكُونُ تَرْكُهُ لِبَيَانِ الْجَوَازِ .
 وَأَيْضًا فَقَدْ قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فِي رَوَايَاتٍ لِمُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِمَا
 " فَلْيَغْسِلْهُمَا ثَلَاثًا " وَفِي رِوَايَةٍ " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " ، وَالتَّقْيِيدُ بِالْعَدَدِ فِي غَيْرِ النَّجَاسَةِ
 الْعَيْنِيَّةِ يَدُلُّ عَلَى النَّدْبِيَّةِ ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ : « فَلَا
 يَضَعُ يَدَهُ فِي الْوُضُوءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا » وَالنَّهْيُ فِيهِ لِلتَّزْيِيدِ كَمَا ذَكَرْنَا إِنْ فَعَلَ
 اسْتَحَبَّ وَإِنْ تَرَكَ كُرِهَ وَلَا تَزُولُ الْكَرَاهَةُ بِدُونِ الثَّلَاثِ ، نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ .
 وَالْمُرَادُ بِالْيَدِ هُنَا الْكَفُّ دُونَ مَا زَادَ عَلَيْهَا اتِّفَاقًا ،
 وَهَذَا كُلُّهُ فِي حَقِّ مَنْ قَامَ مِنَ النَّوْمِ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مَفْهُومُ الشَّرْطِ وَهُوَ حُجَّةٌ عِنْدَ
 الْأَكْثَرِ ،

أَمَّا الْمُسْتَقْبَلُ فَيُسْتَحَبُّ لَهُ الْفِعْلُ لِحَدِيثِ عُثْمَانَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ ، وَلَا يَكْرَهُ التَّرَدُّ
 لِعَدَمِ وُرُودِ النَّهْيِ فِيهِ ، وَقَدْ رَوَى سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ
 كَانَ يَفْعَلُهُ وَلَا يَرَى بِتَرْكِه بَأْسًا ، وَسَيَأْتِي عَنْ ابْنِ عُمرَ وَالْبَرَاءِ نَحْوُ ذَلِكَ .
 قَوْلُهُ : (قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا) ، وَلِمُسْلِمٍ وَابْنِ خُزَيْمَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ طُرُقٍ : « فَلَا
 يَغْمِسُ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا » وَهِيَ أَبْيَنُ فِي الْمُرَادِ مِنْ رِوَايَةِ الْإِدْخَالِ ؛
 لِأَنَّ مُطْلَقَ الْإِدْخَالِ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ كَرَاهَةٌ كَمَنْ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي إِنَاءٍ وَاسِعٍ =

= فَأَعْتَرَفَ مِنْهُ بِإِنَاءٍ صَغِيرٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلَامِسَ يَدَهُ الْمَاءَ .

قَوْلُهُ: (فِي وَضُوئِهِ) يَفْتَحُ الْوَاوِ أَيْ: الْإِنَاءُ الَّذِي أُعِدَّ لِلْوُضُوءِ، وَفِي رِوَايَةِ الْكُشْمِينِيِّ "فِي الْإِنَاءِ" وَهِيَ رِوَايَةُ مُسْلِمٍ مِنْ طُرُقٍ أُخْرَى، وَلَا بِنِ خُزَيْمَةَ "فِي إِنَائِهِ أَوْ وَضُوئِهِ" عَلَى الشَّكِّ، وَالظَّاهِرُ إختصاصُ ذَلِكَ بِإِنَاءِ الْوُضُوءِ، وَيَلْحَقُ بِهِ إِنَاءُ الْغُسْلِ لِأَنَّهُ وَضُوءٌ وَزِيَادَةٌ، وَكَذَا بَاقِي الْآيَةِ قِيَاسًا، لَكِنْ فِي الْإِسْتِحْبَابِ مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ لِعَدَمِ وُرُودِ النَّهْيِ فِيهَا عَنْ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَخَرَجَ بِذِكْرِ الْإِنَاءِ الْبِرْكُ وَالْحَبَاضُ الَّتِي لَا تَفْسُدُ بِغَمْسِ الْيَدِ فِيهَا عَلَى تَقْدِيرِ نَجَاسَتِهَا فَلَا يَتَنَاوَلُهَا النَّهْيُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَوْلُهُ: (فَإِنْ أَحَدَكُمُ) قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: فِيهِ إِسَاءَةٌ إِلَى أَنْ الْبَاعِثُ عَلَى الْأَمْرِ بِذَلِكَ إِحْتِمَالُ النَّجَاسَةِ، لِأَنَّ الشَّارِعَ إِذَا ذَكَرَ حُكْمًا وَعَقَّبَهُ بِعِلَّةٍ دَلَّ عَلَى أَنَّ ثُبُوتَ الْحُكْمِ لِأَجْلِهَا، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ الْمُحْرِمِ الَّذِي سَقَطَ فَمَاتَ: ﴿فَإِنَّهُ يُبْعَثُ مُلَبًّا﴾ بَعْدَ نَهْيِهِمْ عَنْ تَطْيِيبِهِ، فَتَبَّهَ عَلَى عِلَّةِ النَّهْيِ وَهِيَ كَوْنُهُ مُحْرِمًا .

قَوْلُهُ: (لَا يَذَرِي) فِيهِ أَنَّ عِلَّةَ النَّهْيِ إِحْتِمَالُ هَلْ لَاقَتْ يَدُهُ مَا يُؤْثِرُ فِي الْمَاءِ أَوْ لَا، وَمُقْتَضَاهُ إِلْحَاقُ مَنْ شَكَّ فِي ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ مُسْتَقِظًا، وَمَقْهُومُهُ أَنَّ مَنْ دَرَى أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ كَمَنْ لَفَّ عَلَيْهَا خِرْقَةً مَثَلًا فَاسْتَقِظَ وَهِيَ عَلَى حَالِهَا أَنْ لَا كَرَاهَةَ، وَإِنْ كَانَ غَسَلَهَا مُسْتَحَبًّا عَلَى الْمُخْتَارِ كَمَا فِي الْمُسْتَقِظِ، وَمَنْ قَالَ بِأَنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ لِلتَّعَبُّدِ - كَمَا لِكِ - لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ شَاكٍّ وَمُتَيَقِّنٍ .

وَاسْتُدِلَّ بِهَذَا الْحَدِيثُ:

عَلَى التَّفَرُّقِ بَيْنَ وُرُودِ الْمَاءِ عَلَى النَّجَاسَةِ وَبَيْنَ وُرُودِ النَّجَاسَةِ عَلَى الْمَاءِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ .

=

= وَعَلَى أَنَّ النِّجَاسَةَ تُؤَثِّرُ فِي الْمَاءِ، وَهُوَ صَحِيحٌ؛ لَكِنَّ كَوْنَهَا تُؤَثِّرُ التَّنَجِّيسَ وَإِنْ لَمْ يَتَغَيَّرْ فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ مُطْلَقَ التَّأثيرِ لَا يَدُلُّ عَلَى خُصُوصِ التَّأثيرِ بِالتَّنَجِّيسِ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْكَرَاهَةُ بِالْمُتَيَقِّنِ أَشَدَّ مِنَ الْكَرَاهَةِ بِالْمُظَنُّونِ قَالَهُ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَمُرَادُهُ أَنَّهُ لَيْسَتْ فِيهِ دَلَالَةٌ قَطْعِيَّةٌ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْمَاءَ لَا يَنْجُسُ إِلَّا بِالتَّغْيِيرِ. قَوْلُهُ: (أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ) أَيِ مِنْ جَسَدِهِ،

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: " كَانُوا يَسْتَجِمِرُونَ وَبِلَادُهُمْ حَارَّةٌ فَرُبَّمَا عَرِقَ أَحَدُهُمْ إِذَا نَامَ فَيَحْتَمِلُ أَنْ تَطُوفَ يَدُهُ عَلَى الْمَحَلِّ أَوْ عَلَى بَثْرَةٍ أَوْ دَمٍ حَيَوَانٍ أَوْ قَذَرٍ غَيْرِ ذَلِكَ ". وَتَعَبُّهُ أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي: بِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الْأَمْرَ بِغَسْلِ ثَوْبٍ النَّائِمِ لِحَوَازِ ذَلِكَ عَلَيْهِ،

وَأَجِيبَ: بِأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا كَانَ الْعَرَقُ فِي الْيَدِ دُونَ الْمَحَلِّ، أَوْ أَنَّ الْمُسْتَقِظَ لَا يُرِيدُ غَمَسَ ثَوْبِهِ فِي الْمَاءِ حَتَّى يُؤَمَّرَ بِغَسْلِهِ، بِخِلَافِ الْيَدِ فَإِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى غَمْسِهَا، وَهَذَا أَقْوَى الْجَوَابَيْنِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَا إِخْصَاصَ لِلذَّكَاءِ بِمَحَلِّ الْإِسْتِجْمَارِ:

مَا رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَغَيْرُهُ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ خَالِدِ الْحَذَّاءِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ فِي آخِرِهِ: ﴿أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ مِنْهُ﴾، وَأَصْلُهُ فِي مُسْلِمٍ دُونَ قَوْلِهِ " مِنْهُ " قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: تَفَرَّدَ بِهَا شُعْبَةُ، وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: تَفَرَّدَ بِهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ.

ثَلَاثٌ: إِنْ أَرَادَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ فَمُسَلَّمٌ، وَإِنْ أَرَادَ مُطْلَقًا فَلَا، فَقَدْ قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: تَابَعَهُ عَبْدُ الصَّمَدِ عَنْ شُعْبَةَ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَنْدَهٍ مِنْ طَرِيقِهِ. =

= وفي الحديث:

الْأَخْذُ بِالْوُثْقَةِ، وَالْعَمَلُ بِالِاخْتِيَاظِ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْكُنَاةُ عَمَّا يُسْتَحْيَا مِنْهُ إِذَا حَصَلَ الْإِفْهَامُ بِهَا، وَاسْتِحْبَابُ غَسْلِ النَّجَاسَةِ ثَلَاثًا لِأَنَّهُ أَمَرَنَا بِالتَّثْلِيثِ عِنْدَ تَوَهُّمِهَا فَعِنْدَ تَيَقُّنِهَا أُولَى.

وَأَسْتَبْطَ مِنْهُ قَوْمٌ فَوَائِدَ أُخْرَى فِيهَا بَعْدُ،

مِنْهَا أَنَّ مَوْضِعَ الْإِسْتِنْجَاءِ مَخْصُوصٌ بِالرُّخْصَةِ فِي جَوَازِ الصَّلَاةِ مَعَ بَقَاءِ أَثَرِ النَّجَاسَةِ عَلَيْهِ قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ، وَمِنْهَا إِيْجَابُ الْوُضُوءِ مِنَ النَّوْمِ، قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَمِنْهَا تَقْوِيَةُ مَنْ يَقُولُ بِالْوُضُوءِ مِنْ مَسِّ الذَّكَرِ حَكَاهُ أَبُو عَوَانَةَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ،

وَمِنْهَا أَنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ لَا يَصِيرُ مُسْتَعْمَلًا بِإِذْخَالِ الْيَدِ فِيهِ لِمَنْ أَرَادَ الْوُضُوءَ، قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ صَاحِبُ الْخِصَالِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ. اهـ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ":

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ لِمَسَائِلَ كَثِيرَةٍ فِي مَذْهَبِنَا وَمَذْهَبِ الْجُمْهُورِ:

مِنْهَا: أَنَّ الْمَاءَ الْقَلِيلَ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ نَجَاسَةٌ نَجَسَتْهُ، وَإِنْ قَلَّتْ وَلَمْ تُغَيِّرْ فَإِنَّهَا تُنَجِّسُهُ؛ لِأَنَّ الَّذِي تَعَلَّقَ بِالْيَدِ وَلَا يُرَى قَلِيلٌ جَدًّا، وَكَانَتْ عَادَتُهُمْ اسْتِعْمَالُ الْأَوَانِي الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَقْصُرُ عَنْ قُلْتَيْنِ بَلْ لَا تُقَارِبُهُمَا،

وَمِنْهَا: الْفَرْقُ بَيْنَ وَرُودِ الْمَاءِ عَلَى النَّجَاسَةِ وَوُرُودِهَا عَلَيْهِ، وَأَنَّهَا إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ نَجَسَتْهُ وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهَا أَرَاَلَهَا،

وَمِنْهَا: أَنَّ الْغَسْلَ سَبْعًا لَيْسَ عَامًّا فِي جَمِيعِ النَّجَاسَاتِ وَإِنَّمَا وَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ فِي وَلُوغِ الْكَلْبِ خَاصَّةً.

= وَمِنْهَا: أَنَّ مَوْضِعَ الْإِسْتِحْبَابِ لَا يَظْهَرُ بِالْأَخْبَارِ بَلْ يَبْقَى نَجَسًا مَغْفُورًا عَنْهُ فِي حَقِّ الصَّلَاةِ.

وَمِنْهَا: اسْتِحْبَابُ غَسْلِ النَّجَاسَةِ ثَلَاثًا لِأَنَّهُ إِذَا أَمَرَ بِهِ فِي الْمُتَوَهَّمَةِ فَفِي الْمُحَقَّقَةِ أُولَى.

وَمِنْهَا: اسْتِحْبَابُ الْغَسْلِ ثَلَاثًا فِي الْمُتَوَهَّمَةِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ النَّجَاسَةَ الْمُتَوَهَّمَةَ يَسْتَحِبُّ فِيهَا الْغَسْلُ وَلَا يُؤْثِرُ فِيهَا الرَّشُّ فَإِنَّهُ ﷺ قَالَ: حَتَّى يَغْسِلَهَا، وَلَمْ يَقُلْ حَتَّى يَغْسِلَهَا أَوْ يَرُسَّهَا.

وَمِنْهَا: اسْتِحْبَابُ الْأَخْذِ بِالِاخْتِطَاطِ فِي الْعِبَادَاتِ وَغَيْرِهَا مَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ حَدِّ الْإِخْتِطَاطِ إِلَى حَدِّ الْوَسْوسَةِ.

وَمِنْهَا: اسْتِحْبَابُ اسْتِعْمَالِ الْأَفَاطِ الْكِنَايَاتِ فِيمَا يُتَحَاشَى مِنَ التَّضْرِيحِ بِهِ؛ فَإِنَّهُ ﷺ قَالَ: ﴿لَا يَذَرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ﴾، وَلَمْ يَقُلْ فَلَعَلَّ يَدَهُ وَقَعَتْ عَلَى دُبُرِهِ أَوْ ذَكَرَهُ أَوْ نَجَاسَةٍ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ .

وَلِهَذَا نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ،

وَهَذَا إِذَا عَلِمَ أَنَّ السَّامِعَ يَفْهَمُ بِالْكِنَايَةِ الْمَقْصُودَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنَ التَّضْرِيحِ لِيُنْفِيَ اللَّبْسَ وَالْوُقُوعَ فِي خِلَافِ الْمَطْلُوبِ، وَعَلَى ذَا يُحْمَلُ مَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ مُصَرِّحًا بِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

هَذِهِ قَوَائِدُ مِنَ الْحَدِيثِ غَيْرُ الْفَائِدَةِ الْمَقْصُودَةِ هُنَا، وَهِيَ النَّهْيُ عَنْ غَمَسِ الْيَدِ فِي الْإِنَاءِ قَبْلَ غَسْلِهَا، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ،

لَكِنَّ الْجَمَاهِيرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ عَلَى أَنَّهُ نَهْيٌ تَنْزِيهِ لَا تَحْرِيمٍ، فَلَوْ خَالَفتْ وَغَمَسَ لَمْ يَفْسُدِ الْمَاءُ وَلَمْ يَأْتِمْ الْغَامِسُ، =

= وَحَكَى أَصْحَابُنَا عَنِ الْحَسَنِ الْبُضْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّهُ يَنْجُسُ إِنْ كَانَ قَامَ مِنْ نَوْمِ اللَّيْلِ. وَحَكَوهُ أَيْضًا عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ وَمُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا؛

فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي الْمَاءِ وَالْيَدِ الطَّهَارَةُ فَلَا يَنْجُسُ بِالشَّكِّ، وَقَوَاعِدُ الشَّرْعِ مُتَظَاهِرَةٌ عَلَى هَذَا وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ: الظَّاهِرُ فِي الْيَدِ النَّجَاسَةُ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ فَمَحْمُولٌ عَلَى التَّنْزِيهِ،

ثُمَّ مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ الْمُحَقِّقِينَ: أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ لَيْسَ مَخْصُوصًا بِالنَّجَاسَةِ مِنَ النَّوْمِ، بَلِ الْمُعْتَبَرُ فِيهِ الشَّكُّ فِي نَجَاسَةِ الْيَدِ فَمَتَى شَكٌّ فِي نَجَاسَتِهَا كُرِهَ لَهُ غَسُّهَا فِي الْإِنَاءِ قَبْلَ غَسْلِهَا وَسِوَاهُ قَامَ مِنْ نَوْمِ اللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ، أَوْ شَكٌّ فِي نَجَاسَتِهَا مِنْ غَيْرِ نَوْمٍ، وَهَذَا مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ.

وَحَكَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى - رِوَايَةً: أَنَّهُ إِنْ قَامَ مِنْ نَوْمِ اللَّيْلِ كُرِهَ كَرَاهَةٌ تَحْرِيمٌ، وَإِنْ قَامَ مِنْ نَوْمِ النَّهَارِ كُرِهَ كَرَاهَةٌ تَنْزِيهِ. وَرَوَاهُ عَلَيْهِ دَاوُدُ الظَّاهِرِيُّ إِعْتِمَادًا عَلَى لَفْظِ الْمَيْبِتِ فِي الْحَدِيثِ، وَهَذَا مَذْهَبُ ضَعِيفٍ جِدًّا، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عَلَى الْعِلَّةِ بِقَوْلِهِ ﷺ: «فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ»، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ النَّجَاسَةَ عَلَى يَدِهِ، وَهَذَا عَامٌّ لَوْجُودِ إِحْتِمَالِ النَّجَاسَةِ فِي نَوْمِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفِي الْيَقَظَةِ، وَذَكَرَ اللَّيْلَ أَوَّلًا لِكَوْنِهِ الْغَالِبِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَيْهِ خَوْفًا مِنْ تَوَهُّمِ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِهِ، بَلِ ذَكَرَ الْعِلَّةَ بَعْدَهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. هَذَا كُلُّهُ إِذَا شَكَّ فِي نَجَاسَةِ الْيَدِ.

أَمَّا إِذَا تَيَقَّنَ طَهَارَتَهَا وَأَرَادَ غَسْسَهَا قَبْلَ غَسْلِهَا:

فَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا: حُكْمُهُ حُكْمُ الشَّكِّ؛ لِأَنَّ أَسْبَابَ النَّجَاسَةِ =

= قَدْ تَخَفَى فِي حَقِّ مُعْظَمِ النَّاسِ فَسَدَ الْبَابُ لِئَلَّا يَتَسَاهَلَ فِيهِ مَنْ لَا يَعْرِفُ،
وَالْأَصَحُّ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجَمَاهِيرُ مِنْ أَضْحَابِنَا: أَنَّهُ لَا كَرَاهَةَ فِيهِ؛ بَلْ هُوَ فِي
خِيَارِ بَيْنِ الْعَمَسِ أَوَّلًا وَالْعَسَلِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ التَّوَمَّ وَتَبَّهَ عَلَى الْعِلَّةِ وَهِيَ
السُّكُّ، فَإِذَا انْتَفَتِ الْعِلَّةُ انْتَفَتِ الْكَرَاهَةُ، وَلَوْ كَانَ النَّهْيُ عَامًّا لَقَالَ: إِذَا أَرَادَ
أَحَدُكُمْ اسْتِعْمَالَ الْمَاءِ فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ حَتَّى يَغْسِلَهَا وَكَانَ أَعَمَّ وَأَحْسَنَ. وَاللَّهُ
أَعْلَمُ.

قَالَ أَضْحَابُنَا: وَإِذَا كَانَ الْمَاءُ فِي إِنَاءٍ كَبِيرٍ أَوْ صَخْرَةٍ بِحَيْثُ لَا يُنْكَرُ الصَّبُّ
مِنْهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِنَاءٌ صَغِيرٌ يَغْتَرَفُ بِهِ؛ فَطَرِيقُهُ: أَنْ يَأْخُذَ الْمَاءَ بِفِيهِ ثُمَّ يَغْسِلَ بِهِ
كَفَّيْهِ أَوْ يَأْخُذَ بِطَرَفِ ثَوْبِهِ التَّظْفِيفِ أَوْ يَسْتَعِينُ بِغَيْرِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

حُكْمُ الْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ:

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ الظَّاهِرِيُّ فِي "الْمُحَلَّى":

١٤١ - مَسْأَلَةٌ: وَالْوُضُوءُ بِالْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ جَائِزٌ، وَكَذَلِكَ الْغُسْلُ بِهِ لِلْجَنَابَةِ،
وَسَوَاءٌ وَجَدَ مَاءً آخَرَ غَيْرَهُ أَوْ لَمْ يَوْجَدْ، وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي تَوَضَّأَ بِهِ بِعَيْنِهِ لِفَرِيضَةٍ أَوْ
نَافِلَةٍ أَوْ اغْتَسَلَ بِهِ بِعَيْنِهِ لَجَنَابَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَسَوَاءٌ كَانَ الْمُتَوَضِّئُ بِهِ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً.
بِرَهَانِ ذَلِكَ:

١. قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا...﴾ [النساء: ٤٣] فَعَمَّ تَعَالَى كُلَّ مَاءٍ
وَلَمْ يَخْصُصْهُ، فَلَا يَجِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرَكَ الْمَاءَ فِي وَضُوئِهِ وَغُسْلِهِ الْوَاجِبِ وَهُوَ
يَجِدُهُ إِلَّا مَا مَنَعَهُ مِنْهُ نَصٌّ ثَابِتٌ أَوْ إِجْمَاعٌ مُتَيَقِّنٌ مَقْطُوعٌ بِصِحَّتِهِ.

٢. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا =

= لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. فَعَمَّ أَيْضًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَخْصَّ، فَلَا يَحِلُّ تَخْصِيصُ مَاءٍ بِالْمَنْعِ لَمْ يَخْصُهُ نَصٌّ آخَرُ أَوْ إِجْمَاعٌ مُتَيَقِّنٌ. رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنِ الرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَسَحَ بِرَأْسِهِ مِنْ فَضْلِ مَاءٍ كَانَ بِيَدِهِ» [حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ].

٣. وَأَمَّا مِنَ الْإِجْمَاعِ: فَلَا يَحْتَلِكُ أَثَنَانِ مِنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي أَنَّ كُلَّ مُتَوَضِّعٍ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ الْمَاءَ فَيَغْسِلُ بِهِ ذِرَاعَيْهِ مِنْ أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ إِلَى مِرْفَقِهِ، وَهَكَذَا كُلُّ غُضْوٍ فِي الْوُضُوءِ وَفِي غُسْلِ الْجَنَابَةِ، وَبِالضَّرُورَةِ وَالْحِسِّ يَذْرِي كُلُّ مُشَاهِدٍ لَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ الْمَاءَ قَدْ وَضِئَتْ بِهِ الْكَفُّ وَغُسِلَتْ، ثُمَّ غُسِلَ بِهِ أَوَّلُ الذِّرَاعِ ثُمَّ آخِرُهُ، وَهَذَا مَاءٌ مُسْتَعْمَلٌ بَيِّنٌ، ثُمَّ إِنَّهُ يَرُدُّ يَدَهُ إِلَى الْإِنَاءِ وَهِيَ تَقْطُرُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي طَهَّرَ بِهِ الْغُضْوَ، فَيَأْخُذُ مَاءً آخَرَ لِلْغُضْوِ الْآخَرِ، فَبِالضَّرُورَةِ يَذْرِي كُلُّ ذِي حِسٍّ سَلِيمٍ أَنَّهُ لَمْ يُطَهِّرِ الْغُضْوَ الثَّانِي إِلَّا بِمَاءٍ جَدِيدٍ قَدْ مَازَجَهُ مَاءٌ آخَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي تَطْهِيرِ غُضْوٍ آخَرَ وَهَذَا مَا لَا مَخْلَصَ مِنْهُ.

وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رِبَاحٍ، وَهُوَ أَيْضًا قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَأَبِي ثَوْرٍ وَجَمِيعِ أَصْحَابِنَا. وَقَالَ مَالِكٌ: يَتَوَضَّأُ بِهِ إِنْ لَمْ يَجِدْ غَيْرَهُ وَلَا يَتَيَمَّمُ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا يَجُوزُ الْغُسْلُ وَلَا الْوُضُوءُ بِمَاءٍ قَدْ تَوَضَّأَ بِهِ أَوْ اغْتَسَلَ بِهِ، وَيُكْرَهُ شُرْبُهُ،

وَرُويَ عَنْهُ أَنَّهُ طَاهِرٌ، وَالْأَظْهَرُ عَنْهُ أَنَّهُ نَجِسٌ، وَهُوَ الَّذِي رُويَ عَنْهُ نَصًّا، وَأَنَّهُ لَا يَنْجَسُ الثَّوبُ إِذَا أَصَابَهُ الْمَاءُ الْمُسْتَعْمَلُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَثِيرًا فَاحِشًا.

وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: إِنْ كَانَ الَّذِي أَصَابَ الثَّوبَ مِنْهُ شِبْرٌ فِي شِبْرٍ فَقَدْ نَجَسَهُ، =

= وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ لَمْ يُنَجِّسْهُ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَبُو يُوسُفَ: إِنْ كَانَ رَجُلٌ طَاهِرٌ قَدْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ أَوْ لَمْ يَتَوَضَّأَ لَهَا فَتَوَضَّأَ فِي بَيْتٍ فَقَدْ تَنَجَّسَ مَاؤُهَا كُلُّهُ وَتُنَزَّحُ كُلُّهَا وَلَا يَجْزِيهِ ذَلِكَ الْوُضُوءُ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُتَوَضِّئٍ، فَإِنْ اغْتَسَلَ فِيهَا أَرْضًا أَنْجَسَهَا كُلُّهَا. وَكَذَلِكَ لَوْ اغْتَسَلَ وَهُوَ طَاهِرٌ غَيْرُ جُنُبٍ فِي سَبْعَةِ آبَارٍ نَجَسَهَا كُلُّهَا.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا يُجْزِي الْوُضُوءَ وَلَا الْغُسْلُ بِمَاءٍ قَدْ اغْتَسَلَ بِهِ أَوْ تَوَضَّأَ بِهِ وَهُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ،

وَأَصْفَقَ أَصْحَابُهُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ لِيَتَوَضَّأَ فَأَخَذَ الْمَاءَ فَتَمَضَّضَ وَاسْتَشَقَّ وَغَسَلَ وَجْهَهُ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَقَدْ حَرَّمَ الْوُضُوءَ بِذَلِكَ الْمَاءِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ مَاءً مُسْتَعْمَلًا، وَإِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَصُبَّ مِنْهُ عَلَى يَدِهِ، فَإِذَا وَضَّأَهَا أَدْخَلَهَا حَيْثُذِي فِي الْإِنَاءِ.

وَاجْتَمَعَ مَنْ مَنَعَ ذَلِكَ بِالْحَدِيثِ الثَّابِتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ نَهْيِهِ الْجُنُبَ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ. وَقَالُوا: إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْمَاءَ يَصِيرُ مُسْتَعْمَلًا،

وَاجْتَمَعَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ لِلْمُتَوَضِّئِ وَلَا لِلْمُغْتَسِلِ أَنْ يُرَدِّدَ ذَلِكَ الْمَاءَ عَلَى أَعْضَائِهِ، بَلْ أَوْجِبُوا عَلَيْهِ اخْتِذَ مَاءٍ جَدِيدٍ، وَبِذَلِكَ جَاءَ عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ فَوَجَبَ أَنْ لَا يُجْزَى.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: وَهَذَا بَاطِلٌ، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْهَ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ عَنْ تَرْدِيدِ الْمَاءِ عَلَى الْأَعْضَاءِ فِي الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ، وَلَا نَهَى عَنْهُ ﷺ قَطَّ.

= وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ مَسْحُ رَأْسِهِ الْمُقَدَّسِ بِفَضْلِ مَاءٍ مُسْتَعْمَلٍ.

[ثُلُثٌ: رَوَى مُسْلِمٌ (٢٣٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَاصِمٍ الْمَازِنِيِّ يَذْكُرُ: «أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ فَمَضْمَضَ، ثُمَّ اسْتَشْرَى، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَهُ الْيُمْنَى ثَلَاثًا، وَالْأُخْرَى ثَلَاثًا، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ بِمَاءٍ غَيْرِ فَضْلٍ يَدِهِ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى أَنْقَاهُمَا». وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (١٣٠) عَنْ الرَّبِيعِ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَسَحَ بِرَأْسِهِ مِنْ فَضْلِ مَاءٍ كَانَ فِي يَدِهِ» وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

كَيْفَ وَقَدْ أَبَاحَ ﷺ غُسْلَ الْجَنَابَةِ بِغَيْرِ تَجْدِيدِ مَاءٍ. كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ بْنُ الْحَجَّاجِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا فِي غُسْلِ الْجَنَابَةِ إِنَّمَا يَكْفِيكَ أَنْ تَحْتَمِيَ عَلَى رَأْسِكَ ثَلَاثَ حَيَّاتٍ ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكَ الْمَاءَ فَتَطْهَرِينَ».

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ: «قَالَ لِي جَابِرٌ: سَأَلَنِي ابْنُ عَمِّكَ، فَقَالَ: كَيْفَ الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ؟ فَقُلْتُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُ ثَلَاثَةَ أَكْفُفٍ وَيُفِيضُهَا عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ يُفِيضُ عَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ».

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: وَلَوْ كَانَ مَا قَالَهُ أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ مِنْ تَنْجُسِ الْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ لَمَا صَحَّ طَهْرٌ وَلَا وُضُوءٌ وَلَا صَلَاةٌ لِأَحَدٍ أَبَدًا، لِأَنَّ الْمَاءَ الَّذِي يُفِيضُهُ الْمُغْتَسِلُ عَلَى جَسَدِهِ يُطَهِّرُ مَنْكِبَيْهِ وَصَدْرَهُ، ثُمَّ يَنْحَدِرُ إِلَى ظَهْرِهِ وَبَطْنِهِ، فَكَانَ يَكُونُ كُلُّ أَحَدٍ مُغْتَسِلًا بِمَاءٍ نَجِسٍ، وَمَعَاذَ اللَّهِ مِنْ هَذَا، وَهَكَذَا فِي غَسْلِهِ ذِرَاعَهُ وَوَجْهَهُ وَرِجْلَهُ فِي الْوُضُوءِ، لِأَنَّهُ لَا يَغْسِلُ ذِرَاعَهُ إِلَّا بِالْمَاءِ الَّذِي غَسَلَ بِهِ كَفَّهُ، وَلَا يَغْسِلُ أَسْفَلَ وَجْهِهِ إِلَّا بِالْمَاءِ الَّذِي قَدْ غَسَلَ بِهِ أَعْلَاهُ وَكَذَلِكَ رِجْلُهُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَاءُ الْمُسْتَعْمَلُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَضَحَبَهُ مِنْ عَرَقِ الْجِسْمِ فِي الْغُسْلِ وَالْوُضُوءِ شَيْءٌ فَهُوَ مَاءٌ مُضَافٌ.

وَلَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا فَكَانَ مَاذَا؟ وَمَتَى حَرَمَ الْوُضُوءُ وَالْغُسْلُ بِمَاءٍ فِيهِ شَيْءٌ طَاهِرٌ =

= لا يَظْهَرُ لَهُ فِي الْمَاءِ رَسْمٌ؟

لَكَيْتَ وَهُمْ يُجِزُّونَ الْوُضُوءَ بِمَاءٍ قَدْ تَبَرَّدَ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَهَذَا أَكْثَرُ فِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْعَرَقُ مِنَ الْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ جَاءَ أَثَرٌ بِأَنَّ الْخَطَايَا تَخْرُجُ مَعَ غَسْلِ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ.

لَنَا: نَعَمْ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - فَكَانَ مَاذَا؟ وَإِنَّ هَذَا لِمِمَّا يُغْبِطُ بِاسْتِعْمَالِهِ مَرَارًا إِنْ أَمَكَّنَ لِفَضْلِهِ، وَمَا عَلِمْنَا لِلْخَطَايَا أَجْرَامًا تَحُلُّ فِي الْمَاءِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَاءُ الْمُسْتَعْمَلُ كَحَصَى الْجِمَارِ الَّذِي رَمَى بِهِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَرْمِيَ بِهِ ثَانِيَةً.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: بَلْ حَصَى الْجِمَارِ إِذَا رَمَى بِهَا فَجَائِزٌ أَخَذَهَا وَالرَّمْيُ بِهَا ثَانِيَةً، وَمَا نَذَرِي شَيْئًا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الثَّرَابُ الَّذِي يَتَمَّمُ بِهِ فَالْتِّيمُ بِهِ جَائِزٌ وَالثُّوبُ الَّذِي سُبِرَتْ بِهِ الْعَوْرَةُ فِي الصَّلَاةِ جَائِزٌ أَنْ تُسَبَّرَ بِهِ أَيْضًا الْعَوْرَةُ فِي صَلَاةٍ أُخْرَى.

وَقَدْ صَحَّ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ وَسَقَى إِنْسَانًا ذَلِكَ الْوُضُوءَ»، وَأَنَّهُ ﷺ «تَوَضَّأَ وَصَبَّ وَضُوءَهُ عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ»، وَأَنَّهُ ﷺ «كَانَ إِذَا تَوَضَّأَ تَمَسَّحَ النَّاسُ بِوُضُوءِهِ». اهـ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ" شَرْحَ "الْمُهَذَّبِ":

(فَرَعَ) قَدْ ذَكَرْنَا: أَنَّ الْمُسْتَعْمَلَ ظَاهِرٌ عِنْدَنَا بِلا خِلَافٍ وَلَيْسَ بِظَاهِرٍ عَلَى الْمَذْهَبِ وَفِي الْمَسَائِلِ خِلَافٌ لِلْمُكَلَّمِ: فَقَدْ قَالَ بِهِ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَجُمْهُورُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ،

وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: نَجِسٌ.

=

= وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ ثَلَاثُ رَوَايَاتٍ :

إِحْدَاهَا رِوَايَةُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ : طَاهِرٌ كَمَذْهَبِنَا ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَنْهُ .

وَالثَّانِيَةُ : نَجَسٌ نَجَاسَةٌ مُخَفَّفَةٌ .

وَالثَّالِثَةُ : نَجَسٌ نَجَاسَةٌ مُعْلَظَةٌ ،

وَاجْتَنَبَ لُهُمَا :

١ . بِقَوْلِهِ ﷺ : ﴿ لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ مِنْهُ ، وَلَا يَغْتَسِلُ فِيهِ مِنْ

الْجَنَابَةِ ﴾ قَالُوا فَجَمَعَ بَيْنَ الْبَوْلِ وَالْإِغْتِسَالِ ، وَالْبَوْلُ يُنَجِّسُهُ وَكَذَا الْإِغْتِسَالُ ،

قَالُوا : وَلَأنَّهُ أَدَّى بِهِ فَرَضَ طَهَارَةٍ فَكَانَ نَجِيسًا كَالْمُزَالِ بِهِ النَّجَاسَةُ

وَاجْتَنَبَ أَصْحَابُنَا :

١ . بِحَدِيثِ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : ﴿ مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ﷺ

يَعُودَانِي فَوَجَدَانِي قَدْ أُغْمِيَ عَلَيَّ فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ

فَأَقْفَتُ ﴾ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

٢ . وَاجْتَنَبُوا أَيْضًا بِقَوْلِهِ ﷺ : ﴿ الْمَاءُ طَهُورٌ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ ﴾ وَهُوَ حَدِيثٌ

صَحِيحٌ وَهُوَ عَلَى عُمُومِهِ إِلَّا مَا خُصَّ لِلدَّلِيلِ .

٣ . وَاجْتَنَبَ الشَّافِعِيُّ ثُمَّ الْأَصْحَابُ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَالصَّحَابَةَ ﷺ كَانُوا يَتَوَضَّئُونَ

وَيَتَقَاطَرُونَ عَلَى ثِيَابِهِمْ وَلَا يَغْسِلُونَهَا ،

٤ . وَاجْتَنَبُوا بِأَنَّهُ مَاءٌ طَاهِرٌ لَا فَيَ مَحَلًّا طَاهِرًا فَكَانَ طَاهِرًا ، كَمَا لَوْ غُسِلَ بِهِ

ثَوْبٌ طَاهِرٌ ، لِأَنَّ الْمَاءَ طَاهِرٌ وَالْأَعْضَاءَ طَاهِرَةً فَمِنْ أَيْنَ النَّجَاسَةُ ؟ .

وَالْجَوَابُ الْمَوْضِعِيُّ عَنْ حَدِيثِ ﴿ لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ وَلَا يَغْتَسِلُ =

= فِيهِ مِنَ الْجَنَابَةِ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ اشْتِرَاكَ الْقَرِينَيْنِ فِي الْحُكْمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَامْسِكُوا هُتَّ...﴾ [الأنعام: ١٤١] فَلَا تُحِلُّ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَالْإِتْيَاءُ وَاجِبٌ.

وَأَجَابَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ: بِأَنَّ الْمُرَادَ اشْتِرَاكُهُمَا فِي مَنَعَ الْوُضُوءِ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَنَحْنُ نَقُولُ بِهِ بِشَرْطِ كَوْنِ الْمَاءِ دُونَ قُلْتَيْنِ.

وَجَوَابُ آخَرٍ: وَهُوَ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْبَوْلِ وَالِاغْتِسَالِ فِيهِ لَيْسَ لِأَنَّهُ يَنْجَسُ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ بَلْ لِأَنَّهُ يَقْدَرُ وَيُؤَدِّي إِلَى تَغْيِيرِهِ. وَعَلَى الْجُمْلَةِ تَعَلُّقُهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَحُكْمُهُمْ بِنَجَاسَةِ الْمَاءِ بِهِ عَجَبٌ.

وَأَمَّا الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: وَهِيَ كَوْنُهُ لَيْسَ بِمُطَهَّرٍ:

فَقَالَ بِهِ أَيْضًا أَبُو حَنِيفَةَ وَأَحْمَدُ وَهُوَ رَوَايَةٌ عَنْ مَالِكٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ الْمُثَنِّبِ عَنْهُ غَيْرَهَا،

وَذَهَبَ طَوَائِفٌ إِلَى أَنَّهُ مُطَهَّرٌ: وَهُوَ قَوْلُ الزُّهْرِيِّ وَمَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ فِي أَشْهَرِ الرُّوَايَتَيْنِ عَنْهُمَا وَأَبِي ثَوْرٍ وَدَاوُدَ.

قَالَ ابْنُ الْمُثَنِّبِ: وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عُمَرَ وَأَبِي أُمَامَةَ وَعَطَاءٍ وَالْحَسَنِ وَمَكْحُولٍ وَالنَّخَعِيِّ أَنَّهُمْ قَالُوا فِيمَنْ نَسِيَ مَسْحَ رَأْسِهِ فَوَجَدَ فِي لَحْيَيْهِ بِلَلًا: يَكْفِيهِ مَسْحُهُ بِذَلِكَ الْبَلَلِ.

قَالَ ابْنُ الْمُثَنِّبِ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْمُسْتَعْمَلَ مُطَهَّرًا، قَالَ: وَبِهِ أَقُولُ وَاشْتَغِلْ لِهَوَالَاءِ:

١. بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، وَالْفِعْلُ لَمَّا يَتَكَرَّرُ مِنْهُ الْفِعْلُ،

٢. = وَبِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ: «تَوَضَّأَ فَمَسَحَ رَأْسَهُ مِنْ فَضْلِ مَاءٍ كَانَ فِي يَدِهِ» وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ ﷺ «مَسَحَ رَأْسَهُ بِبِلَلٍ لِحَيْتِهِ» وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اغْتَسَلَ فَنَظَرَ لُمْعَةً مِنْ بَدَنِهِ لَمْ يُصِبْهَا الْمَاءُ فَأَخَذَ شَعْرًا مِنْ بَدَنِهِ عَلَيْهِ مَاءٌ فَأَمَرَهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ»

٣. قَالُوا: وَلَئِنَّهُ مَاءٌ لَا فَيَ طَاهِرًا فَبَقِيَ كَمَا لَوْ غُسِلَ بِهِ ثَوْبٌ،

٤. وَلَئِنَّهُ مُسْتَعْمَلٌ فَجَازَ الطَّهَارَةُ بِهِ كَالْمُسْتَعْمَلِ فِي تَجْدِيدِ الْوُضُوءِ؛

٥. وَلَئِنْ مَا أَدَّى بِهِ الْفَرَضَ مَرَّةً لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُؤَدِّيَ بِهِ ثَانِيًا كَمَا يَجُوزُ لِلْجَمَاعَةِ أَنْ يَتِمَّمُوا مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَكَمَا يُخْرَجُ الطَّلَامُ فِي الْكُفَّارَةِ ثُمَّ يَشْتَرِيهِ وَيُخْرِجُهُ فِيهَا ثَانِيًا وَكَمَا يُصَلِّي فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ مَرَارًا .

٦. قَالُوا: وَلَئِنَّهُ لَوْ لَمْ تَجُزِ الطَّهَارَةُ بِالْمُسْتَعْمَلِ لَامْتَنَعَتْ الطَّهَارَةُ؛ لِأَنَّهُ بِمُجَرَّدِ حُصُولِهِ عَلَى الْعُضْوِ يَصِيرُ مُسْتَعْمَلًا، فَإِذَا سَالَ عَلَى بَاقِي الْعُضْوِ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَرْفَعَ الْحَدَّثَ. وَهَذَا مَثْرُوكٌ بِالْإِجْمَاعِ فَدَلَّ أَنَّ الْمُسْتَعْمَلِ مُطَهَّرٌ.

وَاصْحَاحُ أَصْحَابِنَا:

١. بِحَدِيثِ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرٍو ؓ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «نَهَى أَنْ يَتَوَضَّأَ الرَّجُلُ بِفَضْلِ طَهُورِ الْمَرْأَةِ». [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: لَيْسَ هُوَ بِصَحِيحٍ.

قَالُوا: وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ أَنَّ الْمَرَادَ بِفَضْلِ طَهُورِهَا مَا سَقَطَ عَنْ أَعْضَائِهَا لِأَنَّا اتَّفَقْنَا نَحْنُ وَالْمُنَازِعُونَ عَلَى أَنَّ الْبَاقِيَ فِي الْإِنَاءِ مُطَهَّرٌ فَتَعَيَّنَ حَمْلُهُ عَلَى السَّاقِطِ. وَفِي صِحِّهِ هَذَا الْحَدِيثِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِهِ هُنَا نَظَرٌ.

٢. وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ السَّابِقِ مَعَ أَبِي حَنِيفَةَ: «لَا يَغْتَسِلُ أَحَدُكُمْ =

= فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ وَهُوَ جُنُبٌ [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] قَالُوا: وَالْمَرَادُ نَهْيُهُ لثَلَا بِصِيرٍ مُسْتَعْمَلًا، وَفِي هَذَا الِاسْتِدْلَالِ نَظَرٌ لِأَنَّ الْمُخْتَارَ وَالصَّوَابَ أَنَّ الْمَرَادَ بِهَذَا الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنِ الْاِغْتِسَالِ فِي الدَّائِمِ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا لَثَلَا يَقْدَرُ وَقَدْ يُؤَدِّي تَكَرُّارُ ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرِهِ.

٣. وَاجْتَنَبُوا بِالْقِيَاسِ عَلَى الْمُسْتَعْمَلِ فِي إِزَالَةِ النَّجَاسَةِ، وَلَكِنَّ الْفَرْقَ ظَاهِرٌ،
٤. وَأَقْرَبُ شَيْءٍ يُخْتَجُّ بِهِ: وَهُوَ عُمْدَةُ الْمَذْهَبِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ رَضُوا بِاجْتِنَابِ فِي مَوَاطِنَ مِنْ أَسْفَارِهِمْ الْكَثِيرَةِ إِلَى الْمَاءِ وَلَمْ يَجْمَعُوا الْمُسْتَعْمَلِ لَاسْتِعْمَالِهِ مَرَّةً أُخْرَى.

فَإِنْ قِيلَ: تَرَكُوا الْجَمْعَ لِأَنَّهُ لَا يَجْمَعُ مِنْهُ شَيْءٌ،
فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا لَا يُسَلَّمُ، وَإِنْ سُلِّمَ فِي الْوُضُوءِ لَمْ يُسَلَّمْ فِي الْغُسْلِ.
فَإِنْ قِيلَ: لَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ جَمْعِهِ مَنَعُ الطَّهَارَةِ بِهِ وَلِهَذَا لَمْ يَجْمَعُوهُ لِلشُّرْبِ وَالطَّبْخِ وَالْعَجْنِ وَالتَّبَرُّدِ وَنَحْوِهَا مَعَ جَوَازِهَا بِهِ بِالِاتِّفَاقِ،
فَالْجَوَابُ: أَنَّ تَرْكَ جَمْعِهِ لِلشُّرْبِ وَنَحْوِهِ لَاسْتِغْدَارٍ فَإِنَّ النُّفُوسَ تَعَافُهُ فِي الْعَادَةِ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا كَمَا «اسْتَقْدَرَ النَّبِيُّ ﷺ الضَّبَّ وَتَرَكَهُ فَقِيلَ أَحْرَامٌ هُوَ؟
قَالَ: لَا وَلَكِنِّي أَعَافُهُ»

وَأَمَّا الطَّهَارَةُ بِهِ ثَانِيَةً فَلَيْسَ فِيهَا اسْتِغْدَارٌ، فَتَرَكَهُ يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِهِ.
٥. وَمِمَّا اجْتَنَبُوا بِهِ أَنَّ السَّلَفَ اخْتَلَفُوا فِي مَنْ وَجَدَ مِنَ الْمَاءِ بَعْضَ مَا يَكْفِيهِ لَطَهَارَتِهِ هَلْ يَسْتَعْمَلُهُ ثُمَّ يَتِمُّ لِلْبَاقِي؟ أَمْ يَتِمُّ وَيَتْرَكُهُ؟ وَلَمْ يَلَّ أَحَدٌ يَسْتَعْمَلُهُ ثُمَّ يَجْمَعُهُ ثُمَّ يَسْتَعْمَلُهُ فِي بَقِيَّةِ الْأَعْضَاءِ، وَلَوْ كَانَ مُطَهَّرًا لَقَالُوهُ.
=

.....

= فَإِنْ قِيلَ: لَأَنَّهُ لَا يَتَجَمَّعُ مِنْهُ شَيْءٌ،

فَالْجَوَابُ: لَا نُسَلِّمُ ذَلِكَ بَلْ الْحَالُ فِي ذَلِكَ مُخْتَلَفٌ كَمَا قَدَّمْتُهُ قَرِيبًا.

وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ اخْتِجَاجِهِمْ بِالْآيَةِ فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: لَا نُسَلِّمُ أَنَّ فَعُولًا يَفْتَضِي التَّكْرُرَ مُطْلَقًا بَلْ مِنْهُ مَا هُوَ كَذَلِكَ وَمِنْهُ غَيْرُهُ وَهَذَا مَشْهُورٌ لِأَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ

وَالثَّانِي: الْمُرَادُ بِطَهُورِ: الْمُطَهَّرُ وَالصَّالِحُ لِلتَّطْهِيرِ وَالْمُعَدُّ لَذَلِكَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: ﴿تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ رَأْسَهُ بِفَضْلِ مَاءٍ كَانَ فِي يَدِهِ﴾ [وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ].

فَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ هَكَذَا أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَإِسْنَادُهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ مَعْوُذٍ رضي الله عنه ، وَرَوَى مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه أَنَّهُ «رَأَى النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ فَذَكَرَ صِفَةَ الْوُضُوءِ إِلَى أَنْ قَالَ: وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ بِمَاءٍ غَيْرِ فَضْلِ يَدَيْهِ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ» وَهَذَا هُوَ الْمَوْاقِفُ لِرَوَايَاتِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فِي أَنَّهُ رضي الله عنه أَخَذَ لِرَأْسِهِ مَاءً جَدِيدًا .

(فَإِذَا بَيَّنَّا هَذَا) فَالْجَوَابُ عَنْ الْحَبِيثِ مِنْ أَوْجُوهٍ:

(أَحَدُهَا) أَنَّهُ ضَعِيفٌ .

(الْجَوَابُ الثَّانِي) لَوْ صَحَّ لِحُومِلِ عَلَى أَنَّهُ أَخَذَ مَاءً جَدِيدًا وَصَبَّ بَعْضُهُ وَمَسَحَ رَأْسَهُ بِبَقِيَّتِهِ لَيَكُونَ مُوَافِقًا لِسَائِرِ الرِّوَايَاتِ ، وَعَلَى هَذَا تَأْوِيلُهُ الْبَيْهَقِيُّ عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ .

(الثَّلَاثُ) يُحْتَمَلُ أَنَّ الْفَاضِلَ فِي يَدِهِ مِنَ الْعَسَلَةِ الثَّلَاثَةِ لِلْيَدِ وَنَحْنُ نَقُولُ بِهِ عَلَى الصَّحِيحِ وَكَذَا فِي سَائِرِ نَقْلِ الطَّهَارَةِ .

=

= وَأَمَّا قَوْلُهُمْ مَسَحَ رَأْسَهُ بِبَلَلٍ لِحَيْتِهِ فَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:
(أَحَدُهُمَا): أَنَّهُ ضَعِيفٌ .

(وَالثَّانِي): حَمَلُهُ عَلَى بَلَلِ الْغَسْلَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ وَهُوَ مُطَهَّرٌ عَلَى الصَّحِيحِ .
وَأَمَّا قَوْلُهُمْ اغْتَسَلَ وَتَرَكَ لُمَعَةً ثُمَّ عَصَرَ عَلَيْهَا شَعْرًا كَجَوَابِهِ مِنْ أَوْجُو:
(أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ ضَعِيفٌ وَقَدْ بَيَّنَّ الدَّارَقُطْنِيُّ ثُمَّ الْبَيْهَقِيُّ ضَعْفَهُ، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ:
وَلِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ النَّخَعِيِّ

(الثَّانِي) لَوْ صَحَّ لِحْمِلِ عَلَى بَلَلٍ بَاقٍ مِنَ الْغَسْلَةِ الثَّلَاثَةِ
(الثَّلَاثُ) أَنَّ حُكْمَ الاسْتِعْمَالِ إِنَّمَا يَثْبُتُ بَعْدَ الْانْفِصَالِ عَنِ الْعُضْوِ، وَهَذَا لَمْ
يَنْفَصِلْ وَبَدَنُ الْجَنْبِ كَعْضُو وَاحِدٍ، وَلِهَذَا لَا تَرْتِيبَ فِيهِ .
وَأَمَّا قِيَّاسُهُمْ عَلَى مَا غُسِلَ بِهِ ثَوْبٌ وَعَلَى تَجْلِيدِ الْوُضُوءِ فَجَوَابُهُ أَنَّهُ لَمْ يُؤَدَّ بِهِ
فَرَضٌ،

وَأَمَّا قِيَّاسُهُمْ عَلَى تَكْمِلِ الْجَمَاعَةِ فَجَوَابُهُ أَنَّ الْمُسْتَعْمَلَ مَا عُلِقَ بِالْعُضْوِ أَوْ سَقَطَ
عَنْهُ عَلَى الْأَصَحِّ،

وَأَمَّا الْبَاقِي بِالْأَرْضِ فَغَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ قَطْعًا فَلَيْسَ هُوَ كَالْمَاءِ،
وَأَمَّا طَعَامُ الْكَفَّارَةِ فَإِنَّمَا جَازَ آدَاءُ الْفَرَضِ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى لِتَجَدُّدِ عَوْدِ الْمَلِكِ فِيهِ
فَنَظِيرُهُ تَجَدُّدُ الْكَثْرَةِ فِي الْمَاءِ بِبُلُوغِهِ قُلْتَيْنِ، وَنَحْنُ نَقُولُ بِهِ عَلَى الصَّحِيحِ،
وَأَمَّا الثَّوْبُ فَلَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْ صِفَتِهِ شَيْءٌ فَلَا يُسَمَّى مُسْتَعْمَلًا بِخِلَافِ الْمَاءِ، وَنَقْتِزُ
الصُّفَاتِ مُؤَثِّرٌ فِيمَا آدَى بِهِ الْفَرَضُ كَالْعَبْدِ يُعْتِقُهُ عَنْ كَفَّارَةٍ .

= وَأَمَّا قَوْلُهُمْ لَوْ لَمْ تَجُزِ الطَّهَارَةُ بِهِ لَامْتَنَعْتُ إِلَخ .

الماء النجس

(الثالث: نجس يحرم استعماله إلا للضرورة، ولا يرفع الحدث ولا يزيل الخبث: وهو ما وقعت فيه نجاسة وهو قليل) لحديث ابن عمر قال: ﴿سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُسْأَلُ عَنِ الْمَاءِ يَكُونُ فِي الْفَلَاةِ مِنَ الْأَرْضِ، وَمَا يَنْبُتُهُ مِنَ السَّبَاعِ وَالِدَّوَابِّ، فَقَالَ: إِذَا كَانَ الْمَاءُ قُلْتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبْثَ﴾ رَوَاهُ الْخَمْسَةُ، وَفِي لَفْظِ ابْنِ مَاجَهٍ وَأَحْمَدَ: ﴿لَمْ يَنْجَسْهُ شَيْءٌ﴾. يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا لَمْ يَبْلُغْهُمَا يَنْجُسُ. ^(١)

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ﴾. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. يَدُلُّ عَلَى نَجَاسَةٍ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ، وَلِأَنَّ الْمَاءَ الْيَسِيرَ

= لِحَوَائِجِنَا لَا نَحْكُمُ بِالِاسْتِعْمَالِ مَا دَامَ مُتَرَدِّدًا عَلَى الْغَضُوِّ بِلا خِلَافٍ فَلَا يُؤَدِّي إِلَى مَفْسَدَةٍ وَلَا حَرَجٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالنُّعْمَةُ.

(١) رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٦٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٦٧)، وَالنَّسَائِيُّ (٥٢، ٣٢٨)، وَأَحْمَدُ (٤٥٩١، ٤٩٤١)، وَالدَّارِمِيُّ (٧٣٢) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ﴿سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُسْأَلُ عَنِ الْمَاءِ يَكُونُ فِي الْفَلَاةِ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا يَنْبُتُهُ مِنَ السَّبَاعِ وَالِدَّوَابِّ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا كَانَ الْمَاءُ قُلْتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبْثَ﴾ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: قَالَ عَبْدَةُ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ: اللَّهُ هِيَ الْجِرَارُ وَالْقُلَّةُ الَّتِي يُسْتَقَى فِيهَا " قَالَ أَبُو عِيسَى: وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَقَ قَالُوا إِذَا كَانَ الْمَاءُ قُلْتَيْنِ لَمْ يَنْجَسْهُ شَيْءٌ مَا لَمْ يَتَغَيَّرَ رِيحُهُ أَوْ طَعْمُهُ وَقَالُوا يَكُونُ نَحْوًا مِنْ خَمْسٍ قَرِيبٍ. [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

يُمْكِنُ حِفْظُهُ فِي الْأَوْعِيَةِ، فَلَمْ يُعْفَ عَنْهُ، قَالَ فِي "الْكَافِي"، وَحُمِلَ حَدِيثُ بَرٍّ بِضَاعَةً عَلَى الْكَثِيرِ جَمْعًا بَيْنَ الْكُلِّ. قَالَ فِي "الْمُنْتَقَى" ^(١).

(١) الْكَلْبُ وَالْجَرَادُ وَالْتَرَابُ

رَوَى الْبُخَارِيُّ (١٧٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٩)، وَالنَّسَائِيُّ (٦٣)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٦٤)، وَأَحْمَدُ (٩٦١٣)، وَمَالِكٌ فِي الْمَوْطِئِ (٦٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا شَرَبَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا»، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ (٢٧٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدُكُمْ فَلْيُرْقَهُ ثُمَّ لْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ (٢٧٩)، وَأَبِي دَاوُدَ (٧١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طَهَّورُ إِنَاءٍ أَحَدُكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَوْ لَا هُنَّ بِالتُّرَابِ»، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٨٠) عَنْ ابْنِ الْمُغَفَّلِ ؓ قَالَ: «أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ الْكِلَابِ ثُمَّ قَالَ مَا بَالُهُمْ وَبَالَ الْكِلَابِ ثُمَّ رَخَّصَ فِي كَلْبِ الصَّيْدِ وَكَلْبِ الْغَنَمِ، وَقَالَ: إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي الْإِنَاءِ فَاغْسِلُوهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَعَقُّوهُ الثَّامِنَةَ فِي التُّرَابِ».

وَلَغَ الْكَلْبُ فِي الْإِنَاءِ: إِذَا شَرِبَ مِنْهُ بِطَرَفِ لِسَانِهِ. عَقُّوهُ: أَي دَلَّكُوهُ. ثَبَتَ عِلْمِيًّا أَنَّ الْكَلْبَ نَاقِلٌ لِبَعْضِ الْأَمْرَاضِ الْخَطِيرَةِ، إِذْ تَعِيشُ فِي أَمْعَائِهِ دُودَةٌ تُدْعَى الْمَكُورَةُ تَخْرُجُ بِيَضَاتِهَا مَعَ بُرَازِهِ، وَعِنْدَمَا يَلْحَسُ ذُبْرَةً بِلِسَانِهِ تَنْتَقِلُ هَذِهِ الْبِيَضَاتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ تَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى الْأَوَائِي وَالصُّحُونِ وَأَيْدِي أَصْحَابِهِ، وَمِنْهَا تَدْخُلُ إِلَى مِعْدَاتِهِمْ فَأَمْعَائِهِمْ، فَتَنْتَقِلُ قَشْرَةُ الْبِيَضَاتِ وَتَخْرُجُ مِنْهَا الْأَجِنَّةُ الَّتِي تَسْرُبُ إِلَى الدَّمِ وَالْبَلْعَمِ، وَتَنْتَقِلُ بِهِمَا إِلَى جَمِيعِ أُنْحَاءِ الْجِسْمِ، وَبِخَاصَّةٍ إِلَى الْكَبِدِ لِأَنَّهُ الْمِضْفَاةُ الرَّئِيسِيَّةُ فِي الْجِسْمِ... ثُمَّ تَنْمُو فِي الْعُضْوِ الَّذِي تَدْخُلُ =

(أَوْ كَانَ كَثِيرًا وَتَغَيَّرَ بِهَا أَحَدُ أَوْصَافِهِ) قَالَ فِي "الْكَافِي" : بَغِيرِ

= إِلَيْهِ وَتَشَكَّلَ كَيْسًا مَمْلُوءًا بِالْأَجَنَّةِ الْأَبْنَاءِ، وَبِسَائِلِ صَافٍ كَمَاءِ الْيَنْبُوعِ .
وَقَدْ يَكْبُرُ الْكَيْسُ حَتَّى يُضَيِّحَ بِحَجْمِ رَأْسِ الْجِنِّينِ، وَيُسَمَّى الْمَرَضُ : دَاءُ
الْكَيْسَةِ الْمَائِيَّةِ، وَتَكُونُ أَغْرَاضُهُ عَلَى حَسَبِ الْعُضْوِ الَّذِي تَتَبَعُّضُ فِيهِ،
وَأَخْطَرُهَا مَا كَانَ فِي الدِّمَاغِ أَوْ فِي عَظْمَةِ الْقَلْبِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عِلَاجٌ سِوَى
الْعَمَلِيَّةِ الْجَرَاحِيَّةِ...

وَلَمَّا دَاءٌ آخَرُ خَطِيرٌ يَنْقُلُهُ الْكَلْبُ وَهُوَ دَاءُ الْكَلْبِ الَّذِي تُسَبِّهُ حُمَةً رَاسِحَةً
يُصَابُ بِهَا الْكَلْبُ أَوَّلًا، ثُمَّ تَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى الْإِنْسَانِ عَنْ طَرِيقِ لُعَابِ الْكَلْبِ
بِالْعَضِّ أَوْ بِلِخْسِهِ جُرْحًا فِي جَنْبِ الْإِنْسَانِ...
إِذْ فَمَنْفَعُ الْكَلْبِ تَحْصُصُ بَعْضُ الْبَشَرِ، أَمَّا ضَرَرُهُ فَيَعُمُّ الْجَمِيعَ، لِذَلِكَ أَمَرَ
النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، ثُمَّ رَخَّصَ فِي كَلْبِ الصَّيْدِ وَالْحَرْثِ وَالْمَاشِيَةِ نَظَرًا
لِلْحَاجَةِ إِلَيْهَا.

وَفِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَكُنْ دَاءُ الْكَيْسَةِ الْمَائِيَّةِ مَعْرُوفًا بِالطَّبْعِ، وَلَمْ يُعْرِفْ أَنَّ
مَضْرَرَةَ الْكِلَابِ، أَمَّا دَاءُ الْكَلْبِ فَكَانُوا يُسَمُّونَ الْكَلْبَ الْمُصَابَ بِهِ : الْكَلْبَ
الْعَقُورَ.

وَقَامَ الْعُلَمَاءُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ بِتَحْلِيلِ ثُرَابِ الْمَقَابِرِ لِيَعْرِفُوا مَا فِيهِ مِنَ
الْجَرَائِمِ، وَكَانُوا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ يَجِدُوا فِيهِ كَثِيرًا مِنَ الْجَرَائِمِ الضَّارَّةِ، وَذَلِكَ
لَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْبَشَرِ يَمُوتُونَ بِالْأَمْرَاضِ الْإِثْنَانِيَّةِ الْجُرْثُومِيَّةِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا
فِي الثَّرَابِ أَثَرًا لِتِلْكَ الْجَرَائِمِ الضَّارَّةِ الْمُؤْذِيَةِ...

فَاسْتَشْجُوا مِنْ ذَلِكَ أَنَّ لِلثَّرَابِ خَاصِيَّةَ قَتْلِ الْجَرَائِمِ الضَّارَّةِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَانْتَشَرَ
خَطَرُهَا وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهَا، وَقَدْ سَبَقَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى تَقْرِيرِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ =

خِلَافٍ، وَقَالَ فِي "الشَّرْحِ": حَكَاهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ إِجْمَاعًا.
(فَإِنْ زَالَ تَغْيِيرُهُ بِنَفْسِهِ أَوْ بِإِضَافَةِ ظَهْوَرٍ إِلَيْهِ أَوْ بِنَزْحٍ مِنْهُ، وَبَقِيَ
بَعْدَهُ كَثِيرٌ ظَهَرَ) أَيِ عَادَ إِلَى ظَهْوَرِيَّتِهِ.

(وَالْكَثِيرُ: قُلْتَانِ [مِنْ قِلَالٍ مَجْرًا تَقْرِيْبًا، وَالْيَسِيرُ مَا دُونَهُمَا] وَإِنَّمَا
خُصَّتِ الْقُلْتَانِ بِقِلَالٍ هَجَرَ، لِوُرُودِهِ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ.^(١)
وَلَأَنَّهَا كَانَتْ مَشْهُورَةً الصِّفَةِ، مَعْلُومَةً الْمِقْدَارِ.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: رَأَيْتُ قِلَالَ هَجَرَ، فَرَأَيْتُ الْقُلَّةَ تَسْعُ قَرَبَيْنِ
وَشَيْئًا. وَالْاِخْتِيَاطُ أَنْ يُجْعَلَ الشَّيْءُ نِصْفًا، فَكَانَتْ خُمْسَ قَرَبٍ

= بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ. [الْحَقَائِقُ الطَّبِيعِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ، بِإِخْتِصَارٍ].
الْمُضَدَّرُ: "الْأَرْبَعُونَ الْعِلْمِيَّةُ" لِعَبْدِ الْحَمِيدِ مُحَمَّدٍ طَهْمَاز - دَارُ الْقَلَمِ.

(١) [رَوَى الْبُخَارِيُّ (٣٤٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ
شِهَابٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فُرَجَ عَنْ
سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُتَهَيِّ فَإِذَا نَبَقَهَا
مِثْلُ قِلَالٍ هَجَرَ وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ أَذَانِ الْفَيْلَةِ قَالَ هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُتَهَيِّ وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ
نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَقُلْتُ مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَتَنْهَرَانِ فِي
الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفَرَاتُ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ": وَأَمَّا
قَوْلُهُمْ: لَا نَعْلَمُ قَدْرَ الْقُلْتَيْنِ فَالْمُرَادُ: قِلَالٌ هَجَرَ كَمَا رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَقِلَالٌ هَجَرَ
كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَهُمْ مَشْهُورَةً يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ فِي الصَّحِيحَيْنِ. وَكَيْفَ يُظَنُّ
أَنَّهُ ﷺ يُحَدِّدُ لَهُمْ أَوْ يُمَثِّلُ بِمَا لَا يَعْلَمُونَهُ وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ؟].

تَقْرِيْبًا ، وَالْقَرْبَةُ مِائَةُ رِظْلٍ بِالْعِرَاقِيِّ ، وَالرِّظْلُ الْعِرَاقِيُّ تِسْعُونَ مِثْقَالًا .
(وَهُمَا خَمْسِمِائَةُ رِظْلٍ بِالْعِرَاقِيِّ وَثَمَانُونَ رِظْلًا وَسُبْعَانِ وَنِصْفُ
سُجٍّ بِالْقُدْسِيِّ وَمِثْقَالُهُمَا) (أَيِ الْقُلْتَانِ) ^(١) .
(ذِرَاعٌ وَرُبْعٌ طَوَّلًا وَعَرْضًا وَصُنْفًا ، فَإِذَا كَانَ الْمَاءُ الظُّهُورُ كَثِيرًا
وَلَمْ يَتَغَيَّرْ بِالنَّجَاسَةِ فَهُوَ ظُهُورٌ وَلَوْ مَعَ بَقَائِهَا فِيهِ) لِحَدِيثِ بَشْرِ بُضَاعَةَ
السَّابِقِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] ^(٢) .

- (١) [الرِّظْلُ الْعِرَاقِيُّ (الْبَغْدَادِيُّ) = ٤٠٧,٧ جَرَامًا ، فَيَكُونُ وَزْنُ الْقُلْتَيْنِ = ٤٠٧,٧ ط
٥٠٠ = ٢٠٣,٨٥ كَج . وَفِي "لِسَانِ الْعَرَبِ" : الرِّظْلُ وَالرِّظْلُ : الَّذِي يُوزَنُ بِهِ وَيُكَالُ
رَوَاهُ ابْنُ السَّكَيْتِ بِكَسْرِ الرَّاءِ ، قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ الْبَاهِلِيُّ : لَهَا رِظْلٌ تَكْبِيلُ الزَّيْتِ فِيهِ *
وَفَلَاخٌ يَسُوقُ بِهَا جَمَارًا . قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الرِّظْلُ ثِنْتَا عَشْرَةَ أُوقِيَّةً بِأَوَاقِي الْعَرَبِ ،
وَالْأُوقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، فَذَلِكَ أَرْبَعُمِائَةٍ وَثَمَانُونَ دِرْهَمًا ، وَجَمْعُهُ أَرْطَالٌ . الْحَرَبِيُّ :
السُّنَّةُ فِي النِّكَاحِ رِظْلٌ ، وَشَرَحَهُ كَمَا شَرَحَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ : السُّنَّةُ فِي
النِّكَاحِ ثِنْتَا عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشْ ، وَالنَّشْ عِشْرُونَ دِرْهَمًا ، فَذَلِكَ خَمْسِمِائَةُ دِرْهَمٍ .]
(٢) الذَّرَاعُ الْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ = ٦ قَبْضَاتٍ = ٢٤ أَصْبُعًا ، وَالْأَصْبُعُ = ١,٩٢٥ سَم ،
فَالذَّرَاعُ = ٢٤ × ١,٩٢٥ = ٤٦,٢ سَم ، فَالذَّرَاعُ وَالرُّبْعُ = ٥٨ سَم ، فَتَكُونُ
الْقُلْتَانِ = ٥٨ × ٥٨ × ٥٨ = ١٩٥١١٢ م ٠,٢ = ٣ م ٠,٢ تَقْرِيْبًا . وَفِي مَجَلَّةِ
الْبُحُوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ : مِقْدَارُ الْقَلَّةِ الْوَاحِدَةِ = ٢٥٠ رِظْلًا ، وَالرِّظْلُ = ٤٠٨
جَم ، فَالْقَلَّةُ = ١٠٢ كَج ، وَالْقُلْتَانِ = ٢٠٤ كَج . وَفِي تَغْلِيْقِ الشَّيْخِ نَضْرِ
الْهُورِينِيِّ عَلَى "الْقَامُوسِ الْمُحِيْطِ" : الذَّرَاعُ الْمُحَدَّثُ (هُوَ الذَّرَاعُ الْأَدَمِيّ
الْمُعَبَّرُ عَنْهُ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ) = ٠,٤٧ مِثْرًا ، وَالذَّرَاعُ الْقَدِيمُ = ٠,٦٧ مِثْرًا .

(وَإِنْ شُكَّ فِي كَثْرَتِهِ فَهُوَ نَجِسٌ).

(وَإِنْ اشْتَبَهَ مَا تَجُوزُ بِهِ الطَّهَارَةُ بِمَا لَا تَجُوزُ بِهِ الطَّهَارَةُ: لَمْ يَحْرَ وَيَكْمَمْ، بِلَا إِرَاقَةٍ) لِأَنَّهُ اشْتَبَهَ الْمُبَاحُ بِالْمَحْظُورِ فِيمَا لَا تُبِيحُهُ الضَّرُورَةُ، فَلَمْ يَجْزِ التَّحْرِي. كَمَا لَوْ كَانَ النَّجِسُ بَوْلًا أَوْ كَثُرَ عَدَدُ النَّجِسِ، أَوْ اشْتَبَهَتْ أُخْتُهُ بِأَجْنِيَّاتٍ، قَالَهُ فِي "الْكَافِي".

(وَيَلْزَمُ مَنْ عَلِمَ بِنَجَاسَةِ شَيْءٍ إِعْلَامُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ) لِحَدِيثٍ: ﴿الدِّينُ النَّصِيحَةُ﴾^(١).

(١) [رَوَى مُسْلِمٌ (٥٥) وَأَبُو دَاوُدَ (٤٩٤٤)، وَالنَّسَائِيُّ (٤١٩٧، ٤١٩٨)، وَأَحْمَدُ (١٦٤٩٣)] عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ ؓ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيُّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٤١٩٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٢٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةَ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيُّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

قَالَ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ" شَرْحَ "الْمُهَذَّبِ":

إِذَا اشْتَبَهَ مَاءَانِ ظَاهِرٌ وَنَجِسٌ فَبِهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

الصَّحِيحُ: أَنَّهُ لَا تَجُوزُ الطَّهَارَةُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَّا إِذَا اجْتَهَدَ وَعَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ طَهَارَتَهُ بِعَلَامَةٍ تَظْهَرُ.

لِإِنْ ظَنَّهُ بِغَيْرِ عَلَامَةٍ تَظْهَرُ لَمْ تَجْزِ الطَّهَارَةُ بِهِ.

قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَغَيْرُهُ: وَالتَّفْرِيعُ بَعْدَ هَذَا عَلَى الْمَذْهَبِ وَهُوَ وَجُوبُ =

الاجْتِهَادِ وَاشْتِرَاطِ ظُهُورِ عَلَامَةٍ، وَسَوَاءٌ عِنْدَنَا كَانَ عَدَدُ الطَّاهِرِ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلَّ حَتَّى لَوْ اشْتَبَهَ إِنَاءٌ طَاهِرٌ بِمَائَةٍ إِنَاءٍ نَجَسَةٍ تَحَرَّى فِيهَا، وَكَذَلِكَ الْأَطْعِمَةُ وَالثِّيَابُ. هَذَا مَذْهَبُنَا وَبِمِثْلِهِ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ مَالِكٍ، وَكَذَا قَالَ بِمِثْلِهِ أَبُو حَنِيفَةَ فِي الْقُبْلَةِ وَالْأَطْعِمَةِ وَالثِّيَابِ، وَأَمَّا الْمَاءُ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا يَتَحَرَّى إِلَّا بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ عَدَدُ الطَّاهِرِ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ النَّجَسِ. وَقَالَ أَحْمَدُ وَأَبُو ثَوْرٍ وَالْمُرْنَبِيُّ: لَا يَجُوزُ التَّحَرُّي فِي الْمَاءِ بَلْ يَتَيَمَّمُ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَصْحَابِ مَالِكٍ. ثُمَّ اخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ:

فَقَالَ أَحْمَدُ: لَا يَتَيَمَّمُ حَتَّى يُرِيقَ الْمَاءُ فِي إِحْدَى الرَّوَابِثَيْنِ. وَقَالَ الْمُرْنَبِيُّ وَأَبُو ثَوْرٍ: يَتَيَمَّمُ وَيُصَلِّي وَلَا إِعَادَةَ وَإِنْ لَمْ يَرْقُهُ، وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمَاجِشُونِ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ: يَتَوَضَّأُ بِكُلِّ وَاحِدٍ وَيُصَلِّي بَعْدَ الْوُضُوءَيْنِ وَلَا يُعِيدُ الصَّلَاةَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ: يَتَوَضَّأُ بِأَحَدِهِمَا ثُمَّ يُصَلِّي ثُمَّ يَتَوَضَّأُ بِالْآخِرِ ثُمَّ يُعِيدُ الصَّلَاةَ، وَنَقَلَ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ عَنْ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ جَوَازَ الاجْتِهَادِ فِي الثِّيَابِ. قَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ: يُصَلِّي فِي كُلِّ ثَوْبٍ مَرَّةً، وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى الاجْتِهَادِ فِي الْقُبْلَةِ. اخْتَلَفَ لِأَحْمَدَ وَالْمُرْنَبِيِّ:

بِأَنَّهُ إِذَا اجْتَهَدَ قَدْ يَقَعُ فِي النَّجَسِ؛ وَلَئِنَّ اشْتَبَهَ طَاهِرٌ بِنَجَسٍ فَلَمْ يَجْزِ الاجْتِهَادُ كَمَا لَوْ اشْتَبَهَ مَاءٌ وَبَوْلٌ، وَأَمَّا ابْنُ الْمَاجِشُونِ وَابْنُ سَلَمَةَ فَقَالَا: هُوَ قَائِدٌ =

= عَلَى إِسْقَاطِ الْفَرَضِ بَيِّقِينَ بِاسْتِعْمَالِهِمَا فَلَزِمَهُ، وَاخْتِجَّ أَصْحَابُنَا عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْقِيَاسِ عَلَى الْقَبْلَةِ، وَبِالْقِيَاسِ عَلَى الْاجْتِهَادِ فِي الْأَحْكَامِ، وَفِي تَقْوِيمِ الْمُتْلَفَاتِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَقَعُ فِي الْخَطَأِ.

وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ الْمَاءِ وَالْبَوْلِ لَمَّا أَوْجُو:

(أَحَدُهُمَا) أَنَّ الْاجْتِهَادَ يَرُدُّ الْمَاءَ إِلَى أَضْلِهِ بِخِلَافِ الْبَوْلِ .

(وَالثَّانِي) أَنَّ الْإِسْتِبَاهَ فِي الْمَاءِ يَكْثُرُ فَدَعَتْ الْحَاجَةُ إِلَى الْاجْتِهَادِ فِيهِمَا بِخِلَافِ الْمَاءِ وَالْبَوْلِ.

(وَالثَّلَاثُ) أَنَّ إِلْحَاقَ الْمِيَاهِ بِالْقَبْلَةِ أَوْلَى،

وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ الْمَاجِشُونِ فَضِيحٌ بَلْ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ أَمْرَهُ بِالصَّلَاةِ بِنَجَاسَةِ مُتَقَنَّةٍ وَبِالْوُضُوءِ بِمَاءٍ نَجِسٍ،

وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَاخْتِجَّ لَهُ فِي اشْتِرَاطِ زِيَادَةِ عَدَدِ الطَّاهِرِ بِحَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ،

قَالُوا: فَكَثْرَةُ النَّجَسِ تُرِيبُ فَوَجَبَ تَرْكُهُ وَالْعُدُولُ إِلَى مَا لَا رَيْبَ فِيهِ وَهُوَ التَّيَمُّمُ.

قَالُوا: وَلِأَنَّ الْأُصُولَ مُقَرَّرَةٌ عَلَى أَنَّ كَثْرَةَ الْحَرَامِ وَاسْتِوَاءَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ يُوجِبُ تَغْلِيْبَ حُكْمِهِ فِي الْمَنْعِ كَأُخْتِ أَوْ زَوْجَةٍ اخْتَلَطَتْ بِأَجْنَبِيَّةٍ، وَلِأَنَّهُ اسْتَوَى الطَّاهِرُ وَالنَّجِسُ فَأَشْبَهَ الْمَاءَ وَالْبَوْلَ،

وَاخْتِجَّ أَصْحَابُنَا:

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا...﴾ [النساء: ٤٣، المائدة: ٦] =

.....

= وَهَذَا وَاجِدٌ فَلَمْ يَجْزِ التَّيْمُمُ،

وَقِيَاسًا عَلَى الثِّيَابِ وَالْأَطْعَمَةِ وَالْقَبْلَةِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ الْاجْتِهَادُ فِيهَا بِاتِّفَاقِنَا مَعَ زِيَادَةِ عَدَدِ الْخَطَا.

فَإِنْ قَالُوا: إِنَّمَا جَازَ الْاجْتِهَادُ فِي الثِّيَابِ لِأَنَّهَا أَخَفُّ حُكْمًا بِدَلِيلِ أَنَّهُ يُغْفَى عَنِ النَّجَاسَةِ الْيَسِيرَةِ فِيهَا، فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

(أَحَدُهُمَا) لَا نُسَلِّمُ أَنَّ الْمَاءَ يُخَالِفُ الثِّيَابَ فِي هَذَا بَلْ يُغْفَى عَنِ النَّجَاسَةِ فِيهِ إِذَا بَلَغَ قُلَّتَيْنِ، وَكَذَا فِي دُونَ الْقُلَّتَيْنِ إِذَا كَانَتْ نَجَاسَةً لَا يُدْرِكُهَا الطَّرْفُ أَوْ مِثْلُهُ لَا نَفْسَ لَهَا سَائِلَةٌ عَلَى الْأَصَحِّ فِيهِمَا.

(الثَّانِي) أَنَّ هَذَا الْفَرْقَ لَمَّا لَمْ يُوجِبْ فَرْقًا بَيْنَهُمَا إِذَا زَادَ عَدَدُ الطَّاهِرِ لَمْ يُوجِبْهُ إِذَا اسْتَوَيَا.

فَإِنْ قَالُوا: إِنَّمَا جَازَ الْاجْتِهَادُ فِي الثِّيَابِ لِأَنَّ الضَّرُورَةَ تُبَيِّحُهَا إِذَا لَمْ يَجِدْ غَيْرَهَا بِخِلَافِ الْمَاءِ، فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

(أَحَدُهُمَا) لَا نُسَلِّمُ أَنَّ الثَّوْبَ النَّجَسَ تُبَاحُ الصَّلَاةُ فِيهِ لِعَدَمِ غَيْرِهِ بَلْ يُصَلِّي عَارِيًّا وَلَا إِعَادَةً.

(الثَّانِي) لَا يَجُوزُ اعْتِبَارُ الْإِشْتِبَاهِ بِحَالِ الضَّرُورَةِ بَلْ بِحَالِ الْاِخْتِيَارِ وَهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ.

(وَأَمَّا الْجَوَابُ) عَنِ الْحَدِيثِ فَهُوَ أَنَّ الرِّيْبَةَ زَالَتْ بِغَلْبَةِ الظَّنِّ بِطَهَارَتِهِ وَبَقِيَتْ الرِّيْبَةُ فِي صِحَّةِ التَّيْمُمِ مَعَ وُجُودِ هَذَا الْمَاءِ.

وَأَمَّا قِيَاسُهُمْ عَلَى الْأَجْنَبِيَّةِ الْمُسْتَنْهَةِ بِأَخِيهِ لُجُوبُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

(أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ قِيَاسٌ فَاسِدٌ لِأَنَّ الْأُخْتَ مَعَ أَجْنَبِيَّةٍ أَوْ أَجْنَبِيَّاتٍ لَا يَجْرِي =

= فِيهِنَّ التَّحْرِي بِحَالٍ، بَلْ إِنْ اخْتَلَطَتْ الْأُخْتُ بِمَخْصُورَاتٍ لَمْ يَجُزْ نِكَاحُ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ وَإِنْ اخْتَلَطَتْ بِغَيْرِ مَخْصُورَاتٍ نَكَحَ مَنْ أَرَادَ مِنْهُنَّ بِلَا تَحَرٍّ وَإِذَا لَمْ يَجُزْ فِيهِنَّ التَّحْرِي بِحَالٍ - وَقَدْ اتَّفَقْنَا عَلَى جَرْيَانِهِ فِي الْمَاءِ إِذَا كَانَ الظَّاهِرُ أَكْثَرَ - لَمْ يَصِحَّ إِلْحَاقُ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ.

(الثَّانِي) أَنَّ الْإِشْتِبَاهَ فِي النِّسَاءِ نَادِرٌ بِخِلَافِ الْمَاءِ فَدَعَتْ الْحَاجَةُ إِلَى التَّحْرِي فِيهِ دُونَهُنَّ.

وَأَمَّا قِيَاسُهُمْ عَلَى الْخِلَاطِ زَوْجِهِ بِأَجَنِيَّاتٍ فَجَوَابُهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُوهٍ:

(أَحَدُهَا) نُذْرَةُ ذَلِكَ بِخِلَافِ الْمَاءِ.

(الثَّانِي) أَنَّ التَّحْرِي يَرُدُّ الشَّيْءَ إِلَى أَضْلِهِ فَالْمَاءُ يَرْجِعُ إِلَى أَضْلِهِ وَهُوَ الطَّهَارَةُ فَأَثَرُ فِيهِ الْاجْتِهَادُ، وَأَمَّا الْوُطْءُ فَلَا ضِلُّ تَحْرِيمُهُ.

(الثَّلَاثُ) أَنَّ فِي مَسْأَلَةِ الزَّوْجَةِ لَوْ زَادَ عَدَدُ الْمُبَاحِ لَمْ يَتَحَرَّ بِخِلَافِ الْمَاءِ.

(الرَّابِعُ) إِذَا تَرَدَّدَ فَرْعٌ بَيْنَ أَضْلَيْنِ الْحَقِّ بِأَشْبَهِيهِمَا بِهِ وَشَبَهُ الْمِيَاهِ بِالثِّيَابِ وَالْقُبْلَةِ أَكْثَرُ فَأُلْحِقَ بِهَا دُونَ الزَّوْجَةِ.

وَأَمَّا قِيَاسُهُمْ عَلَى الْمَاءِ وَالْبَوْلِ فَجَوَابُهُ مِنْ أَوْجُوهٍ:

(أَحَدُهَا) التَّحْرِي يَرُدُّ الْمَاءَ إِلَى أَضْلِهِ وَهُوَ الطَّهَارَةُ بِخِلَافِ الْبَوْلِ.

(الثَّانِي) الْإِشْتِبَاهُ فِي الْمِيَاهِ يَكْثُرُ وَتَعَمُّ بِهِ الْبُلْوَى بِخِلَافِ الْمَاءِ وَالْبَوْلِ.

(الثَّلَاثُ) لَا نُسَلِّمُ أَنَّ امْتِنَاعَ التَّحْرِي فِي الْمَاءِ وَالْبَوْلِ لِعَدَمِ زِيَادَةِ الظَّاهِرِ، بَلْ لِأَنَّ الْبَوْلَ لَيْسَ مِمَّا يُجْتَهَدُ فِيهِ بِحَالٍ، وَلِهَذَا لَوْ زَادَ عَدَدُهُ لَمْ يَجُزِ التَّحْرِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(فَرْعٌ): قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي التَّبَصُّرَةِ: لَوْ أَصَابَ لَوِيَّةٌ أَوْ غَيْرُهُ شَيْءٌ مِنْ =

لُعَابِ الْخَيْلِ وَالْبَعَالِ وَالْحَمِيرِ وَعَرَقِهَا جَارَتْ صَلَاتُهُ فَيَوْمَ، قَالَ: لَأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ لَا تَزَالُ تَتَمَرَّغُ فِي الْأَمَكَةِ النَّجَسَةِ وَتَحُكُّ بِأَفْوَاهِهَا قَوَائِمُهَا الَّتِي لَا تَخْلُو مِنَ النَّجَاسَةِ فَإِنَّا لَا نَتَيَقَّنُ نَجَاسَةَ عَرَقِهَا وَلُعَابِهَا لِأَنَّهَا تَخُوضُ الْمَاءَ الْكَثِيرَ وَتَكَرَّغُ فِيهِ كَثِيرًا فَتَلْبَسُ أَضْلَ الطَّهَارَةِ فِي لُعَابِهَا وَعَرَقِهَا.

قَالَ: وَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَسَائِرُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُمْ يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ فِي الْجِهَادِ وَالْحَجِّ وَسَائِرِ الْأَسْفَارِ وَلَا يَكَادُ يَنْفُكُ الرَّائِبُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ عَنْ أَنْ يُصِيبَهُ شَيْءٌ مِنْ عَرَقِهَا أَوْ لُعَابِهَا وَكَانُوا يُصَلُّونَ فِي ثِيَابِهِمُ الَّتِي رَكَبُوا فِيهَا، وَلَمْ يُعَدُّوا ثَوْبَيْنِ ثَوْبًا لِلرُّكُوبِ وَثَوْبًا لِلصَّلَاةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(فَرَع) سَأَلَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بَنَ الصَّلَاحِ فِي "فَتَاوِيهِ":

عَنْ خُرُجِ حُكْمِي أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَهَا يَجْعَلُونَ فِيهَا شَحْمَ خِنْزِيرٍ وَاشْتَهَرَ ذَلِكَ عَنْهُمْ مِنْ غَيْرِ تَحْقِيقٍ؟

فَقَالَ: إِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ فِيمَا بِيَدِهِ نَجَاسَةٌ لَمْ يُحْكَمْ بِالنَّجَاسَةِ.

وَسُئِلَ عَنْ بَقْلِ فِي أَرْضٍ نَجَسَةٍ أَخَذَهُ الْبُقَالُونَ وَغَسَلُوهُ غَسَلًا لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي التَّطْهِيرِ هَلْ يُحْكَمُ بِنَجَاسَةِ مَا يُصِيبُهُ فِي حَالِ رُطُوبَتِهِ؟

فَقَالَ: إِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ نَجَاسَةُ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْبُقْلِ بِأَنْ اخْتَمَلَ أَنَّهُ مِمَّا ارْتَفَعَ عَنْ مَنَابِتِهِ النَّجَسِ لَمْ يُحْكَمْ بِنَجَاسَةِ مَا أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ لِتَظَاهُرِ أَصْلَابِهِ عَلَى طَهَارَتِهِ.

وَسُئِلَ عَنْ الْأَوْرَاقِ الَّتِي تُعْمَلُ وَتُبْسَطُ وَهِيَ رَطْبَةٌ عَلَى الْحِبْطَانِ الْمَعْمُولَةِ بِرَمَادِ نَجَسٍ وَيُنْسَخُ فِيهَا وَيُصِيبُ الثَّوبَ مِنْ ذَلِكَ الْمِدَادِ الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ فِيهَا مَعَ عُمُومِ الْبُلُوى؟

فَقَالَ: لَا يُحْكَمُ بِنَجَاسَتِهِ.

= وَسُئِلَ عَنْ قَلِيلٍ قَمَحٍ بَقِيَ فِي سُفْلِ هُرِّي، وَقَدْ عَمَّتِ الْبُلُوى بِبَعْرِ الْفَأْرَةِ فِي
أَمْثَالِ ذَلِكَ؟

فَقَالَ مَا مَعْنَاهُ: اللَّهُ لَا يُحْكِمُ بِنَجَاسَةِ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ نَجَاسَةً فِي هَذَا الْجُبِّ
الْمُعَيَّنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(فَرَعُ): قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَغَيْرُهُ:

فِي طِينِ الشَّوَارِعِ الَّذِي يَغْلُبُ عَلَى الطَّنِّ نَجَاسَتُهُ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: يُحْكَمُ بِنَجَاسَتِهِ، وَالثَّانِي بِطَهَارَتِهِ بِنَاءً عَلَى تَعَارُضِ الْأَصْلِ وَالظَّاهِرِ،
قَالَ الْإِمَامُ: كَانَ شَيْخِي يَقُولُ: وَإِذَا تَيَسَّنَّا نَجَاسَةَ طِينِ الشَّوَارِعِ فَلَا خِلَافَ فِي
الْعَفْوِ عَنِ الْقَلِيلِ الَّذِي يَلْحَقُ ثِيَابَ الطَّارِقِينَ فَإِنَّ النَّاسَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْإِنْتِشَارِ
فِي حَوَائِجِهِمْ، فَلَوْ كَلَّفْنَاهُمْ الْغُسْلَ لَعَظَمَتِ الْمَشَقَّةُ، وَلِهَذَا عَفَوْنَا عَنْ دَمِ
الْبَرَاعِثِ وَالْبَثَرَاتِ، قَالَ الْإِمَامُ: وَكَانَ شَيْخِي يَقُولُ: الْقَلِيلُ الْمَغْفُورُ عَنْهُ مَا لَا
يُنْسَبُ صَاحِبُهُ إِلَى كَبُورَةٍ أَوْ عَثْرَةٍ أَوْ قِلَّةٍ تُحْفَظُ عَنِ الطَّنِّ. [قُلْتُ: لَعَلَّهُ يَقْصِدُ
بِشَيْخِهِ أَبَاهُ أَبَا مُحَمَّدٍ الْجَوْنِيَّ، فَقَدْ تَفَقَّهَ عَلَيْهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ].

(فَرَعُ): مَاءُ الْمِيزَابِ الَّذِي يُطْلَى نَجَاسَتُهُ وَلَا يَتَيَسَّنُّ طَهَارَتُهُ وَلَا نَجَاسَتُهُ.

قَالَ الْمُتَوَلَّى وَالرُّوْيَانِيُّ: فِيهِ الْقَوْلَانِ فِي طِينِ الشَّوَارِعِ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ فِيهِ
نَظَرٌ وَالْمُخْتَارُ الْجُزْمُ بِطَهَارَتِهِ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ هُنَاكَ نَجَاسَةٌ انْعَسَلَتْ. اهـ.

وَفِي "الْفَتَاوَى الْكُبْرَى" لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ:

وَسُئِلَ ﷺ: عَنْ الثَّلَثَيْنِ: هَلْ حَدِيثُهُ صَحِيحٌ أَمْ لَا؟ وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ قُلَّةُ الْجَبَلِ؛
وَفِي سُورِ الْهُرَّةِ إِذَا أَكَلْتَ نَجَاسَةً ثُمَّ شَرِبْتَ مِنْ مَاءٍ دُونَ الثَّلَثَيْنِ: هَلْ يَجُوزُ
الْوُضُوءُ بِهِ أَمْ لَا؟

= **تَأْجَابُ:** الْحَمْدُ لِلَّهِ. قَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: «إِنَّكَ تَتَوَضَّأُ مِنْ بَثْرِ بَضَاعَةٍ وَهِيَ بَثْرٌ يُلْقَى فِيهَا الْحَبِضُ؛ وَلُحُومُ الْكِلَابِ؛ وَالشَّنُّ؟ فَقَالَ: الْمَاءُ طَهُورٌ لَا يَنْجَسُهُ شَيْءٌ».

وَبَثْرُ بَضَاعَةٍ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ بِهَا هِيَ بَثْرٌ لَيْسَتْ جَارِيَةً، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى الْيَوْمِ فِي شَرْقِيِّ الْمَدِينَةِ وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ.

وَأَمَّا حَدِيثُ الثَّلَاثِي فَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ يُخْتَلَعُ بِهِ وَقَدْ أَجَابُوا عَنْ كَلَامِ مَنْ طَعَنَ فِيهِ وَصَنَّفَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُقَدِّسِيُّ جُزْءًا رَدَّ فِيهِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ.

وَأَمَّا لَفْظُ الثَّلَاثِي: فَإِنَّهُ مَعْرُوفٌ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ الْجَرَّةُ الْكَبِيرَةُ كَالْحَبِّ [قَالَ الْفَيْرُوزْآبَادِيُّ فِي "الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ": وَالْحَبُّ: الْجَرَّةُ، أَوِ الضُّخْمَةُ مِنْهَا، أَوِ الْحَشَبَاتُ الْأَرْبَعُ تُوضَعُ عَلَيْهَا الْجَرَّةُ ذَاتُ الْعُرْوَتَيْنِ، وَالْكَرَامَةُ: غِطَاءُ الْجَرَّةِ، وَمِنْهُ: "حُبًّا وَكَرَامَةً"].

وَكَانَ ﷺ يُمَثِّلُ بِهِمَا كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ قَالَ فِي سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى: «وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ وَإِذَا نَبَقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ» وَهِيَ قِلَالٌ مَعْرُوفَةٌ الصِّفَةُ وَالْمِقْدَارُ؛ فَإِنَّ التَّمَثِيلَ لَا يَكُونُ بِمُخْتَلَفٍ مُتَّفَاقٍ. وَهَذَا مِمَّا يَبْطُلُ كَوْنُ الْمُرَادِ قُلَّةَ الْجَبَلِ لِأَنَّ قِلَالَ الْجِبَالِ فِيهَا الْكِبَارُ وَالصُّغَارُ وَفِيهَا الْمُرْتَفِعُ كَثِيرًا وَفِيهَا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ وَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ مَاءٌ يَصِلُ إِلَى قِلَالِ الْجَبَلِ إِلَّا مَاءُ الطُّوفَانِ فَحَمَلُ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مِثْلِ هَذَا يُشَبِّهُ الْإِسْتِهْزَاءَ بِكَلَامِهِ. وَمِنْ عَادَتِهِ ﷺ أَنَّهُ يَقْدِّرُ الْمُقَدَّرَاتِ بِأَوْعِيَّتِهَا كَمَا قَالَ: «لَيْسَ فِيهَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ» وَالْوَسْقُ حِمْلُ الْجَمَلِ وَكَمَا «كَانَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ» وَذَلِكَ =

= مِنْ أَوْعِيَةِ الْمَاءِ وَهَكَذَا تَقْدِيرُ الْمَاءِ بِالْقِلَالِ مُنَاسِبٌ فَإِنَّ الْقُلَّةَ وَعَاءُ الْمَاءِ .
وَأَمَّا الْهَرَّةُ فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ : «إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسَةٍ إِنَّهَا مِنَ الطَّوَافِينَ
عَلَيْكُمْ وَالطَّوَافَاتِ» .

وَتَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ فِيمَا إِذَا أَكَلْتَ فَأَرَّةً وَنَحَوَهَا ثُمَّ وَلَعْتَ فِي مَاءٍ قَلِيلٍ عَلَى أَرْبَعَةِ
أَقْوَالٍ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ .

قِيلَ : إِنَّ الْمَاءَ طَاهِرٌ مُطْلَقًا . وَقِيلَ نَجَسٌ مُطْلَقًا حَتَّى تُعْلَمَ طَهَارَةُ فِيمَا . وَقِيلَ :
إِنْ غَابَتْ غَبِيَّةٌ يُمَكِّنُ فِيهَا وَرُودُهَا عَلَى مَا يُطَهِّرُ فَمَهَا كَانَ طَاهِرًا وَإِلَّا فَلَا .
وَهَذِهِ الْأَوْجُهُ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا . وَقِيلَ إِنَّ طَالَ الْفَضْلُ كَانَ
طَاهِرًا جَعَلًا لِرَيْقِهَا مُطَهَّرًا لِفِيمَا لِأَجْلِ الْحَاجَةِ وَهَذَا قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ
أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ وَهُوَ أَقْوَى الْأَقْوَالِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ : وَأَمَّا الْمَاءُ إِذَا تَغَيَّرَ بِالنَّجَاسَاتِ : فَإِنَّهُ يَنْجُسُ بِالِاتِّفَاقِ .

وَأَمَّا مَا لَمْ يَتَغَيَّرْ فَبِهِ أَقْوَالٌ مَعْرُوفَةٌ :

أَحَدُهَا : لَا يَنْجُسُ . وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَرِوَايَةُ الْمَدَنِيِّينَ عَنْ مَالِكٍ وَكَثِيرٍ مِنْ
أَهْلِ الْحَدِيثِ وَإِخْدَى الرِّوَايَاتِ عَنْ أَحْمَدَ اخْتَارَهَا طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَنَصَرَهَا
ابْنُ عَقِيلٍ فِي الْمُفْرَدَاتِ ؛ وَابْنُ الْبَنَاءِ وَغَيْرُهُمَا .

وَالثَّانِي : يَنْجُسُ قَلِيلُ الْمَاءِ بِقَلِيلِ النَّجَاسَةِ . وَهِيَ رِوَايَةُ الْبَصْرِيِّينَ عَنْ مَالِكٍ .
وَالثَّالِثُ : وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى : الْفَرْقُ بَيْنَ الْقُلَّتَيْنِ
وَغَيْرِهِمَا .

فَمَالِكٌ لَا يَحُدُّ الْكَثِيرَ بِالْقُلَّتَيْنِ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ يَحُدُّانِ الْكَثِيرَ بِالْقُلَّتَيْنِ . =

.....

= والرَّابِعُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْبَوْلِ وَالْعَذْرَةِ الْمَائِعَةِ وَغَيْرِهِمَا؛ فَالْأَوَّلُ يُنَجِّسُ مِنْهُ مَا أَمْكَنَ نَزْحُهُ دُونَ مَا لَمْ يُمْكِنَ نَزْحُهُ بِخِلَافِ الثَّانِي؛ فَإِنَّهُ لَا يُنَجِّسُ الْفُلْتَيْنِ فَصَاعِدًا. وَهَذَا أَشْهَرُ الرُّوَايَاتِ عَنْ أَحْمَدَ وَاخْتِيَارُ أَكْثَرِ أَصْحَابِهِ.

وَالْحَامِسُ: أَنَّ الْمَاءَ يُنَجِّسُ بِمِلَاقَةِ النَّجَاسَةِ سَوَاءً كَانَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا؛ وَهَذَا قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ لَكِنْ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ لَا يُنَجِّسُهُ. ثُمَّ حَدَّثُوا مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ: بِمَا لَا يَتَحَرَّكُ أَحَدُ طَرَفَيْهِ بِتَحْرِيكِ الطَّرَفِ الْآخَرِ.

وَالسَّادِسُ: قَوْلُ أَهْلِ الظَّاهِرِ الَّذِينَ يُنَجِّسُونَ مَا بَالَ فِيهِ الْبَائِلُ دُونَ مَا أُلْقِيَ فِيهِ الْبَوْلُ وَلَا يُنَجِّسُونَ مَا سِوَى ذَلِكَ إِلَّا بِالتَّغْيِيرِ.

وَأَصْلُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى: أَنَّ اخْتِلَاطَ الْحَيْثِ وَهُوَ النَّجَاسَةُ بِالْمَاءِ هَلْ يُوجِبُ تَحْرِيمَ الْجَمِيعِ؟ أَمْ يُقَالُ: بَلْ قَدْ اسْتَحَالَ فِي الْمَاءِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ حُكْمٌ؟

فَالْمُنَجِّسُونَ ذَهَبُوا إِلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ؛ ثُمَّ مَنْ اسْتَشْنَى الْكَثِيرَ قَالَ: هَذَا يَشُقُّ الْإِخْتِرَازُ مِنْ وَقُوعِ النَّجَاسَةِ فِيهِ فَجَعَلُوا ذَلِكَ مَوْضِعَ اسْتِحْسَانٍ كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ فَبَنَوْا الْأَمْرَ عَلَى وُضُوحِ النَّجَاسَةِ وَعَدَمِ وُضُوحِهَا وَقَدَّرُوهُ بِالْحَرَكَةِ أَوْ بِالسَّاحَةِ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ دُونَ الْعُمُقِ.

وَالضَّرَابُ: هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ؛ وَأَنَّهُ مَتَى عَلِمَ أَنَّ النَّجَاسَةَ قَدْ اسْتَحَالَتْ فَالْمَاءُ ظَاهِرٌ سَوَاءً كَانَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا وَكَذَلِكَ فِي الْمَائِعَاتِ كُلِّهَا وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبَاحَ الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ الْخَبَائِثَ، وَالْحَيْثُ مُتَمَيِّزٌ عَنِ الطَّيِّبِ بِصِفَاتِهِ فَإِذَا كَانَتْ صِفَاتُ الْمَاءِ وَغَيْرِهِ صِفَاتِ الطَّيِّبِ دُونَ الْحَيْثِ: وَجَبَ دُخُولُهُ فِي الْحَلَالِ =

= دُونَ الْحَرَامِ. وَأَيْضًا فَقَدْ ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قِيلَ لَهُ: أَنْتَوَضُّأُ مَنْ يَثْرُ بِضَاعَةٍ؟ وَهِيَ يَثْرُ يُلْقَى فِيهَا الْحَبِضُ وَلُحُومُ الْكِلَابِ وَالْتَّنُّ فَقَالَ: الْمَاءُ طَهُورٌ لَا يَنْجَسُهُ شَيْءٌ» قَالَ أَحْمَدُ: حَدِيثُ يَثْرٍ بِضَاعَةٌ صَحِيحٌ. وَهُوَ فِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمَاءُ طَهُورٌ لَا يَنْجَسُهُ شَيْءٌ» وَهَذَا اللَّفْظُ عَامٌّ فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ وَهُوَ عَامٌّ فِي جَمِيعِ النَّجَاسَاتِ. وَأَمَّا إِذَا تَغَيَّرَ بِالنَّجَاسَةِ فَإِنَّمَا حُرِّمَ اسْتِعْمَالُهُ لِأَنَّ جِزْمَ النَّجَاسَةِ بَاقٍ فِيهِ اسْتِعْمَالُهُ اسْتِعْمَالُهَا بِخِلَافِ مَا إِذَا اسْتَحَالَتِ النَّجَاسَةُ فَإِنَّ الْمَاءَ طَهُورٌ وَلَيْسَ هُنَاكَ نَجَاسَةٌ قَائِمَةٌ.

وَمِمَّا يَبِينُ ذَلِكَ: أَنَّهُ لَوْ وَقَعَ خَمْرٌ فِي مَاءٍ وَاسْتَحَالَتْ ثُمَّ شَرِبَهَا شَارِبٌ لَمْ يَكُنْ شَارِبًا لِلْخَمْرِ؛ وَلَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ حَدُّ الْخَمْرِ؛ إِذْ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ طَعْمِهَا وَلَوْنِهَا وَرِيحِهَا،

وَلَوْ صَبَّ لَبَنٌ امْرَأَةً فِي مَاءٍ وَاسْتَحَالَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ وَشَرِبَ طِفْلٌ ذَلِكَ الْمَاءَ: لَمْ يَصِرْ ابْنُهَا مِنَ الرِّضَاعَةِ بِذَلِكَ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّ هَذَا بَاقٍ عَلَى أَوْصَافِ خِلْقَتِهِ؛ فَيَدْخُلُ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً...﴾ [النساء: ٤٣]؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا لَمْ يَتَغَيَّرْ بِالنَّجَاسَةِ لَا طَعْمُهُ وَلَا لَوْنُهُ وَلَا رِيحُهُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ «نَهَى عَنِ الْبَوْلِ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ وَعَنِ الْإِغْسَالِ فِيهِ» قِيلَ: نَهْيُهُ عَنِ الْبَوْلِ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَنْجَسُ بِمُجَرَّدِ الْبَوْلِ؛ إِذْ لَيْسَ فِي اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ بَلْ قَدْ يَكُونُ نَهْيُهُ سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ؛ لِأَنَّ الْبَوْلَ ذَرِيعَةٌ إِلَى تَنْجِيسِهِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا بَالَ هَذَا ثُمَّ بَالَ هَذَا تَغَيَّرَ الْمَاءُ بِالْبَوْلِ فَكَانَ =

= نَهْيُهُ سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ .

أَوْ يُقَالُ: إِنَّهُ مَكْرُوهٌ بِمُجَرَّدِ الطَّنَعِ لَا لِأَجْلِ أَنَّهُ يُنَجِّسُهُ .

وَأَيْضًا فَيَدُلُّ نَهْيُهُ عَنِ الْبَوْلِ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ أَنَّهُ يَعْمُ الْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ .

فَيُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُلْتَيْنِ: أَتَجَوِّزُ بَوْلَهُ فِيمَا فَوْقَ الْقُلْتَيْنِ؟ إِنْ جَوَّزْتَهُ فَقَدْ خَالَفْتَ ظَاهِرَ النَّصِّ؛ وَإِنْ حَرَّمْتَهُ فَقَدْ نَقَضْتَ دَلِيلَكَ .

[قُلْتُ: يُفَرَّقُ بَيْنَ عَدَمِ جَوَازِ التَّبَوُّلِ فِيمَا فَوْقَ الْقُلْتَيْنِ وَبَيْنَ تَنْجِيسِ الْمَاءِ بِالْبَوْلِ، فَنُالَمْنَعُ مِنَ الْبَوْلِ لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٢٦)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٢٨) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِينَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ» [وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَلَأنَّ ذَلِكَ يَقْدُرُ الْمَاءُ وَإِنْ لَمْ يُنَجِّسْهُ، وَأَمَّا الْحُكْمُ بِالنَّجَاسَةِ فَلِحَدِيثِ الْقُلْتَيْنِ وَقَدْ حَكَمَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ بِأَنَّهُ حَسَنٌ وَلَكِنَّهُ فِي آخِرِ كَلَامِهِ عَلَّلَهُ بِقَوْلِهِ: قِيلَ: حَدِيثُ الْقُلْتَيْنِ فِيهِ كَلَامٌ قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ؛ وَبَيَّنَّ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ عُمرَ لَا مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ اهـ . فَلَمَّا صَحَّ الْحَدِيثُ لَزِمَ الْعَمَلُ بِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . حطية .]

وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِمَنْ فَرَّقَ بَيْنَ مَا يُمَكِّنُ نَزْحَهُ وَمَا لَا يُمَكِّنُ: أَتَسَوَّغُ لِلْحُجَّاجِ أَنْ يَبُولُوا فِي الْمَصَانِعِ الْمَبْنِيَّةِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ؟ إِنْ جَوَّزْتَهُ خَالَفْتَ ظَاهِرَ النَّصِّ؛ فَإِنْ هَذَا مَاءٌ دَائِمٌ وَالْحَدِيثُ لَمْ يُفَرَّقْ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ وَإِلَّا نَقَضْتَ قَوْلَكَ .

وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلْمُقَدَّرِ بِعَشْرَةِ أَذْرُعٍ: إِذَا كَانَ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ غَدِيرٌ مُسْتَطِيلٌ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ أَذْرُعٍ رَفِيقٌ أَتَسَوَّغُ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ الْبَوْلَ فِيهِ؟ فَإِنْ سَوَّغْتَهُ خَالَفْتَ ظَاهِرَ النَّصِّ؛ وَإِلَّا نَقَضْتَ قَوْلَكَ .

فَإِذَا كَانَ النَّصُّ بَلًّا وَالْإِجْمَاعُ دَلًّا عَلَى أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْبَوْلِ فِيمَا يُنَجِّسُهُ الْبَوْلُ، =

= بَلْ تَقْدِيرُ الْمَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فِيمَا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْقَلِيلُ وَالكَثِيرُ: كَانَ هَذَا الْوَصْفُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ مُسْتَقِلًا بِالنَّهْيِ فَلَمْ يَجْزِ تَعْلِيلُ النَّهْيِ بِالنَّجَاسَةِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ ﷺ إِنَّمَا نَهَى عَنِ الْبَوْلِ فِيهِ لِأَنَّ الْبَوْلَ يُنَجِّسُهُ؛ فَإِنَّ هَذَا خِلَافُ النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ.

وَأَمَّا مَنْ قَرَّقَ بَيْنَ الْبَوْلِ فِيهِ وَبَيْنَ صَبِّ الْبَوْلِ فَقَوْلُهُ ظَاهِرُ الْقَسَادِ؛ فَإِنَّ صَبَّ الْبَوْلِ أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يُنْهَى عَنْهُ مِنْ مُجَرَّدِ الْبَوْلِ؛ إِذَا الْإِنْسَانُ قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَبُولَ وَأَمَّا صَبُّ الْأَبْوَالِ فِي الْمِيَاهِ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ. فَإِنْ قِيلَ: فِي حَدِيثِ الْقُلَّتَيْنِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْمَاءِ يَكُونُ بِأَرْضِ الْفَلَاةِ وَمَا يَنْبُتُ مِنَ السَّيِّحِ وَالِدَّوَابِّ فَقَالَ: «إِذَا بَلَغَ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْحَبَثُ» وَفِي لَفْظِ «لَمْ يَنْجَسْهُ شَيْءٌ».

قِيلَ: حَدِيثُ الْقُلَّتَيْنِ فِيهِ كَلَامٌ قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ؛ وَبَيَّنَّ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ عُمرَ لَا مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ فِي "الْفَتَاوَى الْكُبْرَى":

وَسُئِلَ عَنِ الزَّيْتِ إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ النَّجَاسَةُ مِثْلُ الْفَأْرَةِ وَنَحْوِهَا وَمَاتَتْ فِيهِ.

فَأَجَابَ: أَضَلُّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ الْمَائِعَاتِ إِذَا وَقَعَتْ فِيهَا نَجَاسَةٌ: فَهَلْ تَنْجُسُ وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً فَوْقَ الْقُلَّتَيْنِ؟ أَوْ تَكُونُ كَالْمَاءِ فَلَا تَنْجُسُ مُطْلَقًا إِلَّا بِالتَّغْيِيرِ؟ أَوْ لَا يَنْجُسُ الْكَثِيرُ إِلَّا بِالتَّغْيِيرِ كَمَا إِذَا بَلَغَتْ قُلَّتَيْنِ؟

فِيهِ عَنْ أَحْمَدَ ثَلَاثَ رَوَايَاتٍ: إِحْدَاهُنَّ أَنَّهَا تَنْجُسُ وَلَوْ مَعَ الْكَثَرَةِ. وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ. وَالْأُخْرَى: أَنَّهَا كَالْمَاءِ سِوَاءَ كَانَتْ مَائِيَّةً أَوْ غَيْرَ مَائِيَّةٍ، وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ: كَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَالزُّهْرِيِّ وَأَبِي ثَوْرٍ وَغَيْرِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي ثَوْرٍ.

= وَكَذَلِكَ ذَكَرَ أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ حُكْمَ الْمَائِعَاتِ عِنْدَهُمْ حُكْمُ الْمَاءِ وَمَذْهَبُهُمْ فِي الْمَائِعَاتِ أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ مُنْبَسِطَةً بِحَيْثُ لَا يَتَحَرَّكُ أَحَدُ طَرَفَيْهَا يَتَحَرَّكُ الطَّرَفُ الْآخَرُ لَمْ تَنْجُسْ كَالْمَاءِ عِنْدَهُمْ. وَأَمَّا أَبُو ثَوْرٍ فَإِنَّهُ يَقُولُ: بِالْعَكْسِ. بِالْقَلْتَيْنِ كَالشَّافِعِيِّ.

وَالْقَوْلُ أَنَّهَا كَالْمَاءِ يُذَكَّرُ قَوْلًا فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي نَافِعٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ فِي الْحَبَابِ الَّتِي بِالشَّامِ لِلزَّيْتِ تَمُوتُ فِيهِ الْفَأَرَةُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّ الزَّيْتَ قَالَ: وَلَيْسَ الزَّيْتُ كَالْمَاءِ.

وَقَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ فِي الزَّيْتِ وَغَيْرِهِ تَقَعُ فِيهِ الْمَيْتَةُ وَلَمْ تُغَيَّرْ أَوْصَافُهُ وَكَانَ كَثِيرًا: لَمْ يَنْجُسْ؛ بِخِلَافِ مَوْتِهَا فِيهِ فَفَرَّقَ بَيْنَ مَوْتِهَا فِيهِ وَوُقُوعِهَا فِيهِ.

وَمَذْهَبُ ابْنِ حَزْمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الظَّاهِرِ أَنَّ الْمَائِعَاتِ لَا تَنْجُسُ بِوُقُوعِ النَّجَاسَةِ إِلَّا السَّمْنُ إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ فَأَرَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِنَّ الْمَاءَ لَا يَنْجُسُ إِلَّا إِذَا بَالَ فِيهِ بَائِلٌ.

وَالثَّلَاثَةُ: يَرْقُ بَيْنَ الْمَائِعِ الْمَائِي كَخَلِّ الْخَمْرِ، وَغَيْرِ الْمَائِي كَخَلِّ الْعِنَبِ فَيَلْحَقُ الْأَوَّلُ بِالْمَاءِ دُونَ الثَّانِي.

وَفِي الْجُمْلَةِ لِلْمَلَكَاءِ فِي الْمَائِعَاتِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا كَالْمَاءِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا أَوْلَى بِعَدَمِ التَّنَجُّسِ مِنَ الْمَاءِ لِأَنَّهَا طَعَامٌ وَإِدَامٌ فَإِتْلَافُهَا فِيهِ فَسَادٌ، وَلِأَنَّهَا أَشَدُّ إِحَالَةً لِلنَّجَاسَةِ مِنَ الْمَاءِ أَوْ مُبَايَنَةٌ لَهَا مِنَ الْمَاءِ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ الْمَاءَ أَوْلَى بِعَدَمِ التَّنَجُّسِ مِنْهَا لِأَنَّهُ طَهُورٌ.

وَحُجَّةُ مَنْ قَالَ بِالتَّنَجُّسِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنْ كَانَ جَامِدًا فَأَلْقَوْهَا وَمَا حَوْلَهَا، وَكُلُّوا سَمْنَكُمْ، وَإِنْ كَانَ مَائِعًا فَلَا تَقْرُبُوهُ» [صَعَفَةُ الْأَبْيَانِي] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ =

= وَغَيْرُهُ؛ وَبَيَّنَّا ضَعْفَ هَذَا الْحَدِيثِ. وَطَعَنَ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ وَالدَّارِقُطَنِيُّ وَغَيْرُهُمْ فِيهِ وَأَنَّهُمْ بَيَّنُّوا أَنَّهُ غَلَطَ فِيهِ مَعْمَرٌ عَلَى الزُّهْرِيِّ. وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٣٥، ٢٣٦، ٥٥٣٨، ٥٥٣٩، ٥٥٤٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٨٤١) رَوَى النَّسَائِيُّ (٤٢٥٨، ٤٢٥٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٧٩٨)، وَأَحْمَدُ (٢٦٢٥٦، ٢٦٣٠٧)، وَمَالِكٌ فِي الْمَوْطِئِ (١٨١٥)، وَالدَّارِمِيُّ (٧٣٨)، (٢٠٨٣) مِنْ طُرُقٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ فَأْرَةٍ سَقَطَتْ فِي سَمْنٍ؟ فَقَالَ: أَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا فَاطْرَحُوهُ وَكُلُّوا سَمْنَكُمْ». وَقَالَ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ يَقُولُ: حَدِيثُ مَعْمَرٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا خَطَأً. قَالَ: وَالصَّحِيحُ حَدِيثُ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ. اهـ. وَاضْطَرَبَ عَلَى مَعْمَرٍ فِيهِ وَظَنَّ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ حَدِيثَ مَعْمَرٍ مَحْفُوظٌ فَعَمِلُوا بِهِ

فَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ هُنَا عَنْ ابْنِ عِيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُهُ مِنَ الزُّهْرِيِّ مِرَارًا لَا يَرْوِيهِ إِلَّا عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَلَيْسَ فِي لَفْظِهِ إِلَّا قَوْلُهُ: «أَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا وَكُلُّوهُ» وَكَذَلِكَ رَوَاهُ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ وَذَكَرَ مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ أَنَّ الزُّهْرِيَّ سُئِلَ عَنِ الدَّابَّةِ تَمُوتُ فِي السَّمْنِ الْجَامِدِ وَغَيْرِهِ فَأَفْتَى «بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِفَأْرَةٍ مَاتَتْ فِي سَمْنٍ فَأَمَرَ بِمَا قُرْبَ مِنْهَا فَطَرَحَ» فَهَذِهِ فُتْيَا الزُّهْرِيِّ فِي الْجَامِدِ وَغَيْرِ الْجَامِدِ فَكَيْفَ يَكُونُ قَدْ رَوَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا وَهُوَ يَحْتَجُّ عَلَى اسْتِثْنَاءِ حُكْمِ النَّوَاعِينَ بِالْحَدِيثِ؟! =

= وَيَقْدِيرُ صِحَّةَ هَذَا اللَّئِظِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: " وَإِنْ كَانَ مَائِعًا فَلَا تَقْرُبُوهُ "؛ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى نَجَاسَةِ الْقَلِيلِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ النَّجَاسَةُ كَالسَّمَنِ الْمَسْئُولِ عَنْهُ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ السَّائِلِ سَمْنٌ فَوْقَ قُلَّتَيْنِ يَقَعُ فِيهِ فَأَرَّةٌ حَتَّى يُقَالَ فِيهِ: تَرَكُ الْإِسْتِفْصَالَ فِي حِكَايَةِ الْحَالِ مَعَ قِيَامِ الْإِحْتِمَالِ يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الْعُمُومِ فِي الْمَقَالِ، بَلِ السَّمْنُ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي أَوْعِيَّتِهِمْ يَكُونُ فِي الْغَالِبِ قَلِيلًا، فَلَوْ صَحَّ الْحَدِيثُ لَمْ يَدُلَّ إِلَّا عَلَى نَجَاسَةِ الْقَلِيلِ. فَإِنَّ الْمَائِعَاتِ الْكَثِيرَةَ إِذَا وَقَعَتْ فِيهَا نَجَاسَةٌ فَلَا يَدُلُّ عَلَى نَجَاسَتِهَا لَا نَصٌّ صَحِيحٌ وَلَا ضَعِيفٌ وَلَا إِجْمَاعٌ وَلَا قِيَاسٌ صَحِيحٌ.

وَعُمْدَةٌ مَنْ يَنْجِسُهُ يَظُنُّ أَنَّ النَّجَاسَةَ إِذَا وَقَعَتْ فِي مَاءٍ أَوْ مَائِعٍ سَرَتْ فِيهِ كُلُّهُ فَتَنَجَّسَتْهُ.

وَقَدْ عُرِفَ فَسَادُ هَذَا، وَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِطَرْدِهِ، فَإِنَّ طَرْدَهُ يُوجِبُ نَجَاسَةَ الْبَحْرِ،

بَلِ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْأَضْلَ الْفَاسِدَ مِنْهُمْ مَنْ اسْتَشَى مَا لَا يَتَحَرَّكُ أَحَدُ طَرَفَيْهِ بِتَحَرُّكِ الْآخَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَشَى فِي بَعْضِ النَّجَاسَاتِ مَا لَا يُمَكِّنُ نَزْحَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَشَى مَا فَوْقَ الْقُلَّتَيْنِ، وَعَلَّلَ بَعْضُهُمُ الْمُسْتَشَى بِمَشَقَّةِ التَّنَجِّيسِ وَبَعْضُهُمْ بِعَدَمِ وُضُوعِ النَّجَاسَةِ إِلَى الْكَثِيرِ وَبَعْضُهُمْ بِتَعَذُّرِ التَّطْهِيرِ،

وَهَذِهِ الْعِلَلُ مَوْجُودَةٌ فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْأَذْهَانِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي الْحَبِّ الْعَظِيمِ قَنَاطِيرُ مُقَنْطَرَةٌ مِنَ الزَّيْتِ وَلَا يُمَكِّنُهُمْ صِيَانَتُهُ عَنِ الْوَاقِعِ وَالْذُّورِ وَالْحَوَانِثِ مَمْلُوءَةٌ مِمَّا لَا يُمَكِّنُ صِيَانَتَهُ كَالشُّكْرِ وَغَيْرِهِ فَالْعُسْرُ وَالْحَرْجُ بِتَنَجِّيسِ هَذَا عَظِيمٌ جِدًّا.

= وَلِهَذَا لَمْ يَرُدَّ بِتَنْجِيسِ الْكَثِيرِ أَثَرٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَنْ أَصْحَابِهِ.

وَاخْتَلَفَ كَلَامُ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَنْجِيسِ الْكَثِيرِ.

وَأَمَّا الْقَلِيلُ فَإِنَّهُ ظَنَّ صِحَّةَ حَدِيثِ مَعْمَرٍ فَأَخَذَ بِهِ. وَقَدْ أَطْلَعَ غَيْرُهُ عَلَى الْعِلَّةِ الْقَادِحَةِ فِيهِ وَلَوْ أَطْلَعَ عَلَيْهَا لَمْ يَقُلْ بِهِ.

رَوَى صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ فِي "مَسَائِلِهِ" عَنْ أَبِيهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: ثَنَا أَبِي ثَنَا إِسْمَاعِيلُ ثَنَا عُمَارَةُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَنْ فَأْرَةٍ مَاتَتْ فِي سَمْنٍ قَالَ: تُوْخَذُ الْفَأْرَةُ وَمَا حَوْلَهَا. قُلْتُ: يَا مَوْلَانَا فَإِنَّ أَثَرَهَا كَانَ فِي السَّمْنِ كُلِّهِ قَالَ: عَضِضْتُ بِهِنَ أَيْبِكَ إِنَّمَا كَانَ أَثَرُهَا بِالسَّمْنِ وَهِيَ حَيَّةٌ وَإِنَّمَا مَاتَتْ حَيْثُ وُجِدَتْ.

ثَنَا أَبِي ثَنَا وَكِيعٌ ثَنَا النَّضْرُ بْنُ عَرَبِيٍّ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ عَنْ جَرٍّ فِيهِ زَيْتٌ وَقَعَ فِيهِ جُرْدٌ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خُذْهُ وَمَا حَوْلَهُ فَأَلْقِهِ وَكُلَّهُ. قُلْتُ: أَلَيْسَ جَالٌ فِي الْجَرِّ كُلِّهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ جَالٌ وَفِيهِ الرُّوحُ فَاسْتَقَرَّ حَيْثُ مَاتَ.

وَرَوَى الْخَلَّالُ عَنْ صَالِحٍ قَالَ: ثَنَا أَبِي ثَنَا وَكِيعٌ ثَنَا سُفْيَانُ عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَبِي حَزْبٍ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّوْلِيِّ قَالَ: سُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنْ فَأْرَةٍ وَقَعَتْ فِي سَمْنٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا حُرِّمَ مِنَ الْمَيْتَةِ لَحْمُهَا وَدُمُهَا.

قُلْتُ: فَهَذِهِ فِتَاوَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَالزُّهْرِيِّ مَعَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ هُوَ رَاوِي حَدِيثِ مَيْمُونَةَ ثُمَّ إِنَّ قَوْلَ مَعْمَرٍ فِي الْحَدِيثِ الضَّعِيفِ «فَلَا تَقْرُبُوهُ» مَثْرُوكٌ عِنْدَ عَامَّةِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْأَئِمَّةِ؛ فَإِنَّ جُمْهُورَهُمْ يُجَوِّزُونَ الْاسْتِصْبَاحَ بِهِ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُجَوِّزُ بَيْعَهُ أَوْ تَطْهِيرَهُ، وَهَذَا مُخَالِفٌ لِقَوْلِهِ: «فَلَا تَقْرُبُوهُ».

= وَأَمَّا الْقَوْلُ الثَّانِي: فَهُوَ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ الْقِيَاسُ أَنْ لَا يَنْجَسَ الْمَاءُ حَتَّى يَتَغَيَّرَ كَمَا قَالَ مَنْ قَالَهُ مِنْ فُقَهَاءِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَفُقَهَاءِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِمْ كَمَا لِكَ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ. وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: وَدِدْتُ أَنَّ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ فِي الْمِيَاهِ كَانَ كَمَذْهَبِ مَالِكٍ وَكَلَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مُوَافِقٌ لِهَذَا الْقَوْلِ. وَفِي الْجُمْلَةِ فَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّوَابُ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْخَبَائِثَ الَّتِي هِيَ الدَّمُ وَالْمَيْتَةُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَنَحْوُ ذَلِكَ إِذَا وَقَعَتْ فِي الْمَاءِ أَوْ غَيْرِهِ وَاسْتَهْلَكَتْ لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ دَمٌ وَلَا مَيْتَةٌ وَلَا لَحْمُ خِنْزِيرٍ أَضْلًا؛ كَمَا أَنَّ الْخَمْرَ إِذَا أُسْتُهْلِكَتْ فِي الْمَائِغِ لَمْ يَكُنِ الشَّارِبُ لَهَا شَارِبًا لِلْخَمْرِ وَالْخَمْرُ إِذَا اسْتَحَالَتْ بِنَفْسِهَا وَصَارَتْ خَلًّا كَانَتْ طَاهِرَةً بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ. فَإِنَّ انْقِلَابَ النَّجَاسَةِ مِلْحًا وَرَمَادًا وَنَحْوَ ذَلِكَ هُوَ كَانْقِلَابُهَا مَاءً فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَسْتَحِيلَ رَمَادًا أَوْ مِلْحًا أَوْ تُرَابًا أَوْ مَاءً أَوْ هَوَاءً وَنَحْوَ ذَلِكَ وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَبَاحَ لَنَا الطَّيِّبَاتِ. وَهَذِهِ الْأَذْمَانُ وَالْأَلْبَانُ وَالْأَشْرِبَةُ الْحُلُوهُ وَالْحَامِضَةُ وَغَيْرُهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَالْخَبِيثَةُ قَدْ أُسْتُهْلِكَتْ وَاسْتَحَالَتْ فِيهَا فَكَيْفَ يَحْرُمُ الطَّيِّبُ الَّذِي أَبَاحَهُ اللَّهُ تَعَالَى. اهـ.

مَاءٌ زَمْزَمٌ وَحِكْمَةُ الْإِسْتِشْقَاءِ بِهِ

رَوَى ابْنُ مَاجَةَ (٣٠٦٢)، وَأَحْمَدُ (١٤٤٣٥، ١٤٥٧٨) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَاءُ زَمْزَمٍ لِمَا شُرِبَ لَهُ». [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

= وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ (٩٣٦) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «أَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَتُخْبِرُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَحْمِلُهُ». وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي "السُّنَنِ" (٢٠٢/٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «كَانَ يَحْمِلُ مَاءَ زَمْزَمَ فِي الْأَدَاوَى وَالْقَرَبِ، وَكَانَ يَصُبُّ عَلَى الْمَرْضَى وَيَسْقِيهِمْ». [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَ (الْأَدَاوَى): جَمْعُ إِدَاوَةٍ، وَهِيَ الْمِظْهَرَةُ؛ أَيْ الْإِنَاءُ الَّذِي يُتَطَهَّرُ بِهِ. وَتَقُولُ د. هُدَى مُحَمَّد لُظْفِي:

لِكِي نَعْرِفَ فَضْلَ مَاءِ زَمْزَمَ عَلَى جَمِيعِ الْمِيَاهِ يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ أَوَّلًا مَا هِيَ أَنْوَاعُ الْمِيَاهِ الْمَوْجُودَةِ فِي الطَّبِيعَةِ:

وهي كَمَا ذَكَرَهَا هَيْرَمَانُ اهِيرَا فِي كِتَابِهِ "التَّوَازُنُ الْحِمَظِيُّ - الْقَلَوِيُّ فِي الصَّحَّةِ وَالْمَرَضِ" (طبعة ٢٠٠٣).

١ - مِيَاهُ الْبَلْبَرِيَّةِ (مِيَاهُ الصُّنْبُورِ):

وَهِيَ مِيَاهُ مُعْظَمِهَا صَالِحٌ لِلشُّرْبِ بِاسْتِثْنَاءِ أَنَّ مِيَاهَ الصُّنْبُورِ فِي الْعَصْرِ الْحَالِي تَحْتَوِي عَلَى بَكْتِيرِيَا وَفَيْرُوسَاتٍ وَمَعَادِنَ غُضَوِيَّةٍ وَغَيْرُ غُضَوِيَّةٍ مِمَّا يَجْعَلُ الْمَاءَ عَسِرًا، بِالإِضَافَةِ إِلَى إِحْتَوَائِهِ عَلَى مَوَادِّ كِيمَاوِيَّةٍ مُضَافَةً (الْكُلُور - الْفُلُورِيد - سَلْفَاتُ الْأَلُومِينِيُومِ إلخ) مِمَّا يُسَبِّغُ فِي إِحْدَاثِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ.

٢ - الْمَاءُ الْمُسَكَّى (الْمُقَطَّرُ أَوْ الْمُنَكَّسُ الْأَرْمُوزِيُّ):

هُوَ مَاءٌ مَنزُوعٌ مِنْهُ جَمِيعُ الْعَنَاصِرِ الْمَوْجُودَةِ فِيهِ بِاسْتِخْدَامِ عَمَلِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ حَتَّى لَا يُوجَدَ فِيهِ سِوَى الْمَادَّةِ الْكِيمِيَاءِيَّةِ، وَحَيْثُ إِنَّ الْمَاءَ شَدِيدُ النِّقَاءِ فَهُوَ يَمْتَصُّ =

= ثاني أكسيد الكربون من الهواء مما يجعله حمضياً وأكثر قوة في إذابة المواد التي يلامسها، وعادة ما يحتوي على كمية قليلة جداً من الأكسجين المذاب أو لا يحتوي على الأكسجين إطلاقاً ولذلك يُشار إليه باسم الماء (الميت) وهو يمتص المعادن من جسم الإنسان وتجعله أكثر حامضية كما أنه يمتص الإلكتروليتات داخل الجسم (الصوديوم، والبوتاسيوم والكلورايد) والمعادن مثل المغنيزيوم،

وقد يؤدي النقص في تلك المعادن إلى عدم انتظام ضربات القلب وإلى ارتفاع ضغط الدم، وأكثر المشروبات السامة التي يتناولها الإنسان (المشروبات الغازية) تُصنع من هذا الماء.

٣ - المياه السيئة:

ماء منزوع منه جميع المعادن الجيدة، وتم استبدالها بكمية من الملح تبلغ ضعف كمية المعادن المنزوعة، فهي تُحدث خللاً في الأيض وترفع ضغط الدم إلى الدرجة التي يحدث معها نزيفاً من الأنف، لذلك فهي لا تُشرب أبداً.

٤ - الماء المفلتر (المرشح):

وهي مياه نحصل عليها باستخدام الفلاتر، وهي وسائل دفاعية حيث إنها تقوم بإزالة بعض الشوائب التي يحتوي عليها الماء قبل شربه، والفلاتر لا تقوم بإضافة شيء إلى الماء، وعادةً يصبح الماء أكثر حامضية منه فلوياً بعد عملية الترشيح، وبالإضافة إلى ذلك فإن معرفة الوقت المناسب لتغيير الفلتر يعدُّ مشكلة في حد ذاته.

٥ - الماء المؤيّن (الماء القلوي والماء المتحمّض والماء المبكّر والمُخزّل):

يُعَدُّ الماءُ المؤيّنُ أَفْضَلَ أَنْوَاعِ مِيَاهِ الشُّرْبِ الْمُتَاحَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، حَيْثُ إِنَّهُ يُزِيلُ الشَّوَائِبَ وَيَحْتَوِي عَلَى أَسْ هِيدْرُوجِينِي قَلَوِيٍّ كَمَا أَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى كَمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْأُكْسِجِينِ، وَلَهُ مُعَامِلُ أُكْسَدَةٍ وَاحْتِرَالٍ سَالِبٍ بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ مُتَاحٌ عَلَى عَنَاقِيدِ جُزَيْئِيَّةٍ أَصْغَرَ حَجْمًا. وَمِنْ السَّهْلِ الْحُصُولُ عَلَى نَتَائِجٍ مُتَجَانِسَةٍ ذَاتِ فَوَائِدٍ صِحِّيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ، وَالْمَاءُ الْمُؤَيَّنُّ لَهُ مَذَاقٌ نَاعِمٌ وَحُلُوٌّ بِسَبَبِ مَا يَحْتَوِيهِ مِنْ تَرْكِيزٍ لِلْأَيُونَاتِ السَّالِبَةِ (الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا مَاءُ يَنَابِيعِ الْجِبَالِ النَّقِيٍّ) وَهُوَ مُنْعَشٌ كَذَلِكَ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَوَاصِفَاتِ تَنْطَبِقُ عَلَى مَاءٍ زَمَزَمَ حَيْثُ إِنَّهُ مَاءٌ قَلَوِيٌّ نَقِيٌّ مِنَ الْيَنَابِيعِ الْجَبَلِيَّةِ.

٦ - المِيَاهُ الْمَعْدِنِيَّةُ:

وَهِيَ أَفْضَلُ مِنَ مِيَاهِ الصُّنْبُورِ مِنْ حَيْثُ مُعَامِلُ خَفْضِ الْأُكْسَدَةِ (الْقُدْرَةُ عَلَى إِزَالَةِ ذَرَّاتِ الْأُكْسِجِينِ النَّشِطَةِ) وَيُوجَدُ الْآلَافُ مِنْ مَصَادِرِ الْمِيَاهِ الْمَعْدِنِيَّةِ، بَعْضُهَا جَيِّدٌ وَبَعْضُهَا أَقْلُ جَوْدَةً،

وَقَدْ قَسَمَ كِتَابُ (Vitamins and minerals) (طبعة ١٩٩٥) الْمِيَاهَ الْمَعْدِنِيَّةَ إِلَى ثَلَاثِ مَجْمُوعَاتٍ:

- الْمِيَاهُ الْمَعْدِنِيَّةُ الْفَقِيرَةُ بِالْمَعَادِنِ: وَهِيَ تَحْتَوِي عَلَى ٥٠ ملج. مِنَ الْأَمْلَاحِ الْمَعْدِنِيَّةِ فِي اللَّتْرِ.

- الْمِيَاهُ الْمَعْدِنِيَّةُ الْمُتَوَسِّطَةُ الْغِنَى بِالْمَعَادِنِ: تَحْتَوِي عَلَى كَمِيَّةٍ تَزِيدُ عَنْ ٥٠٠ ملج. مِنَ الْأَمْلَاحِ الْمَعْدِنِيَّةِ فِي اللَّتْرِ.

= - الْمِيَاهُ الْمَعْدِنِيَّةُ الْعَنِيَّةُ بِالْمَعَادِنِ: تَحْتَوِي عَلَى كَمِّيَّةٍ تَرِيدُ عَنْ ١٥٠٠ ملج. مِنْ الْأَمْلَاحِ الْمَعْدِنِيَّةِ فِي اللَّتْرِ. وَمِنْ التَّحْلِيلِ الْكِيمِيَائِيِّ لِمَاءِ زَمْزَمَ وَجَدَ أَنَّهَا تَحْتَوِي عَلَى ٢٠٠٠ ملج. مِنْ الْأَمْلَاحِ الْمَعْدِنِيَّةِ فِي اللَّتْرِ. وَهَذِهِ نَتَائِجُ تَحَالِيلِ مَاءِ زَمْزَمَ لِمَرْكَزِ أبحاثِ الْحَجِّ بِجَامِعَةِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَمَا ذُكِرَتْ فِي كِتَابِ (وَصَايَا طَيْبٍ) (طَبْعَةُ ١٩٩٧) وَالَّتِي تُؤَكِّدُهَا نَتَائِجُ تَحْلِيلِ مُخْتَبَرِ مَضْلَحَةِ الْمِيَاهِ وَالصَّرْفِ الصَّحِّيِّ بِالْمَنْطَقَةِ الْغُرَبِيَّةِ لِعَامِ ١٤٠٠ هِجْرِيَّةٍ كَمَا وَضَّحَهَا كِتَابُ (عَالِجُ نَفْسِكَ بِمَاءِ زَمْزَمَ) (طَبْعَةُ ٢٠٠٥).
الْقِيَاسَاتُ: التَّرْكِيزُ (مِلِلِيْجْرَامٍ لِكُلِّ لِتْرٍ):

ملج. / لِكُلِّ لِتْرٍ	ملج. / لِكُلِّ لِتْرٍ		
٣٠٠	الْقَلَوِيَّةُ الْكُلِّيَّةُ	٦٨٠	الْعُسْرُ الْكُلِّي
٤٧٠	عُسْرُ الْكَالْسِيُومِ	٢١٠	عُسْرُ الْمَغْنِيزِيُومِ
١٨٨	الْكَالْسِيُومِ	٥١	الْمَغْنِيزِيُومِ
٢٥٣	الصُّوْدِيُومِ	١٢١	الْبُوتَانَسِيُومِ
٠,١٥	الْحَدِيدِ	٠,١٥	الْمَنْجَنِيزِ
٠,١٢	النُّحَاسِ	٦	النَّشَادِرِ
٠,٠١	النَّتْرِيتِ	٢٧٣	النَّتْرَاتِ
٣٤٠	الْكُلُورِ	٣٧٢	الْكَبْرِيتَاتِ
٠,٢٥	الْفُوسْفَاتِ	٣٦٦	الْبِيْكَرْبُونَاتِ
			=

= وَمِنْ التَّحَالِيلِ الْكِيمَاوِيَّةِ يَبَيِّنُ أَنَّ:

- مَاءٌ زَمْزَمٌ نَقِيٌّ لَا لَوْنَ لَهُ وَلَا رَائِحَةَ، ذُو مَذَاقٍ رَائِحٍ قَلِيلًا.
- أَسُهُ الْهَيْدُرُوجِيَّةُ (٧،٨) وَبِذَلِكَ يَكُونُ قَلْبًا إِلَى حَدِّ مَا.
- يَخْتَوِي عَلَى تَرَكِيزَاتٍ عَالِيَةٍ مِنَ الصُّوْدِيُومِ وَالْكَالْسِيُومِ وَالْمَغْنِيزِيُومِ وَالْمَعَادِنِ الْأُخْرَى، وَلَكِنَّهَا تَقَعُ ضَمِنَ مَقَايِسِ مُنَظَّمَةِ الصِّحَّةِ الْعَالَمِيَّةِ مَا عَدَا الصُّوْدِيُومَ فَهُوَ مُرْتَفِعٌ.
- الْعَنَاصِرُ السَّامَّةُ الْأَرْبَعَةُ وَهِيَ الزُّرْنِيخُ وَالرَّصَاصُ وَالْكَادِمِيُومُ وَالسِّلِينِيُومُ تَوْجَدُ بِأَقَلِّ مِنْ مُسْتَوَى الضَّرَرِ بِكَثِيرٍ بِالنِّسْبَةِ لِلِاسْتِخْدَامِ الْبَشَرِيِّ.
- وَمِنْ الْمُعَالَجَةِ بِالْأَشْعَةِ فَوْقَ الْبِنْفَسِجِيَّةِ وَجَدَ أَنَّ مَاءَ زَمْزَمٍ خَالٍ مِنَ الْجَرَائِمِ وَيُؤَكِّدُ هَذَا كِتَابُ (الْمُعْتَمَدِ فِي الْأَدْوِيَةِ الْمُفْرَدَةِ) (طَبْعَةٌ ١٩٥١) حَيْثُ يَقُولُ: إِنَّ أَفْضَلَ الْمِيَاهِ مِيَاهُ الْعُيُونِ فِي الْأَرْضِ الْحَارَّةِ، الَّتِي لَا يَغْلِبُ عَلَى تَرْبَتِهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْكَيفِيَّاتِ الْغَرِيبَةِ، وَيَكُونُ طِينٌ مَسْلُكُهَا حَرًّا، لَا حَمَاقَةً فِيهِ وَلَا سَبَخَةً وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الطِّينَ يَأْخُذُ مِنْهُ اللُّزُوجَاتِ الْغَرِيبَةِ، أَوْ تَكُونُ حَجَرِيَّةً فَتَكُونُ أَوْلَى بِأَنْ لَا تَغْفَنَ عُفُونَةَ الْأَرْضِيَّةِ.
- وَمِمَّا تَقَدَّمَ يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ مَاءَ زَمْزَمٍ قَلْبِيٌّ غَنِيٌّ بِالْمَعَادِنِ الْمُفِيدَةِ لِلْجِسْمِ.
- وَيُوضِّحُ كِتَابُ (التَّوَازُنُ الْجُمْضِيُّ . الْقَلْبِيُّ فِي الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ) (طَبْعَةٌ ٢٠٠٣) فَوَائِدَ شُرْبِ الْمَاءِ الْقَلْبِيِّ الْمُنَاقِي وَهِيَ:
- يُمِدُّ الْجِسْمَ بِقَدَرٍ كَبِيرٍ مِنَ الطَّاقَةِ.
- يُعَادِلُ الْأَسَّ الْهَيْدُرُوجِيَّةَ لِلْجِسْمِ.

.....

= - يُزِيلُ الْفَضَالَاتِ الْحِمَاضِيَّةَ مِنَ الْجِسْمِ.
 - مُضَادٌّ قَوِيٌّ لِلْأَكْسِدَةِ وَمُزِيلٌ قَوِيٌّ لِلْسُّمُومِ (يَمْنَحُ الْإِلِكْتُرُونَاتِ لِذَرَّاتِ الْأَكْسِجِينِ النَّشِيطَةِ الْحُرَّةِ).
 - يُسَاعِدُ عَلَى إِمْتِصَاصِ الْعَنَاصِرِ الْغِذَائِيَّةِ بِكِفَاءَةٍ أَفْضَلَ إِلَى دَاخِلِ الْجِسْمِ.
 - يُسَاعِدُ الْجِسْمَ فِي تَمَثُّلِ الْمَعَادِنِ الْمُؤَيَّنَةِ بِسُهُولَةٍ أَكْبَرَ.
 - يُسَاعِدُ فِي تَنْظِيمِ الْهَضْمِ وَتَحْسِينِهِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ بِإِعَادَةِ التَّوَازُنِ لِلْجِسْمِ.
 - يُقَلِّلُ مِنَ تَأْكُسِدِ الْأَعْضَاءِ الْحَيَوِيَّةِ وَيُدَمِّرُ خَلَايَا السَّرَطَانِ.
 - لَهُ مُعَامِلٌ أَكْسِدَةٌ وَاخْتِرَالٌ سَالِبٌ لِذَلِكَ يُعَدُّ وَسَطًا مُعَادِيًا لِلْبَكْتِيرِيَا.
 وَمِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي كَبَتْ أَنَّ الْمَاءَ الْقَلْبِيَّ الْغَنِيَّ بِالْأَكْسِجِينِ وَالْمُتَوَازِنَ أَشْهُ
 الْهَيْدُرُوجِينِي يُحْسِنُهَا :

السُّكَّرُ - وَضَعُظُ الدَّمِ - وَالرَّبْوُ - وَحُمَى الْقَشِّ - وَأَمْرَاضُ الْحَسَاسِيَّةِ - وَفَرْطُ
 الْحُمُوضَةِ - وَعُسْرُ الْهَضْمِ - وَالإِنْتِفَاحُ - وَهَشَاشَةُ الْعِظَامِ - وَأَمْرَاضُ الدَّوَرَةِ
 الدَّمَوِيَّةِ - وَالصُّدَاغُ النَّصْفِي - وَالزِّيَادَةُ الْمُفْرِطَةُ فِي الْوِزْنِ - وَعَدَمُ انْتِظَامِ
 الدَّوَرَةِ الشَّهْرِيَّةِ - وَضَعْفُ الْبَصَرِ - وَهُوَ يَرْفَعُ الْمَنَاعَةَ ضِدَّ الْأَمْرَاضِ - كَمَا أَنَّهُ
 يُؤَدِّي إِلَى إِبْطَالِ عَمَلِيَّةِ الشَّيْخُوخَةِ الْحَيَوِيَّةِ.

أَمَّا كَوَائِدُ الْبَيَاءِ الْمَعْرِبِيَّةِ :

فَهِيَ عَدِيدَةٌ : فَقَدْ ذَكَرَ (Gasbarrini etal. ، 2000) :

أَنَّهَا مُفِيدَةٌ فِي عِلَاجِ عُسْرِ الْهَضْمِ وَالْإِمْسَاكِ الْمُصَاحِبِ لِمُتَلَازِمَةِ الْقَوْلُونِ الْعَصَبِيِّ
 (irritable bowl syndrom) وَمُفِيدَةٌ فِي عِلَاجِ اللَّثَّةِ، حَيْثُ إِنَّهَا تُقَلِّلُ =

من حساسية الأسنان (dentinal hypersensitivity. Rogo, et al., 2000) =
 كما أنها تقلل من فترة علاج قرحة الإثني عشر ومرضى الارتجاع المريئي إذا
 قرن بأخذ العلاج بمفرده (Vologzhanina, 2005)، وتحدث تحسناً لمرضى
 التهاب المفاصل (osteoarthritis Balint, et al., 2006)، وتحسن من جفاف
 الجلد في كبار السن (Mac- Mary et al., 2006).
 كما أنها مفيدة في علاج حصى الكلى والمثانة (Androutsos, 2006).
 وبالنسبة للمياه المعدنية الغنية بالكبريت لقد أثبت (Korolev, et al., 1996)
 أن استعمالات هذه المياه تقلل من التأثيرات الضارة للإشعاع على الكبد
 والأمعاء الدقيقة وتعيد البناء الداخلي للخلايا، وتحافظ على تكوين المنى
 وتمنع تطور عمليات الهدم للخلايا الجنسية (Korolev et al., 1999)
 (Lopalco et al., 2004).
 وأضاف أن استنشاق هذه المياه يفيد في علاج الاعتلال الرئوي المزمن
 (chronic bronchopneumopathies)
 كما أضاف (Castantino and Lampa, 2005) أن استخدام المياه المعدنية
 المحتوية على الكبريت والكلوريد والبيكربونات مع حمام الطمي مفيد في
 علاج الصدفية (Psoriasis)
 وعن المياه المعدنية المحتوية على الشرات:
 فقد لاحظ (Wayer et al., 2001) وجود علاقة عكسية بين شرب الماء
 المحتوي على الشرات وسرطان المستقيم وسرطان الرحم. وأضاف (Xiao
 et al., 2000): أن تراكم الشرات والتغيرات في الخلايا الكلوية يؤدي إلى =

= زيادة الحامض الأميني أرجينين arginine (وهو حامض أميني يُتَّج من التَّمثِيل الأيضي لِلتَّراتِ والتَّثَرِيتِ وَيَدْخُلُ فِي تَصْنِيعِ أُكْسِيدِ النِّتْرِيكِ Nitric oxide) مِمَّا يُؤدِّي إِلَى زِيَادَةِ إِنْتَاكِ أُكْسِيدِ النِّتْرِيكِ، وَهُوَ كَمَا ذَكَرَ (Blum etal، (1998) مُفِيدٌ فِي حِفْظِ وَظَائِفِ الْكُلَى وَفِي تَأْخِيرِ تَقَدُّمِ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تُصِيبُ الْكُلَى.

٧ وَحَدِيثًا وَجَدَ (Thadani & Rodgers 2006) أَنَّ النِّتْرَاتِ مُفِيدَةٌ فِي عِلَاجِ الذَّبْحَةِ الصَّدْرِيَّةِ وَكَعَامِلٍ مُضَادٍّ لِفَقْرِ الدَّمِ الْمَوْضِعِيِّ (antiaginal and anti- ischaemic) وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ هَذِهِ الْجُزْئِيَّةُ تَحْتَاجُ لِمَزِيدٍ مِنَ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ لِيَبَانَ أَهْمِيَّةُ اخْتَوَاءِ الْمِيَاهِ الْمَعْدِنِيَّةِ عَلَى النِّتْرَاتِ هَلْ لَهَا دَوْرٌ عِلَاجِيٌّ أَمْ لَهَا دَوْرٌ وَاقٍ (الْحِفَاطُ عَلَى قِوَامِ الْمِيَاهِ مِنَ التَّلَوُّثِ) أَمْ لَهَا الْاِثْنَيْنِ مَعًا؟.

وَقَالَ (Heaney، (2006) عَنْ الْمِيَاهِ الْمَعْدِنِيَّةِ الْغَنِيَّةِ بِالْكَالْسِيُومِ إِنَّهَا تَمْتَلِكُ مُعَدَّلَ امْتِصَاصٍ مُسَاوِيًا لِمُعَدَّلِ امْتِصَاصِ الْكَالْسِيُومِ الْمَوْجُودِ بِاللَّبَنِ أَوْ أَحْسَنَ قَلِيلًا، وَهَذَا الْكَالْسِيُومُ يَعْمَلُ عَلَى حِمَايَةِ الْكُتْلَةِ الْعَظْمِيَّةِ بِالْإِضَافَةِ أَنَّهُ يُقَلِّلُ مِنَ مُسْتَوَى هَرْمُونِ الْبَارَاثَرْمُونِ (هَرْمُونٌ يُحَافِظُ عَلَى مُسْتَوَى الْكَالْسِيُومِ بِالْدَّمِ، وَعِنْدَ نَقْصِ مُسْتَوَى الْكَالْسِيُومِ بِالْدَّمِ يَزِيدُ إِفْرَازُ هَذَا الْهَرْمُونِ وَيَعْمَلُ عَلَى سَحَبِ الْكَالْسِيُومِ مِنَ الْعَظْمِ) لِذَلِكَ شَرِبُ هَذِهِ الْمِيَاهِ يُسَاعِدُ فِي مَنَعِ هَشَاشَةِ الْعِظَامِ (osteoporosis Burckhardt)، (2004).

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْمِيَاهِ الْمَعْدِنِيَّةِ الْغَنِيَّةِ بِالْمَغْنِيزِيُومِ فَقَدْ وَجَدَ (Kiss، etal، (2004) أَنَّهَا تُفِيدُ فِي عِلَاجِ الْمَرَضَى الَّذِينَ يُعَانُونَ مِنْ مَشَاكِلَ بِالْقَلْبِ وَارْتِفَاعٍ فِي ضَغْطِ الدَّمِ. كَمَا أَضَافَ (Karagulle etal، (2006) أَنَّ مُعَدَّلَ امْتِصَاصِ الْمَغْنِيزِيُومِ مِنْ =

.....

= هَذِهِ الْمِيَاهُ مُسَاوٍ لِمُعَدَّلِ إِمْتِصَاصِ مُسْتَحْضَرٍ صَيْدَلِيٍّ مُحَضَّرٍ مِنَ الْمَغْنِيزِيُومِ،
وَمِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي ثُبِتَ فَاعِلِيَّةُ الْمَغْنِيزِيُومِ فِي عِلَاجِهَا كَمَا أَشَارَ إِلَيْهَا كِتَابُ
(وَصَايَا طَبِيبِ طَبْعَةٍ ١٩٩٧): إِضْطِرَابَاتُ الْقَلْبِ، وَحَالَةُ السُّبَاتِ أَوْ قُصُورِ
الْكُلَى بَعْدَ التَّسْمُمِ الْحَمَلِيِّ (Eclampsia) وَفِي الْهُمُودِ وَالتَّعَبِ الْعَضَلِيِّ بَعْدَ
اسْتِعْمَالِ الْأَدْوِيَةِ الْمُدْرَةِ لِلْبَوْلِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ وَحَالَاتِ التَّوَثُّرِ الْعَصَبِيِّ قَبْلَ
الطَّمْثِ (Premenstrual tension).

وَلَقَدْ ذَكَرَ (Dolgushin et al.)، (2000) أَنَّ الْمِيَاهَ الْمَعْدِنِيَّةَ الْغَنِيَّةَ بِالصُّودِيُومِ
وَالْبِيكَرْبُونَاتِ وَالْكُلُورِيدَاتِ تَعْمَلُ عَلَى زِيَادَةِ الْإِسْتِجَابَةِ الْمَنَاعِيَّةِ وَزِيَادَةِ الْخَلَائِ
الْمُكَوَّنَةِ لِلْأَجْسَامِ الْمُضَادَّةِ (antibody) بِنِسْبَةٍ تَصِلُ إِلَى (٩٥,٨٦٪) كَمَا أَنَّهَا تَزِيدُ
مِنْ قُدْرَةِ الْخَلَائِ الْإِلْتِهَامِيَّةِ (macrophages) عَلَى الْإِلْتِهَامِ (latex particles.)
وَأَنَّ شُرْبَ هَذِهِ الْمِيَاهِ لَمْ يُغَيِّرْ مِنْ وَزْنِ الْجِسْمِ وَلَا ضَغْطَ الدَّمِّ وَلَا يُؤَثِّرُ فِي بَنِيَّةِ
الْعَظْمِ، وَلَكِنَّهَا تُقَلِّلُ مِنْ إِفْرَازِ الْكَالْسِيُومِ فِي الْبَوْلِ، كَمَا أَنَّهَا تُقَلِّلُ مِنْ زِيَادَةِ
الدُّهُونِ فِي الدَّمِّ (lipaemia) فِي السَّيِّدَاتِ بَعْدَ انْقِطَاعِ الطَّمْثِ (Schoppen
etal., (2005 a,b).

وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّهُ أَثْنَاءَ التَّعَرُّضِ لِلْجَوِّ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ يَخْدُثُ نَقْصٌ فِي كُلِّ
مِنَ الصُّودِيُومِ وَالْبُوتَاسِيُومِ فِي سِيرِمِ الدَّمِّ (Shearer 1990)، وَمَعَ الْمَجْهُودِ
الشَّدِيدِ يَزِيدُ مُعَدَّلُ الْفَقْدِ فِي كُلِّ مِّنَ الصُّودِيُومِ وَالْبُوتَاسِيُومِ مَعَ زِيَادَةِ كَمِّيَّةِ
الْعَرَقِ (Shirreff et al.)، (2005) وَهَذَا قَدْ يُفسِّرُ ارْتِفَاعَ الصُّودِيُومِ فِي مَاءِ
زَمْزَمَ عَنِ الْمُعَدَّلِ الْمُسْمُوحِ بِهِ لِتَعْوِضِ هَذَا النِّقْصِ حَيْثُ إِنَّ الْجَوَّ شَدِيدُ
الْحَرَارَةِ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنِ الْمُقَدَّسَةِ.

=

= وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ قَدْ أُصِيبَ بَدَأٍ حَتَّى إِذَا شَرِبَ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ بَنِيَّةَ الشِّفَاءِ شَفَاهُ اللَّهُ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمته الله فِي "زَادِ الْمَعَادِ": وَقَدْ جَرَّبْتُ أَنَا وَغَيْرِي مِنَ الْإِسْتِشْقَاءِ بِمَاءِ زَمْزَمَ أُمُورًا عَجِيبَةً، وَاسْتَشْفَيْتُ بِهِ مِنْ عِدَّةِ أَمْرَاضٍ، فَبَرَأْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ. وَشَاهَدْتُ مَنْ يَتَغَدَّى بِهِ الْأَيَّامَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ شَهْرٍ أَوْ أَكْثَرَ وَلَا يَجِدُ جُوعًا. اهـ.

الأوزان والمقاييس

الأطوال

مِنْ تَغْلِيْقِ الشَّيْخِ نَصْرِ الْهُورِينِي عَلَى الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ:
 الذَّرَاعُ الْمُحَدَّثُ (هُوَ الذَّرَاعُ الْآدَمِيُّ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ) = ٠,٤٧ مِثْرًا
 الذَّرَاعُ الْقَدِيمُ = ٠,٦٧ مِثْرًا
 الْمَرْحَلَةُ = ٤٤,٣٥ كم
 ذِرَاعٌ وَرُئِعٌ = ٠,٥٨٧٥ مِثْرًا (حَدِيث)
 الْقُلْتَانِ = ٠,٤٠ م ٣
 الْمِثْرُ الْمُكَعَّبُ = ١٠٠٠٠٠٠ سم ٣
 ذِرَاعٌ وَرُئِعٌ (قَدِيمٌ) = ٠,٧٦٢٥ مِثْرًا
 الْقُلْتَانِ = ٠,٤٤ م ٣

وَفِي "إِفَادَةِ السَّادَةِ الْعَمَدِ بِتَفْرِيرِ مَعَانِي نَظْمِ الرَّبِّدِ" الَّذِي طَبَعَتْهُ دَارُ الْمُنْهَاجِ، وَقَدْ أَلْحَقُوا فِي نِهَآئِهِ الْجَدْوَلَ الْمَذْكُورَ، حَيْثُ ظَهَرَ فِيهِ: أَنَّ هَذِهِ الْأَطْوَالَ =

.....

= وَالْمَكَائِلَ يَخْتَلِفُ حِسَابُهَا بَيْنَ مَذْهَبٍ وَآخَرَ:
فَالدَّرَاهِمُ بِحَسَبِ مَا هُوَ فِي الْجَدْوَلِ الْمَذْكُورِ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ: (٤٦,٣٧٥ سم).
وَعِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ: (٥٣ سم).
وَعِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ: (٦١,٨٣٤ سم).
الدَّرَاهِمُ وَالْدِّينَارُ

(الدَّرَاهِمُ: ٢,٩٧٥ جَرَامًا مِنَ الْفِضَّةِ)، وَالْدِّينَارُ: (٤,٢٥ جَرَامًا مِنَ الذَّهَبِ)
وَفِي "الْمَوْسُوعَةِ الْفِقْهِيَّةِ":

الدَّرَاهِمُ الدَّرْعِيُّ الَّذِي اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي ضُرِبَ فِي عَهْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ
مَرْوَانَ وَكَانَ هُوَ أَسَاسَ التَّقَادِيرِ الشَّرْعِيَّةِ. لَكِنَّ الْفُقَهَاءَ وَالْمُؤَرِّخِينَ أَثْبَتُوا أَنَّ
الدَّرَاهِمَ الشَّرْعِيَّ لَمْ يَتَّقَ عَلَى الْوَضْعِ الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ فِي عَهْدِ عَبْدِ
الْمَلِكِ، بَلْ أَصَابَهُ تَغْيِيرٌ كَبِيرٌ فِي الْوِزْنِ وَالْعِيَارِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَصَارَ أَهْلُ كُلِّ
بَلَدٍ يَسْتَخْرِجُونَ الْحُقُوقَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ نَقْدِهِمْ بِمَعْرِفَةِ النِّسْبَةِ الَّتِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ
مَقَادِيرِهَا الشَّرْعِيَّةِ إِلَى أَنْ قِيلَ: يُفْتَى فِي كُلِّ بَلَدٍ بِوِزْنِهِمْ. وَنَشَأَ مِنْ ذَلِكَ
اضْطِرَابٌ فِي مَعْرِفَةِ الْأَنْصِبَةِ، وَهَلْ تُقَدَّرُ بِالْوِزْنِ أَوْ بِالْعَدَدِ؟ وَأَصْبَحَ الْوُصُولُ
إِلَى مَعْرِفَةِ الدِّينَارِ الشَّرْعِيِّ الْمَجْمَعِ عَلَيْهِ غَايَةً تَمْنَعُ هَذَا الْاضْطِرَابَ. وَإِلَى عَهْدِ
قَرِيبٍ لَمْ يَصِلِ الْفُقَهَاءُ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ حَتَّى أَثْبَتَ الْمُؤَرِّخُ عَلِيُّ بَاشَا مُبَارَكٌ -
بِوَاسِطَةِ اسْتِقْرَاءِ النُّقُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْفُوظَةِ فِي دُورِ الْأَثَارِ بِالدُّوَلِ الْأَجْنِبِيَّةِ -
أَنَّ دِينَارَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَزِنُ ٤,٢٥ جَرَامًا مِنَ الذَّهَبِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ وَزْنُ
الدَّرَاهِمِ ٢,٩٧٥ جَرَامًا مِنَ الْفِضَّةِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعْتَبَرُ مَعْيَارًا فِي اسْتِخْرَاجِ =

= الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ زَكَاةٍ، وَدِيَّةٍ، وَتَحْدِيدِ صَدَاقٍ، وَنَصَابِ سَرِقَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَفِي مَجَلَّةِ الْبُحُوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ:

ذَكَرَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمَنِيْعِ فِي الْعَدَدِ (٥٩) مِنْ "مَجَلَّةِ الْبُحُوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ" بَحْثًا عِلْمِيًّا مُوسَّعًا بِعَنْوَانٍ: "تَحْوِيلِ الْمَوَازِينِ وَالْمَكَايِلِ الشَّرْعِيَّةِ إِلَى الْمَقَادِيرِ الْمُعَاصِرَةِ" ذَكَرَ فِيهِ تَفَاصِيلَ عِلْمِيَّةٍ لِلْمَوَازِينِ وَالْمَكَايِلِ الشَّرْعِيَّةِ مِثْلُ: الْإِرْدَبُ - الرَّطْلُ - الصَّاعُ - الْمُدُّ - الْعَرَقُ - الْفَرْقُ - الْقَدَحُ - الْقَرْزَةُ - الْقُسْطُ - الْقَفِيزُ - الْقَلَّةُ - الْوَسْقُ - الْكُرُّ - الْكِيلَجَةُ - الْمَخْثُومُ - الْمُدِّي - الْمَكْوُكُ - الْوَيْبَةُ - الْمِثْقَالُ - الْفِنْطَارُ - الْأَوْقِيَّةُ - الْإِسْنَارُ - الشُّشُّ - الْمَنْ - الْقِيرَاطُ - النَّوَاقُ - الْحَبَّةُ. [قُلْتُ: وَقَدْ نَقَلْتُ هَذَا الْبَحْثَ مِنْ "الْمَكْتَبَةِ الشَّامِلَةِ"، مَعَ الْإِخْتِصَارِ وَتَضْوِيئِ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ وَالْحِسَابَاتِ الَّتِي لَعَلَّهَا وَقَعَتْ مِنَ النَّاقِلِ].

فَصْلٌ

فِي الْحَدِيثِ عَنْ كُلِّ مِغْيَارٍ وَزْنٍ أَوْ كَيْلٍ وَتَحْوِيلِهِ إِلَى الْمَقَادِيرِ الْمُعَاصِرَةِ: (اخْتَرْتُ مِنْهَا مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ دُونَ مَا سِوَاهُ).

١ - الْإِرْدَبُ

(٦٦) لِيْرًا، أَوْ (٥٢,١٤٠) كَج

الْإِرْدَبُ جَمْعُهُ أَرَادِبٌ، وَهُوَ مِكْيَالٌ ضَخْمٌ لِأَهْلِ مِصْرَ. قِيلَ: يَضُمُّ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ صَاعًا.

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْإِرْدَبُ مِكْيَالٌ مَعْرُوفٌ لِأَهْلِ مِصْرَ، يُقَالُ إِنَّهُ يَأْخُذُ أَرْبَعَةَ =

.....

= وَعِشْرِينَ صَاعًا مِنْ الطَّعَامِ بِصَاحِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَالثَّقَلُ: نِصْفُ الْإِزْدَبِّ. قَالَ: وَالْإِزْدَبُّ أَرْبَعَةُ وَسُتُونَ مَنَّا بِمَنْ بَلَدِنَا.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ بَرِّيٍّ: قَوْلُهُ: "الْإِزْدَبُّ مِكْيَالٌ ضَخْمٌ لِأَهْلِ مِصْرَ"، لَيْسَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّ الْإِزْدَبَّ لَا يُكَالُ بِهِ، وَإِنَّمَا يُكَالُ بِالْوَيْبَةِ، وَالْإِزْدَبُّ بِهِ سِتُّ وَبَيَاتٍ، وَالدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ قَدْ أَقَرَّتِ التَّعَامُلَ بِالْإِزْدَبِّ فِي عَصْرِ الْفَارُوقِ عُمَرَ ؓ.

وَالْإِزْدَبُّ: يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ كَمَا ذَكَرَهُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ الْخَارُوفُ مُحَقِّقُ كِتَابِ "الْإِيصَاحِ وَالتَّيْبَانِ فِي مَعْرِفَةِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ" لِابْنِ الرَّفْعَةِ الْأَنْصَارِيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٧١٠ هـ.

الأول: الْإِزْدَبُّ الْمِصْرِيُّ الْعُمَرِيُّ (يَعْنِي فِي زَمَنِ الْفَارُوقِ ؓ)، وَالْإِزْدَبُّ سِتُّ وَبَيَاتٍ،

وَالْوَيْبَةُ الْعُمَرِيَّةُ = (١١) أَحَدُ عَشَرَ لِثْرًا أَوْ مَا يَزِنُ (٨,٦٩٠) ثَمَانِي كِيلُواتٍ وَسِتِّمِائَةَ وَتِسْعِينَ جِرَامًا مِنَ الْقَمْحِ،

إِذَنْ الْإِزْدَبُّ الْعُمَرِيُّ = (٦٦) لِثْرًا، أَوْ (٥٢,١٤٠) اثْنَانِ وَخَمْسُونَ كِيلُو وَمِائَةً وَأَرْبَعُونَ جِرَامًا مِنَ الْقَمْحِ.

وَالْإِزْدَبُّ الْمِصْرِيُّ فِي زَمَنِ الْفَارُوقِ ؓ يُقَابَلُ الْجَرِيبِ، وَيُقَابَلُ الثَّلَاثِي فِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ.

الثاني: الْإِزْدَبُّ الْمِصْرِيُّ "الْأُسْبُوطِيُّ" الرَّسْمِيُّ: وَالْإِزْدَبُّ سِتُّ وَبَيَاتٍ،

وَالْوَيْبَةُ هُنَا الْوَيْبَةُ الْكَبِيرَةُ = ٣٣ لِثْرًا أَوْ مَا يَزِنُ (٢٥,١٠٠) خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ كِيلُو وَمِائَةً جِرَامٍ مِنَ الْقَمْحِ.

=

= إِذْنُ الإِزْدَبِ الْأَسْوِطِيِّ = (١٩٨) لَيْتْرًا، وَيُسَاوِي (١٥٠,٦٠٠) مِائَةً وَخَمْسِينَ كِيلُو وَسِتِّمِائَةً جَرَامًا مِنَ الْقَمَحِ.

٢ - الرُّظْلُ

(٤٠٨ جم)

الرُّظْلُ وَالرُّظْلُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ: مِغْيَارٌ يُوزَنُ بِهِ وَيُكَالُ، وَالْكَسْرُ أَشْهُرُ، وَجَمْعُهُ أَرْطَالٌ، وَالْأَرْطَالُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَغْرَافِ الْأَمْصَارِ، فَالرُّظْلُ الشَّامِيُّ مِقْدَارُهُ (٤٨٠) دِرْهَمًا، وَالرُّظْلُ الْقُدْسِيُّ مِقْدَارُهُ (٨٠٠) دِرْهَمًا، وَالرُّظْلُ الْحَلَبِيُّ مِقْدَارُهُ (٧٠٠) دِرْهَمًا، وَالرُّظْلُ الْمِصْرِيُّ مِقْدَارُهُ (١٤٤) دِرْهَمًا.

لَكِنَّ الْأَهَمَّ هُوَ بَيَانُ مِقْدَارِ الرُّظْلِ الْبَغْدَادِيِّ الَّذِي اعْتَبَرَهُ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ أَساسًا تُقَاسُ بِهِ الْمَوْزُونَاتُ وَالْمَكِيلَاتُ فِي الْمَعَامَلَاتِ الشَّرْعِيَّةِ.

قَالَ الْفَيْوُمِيُّ رحمته الله: " قَالَ الْفُقَهَاءُ: وَإِذَا أُطْلِقَ الرُّظْلُ فِي الْفُرُوعِ فَالْمُرَادُ بِهِ رِظْلُ بَغْدَادٍ " اهـ.

قَالَ ابْنُ الرَّفْعَةِ مَا نَصُّهُ: " نَعَمْ اخْتَلَفَ الثَّقَلَةُ فِي الرُّظْلِ الْبَغْدَادِيِّ، فَقِيلَ: إِنَّهُ مِائَةٌ وَثَمَانِيَّةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا.

وقيل: مِائَةٌ وَثَمَانِيَّةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا وَأَرْبَعَةُ أَسْبَاعٍ دِرْهَمًا، وَقِيلَ: مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ دِرْهَمًا " . اهـ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ مَا نَصُّهُ: " فَقَدْ فَسَّرْنَا مَا فِي الصَّاعِ مِنَ السُّنَنِ، وَهُوَ كَمَا أَعْلَمْتَنكَ خَمْسَةُ أَرْطَالٍ وَثُلُثٌ، وَالْمُدُّ رُبْعُهُ، وَهُوَ رِظْلٌ وَثُلُثٌ، وَذَلِكَ بِرِظْلِنَا هَذَا الَّذِي وَزَنَهُ مِائَةٌ دِرْهَمٍ وَثَمَانِيَّةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا " . اهـ.

= وَقَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ الْخَارُوفُ فِي تَحْقِيقِهِ لِكِتَابِ ابْنِ الرَّفْعَةِ الْأَنْصَارِيِّ مَا نَصَّهُ: " وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ الْفُقَهَاءَ اِخْتَلَفُوا فِي تَقْدِيرِ دَرَاهِمِ الرُّطْلِ الْبَغْدَادِيِّ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

فَالْحَقِيقَةُ قَالُوا بِأَنَّهُ يَتَرَكَّبُ مِنْ (١٣٠) دِرْهَمًا أَوْ (٩١) مِثْقَالًا وَزَنًا، وَأَمَّا الْمَالِكِيَّةُ فَقَالُوا بِأَنَّهُ يَتَرَكَّبُ مِنْ (١٢٨) دِرْهَمًا، أَوْ (٩٠) مِثْقَالًا. وَقَالَ الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ: إِنَّهُ يَتَرَكَّبُ مِنْ (١٢٨) دِرْهَمًا وَأَرْبَعَةَ أَسْبَاعِ الدَّرْهَمِ، أَوْ (٩٠) مِثْقَالًا.

وَمَعَ هَذِهِ الْاِخْتِلَافَاتِ فَإِنَّ الرُّطْلَ الْبَغْدَادِيَّ يُعَادِلُ (٤٠٨) جَرَامًا. اهـ. قَالَ الْفَيُّومِيُّ: " وَالرُّطْلُ بِالْبَغْدَادِيِّ اثْنَتَا عَشَرَ أُوقِيَّةً. وَالْأُوقِيَّةُ: إِسْتَارٌ وَثُلُثَا إِسْتَارٍ،

وَالْإِسْتَارُ: أَرْبَعَةُ مَنَاقِيلَ وَنِصْفُ مِثْقَالٍ،

وَالْمِثْقَالُ: دِرْهَمٌ وَثَلَاثَةُ أَسْبَاعٍ،

وَالدَّرْهَمُ: سِتَّةُ دَوَائِقَ،

وَالدَّائِقُ: ثَمَانُ حَبَّاتٍ وَخُمْسًا حَبَّةً،

وَعَلَى هَذَا فَالرُّطْلُ تَسَعُونَ مِثْقَالًا وَهِيَ مِائَةُ دِرْهَمٍ وَثَمَانِيَّةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا وَأَرْبَعَةَ أَسْبَاعٍ دِرْهَمٍ " . اهـ.

وَيُمْكِنُ تَوْضِيحُ مَا ذَكَرَهُ الْفَيُّومِيُّ ﷺ بِالتَّالِي:

الرُّطْلُ = ١٢ أُوقِيَّةً، وَالْأُوقِيَّةُ = إِسْتَارٌ وَثُلُثَا إِسْتَارٍ، فَيَكُونُ الرُّطْلُ: = ٢٠ إِسْتَارًا، وَالْإِسْتَارُ = ٤,٥ مِثْقَالٍ، فَيَكُونُ الرُّطْلُ = ٤,٥ × ٢٠ = ٩٠ مِثْقَالًا، =

= وَالْمِثْقَالُ = دِرْهَمًا وَثَلَاثَةُ أَسْبَاعِ دِرْهَمٍ،
فَيَكُونُ الرَّطْلُ = ٩٠ × دِرْهَمًا وَثَلَاثَةُ أَسْبَاعِ دِرْهَمٍ = ١٢٨ دِرْهَمًا وَأَرْبَعَةُ أَسْبَاعِ
دِرْهَمٍ.
وَحَيْثُ إِنَّ الْمِثْقَالَ = ٤,٥٣ جَرَامًا،
فَيَكُونُ مِقْدَارُ الرَّطْلِ بِالْجَرَامَاتِ = ٩٠ × ٤,٥٣ = (٤٠٧,٧) جَرَامًا. أَيْ مَا
يُقَارِبُ (٤٠٨) جَرَامَاتٍ.
[قُلْتُ: وَعَلَيْهِ فَالصَّاعُ = (٢,١٧٥) كِيلُو جَرَامٍ مِنَ الْقَمْحِ. حطية].

٣ - الصَّاعُ

(٢١٧٦ - ٢٦٠٠ جم مِنَ الْقَمْحِ)

مِقْدَارُ الصَّاعِ النَّبَوِيِّ بِالْمَقَائِيسِ الْقَدِيمَةِ:

ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ وَأَبُو يُوسُفَ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ إِلَى
أَنَّ مِقْدَارَ صَاعِهِ ﷺ أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ، وَكُلُّ مُدٍّ رِطْلٌ وَثُلُثٌ بِالْبُعْدَادِيِّ، فَيَكُونُ
مِقْدَارُ الصَّاعِ خَمْسَةَ أَرْطَالٍ وَثُلُثَ رِطْلٍ.

وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ إِلَى أَنَّ مِقْدَارَ صَاعِهِ ﷺ أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ،
وَكُلُّ مُدٍّ رِطْلَانِ، فَيَكُونُ الصَّاعُ ثَمَانِيَةَ أَرْطَالٍ.

وَمِقْدَارُ الصَّاعِ النَّبَوِيِّ بِالْمَقَائِيسِ الْحَدِيثَةِ:

وَقَدْ بَحَثَتْ هَيْئَةُ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ مِقْدَارَ الصَّاعِ بِالْكِيلُو
جَرَامِ وَكَانَ بَحْثُهَا مُعْتَمِدًا عَلَى أَنَّ صَاعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ، وَأَنَّ الْمُدَّ
مِلءُ كَفِّي الرَّجُلِ الْمُعْتَدِلِ، وَكَانَ مِنْهَا تَحْقِيقٌ عَنْ مِقْدَارِ مِلءِ كَفِّي الرَّجُلِ =

= الْمُعْتَدِلِ، وَتَوْصَلَ إِلَى أَنَّ مَقْدَارَ ذَلِكَ قُرَابَةً (٦٥٠) جَرَامًا لِلْمُدِّ، فَيَكُونُ مَقْدَارُ الصَّاعِ (٢٦٠٠) جَرَامٍ.

[فُلِكَ: هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى التَّقْرِيبِ فِي مَقْدَارِ الْمُدِّ، وَإِلَّا فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الرُّطْلِ أَنَّهُ (٤٠٨) جَرَامَاتٍ، وَعَلَيْهِ فَالصَّاعُ = (٢,١٧٥) كَج، يَغْنِي كِيلُو جَرَامِينَ مِنَ الْقَمْحِ وَمِائَةً وَخَمْسَةَ وَسَبْعِينَ جَرَامًا. اهـ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَمَعِيَ مُدٌّ أَحْضَرْتُهُ مِنْ دَارِ الْحَدِيثِ بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ وَمَعَهُ إِسْنَادٌ أَنَّهُ يُوَافِقُ مُدَّ النَّبِيِّ ﷺ، وَوَزَنُ الصَّاعِ بِهِ مِنَ الْقَمْحِ وَغَيْرِهِ يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ، وَإِسْنَادُهُ فِيهِ مَجْهُولُونَ فَلَا نَقْدِرُ عَلَى الْجَزْمِ بِصِحَّةِ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ وَاسِعٌ، وَیُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: الْأَضْلُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ التَّخْرِيمُ حَتَّى يَثْبُتَ الْمُبِیْحُ لِلْأَخْذِ مِنْهَا، فَالْوَاجِبُ أَنْ نَأْخُذَ الْأَقْلَّ، إِلَّا أَنْ يَتَبَرَّعَ الْمُعْطِي بِالزِّيَادَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. حَطِیة]

١ - اللَّهُ

(١٠٢ كَج) مِائَةُ كِيلُو وَاثْنَانِ.

قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي "لِسَانِ الْعَرَبِ": وَاللَّهُ: الْحُبُّ الْعَظِيمُ، وَقِيلَ: الْجَرَّةُ الْعَظِيمَةُ، وَقِيلَ: الْجَرَّةُ عَامَّةٌ، وَقِيلَ: الْكُوزُ الصَّغِيرُ، وَالْجَمْعُ ثُلٌّ وَفُلَالٌ. وَقِيلَ: هُوَ إِنَاءٌ لِلْعَرَبِ كَالْجَرَّةِ الْكَبِيرَةِ " اهـ.

وَاللَّهُ الْمَشْهُورَةُ لَدَى أَهْلِ الْعِلْمِ هِيَ قُلَّةُ هَجَرَ، وَهَجَرُ: قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَلَيْسَتْ هَجَرَ الْبَحْرَيْنِ.

وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُ مَقْدَارِ الْقُلَّةِ الْوَاحِدَةِ بِمِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ رِطْلًا.

وَحَيْثُ سَبَقَ ذِكْرُ مَقْدَارِ الرُّطْلِ بِالْجَرَامِ وَأَنَّهُ يُسَاوِي ٤٠٨ جَرَامَاتٍ.

فَإِنَّ مَقْدَارُ الْقُلَّةِ الْوَاحِدَةِ بِالْجَرَامِ = ٢٥٠ × ٤٠٨ = ١٠٢٠٠٠ جَرَامٍ، =

= أي ١٠٢ كِيلُو جَرَامًا. [أو ١٠٢ لِيْتِرٍ مِنَ الْمَاءِ، فَيَكُونُ الْخُمْسُ قِلَالٍ = ٥١٠ لِيْتِرًا مِنَ الْمَاءِ تَقْرِيْبًا.] .

٥ - الْوَسْقُ

(١٣٠٥ هـ) مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ كِيلُو وَنِصْفَ الْكِيلُو

الْوَسْقُ يَفْتَحُ الْوَاوَ وَكَسْرُهَا، وَالْفَتْحُ أَشْهُرُ. وَالْوَسْقُ مَكِيلَةٌ مَعْلُومَةٌ، وَقِيلَ: هُوَ حِمْلُ بَعِيرٍ، وَجَمْعُهُ أَوْسَاقٌ. وَجَاءَ ذِكْرُ الْوَسْقِ فِي مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٠٥)، ١٤٤٧، ١٤٥٩، ١٤٨٤)، وَمُسْلِمٌ (٩٧٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِنَ الثَّمَرِ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الْوَرِقِ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ دَوْدٍ مِنَ الْإِبِلِ صَدَقَةٌ».

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (١٥٥٩)، وَابْنُ مَاجَهَ (١٨٣٢)، وَأَحْمَدُ (١١٣٧٦) عَنْ أَبِي الْبُخْتَرِيِّ الطَّائِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ زَكَاةٌ وَالْوَسْقُ سِتُونَ مَخْتُومًا». [وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ لَكِنَّهُ مُنْقَطِعٌ، أَبُو الْبُخْتَرِيُّ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ. وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: أَبُو الْبُخْتَرِيُّ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ قُدَّامَةَ بْنِ أَغَيْنَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْمُغِيرَةِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: (الْوَسْقُ سِتُونَ صَاعًا مَخْتُومًا بِالْحَجَّاجِيِّ). هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ.

قَالَ ابْنُ مَنظُورٍ: " وَالْوَسْقُ سِتُونَ صَاعًا بِصَاحِ النَّبِيِّ ﷺ ، وهو - أي الصَّاعُ - خَمْسَةُ أَرْطَالٍ وَثُلُثٌ " اهـ.

وَمَقْدَارُ الْوَسْقِ: الْوَسْقُ ٦٠ صَاعًا. وَقَدْ تَقَدَّمَ سَابِقًا أَنَّ الصَّاعَ ٢١٧٥ جَرَامًا. =

.....

= فَيَكُونُ مَقْدَارُ الْوَسْقِ بِالْجَرَامِ = $2175 \times 60 = 130500$ جَرَامًا أَيْ ١٣٠
كِيلُو جَرَامٍ وَ ٥٠٠ جَرَامًا.

٦ - الْكُرُّ

(١٥٦٦ كِيلُو جَرَامٍ)

الْكُرُّ مِكْيَالٌ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ، وَجَمْعُهُ أَكْرَارٌ مِثْلُ قُفْلٍ وَأَقْفَالٍ.
وَمَقْدَارُ الْكُرِّ: سِتُّونَ قَفِيزًا، وَالْقَفِيزُ ثَمَانِيَةُ مَكَايِكَ، وَالْمَكْوَكُ صَاعٌ وَنِصْفٌ،
وَهُوَ ثَلَاثُ كِيلَجَاتٍ.

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: "وَالْكُرُّ مِنْ هَذَا الْحِسَابِ اثْنَا عَشَرَ وَسَقًا، كُلُّ وَسْقٍ سِتُّونَ
صَاعًا".

مَقْدَارُ الْكُرِّ: الْكُرُّ ١٢ وَسَقًا. وَالْوَسْقُ ١٣٠٥٠٠ جَرَامًا.

فَيَكُونُ مَقْدَارُ الْكُرِّ بِالْجَرَامَاتِ $130500 \times 12 = 1566000$ جَرَامًا أَيْ
١٥٦٦ كِيلُو جَرَامٍ.

٧ - الْكِيلَجَةُ

(١٥٣٠ جِم)

الْكِيلَجَةُ: قَالَ الْفَيَّومِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي "الْمُضْبَحِ الْمُئِيرِ": "الْكِيلَجَةُ بِكَسْرِ
الْكَافِ وَفَتْحِ اللَّامِ كَيْلٌ مَعْرُوفٌ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَهِيَ مَنَا وَسَبْعَةُ أَثْمَانٍ مَنَا وَالْمَنَا
رِظْلَانِ وَالْجَمْعُ عَلَى لَفْظِهِ كِيلَجَاتٌ".

[قُلْتُ: وَالْكِيلَجَةُ فِي "اللِّسَانِ" وَ"الْقَامُوسِ" وَ"الصُّحُوحِ" بِفَتْحِ الْكَافِ خِلَافًا
لِلْفَيَّومِيِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. حَطِيبَةٌ].

=

= وَهِيَ مِكْيَالٌ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ، وَجَمْعُهُ كَيْلَجَاتٌ أَوْ كَيْالِجٌ وَهِيَ مِكَا وَسَبْعَةُ أُنْمَانٍ الْمَنَا. وَالْمَنَا رِطْلَانٍ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الرِّطْلَ يُسَاوِي ٤٠٨ جِرَامَاتٍ،

وَالْمَنْ = رِطْلَانٍ، فَمِقْدَارُهُ بِالْجِرَامِ = ٨١٦ جِرَامًا،

وَمِقْدَارُ سَبْعَةِ أُنْمَانٍ الْمَنْ = ٧١٤ جِرَامًا،

وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ مِقْدَارُ الْكَيْلِجِ بِالْجِرَامِ = ٨١٦ + ٧١٤ = ١٥٣٠ جِرَامًا؛ أَيْ كَيْلُو جِرَامٍ وَ ٥٣٠ جِرَامًا.

٨ - الْمَخْتُومُ

(٢١٧٥ جِرَامًا)

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ: "وَالْمَخْتُومُ هَاهُنَا هُوَ الصَّاعُ بِعَيْنِهِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ مَخْتُومًا لِأَنَّ الْأَمْرَاءَ جَعَلَتْ عَلَى أَعْلَاهُ خَاتَمًا مَطْبُوعًا لِكَلِّ يَزَادُ فِيهِ، وَلَا يُنْتَقَصُ مِنْهُ". اهـ.

وَالْمَخْتُومُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَكَايِيلِ الَّتِي نُقِلَتْ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ: "وَجَدْنَا الْآثَارَ قَدْ نُقِلَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ بِثَمَانِيَةِ أَصْنَافٍ مِنَ الْمَكَايِيلِ: الصَّاعُ، وَالْمُدُّ، وَالْفَرْقُ، وَالْقُسْطُ، وَالْمُذْيُ، وَالْمَخْتُومُ، وَالْقَفِيزُ، وَالْمَكُوكُ. إِلَّا أَنَّ عَظَمَ ذَلِكَ فِي الْمُدِّ وَالصَّاعِ".

مِقْدَارُ الْمَخْتُومِ: الْمَخْتُومُ صَاعٌ، وَحَيْثُ إِنَّ الصَّاعَ = ٢١٧٥ جِرَامًا، فَيَكُونُ مِقْدَارُ الْمَخْتُومِ هُوَ = ٢١٧٥ جِرَامًا.

٩ - السُّنْدِيُّ =

(١٨,٣٦٠ كِيلُو جَرَامًا أَوْ ٢٣,٢٤٠ لِيْتْرًا)

رَوَى مُسْلِمٌ (٢٨٩٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٠٣٥)، وَأَحْمَدُ (٧٥١١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْعَتُ الْعِرَاقِ دِرْهَمَهَا وَقَفِيرَهَا، وَمَنْعَتُ الشَّامِ مُدِّيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنْعَتُ مِصْرَ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ». شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ. هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ. قَالَ النَّوَوِيُّ فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ" : وَأَمَّا (الْمُدِّي) فَبِضْمِ الْمِيمِ عَلَى وَزْنِ (قُفْلٍ)، وَهُوَ مِكْيَالٌ مَعْرُوفٌ لِأَهْلِ الشَّامِ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: يَسَعُ خَمْسَةَ عَشَرَ مَكُونًا. اهـ.

قَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ الْخَارُوفُ: " وَالْمُدِّيُ جَمْعُهُ أَمْدَادٌ، مِكْيَالٌ كَبِيرٌ كَانَ مُسْتَعْمَلًا قَبْلَ الْإِسْلَامِ فِي الشَّامِ وَمِصْرَ. قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: " يَأْخُذُ جَرِيًّا ". وَقَدْ أَجْرَى الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ تَجْرِبَةً عَمَلِيَّةً بَعْدَ أَنْ اسْتَقْرَأَ عِدَّةَ رَوَايَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ خَاصَّةً بِشَأْنِ تَحْدِيدِ الْمُدِّيِ اسْتِخْلَاصَ مِنْهَا: أَنَّ وَزْنَ مَا يَتَسَعُهُ الْمُدِّيُّ هُوَ ٤٥ رِطْلًا، وَهَذَا الْمَقْدَارُ يُعَادِلُ ١٨,٣٦٠ كِيلُو جَرَامًا أَوْ ٢٣,٢٤٠ لِيْتْرًا " اهـ.

١٠ - الْمَكُونُ

(٤٥٩٠ جَرَامًا)

الْمَكُونُ مِكْيَالٌ، وَقِيلَ طَاسٌ يُشْرَبُ بِهِ، وَجَمْعُهُ مَكَائِكٌ، وَاخْتَلَفَ فِي تَقْدِيرِهِ، وَاخْتَلَفُوا فِي تَقْدِيرِهِ عَلَى أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ مِقْدَارَهُ صَاعٌ وَنِصْفٌ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ نِصْفُ وَبِيَّةٍ وَهُوَ أَحَدُ عَشَرَ مُدًّا.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ ثَلَاثُ كِيلَجَاتٍ وَاخْتَارَ أَهْلُ اللُّغَةِ هَذَا الْقَوْلَ.

=

= وَعَلَى اعْتِبَارِ هَذَا الْاِخْتِيَارِ فَإِنَّ مِقْدَارَ الْمَكْرُكِ يُعَادِلُ ٤٥٩٠ جَرَامًا حَيْثُ إِنَّ مِقْدَارَ الْكَيْلِجَةِ = ١٥٣٠ جَرَامًا .

١١ - الْوَيْبَةُ

(سُدُسُ الْإِرْدَبِّ الْعُمَرِيِّ

(٨,٦٩٠ كِيلُو جَرَامًا)

وَذَكَرَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ الْخَارُوفُ فِي تَغْلِيْقِهِ عَلَى الْوَيْبَةِ الَّتِي جَاءَ ذِكْرُهَا فِي كِتَابِ ابْنِ الرَّفْعَةِ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّهَا سُدُسُ الْإِرْدَبِّ،

وَقَدْ سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْإِرْدَبَّ عُمَرِيَّ وَأَسِيرُطِيَّ، وَنَظَرْنَا إِلَى أَنَّ الْمَشْهُورَ لَدَى أَهْلِ الْعِلْمِ الْأَخْذُ بِالْإِرْدَبِّ الْعُمَرِيِّ. فَعَلَيْهِ فَإِنَّ مِقْدَارَ الْوَيْبَةِ = سُدُسُ الْإِرْدَبِّ الْعُمَرِيِّ، وَمِقْدَارُ الْإِرْدَبِّ الْعُمَرِيِّ = (٥٢,١٤٠) كِيلُو جَرَامًا، فَسُدُسُ هَذَا الْمِقْدَارِ = (٨,٦٩٠) كِيلُو جَرَامًا، فَيَكُونُ هَذَا هُوَ مِقْدَارُ الْوَيْبَةِ الْعُمَرِيَّةِ.

[قُلْتُ: وَفِي "لِسَانِ الْعَرَبِ": قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْإِرْدَبُّ مِكْيَالٌ مَعْرُوفٌ لِأَهْلِ مِصْرَ، يُقَالُ إِنَّهُ يَأْخُذُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ صَاعًا مِنْ الطَّعَامِ بِصَاعِ النَّبِيِّ ﷺ؛

وَالْقَنْقَلُ: نِصْفُ الْإِرْدَبِّ. قَالَ: وَالْإِرْدَبُّ أَرْبَعَةٌ وَسُتُونَ مَنَّا بِمَنْ بَلَدِنَا. اهـ

قُلْتُ: فَإِذَا كَانَ الْإِرْدَبُّ الْعُمَرِيُّ ٥٢ كِيلُو جَرَامًا، فَيَكُونُ الصَّاعُ = ٢,١٧٢ كِيلُو جَرَامٍ. حطية].

١٢ - الْبُقَالُ

(٤,٥٣) جَرَامًا

=

.....

= الْمِثْقَالُ وَزَنُ مَعْلُومٍ قَدْرُهُ، وَجَمْعُهُ مِثَاقِيلُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْقَىٰ إِلَيْهَا إِن تَكُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ...﴾ [لقمان: ١٦].
رَوَى مُسْلِمٌ (٩١) وَأَبُو دَاوُدَ (٤٠٩١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٩٨، ١٩٩٩)، وَابْنُ
مَاجَهَ (٥٩)، وَأَحْمَدُ (٣٦٣٦، ٣٧٧٩، ٣٩٠٣، ٣٩٣٧، ٤٠٤٨) عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ...﴾. هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ. وَلَفْظُ أَبِي دَاوُدَ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
مِنْ كِبَرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ﴾،
وَمَعْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ: أَي وَزَنُ ذَرَّةٍ.

وَرَبَّةُ الْمِثْقَالِ هُوَ: دِرْهَمٌ وَثَلَاثَةُ أَسْبَاحِ دِرْهَمٍ. وَكُلُّ سَبْعَةِ مِثَاقِيلَ عَشْرَةُ دِرَاهِمٍ.
وَقَدْ ذَكَرَ الْأُسْتَاذُ مُحَمَّدُ الدَّرِيوِيشُ فِي كِتَابِهِ "أَحْكَامُ السُّوقِ فِي الْإِسْلَامِ" نَقْلًا
عَنْ صَاحِبِ كِتَابِ "الْمِيزَانِ فِي الْأَقْيَسَةِ وَالْأَوْزَانِ": أَنَّ وَزْنَ الْمِثْقَالِ الَّذِي
قُدِّرَ بِهِ الرَّطْلُ الْبَغْدَادِيُّ يُسَاوِي (٤,٥٣) جَرَامًا،
وَأَنَّ الدَّرْهَمَ بِنَاءً عَلَيْهِ يُسَاوِي (٣,١٧) جَرَامًا " اهـ.

[قُلْتُ: وَهَذَا مُخَالَفٌ لِمَا تَقَدَّمَ فِي الْمَوْسُوعَةِ الْفَقْهِيَّةِ أَنَّ (الدَّرْهَمَ: ٢,٩٧٥)
جَرَامًا مِنَ الْفِضَّةِ)، وَالْدِّينَارُ: (٤,٢٥) جَرَامٌ مِنَ الذَّهَبِ] حطية]

١٣ - الْفَيْضُ

(١٥٢٤) كِيلُو جَرَامٍ وَهُوَ إِحْتِمَالٌ وَلَيْسَ يَقِينًا

= الْفَيْضُ مِغْيَارٌ، وَجَمْعُهُ فَنَاطِيرُ.

= وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ...﴾ [آل عمران: ٧٥]. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا...﴾ [النساء: ٢٠].

الْقِنْطَارُ: هُوَ الْعُقْدَةُ الْكَبِيرَةُ مِنَ الْمَالِ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ لِلْمِغْيَارِ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ. قَالَ الرَّجَّاجُ: الْقِنْطَارُ مَا خُوذُ مِنْ عَقْدِ الشَّيْءِ وَإِحْكَامِهِ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَحْرِيرِ حَدِّهِ عَلَى أَقْوَالٍ: فَقِيلَ: هُوَ أَلْفُ أُوقِيَّةٍ. قَالَ بِذَلِكَ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَابْنُ عُمَرَ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: "وَهُوَ أَصَحُّ الْأَقْوَالِ، لَكِنَّ الْقِنْطَارَ عَلَى هَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْبِلَادِ فِي قَدْرِ الْأُوقِيَّةِ".

وَقِيلَ: اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَالَ: ﴿الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ، وَالْأُوقِيَّةُ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٣٦٦٠)، وَأَحْمَدُ (٨٥٤٠) [وَضَعَفَهُ الْأَنْبَانِيُّ]. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَالَّذِي يَظْهَرُ وَيَتَرَجَّحُ أَنَّ الْقِنْطَارَ هُوَ مَا جَاءَ النَّصُّ فِي مَقْدَارِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ يُؤَيَّدُ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ ﷻ عَنْ الْقِنْطَارِ تَعْظِيمًا لِمَقْدَارِهِ. وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ أَلْفٌ وَمِثَّتَا أُوقِيَّةٍ قَدْ لَا يَكُونُ فِيهِ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِ الْقِنْطَارِ وَثِقَلِهِ. وَحَيْثُ إِنَّ الْأُوقِيَّةَ = ١٢٧ جَرَامًا كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا.

فَيَكُونُ مَقْدَارُ الْقِنْطَارِ بِالْجَرَامَاتِ = ١٢٧ × ١٢٠٠٠ = ١٥٢٤٠٠٠ جَرَامٍ. أَيْ ١٥٢٤ كِيلُو جَرَامٍ.

= ١٤ - الأوقية

(١٢٧ جَرَامًا أو ١١٩ جَرَامًا)

الأوقية بِضَمِّ الهمزة وتشديد الياء، وَجَمْعُهَا أَوَاقٍ. وَالْجَمْعُ يُشَدَّدُ وَيُخَفَّفُ مِثْلَ أَثْفِيَّةٍ، وَأَثَافِيٍّ، وَأَثَافٍ.

مَقْدَارُ الأوقية: الأوقية أربعون درهماً، أو ما يزن سبعة مثاقيل.

وَتَخْتَلِفُ الأوقية بِاخْتِلَافِ اضْطِلَاحِ الْبِلَادِ.

وَحَيْثُ إِنَّ الدَّرْهَمَ ٣,١٧ جَرَامًا. فَيَكُونُ مَقْدَارُ الأوقية بِالْجَرَامَاتِ = ٤٠ × ٣,١٧ = ١٢٦,٨ جَرَامًا. أي ١٢٧ جَرَامًا تَقْرِيْبًا.

قُلْتُ وَعَلَى مَا رَجَّحَهُ عَلِيٌّ مُبَارَكٌ [تَقَدَّمَ لِي الْمَوْسُوعَةُ الْفُفْهِيَّةُ أَنَّ (الدَّرْهَمُ: ٢,٩٧٥ جَرَامًا مِنَ الْفِضَّةِ)، وَالْدِّيْنَارُ: (٤,٢٥ جَرَامًا مِنَ الذَّهَبِ) فَيَكُونُ مَقْدَارُ الأوقية بِالْجَرَامَاتِ = ٤٠ × ٢,٩٧٥ = ١١٩ جَرَامًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ].

١٥ - النش

(نِصْفُ أوقية = ٦٣,٤ جَرَامًا، أو = ٥٩,٥ جَرَامًا)

رَوَى مُسْلِمٌ (١٤٢٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢١٠٥، ١٨٨٦)، وَالنَّسَائِيُّ (٣٣٤٧)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٨٨٦)، وَأَحْمَدُ (٢٤١٠٥)، وَالذَّارِمِيُّ (٢١٩٩) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ قَالَ: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَمْ كَانَ صَدَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتِي عَشْرَةَ أوقيةً وَنِشًا، قَالَتْ: أَتَذَرِي مَا النِّشُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَتْ: نِصْفُ أوقية، فَبَلَكَ خَمْسُ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَهَذَا صَدَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ». =

= قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: "النَّشُّ عِشْرُونَ دِرْهَمًا وَهُوَ نِصْفُ أُوقِيَّةٍ لَأَنَّهُمْ يُسَمُّونَ الْأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا أُوقِيَّةً، وَيُسَمُّونَ الْعِشْرِينَ نَشًا، وَيُسَمُّونَ الْخَمْسَةَ نَوَاةً"، وَنَظَرًا إِلَى أَنَّ الْمَشْهُورَ عَنِ النَّشِّ أَنَّهُ النُّصْفُ، وَأَخْذًا مِمَّا ثَبَتَ أَنَّ صَدَاقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ اثْنَتَا عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًا. وَبِنَاءً عَلَى هَذَا فَإِنَّ النَّشَّ الْأُوقِيَّةَ نِصْفُهَا. وَحَيْثُ إِنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّ الْأُوقِيَّةَ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا، فَإِنَّ النَّشَّ عِشْرُونَ دِرْهَمًا، وَحَيْثُ تَقَدَّمَ أَنَّ الدِّرْهَمَ = ٣,١٧ جَرَامًا، فَيَكُونُ مِقْدَارُ النَّشِّ بِالْجَرَامَاتِ = ٢٠ × ٣,١٧ = ٦٣,٤ جَرَامٍ.

[قُلْتُ: وَعَلَى مَا حَقَّقَهُ عَلِيٌّ مُبَارَكٌ أَنَّ الدِّرْهَمَ = ٢,٩٧٥ جَرَامًا فَيَكُونُ النَّشُّ = ٥٩,٥ جَرَامٍ. حطية]

١٦ - الْمَنُّ أَوْ الْمَنَّا

(هُوَ رِطْلَانٍ = ٨١٦ جَرَامًا)

الْمَنُّ بِالتَّشْدِيدِ الَّذِي يُكَالُ بِهِ السَّمْنُ أَوْ يُوزَنُ بِهِ، وَجَمْعُهُ أَمْنَانٌ عَلَى لُغَةِ تَمِيمٍ، وَمَنْ قَالَ: الْمَنَّا فَيَجْمَعُ عَلَى أَمْنَاءٍ، مِثْلُ سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ.

مِقْدَارُ الْمَنِّ: الْمَنُّ رِطْلَانٍ، وَحَيْثُ تَقَدَّمَ أَنَّ الرِّطْلَ = ٤٠٨ جَرَامَاتٍ فَيَكُونُ مِقْدَارُ الْمَنِّ بِالْجَرَامَاتِ = ٢ × ٤٠٨ = ٨١٦ جَرَامًا.

١٧ - الْفِرَاطُ

(٢,١٢٥ مِنْ الْجَرَامِ)

قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا نَصُّهُ: " الْفِرَاطُ، وَالْفِرَاطُ مِنَ الْوُزْنِ، مَعْرُوفٌ، وَهُوَ نِصْفُ دَانِيْقٍ، وَأَصْلُهُ فِرَاطٌ بِالتَّشْدِيدِ لِأَنَّهُ جَمْعُهُ قَرَارِيْطُ. وَالْفِرَاطُ جُزْءٌ مِنْ =

= أَجْزَاءُ الدِّينَارِ وَهُوَ نِصْفُ عُسْرِهِ فِي أَكْثَرِ الْبِلَادِ، وَأَهْلُ الشَّامِ يَجْعَلُونَهُ جُزْءًا مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ " . اهـ .

وَذَكَرَ الزَّيْدِيُّ رحمته الله : أَنَّ الْقِيرَاطَ فِي عُرْفِ أَهْلِ مَكَّةَ رُبْعُ سُدْسِ دِينَارٍ، وَنَظَرًا إِلَى أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَعْتَبِرُونَ الْقِيرَاطَ نِصْفَ عُسْرِ الدِّينَارِ فَجَرَى الْأَخْذُ بِذَلِكَ .

وَذَكَرَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ الْحَارُوفُ فِي تَحْقِيقِهِ لِكِتَابِ ابْنِ الرَّفْعَةِ أَنَّ وَزْنَ الدِّينَارِ = ٤,٢٥ جَرَامًا . فَيَكُونُ وَزْنُ الْقِيرَاطِ = ٠,٢١٢٥ مِنْ الْجِرَامِ .

١٨ - النَّوَاةُ

(١٥ جَرَامًا تَقْرِيْبًا)

قَالَ الزَّيْدِيُّ رحمته الله : " وَالنَّوَاةُ مِنَ الْعَدَدِ عِشْرُونَ، أَوْ عَشْرَةٌ، وَقِيلَ : هِيَ الْأَوْقِيَّةُ مِنَ الذَّهَبِ، أَوْ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ، أَوْ مَا زَيْتُهُ خَمْسَةُ دَرَاهِمَ وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْأَخِيرِ اقْتَصَرَ الْجَوْهَرِيُّ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَبِهِ فَسَّرَ حَدِيثَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : «تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ» .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : أَيُّ خَمْسَةِ دَرَاهِمَ، قَالَ : وَبَعْضُ النَّاسِ يَحْمِلُهُ عَلَى مَعْنَى قَدْرِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ كَانَتْ قِيَمَتُهَا خَمْسَةَ دَرَاهِمَ وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ ذَهَبٌ إِلَّا هِيَ خَمْسَةُ دَرَاهِمَ، سُمِّيَتْ نَوَاةً كَمَا تُسَمَّى الْأَرْبَعُونَ أَوْقِيَّةً، وَالْعِشْرُونَ نَشًا .

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَنَصُّ حَدِيثِ ابْنِ عَوْفٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَلَى ذَهَبٍ قِيَمَتُهُ خَمْسَةُ دَرَاهِمَ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ : عَلَى نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ؟

= وَقَالَ الْمُبَرِّدُ : الْعَرَبُ تُرِيدُ بِالنَّوَاةِ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ .

= وَقَالَ إِسْحَاقُ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: كَمْ وَزْنُ نَوَافٍ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: ثَلَاثَةُ دَرَاهِمٍ وَثُلُثٌ " . اهـ .

وَبِنَاءٌ عَلَى رَأْيِ الْجُمْهُورِ فِي أَنَّ زِنَةَ النَّوَافِ خُمُسَةُ دَرَاهِمٍ، وَحَيْثُ إِنَّ الدَّرْهَمَ = ٢,٩٧٥ جِرَامٍ .

فَيَكُونُ مِقْدَارُ النَّوَافِ بِالْجِرَامَاتِ = ٢,٩٧٥ × ٥ = ١٤,٩ جِرَامًا .

١٩ - الْحَبُّ

(عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ = ٠,٠٤٣ جِرَامٍ، وَعِنْدَ الْجُمْهُورِ = ٠,٠٥٩ جِرَامٍ)

قَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ الْخَارُوفُ مَا نَصَّهُ: " الْمَقْصُودُ بِالْحَبَّةِ وَحِدَةُ الْوِزْنِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَجْزَاءِ كُلِّ مِنَ الدِّيَّارِ، وَدِرْهَمِ النَّقْدِ، وَدِرْهَمِ الْكَيْلِ وَمِثْقَالِ الْكَيْلِ . وَهِيَ صَنْجَةٌ يُوزَنُ بِهَا الذَّهَبُ، وَالْفِضَّةُ، وَالْأَحْجَارُ الْكَرِيمَةُ كَالْمَاسِ وَاللُّؤْلُؤِ . وَهِيَ قَدِيمَةٌ لِاسْتِعْمَالِ . وَقَدْ كَانَ الْفُقَهَاءُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُخْتَسِبُونَ يُحَرَّرُونَ وَزْنَهَا بِحَبِّ الشَّعِيرِ أَوْ بِحَبِّ الْقَمْحِ أَوْ الْخَرْدَلِ .

وَاتَّفَقَ فُقَهَاءُ الْحَنَفِيَّةِ عَلَى أَنَّ الدِّيَّارَ مِائَةُ حَبَّةٍ مِنْ حَبِّ الشَّعِيرِ، وَأَنَّ الدَّرْهَمَ سَبْعُونَ حَبَّةً مِنْ حَبِّ الشَّعِيرِ .

أَمَّا فُقَهَاءُ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ وَالْمَالِكِيَّةِ فَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الدِّيَّارَ ٧٢ حَبَّةً شَعِيرٍ، وَالدَّرْهَمَ ٤,٥ حَبَّةً .

وَعَلَى هَذَا يَكُونُ وَزْنُ الْحَبَّةِ مِنَ الدِّيَّارِ الشَّرْعِيِّ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ = ١٠٠ ÷ ٤,٢٥ = ٠,٠٤٢٥ جِرَامٍ،

وَوِزْنُ الْحَبَّةِ مِنْ دِرْهَمِ النَّقْدِ الشَّرْعِيِّ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ = ٧٠ ÷ ٢,٩٧ = ٠,٠٤٢٤ جِرَامٍ .

= وَيَكُونُ وَزْنُ الْحَبَّةِ مِنَ الدِّينَارِ الشَّرْعِيِّ فِي نَظَرِ الشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ =
 $٤,٢٥ \div ٧٢ = ٠,٠٥٩$ جرام .
 وَيَكُونُ وَزْنُ الْحَبَّةِ مِنَ الدَّرْهَمِ الشَّرْعِيِّ فِي نَظَرِ الشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ =
 $٢,٩٧ \div ٥٠,٤ = ٠,٠٥٩$ جرام .
 وَيَكُونُ وَزْنُ الْحَبَّةِ مِنَ الْمِثْقَالِ الشَّرْعِيِّ مِثْقَالِ الْكَيْلِ فِي نَظَرِ الْحَنَفِيَّةِ = $٤,٥٣ \div ١٠٠ = ٠,٠٤٥٣$ جرام ،
 وَهُوَ نَفْسُهُ وَزْنُ دِرْهَمِ الْكَيْلِ فِي نَظَرِهِمْ .
 أَمَّا فِي نَظَرِ بَقِيَّةِ الْمَذَاهِبِ فَوَزْنُ الْحَبَّةِ = $٤,٥٣ \div ٧٢ = ٠,٠٦٢$ جرام .
 وَهُوَ نَفْسُهُ مَقْدَارُ وَزْنِ الْحَبَّةِ مِنْ دِرْهَمِ الْكَيْلِ فِي نَظَرِهِمْ " . اهـ .

إِنْتَهَى بَحْثُ الشَّيْخِ الْمَنِيحِ

مَعَ الْإِحْتِسَارِ وَتَضْيِيقِ بَعْضِ الْأَخْطَاءِ الْحِسَابِيَّةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

ثَلَاثُ : قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي " الْمَجْمُوعِ " شَرْحِ " الْمُهَذَّبِ " :

(فَضْلٌ) : فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الدِّينَارِ وَالْدَّرْهَمِ وَمَبْدَأِ أَمْرِهِمَا فِي الْإِسْلَامِ وَضَبْطِ مَقْدَارِهِمَا .

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ فِي " مَعَالِمِ السُّنَنِ " فِي أَوَّلِ كِتَابِ الْبَيْعِ فِي بَابِ « الْمِكْيَالُ : مِكْيَالُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَالْمِيزَانُ مِيزَانُ أَهْلِ مَكَّةَ » . قَالَ : مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْوِزْنَ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ حَقُّ الزَّكَاةِ وَزْنُ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَهِيَ دَرَاهِمُ الْإِسْلَامِ الْمُعَدَّلَةِ مِنْهَا الْعَشْرَةُ بِسَبْعَةِ مِائَاتٍ ، لِأَنَّ الدَّرَاهِمَ مُخْتَلِفَةُ الْأَوْزَانِ فِي الْبُلْدَانِ ، فَمِنْهَا الْبَغْلِيُّ وَهُوَ ثَمَانِيَةُ دَوَانِيقَ ، وَالطَّبْرِيُّ أَرْبَعَةُ دَوَانِيقَ ، وَمِنْهَا =

= الحُؤَارِزْمِيُّ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَنْوَاعِ، وَدَرَاهِمُ الْإِسْلَامِ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ سِتَّةُ دَوَانِيقَ وَهُوَ وَزْنُ أَهْلِ مَكَّةَ الْجَارِي بَيْنَهُمْ. وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَتَعَامَلُونَ بِالدَّرَاهِمِ عَدَدًا وَقَتَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي قِصَّةِ شِرَاها بِرَبْرَةٍ: (إِنْ شَاءَ أَهْلُكَ أَنْ أَعُدَّهَا لَهُمْ عَدَّةً وَاحِدَةً فَعَلْتُ) تُرِيدُ الدَّرَاهِمَ، فَأَرْشَدَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْوُزْنِ، وَجَعَلَ الْمِغْيَارَ وَزْنَ أَهْلِ مَكَّةَ.

قَالَ: وَاخْتَلَفُوا فِي حَالِ الدَّرَاهِمِ:

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ تَزَلِ الدَّرَاهِمُ عَلَى هَذَا الْعِيَارِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا غَيَّرُوا السَّكَّكَ وَنَقَشُوهَا بِسَكَّةِ الْإِسْلَامِ، وَالْأُورُوقُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الْوَرِقِ صَدَقَةٌ وَهِيَ مِائَتَا دِرْهَمٍ» قَالَ: وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِنَايَةِ بِأَمْرِ النَّاسِ مِمَّنْ يَغْنِي بِهِذَا الشَّأْنُ أَنَّ الدَّرَاهِمَ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ضَرْبَيْنِ: الْبُغْلِيَّةُ السُّودَاءُ ثَمَانِيَةُ دَوَانِيقَ، وَالطَّبْرِيَّةُ أَرْبَعَةٌ وَكَانُوا يَسْتَعْمِلُونَهَا مُنَاصَفَةً مِائَةً بُغْلِيَّةً وَمِائَةً طَبْرِيَّةً، فَكَانَ فِي الْمِائَتَيْنِ مِنْهَا خَمْسَةُ دَرَاهِمٍ زَكَاةً، فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ بَنِي أُمَيَّةَ قَالُوا: إِنْ ضَرَبْنَا الْبُغْلِيَّةَ ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهَا الَّتِي تُعْتَبَرُ فِيهَا الزَّكَاةُ فَيَضُرُّ الْفُقَرَاءَ، وَإِنْ ضَرَبْنَا الطَّبْرِيَّةَ ضُرَّ أَرْيَابُ الْأَمْوَالِ، فَجَمَعُوا الدَّرَاهِمَ الْبُغْلِيَّةَ وَالطَّبْرِيَّةَ وَجَعَلُوهُمَا دِرْهَمَيْنِ كُلُّ دِرْهَمٍ سِتَّةُ دَوَانِيقَ، وَأَمَّا الدِّيْنَارُ فَكَانَ يُحْمَلُ إِلَيْهِمْ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ، فَلَمَّا أَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ضَرْبَ الدَّنَانِيرِ وَالْدَّرَاهِمِ، سَأَلَ عَنْ أَوْزَانِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجْمَعُوا لَهُ عَلَى أَنَّ الْمِثْقَالَ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ قِيرَاطًا إِلَّا حَبَّةً بِالشَّامِيِّ، وَأَنَّ عَشْرَةَ مِنَ الدَّرَاهِمِ سَبْعَةُ مِثْقَالَيْنِ فَضَرَبَهَا كَذَلِكَ، هَذَا آخِرُ كَلَامِ الْخَطَّابِيِّ. =

= وَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ فِي "الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ":

اسْتَقَرَّ فِي الْإِسْلَامِ وَزْنُ الدَّرْهَمِ سِتَّةَ دَوَانِيقَ، وَكُلُّ عَشْرَةِ دَرَاهِمَ سَبْعَةُ مِثْقَالٍ.

وَاخْتُلِفَ فِي سَبَبِ اسْتِقْرَارِهَا عَلَى هَذَا الْوِزْنِ،

فَقِيلَ: كَانَتْ فِي الْفُرْسِ ثَلَاثَةُ أَوْزَانٍ، مِنْهَا دِرْهَمٌ عَلَى وَزْنِ الْمِثْقَالِ عِشْرُونَ قِيرَاطًا، وَدِرْهَمٌ اثْنَا عَشَرَ، وَدِرْهَمٌ عَشْرَةٌ، فَلَمَّا أُحْتِجَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَى تَقْدِيرِهِ أُخِذَ الْوَسْطُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْزَانِ الثَّلَاثَةِ وَهُوَ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ قِيرَاطًا، فَكَانَ أَرْبَعَةُ عَشَرَ قِيرَاطًا مِنْ قَرَارِيطِ الْمِثْقَالِ؛

وَقِيلَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ   رَأَى الدَّرَاهِمَ مُخْتَلِفَةً، مِنْهَا الْبُغْلِيُّ ثَمَانِيَةُ دَوَانِيقَ، وَالطَّبْرِيُّ أَرْبَعَةٌ، وَالْمَغْرِبِيُّ ثَلَاثَةُ دَوَانِيقَ، وَالْيَمَنِيُّ دَانِقٌ وَاحِدٌ، فَقَالَ: اُنْظُرُوا أَغْلَبَ مَا يَتَعَامَلُ النَّاسُ بِهِ مِنْ أَغْلَاهَا وَأَذْنَاهَا؛ فَكَانَ الْبُغْلِيُّ وَالطَّبْرِيُّ، فَجَمَعَهُمَا فَكَانَا اثْنِي عَشَرَ دَانِقًا فَأَخَذَ نِصْفَهُمَا فَكَانَ سِتَّةَ دَوَانِيقَ فَجَعَلَهُ دَرَاهِمَ الْإِسْلَامِ.

قَالَ: وَاخْتُلِفَ فِي أَوَّلِ مَنْ ضَرَبَهَا فِي الْإِسْلَامِ فَحَكِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَهَا فِي الْإِسْلَامِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، قَالَ أَبُو الزُّنَادِ: أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِضَرْبِهَا فِي الْعِرَاقِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ،

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ: بَلْ ضَرَبَهَا فِي آخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِهَا فِي النَّوَاجِي سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ، قَالَ: وَقِيلَ: أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَهَا مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ بِأَمْرِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ سَنَةَ سَبْعِينَ عَلَى ضَرْبِ الْأَكَاسِرَةِ ثُمَّ غَيَّرَهَا الْحَجَّاجُ. هَذَا آخِرُ كَلَامِ الْمَاوَرْدِيِّ.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ   تَعَالَى: لَا يَصِحُّ أَنْ تُكُونَ الْأَوْقِيَّةُ وَالْدَرَاهِمُ مَبْهُوكةً =

= فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوجِبُ الزَّكَاةَ فِي أَعْدَادٍ مِنْهَا وَتَقَعُ بِهَا الْبَيَاعَاتُ وَالْأَنْكِحَةُ كَمَا ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ . قَالَ : وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ قَوْلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الدَّرَاهِمَ لَمْ تَكُنْ مَعْلُومَةً إِلَى زَمَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَنَّهُ جَمَعَهَا بِرَأْيِ الْعُلَمَاءِ وَجَعَلَ كُلَّ عَشْرَةٍ وَزْنَ سَبْعَةٍ مِثْقَالٍ ، وَوَزَنَ الدَّرَاهِمَ سِتَّةَ دَوَانِيقَ قَوْلَ بَاطِلٍ ، وَإِنَّمَا مَعْنَى مَا نُقِلَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا شَيْءٌ مِنْ ضَرْبِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى صِفَةٍ لَا تَخْتَلِفُ ، بَلْ كَانَتْ مَجْمُوعَاتٍ مِنْ ضَرْبِ فَارِسٍ وَالرُّومِ ، وَصِغَارًا وَكِبَارًا وَقَطَعَ فِضَّةٌ غَيْرَ مَضْرُوبَةٍ وَلَا مَنْقُوشَةٍ ، وَيَمَنِيَّةٌ وَمَغْرِبِيَّةٌ ، فَرَأَوْا صَرَفَهَا إِلَى ضَرْبِ الْإِسْلَامِ وَنَقَشِهِ وَتَضْيِيرَهَا وَزَنًا وَاحِدًا لَا يَخْتَلِفُ وَأَخْيَانًا يُسْتَعْنَى فِيهَا عَنِ الْمَوَازِينِ فَجَمَعُوا أَكْبَرَهَا وَأَصْغَرَهَا وَضَرَبُوهُ عَلَى وَزْنِهِمْ . قَالَ الْقَاضِي : وَلَا شَكَّ أَنَّ الدَّرَاهِمَ كَانَتْ حِسَابَ مَعْلُومَةٍ ، وَإِلَّا فَكَيْفَ كَانَتْ تُعَلَّقُ بِهَا حُقُوقُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا وَحُقُوقُ الْعِبَادِ؟ وَهَذَا كَمَا كَانَتْ الْأَوْفِيَّةُ مَعْلُومَةً أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا . هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي .

وَقَالَ الرَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا : أَجْمَعَ أَهْلُ الْعَصْرِ الْأَوَّلِ عَلَى التَّقْدِيرِ بِهَذَا الْوِزْنِ ، وَهُوَ أَنَّ الدَّرَاهِمَ سِتَّةَ دَوَانِيقَ كُلُّ عَشْرَةٍ دَرَاهِمَ سَبْعَةُ مِثْقَالٍ ، وَلَمْ يَتَغَيَّرِ الْمِثْقَالُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا الْإِسْلَامِ . هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ ، وَالصَّحِيحُ الَّذِي يَتَعَيَّنُ اعْتِمَادُهُ أَنَّ الدَّرَاهِمَ الْمُنْطَلِقَةَ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ مَعْلُومَةً الْوِزْنِ مَعْرُوفَةً الْمِقْدَارِ ، وَهِيَ السَّابِقَةُ إِلَى الْأَفْهَامِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ ، وَبِهَا تَتَعَلَّقُ الزَّكَاةُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْحُقُوقِ وَالْمَقَادِيرِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ هَذَا كَوْنُهُ كَانَ هُنَاكَ دَرَاهِمُ أُخْرَى أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ ، فَإِطْلَاقُ النَّبِيِّ ﷺ الدَّرَاهِمَ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَفْهُومِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ ، وَهُوَ كُلُّ دِرْهَمٍ سِتَّةَ دَوَانِيقَ ، وَكُلُّ عَشْرَةٍ سَبْعَةُ مِثْقَالٍ . وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعَصْرِ الْأَوَّلِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِنَا عَلَى هَذَا ، =

= وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُجْمَعُوا عَلَى خِلَافِ مَا كَانَ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَأَمَّا مِثْقَالُ الدُّرِّهِمِ وَالذِّينَارِ:

فَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ فِي كِتَابِهِ الْأَحْكَامِ: قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ يَغْنِي ابْنُ حَزْمَ بَحَثَ غَايَةَ الْبَحْثِ عَنْ كُلِّ مَنْ وَثِقَتْ بِتَمْيِيزِهِ، فَكُلُّ اتَّفَقَ عَلَى أَنَّ دِينَارَ الذَّهَبِ بِمَكَّةَ وَزَنُّهُ اثْنَتَانِ وَثَمَانُونَ حَبَّةً وَثَلَاثَةُ أَعْشَارِ حَبَّةٍ مِنْ حَبِّ الشَّعِيرِ وَعُشْرُ عَشْرُ حَبَّةٍ (٨٢،٣١)،

فَالرَّغْلُ مِائَةٌ دِرْهَمٍ وَثَمَانِيَّةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا وَأَرْبَعَةُ أَسْبَاعٍ دِرْهَمٍ وَهُوَ تِسْعُونَ مِثْقَالًا. اهـ.

وَقِيلَ: مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ دِرْهَمًا وَبِهِ قَطَعَ الْغَزَالِيُّ وَالرَّافِعِيُّ وَهُوَ غَرِيبٌ ضَعِيفٌ. اهـ. مِنْ "الْمَجْمُوع".

قَوَاعِدُ يُشْبِهُ تَسْلُقُ بِبَابِ الطَّهَارَةِ

فِي "الْمَوْسُوعَةِ الْفَقْهِيَّةِ":

(قَوَاعِدُ) التَّعْرِيفُ:

١ - الْقَوَاعِدُ لُغَةً جَمْعُ قَاعِدَةٍ وَهِيَ أَسَاسُ الشَّيْءِ وَأَضْلُهُ.

فَقَوَاعِدُ الْبِنَاءِ أَسَاسُهُ الَّذِي يَعْتَمِدُهُ، قَالَ الرَّجَّاجُ: الْقَوَاعِدُ أَسَاطِينُ الْبِنَاءِ الَّتِي تُعَمَّدُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ...﴾ [البقرة: ١٢٧].

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الْعُجْزُ اللَّوَاتِي قَعَدْنَ عَنِ التَّصَرُّفِ مِنْ أَجْلِ السِّنِّ وَقَعَدْنَ عَنِ الْوَلَدِ وَالْمَحِيضِ.

= وفي الاصطلاح: يُطْلَقُ الْفُقَهَاءُ الْقَوَاعِدَ عَلَى مَعَانٍ مِنْهَا: الْقَوَاعِدُ الْفُتُوحِيَّةُ: وَالْقَاعِدَةُ الْفُتُوحِيَّةُ: (قَضِيَّةٌ كُلِّيَّةٌ مُنْطَبِقَةٌ عَلَى جَمِيعِ جُزْئِيَّاتِهَا)، وَقَالَ الْحَمَوِيُّ: (هِيَ حُكْمٌ أَكْثَرِيٌّ لَا كُلِّيٌّ يَنْطَبِقُ عَلَى أَكْثَرِ جُزْئِيَّاتِهِ لِتَعَرُّفِ أَحْكَامِهَا مِنْهُ). (الأُصُولُ):

٢ - الْأُصُولُ فِي الشَّرْعِ: جَمْعُ أَصْلٍ، وَهُوَ مَا يُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ، أَوْ هُوَ مَا يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ وَلَا يُفْتَقَرُ هُوَ إِلَى غَيْرِهِ. وَالْأَصْلُ فِي الشَّرْعِ: (عِبَارَةٌ عَمَّا يُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَلَا يُبْنَى هُوَ عَلَى غَيْرِهِ) أَوْ: (هُوَ مَا يَثْبُتُ حُكْمُهُ بِنَفْسِهِ وَيُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ). وَالصَّلَةُ بَيْنَ الْأُصُولِ وَبَيْنَ الْقَوَاعِدِ أَنَّ الْقَاعِدَةَ الْكُلِّيَّةَ أَصْلٌ لِجُزْئِيَّاتِهَا. أَوَّلًا: الْقَوَاعِدُ الْفُتُوحِيَّةُ:

٣ - أوردَ الْعُلَمَاءُ قَوَاعِدَ كُلِّيَّةَ لِلْفِقْهِ مُتَّفَقَةً عَلَيْهَا تَرْجِعُ إِلَيْهَا مَسَائِلُ الْفِقْهِ فِي الْجُمْلَةِ وَيَنْدَرِجُ تَحْتَهَا مَا لَا يَنْحَصِرُ مِنَ الصُّوَرِ الْجُزْئِيَّةِ، وَمِنْ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ مَا يَلِي:

(أ) الْأُمُورُ بِمَقَاصِدِهَا: وَقَدْ اسْتَخْرَجَ الْفُقَهَاءُ مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَحْكَامًا مِنْهَا: أَنَّ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ يَتَّصِفُ بِالْحُلِّ وَالْحُزْمَةِ بِاعْتِبَارِ مَا قُصِدَ بِهِ. فَمَثَلًا أَخَذَ اللَّقْظَةَ بِقَصْدِ حِفْظِهَا وَرَدَّهَا إِلَى أَصْحَابِهَا جَائِزٌ، أَمَّا أَخَذُهَا بِقَصْدِ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا وَتَمَلُّكِهَا فَلَا يَجُوزُ بَلْ يَكُونُ الْإِخْذُ غَاصِبًا أَيْمًا أَوْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

(ب) الْيَقِينُ لَا يَزُولُ بِالسُّكُوتِ: قَالَ الشُّيُوطِيُّ: هَذِهِ الْقَاعِدَةُ يَتَرَعَّضُ عَلَيْهَا مَسَائِلُ =

= مِنْ الطَّهَارَةِ وَالْعِبَادَاتِ وَالطَّلَاقِ وَإِنْكَارِ الْمَرْأَةِ وَصُورِ التَّفَقُّهِ إِلَيْهَا وَاخْتِلَافِ الزَّوْجَيْنِ فِي التَّمَكِينِ مِنَ الْوُطْءِ وَالسُّكُوتِ وَالرَّدِّ، وَاخْتِلَافِ الْمُتَبَايَعِينَ وَدَعْوَى الْمُطَلَّقةِ الْحَمْلَ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي "الْمَثُورِ فِي الْقَوَاعِدِ الْفَقْهِيَّةِ":

الشُّكُّ يَتَعَلَّقُ بِهِ مَبَاحٌ:

الْأَوَّلُ: فِي حَقِيقَتِهِ: وَهُوَ فِي اللُّغَةِ مُطْلَقُ التَّرَدُّدِ، وَفِي اضْطِلَاحِ الْأُصُولِيِّينَ تَسَاوِي الطَّرَفَيْنِ فَإِنْ رَجَحَ كَانَ ظَنًّا وَالْمَرْجُوحُ وَهَمًّا، وَأَمَّا عِنْدَ الْفُقَهَاءِ فَرَّعَ النَّوَوِيُّ أَنَّهُ كَاللُّغَةِ فِي سَائِرِ الْأَبْوَابِ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمُسَاوِي وَالرَّاجِحِ وَهَذَا إِنَّمَا قَالُوهُ فِي الْأَحْدَاثِ وَقَدْ فَرَّقُوا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ بَيْنَهُمَا....

الثَّانِي: الشُّكُّ الطَّارِئُ بَعْدَ الشُّرُوعِ لَا أَثَرُ لَهُ فِي مَوَاضِعَ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَتَذَكَّرَ الْمَشْكُوكُ فِيهِ عَلَى قُرْبٍ كَمَا لَوْ شَكَّ فِي أَصْلِ النِّيَّةِ وَتَذَكَّرَ عَلَى الْقُرْبِ قَبْلَ مُضِيِّ قَدَرٍ رُكْنٍ تَصِحُّ صَلَاتُهُ، وَكَذَا لَوْ شَكَّ الصَّائِمُ فِي النِّيَّةِ وَتَذَكَّرَ قَبْلَ مُضِيِّ أَكْثَرِ النَّهَارِ صَحَّ صَوْمُهُ.

ثَانِيهَا: "الشُّكُّ بَعْدَ الْفَرَاحِ مِنَ الْعِبَادَةِ:

قَالَ ابْنُ الْقَطَّانِ فِي الْمَطَارِحَاتِ: "فَرَّقَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ بَيْنَ الشُّكِّ فِي الْفِعْلِ وَبَيْنَ الشُّكِّ بَعْدَ الْفِعْلِ فَلَمْ يُوجِبْ إِعَادَةَ الثَّانِي، لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْمَشَقَّةِ، فَإِنَّ الْمُصَلِّيَ لَوْ كُتِفَ أَنْ يَكُونَ ذَاكِرًا لَمَّا صَلَّى لَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَلَمْ يُطْفِئْ أَحَدٌ فُسُوحَ فِيهِ وَبَيَّانُهُ بِصُورٍ:

= بِئِذَا: لَوْ شَكَّ بَعْدَ السَّلَامِ فِي تَرْكِ قَرْضٍ لَمْ يُؤْثَرِ عَلَى الْمَشْهُورِ.

.....

= وَمِنْهَا: لَوْ قَرَأَ الْفَاتِحَةَ ثُمَّ شَكَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا فِي حَرْفٍ فَلَا أَثَرَ لَهُ.
 وَمِنْهَا: لَوْ شَكَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْوُضُوءِ فِي تَرْكِ مَسْحِ الرَّأْسِ أَوْ غَيْرِهِ فَوَجَّهَانَ
 أَصْحُهُمَا " لَا يُؤْثَرُ " ، كَمَا لَوْ شَكَ فِي الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا. قِيلَ لِلشَّيْخِ
 أَبِي حَامِدٍ فَيُؤْذِي ذَلِكَ إِلَى دُخُولِهِ فِي الصَّلَاةِ بِطَهَارَةٍ مَشْكُوكٍ فِيهَا، قَالَ: يَجُوزُ
 ذَلِكَ، كَمَا لَوْ شَكَ هَلْ أَخَذْتَ أَم لَا.
 وَفَرَّقَ غَيْرُهُ بِأَنَّهُ لَمْ تَيَقَّنْ الطَّهَارَةَ بَعْدَ أَنْ شَكَ فِي الْحَدَثِ وَالْأَضْلُ عَدَمُهُ، وَهَذَا
 هُنَا تَيَقَّنَ الْحَدَثَ وَشَكَ فِي أَنَّهُ زَالَ أَمْ لَا وَالْأَضْلُ عَدَمُهُ ".
 وَمِنْهَا: لَوْ شَكَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ غَسْلِ النَّجَاسَةِ عَنِ الثَّوبِ أَوْ الْبَدَنِ هَلْ اسْتَوْعَبَهُ
 وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ كَأَلَّتِي قَبْلَهَا.
 " نَائِلُهَا " : الشُّكُّ فِي الْمَانِعِ ؛
 وَذَلِكَ أَنَّا نَقُولُ: (مَا كَانَ وَجُودُهُ شَرْطًا كَانَ عَدَمُهُ مَانِعًا)،
 فَالشَّرْطُ فِي الْبَيْعِ وَالسَّلَمِ الْقُدْرَةُ عَلَى التَّسْلِيمِ وَالْعَجْزُ مَانِعٌ،
 وَإِذَا شَكَّكْنَا فِي الشَّرْطِ، لَا يَثْبُتُ الْحُكْمُ، وَإِذَا شَكَّكْنَا فِي الْمَانِعِ مِنْهُ " أَثْبَتْنَا "
 الْحُكْمَ عَمَلًا بِالْأَضْلِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ. كَمَا إِذَا تَيَقَّنَ الطَّهَارَةَ وَشَكَ فِي الْحَدَثِ
 فَإِنَّهُ مَانِعٌ وَالْأَضْلُ عَدَمُهُ.
 رَابِعُهَا: أَنْ يُعَارِضَ الشُّكُّ أَضْلُ " ضَعِيفٌ " فَيُضَعَّفُ الشُّكُّ حِينَئِذٍ. وَيَتَفَضَّحُ بِصُورٍ:

...

الْأَمَامَةُ: لَوْ اتَّخَذَ قَرَأَى بَلَا وَشَكَ أَنَّهُ " وَذِي " أَوْ مَنِيٍّ، فَالْمَذْمُومُ أَنَّهُ يَتَحَرَّى؛
 فَلَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ مَنِيٌّ لَكَوْنِ الْوَذِيِّ لَا يَلِيقُ بِطَبْعِهِ " أَوْ لَتَذَكَّرَ " وَقَاع =

بَابُ الْآيَةِ

(بَيَاحُ اتِّخَاذِ كُلِّ إِنَاءٍ طَاهِرٍ وَاسْتِعْمَالِهِ وَلَوْ ثَمِينًا) فِي قَوْلِ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ. قَالَ فِي "الشَّرْحِ"، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «اغْتَسَلَ مِنْ جَفْتَةٍ» الْجَفْتَةُ: الْقِصْعَةُ، جَمْعُهَا: جِفَانٌ وَجَفَنَاتٌ^(١).

= تَحْيِيلُهُ فِي النَّوْمِ قَالَ الْإِمَامُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ يَسْتَضْحِبُ يَقِينُ الطَّهَارَةَ، وَيجوزُ أَنْ يَحْمِلَ الْأَمْرَ عَلَى غَالِبِ الظَّنِّ،

"قَالَ" الرَّافِعِيُّ فِي بَابِ الْغُسْلِ وَالْإِحْتِمَالِ الْأَوَّلُ أَوْفَقُ لِكَلَامِ الْمُعْظَمِ انْتَهَى، وَفِي هَذَا إِعْمَالُ الظَّرْفِ الْمَرْجُوحِ.

التَّاسِعَةُ: وَقَعَتْ نَجَاسَةٌ فِي مَاءٍ "وَشَكَّ" هَلْ هُوَ قُلْتَانِ فَاَلْمَنْقُولُ نَجَاسَتُهُ، وَالْإِمَامُ اخْتِمَالُ أَنَّهُ طَهُورٌ، قَالَ النَّوَوِيُّ وَهُوَ الْمُخْتَارُ لِلشَّكِّ فِي التَّنَجِيسِ.

الْعَاشِرَةُ: أَدْخَلَ الْكَلْبُ فَاهُ فِي إِنَاءٍ وَخَرَجَ بِلا رُطُوبَةٍ لَمْ يُحْكَمْ بِنَجَاسَةِ الْإِنَاءِ، وَلَوْ خَرَجَ وَعَلَيْهِ رُطُوبَةٌ فَوَجَّهَانِ أَصْحُهُمَا كَذَلِكَ لِاخْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ مِنْ لُعَابِهِ، وَالْأَصْلُ طَهَارَةُ الْإِنَاءِ. أَمَّا إِذَا لَمْ يَغْتَضِدْ مُقَابِلَهُ بِأَصْلٍ فَيَسْتَهْضِ الشَّكُّ:

كَمَا لَوْ شَكَّ بَعْدَ الْفَجْرِ هَلْ نَوَى أَمْ لَا لَمْ يَصِحَّ صَوْمُهُ وَيَلْزَمُهُ الْإِمْسَاكُ وَالْقَضَاءُ. وَفِي الْبَحْرِ أَنَّهُ يَصِحُّ وَهُوَ بَعِيدٌ.

وَكَذَا لَوْ تَوَضَّأَ بِمَاءٍ وَشَكَّ هَلْ هُوَ مَائِعٌ أَوْ مَاءٌ لَمْ يَصِحَّ لِوُجُوبِ النِّيَّةِ وَشَرْطِهَا الْجَزْمُ وَهُوَ مَفْقُودٌ.

وَلَوْ اسْتَجَبَى بِشَيْءٍ وَشَكَّ هَلْ هُوَ عَظْمٌ أَوْ مَطْعُومٌ أَوْ غَيْرُهُ وَمِمَّا يَمْتَنِعُ الْإِسْتِجَاءُ "بِهَلْ يُجْزَلُهُ؟" قَوْلَانِ.

(١) [رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٦٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «اغْتَسَلَ بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ =

و «تَوَضَّأَ مِنْ تَوْرِ مِنْ صُفْرِ» ^(١).

و «تَوْرِ مِنْ حِجَارَةٍ» ^(٢).

و «مِنْ قُرْبَةٍ» ^(٣).

= فِي جَفْنَةٍ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَتَوَضَّأَ مِنْهَا أَوْ يَغْتَسِلَ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ جُنْبًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْمَاءَ لَا يُجْنِبُ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (٢٦٢٦٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «أَجْنَبْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَغْتَسَلْتُ مِنْ جَفْنَةٍ، فَفَضَّلْتُ فَضْلَةً، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَغْتَسِلَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ اغْتَسَلْتُ مِنْهَا! فَقَالَ: إِنَّ الْمَاءَ لَيْسَ عَلَيْهِ جَنَابَةٌ - أَوْ لَا يُجْنِسُهُ شَيْءٌ - فَأَغْتَسَلَ مِنْهُ». وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ [١].

(١) وَالْقَوْرُ: إِنَاءٌ يُشْرَبُ فِيهِ، مُدَكَّرٌ.

وَالصُّفْرُ: النُّحَاسُ.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٩٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْرَجَنَا لَهُ مَاءً فِي تَوْرِ مِنْ صُفْرِ فَتَوَضَّأَ فَعَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِهِ وَأَذْبَرَ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ» [١].

(٢) [رَوَى الْبُخَارِيُّ (١٩٥) عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «حَضَرْتُ الصَّلَاةَ فَقَامَ مَنْ كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ إِلَى أَهْلِهِ، وَبَقِيَ قَوْمٌ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمُخَضَّبٍ مِنْ حِجَارَةٍ فِيهِ مَاءٌ فَصَغَّرَ الْمُخَضَّبُ أَنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، قُلْنَا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَمَانِينَ وَزِيَادَةً» [١].

(٣) [رَوَى الْبُخَارِيُّ (٦٣١٦)، وَمُسْلِمٌ (٧٦٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «بِثُّ عِنْدَ مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَى حَاجَتَهُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى =

و ﴿إِدَاوَةٌ﴾ ^(١).

﴿لَا آيَةَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْمُؤَمَّةِ بِهِمَا﴾ لِمَا رَوَى حُذَيْفَةُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿لَا تَشْرَبُوا فِي آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا:

= الْقِرْبَةِ فَأُطْلَقَ شِنَاقُهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءًا بَيْنَ وَضُوءَيْنِ لَمْ يُكْثِرْ وَقَدْ أَبْلَغَ، فَصَلَّى فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةً أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَتَّقِيهِ، فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَنَامَتْ صَلَاتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَأَذَنُهُ بِلَالٍ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأَ، وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا قَالَ كُرَيْبٌ وَسَبْعٌ فِي التَّابُوتِ فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ فَذَكَرَ عَصْبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي وَبَشْرِي وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ].

(١) وَالْإِدَاوَةُ، بِالْكَسْرِ: إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يُتَّخَذُ لِلْمَاءِ كَالسَّطِيحَةِ وَنَحْوِهَا. وَإِدَاوَةُ الشَّيْءِ وَأِدَاوَتُهُ: آتَتْهُ. وَالْإِدَاوَةُ: هِيَ الْمِظْهَرَةُ، وَالْمِظْهَرَةُ: وَهِيَ الْإِنَاءُ الَّذِي يُتَوَضَّأُ بِهِ وَيُتَطَهَّرُ بِهِ.

[رَوَى الْبُخَارِيُّ (١٨٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٤) عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: ﴿كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَقَالَ: يَا مُغِيرَةُ خُذِ الْإِدَاوَةَ، فَأَخَذْتُهَا، فَاذْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَوَارَى عَنِّي فَقَضَى حَاجَتَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَأْمِيَّةٌ، فَذَهَبَ لِيُخْرِجَ يَدَهُ مِنْ كُمِّهَا فَضَاقَتْ فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ أَسْفَلِهَا، فَصَبَّيْتُ عَلَيْهِ فَتَوَضَّأَ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْهِ ثُمَّ صَلَّى﴾].

فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴿ وَقَالَ : ﴿ الَّذِي يَشْرَبُ فِي آيَةِ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا ^(١) .
وَمَا حُرِّمَ اسْتِعْمَالُهُ حُرْمَ اتِّخَاذِهِ عَلَى هَيْئَةِ الاسْتِعْمَالِ ، كَالطُّنْبُورِ ^(٢) .

وَيَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ ، لِعُمُومِ الْخَبَرِ .

(وَتَصِحُّ الطَّهَارَةُ بِهِمَا وَيَا الْإِنَاءَ الْمَغْضُوبَ) هَذَا قَوْلُ الْخِرَقِيِّ ، لِأَنَّ
الْوُضُوءَ جَرِيَانُ الْمَاءِ عَلَى الْعُضْوِ ، فَلَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ ، إِنَّمَا الْمَعْصِيَةُ
اسْتِعْمَالُ الْإِنَاءِ .

(وَنُشِخَ إِنْاءٌ ضُبِّبَ بِضَبٍّ يَسِيرَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ لِغَيْرِ زِينَةٍ) لِمَا رَوَى أَنَسُ
ابْنُ مَالِكٍ ؓ : ﴿ أَنَّ قَدَحَ النَّبِيِّ ﷺ انْكَسَرَ فَاتَّخَذَ مَكَانَ الشَّعْبِ

(١) [رَوَى الْبُخَارِيُّ (٥٤٢٦ ، ٥٦٣٢ ، ٥٦٣٣ ، ٥٨٣١ ، ٥٨٣٧) ، وَمُسْلِمٌ (٢٠٦٧)]
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى أَنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَ حُدَيْفَةَ فَاسْتَسْقَى فَسَقَاهُ مَجُوسِيٌّ فَلَمَّا
وَضَعَ الْقَدَحَ فِي يَدِهِ رَمَاهُ بِهِ وَقَالَ لَوْلَا أَنِّي نَهَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَمْ
أَفْعَلْ هَذَا وَلَكِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : ﴿ لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيْبَاجَ ، وَلَا
تَشْرَبُوا فِي آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا ؛ فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي
الْآخِرَةِ ﴾ . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (٥٦٣٤) ، وَمُسْلِمٌ (٢٠٦٥) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ؓ زَوْجِ
النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ﴿ الَّذِي يَشْرَبُ فِي إِنْاءِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرَجُ فِي
بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ [

(٢) الطُّنْبُورُ وَالطُّنْبَارُ: آلَةٌ عَزْفٍ وَتَرْيَّةٍ وَهِيَ الْعُودُ وَالْتَبْرَبْطُ ، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ ، أَضْلُهُ دُنْبُهُ
بَرَهُ أَيْ يُشَبَّهُ أَلِيَّةَ الْحَمَلِ ، فَقِيلَ : طُنْبُورٌ .

سِلْسِلَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ۞. ^(١)

وَأَيُّهُ الْكُفَّارُ وَشَابُهُمْ طَاهِرَةٌ ۞ لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَضَافَهُ يَهُودِيٌّ بِخُبْرٍ
وَاهِلَةٍ سِنَخَةٍ ۞ رَوَاهُ أَحْمَدُ. ^(٢)

وَ ۞ تَوْضُأً مِنْ مَزَادَةٍ مُشْرَكَةٍ ۞. ^(٣)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣١٠٩)، وَأَحْمَدُ (١٢٠٠٢، ١٢١٦٦، ١٣٣١٠). [ثَلَاثُ:]
وَفِي "لِسَانِ الْعَرَبِ": "وَفِي الْحَدِيثِ: ﴿مَكَانَ الشَّعْبِ﴾ بِفَتْحِ الشَّيْنِ أَيْ مَكَانَ
الصَّدْعِ وَالشَّقِّ الَّذِي فِيهِ].

(٢) [قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي "إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ" (١ / ٧١ / ٣٥): شَادُ بِهِذَا اللَّفْظِ. رَوَاهُ أَحْمَدُ
فِي "الْمُسْنَدِ" (٣ / ٢١٠ و ٢١١ و ٢٧٠) مِنْ طَرِيقِ أَبَانَ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ:
﴿أَنَّ يَهُودِيًّا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى خُبْرٍ شَعِيرٍ وَاهِلَةٍ سِنَخَةٍ فَأَجَابَهُ﴾. زَادَ فِي
الْمَوْضِعِ الثَّانِي: وَقَدْ قَالَ أَبَانَ أَيْضًا: ﴿أَنَّ خَيَّاطًا﴾. قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: وَفِي رِوَايَةِ
أَحْمَدَ أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا لَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ أَبَانَ شَكَّ فِي ذَلِكَ حَيْثُ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى - كَمَا
تَقَدَّمَ - "خَيَّاطًا" بِذَلِكَ "يَهُودِيًّا" وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ عِنْدِي لِمُوَافَقَتِهَا لِرِوَايَةِ هَمَّامٍ
عَنْ قَتَادَةَ وَ رِوَايَةِ الْآخَرِينَ عَنْ أَنَسٍ فَهِيَ رِوَايَةٌ شَادَّةٌ وَعَلَيْهِ فَلَا يَسْتَقِيمُ اسْتِدْلَالُ
الْمُصَنِّفِ بِهَا عَلَى طَهَارَةِ آيَةِ الْكُفَّارِ لَكِنَّ يُغْنِي عَنْهُ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
أهـ. ثَلَاثُ: وَالظَّاهِرُ مِنْ جُمْلَةِ الرُّوَايَاتِ أَنَّ الْخَيَّاطَ كَانَ يَهُودِيًّا، أَوْ يُحْمَلُ عَلَى تَعَدُّدِ
الْفِصَّةِ، وَ هَذَا أَوْلَى مِنَ التَّرْجِيحِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.]

(٣) [رَوَى الْبُخَارِيُّ (٣٤٤)، وَمُسْلِمٌ (٦٨٢)، وَأَحْمَدُ (١٩٣٩٧) عَنْ عِمْرَانَ قَالَ:
﴿كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنَّا أَسْرَيْنَا حَتَّى كُنَّا فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقَعْنَا وَقْعَةً وَلَا وَقْعَةً
أَخْلَى عِنْدَ الْمُسَافِرِ مِنْهَا، فَمَا أَبْقَطْنَا إِلَّا حُرَّ الشَّمْسِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَبْقَطَ فُلَانٌ =

= ثُمَّ فُلَانٌ ثُمَّ فُلَانٌ - يُسَمِّيهِمْ أَبُو رَجَاءٍ فَنَسِيَ عَوْفٌ - ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الرَّابِعُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَامَ لَمْ يُوقِظْ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَسْتَيْقِظُ، لِأَنَّا لَا نَدْرِي مَا يَحْدُثُ لَهُ فِي نَوْمِهِ، فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ عُمَرُ وَرَأَى مَا أَصَابَ النَّاسَ، وَكَانَ رَجُلًا جَلِيدًا فَكَبَّرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ حَتَّى اسْتَيْقِظَ بِصَوْتِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ شَكُوا إِلَيْهِ الَّذِي أَصَابَهُمْ، قَالَ: لَا ضَيْرَ أَوْ لَا يَضِيرُ؛ ارْتَحِلُوا، فَارْتَحَلَ فَسَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ نَزَلَ فَدَعَا بِالْوُضُوءِ، فَتَوَضَّأَ وَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مُعْتَزِلٍ لَمْ يُصَلِّ مَعَ الْقَوْمِ، قَالَ: مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ؟ قَالَ: أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ وَلَا مَاءَ، قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ، ثُمَّ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ فَاشْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَلَ فَدَعَا فُلَانًا - كَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو رَجَاءٍ نَسِيَهُ عَوْفٌ - وَدَعَا عَلِيًّا فَقَالَ: اذْهَبَا فَابْتَغِيَا الْمَاءَ، فَانْطَلَقَا فَتَلَقِيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَرَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا، فَقَالَا لَهَا: أَيْنَ الْمَاءُ؟ قَالَتْ: عَهْدِي بِالْمَاءِ أَمْسَ هَذِهِ السَّاعَةَ، وَنَفَرْنَا حُلُوفًا، قَالَا لَهَا انْطَلِقِي إِذَا، قَالَتْ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِيُّ؟ قَالَا: هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ، فَانْطَلِقِي، فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَحَدَّثَاهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَاسْتَنْزَلُوها عَنْ بَعِيرِهَا، وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَقْوَاهِ الْمَرَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ، وَأَوْكَأَ أَقْوَاهُمَا وَأَطْلَقَ الْعِزَالِيَّ، وَنُودِيَ فِي النَّاسِ اسْقُوا وَاسْتَقُوا، فَسَقَى مَنْ شَاءَ وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ، وَكَانَ آخِرُ ذَلِكَ أَنْ أُعْطِيَ الَّذِي أَصَابَتْهُ الْجَنَابَةُ إِنَاءً مِنْ مَاءٍ، قَالَ: اذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ، وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلَى مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا، وَإِذَا لَمْ يَلَمْسْ اللَّهُ لَقَدْ أَقْلَعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لِيُحِيلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلَأَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: =

و " تَوْضِئاً عُمَرُ ۞ مِنْ جَرَّةٍ نَضْرَانِيَّةٍ " (١).

وَمَنْ يَسْتَحِلُّ الْمَيْتَاتِ وَالنَّجَاسَاتِ مِنْهُمْ، فَمَا اسْتَعْمَلُوهُ مِنْ آيَاتِهِمْ

= أَجْمَعُوا لَهَا، فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا، فَجَعَلُوهَا فِي ثَوْبٍ وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا، وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا، قَالَ لَهَا: تَعْلَمِينَ مَا رَزَقْنَا مِنْ مَائِكَ شَيْئًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَشْقَانَا، فَأَتَتْ أَهْلَهَا وَقَدْ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ، قَالُوا مَا حَبَسَكَ يَا فُلَانَةُ قَالَتْ: الْعَجَبُ لَقَيْنِي رَجُلَانِ فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِيُّ، فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ، وَقَالَتْ بِإِضْبَاعِهَا الْوُسْطَى وَالسَّبَابَةَ فَرَفَعَتْهُمَا إِلَى السَّمَاءِ - تَعْنِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ - أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ يُغَيِّرُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا يُصِيبُونَ الصَّرِمَ الَّذِي هِيَ مِنْهُ، فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا: مَا أَرَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَدْعُونَكُمْ عَمْدًا، فَهَلْ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ؟ فَأَطَاعُوهَا فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ ۞ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: صَبَأٌ خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى غَيْرِهِ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الصَّابِيُّينَ فِرْقَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَفْرَعُونَ الزُّبُورَ. وَالْمَزَادَةُ: هِيَ إِنَاءُ الْمَاءِ.]

(١) قَالَ الشَّيْخُ صَالِحٌ فِي "التَّكْمِيلِ": أَخْرَجَهُ الشَّافِعِيُّ فِي "الْأُمِّ" (١/٧ - ط. بولاق)، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ الْمُنْدَرِ فِي "الْأَوْسَطِ" (١/٣١٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "مَغْرَفَةِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ" (١/٢٥٢)، وَفِي "السُّنَنِ الْكُبْرَى" (١/٣٢)، قَالَ الشَّافِعِيُّ: "أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ تَوْضِئاً مِنْ مَاءِ نَضْرَانِيَّةٍ فِي جَرَّةٍ نَضْرَانِيَّةٍ). وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا فِي الظَّاهِرِ. فَقَدْ خَرَجَ الْبُخَارِيُّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ فِي "الْجِهَادِ" (٦/١٢٣)، وَمُسْلِمٌ فِي "الْهَبَاتِ" (٣/١٢٣٩ ط. عَبْدُ الْبَاقِي).

فَهُوَ نَجِسٌ، لِمَا رَوَى أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيُّ، قَالَ: ﴿قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمِ أَهْلِ كِتَابٍ، أَفَنَأْكُلُ فِي آيَاتِهِمْ؟ قَالَ: لَا تَأْكُلُوا فِيهَا، إِلَّا أَنْ لَا تَجِدُوا غَيْرَهَا، فَاغْسِلُوهَا ثُمَّ كُلُوا فِيهَا﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. ^(١)

وَمَا نَسَجُوهُ، أَوْ صَبَعُوهُ، أَوْ عَلَا مِنْ ثِيَابِهِمْ، فَهُوَ طَاهِرٌ، وَمَا لَأَيَّ عَوْرَاتِهِمْ، فَقَالَ أَحْمَدُ: أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يُعِيدَ إِذَا صَلَّى فِيهَا.
(وَلَا يَنْجُسُ شَيْءٌ بِالنَّسَكِ مَا لَمْ تُعْلَمَ نَجَاسَتُهُ) لِأَنَّ الْأَصْلَ الطَّهَارَةُ ^(٢).

(١) رَوَى الْبُخَارِيُّ (٥٤٧٨، ٥٤٨٨، ٥٤٩٦)، وَمُسْلِمٌ (١٩٣٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٨٥٢، ٢٨٥٥، ٢٨٥٦، ٣٨٣٩)، وَالنَّسَائِيُّ (٤٢٦٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٣٨٤، ١٥٦٠، ١٧٩٧)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٢٠٧، ٣٢١١)، وَأَحْمَدُ (١٧٢٧٧)، وَالِدَّارِمِيُّ (٢٤٩٩) عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيِّ قَالَ: ﴿قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَفَنَأْكُلُ فِي آيَاتِهِمْ؟ وَبِأَرْضِ صَيْدٍ أَصِيدُ بِقَوْسِي وَبِكَلْبِي الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلِّمٍ وَبِكَلْبِي الْمُعَلِّمِ فَمَا يَضِلُّ لِي؟ قَالَ ﷺ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَإِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاغْسِلُوهَا وَكُلُوا فِيهَا، وَمَا صِدَتْ بِقَوْسِكَ فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ، وَمَا صِدَتْ بِكَلْبِكَ الْمُعَلِّمِ فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ، وَمَا صِدَتْ بِكَلْبِكَ غَيْرِ مُعَلِّمٍ فَأَذْرَكْتَ ذَكَاتَهُ فَكُلْ﴾.

(٢) [زِيَادَةٌ: بَابُ الْآيَةِ

سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَنْ أَوَانِي النِّحَاسِ الْمُطَعَّمَةِ بِالْفِضَّةِ - كَالطَّاسَاتِ وَغَيْرِهَا - هَلْ حُكْمُهَا حُكْمُ آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ أَمْ لَا؟

فَأَجَابَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. أَمَّا الْمُضَيَّبُ بِالْفِضَّةِ مِنَ الْآيَةِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا مِنْ =

= الآلات - سَوَاءٌ سُمِّيَ الْوَاحِدُ مِنْ ذَلِكَ إِنَاءً أَوْ لَمْ يُسَمَّ - وَمَا يَجْرِي مَجْرَى الْمُضْطَبِّ كَالْمَبَاخِرِ وَالْمَجَامِرِ وَالطُّشُوتِ وَالشَّمْعِدَانَاتِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ: فَإِنَّ كَانَتْ الصَّبَّةُ يَسِيرَةً لِحَاجَةٍ مِثْلَ تَشْعِيبِ الْقَدَحِ وَشَعِيرَةِ السَّكِينِ [فِي "الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ": الشَّعِيرَةُ: هُنَا تُصَاغُ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ حَدِيدٍ عَلَى شَكْلِ الشَّعِيرَةِ، تَكُونُ مَسَاكًا لِنِصَابِ النَّضْلِ] وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُبَاشِرُ بِالِاسْتِعْمَالِ: فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ. وَمَرَادُ الْفُقَهَاءِ بِالْحَاجَةِ هُنَا: أَنْ يَخْتِاجَ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ كَمَا يَخْتِاجُ إِلَى التَّشْعِيبِ وَالشَّعِيرَةِ سَوَاءً كَانَ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ نُحَاسٍ أَوْ حَدِيدٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَيْسَ مَرَادُهُمْ أَنْ يَخْتِاجَ إِلَى كَوْنِهَا مِنْ فِضَّةٍ بَلْ هَذَا يُسَوِّدُهُ فِي مِثْلِ هَذَا ضَرُورَةٌ، وَالضَّرُورَةُ تُبَيِّحُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ مُفْرَدًا وَتَبَعًا، حَتَّى لَوْ اخْتِاجَ إِلَى شِدِّ أَسْنَانِهِ بِالذَّهَبِ؛ أَوْ اتَّخَذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ: جَازَ - كَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ - مَعَ أَنَّهُ ذَهَبٌ وَمَعَ أَنَّهُ مُفْرَدٌ.

وَكَذَلِكَ لَوْ لَمْ يَجِدْ مَا يَشْرَبُهُ إِلَّا فِي إِنَاءٍ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ جَازَ لَهُ شُرْبُهُ. وَلَوْ لَمْ يَجِدْ ثَوْبًا يَقِيهِ الْبَرْدُ أَوْ يَقِيهِ السَّلَاحَ أَوْ يَسْتُرُهُ بِعَوْرَتِهِ إِلَّا ثَوْبًا مِنْ حَرِيرٍ مَنسُوجٍ بِذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ جَازَ لَهُ لُبْسُهُ؛ فَإِنَّ الضَّرُورَةَ تُبَيِّحُ أَكْلَ النَّمِيَةِ وَالْدَّمِ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ؛ مَعَ أَنَّ تَحْرِيمَ الْمَطَاعِمِ أَشَدُّ مِنْ تَحْرِيمِ الْمَلَابِسِ؛ لِأَنَّ تَأْثِيرَ الْخَبَائِثِ بِالْمُمَازَجَةِ وَالْمُخَالَطَةِ لِلْبَدَنِ أَعْظَمُ مِنْ تَأْثِيرِهَا بِالْمَلَابَسَةِ وَالْمُبَاشَرَةِ لِلظَّاهِرِ،

وَلِهَذَا كَانَتْ النَّجَاسَاتُ الَّتِي تَحْرُمُ مَلَابَسَتَهَا يَحْرُمُ أَكْلُهَا وَيَحْرُمُ مِنْ أَكْلِ السُّمُومِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْمَضَرَّاتِ مَا لَيْسَ بِنَجَسٍ وَلَا يَحْرُمُ مُبَاشَرَتُهَا.

ثُمَّ مَا حُرِّمَ لِخُبْثِ جَنْبِهِ أَمَّا حُرْمُ لِمَا فِيهِ مِنَ السَّرَفِ وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ؛ =

= فَإِنَّ هَذَا يَحْرُمُ الْقَدْرُ الَّذِي يَقْتَضِي ذَلِكَ مِنْهُ وَيُبَاحُ لِلْحَاجَةِ؛ كَمَا أُبِيحَ لِلنِّسَاءِ لُبْسُ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ لِحَاجَتِهِنَّ إِلَى التَّزَيُّنِ؛ وَحُرْمَ ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ، وَأُبِيحَ لِلرَّجُلِ مِنْ ذَلِكَ الْيَسِيرُ كَالْعِلْمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا ثَبَتَ فِي السُّنَّةِ؛ وَلِهَذَا كَانَ الصَّحِيحُ مِنَ الْقَوْلَيْنِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ جَوَازُ التَّدَاوِي بِهَذَا الضَّرْبِ دُونَ الْأَوَّلِ،

كَمَا «رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ لِلزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ فِي لُبْسِ الْحَرِيرِ مِنْ حِكَّةٍ كَانَتْ بِهِمَا». [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ. وَالْحِكَّةُ بِالْكَسْرِ: الْجَرَبُ]،

«وَنَهَى عَنِ التَّدَاوِي بِالْخَمْرِ وَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٨٤)]،

«وَنَهَى عَنِ الدَّوَاءِ الْخَيْثِ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٨٧٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٠٤٥)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٤٥٩)، وَأَحْمَدُ (٧٩٨٧، ٩٤٦٤، ٩٨٣٨) مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الدَّوَاءِ الْخَيْثِ». وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]،

«وَنَهَى عَنِ قَتْلِ الضَّفْدِيعِ لِأَجْلِ التَّدَاوِي بِهَا». [رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٣٨٧١)، وَابْنُ مَاجَةَ (٥٢٦٩)، وَالنَّسَائِيُّ (٤٣٥٥)، وَأَحْمَدُ (١٥٣٣٠، ١٥٦٣٩)، وَالدَّارِمِيُّ (١٩٩٨) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ ؓ: «أَنَّ طَبِيبًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ضَفْدِيعٍ يَجْعَلُهَا فِي دَوَاءٍ؟ فَتَهَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِهَا». وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءً أُمْتِي فِيمَا حُرِّمَ عَلَيْهَا». [قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الصَّحِيحَةِ": أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي "الْأَشْرِبَةِ" (ق ١/١٩) وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي "ذَمِّ الْمُسْكِرِ" (١/٥) وَابْنُ يَعْلَى فِي "مُسْنَدِهِ" (١٦٥٨/٤) وَعَنْ ابْنِ جَبَّانَ (١٣٩٧) =

= مِنْ طُرُقِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ مُخَارِقٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ وَإِسْنَادُهُ رِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ مَعْرُوفُونَ غَيْرَ حَسَّانَ بْنِ مُخَارِقٍ، فَهُوَ مَسْتُورٌ لَمْ يُوثِّقْهُ أَحَدٌ غَيْرُ ابْنِ جَبَّانٍ. وَصَحَّ مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ].

وَلِهَذَا أُسْتَبَدَّ بِإِذْنِهِ لِلْعُرَيْنِيِّ فِي التَّدَاوِي بِأَبْوَالِ الْإِبِلِ وَالْبَانِهَا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْخَبَائِثِ الْمُحَرَّمَةِ النَّجَسَةِ؛ لِئَنَّهُ عَنِ التَّدَاوِي بِمِثْلِ ذَلِكَ؛ وَلَكُونَهُ لَمْ يَأْمُرَ بِغَسْلِ مَا يُصِيبُ الْأَبْدَانَ وَالْثِّيَابَ وَالْأَيَّةَ مِنْ ذَلِكَ.

وَلِذَا كَانَ الْقَائِلُونَ بِطَهَارَةِ أَبْوَالِ الْإِبِلِ تَنَازَعُوا فِي جَوَازِ شُرْبِهَا لِغَيْرِ الضَّرُورَةِ؛ وَفِيهِ عَنْ أَحْمَدَ رَوَاتَانِ مَنْصُوصَتَانِ: فَذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنَ الْقَدَارَةِ الْمُلْحِقِ لَهَا بِالْمَخَاطِ وَالْبُصَاقِ وَالْمَنِيِّ؛ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْتَقْدَرَاتِ الَّتِي لَيْسَتْ بِنَجَسَةٍ الَّتِي يُشْرَعُ النَّظَافَةُ مِنْهَا كَمَا.

وَلِهَذَا أَيْضًا كَانَ هَذَا الضَّرْبُ مُحَرَّمًا فِي بَابِ الْآيَةِ وَالْمُنْقُولَاتِ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَآيَةُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ حَرَامٌ عَلَى الصَّنَفَيْنِ بِخِلَافِ التَّحْلِيِّ بِالذَّهَبِ وَلِبَاسِ الْحَرِيرِ فَإِنَّهُ مُبَاحٌ لِلنِّسَاءِ.

وَبَابُ الْخَبَائِثِ بِالْعَكْسِ؛

فَإِنَّهُ يُرَخَّصُ فِي اسْتِعْمَالِ ذَلِكَ فِيمَا يَنْفَصِلُ عَنِ بَدَنِ الْإِنْسَانِ مَا لَا يُبَاحُ إِذَا كَانَ مُتَّصِلًا بِهِ كَمَا يُبَاحُ إِطْفَاءُ الْحَرِيقِ بِالْخَمْرِ وَإِطْعَامُ الْمَيْتَةِ لِلْبُرَاقَةِ وَالصُّقُورِ؛ وَالنَّاسُ الدَّابَّةُ الثَّوْبُ النَّجَسَ؛ وَكَذَلِكَ الْإِسْتِصْبَاحُ بِالذَّهْنِ النَّجَسِ فِي أَشْهُرِ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ وَهُوَ أَشْهُرُ الرَّوَاتِبِينَ عَنْ أَحْمَدَ وَهَذَا لِأَنَّ اسْتِعْمَالَ الْخَبَائِثِ فِيهَا يَجْرِي مَجْرَى الْإِتْلَافِ لَيْسَ فِيهِ ضَرَرٌ وَكَذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الْمُنْفَصِلَةِ بِخِلَافِ اسْتِعْمَالِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ فَإِنَّ هَذَا غَايَةُ السَّرَفِ وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ.

= وَتَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ فِي جَوَازِ اتِّخَاذِ الْآيَةِ بِدُونِ اسْتِعْمَالِهَا فَرَّخَصَ فِيهِ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ فِي قَوْلٍ؛ وَإِنْ كَانَ الْمَشْهُورُ عَنْهُمَا تَحْرِيمُهُ؛ إِذْ الْأَصْلُ أَنَّ مَا حَرَّمَ اسْتِعْمَالُهُ حَرَّمَ اتِّخَاذُهُ كَالْأَلَةِ الْمَلَاهِي. وَأَمَّا إِنْ كَانَتْ الْفِضَةُ التَّابِعَةُ كَثِيرَةً فَفِيهَا أَيْضًا قَوْلَانِ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ.

وَفِي يَسِيرِ الذَّهَبِ فِي بَابِ اللَّبَاسِ عَنْ أَحْمَدَ أَقْوَالٌ:

أَحَدُهَا: الرُّخْصَةُ مُطْلَقًا؛ لِحَدِيثِ مُعَاوِيَةَ **«نَهَى عَنِ الذَّهَبِ إِلَّا مُقَطَّعًا»**. [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٢٣٩)، وَالنَّسَائِيُّ (٥١٤٩)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٥١٥٠)، وَابْنُ مَجَّاهٍ (٥١٥١)، وَابْنُ أَبِي عَرَبٍ (٥١٥٢)، وَابْنُ خَلِّكَانَ (٥١٥٩)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٥١٦٠)، وَأَحْمَدُ (١٦٣٩١، ١٦٤٠٢، ١٦٤٢٢، ١٦٤٥٨، ١٦٤٦٦) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: قَالَ أَبُو دَاوُدَ: أَبُو قِلَابَةَ لَمْ يَلْقَ مُعَاوِيَةَ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ. وَقَالَ الْمُنْذِرِيُّ: فِيهِ انْقِطَاعٌ فِي مَوْضِعَيْنِ. اهـ.]. وَلَعَلَّ هَذَا الْقَوْلَ أَقْوَى مِنْ غَيْرِهِ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ.

وَالثَّانِي: الرُّخْصَةُ فِي السَّلَاحِ لَفْظًا.

وَالثَّالِثُ: فِي السِّيفِ خَاصَّةً.

وَفِيهِ وَجْهٌ بِتَحْرِيمِهِ مُطْلَقًا؛ لِحَدِيثِ أَسْمَاءَ **«لَا يُبَاحُ الذَّهَبُ وَلَا خَرِصَةٌ»**. [ضَعِيفٌ: رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ" (٢٧٠٣١، ٢٧٠٥٥) مِنْ طَرِيقِ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ (صَدُوقٌ كَثِيرُ الْإِرْسَالِ وَالْأَوْهَامِ) أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ كَانَتْ تَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَتْ: **«فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ إِذْ جَاءَتْهُ خَالَتِي قَالَتْ: فَجَعَلْتَ تُسَائِلُهُ وَعَلَيْهَا سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَيْسُرُكَ أَنْ عَلَيْكَ سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا خَالَتِي إِنَّمَا يَعْنِي سِوَارِيكَ هَذَيْنِ، قَالَتْ: فَأَلْقَتْهُمَا، قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهُنَّ إِذَا لَمْ يَتَحَلَّيْنِ صُلِفْنَ عِنْدَ أَرْوَاجِهِنَّ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: أَمَا تَسْتَطِيعُ =**

= إَحْدَاكُنَّ أَنْ تَجْعَلَ طَوْقًا مِنْ فِضَّةٍ وَجُمَانَةً مِنْ فِضَّةٍ ثُمَّ تُخَلِّقُهُ بِزَعْفَرَانٍ فَيَكُونُ كَأَنَّهُ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِنَّ مَنْ تَحَلَّى وَزْنَ عَيْنِ جَرَادَةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ خَرَبِصِيصَةٍ كُويَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، [قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيُّ فِي "النَّهَائَةِ": «مَنْ تَحَلَّى ذَهَبًا أَوْ حَلَّى وَلَدَهُ مِثْلَ خَرَبِصِيصَةٍ» هِيَ الْهَنَةُ الَّتِي تُتْرَأَى فِي الرَّمْلِ لَهَا بَصِينُصٌ كَأَنَّهَا عَيْنُ جَرَادَةٍ. اهـ.] وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٢٣٨)، وَالنَّسَائِيُّ (٥١٣٩)، وَأَحْمَدُ (٢٧٠٣٧، ٢٧٠٥٨) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ (مَقْبُولٌ) حَدَّثَهُ أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ حَدَّثَتْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَقْلَدَتْ قِلَادَةً مِنْ ذَهَبٍ قُلِدَتْ فِي عُنُقِهَا مِثْلُهُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ جَعَلَتْ فِي أُذُنِهَا خُرْصًا مِنْ ذَهَبٍ جُعِلَ فِي أُذُنِهَا مِثْلُهُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَالْخَرِصَةُ عَيْنُ الْجَرَادَةِ، لَكِنَّ هَذَا قَدْ يُحْمَلُ عَلَى الذَّهَبِ الْمُفْرَدِ دُونَ التَّابِعِ؛ وَلَا رَبَّ أَنْ هَذَا مُحَرَّمٌ عِنْدَ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ نَهَى عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ»؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ لَبَسَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ النَّهْيُ. وَلِهَذَا فَرَّقَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بَيْنَ يَسِيرِ الْحَرِيرِ مُفْرَدًا كَالْتَّكَّةِ فَنَهَى عَنْهُ؛ وَبَيْنَ يَسِيرِهِ تَبَعًا كَالْعَلَمِ؛ إِذِ الْإِسْتِثْنَاءُ وَقَعَ فِي هَذَا النُّوعِ فَقَطْ.

فَكَمَا يُفَرَّقُ فِي الرُّخْصَةِ بَيْنَ الْيَسِيرِ وَالْكَثِيرِ: فَيُفَرَّقُ بَيْنَ التَّابِعِ وَالْمُفْرَدِ وَيُحْمَلُ حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ "إِلَّا مُقَطَّعًا" عَلَى التَّابِعِ لِعَمْرٍو وَإِذَا كَانَتْ الْفِضَّةُ قَدْ رُخِّصَ مِنْهَا فِي بَابِ اللَّبَاسِ وَالتَّحَلِّيِ فِي الْيَسِيرِ وَإِنْ كَانَ مُفْرَدًا: فَالَّذِينَ رَخَّصُوا فِي الْيَسِيرِ أَوْ الْكَثِيرِ التَّابِعِ فِي الْآيَةِ أَلْحَقُوهَا بِالْحَرِيرِ الَّذِي أُبِيحَ يَسِيرُهُ تَبَعًا لِلرِّجَالِ فِي الْفِضَّةِ الَّتِي أُبِيحَ يَسِيرُهَا مُفْرَدًا أَوَّلًا؛ وَلِهَذَا أُبِيحَ - فِي أَحَدِ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ وَهُوَ إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ - حِلُّهُ الْمُنْتَظَفُ مِنَ الْفِضَّةِ وَمَا يُشْبِهُ ذَلِكَ =

أَحْكَامُ الْمِيَةِ

(وَعَظُمَ الْمِيَةُ وَقُرْنُهَا وَظُلْفُهَا وَحَافِرُهَا وَعَصَبُهَا وَجِلْدُهَا نَجِسٌ، وَلَا يَظْهَرُ بِالدَّبَاغِ) فِي ظَاهِرِ الْمَذْهَبِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَةُ﴾ [المائدة: ٣] وَالْجِلْدُ جُزْءٌ مِنْهَا،

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ قَالَ: قُرِئَ عَلَيْنَا كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَرْضِ جُهَيْنَةَ وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ: ﴿أَنْ لَا تَتَفَعُّوا مِنَ الْمِيَةِ بِإِهَابٍ وَلَا عَصَبٍ﴾ قَالَ أَحْمَدُ: مَا أَصْلَحَ إِسْنَادُهُ [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].^(١)

= مِنْ لِبَاسِ الْحَرْبِ كَالْخُوَذَةِ؛ وَالْجَوْشَنِ؛ وَالرَّانَ؛ وَحَمَائِلِ السَّيْفِ.
وَأَمَّا تَخْلِيَةُ السَّيْفِ بِالْفِضَّةِ فَلَيْسَ فِيهِ هَذَا الْخِلَافُ وَالَّذِينَ مَنَعُوا قَالُوا: الرُّخْصَةُ وَقَعَتْ فِي بَابِ اللَّبَاسِ دُونَ بَابِ الْآيَةِ؛ وَبَابُ اللَّبَاسِ أَوْسَعُ كَمَا تَقَدَّمَ. وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ هَذَا أَقْوَى؛ إِذْ لَا أَثَرَ فِي هَذِهِ الرُّخْصَةِ وَالْقِيَاسُ كَمَا تَرَى.
وَأَمَّا الْمُضَبَّبُ بِالذَّهَبِ فَهَذَا دَاخِلٌ فِي النَّهْيِ؛ سَوَاءً كَانَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا وَالْخِلَافُ الْمَذْكُورُ فِي الْفِضَّةِ مُتَّفَقٌ هَاهُنَا لَكِنْ فِي يَسِيرِ الذَّهَبِ فِي الْآيَةِ وَجْهٌ لِلرُّخْصَةِ فِيهِ.

(١) وَقَالَ فِي "عَوْنِ الْمُعْبُودِ" شَرْحُ "سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ":

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: يُسَمَّى إِهَابًا مَا لَمْ يُدْبَغْ فَإِذَا دُبِغَ لَا يُقَالُ لَهُ إِهَابٌ إِنَّمَا يُسَمَّى شَنًّا وَقَرَبَةً. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَحْمَدُ أَيَّ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ لَا يُتَفَعُّ مِنَ الْمِيَةِ بِإِهَابٍ وَلَا عَصَبٍ، ثُمَّ تَرَكَ الْحَدِيثَ لِلَاضْطِرَابِ فِي =

(وَالشَّعْرُ وَالصُّوفُ وَالرِّيشُ طَاهِرٌ) لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَا وَمِثْلًا إِلَى حِينٍ﴾ (٨٠) ﴿[النحل: ٨٠] وَالرِّيشُ مَقِيسٌ عَلَيْهِ وَنَقَلَ الْمِيمُونِيُّ عَنْ أَحْمَدَ: صُوفُ الْمَيْتَةِ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَرِهَهُ.

(إِذَا كَانَ مِنْ مَيْتَةٍ طَاهِرَةٍ فِي الْحَيَاةِ وَلَوْ غَيْرَ مَأْكُولَةٍ: كَالِهَرِّ وَالْفَأْرِ. وَيُسْنُ تَغْطِيَةُ الْآيَةِ، وَإِكَاءُ الْأَشْيَةِ) لِحَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿أَوْكِ سِقَاءَكَ وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرِ إِنْاءَكَ، وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ أَنْ تَعْرِضَ عَلَيْهِ عُودًا﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(١).

= الإسناد كما قال الترمذي. وقال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي في "التاسخ والمنسوخ": وحديث ابن عكيم مضطرب جدًا فلا يقاوم الأول لأنه في الصحيحين يعني حديث ميمونة.

(١) وَقَالَ التَّوَوِيُّ فِي "شرح مسلم": بَابُ طَهَارَةِ جُلُودِ الْمَيْتَةِ بِالدَّبَاغِ: فِيهِ قَوْلُهُ ﷺ فِي الشَّاةِ الْمَيْتَةِ: ﴿هَلَا أَخَذْتُمْ إِهَابَهَا فَدَبَّغْتُمُوهُ فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ؟ فَقَالُوا: إِنَّهَا مَيْتَةٌ فَقَالَ: إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا﴾ وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى: ﴿هَلَا انْتَفَعْتُمْ بِجُلْدِهَا قَالُوا: إِنَّهَا مَيْتَةٌ فَقَالَ: إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا﴾، وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَلَا أَخَذْتُمْ إِهَابَهَا فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ؟﴾ وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَلَا انْتَفَعْتُمْ بِإِهَابِهَا﴾، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: ﴿إِذَا دُبِغَ الْإِهَابُ فَقَدْ طُهِرَ﴾، وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى: ﴿عَنِ ابْنِ وَغَلَةَ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قُلْتُ: إِنَّا نَكُونُ بِالْمَغْرِبِ، فَيَأْتِينَا =

= الْمَجُوسُ بِالْأَسْقِيَةِ فِيهَا الْمَاءُ وَالْوَدَّكَ فَقَالَ: اشْرَبْ، فَقُلْتُ: أَرَأَيْي تَرَاهُ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: دِبَاغُهُ طَهُورُهُ.

اختلف العلماء في ديباغ جلود الميتة وطهارتها باللباغ على سبعة مذاهب: أَحَدُهَا: مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ يَظْهَرُ بِالدِّبَاغِ جَمِيعُ جُلُودِ الْمَيِّتَةِ إِلَّا الْكَلْبَ وَالْخِنْزِيرَ وَالْمُتَوَلَّدَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَغَيْرِهِ، وَيَظْهَرُ بِالدِّبَاغِ ظَاهِرُ الْجِلْدِ وَبَاطِنُهُ، وَيَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَائِعَةِ وَالْيَابِسَةِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَأْكُولِ اللَّحْمِ وَغَيْرِهِ، وَرُويَ هَذَا الْمَذْهَبُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

وَالْمَذْهَبُ الثَّانِي: لَا يَظْهَرُ شَيْءٌ مِنَ الْجُلُودِ بِالدِّبَاغِ وَرُويَ هَذَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَائِشَةَ رضي الله عنها، وَهُوَ أَشْهَرُ الرَّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ، وَإِخْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنْ مَالِكٍ.

وَالْمَذْهَبُ الثَّلَاثُ: يَظْهَرُ بِالدِّبَاغِ جِلْدُ مَأْكُولِ اللَّحْمِ، وَلَا يَظْهَرُ غَيْرُهُ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَوْزَاعِيِّ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَبِي ثَوْرٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ.

وَالْمَذْهَبُ الرَّابِعُ: يَظْهَرُ جُلُودُ جَمِيعِ الْمَيِّتَاتِ إِلَّا الْخِنْزِيرَ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ.

وَالْمَذْهَبُ الْخَامِسُ: يَظْهَرُ الْجَمِيعُ إِلَّا أَنَّهُ يَظْهَرُ ظَاهِرُهُ دُونَ بَاطِنِهِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْيَابِسَاتِ دُونَ الْمَائِعَاتِ. وَيُصَلَّى عَلَيْهِ لَا فِيهِ، وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ الْمَشْهُورُ فِي حِكَايَةِ أَصْحَابِهِ عَنْهُ.

وَالْمَذْهَبُ السَّادِسُ: يَظْهَرُ الْجَمِيعُ وَالْكَلْبُ وَالْخِنْزِيرُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَهُوَ مَذْهَبُ دَاوُدَ وَأَهْلِ الظَّاهِرِ. وَحُكِيَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ.

وَالْمَذْهَبُ السَّابِعُ: أَنَّهُ يَنْتَفَعُ بِجُلُودِ الْمَيِّتَةِ وَإِنْ لَمْ تُدْبَغْ، وَيَجُوزُ اسْتِعْمَالُهَا =

= فِي الْمَائِعَاتِ وَالْيَابِسَاتِ وَهُوَ مَذْهَبُ الزُّهْرِيِّ، وَهُوَ وَجْهٌ شَاذٌ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا لَا تَقْرِيعَ عَلَيْهِ، وَلَا التِّفَاتَ إِلَيْهِ.

وَفِي حَلِيلِ ابْنِ وَغَلَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ دَلَالَةٌ لِمَذْهَبِ الْأَكْثَرِينَ أَنَّهُ يَظْهَرُ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ فَيَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْمَائِعَاتِ لِأَنَّ جُلُودَ مَا ذَكَّاهُ الْمَجُوسُ نَجِسَةٌ، وَقَدْ نَصَّ عَلَى طَهَارَتِهَا بِالدَّبَاغِ، وَاسْتِعْمَالِهَا فِي الْمَاءِ وَالْوَدَكِ.

وَقَدْ يَخْتَجُّ الزُّهْرِيُّ بِقَوْلِهِ ﷺ «أَلَا انْتَفَعْتُمْ بِإِهَابِهَا» وَلَمْ يَذْكُرْ دِبَاغَهَا، وَجَابَ عَنْهُ بِأَنَّهُ مُطْلَقٌ وَجَاءَتْ الرُّوَايَاتُ الْبَاقِيَةُ بَيَانِ الدَّبَاغِ، وَأَنَّ دِبَاغَهُ طَهُورُهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ اللُّغَةِ فِي الْإِهَابِ:

فَقِيلَ هُوَ الْجِلْدُ مُطْلَقًا، وَقِيلَ: هُوَ الْجِلْدُ قَبْلَ الدَّبَاغِ، فَأَمَّا بَعْدَهُ فَلَا يُسَمَّى إِهَابًا، وَجَمْعُهُ (أَهَبٌ، وَأُهْبٌ) يَفْتَحُ الْهَمْزَةَ وَالْهَاءُ وَبَضْمُهُمَا لُعْتَانِ، وَيُقَالُ: طَهَرَ الشَّيْءَ وَطَهَرَ بِفَتْحِ الْهَاءِ وَضَمِّهَا لُعْتَانِ وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَيَجُوزُ الدَّبَاغُ بِكُلِّ شَيْءٍ يُشْفَى فَضَلَاتِ الْجِلْدِ وَيُطَيَّبُهُ، وَيَمْنَعُ مِنْ وُرُودِ الْفَسَادِ عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ كَالشَّبِّ وَالشَّبِّ وَالْقَرِظِ وَقُشُورِ الرُّمَّانِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الطَّاهِرَةِ،

وَلَا يَخْضَلُ بِالتَّشْمِيسِ عِنْدَنَا،

وَقَالَ أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ: يَخْضَلُ،

وَلَا يَخْضَلُ عِنْدَنَا بِالثَّرَابِ وَالرَّمَادِ وَالْمِلْحِ عَلَى الْأَصَحِّ فِي الْجَمِيعِ.

وَقُلْ يَخْضَلُ بِالْأَدْوِيَةِ النُّجَسَةِ كَذَرْقِ الْحَمَامِ وَالشَّبِّ الْمُتَنَجِّسِ؟ فِيهِ وَجْهَانِ: أَصْحَبُهُمَا عِنْدَ الْأَصْحَابِ حُضُولُهُ،

=

.....

= رَجِبَ غَسْلُهُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الدُّبَاغِ بِلا خِلَافٍ .
وَلَوْ كَانَ دَبْنُهُ بِطَاهِرٍ فَهَلْ يُحْتَاجُ إِلَى غَسْلِهِ بَعْدَ الْفَرَاغِ؟ فِيهِ وَجْهَانِ .
وَهَلْ يُحْتَاجُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ فِي أَوَّلِ الدُّبَاغِ؟ فِيهِ وَجْهَانِ .
قَالَ أَصْحَابُنَا: وَلَا يَتَقَيَّرُ الدُّبَاغُ إِلَى فِعْلِ قَاعِلٍ، فَلَوْ أَطَارَتِ الرِّيحُ جَلَدَ مَيْتَةٍ
فَوَقَعَ فِي مَذْبَعَةٍ طَهَرَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وَإِذَا طَهَرَ بِالدُّبَاغِ جازَ الِانْتِفَاعُ بِهِ بِلا خِلَافٍ .
وَهَلْ يَجُوزُ بَيْعُهُ؟ فِيهِ قَوْلَانِ لِلشَّافِعِيِّ أَصْحُهُمَا: يَجُوزُ .
وَهَلْ يَجُوزُ أَكْلُهُ؟ فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ أَوْ أَقْوَالٍ:
أَصْحُهَا: لَا يَجُوزُ بِحَالٍ،
وَالثَّانِي: يَجُوزُ،
وَالثَّلَاثُ: يَجُوزُ أَكْلُ جِلْدِ مَأْكُولِ اللَّحْمِ، وَلَا يَجُوزُ غَيْرُهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . [ثُلُثُ:
هَذَا أَجْوَدُ]
وَإِذَا طَهَرَ الْجِلْدُ بِالدُّبَاغِ فَهَلْ يَظْهَرُ الشَّعْرُ الَّذِي عَلَيْهِ تَبَعًا لِلْجِلْدِ إِذَا قُلْنَا
بِالْمُخْتَارِ فِي مَذْهَبِنَا أَنَّ شَعْرَ الْمَيْتَةِ نَجِسٌ فِيهِ قَوْلَانِ لِلشَّافِعِيِّ: أَصْحُهُمَا
وَأَشْهَرُهُمَا: لَا يَظْهَرُ لِأَنَّ الدُّبَاغَ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ بِخِلَافِ الْجِلْدِ . [وَفِيهِ نَظَرُ،
وَالصَّوَابُ طَهَارَتُهُ وَأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ لِلدُّبَاغِ] .
قَالَ أَصْحَابُنَا: لَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ جِلْدِ الْمَيْتَةِ قَبْلَ الدُّبَاغِ فِي الْأَشْيَاءِ الرُّطْبَةِ،
وَيَجُوزُ فِي الْيَابِسَاتِ مَعَ كَرَاهَتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
رَوَى مُسْلِمٌ (٣٦٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٧٢٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤١٢٣)، وَالنَّسَائِيُّ =

= (٤٢٤١)، وَابْنُ مَاجَه (٣٦٠٩)، وَأَحْمَدُ (١٨٩٨، ٢٤٣١، ٣١٨٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا دُبِغَ الْإِهَابُ فَقَدْ طَهَّرَ». هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ.

وَلَفْظُ التِّرْمِذِيِّ (١٧٢٨) وَالنَّسَائِيِّ (٤٢٤١) وَابْنُ مَاجَه (٣٦٠٩) وَأَحْمَدُ (١٨٩٨، ٢٤٣١، ٣١٨٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا إِهَابٍ دُبِغَ فَقَدْ طَهَّرَ».

قَالَ فِي عَوْنِ الْمَعْبُودِ:

وَالْحَدِيثُ ذِيلٌ لِمَنْ قَالَ إِنَّ الدَّبَاغَ مُطَهَّرٌ لِجِلْدِ مَيْتَةٍ كُلِّ حَيَوَانٍ كَمَا يُفِيدُهُ لَفْظُ عُمُومِ كَلِمَةِ "أَيُّمَا" وَكَذَلِكَ لَفْظُ "الْإِهَابِ" يَشْمَلُ بِعُمُومِهِ جِلْدَ الْمَأْكُولِ اللَّحْمِ وَغَيْرِهِ.

قَالَ الْحَطَّابِيُّ: وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ جِلْدَ مَا لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ لَا يُسَمَّى إِهَابًا، وَدَهَبُوا إِلَى أَنَّ الدَّبَاغَ لَا يَعْمَلُ مِنَ الْمَيْتَةِ إِلَّا فِي جِلْدِ الْجَنْسِ الْمَأْكُولِ اللَّحْمِ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اسْمَ الْإِهَابِ يَتَنَاوَلُ جِلْدَ مَا لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ كَتَنَاوُلِهِ جِلْدَ الْمَأْكُولِ اللَّحْمِ: قَوْلُ عَائِشَةَ حِينَ وَصَفَتْ أَبَاهَا: (وَحَقَنَ الدَّمَاءَ فِي أَهْبَاهَا) تُرِيدُ بِهِ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ يَصِفُ كَلْبَيْنِ:

لَا يَذْخَرَانِ مِنَ الْإِبْغَالِ بَاقِيَةٌ حَتَّى يَكَادَ تُفَرِّى عَنْهُمَا الْأَهْبُ

انْتَهَى مُلَخَّصًا. [قُلْتُ: الْإِبْغَالُ: السَّيْرُ السَّرِيعُ وَالْإِمْنَعَانُ فِيهِ، وَتَوَعَّلَ فِي الْأَرْضِ إِذَا سَارَ فِيهَا وَأَبْعَدَ].

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤١٢٥)، وَأَحْمَدُ (١٥٤٧٨، ١٩٥٥٧، ١٩٥٦٧) عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْمُحَبِّقِ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَتَى عَلَى بَيْتٍ فَإِذَا قُرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ، =

= فَسَأَلَ الْمَاءَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا مَيِّتَةٌ، فَقَالَ: دَبَاغُهَا طُهُورُهَا ﴿وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ﴾.

قَالَ فِي عَوْنِ الْمَعْبُودِ: قَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي "الْمَعَالِمِ": هَذَا يَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ إِهَابَ الْمَيِّتَةِ إِذَا مَسَّهُ الْمَاءُ بَعْدَ الدَّبَاغِ يَنْجُسُ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ طَاهِرٌ كَطَهَارَةِ الْمَذْكُورِ، وَأَنَّهُ إِذَا بُسِطَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ أَوْ خُرِزَ مِنْهُ خُفٌّ فَصُلِّيَ فِيهِ جَازَ. انْتَهَى.

وَقَالَ ابْنُ قُدَّامَةَ فِي "الْمُعْنِيِّ":

(٧٥) فَضَّلَ: فَأَمَّا جُلُودُ السَّبَاعِ:

فَقَالَ الْقَاضِي: لَا يَجُوزُ الْإِنْتِفَاعُ بِهَا قَبْلَ الدَّبَاغِ، وَلَا بَعْدَهُ. وَبِذَلِكَ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَإِسْحَاقُ وَأَبُو ثَوْرٍ.

وَرَوَى عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهما، كَرَاهِيَةَ الصَّلَاةِ فِي جُلُودِ الثَّعَالِبِ، وَكَرِهَهُ سَعِيدُ ابْنُ جُبَيْرٍ، وَالْحَكَمُ، وَمَكْحُولٌ، وَإِسْحَاقُ

وَكَرِهَ الْإِنْتِفَاعَ بِجُلُودِ السَّنَائِرِ عَطَاءً، وَطَاوُسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ.

وَرَخَّصَ فِي جُلُودِ السَّبَاعِ جَابِرٌ،

وَرَوَى عَنْ ابْنِ سِيرِينَ وَعُرْوَةَ أَنَّهُمْ رَخَّصُوا فِي الرُّكُوبِ عَلَى جُلُودِ النُّمُورِ، وَرَخَّصَ فِيهَا الزُّهْرِيُّ وَأَبَا حَسَنِ، وَالشَّعْبِيُّ، وَأَضْحَابُ الرَّأْيِ، الصَّلَاةُ فِي جُلُودِ الثَّعَالِبِ: لِأَنَّ الثَّعَالِبَ تُفْدَى فِي الْإِحْرَامِ، فَكَانَتْ مُبَاحَةً، وَلَمَّا ثَبَتَ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى طَهَارَةِ جُلُودِ الْمَيِّتَةِ بِالدَّبَاغِ.

وَلَمَّا: مَا رَوَى أَبُو رِيحَانَةَ، قَالَ: ﴿كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ رُكُوبِ النُّمُورِ﴾ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٠٤٩)، وَالتَّسَائِيُّ (٥٠٩١) مُطَوَّلًا، وَابْنُ مَاجَةَ =

= (٣٦٥٥) [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ، وَالْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبَ، ﴿أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ لُبْسِ جُلُودِ السَّبَاعِ، وَالرُّكُوبِ عَلَيْهَا﴾. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٧٩٤) [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ (١٧٧١)، وَالدَّارِمِيُّ (١٩٨٣) عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ: ﴿أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ جُلُودِ السَّبَاعِ أَنْ تُفْتَرَشَ﴾.

وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤١٣٢) وَلَفْظُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ جُلُودِ السَّبَاعِ». [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

مَعَ مَا سَبَقَ مِنْ نَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَيْتَةِ. رَوَى التِّرْمِذِيُّ، وَأَمَّا الثَّعَالِبُ فَيَبْنِي حُكْمَهَا عَلَى جِلِّهَا، وَفِيهَا رَوَاتَانِ، كَذَلِكَ يُخْرَجُ فِي جُلُودِهَا؛ فَإِنْ قُلْنَا بِتَحْرِيمِهَا فَحُكْمُ جُلُودِهَا حُكْمُ جُلُودِ بَقِيَّةِ السَّبَاعِ، وَكَذَلِكَ السَّائِرُ الْبَرِّيَّةُ، فَأَمَّا الْأَهْلِيَّةُ فَمُحَرَّمَةٌ، وَهَلْ تَظْهَرُ جُلُودُهَا بِالدَّبَاغِ؟ يُخْرَجُ عَلَى رَوَاتَيْنِ.

(٧٦) فَضْلٌ: إِذَا قُلْنَا بِطَهَارَةِ الْجُلُودِ بِالدَّبَاغِ لَمْ يَظْهَرِ مِنْهَا جِلْدٌ مَا لَمْ يَكُنْ طَاهِرًا فِي الْحَيَاةِ، نَصَّ أَحْمَدُ عَلَى أَنَّهُ يَظْهَرُ.

وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: لَا يَظْهَرُ إِلَّا مَا كَانَ مَأْكُولَ اللَّحْمِ. وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَوْرَاعِيِّ وَأَبِي ثَوْرٍ وَإِسْحَاقَ؛ لِأَنَّهُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ﴿دَبَاغُ الْأَيْمِ ذَكَاتُهُ﴾. فَشَبَّهَ الدَّبَغَ بِالدَّكَاءِ؛ وَالدَّكَاءُ إِنَّمَا تُعْمَلُ فِي مَأْكُولِ اللَّحْمِ؛ وَلِأَنَّهُ أَحَدُ الْمُظْهَرِينَ لِلْجِلْدِ، فَلَمْ يُؤَثَّرْ فِي غَيْرِ مَأْكُولٍ كَالدَّبَّحِ.

وَقَطَّاهُ كَلَامُ أَحْمَدَ أَنَّ كُلَّ طَاهِرٍ فِي الْحَيَاةِ يَظْهَرُ بِالدَّبَّغِ؛ لِعُمُومِ لَفْظِهِ فِي ذَلِكَ؛ =

= وَلَآنَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَيُّمَا إِهَابٍ دُبِعَ فَقَدْ طَهَّرَ» يَتَنَاوَلُ السَّائِلُونَ وَغَيْرَهُ وَخَرَجَ مِنْهُ مَا كَانَ نَجَسًا فِي الْحَيَاةِ؛ لِكَوْنِ الدَّبْعِ إِنَّمَا يُؤَثِّرُ فِي دَفْعِ نَجَاسَةِ حَادِثَةٍ بِالْمَوْتِ، فَيَبْقَى فِيهَا عَذَاهُ عَلَى قَضِيَّةِ الْعُمُومِ.

وَحَدِيثُهُمْ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِالدَّكَاةِ التَّطْيِيبَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: رَائِحَةُ ذَكِيَّةٍ، أَيْ: طَيِّبَةٌ وَهَذَا يُطَيِّبُ الْجَمِيعَ. وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا: أَنَّهُ أَضَافَ الدَّكَاةَ إِلَى الْجِلْدِ خَاصَّةً، وَالَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ الْجِلْدُ هُوَ تَطْيِيبُهُ وَطَهَارَتُهُ، أَمَّا الدَّكَاةُ الَّتِي هِيَ الدَّبْنُ، فَلَا تُضَافُ إِلَّا إِلَى الْحَيَوَانِ كُلِّهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِالدَّكَاةِ الطَّهَارَةَ، فَسَمَّى الطَّهَارَةَ ذَكَاةً، فَيَكُونُ اللَّفْظُ عَامًّا فِي كُلِّ جِلْدٍ، فَيَتَنَاوَلُ مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ. اهـ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ (١٧٧١)، وَالدَّارِمِيُّ (١٩٨٣) عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ جُلُودِ السَّبَاعِ أَنْ تُفْتَرَشَ».

وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤١٣٢)، وَالنَّسَائِيُّ (٤٢٥٣)، وَأَحْمَدُ (٢٠١٨٢، ٢٠١٨٩) عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ بْنِ أُسَامَةَ عَنْ أَبِيهِ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ جُلُودِ السَّبَاعِ». [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤١٢٩)، وَأَحْمَدُ (١٦٢٩٨) عَنْ مُعَاوِيَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَرْكَبُوا الْحَزَّ وَلَا النَّمَارَ» [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

قَالَ فِي عَوْنِ الْمَعْبُودِ:

«لَا تَرْكَبُوا الْحَزَّ وَلَا النَّمَارَ»: جَمْعُ نَمِرٍ، وَالنَّمِرُ كَكَتِفٍ وَبِالْكَسْرِ سَبْعٌ مَعْرُوفَةٌ جَمْعُهُ أَنْمَرٌ وَأَنْمَارٌ وَنِمَارٌ وَنِمَارَةٌ وَنُمُورَةٌ، وَلِنَّمَا نَهَى عَنِ اسْتِعْمَالِ جُلُودِهِ لِمَا فِيهَا مِنَ الزَّيْنَةِ وَالْخُبْلَاءِ وَلَا تَزِي الْعَجَمَ، وَعُمُومُ النَّهْيِ شَامِلٌ لِلْمَذَكِّيِّ وَغَيْرِهِ وَالْكَلَامُ عَلَى الْحَزِّ تَفْسِيرًا وَحُكْمًا قَدْ تَقَدَّمَ. قَالَ فِي "النِّهَايَةِ": نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ =

= عَنْ رُكُوبِ النَّمَارِ وَفِي رِوَايَةِ الثُّمُورِ أَيْ جُلُودِ الثُّمُورِ وَهِيَ السَّبَاعُ الْمَعْرُوفَةُ وَاحِدُهَا نَمْرٌ، إِنَّمَا نَهَى عَنِ اسْتِعْمَالِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الزَّيْتَةِ وَالْخِيَلَاءِ وَلَا تَزِيُّ الْأَعَاجِمُ أَوْ لَأَنَّ شَعْرَهُ لَا يَقْبَلُ الدَّبَاغَ عِنْدَ أَحَدِ الْأَيِّمَةِ إِذَا كَانَ غَيْرَ ذَكِيٍّ وَلَعَلَّ أَكْثَرَ مَا كَانُوا يَأْخُذُونَ جُلُودَ الثُّمُورِ إِذَا مَاتَتْ لِأَنَّ اضْطِيَادَهَا عَسِيرٌ أَنْتَهَى.

(نَهَى عَنْ جُلُودِ السَّبَاعِ): قَدْ اسْتَدْلَلَ بِهِ عَلَى أَنَّ جُلُودَ السَّبَاعِ لَا يَجُوزُ الِانْتِفَاعُ بِهَا. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي حِكْمَةِ النَّهْيِ:

فَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: يَحْتَمِلُ أَنَّ النَّهْيَ وَقَعَ لِمَا يَبْقَى عَلَيْهَا مِنَ الشَّعْرِ لِأَنَّ الدَّبَاغَ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: يَحْتَمِلُ أَنَّ النَّهْيَ عَمَّا لَمْ يُذْبَغْ مِنْهَا لِأَجْلِ النَّجَاسَةِ أَوْ أَنَّ النَّهْيَ لِأَجْلِ أَنَّهَا مَرَاكِبُ أَهْلِ السَّرَفِ وَالْخِيَلَاءِ.

قَالَ الشُّوْكَانِيُّ مَا مُحْصَلُهُ: إِنَّ الاسْتِدْلَالَ بِحَدِيثِ النَّهْيِ عَنْ جُلُودِ السَّبَاعِ وَمَا فِيهِ مَعْنَاهُ عَلَى أَنَّ الدَّبَاغَ لَا يُطَهِّرُ جُلُودَ السَّبَاعِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ مُحْصَصٌ لِلْأَحَادِيثِ الْقَاضِيَةِ بِأَنَّ الدَّبَاغَ مُطَهِّرٌ عَلَى الْعُمُومِ غَيْرُ ظَاهِرٍ لِأَنَّ غَايَةَ مَا فِيهِ مُجَرَّدُ النَّهْيِ عَنِ الِانْتِفَاعِ بِهَا، وَلَا مُلَازِمَةٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ النَّجَاسَةِ كَمَا لَا مُلَازِمَةٌ بَيْنَ النَّهْيِ عَنِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ وَنَجَاسَتِهِمَا أَنْتَهَى.

حُكْمُ عِظَامِ الْمَيِّتَةِ وَقُرُونِهَا وَرِيشِهَا

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي الْفَتَاوَى الْكُبْرَى:

أَمَّا عِظَامُ الْمَيِّتَةِ وَقُرُونُهَا وَظَفَرُهَا، وَمَا هُوَ مِنْ جَنْسِ ذَلِكَ: كَالْحَافِرِ وَنَحْوِهِ وَشَعْرُهَا وَرِيشُهَا وَوَبَرُّهَا: فَفِيهَا لِلْعُلَمَاءِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: نَجَاسَةُ الْجَمِيعِ كَقَوْلِ الشَّافِعِيِّ فِي الْمَشْهُورِ، وَرِوَايَةُ عَنْ أَحْمَدَ . =

= والثاني: إِنَّ الْعِظَامَ وَنَحْوَهَا نَجَسَةٌ، وَالشُّعُورَ وَنَحْوَهَا طَاهِرَةٌ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ.

وَالثَّالِثُ: إِنَّ الْجَمِيعَ طَاهِرٌ كَقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَهُوَ قَوْلٌ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّوَابُ؛ لِأَنَّ الْأَضْلَ فِيهَا الطَّهَارَةُ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى النَّجَاسَةِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذِهِ الْأَغْيَانَ هِيَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، لَيْسَتْ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَتَدْخُلُ فِي آيَةِ التَّحْلِيلِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا لَمْ تَدْخُلْ فِيْمَا حَرَّمَهُ اللَّهُ مِنَ الْخَبَائِثِ لَا لَفْظًا وَلَا مَعْنَى. أَمَّا اللَّفْظُ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ...﴾ [المائدة: ٣] لَا يَدْخُلُ فِيهَا الشُّعُورُ وَمَا أَشْبَهَهَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمِيتَ ضِدُّ الْحَيِّ،

وَالْحَيَاءُ نَوْعَانِ: حَيَاءُ الْحَيَوَانَ وَحَيَاءُ النَّبَاتِ، فَحَيَاءُ الْحَيَوَانَ خَاصَّتُهَا الْحِسُّ وَالْحَرَكَةُ الْإِرَادِيَّةُ، وَحَيَاءُ النَّبَاتِ النُّمُوُّ وَالْإِغْتِزَاءُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ...﴾ [المائدة: ٣] إِنَّمَا هُوَ بِمَا فَارَقَتْهُ الْحَيَاءُ الْحَيَوَانِيَّةُ دُونَ النَّبَاتِيَّةِ، فَإِنَّ الزَّرْعَ وَالشَّجَرَ إِذَا يَبَسَ لَمْ يَنْجُسْ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ،

وَلِنَّمَا الْمِيتَةُ الْمَحْرُومَةُ: مَا كَانَ فِيهَا الْحِسُّ وَالْحَرَكَةُ الْإِرَادِيَّةُ، وَأَمَّا الشَّعْرُ فَإِنَّهُ يَنْمُو وَيَعْتَذِي وَيَطُولُ كَالزَّرْعِ، وَالزَّرْعُ لَيْسَ فِيهِ حِسٌّ وَلَا يَتَحَرَّكُ بِإِرَادَةٍ، وَلَا تَحُلُهُ الْحَيَاءُ الْحَيَوَانِيَّةُ حَتَّى يَمُوتَ بِمُفَارَقَتِهَا، وَلَا وَجْهَ لِتَنْجِيسِهِ. وَأَيْضًا: فَلَوْ كَانَ الشَّعْرُ جُزْءًا مِنَ الْحَيَوَانَ، لَمَا أُبِيحَ أَخْذُهُ فِي حَالِ الْحَيَاءِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ قَوْمٍ يَجُبُّونَ أَسْنِمَةَ الْإِبِلِ وَالْبَابِ الْغَنَمِ فَقَالَ: مَا أُبَيِّنَ مِنَ الْبَهِيمَةِ وَهِيَ حَيَّةٌ فَهُوَ مَيْتٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، فَلَمَّا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ =

= عَلَى أَنَّ الشَّعْرَ وَالصُّوفَ إِذَا جُزَّ مِنْ الْحَيَوَانِ كَانَ حَلَالًا طَاهِرًا عُلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ
مِثْلَ اللَّحْمِ.

وَأَيْضًا: فَقَدْ ثَبَتَ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَى شَعْرَهُ لَمَّا حَلَقَ رَأْسَهُ لِلْمُسْلِمِينَ»،
«وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَنْجِي وَيَسْتَجِيرُ»، فَمَنْ سَوَّى بَيْنَ الشَّعْرِ وَالْبَوْلِ وَالْعَذْرَةِ
فَقَدْ أَخْطَأَ خَطَأً مُبِينًا.

وَأَمَّا الْعِظَامُ وَنَحْوُهَا:

فَإِذَا قِيلَ: إِنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي الْمَيِّتَةِ؛ لِأَنَّهَا تَنْجُسُ،

فَقِيلَ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ: أَنْتُمْ لَمْ تَأْخُذُوا بِعُمُومِ اللَّفْظِ، فَإِنَّ مَا لَا نَفْسَ لَهُ سَائِلَةٌ
كَالدُّبَابِ وَالْعَقْرَبِ وَالْخُنْفَسَاءِ لَا يَنْجُسُ عِنْدَكُمْ وَعِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، مَعَ أَنَّهَا
مَيِّتَةٌ مَوْتًا حَيَوَانِيًّا.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا وَقَعَ الدُّبَابُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ
فَلْيَغْمِسْهُ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً، وَفِي الْآخَرِ شِفَاءً»،

وَمَنْ نَجَسَ هَذَا قَالَ فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ: إِنَّهُ لَا يَنْجُسُ الْمَائِعَاتِ الْوَاقِعَةَ فِيهِ لِهَذَا
الْحَدِيثِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ عُلِمَ أَنَّ عِلَّةَ نَجَاسَةِ الْمَيِّتَةِ إِنَّمَا هُوَ اخْتِبَاسُ الدَّمِ
فِيهَا،

فَمَا لَا نَفْسَ لَهُ سَائِلَةٌ لَيْسَ فِيهِ دَمٌ سَائِلٌ، فَإِذَا مَاتَ لَمْ يَخْتَبِئْ فِيهِ الدَّمُ فَلَا
يَنْجُسُ، فَالْعِظْمُ وَنَحْوُهُ أَوْلَى بِعَدَمِ التَّنَجُّسِ مِنْ هَذَا، فَإِنَّ الْعِظْمَ لَيْسَ فِيهِ دَمٌ
سَائِلٌ، وَلَا كَانَ مُتَحَرِّكًا بِالْإِرَادَةِ إِلَّا عَلَى وَجْهِ التَّبَعِ.

فَإِذَا كَانَ الْحَيَوَانُ الْكَامِلُ الْحَسَّاسُ الْمُتَحَرِّكُ بِالْإِرَادَةِ لَا يَنْجُسُ، لِكَوْنِهِ لَيْسَ
فِيهِ دَمٌ سَائِلٌ، فَكَيْفَ يَنْجُسُ الْعِظْمُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ دَمٌ سَائِلٌ؟

= وَمِمَّا يَبَيِّنُ صِحَّةَ قَوْلِ الْجُمْهُورِ:

أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْنَا الدَّمَ الْمَسْفُوحَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا...﴾ [الأنعام: ١٤٥].

فَإِذَا عَفَى عَنِ الدَّمِ غَيْرِ الْمَسْفُوحِ، مَعَ أَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الدَّمِ، حَيْثُ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَّقَ بَيْنَ الدَّمِ الَّذِي يَسِيلُ، وَبَيْنَ غَيْرِهِ، فَهَذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَضْنَعُونَ اللَّحْمَ فِي الْمَرَقِ، وَخُيُوطِ الدَّمِ فِي الْقَدْرِ تَبَيَّنَ، وَيَأْكُلُونَ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَخْبَرَتْ بِذَلِكَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَلَوْلَا هَذَا لَأَسْتَخْرَجُوا الدَّمَ مِنَ الْعُرُوقِ كَمَا يَفْعَلُ الْيَهُودُ.

وَاللَّهُ تَعَالَى حَرَّمَ مَا مَاتَ خَلْفَ الْفَرْسِ، أَوْ لِسَبَبٍ غَيْرِ جَارِحٍ مُحَدَّدٍ: كَالْمَوْقُودَةِ وَالْمُتَرَدِّيةِ وَالنَّطِيحَةِ ﴿وَحَرَّمَ﴾ مَا صِيدَ بِغَيْرِهِ مِنَ الْمِعْرَاضِ، وَقَالَ: إِنَّهُ وَقِيدٌ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا إِنَّمَا هُوَ سَفْحُ الدَّمِ، فَذَلِكَ عَلَى أَنَّ سَبَبَ التَّنَجِيسِ هُوَ اخْتِقَانُ الدَّمِ وَاخْتِبَاسُهُ،

وَإِذَا سُفِحَ بِوَجْهِ خَبِيثٍ بِأَنْ يُذْكَرَ عَلَيْهِ غَيْرُ اسْمِ اللَّهِ كَانَ الْخُبْثُ هُنَا مِنْ وَجْهِ آخَرَ،

فَإِنَّ التَّحْرِيمَ تَارَةً لَوْجُودِ الدَّمِ، وَتَارَةً لِفَسَادِ التَّذَكِّيَةِ: كَذِكَاةِ الْمَجُوسِيِّ وَالْمُرْتَدِّ، وَالدَّكَاةِ فِي غَيْرِ الْمَحَلِّ.

فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْعَظْمُ وَالظُّفْرُ وَالْقَرْنُ وَالظِّلْفُ وَغَيْرُ ذَلِكَ لَيْسَ فِيهِ دَمٌ مَسْفُوحٌ، فَلَا وَجْهَ لِتَنَجِيسِهِ، وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ السَّلَفِ.

= قَالَ الزُّهْرِيُّ: كَانَ خِيَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَمْشِطُونَ بِأَمْشَاطٍ مِنْ عِظَامِ الْفِيلِ، وَأَيْضًا فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: «عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي شَأْءٍ مِيمُونَةٌ: هَلَّا أَخَذْتُمْ إِهَابَهَا فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ. قَالُوا: إِنَّهَا مَيْتَةٌ؛ قَالَ: إِنَّمَا حَرَمَ أَكْلُهَا». فَإِذَا قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِنْتِفَاعَ بِالْجُلُودِ حَتَّى تُذْبَعَ، أَوْ قِيلَ: إِنَّهَا لَا تَظْهَرُ بِالدَّبَاغِ، لَمْ يَلْزَمْ تَحْرِيمُ الْعِظَامِ وَنَحْوِهَا؛ لِأَنَّ الْجِلْدَ جُزْءٌ مِنَ الْمَيْتَةِ فِيهِ الدَّمُ كَمَا فِي سَائِرِ أَجْزَائِهِ،

وَالنَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ ذَكَاتَهُ دِبَاغَهُ؛ لِأَنَّ الدَّبْعَ يُشْفَى رُطُوبَاتِهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ سَبَبَ التَّنَجِيسِ هُوَ الرُّطُوبَاتُ، وَالْعَظْمُ لَيْسَ فِيهِ نَفْسٌ سَائِلَةٌ، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْهَا فَإِنَّهُ يَجِفُّ وَيَبْسُ، وَهِيَ تَبْقَى وَتُحْفَظُ أَكْثَرَ مِنَ الْجِلْدِ، فَهِيَ أَوْلَى بِالطَّهَارَةِ مِنَ الْجِلْدِ،

وَالْعُلَمَاءُ تَنَازَعُوا فِي الدَّبَاغِ هَلْ يُطَهَّرُ؟

فَذَهَبَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ فِي الْمَشْهُورِ عَنْهُمَا: أَنَّهُ لَا يُطَهَّرُ، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالْجُمْهُورِ: أَنَّهُ يُطَهَّرُ، وَإِلَى هَذَا الْقَوْلِ رَجَعَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ التِّرْمِذِيِّ عَنْهُ.

وَحَدِيثُ ابْنِ عُكَيْمٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَاهُمْ أَنْ يَنْتَفِعُوا مِنَ الْمَيْتَةِ بِإِهَابٍ وَلَا عَصَبٍ، بَعْدَ أَنْ كَانَ أَذِنَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، لَكِنْ هَذَا قَدْ يَكُونُ قَبْلَ الدَّبَاغِ، فَيَكُونُ قَدْ رَخَّصَ، فَإِنَّ حَدِيثَ الزُّهْرِيِّ يَبَيِّنُ أَنَّهُ قَدْ رَخَّصَ فِي جُلُودِ الْمَيْتَةِ قَبْلَ الدَّبَاغِ، فَيَكُونُ قَدْ رَخَّصَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ ثُمَّ لَمَّا نَهَاهُمْ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا قَبْلَ الدَّبَاغِ نَهَاهُمْ ﷺ عَنْ ذَلِكَ،

وَلِهَذَا قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ إِنَّ الْإِهَابَ اسْمٌ كَمَا لَا يُذْبَعُ، وَلِهَذَا قَرَنَ مَعَهُ الْعَصَبَ، وَالْعَصَبُ لَا يُذْبَعُ. اهـ.

=

= وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي "الْمُعْنِي" :

أَضَلَّ: الْحَيَوَانُ صَرَّيَانِ:

الضَّرْبُ الْأَوَّلُ: مَا لَيْسَتْ لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ: وَهُوَ نَوْعَانِ:

الأَوَّلُ: مَا يَتَوَلَّدُ مِنَ الطَّاهِرَاتِ، فَهُوَ طَاهِرٌ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.

الثَّانِي: مَا يَتَوَلَّدُ مِنَ النَّجَاسَاتِ، كَدُودِ الْحُشِّ وَصَرَاصِرِهِ، فَهُوَ نَجِسٌ حَيًّا وَمَيِّتًا؛ لِأَنَّهُ مُتَوَلَّدٌ مِنَ النَّجَاسَةِ فَكَانَ نَجِسًا، كَوَلَدِ الْكَلْبِ وَالْخَنَزِيرِ.

قَالَ أَحْمَدُ: صَرَاصِرُ الْكَيْفِ وَالْبَالُوَعَةِ إِذَا وَقَعَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ الْحُبِّ صُبًّا، وَصَرَاصِرُ الْبُرِّ لَيْسَتْ بِقَذِرَةٍ وَلَا تَأْكُلُ الْعَذِرَةَ.

الضَّرْبُ الثَّانِي: مَا لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: مَا بُخِجَ مَيِّتُهُ، وَهُوَ السَّمَكُ وَسَائِرُ حَيَوَانِ الْبَحْرِ الَّذِي لَا يَعِيشُ إِلَّا فِي الْمَاءِ، فَهُوَ طَاهِرٌ حَيًّا وَمَيِّتًا، لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يُبَخَّ أَكْلُهُ، وَإِنْ غَيَّرَ الْمَاءَ لَمْ يَمْنَعْ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ التَّحَرُّزُ مِنْهُ.

النَّوْعُ الثَّانِي: مَا لَا بُخَاجَ مَيِّتُهُ غَيْرَ الْآدَمِيِّ؛ كَحَيَوَانِ الْبَرِّ الْمَأْكُولِ، وَغَيْرِهِ كَحَيَوَانِ الْبَحْرِ الَّذِي يَعِيشُ فِي الْبَرِّ، كَالضَّفَدَعِ، وَالتَّمْسَاحِ، وَشَبَهَيْهِمَا، فَكُلُّ ذَلِكَ يَنْجُسُ بِالسُّوْتِ، وَيُنَجِّسُ الْمَاءَ الْقَلِيلَ إِذَا مَاتَ فِيهِ، وَالكَثِيرَ إِذَا غَيَّرَهُ.

وَبِهَذَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَبُو يُوسُفَ.

وَقَالَ مَالِكٌ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، فِي الضَّفَدِ إِذَا مَاتَتْ فِي الْمَاءِ لَا تُفْسِدُهُ؛ لِأَنَّهَا تَعِيشُ فِي الْمَاءِ أَشْبَهَتْ السَّمَكَ.

وَلَكِنَّا: أَنَّهَا تُنَجِّسُ غَيْرَ الْمَاءِ، فَتُنَجِّسُ الْمَاءَ، كَحَيَوَانِ الْبَرِّ؛ وَلِأَنَّهُ حَيَوَانٌ لَهُ =

= نَفْسٌ سَائِلَةٌ، لَا تُبَاحُ مَيِّتُهُ فَأَشْبَهَ طَيْرَ الْمَاءِ، وَيُقَارَى السَّمَكَ؛ فَإِنَّهُ مُبَاحٌ، وَلَا يُنَجَسُ غَيْرَ الْمَاءِ.

الرَّغُ الثَّالِثُ: الْأَدَمِيُّ الصَّحِيحُ فِي الْمَذْهَبِ أَنَّهُ ظَاهِرٌ حَيًّا وَمَيِّتًا؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لَا يَنْجُسُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَحْمَدَ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ بَثْرٍ وَقَعَ فِيهَا إِنْسَانٌ، فَمَاتَ؟ قَالَ: يُنَزَّحُ حَتَّى يَغْلِبَهُمْ.

وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، قَالَ: يَنْجُسُ وَيَظْهَرُ بِالْغَسْلِ؛ لِأَنَّهُ حَيَوَانٌ لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ، فَتَنْجَسُ بِالْمَوْتِ، كَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ. وَلِلشَّافِعِيِّ قَوْلَانِ. كَالرَّوَايَتَيْنِ. وَالصَّحِيحُ مَا ذَكَرْنَا أَوَّلًا؛ لِلْخَبَرِ؛ وَلِأَنَّهُ أَدَمِيٌّ، فَلَمْ يَنْجُسْ بِالْمَوْتِ، كَالشَّهِيدِ؛ وَلِأَنَّهُ لَوْ نَجَسَ بِالْمَوْتِ لَمْ يَظْهَرْ بِالْغَسْلِ؛ كَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَنْجُسُ، وَلَمْ يَفَرَّقْ أَصْحَابُنَا بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ؛ لِاسْتِوَائِهِمَا فِي الْأَدَمِيَّةِ، وَفِي حَالِ الْحَيَاةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَنْجُسَ الْكَافِرُ بِمَوْتِهِ؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ إِنَّمَا وَرَدَ فِي الْمُسْلِمِ، وَلَا يَصِحُّ قِيَاسُ الْكَافِرِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهُ حُرْمَةٌ كَحُرْمَةِ الْمُسْلِمِ.

فَصَلَ: وَحُكْمُ أَجْزَاءِ الْأَدَمِيِّ وَأَبْعَاضِهِ حُكْمُ جُمْلَتِهِ، سَوَاءً انْفَصَلَتْ فِي حَيَاتِهِ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِ؛ لِأَنَّهَا أَجْزَاءٌ مِنْ جِسْمِهِ فَكَانَ حُكْمُهَا كَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالنَّجَسَةِ؛ لِأَنَّهَا يُصَلَّى عَلَيْهَا، فَكَانَتْ ظَاهِرَةً كَجُمْلَتِهِ.

فَصَلَ فِي التَّوَرِخِ وَجِهَانِ:

أَحَدُهُمَا: لَا يَنْجُسُ بِالْمَوْتِ؛ لِأَنَّهُ لَا نَفْسَ لَهُ سَائِلَةً، أَشْبَهَ الْعُقْرَبَ؛ وَلِأَنَّهُ إِنْ شُكَّ فِي نَجَاسَتِهِ فَالْمَاءُ يَبْقَى عَلَى أَضْلِهِ فِي الطَّهَارَةِ.

= **وَالثَّانِي:** أَنَّهُ يَنْجُسُ؛ لِمَا رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (إِنْ مَاتَتْ الْوَرَعَةُ أَوْ الْفَارَةُ فِي الْحُبِّ يُصَبُّ مَا فِيهِ، وَإِذَا مَاتَتْ فِي بَثْرٍ فَانْزَحْهَا حَتَّى تَغْلِبَكَ).
[الْحُبُّ: بِالْجِيمِ: الْبَثْرُ، مُذَكَّرٌ. وَقِيلَ: هِيَ الْبَثْرُ لَمْ تُطَوَّ. وَالْحُبُّ: بِالْحَاءِ: الْجَرَّةُ الضَّخْمَةُ، وَهِيَ الْخَابِيَةُ].

وَقَالَ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ" شَرْحَ "الْمُهَذَّبِ":
رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْهُ: "كَانَتْ قَبِيعَةُ سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فِضَّةٍ"
" قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ كَاتِبُ الْوَاقِدِيِّ فِي الطَّبَقَاتِ الْقَدَرِ الْمَذْكُورِ فِي الْمُهَذَّبِ كُلُّهُ بِالطَّرِيقِ الَّذِي رَوَاهُ مِنْهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ فَجَمِيعُ الْحَدِيثِ عَلَى شَرْطِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ فَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ [وَضَعْفُهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَالْقَبِيعَةُ بِفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ عَلَى رَأْسِ قَائِمِ السَّيْفِ وَطَرَفٌ مِقْبَضِهِ، وَتَعْلُ السَّيْفِ مَا يَكُونُ فِي أَسْفَلِ غِمْدِهِ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ فِضَّةٍ وَنَحْوِهِمَا.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: "كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَشْرَبُ فِي قَدَحٍ فِيهِ حَلَقَةُ فِضَّةٍ وَلَا صَبَّةُ فِضَّةٍ" وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها بِمَعْنَاهُ وَهُوَ حَسَنٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمته الله: (وَأَكْرَهُ الْمُضَيَّبَ بِالْفِضَّةِ لِئَلَّا يَكُونَ شَارِبًا عَلَى فِضَّةٍ)،
وَلِلْأَصْحَابِ فِي الْمَسْأَلَةِ أَرْبَعَةُ أَجَوِبٍ:
(أَحَدُهَا): إِنْ كَانَ قَلِيلًا لِلْحَاجَةِ لَمْ يُكْرَهُ، وَإِنْ كَانَ لِلزَّيْتِ كُرْهٌ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا حَرَمٌ، وَإِنْ كَانَ لِلْحَاجَةِ كُرْهٌ.

(وَالْوَجْهُ الثَّانِي): إِنْ كَانَ فِي مَوْضِعِ الْإِسْتِعْمَالِ كَمَوْضِعِ فَمِ الشَّارِبِ حَرَمٌ، =

= وَإِلَّا فَلَا .

(وَالثَّالِثُ): يُكْرَهُ وَلَا يَحْرُمُ بِحَالٍ .

(وَالرَّابِعُ): يَحْرُمُ بِكُلِّ حَالٍ لِمَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،

وَالْوَجْهَ الْأَوَّلَ وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ .

(فَرْعٌ فِي بَيَانِ الْحَاجَةِ وَالْقِلَّةِ :

أَمَّا الْحَاجَةُ: فَالْمُرَادُ بِهَا عَرَضٌ يَتَعَلَّقُ بِالتَّضْيِيبِ سِوَى الرِّبَا، كإِضْلَاحِ مَوْضِعِ الْكُسْرِ وَنَحْوِهِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ بِهِ مَوْضِعَ الْكُسْرِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يَسْتَمْسِكُ بِهِ، وَلَا يُشْتَرَطُ الْعَجْزُ عَنِ التَّضْيِيبِ بِنُحَاسٍ وَحَدِيدٍ وَغَيْرِهِمَا .

وَأَمَّا ضَبْطُ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ فَفِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ :

(أَحَدُهَا): أَنَّ الْكَثِيرَ هُوَ الَّذِي يَسْتَوْعِبُ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْإِنَاءِ بِكَمَالِهِ كَأَعْلَاهُ أَوْ أَسْفَلِهِ أَوْ شَفْتِهِ أَوْ عُرْوَتِهِ أَوْ شَبَهُ ذَلِكَ، وَالْقَلِيلُ مَا دُونَهُ؛ فَإِذَا اسْتَوْعَبَتْ الْفِضَّةُ جُزْءًا كَامِلًا خَرَجَ عَنْ أَنْ يَكُونَ تَابِعًا لِلْإِنَاءِ، وَخَرَجَ الْإِنَاءُ عَنْ أَنْ يَكُونَ إِنَاءً نُحَاسٍ أَوْ حَدِيدٍ مَثَلًا، بَلْ يُقَالُ إِنَاءٌ مُرَكَّبٌ مِنْ نُحَاسٍ وَفِضَّةٍ، لِكُونَ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ الْمَقْصُودَةِ بِكَمَالِهِ فِضَّةً، بِخِلَافِ مَا إِذَا لَمْ يَسْتَوْعِبْ جُزْءًا بِكَمَالِهِ فَإِنَّهُ يَقَعُ مَغْمُورًا تَابِعًا، وَلَا يُعَدُّ الْإِنَاءُ بِسَبَبِهِ مُرَكَّبًا مِنْ فِضَّةٍ وَنُحَاسٍ، وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ حَسَنٌ .

(وَالْوَجْهَ الثَّانِي): أَنَّ الرُّجُوعَ فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثَرَةِ إِلَى الْعُرْفِ، وَدَلِيلُهُ أَنَّ مَا أُطْلِقَ وَلَمْ يُحَدَّ رُجِعَ فِي ضَبْطِهِ إِلَى الْعُرْفِ كَالْقَبْضِ فِي الْبَيْعِ وَالْحِرْزِ فِي السَّرِقَةِ وَإِخْيَاءِ الْمَوَاتِ وَنَظَائِرِهَا .

(وَالثَّالِثُ): وَهُوَ اخْتِيَارُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ وَالْعَزَالِيِّ وَمَنْ تَابَعَهُمَا أَنَّ الْكَثِيرَ =

= مَا يَلْمَعُ لِلنَّاطِرِ عَلَى بُعْدٍ، وَالْقَلِيلَ مَا لَا يَلْمَعُ، وَمَرَادُهُمْ مَا لَا يَخْرُجُ عَنِ
الِاعْتِدَالِ وَالْعَادَةِ فِي رِقَّتِهِ وَغِلْظِهِ، وَهَذَا الْوَجْهُ فِيهِ ضَعْفٌ، وَالْمُخْتَارُ الرُّجُوعُ
إِلَى الْعَرَفِ، وَالْوَجْهُ الْمَشْهُورُ حَسَنٌ مُتَّبَعٌ أَيْضًا.
وَمَنْ شَكَّكَنَا فِي الْكَثْرَةِ فَلَا ضِلَّ الْإِبَاحَةُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
(فَرَعَ) إِذَا ضَبَّ الْإِنَاءَ تَضْيِيبًا جَائِزًا فَلَهُ اسْتِعْمَالُهُ مَعَ وُجُودِ غَيْرِهِ مِنَ الْآيَةِ الَّتِي
لَا فَضَّةَ فِيهَا، وَهَذَا لَا خِلَافَ فِيهِ.

نُروِّعُ تَعَلُّقَ بِالْأَوَّلِيِّ:

(أَحَدُهَا): لَوْ شَرِبَ بِكَفِّهِ وَفِي أَضْبُعِهِ خَاتَمٌ فَضَّةٌ لَمْ يُكْرَهُ،
وَكَذَا لَوْ صَبَّ الدَّرَاهِمَ فِي إِنَاءٍ وَشَرِبَ مِنْهُ، أَوْ كَانَ فِي فَمِهِ دَنَانِيرُ وَدَرَاهِمُ
فَشَرِبَ لَمْ يُكْرَهُ، وَلَوْ أَثْبَتَ الدَّرَاهِمَ فِي الْإِنَاءِ بِمَسَامِيرَ لِلزُّبَيْنَةِ فَهُوَ كَالضَّبَّةِ
لِلزُّبَيْنَةِ، وَقَطَعَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ بِجَوَازِهِ.

(الثَّانِي): لَوْ اتَّخَذَ إِنَاءً مِنْ نَحَبٍ أَوْ فِضَّةٍ وَطَلَاهُ بِنُحَاسٍ دَاخِلَهُ وَخَارِجَهُ
فَوَجَّهَانِ مَشْهُورَانِ: أَصَحُّهُمَا: لَا يَخْرُمُ،

قَالُوا: وَهُمَا مَبْنِيَّانِ عَلَى أَنَّ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ حَرَامٌ لِعَيْنِهِمَا أَمْ لِلْخِيَلَاءِ؟
إِنْ قُلْنَا لِعَيْنِهِمَا حَرَمٌ وَإِلَّا فَلَا،

وَقَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ: إِنْ غَشَى ظَاهِرُهُ فَفِيهِ الْوَجَّهَانِ، وَإِنْ غَشَى ظَاهِرُهُ وَدَاخِلُهُ
فَالَّذِي أَرَاهُ الْقَطْعُ بِجَوَازِ اسْتِعْمَالِهِ؛ لِأَنَّهُ إِنَاءٌ نُحَاسٍ أُدْرِجَ فِيهِ ذَهَبٌ مُسْتَتِرٌ.
وَلَوْ اتَّخَذَ إِنَاءً مِنْ نُحَاسٍ وَمَوَّهَهُ بِذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ:

قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَالْغَزَالِيُّ فِي الْبَسِيطِ وَالرَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُمْ: إِنْ كَانَ يَتَجَمُّعُ =

.....

= مِنْهُ شَيْءٌ بِالنَّارِ حَرْمٌ اسْتِعْمَالُهُ، وَإِلَّا فَوَجْهَانِ بِنَاءٍ عَلَى الْمَعْنَيْنِ. وَالْأَصَحُّ لَا يَحْرُمُ.

وَقَدْ جَزَمَ الْمَاوَرِدِيُّ وَالْجُرْجَانِيُّ بِأَنَّهُ إِذَا غُشِيَ جَمِيعُهُ بِالْفِضَّةِ حَرْمٌ اسْتِعْمَالُهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(الثَّالِثُ): لَوْ كَانَ لَهُ قَدَحٌ عَلَيْهِ سِلْسِلَةٌ فَضَّةٌ:

قَالَ الْمُتَوَلَّى وَالبَغَوِيُّ: لَوْ اتَّخَذَ لِإِنَائِهِ حَلَقَةً أَوْ سِلْسِلَةً فَضَّةً أَوْ رَأْسًا - جَارًا - لِأَنَّهُ مُنْفَصِلٌ عَنِ الْإِنَاءِ لَا يَسْتَعْمَلُهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ كَالْتَضْيِيبِ، وَيَجِيءُ فِيهِ التَّفْصِيلُ وَالْخِلَافُ.

(الرَّابِعُ): إِذَا قُلْنَا إِنَّ الْمُضَبَّ بِذَهَبٍ كَالْمُضَبِّ بِفِضَّةٍ فَهَلْ يُسَوَّى بَيْنَهُمَا فِي التَّفْصِيلِ فِي الصَّغَرِ وَالْكِبَرِ عَلَى مَا سَبَقَ؟ قَالَ الرَّافِعِيُّ: وَقِيَاسُ الْبَابِ أَنْ لَا فَرْقَ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الرَّافِعِيُّ هُوَ الصَّحِيحُ، لِأَنَّ مَا أَخَذَ الْمَسْأَلَةَ أَنَّ بَعْضَ الْإِنَاءِ كَالْإِنَاءِ أَمْ لَا؟ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(الْحَامِسُ): لَوْ أُضْطُرَّ إِلَى اسْتِعْمَالِ إِنَاءٍ وَلَمْ يَجِدْ إِلَّا ذَهَبًا أَوْ فَضَّةً جَارًا اسْتِعْمَالُهُ حَالُ الضَّرُورَةِ.

(فَرَعٌ) فِي مَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ فِي الْمُضَبِّ بِالْفِضَّةِ:

قَدْ ذَكَرْنَا تَفْصِيلَ مَذْهَبِنَا فِيهِ،

وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ أَنَّ جُمْهُورَ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى كَرَاهَةِ الضَّبِّ وَالْحَلَقَةِ مِنَ الْفِضَّةِ، قَالَ: وَجَوَّزَهُمَا أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَمُهُ عَلَى الْفِضَّةِ فِي الشُّرْبِ، هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي، وَالْمَعْرُوفُ عَنْ أَحْمَدَ كَرَاهَةُ الْمُضَبِّ.

بَابُ الاسْتِجَاءِ وَأَدَابِ التَّحْلِي

(الاستِجَاءُ: هُوَ إِزَالَةُ مَا خَرَجَ مِنَ السَّيْلَيْنِ بِمَاءٍ ظَهُورٍ، أَوْ حَبْرِ طَاهِرٍ مُبَاحٍ مُتَّقٍ):

قَالَ فِي "الشَّرْحِ": وَالِاسْتِجْمَارُ بِالْخَشَبِ وَالْخِرْقِ وَمَا فِي مَعْنَاهُمَا مِمَّا يُنْتَقَى جَائِزٌ فِي قَوْلِ الْأَكْثَرِ، وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «نَهَانَا أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ عَظْمٍ»، وَتَخْصِيصُهَا بِالنَّهْيِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الْحِجَارَةَ وَمَا قَامَ مَقَامَهَا ^(١).

(١) الْاسْتِجْنَاءُ: يُسَمَّى أَيْضًا الْاسْتِطَابَةُ وَالْإِطَابَةُ: كِنَايَةٌ عَنِ الْاسْتِجْنَاءِ؛ وَسُمِّيَ بِهِمَا مِنَ الطَّيِّبِ، لِأَنَّهُ يُطَيَّبُ جَسَدَهُ بِإِزَالَةِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَبَثِ بِالِاسْتِجْنَاءِ، أَيْ يُطَهَّرُهُ. وَيُقَالُ مِنْهُ: اسْتَطَابَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُسْتَطِيبٌ، وَأَطَابَ نَفْسَهُ فَهُوَ مُطِيبٌ.

ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: أَطَابَ الرَّجُلُ وَاسْتَطَابَ إِذَا اسْتَنْجَى، وَأَزَالَ الْأَذَى. وَالتَّجْوُّ: مَا يَخْرُجُ مِنَ الْبَطْنِ مِنْ رِيحٍ وَغَائِطٍ، وَقَدْ نَجَا الْإِنْسَانُ وَالْكَلْبُ نَجَوْا. وَالِاسْتِجْنَاءُ: الْاِغْتِسَالُ بِالْمَاءِ مِنَ التَّجْوِ وَالتَّمَسُّحُ بِالْحِجَارَةِ مِنْهُ. وَقَالَ كُرَاعٌ: هُوَ قَطْعُ الْأَذَى بَأَيِّهِمَا كَانَ.

وَالِاسْتَنْجِيْتُ بِالْمَاءِ وَالْحِجَارَةِ أَيْ تَطَهَّرْتُ بِهَا. الْكِسَائِيُّ: جَلَسْتُ عَلَى الْغَائِطِ فَمَا أَنْجَيْتُ.

الرَّجَّاجُ: يُقَالُ مَا أَنْجَى فُلَانٌ شَيْئًا، وَمَا نَجَا مِنْذُ أَيَّامٍ أَيْ لَمْ يَأْتِ الْغَائِطُ. وَالِاسْتِجْنَاءُ: التَّنْظُفُ بِمَدَرٍ أَوْ مَاءٍ. وَاسْتَنْجَى أَيْ مَسَحَ مَوْضِعَ التَّجْوِ أَوْ غَسَلَهُ. وَيُقَالُ: أَنْجَى أَيْ أَحَدَثَ. وَشَرِبَ دَوَاءً فَمَا أَنْجَاهُ أَيْ مَا أَقَامَهُ. =

(فَالْإِنْقَاءُ بِالْحَجَرِ وَنَحْوِهِ أَنْ يَبْقَى أَثَرٌ لَا يُزِيلُهُ إِلَّا الْمَاءُ) بِأَنْ تَزُولَ النِّجَاسَةُ وَبَلَّتْهَا، فَيُخْرَجَ آخِرُهَا نَقِيًّا لَا أَثَرَ بِهِ.

(وَلَا يُجْزَى أَقَلُّ مِنْ ثَلَاثِ مَسَحَاتٍ، نَعْمُ كُلُّ مَسْحَةِ الْمَحَلِّ) لِقَوْلِ سَلْمَانَ: «نَهَانَا - يَعْنِي النَّبِيُّ ﷺ - أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، وَأَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلِّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، وَأَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ عَظْمٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَالْإِنْقَاءُ بِالْمَاءِ: عَوْدُ خُسُونَةِ الْمَحَلِّ كَمَا كَانَ، وَظَنُّهُ كَافِيًا، دَفْعًا لِلْحَرَجِ.

= الْأَضْمَعِيُّ: أَنْجَى فُلَانٌ إِذَا جَلَسَ عَلَى الْغَائِطِ يَتَغَوَّطُ. وَالنَّجْوَى: الْعَذْرَةُ نَفْسُهُ. وَاسْتَنْجَيْتُ النَّخْلَةَ إِذَا أَلْقَيْتَهَا؛ وَفِي الصَّحَاحِ: إِذَا لَقَطْتَ رُطْبَهَا.

وَقَالَ فِي "الْمَجْمُوعِ":

الِاسْتِطَابَةُ، وَالِاسْتِنْجَاءُ، وَالِاسْتِنْجَامُ: عِبَارَاتٌ عَنْ إِزَالَةِ الْخَارِجِ مِنَ السَّيْلَيْنِ عَنْ مَخْرَجِهِ، فَالِاسْتِطَابَةُ وَالِاسْتِنْجَاءُ يَكُونَانِ تَارَةً بِالْمَاءِ وَتَارَةً بِالْأَحْجَارِ، وَالِاسْتِنْجَامُ يَخْتَصُّ بِالْأَحْجَارِ مَأْخُودًا مِنَ الْجِمَارِ وَهِيَ الْحَصَى الصَّغَارُ، وَأَمَّا الْإِسْطَابَةُ فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تُطَيَّبُ نَفْسُهُ بِإِزَالَةِ الْخَبَثِ.

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: يُقَالُ اسْتَطَابَ يَسْتَطِيبُ فَهُوَ مُسْتَطِيبٌ، وَأَطَابَ يُطِيبُ فَهُوَ مُطِيبٌ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ، وَأَمَّا الْإِسْتِنْجَاءُ فَقَالَ شِمْرٌ: هُوَ مَأْخُودٌ مِنْ نَجَوْتِ الشَّجَرِ وَأَنْجَيْتُهَا، إِذَا قَطَعْتَهَا، كَأَنَّهُ يَقْطَعُ الْأَذَى عَنْهُ، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: هُوَ مَأْخُودٌ مِنَ النَّجْوَةِ، وَهِيَ مَا يَرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ قَضَاءَ الْحَاجَةِ تَسْتَرَّ بِنَجْوَةٍ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: قَوْلُ شِمْرِ أَصَحُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

رَوَى مُسْلِمٌ (٢٦٢) عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمُ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ قَالَ: فَقَالَ: ﴿أَجَلٌ لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ﴾ ^(١).

(١) قَالَ النَّوَوِيُّ فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ":

قَوْلُهُ: (وَأَنْ لَا يَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ) هُوَ مِنْ أَدَبِ الْإِسْتِنْجَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنِ الْإِسْتِنْجَاءِ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ الْجَمَاهِيرُ عَلَى أَنَّهُ نَهْيٌ تَنْزِيهِ وَأَدَبٌ لَا نَهْيٌ تَحْرِيمٍ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الظَّاهِرِ إِلَى أَنَّهُ حَرَامٌ، وَأَشَارَ إِلَى تَحْرِيمِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، وَلَا تُعْوَلُ عَلَى إِشَارَتِهِمْ.

قَالَ أَصْحَابُنَا: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْإِسْتِنْجَاءِ إِلَّا لِعُذْرٍ،

فَإِذَا اسْتَنْجَى بِمَاءٍ صَبَّهَ بِالْيُمْنَى وَمَسَحَ بِالْيُسْرَى،

وَإِذَا اسْتَنْجَى بِحَجَرٍ فَإِنْ كَانَ فِي الدُّبْرِ مَسَحَ بِيَسَارِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي الْقُبْلِ وَأَمْكَنَهُ وَضَعَ الْحَجَرَ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ بَيْنَ قَدَمَيْهِ بِحَيْثُ يَتَأَتَّى مَسْحُهُ أَمْسَكَ الذَّكَرَ بِيَسَارِهِ وَمَسَحَهُ عَلَى الْحَجَرِ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنَهُ ذَلِكَ وَاضْطَرَّ إِلَى حَمْلِ الْحَجَرِ حَمَلَهُ بِيَمِينِهِ وَأَمْسَكَ الذَّكَرَ بِيَسَارِهِ وَمَسَحَ بِهَا وَلَا يُحْرَكُ الْيُمْنَى، هَذَا هُوَ الصَّوَابُ.

وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: يَأْخُذُ الذَّكَرَ بِيَمِينِهِ وَالْحَجَرَ بِيَسَارِهِ وَيَمْسَحُ وَيُحْرَكُ الْيُسْرَى، وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّهُ يَمَسُّ الذَّكَرَ بِيَمِينِهِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

.....

= ثُمَّ إِنَّ فِي النَّهْيِ عَنِ الاسْتِنْجَاءِ بِالْيَمِينِ تَنْبِيْهَا عَلَى إِكْرَامِهَا وَصِيَانَتِهَا عَنِ الْأَقْذَارِ وَنَحْوِهَا .

قَوْلُهُ: (أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ) هَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ صَحِيحٌ فِي أَنَّ اسْتِيفَاءَ ثَلَاثِ مَسَحَاتٍ وَاجِبٌ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا خِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ،

فَمَذْهَبُنَا أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي الاسْتِنْجَاءِ بِالْحَجَرِ مِنْ إِزَالَةِ عَيْنِ النَّجَاسَةِ وَاسْتِيفَاءِ ثَلَاثِ مَسَحَاتٍ، فَلَوْ مَسَحَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فَزَالَتْ عَيْنُ النَّجَاسَةِ وَجَبَ مَسْحُهُ ثَالِثَةً، وَبِهَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ وَأَبُو ثَوْرٍ.

وَقَالَ مَالِكٌ وَدَاوُدُ: الْوَاجِبُ الْإِنْقَاءُ، فَإِنْ حَصَلَ بِحَجَرٍ أَجْزَأُهُ، وَهُوَ وَجْهٌ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا.

قَالَ أَصْحَابُنَا: وَلَوْ اسْتَنْجَى بِحَجَرٍ لَهُ ثَلَاثَةُ أَحْرُفٍ مَسَحَ بِكُلِّ حَرْفٍ مَسْحَةً أَجْزَأُهُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الْمَسَحَاتُ وَالْأَحْجَارُ الثَّلَاثَةُ أَفْضَلُ مِنْ حَجَرٍ لَهُ ثَلَاثَةُ أَحْرُفٍ،

وَلَوْ اسْتَنْجَى فِي الْقُبْلِ وَالْأُتْرُقِ وَجَبَ سِتُّ مَسَحَاتٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ ثَلَاثُ مَسَحَاتٍ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَكُونَ سِتَّةَ أَحْجَارٍ فَإِنْ اقْتَصَرَ عَلَى حَجَرٍ وَاحِدٍ لَهُ سِتَّةُ أَحْرُفٍ أَجْزَأُهُ، وَكَذَلِكَ الْحَرْفَةُ الْمُنِيَّةُ الَّتِي إِذَا مَسَحَ بِهَا لَا يَصِلُ الْبَلَلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ يَجُوزُ أَنْ يَمَسَحَ بِجَانِبِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ أَصْحَابُنَا: وَإِذَا حَصَلَ الْإِنْقَاءُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ فَلَا زِيَادَةَ عَلَيْهَا، فَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ بِثَلَاثَةٍ وَجَبَ رَابِعٌ، فَإِنْ حَصَلَ الْإِنْقَاءُ بِهِ لَمْ تَجِبِ الزِّيَادَةُ، وَلَكِنْ يُسْتَحَبُّ الْإِيتَارُ بِخَامِسٍ، فَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ بِالْأَرْبَعَةِ وَجَبَ خَامِسٌ، فَإِنْ حَصَلَ بِهِ فَلَا زِيَادَةَ =

= وَهَكَذَا فِيمَا زَادَ، مَتَى حَصَلَ الْإِنْقَاءُ بِوَثْرِ فَلَا زِيَادَةَ، وَإِلَّا وَجِبَ الْإِنْقَاءُ وَاسْتَحْبَبَ الْإِيَّارُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَأَمَّا نَهْيُهُ ﷺ عَلَى الْأَحْجَارِ فَقَدْ تَعَلَّقَ بِهِ بَعْضُ أَهْلِ الظَّاهِرِ، وَقَالُوا: الْحَجَرُ مُتَعَيَّنٌ لَا يُجْزَى غَيْرُهُ، وَذَهَبَ الْعُلَمَاءُ كَافَّةً مِنْ الطَّوَائِفِ كُلِّهَا إِلَى أَنَّ الْحَجَرَ لَيْسَ مُتَعَيَّنًا بَلْ يَقُومُ الْخَرَقُ وَالْخَشَبُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مَقَامَهُ، وَأَنَّ النِّعْنِيَّ فِيهِ كَوْنُهُ مُزِيلًا، وَهَذَا يَحْصُلُ بِغَيْرِ الْحَجَرِ.

وَإِنَّمَا قَالَ ﷺ: (ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ لِكُونِهَا الْعَالِبُ الْمُتَيَسِّرُ فَلَا يَكُونُ لَهُ مَفْهُومٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَدْنَاكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ...﴾ [الأنعام: ١٥١] وَنَظَائِرِهِ، وَيَنْدُلُّ عَلَى عَدَمِ تَعَيُّنِ الْحَجَرِ نَهْيُهُ ﷺ عَنِ الْعِظَامِ وَالْبَعْرِ وَالرَّجِيعِ، وَلَوْ كَانَ الْحَجَرُ مُتَعَيَّنًا لَنَهَى عَنْ سِوَاهُ مُطْلَقًا.

قَالَ أَصْحَابُنَا: وَالَّذِي يَقُومُ مَقَامَ الْحَجَرِ كُلُّ جَامِدٍ طَاهِرٍ مُزِيلٍ لِلْعَيْنِ لَيْسَ لَهُ حُرْمَةٌ وَلَا هُوَ جُزْءٌ مِنْ حَيَوَانٍ.

قَالُوا: وَلَا يَشْتَرِطُ اتِّحَادُ جَنْسِهِ، فَيَجُوزُ فِي الْقُبْلِ أَحْجَارٌ وَفِي الدُّبْرِ خَرَقٌ، وَيَجُوزُ فِي أَحَدِهِمَا حَجَرٌ مَعَ خِرْقَتَيْنِ أَوْ مَعَ خِرْقَةٍ وَخَشَبَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ (أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ عَظْمٍ) فِيهِ النَّهْيُ عَنِ الْإِسْتِنْجَاءِ بِالنَّجَاسَةِ وَبِهِ ﷺ بِالرَّجِيعِ عَلَى جِنْسِ النَّجَسِ، فَإِنَّ الرَّجِيعَ هُوَ الرُّوثُ، وَأَمَّا الْعَظْمُ فَلِكُونِهِ طَعَامًا لِلْجِنِّ فَنَبَهَ عَلَى جَمِيعِ الْمَطْعُومَاتِ، وَتَلَحُّقُ بِهِ الْمُخْتَرِمَاتُ كَأَجْزَاءِ الْحَيَوَانِ وَأَوْرَاقِ كُتُبِ الْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا فَرْقَ فِي النَّجَسِ بَيْنَ الْمَائِعِ وَالْجَامِدِ، فَإِنَّ اسْتَنْجَاءَ بِنَجَسٍ لَمْ يَصِحَّ اسْتِنْجَاؤُهُ، وَوَجِبَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِسْتِنْجَاءُ بِالنَّمَاءِ وَلَا يُجْزِئُهُ الْحَجَرُ؛ لِأَنَّ الْمَوْضِعَ صَارَ نَجَسًا بِنَجَاسَةِ أَجْنَبِيَّةٍ.

=

(وَيُسْنُ الْاسْتِنْجَاءَ بِالْحَجَرِ وَنَحْوِهِ ثُمَّ بِالْمَاءِ) لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :
 ﴿مُرَّنْ أَرْوَاجَكُنَّ أَنْ يُتْبِعُوا الْحِجَارَةَ بِالْمَاءِ مِنْ أَثَرِ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ؛
 فَإِنِّي أَسْتَحْيِيهِمْ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَفْعَلُهُ﴾ ^(١)، فَإِنْ عَكَسَ، كُرْهٌ.
 نَصَّ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْحَجَرَ بَعْدَ الْمَاءِ يُقَدَّرُ الْمَحَلُّ.

(وَيُجْزَى أَحَدُهُمَا) أَيِ الْحَجَرِ أَوْ الْمَاءِ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ﴿كَانَ
 النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ الْخَلَاءَ، فَأَحْمِلُ أَنَا وَغُلَامٌ نَحْوِي إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ وَعَنْزَةً،
 فَيَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَحَدِيثُ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا: ﴿إِذَا ذَهَبَ
 أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَائِطِ فَلْيَسْتَطِبْ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، فَإِنَّهَا تُجْزَى عَنْهُ﴾ رَوَاهُ
 أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]

= وَلَوْ اسْتَنْجَى بِمَقْلُومٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْمُخْتَرَمَاتِ الطَّاهِرَاتِ فَلَا صِحَّ أَنْهُ لَا يَصِحُّ
 اسْتِنْجَاؤُهُ، وَلَكِنْ يُجْزَى الْحَجَرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَقْلَ النَّجَاسَةِ مِنْ
 مَوْضِعِهَا. وَقِيلَ: إِنْ اسْتِنْجَاهُ الْأَوَّلُ يُجْزَى مَعَ الْمَعْصِيَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ [قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: لَا أَضِلُّ لَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ يَغْنِي بِذِكْرِ الْمَاءِ بَعْدَ
 الْحِجَارَةِ اهـ. وَرَوَى النَّسَائِيُّ (٤٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩)، وَأَحْمَدُ (٢٤٨٥٠)،
 (٢٥٤٦٣) عَنْ مُعَاذَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ﴿مُرَّنْ أَرْوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ
 فَإِنِّي أَسْتَحْيِيهِمْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُهُ﴾. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَفِي الْبَابِ عَنْ جَرِيرِ
 ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ وَأَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ
 وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَخْتَارُونَ الْاسْتِنْجَاءَ بِالْمَاءِ وَإِنْ كَانَ الْاسْتِنْجَاءُ
 بِالْحِجَارَةِ يُجْزَى عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْاسْتِنْجَاءَ بِالْمَاءِ وَرَأَوْهُ أَفْضَلَ وَبِهِ يَقُولُ
 سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ اهـ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.]

(وَالْمَاءُ أَفْضَلُ) لِأَنَّهُ أَبْلَغُ فِي التَّنْظِيفِ وَيُطَهِّرُ الْمَحَلَّ، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: ﴿نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءٍ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [الثَّوبَةُ: ١٠٨] قَالَ: كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْمَاءِ فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]

(وَيُكْرَهُ اسْتِشْبَالُ الْقِبْلَةِ، وَاسْتِنْبَارُهَا فِي الْاسْتِجْبَاءِ) تَعْظِيمًا لَهَا.

(وَيُحْرَمُ يَرَوْثُ وَعَظَمٌ) لِحَدِيثِ سَلْمَانَ الْمُتَقَدِّمِ.

(وَعَطَامٌ وَلَوْ لِيُهِيمَ) لِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿لَا تَسْتَنْجُوا بِالرَّوْثِ وَلَا بِالْعِظَامِ، فَإِنَّهُ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْجَنِّ﴾ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَلَّلَ النَّهْيَ بِكَوْنِهِ زَادًا لِلْجَنِّ، فَزَادْنَا وَزَادُ دَوَابِّنَا أَوْلَى، لِأَنَّهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً.

(فَإِنْ فَعَلَ لَمْ يُجْزِهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا الْمَاءُ) لِأَنَّ اسْتِجْمَارَ رُخْصَةٍ فَلَا تُسْتَبَاحُ بِالْمُحَرَّمِ، كَسَائِرِ الرُّخَصِ. قَالَهُ فِي "الْكَافِي".

(كَمَا لَوْ تَعَدَّى الْخَارِجُ مَوْضِعَ الْعَادَةِ) فَلَا يُجْزَى إِلَّا الْمَاءُ، لِأَنَّ اسْتِجْمَارَ فِي الْمُعْتَادِ رُخْصَةٌ لِلْمَشَقَّةِ فِي غَسْلِهِ، لِتَكَرُّارِ النَّجَاسَةِ فِيهِ، بِخِلَافِ غَيْرِهِ.

(وَيَجِبُ الْاسْتِجْبَاءُ لِكُلِّ خَارِجٍ) وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ. قَالَهُ فِي "الشَّرْحِ".

لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الْمَذْيِ: «يَغْسِلُ ذَكَرَهُ وَيَتَوَضَّأُ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ]. وَقَالَ: «إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَائِطِ فَلْيَذْهَبْ مَعَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ فَإِنَّهَا تُجْزِي عَنْهُ» (١).

رَوَى الْبُخَارِيُّ (٢٦٩)، وَمُسْلِمٌ (٣٠٣) عَنْ عَلِيٍّ ؓ قَالَ: «كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً فَأَمَرْتُ رَجُلًا أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ لِمَكَانِ ابْتِنِهِ؛ فَسَأَلَ فَقَالَ: تَوَضَّأَ وَاغْسَلَ ذَكَرَكَ» (٢).

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٠)، وَالتَّسَائِيُّ (٤٤)، وَأَحْمَدُ (٢٤٢٥٠، ٢٤٤٩١)، وَالدَّارِمِيُّ (٦٧٠) عَنْ عَائِشَةَ ؓ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٢) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي "فَتْحِ الْبَارِي":

وَاسْتَدِلَّ بِقَوْلِهِ ﷺ: «تَوَضَّأَ»: عَلَى أَنَّ الْغُسْلَ لَا يَجِبُ بِخُرُوجِ الْمَذْيِ، وَهُوَ إِجْمَاعٌ، وَعَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالْوُضُوءِ مِنْهُ كَالْأَمْرِ بِالْوُضُوءِ مِنَ الْبَوْلِ.

وَاسْتَدَلَّ بِهِ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ عَلَى تَعَيُّنِ الْمَاءِ فِيهِ دُونَ الْأَحْجَارِ وَنَحْوِهَا لِأَنَّ ظَاهِرَهُ يُعَيِّنُ الْغُسْلَ وَالْمُعَيَّنُ لَا يَقَعُ الْاِمْتِنَالُ إِلَّا بِهِ، وَهَذَا مَا صَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ، وَصَحَّحَ فِي بَاقِي كُتُبِهِ جَوَازَ الْاِقْتِصَارِ إِلْحَاقًا بِالْبَوْلِ وَحَمْلًا لِلْأَمْرِ بِغُسْلِهِ عَلَى الِاسْتِحْبَابِ أَوْ عَلَى أَنَّهُ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ وَهَذَا الْمَعْرُوفُ فِي الْمَذْهَبِ،

وَاسْتَدَلَّ بِهِ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ عَلَى إِجَابِ اسْتِعَايِهِ بِالْغُسْلِ عَمَلًا بِالْحَقِيقَةِ،

لَكِنَّ الْجُمْهُورَ نَظَرُوا إِلَى الْمَعْنَى، فَإِنَّ الْمَوْجِبَ لِعَسَلِهِ إِنَّمَا هُوَ خُرُوجُ الْخَارِجِ فَلَا تَجِبُ الْمُجَاوِزَةُ إِلَى غَيْرِ مَحَلِّهِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ فِي رِوَايَةٍ: =

.....

= **﴿فَقَالَ تَوَضَّأْ وَاغْسِلْهُ﴾** فَأَعَادَ الضَّمِيرُ عَلَى الْمَذْيِ .
وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ **﴿مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ﴾** فَإِنَّ النَّفْسَ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى مَسِّ جَمِيعِهِ .
وَاخْتَلَفَ الْقَائِلُونَ بِوُجُوبِ غَسْلِ جَمِيعِهِ : هَلْ هُوَ مَعْقُولُ الْمَعْنَى أَوْ لِلتَّعْبُدِ؟
فَعَلَى الثَّانِي تَجِبُ النَّيَّةُ فِيهِ قَالَ الطَّحَاوِيُّ: لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ بِغَسْلِهِ لَوُجُوبِ غَسْلِهِ
كُلُّهُ بَلْ لِيَتَقَلَّصَ فَيَنْطَلُ خُرُوجُهُ كَمَا فِي الضَّرْعِ إِذَا غُسِلَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ يَتَفَرَّقُ لَبَنُهُ
إِلَى دَاخِلِ الضَّرْعِ فَيَنْقَطِعُ بِخُرُوجِهِ .
وَاسْتَدِلَّ بِهِ أَيْضًا عَلَى نَجَاسَةِ الْمَذْيِ وَهُوَ ظَاهِرٌ .
وَاسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى وَجُوبِ الْوُضُوءِ عَلَى مَنْ بِهِ سَلَسُ الْمَذْيِ ؛ لِلْأَمْرِ بِالْوُضُوءِ مَعَ
الْوَضْفِ بِصِغَةِ الْمُبَالَغَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْكَثْرَةِ .
وَمَعْلُومٌ إِنَّ دَقِيقَ الْعَبِيدِ بَأَنَّ الْكَثْرَةَ هُنَا نَاشِئَةٌ عَنْ غَلَبَةِ الشَّهْوَةِ مَعَ صِحَّةِ الْجَسَدِ
يَخْلَافُ صَاحِبِ السَّلَسِ فَإِنَّهُ يَنْشَأُ عَنْ غَلَّةٍ فِي الْجَسَدِ . اهـ .
وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٢٠٧) عَنْ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ: **﴿أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ؓ**
أَمَرَهُ أَنْ يَسْأَلَ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ إِذَا دَنَا مِنْ أَهْلِهِ فَخَرَجَ مِنْهُ الْمَذْيُ مَاذَا
عَلَيْهِ؟ فَإِنْ عِنْدِي ابْنَتُهُ وَأَنَا أَسْتَحْيِي أَنْ أَسْأَلَهُ، قَالَ الْمُقَدَّادُ: فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلْيَنْضَحْ فَرْجَهُ وَلْيَتَوَضَّأْ وَضُوءَهُ
لِلصَّلَاةِ﴾ وَفِي رِوَايَةٍ: **﴿لِيَغْسِلَ ذَكَرَهُ وَأُنْثْيَاهُ﴾** . [وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ رِوَايَةَ: وَأُنْثْيَاهُ] .
قَالَ فِي عَوْنِ الْمُعْبُودِ: (لِيَغْسِلَ ذَكَرَهُ وَأُنْثْيَاهُ): قَالَ الْخَطَّابِيُّ: أَمَرَ بِغَسْلِ
الْأُنْثَيْنِ بِيَزَادَةِ التَّطْهِيرِ لِأَنَّ الْمَذْيَ رُبَّمَا انْتَشَرَ فَأَصَابَ الْأُنْثَيْنِ، وَيُقَالُ إِنَّ الْمَاءَ
الْبَارِدَ إِذَا أَصَابَ الْأُنْثَيْنِ رَدَّ الْمَذْيَ فَلِذَلِكَ أَمَرَهُ بِغَسْلِهَا .
=

(إِلَّا الظَّاهِرَ) كَالْمَنِيِّ، وَكَالرَّيْحِ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ نَجَسَةً، وَلَا تَضَحِبُهَا نَجَاسَةٌ، قَالَهُ فِي "الشَّرْحِ" وَالْكَافِي لِحَدِيثِ: ﴿مَنْ اسْتَنْجَى مِنَ الرَّيْحِ فَلَيْسَ مِنَّا﴾ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الصَّغِيرِ [ضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ جَدًّا]، قَالَ أَحْمَدُ: لَيْسَ فِي الرَّيْحِ اسْتِنْجَاءٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ. (وَالنَّجَسَ الَّذِي لَمْ يُلَوِّثِ الْمَحَلَّ) لِأَنَّ الْاسْتِنْجَاءَ إِنَّمَا شُرِعَ لِإِزَالَةِ النَّجَاسَةِ، وَلَا نَجَاسَةَ هُنَا.

(يُسَنُّ لِدَاخِلِ الْخَلَاءِ تَقْدِيمُ الْبُسْرِ) لِأَنَّهَا لِمَا خَبُثَ. (وَقَوْلُ: بِسْمِ اللَّهِ، أَهْوَدُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ) لِحَدِيثِ عَلِيِّ مَرْفُوعًا: ﴿سَتَرُ مَا بَيْنَ الْجَنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ﴾ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]، وَعَنْ أَنَسٍ:

= قَالَ الْمُتَذَكِّرِيُّ: وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَلَمْ يَذْكُرْ أَثْنَيْهِ. وَحَدِيثُ زُهَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ يَدُلُّ عَلَى غَسْلِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى. وَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْمَقْدَادِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْأُنْثَى قَارَأَ الْمُؤَلِّفُ ذَكَرَ أَنَّ رِوَايَةَ غَسْلِ الْأُنْثَى غَيْرُ وَارِدَةٍ مِنْ وَجْهِ صَحِيحٍ لِأَنَّ حَدِيثَ زُهَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ مُرْسَلٌ وَأَكْثَرُ الرُّوَايَاتِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا فِي هَذَا الْبَابِ خَالِيَةٌ عَنْ ذِكْرِ الْأُنْثَى، لَكِنَّ رِوَايَةَ أَبِي عَوَانَةَ عَنْ عَلِيٍّ بِزِيَادَةِ الْأُنْثَى، قَالَ الْحَافِظُ: وَإِسْنَادُهُ لَا مَطْعَنَ فِيهِ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الرُّوَايَتَيْنِ لِإِمْكَانِ الْجَمْعِ بِغَسْلِهِمَا مَعَ غَسْلِ الْفَرْجِ اهـ..

﴿ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ ﴾ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ.

(وَإِذَا خَرَجَ قَدَّمَ الْيَمَنِيَّ) لِأَنَّهَا تُقَدَّمُ إِلَى الْأَمَاكِنِ الطَّيِّبَةِ ^(١).

(١) قَالَ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ" شَرْحَ "الْمُهَذَّبِ":

(قُرْعٌ) قَالَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ: يُسْتَحَبُّ تَقْلِيمُ الْيَمِينِ فِي كُلِّ مَا هُوَ مِنْ بَابِ التَّكْرِيمِ كَالْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ وَلُبْسِ الثَّوبِ وَالتَّغْلِ وَالْخُفِّ وَالسَّرَاوِيلِ وَدُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالسَّوَاكِ وَالِائْتِحَالِ وَتَقْلِيمِ الْأَطْفَارِ وَقَصِّ الشَّارِبِ وَتَنْفِ الْإِبِطِ وَحَلْقِ الرَّأْسِ وَالسَّلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْخَلَاءِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْمُصَافَحَةِ وَاسْتِلَامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَالْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهُ، وَيُسْتَحَبُّ تَقْلِيمُ الْبَسَارِ فِي ضِدِّ ذَلِكَ كَالَاِمْتِخَاطِ وَالِاسْتِنْجَاءِ وَدُخُولِ الْخَلَاءِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ وَخَلْعِ الْخُفِّ وَالسَّرَاوِيلِ وَالثَّوبِ وَالتَّغْلِ وَفِعْلِ الْمُسْتَقْدَرَاتِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ.

وَدَلِيلُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي الصَّحِيحِ:

مِنْهَا حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا " قَالَتْ: ﴿كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّبَمُّنُ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ فِي طَهْوَرِهِ وَتَرْجُلِهِ وَتَنْعُلِهِ﴾ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ،

وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا قَالَتْ: ﴿كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيُمْنَى لَطَهْوَرِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتْ الْبُسْرَى لِمَخْلَافَتِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَدَى﴾، حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٣)، وَأَحْمَدُ (٢٤٧٩٣) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ. [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]،

وَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لَطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ، وَيَسَارَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ﴾، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٢)، وَأَحْمَدُ (٢٥٩٢٠) بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ. [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

=

(وَقَالَ: غُفْرَانُكَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى وَعَافَانِي) لِحَدِيثِ عَائِشَةَ: ﴿كَانَ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ: غُفْرَانُكَ﴾ حَسَنُهُ التِّرْمِذِيُّ [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] وَعَنْ أَنَسٍ: ﴿كَانَ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى وَعَافَانِي﴾ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ [وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ]

(وَيُكْرَهُ فِي حَالِ التَّخَلِّيِ اسْتِثْبَالُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ) تَكْرِيمًا لَهُمَا^(١).

= وَعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها ﴿أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهْنٌ فِي غُسْلِ ابْنَتِي رضي الله عنها: ابْدَأْ بِمَيَامِينِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا﴾ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤١٤١)، وَابْنُ مَاجَةَ (٤٠٢)، وَأَحْمَدُ (٨٤٣٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِذَا لَبِسْتُمْ وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ فَأَبْدُوا بِأَيْمَانِكُمْ﴾. [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَبَتَّ الْإِتْدَاءُ فِي الْوُضُوءِ بِالْيَمِينِ مِنْ رِوَايَةِ عُثْمَانَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ رضي الله عنهم وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمْنَى وَإِذَا نَزَعَ بَدَأْ بِالشَّمَالِ لِتَكُونَ الْيَمْنَى أُولَهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ﴾. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: ﴿مِنَ السُّنَّةِ إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيَمْنَى وَإِذَا خَرَجْتَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُسْرَى﴾ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ فِي أَوَائِلِ بَابِ صِفَةِ الصَّلَاةِ " (١ / ٢٩٧ / ٧٩١) وَقَالَ: هُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي "السُّنَنِ الْكُبْرَى" (٢ / ٤٤٢ / ٤٤٩٤): [وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ" (٢٤٧٨)].

(١) ثَلَاثٌ: وَذَكَرَهُ ابْنُ قُدَامَةَ فِي الْمَغْنِيِّ وَقَالَ: (٢٢٥) فَضَّلْ: وَيُكْرَهُ أَنْ يَسْتَقْبَلَ الشَّمْسَ =

(وَمَهَبُ الرِّيحِ) لِقَلَّا تَرُدَّ الْبَوْلَ عَلَيْهِ .

(وَالْكَلَامُ) نَصَّ عَلَيْهِ، لِقَوْلِ ابْنِ عُمرَ: ﴿مَرَّ رَجُلٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبُولُ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ﴾ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

(وَالْبَوْلُ فِي إِثَاءٍ) بِلا حَاجَةٍ نَصَّ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَتْ لَمْ يُكْرَهُ لِحَدِيثِ أُمِّمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(١) .

= وَالْقَمَرَ بِفَرْجِهِ ؛ لِمَا فِيهِمَا مِنْ نُورِ اللَّهِ تَعَالَى . فَإِنْ اسْتَرَّ عَنْهُمَا بِشَيْءٍ فَلَا بَأْسَ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ اسْتَرَّ عَنِ الْقِبْلَةِ جَاَزَ فَهَاهُنَا أُولَى .

وَأَنكَرَهُ النَّوَوِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ" وَقَالَ: قَالَ الْمُصَنِّفُ فِي "التَّنْبِيهِ" وَكَثِيرُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا: يُسَحَّبُ أَنْ لَا يَسْتَقْبِلَ الشَّمْسَ وَلَا الْقَمَرَ، وَاسْتَأْنَسُوا فِيهِ بِحَدِيثِ ضَعِيفٍ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لِاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ . أَحَدُهَا: أَنَّ دَلِيلَ الْقِبْلَةِ صَحِيحٌ مَشْهُورٌ، وَدَلِيلَ هَذَا ضَعِيفٌ بَلْ بَاطِلٌ، وَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْهُ الْمُصَنِّفُ، وَلَا كَثِيرُونَ وَلَا الشَّافِعِيُّ، وَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ بِالِاسْتِحْبَابِ يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ، وَلَا دَلِيلَ فِي الْمَسْأَلَةِ . الثَّانِي: يُفَرَّقُ فِي الْقِبْلَةِ بَيْنَ الصَّخَرَاءِ وَالْبِنَاءِ، وَلَا فَرْقَ هُنَا . الثَّالِثُ: النَّهْيُ فِي الْقِبْلَةِ لِلتَّحْرِيمِ وَهُنَا لِلتَّنْزِيهِ . الرَّابِعُ: أَنَّهُ فِي الْقِبْلَةِ يَسْتَوِي الْإِسْتِقْبَالُ وَالِاسْتِدْبَارُ، وَهُنَا لَا بَأْسَ بِالِاسْتِدْبَارِ وَإِنَّمَا كَرِهُوا الْإِسْتِقْبَالَ . اهـ .

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٤)، وَالنَّسَائِيُّ (٣٢، ٥٧٥٣) مِنْ طَرِيقِ حَجَّاجٍ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ حَكِيمَةَ بِنْتِ أُمِّمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ عَنْ أُمِّهَا أَنَّهَا قَالَتْ: ﴿كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَدَحٌ مِنْ عِيدَانٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ يَبُولُ فِيهِ بِاللَّيْلِ﴾ [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] .

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ": رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَلَمْ يُضَعِّفُوهُ، =

(وَشَقُّ) لَأَنَّهَا مَسَاكِينُ الْجَنِّ، لِحَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُيَالَى فِي الْجُحْرِ»، قَالُوا لِقَتَادَةَ: مَا يُكْرَهُ مِنَ الْبَوْلِ فِي الْجُحْرِ؟ قَالَ: "يُقَالُ: إِنَّهَا مَسَاكِينُ الْجَنِّ" رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ [ضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ]، وَرَوَى "أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ بَالَ فِي جُحْرِ بِالشَّامِ، ثُمَّ اسْتَلْقَى مَيِّتًا" (١).

(وَنَارٍ) لِأَنَّهُ يُورِثُ السُّقَمَ، وَذَكَرَ فِي "الرُّعَايَةِ": وَرَمَادٍ (٢).

= وَأُمِيمَةٌ وَرُقِيقَةٌ بِضَمِّ أَوَّلِهِمَا، وَرُقِيقَةٌ بِقَافَيْنِ. وَقَوْلُهَا: مِنْ عِيدَانِهِ هُوَ - بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهِمَلَةِ - وَهِيَ النَّخْلُ الطَّوَالُ الْمُتَجَرِّدَةُ مِنَ السَّعْفِ، الْوَاحِدَةُ عِيدَانُهُ.

(١) [قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: لَا يَصِحُّ عَلَى أَنَّهُ مَشْهُورٌ عِنْدَ الْمُؤَرِّخِينَ، وَأَشَارَ "صَاحِبُ التَّكْمِيلِ" إِلَى تَخْسِينِهِ فَقَالَ: رَوَى الْقِصَّةَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي "الْمُصَنَّفِ": (٥٩٧/٣) عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: (قَامَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ يَبُولُ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: إِنِّي لَأَجِدُ فِي ظَهْرِي شَيْئًا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فَتَنَاحَتْهُ الْجِنُّ فَقَالُوا:

نَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْخَزُرَجِ سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ رَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ فَلَمْ نُخْطِئْ فُقُودَهُ).

وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ: (٦١٧/٣) وَ (٣١٩/٧) مِثْلَهُ عَنْ ابْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، وَرَوَاهُ الْأَضْمَعِيُّ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ بِلَالٍ عَنْ أَبِي رَجَاءٍ بَنِي حَوْهٍ... ثُمَّ قَالَ: وَهَذِهِ الْمَرَاسِيلُ إِذَا اجْتَمَعَتْ قَوَّتِ الْقِصَّةَ وَحُكِمَ لَهَا بِالْحَسَنِ. اهـ. مُخْتَصَرًا].

(٢) وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ الْحَبَلِيُّ فِي "الْمُغْنِي": نُصُولٌ فِي آدَبِ الشُّعْلِيِّ

لَا يَجُوزُ اسْتِئْثَالُ الْيَبَلَةِ فِي الْقَضَاءِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، فِي قَوْلِ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِمَا رَوَى أَبُو أَيُّوبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطُ =

= فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يُؤَلِّهَا ظَهْرَهُ، وَلَكِنْ شَرُّقُوا أَوْ غَرْبُوا قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَقَدِمْنَا الشَّامَ فَوَجَدْنَا مَرَا حِيضَ قَدْ بُنِيتْ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، فَتَنَحَّرَفْ عَنْهَا وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ﷻ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَأَمَّا فِي الْبَيْتَانِ، أَوْ إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ شَيْءٌ يَسْتُرُهُ فَبِهِ رَوَايَتَانِ: إِحْدَاهُمَا: لَا يَجُوزُ أَيْضًا. وَهُوَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ لِعُمُومِ الْأَحَادِيثِ فِي النَّهْيِ.

وَالثَّانِيَةُ: يَجُوزُ اسْتِقْبَالُهَا وَاسْتِبَارُهَا فِي الْبَيْتَانِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الْعَبَّاسِ وَابْنِ عُمَرَ ﷺ وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ: وَالشَّافِعِيُّ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَهُوَ الصَّحِيحُ. وَيُخْرَجُ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الرِّيحَ؛ لِئَلَّا تَرُدَّ عَلَيْهِ رَشَاشَ الْبَوْلِ، فَيَنْجَسَهُ.

أَفْضَلُ: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَسْتُرَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنْ وَجَدَ حَائِطًا أَوْ كَثِييًّا أَوْ شَجَرَةً أَوْ بَعِيرًا اسْتَرَّ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا أَبْعَدَ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ؛ لِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَتَى الْغَائِطَ فَلْيَسْتُرْ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا أَنْ يَجْمَعَ كَثِييًّا مِنَ الرَّمْلِ فَلْيَسْتَدْبِرْهُ» وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ «أَنَّهُ خَرَجَ وَمَعَهُ دَرَقَةٌ، ثُمَّ اسْتَرَّ بِهَا، ثُمَّ بَالَ». وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ الْبَرَارَ انْطَلَقَ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ». وَالْبَرَارُ: الْمَوْضِعُ الْبَارِزُ، سُمِّيَ قَضَاءُ الْحَاجَةِ بِهِ؛ لِأَنَّهَا تُقْضَى فِيهِ.

وَعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَهَبَ أَبْعَدَ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١)، وَالنَّسَائِيُّ (١٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٠)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٣١)، وَأَحْمَدُ (١٧٧٠٥) عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. رَوَى أَحَادِيثَ هَذَا الْفَضْلِ كُلَّهَا أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ: «كَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ لِحَاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشٌ نَحْلٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٤٢). =

= فصل: وَيُسَخِّبُ أَنْ يَزَادَ لِيُولَهُ مَوْضِعًا رَخْوًا، لِئَلَّا يَتَرَشَّشَ عَلَيْهِ.

وَيُسَخِّبُ أَنْ يَبُولَ قَاعِدًا، لِئَلَّا يَتَرَشَّشَ عَلَيْهِ.

فصل: وَيُسَخِّبُ أَنْ لَا يَرْفَعُ ثَوْبَهُ حَتَّى يَذْنُو مِنَ الْأَرْضِ، لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ (١١) عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ «كَانَ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَّةَ لَا يَرْفَعُ ثَوْبَهُ حَتَّى يَذْنُو مِنَ الْأَرْضِ» [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]؛ وَلَآنَ ذَلِكَ أَسْتَرُّ لَهُ فَيَكُونُ أَوْلَى.

فصل: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَبُولَ فِي طَرِيقِ النَّاسِ، وَلَا مَوْرِدِ مَاءٍ، وَلَا ظِلٍّ يَبْخُغُ بِهِ النَّاسُ؛ لِمَا رَوَى مُعَاذٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِينَ الثَّلَاثَةَ - الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٦)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٢٨) وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ. وَرَوَى مُسْلِمٌ (٢٦٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٥)، وَأَحْمَدُ (٨٦٣٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا اللَّعَانِينَ قَالُوا وَمَا اللَّعَانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»، وَلَفْظُ أَبِي دَاوُدَ: «اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ. قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ»].

وَلَا يَبُولُ تَحْتَ شَجَرَةٍ مُشِيرَةٍ، فِي حَالِ كَوْنِ الثَّمَرَةِ عَلَيْهَا لِئَلَّا تَسْقُطَ عَلَيْهِ الثَّمَرَةُ فَتَسْتَجَسَّ بِهِ.

فَأَمَّا فِي غَيْرِ حَالِ الثَّمَرَةِ فَلَا بَأْسَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ إِلَيْهِ لِحَاجَتِهِ هَذَفَ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ.

وَلَا يَبُولُ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «نَهَى عَنِ الْبُولِ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ؛ وَلَآنَ الْمَاءُ إِنْ كَانَ قَلِيلًا تَنَجَّسَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا، فَرُبَّمَا تَغَيَّرَ بِتَكَرُّرِ الْبُولِ فِيهِ،

= فَأَمَّا الْجَارِي فَلَا يَجُوزُ التَّعَوُّطُ فِيهِ؛ لَأَنَّهُ يُؤْذِي مَنْ يَمُرُّ بِهِ، وَإِنْ بَالَ فِيهِ وَهُوَ كَثِيرٌ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ الْبَوْلُ، فَلَا بَأْسَ؛ لَأَنَّهُ تَخْصِيصُ النَّبِيِّ ﷺ الرَّائِدُ بِالنَّهْيِ عَنِ الْبَوْلِ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَارِيَّ بِخِلَافِهِ،

وَلَا يَبُولُ عَلَى مَا نُهِيَ عَنِ الْإِسْتِجْمَارِ بِهِ؛ لَأَنَّ هَذَا أَبْلُغُ مِنَ الْإِسْتِجْمَارِ بِهِ فَالْتَّهْيُ ثُمَّ تَنْبِيْهُ عَلَى تَحْرِيمِ الْبَوْلِ عَلَيْهِ. وَتَكْرَهُ عَلَى أَنْ يَبُولَ فِي شَقٍّ أَوْ ثَقْبٍ، لِمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَرْجَسَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْجُحْرِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٩) [وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ]؛ وَلَأَنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ حَيَوَانٌ يَلْسَعُهُ أَوْ يَكُونُ مَسْكَنًا لِلْجِنِّ فَيَتَأَذَّى بِهِمْ، فَقَدْ حُكِيَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ بَالَ فِي جُحْرِ بِالشَّامِ ثُمَّ اسْتَلْقَى مَيِّتًا فَسَمِعَتْ الْجِنُّ تَقُولُ: نَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْخَزَرَجِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَرَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ فَلَمْ نُخْطِئْ فُؤَادَهُ.

وَلَا يَبُولُ فِي مُسْتَحْمٍ فَإِنَّ عَامَّةَ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ. لَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُعْقَلِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحْمٍ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ وَقَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الطَّنَافِيسِيَّ يَقُولُ: إِنَّمَا هَذَا فِي الْحَفِيرَةِ؛ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمُغْتَسِلَاتُهُمْ الْجِصُّ وَالصَّارُوجُ وَالْقَيْرُ فَإِذَا بَالَ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الْمَاءُ فَلَا بَأْسَ بِهِ. [رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٢٧)، وَالتَّسَائِيُّ (٣٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٠٤)، وَأَحْمَدُ (٢٠٠٤٠، ٢٠٠٤٦) مِنْ طَرِيقِ أَشْعَثَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعْقَلٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحْمٍ ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ» - قَالَ أَحْمَدُ: ثُمَّ يَتَوَضَّأُ فِيهِ - فَإِنَّ عَامَّةَ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ» [قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ دُونَ قَوْلِهِ: "فَإِنَّ عَامَّةَ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ"].

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْبُصَاقَ عَلَى الْبَوْلِ يُورِثُ الْوَسْوَاسَ، وَإِنَّ الْبَوْلَ عَلَى النَّارِ =

= يُورِثُ السَّقَمَ، وَتَوَفِّيَ ذَلِكَ كُلَّهُ أُولَى. وَيُكْرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ عَلَى مَوْضِعِ بَوْلِهِ، أَوْ يَسْتَنْجِيَ عَلَيْهِ لِئَلَّا يَتَنَجَّسَ بِهِ.

[وَقَالَ فِي "عَوْنِ الْمَعْبُودِ" شَرْحُ "سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ": قَوْلُهُ (لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحَمِّهِ):

قَالَ الْحَافِظُ وَلِيُّ الدِّينِ الْعِرَاقِيُّ: حَمَلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى مَا إِذَا كَانَ الْمُتَغَسِّلُ لَيْثًا وَلَيْسَ فِيهِ مَنَفَذٌ بِحَيْثُ إِذَا نَزَلَ فِيهِ الْبَوْلُ شَرِبَتْهُ الْأَرْضُ وَاسْتَقَرَّ فِيهَا، فَإِنْ كَانَ صَلْبًا بِبَلَاطٍ وَنَحْوِهِ بِحَيْثُ يَجْرِي عَلَيْهِ الْبَوْلُ وَلَا يَسْتَقِرُّ أَوْ كَانَ فِيهِ مَنَفَذٌ كَالْبَالُوْعَةِ وَنَحْوَهَا فَلَا نَهْيَ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِهِ: إِنَّمَا نَهَى عَنِ الْإِغْتِسَالِ فِيهِ إِذَا كَانَ صَلْبًا يُخَافُ مِنْهُ إِصَابَةُ رَشَاشِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا يُخَافُ ذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ مَنَفَذٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ فَلَا كَرَاهَةَ.

قَالَ الشَّيْخُ وَلِيُّ الدِّينِ: وَهُوَ عَكْسُ مَا ذَكَرَهُ الْجَمَاعَةُ فَإِنَّهُمْ حَمَلُوا النَّهْيَ عَلَى الْأَرْضِ اللَّيِّنَةِ وَحَمَلَهُ هُوَ عَلَى الصُّلْبَةِ، وَقَدْ لَمَحَ هُوَ مَعْنَى آخَرَ وَهُوَ أَنَّهُ فِي الصُّلْبَةِ يُخْشَى عَوْدُ الرِّشَاشِ بِخِلَافِ الرَّخْوَةِ، وَهُمْ نَظَرُوا إِلَى أَنَّهُ فِي الرَّخْوَةِ يَسْتَقِرُّ مَوْضِعُهُ وَفِي الصُّلْبَةِ يَجْرِي وَلَا يَسْتَقِرُّ، فَإِذَا صَبَّ عَلَيْهِ الْمَاءُ ذَهَبَ أَثَرُهُ بِالْكُلِّيَّةِ. [أهـ].

نَسْلٌ: وَيَتَعَمَّدُ فِي حَالِ جُلُوسِهِ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى، وَلَا يُطِيلُ الْمَقَامَ أَكْثَرَ مِنْ قَدْرِ الْحَاجَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَضُرُّهُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ يُورِثُ الْبَاسُورَ وَقِيلَ: إِنَّهُ يُذْمَى الْكِبِدَ، وَزُبْمَا آذَى مَنْ يَتَتَبَّرُهُ.

وَيَسْتَحَبُّ أَنْ يُعْطِيَ رَأْسَهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُرَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ؓ؛ =

= وَلَئِنَّهُ حَالَ كَشْفِ الْعَوْرَةِ فَيَسْتَحْيِي فِيهَا .

يَلْبَسُ حِذَاءَهُ، لِئَلَّا تَتَنَجَّسَ رِجْلَاهُ.

وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى حَاجَتِهِ إِلَّا بِقَلْبِهِ وَكَرِهَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٌ وَعِكْرِمَةُ، وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ وَالتَّحِيُّ لَا بَأْسَ بِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ مَحْمُودٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَلَكِنَّا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرُدِّ السَّلَامَ فِي هَذِهِ الْحَالِ، فَذَكَرُ اللَّهُ أُولَى.

فَإِذَا عَطَسَ حَمِدَ اللَّهَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ. وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: فِيهِ رَوَايَةٌ أُخْرَى، إِنَّهُ يَحْمَدُ اللَّهَ بِلِسَانِهِ. وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، لِمَا ذَكَرْنَاهُ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَرُدِّ السَّلَامَ الْوَاجِبَ، فَمَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ أَوْلَى. وَلَا يُسَلِّمُ وَلَا يَرُدُّ عَلَى مُسَلِّمٍ؛ لِمَا رَوَى ابْنُ عُمَرَ ﴿أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَبُوءُ، فَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدِّ عَلَيْهِ﴾ [رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٧٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٧)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٥٣) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا].

وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ (٣٥٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَبُوءُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا رَأَيْتَنِي عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ فَلَا تُسَلِّمْ عَلَيَّ؛ فَإِنَّكَ إِنِ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَمْ أَرُدَّ عَلَيْكَ﴾. [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَلَا يَتَكَلَّمُ، لِمَا رَوَى أَبُو سَعِيدٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ﴿لَا يَخْرُجُ الرَّجُلَانِ يَضْرِبَانِ الْعَاظَ كَاشِفَيْنِ عَنْ عَوْرَتَيْهِمَا يَتَحَدَّثَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَمُقْتُ عَلَى ذَلِكَ﴾. [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٥)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٤٢)، وَأَحْمَدُ (١٠٩١٧) مِنْ طَرِيقِ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ هِلَالِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ =

= حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ. وَعِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ صَدُوقٌ يَغْلُظُ، وَفِي رِوَايَتِهِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي
كَثِيرٍ اضْطِرَابٌ، وَ الْحَدِيثُ ضَعْفُهُ الْأَلْبَانِيُّ. ثُمَّ صَحَّحَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي "صَحِيحِ
التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ" (١/ ١٧٥ رقم ١٥٥)، وَالصَّحِيْحَةُ (رقم ٣١٢٠). [.

فَصْلٌ: إِذَا أَرَادَ دُخُولُ الْخَلَاءِ وَمَعَهُ شَيْءٌ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى اسْتَجِبَ وَضَعُهُ.
وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: ﴿كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ وَضَعَ خَاتَمَهُ.﴾
رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَأَبُو دَاوُدَ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ.

لَإِنْ اخْتَلَفَ بِمَا مَعَهُ شَيْءٌ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَاحْتَرَزَ عَلَيْهِ مِنَ السَّقُوطِ، أَوْ أَدَارَ
فَصَّ الْخَاتَمِ إِلَى بَاطِنِ كَفِّهِ فَلَا بَأْسَ. قَالَ أَحْمَدُ: الْخَاتَمُ إِذَا كَانَ فِيهِ اسْمُ اللَّهِ
يَجْعَلُهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ، وَيَدْخُلُ الْخَلَاءَ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: أَقْبَلَهُ هَكَذَا فِي بَاطِنِ كَفِّكَ فَاقْبِضْ عَلَيْهِ وَبِهِ قَالَ إِسْحَاقُ،
وَرَخَّصَ فِيهِ ابْنُ الْمُسَيَّبِ وَالْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ وَقَالَ أَحْمَدُ فِي الرَّجُلِ يَدْخُلُ
الْخَلَاءَ وَمَعَهُ الدَّرَاهِمُ: أَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ بِهِ بَأْسٌ.

فَصْلٌ: وَيَقْدُمُ رِجْلُهُ الْيُسْرَى فِي الدُّخُولِ، وَالْيُمْنَى فِي الْخُرُوجِ وَيَقُولُ عِنْدَ
دُخُولِهِ بِسْمِ اللَّهِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ. قَالَ أَحْمَدُ: يَقُولُ إِذَا دَخَلَ
الْخَلَاءَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ، وَمَا دَخَلَتْ قَطُّ الْمُتَوَضَّأُ وَلَمْ أَقْلُهَا
إِلَّا أَصَابَنِي مَا أَكْرَهُ،

وَعَنْ أَنَسٍ ﴿أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ
الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ،

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ (٦٠٦)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٩٧) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿سَتَرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجَنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا =

.....

= دَخَلَ أَحَدُهُمُ الْخَلَاءَ أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللَّهِ. [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].
 قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: الْخُبْتُ بِسُكُونِ الْبَاءِ الشَّرُّ وَالْخَبَائِثُ الشَّيَاطِينُ. وَقِيلَ الْخُبْتُ،
 بِضَمِّ الْبَاءِ وَالْخَبَائِثُ: ذُكِرَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ وَإِنَانَهُمْ.
 إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ غُفْرَانُكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى
 وَعَافَانِي. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ:
 غُفْرَانُكَ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٧)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٠٠)، وَأَحْمَدُ
 (٢٤٦٩٤)، وَالدَّارِمِيُّ (٦٨٠) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ
 مِنَ الْغَائِطِ قَالَ: غُفْرَانُكَ». وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.
 [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

لَقَدْ: وَلَا تَأْسَ أَنْ يَبُولَ فِي الْإِنَاءِ قَالَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ رُقَيْقَةَ «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَدَحٌ
 مِنْ عِيدَانٍ يَبُولُ فِيهِ، وَيَضَعُهُ تَحْتَ السَّرِيرِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٤) [وَقَالَ
 الْأَلْبَانِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ].

قَالَ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ" شَرْحَ "الْمُهَذَّبِ":
 (فَرَعَ) فِي مَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِآدَابِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ:

(أَحَدَاهَا) قَالَ أَصْحَابُنَا لَا تَأْسَ بِالْبَوْلِ فِي إِنَاءٍ: لَمَّا رَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ
 "يَقُولُونَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَقَدْ دَعَا بِالطَّسْتِ يَبُولُ فِيهَا
 فَأَنْخَسَ فَمَاتَ، وَمَا أَشْعُرُ بِهِ" هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ
 وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي سُنَنِهِمْ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الشَّمَائِلِ هَكَذَا، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
 وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا بِمَعْنَاهُ [خ (٢٧٤١)، م (١٦٣٦)] عَنْ الْأَسْوَدِ قَالَ:
 «ذَكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ وَصِيًّا فَقَالَتْ مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ وَقَدْ كُنْتُ =

= مُسْنَدَتُهُ إِلَى صَدْرِي أَوْ قَالَتْ حَجْرِي فَدَعَا بِالطَّسْتِ فَلَقَدْ انْحَنَتْ فِي حَجْرِي
فَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ فَمَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ]، وَلَمْ تَقُلْ لِيَبُولَ فِيهَا وَهُوَ مَحْمُولٌ
عَلَى الرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ فِي الْبُولِ، وَالطَّسْتُ بِالسَّيْنِ الْمُهِمَلَةِ وَهِيَ
أُمِيمَةُ بِنْتُ رُقَيْقَةَ رضي الله عنها قَالَتْ " «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَدَحٌ مِنْ عِيدَانٍ يَبُولُ فِيهِ وَيَضَعُهُ
تَحْتَ السَّرِيرِ» " رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَلَمْ يُضَعِّفُوهُ وَأُمِيمَةُ
وَرُقَيْقَةُ، بِضَمٍّ أَوَّلُهُمَا، وَرُقَيْقَةُ بِقَافَيْنِ. وَقَوْلُهَا: مِنْ عِيدَانٍ هُوَ - بِفَتْحِ الْعَيْنِ
الْمُهِمَلَةِ - وَهِيَ النَّخْلُ الطَّوَالُ الْمُتَجَرِّدَةُ الْوَاحِدَةُ عِيدَانَةٌ.

الثَّانِيَةُ: يَحْرُمُ الْبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فِي خَيْرِ أَوَانٍ، وَأَمَّا فِي الْإِنَاءِ فَفِيهِ اخْتِمَالَانِ:
أَحَدُهُمَا: الْجَوَازُ كَالْفَضْدِ وَالْحِجَامَةِ فِي إِنَاءٍ. وَالثَّانِي: التَّخْرِيمُ لِأَنَّ الْبُولَ
مُسْتَقْبَحٌ فَتَزَهُ الْمَسْجِدُ مِنْهُ، وَهُوَ الْأَصَحُّ الْمُخْتَارُ.

الثَّالِثَةُ: يَحْرُمُ الْبُولُ عَلَى الْقَبْرِ وَيُكْرَهُ الْبُولُ بِقُرْبِهِ.

الرَّابِعَةُ: قَالَ أَصْحَابُنَا: يُكْرَهُ الْبُولُ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا لِحَدِيثِ
جَابِرٍ رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ» " رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي
الصَّحِيحَيْنِ نَحْوُهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه. وَأَمَّا الْجَارِي فَإِنْ كَانَ قَلِيلًا كُرِهَ،
وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا لَا يُكْرَهُ، هَكَذَا قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا وَفِيهِ نَظَرٌ، وَيَنْبَغِي أَنْ
يُحْرَمَ الْبُولُ فِي الْقَلِيلِ مُطْلَقًا لِأَنَّهُ يُنَجِّسُهُ وَيُتْلِفُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ، وَأَمَّا
الْكَثِيرُ الْجَارِي فَلَا يُحْرَمُ لَكِنَّ الْأَوَّلَى اجْتِنَابُهُ،

وَمِمَّا يَنْبَغِي عَنْهُ الْقَفْظُ بِقُرْبِ الْمَاءِ، وَهُوَ وَاضِحٌ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ النَّهْيِ عَنِ
الْبُولِ فِي الْمَوَارِدِ.

الخَامِسَةُ: قَالَ أَصْحَابُنَا: يُكْرَهُ اسْتِيقَالُ الرِّيحِ بِالْبُولِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ =

بَلْ يَسْتَبْرِئُهَا، هَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ فِي كَرَاهَتِهِ، وَجَاءَ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ التَّابِعِيِّ قَالَ: يُكْرَهُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَبُولَ فِي هَوَاءٍ وَأَنْ يَتَعَوَّطَ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ.

السَّادِسَةُ: قَالَ أَصْحَابُنَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يُهَيَّئَ أَحْجَارَ الْإِسْتِجَاءِ قَبْلَ جُلُوسِهِ، لِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ " إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَايِطِ فَلْيَذْهَبْ مَعَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ " حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمْ. قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ صَحِيحٌ. فَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ. السَّابِقَةُ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَبُولَ عَلَى مَا تُنْعَى الْإِسْتِجَاءُ بِهِ لِخُرْمَتِهِ كَالنَّظْمِ، وَسَائِرِ الْمُتَلَعُّمَاتِ.

الثَّامِنَةُ: قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَالغَزَالِيُّ وَالْبَغَوِيُّ وَآخَرُونَ: يُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يَدْخُلَ الْخَلَاءُ مَكْشُوفَ الرَّأْسِ، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا وَضَعَ كُمَّهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يَدْخُلَ الْخَلَاءُ حَافِيًا، ذَكَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ سُرَيْجٍ فِي كِتَابِ الْأَقْسَامِ. وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ حَدِيثًا مُرْسَلًا، " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ لَيْسَ جِدَاءَهُ وَعَطَى رَأْسَهُ " وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ أَيْضًا عَنْ عَائِشَةَ " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ عَطَى رَأْسَهُ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ عَطَى رَأْسَهُ " لَكِنَّهُ ضَعِيفٌ، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَرَوَى فِي تَغْطِيَةِ الرَّأْسِ عِنْدَ دُخُولِ الْخَلَاءِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ صَحِيحٌ عَنْهُ، قُلْتُ: وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْحَدِيثَ الْمُرْسَلَ وَالضَّعِيفَ وَالْمَوْقُوفَ يُسَامَحُ بِهِ فِي فَصَائِلِ الْأَعْيَالِ وَيُعْمَلُ بِمُقْتَضَاهُ وَهَذَا مِنْهَا.

الثَّاسِعَةُ: قَالَ صَاحِبُ الْبَيَانِ وَغَيْرُهُ: يُسْتَحَبُّ لِمَنْ هُوَ عَلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى فَرْجِهِ وَلَا إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ وَلَا إِلَى السَّمَاءِ وَلَا يَغْبُثُ يَدِيهِ.

(وَلَا يُكْرَهُ الْبَوْلُ قَائِمًا) لِقَوْلِ حُذَيْفَةَ: ﴿انْتَهَى النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سُبَاطَةِ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا﴾ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ، وَرَوَى الْخَطَّابِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ﴿أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَالَ قَائِمًا مِنْ جُرْحٍ كَانَ بِمَا بَضِيهِ﴾^(١). قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَقَدْ رَخَّصَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْبَوْلِ قَائِمًا، وَحَمَلُوا النَّهْيَ عَلَى التَّأْدِيبِ، لَا عَلَى التَّحْرِيمِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "إِنَّ مِنَ الْجَفَاءِ أَنْ تَبُولَ وَأَنْتَ قَائِمٌ" [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]^(٢)

= الْمَاضِيَةُ: قَالَ الْمُصَنِّفُ فِي التَّنْبِيهِ وَكَثِيرُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا: يُسَحَّبُ أَنْ لَا يَنْتَظِلَ الشَّمْسَ وَلَا الْقَمَرَ، وَاسْتَأْنَسُوا فِيهِ بِحَدِيثٍ ضَعِيفٍ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لِاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ. أَحَدُهَا: أَنَّ دَلِيلَ الْقِبْلَةِ صَحِيحٌ مَشْهُورٌ، وَدَلِيلَ هَذَا ضَعِيفٌ بَلْ بَاطِلٌ، وَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْهُ الْمُصَنِّفُ، وَلَا كَثِيرُونَ وَلَا الشَّافِعِيُّ، وَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ، لِأَنَّ الْحُكْمَ بِالِاسْتِحْبَابِ يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ، وَلَا دَلِيلَ فِي الْمَسْأَلَةِ. الثَّانِي: يُفَرِّقُ فِي الْقِبْلَةِ بَيْنَ الصُّغَرَاءِ وَالْبُيُوتِ كَمَا سَبَقَ، وَلَا فَرْقَ هُنَا، صَرَّحَ بِهِ الْمَحَامِلِيُّ وَآخَرُونَ.

الثَّالِثُ: النَّهْيُ فِي الْقِبْلَةِ لِلتَّحْرِيمِ وَهُنَا لِلتَّنْزِيهِ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ فِي الْقِبْلَةِ يَسْتَوِي الْإِسْتِقْبَالُ وَالِاسْتِدْبَارُ، وَهُنَا لَا بَأْسَ بِالِاسْتِدْبَارِ وَإِنَّمَا كَرِهُوا الْإِسْتِقْبَالَ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ، وَبِهِ قَطَعَ الْمُصَنِّفُ فِي التَّنْبِيهِ وَالْجُمْهُورُ وَقَالَ الصِّمَرِيُّ وَأَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ فِي كِتَابِهِ الشَّافِي: يُكْرَهُ الْإِسْتِدْبَارُ أَيْضًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) [ضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ. وَالْمَاضِي هُنَا: بَاطِلُ الرُّكْبَةِ].

(٢) وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (٢٢٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٣) عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: ﴿كَانَ أَبُو مُوسَى =

= الْأَشْعَرِيُّ يُشَدِّدُ فِي الْبَوْلِ وَيَقُولُ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ فَقَالَ حُذِيفَةُ: لَيْتَهُ أَمْسَكَ، أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُبَّاطَةَ قَوْمٍ قَبَالَ قَائِمًا.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَبَرٍ فِي "فَتْحِ الْبَارِي":

قَوْلُهُ: (بَابُ: الْبَوْلُ قَائِمًا وَقَاعِدًا) قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: دَلَالَةُ الْحَدِيثِ عَلَى الْقُعُودِ بِطَرِيقِ الْأُولَى؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَارَ قَائِمًا فَقَاعِدًا أَجْوَزُ.

ثُمَّ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنَةَ الَّذِي أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُمَا فَإِنَّ فِيهِ: «بَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا، فَقُلْنَا: انْظُرُوا إِلَيْهِ يَبُولُ كَمَا تَبُولُ الْمَرْأَةُ». وَحَكَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ بَعْضِ مَسَائِخِهِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ الْبَوْلُ قَائِمًا أَلَّا تَرَاهُ يَقُولُ فِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنَةَ: «قَعَدَ يَبُولُ كَمَا تَبُولُ الْمَرْأَةُ»، وَقَالَ فِي حَدِيثِ حُذِيفَةَ: «فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ» وَذَلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَذْكُورُ عَلَى أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُحَالِفُهُمْ فِي ذَلِكَ فَيَقْعُدُ لِكَوْنِهِ أَسْتَرَ وَأَبْعَدَ مِنْ مُمَاسَةِ الْبَوْلِ وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ صَحَّحَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ عَائِشَةَ قَالَتْ: «مَا بَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا مُنْذُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ» رَوَاهُ أَبُو عَوَانَةَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ.

(كَانَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ يُشَدِّدُ فِي الْبَوْلِ) بَيَّنَّ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَجْهَ هَذَا التَّشْدِيدِ فَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ: «أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مُوسَى وَرَأَى رَجُلًا يَبُولُ قَائِمًا فَقَالَ: وَيَحْكُ أَفْلًا قَاعِدًا» ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَبِهَذَا يَظْهَرُ مُطَابَقَةُ حَدِيثِ حُذِيفَةَ فِي تَعَقُّبِهِ عَلَى أَبِي مُوسَى.

قَوْلُهُ: (ثَوْبَ أَحَدِهِمْ) وَقَعَ فِي مُسْلِمٍ: «جِلْدَ أَحَدِهِمْ» قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: مُرَادُهُ بِالْجِلْدِ وَاحِدُ الْجُلُودِ الَّتِي كَانُوا يَلْبَسُونَهَا وَحَمَلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى ظَاهِرِهِ وَزَعَمَ =

= أَنَّهُ مِنَ الْإِضْرِ الَّذِي حَمَلُوهُ وَرَوَّيْهُ رِوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ فِيهَا : ﴿كَانَ إِذَا أَصَابَ جَسَدَ أَحَدِهِمْ﴾ لَكِنَّ رِوَايَةَ الْبُخَارِيِّ صَرِيحَةٌ فِي الثِّيَابِ فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ رَوَاهُ بِالْمَعْنَى .

قَوْلُهُ : (قَرَضَهُ) أَيِ قَطَعَهُ . زَادَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ بِالْمَقْرَاضِ ، وَهُوَ يَدْفَعُ حَمْلَ مَنْ حَمَلَ الْقَرْضَ عَلَى الْغَسْلِ بِالْمَاءِ . قَوْلُهُ : (لَيْتَهُ أَمْسَكَ) لِلْإِسْمَاعِيلِيِّ " لَوْدِدْتُ أَنَّ صَاحِبَكُمْ لَا يُشَدُّ هَذَا التَّشْدِيدَ " وَإِنَّمَا اخْتَجَّ حُذِيفَةُ بِهِذَا الْحَدِيثِ ؛ لِأَنَّ الْبَائِلَ عَنْ قِيَامٍ قَدْ يَتَعَرَّضُ لِلرَّشَاشِ وَلَمْ يَأْتِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَذَا الْإِحْتِمَالِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ التَّشْدِيدَ مُخَالَفٌ لِلسُّنَّةِ ،

وَأَسْتَشِيلُ بِهِ لِمَالِكٍ فِي الرُّخْصَةِ فِي مِثْلِ رُغُوسِ الْإِبْرِ مِنَ الْبُولِ وَفِيهِ نَقْلٌ ، لِأَنَّهُ ﷺ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ لَمْ يَصِلْ إِلَى بَدَنِهِ مِنْهُ شَيْءٌ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ ابْنُ حِبَّانَ فِي ذِكْرِ السَّبَبِ فِي قِيَامِهِ قَالَ : لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَكَانًا يَصْلُحُ لِلْقُعُودِ فَقَامَ لِكَوْنِ الطَّرَفِ الَّذِي يَلِيهِ مِنَ السَّبَاطَةِ كَانَ عَالِيًا قَامِرًا أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ بَوْلِهِ .

وَقِيلَ : لِأَنَّ السَّبَاطَةَ رَخْوَةٌ يَتَخَلَّلُهَا الْبُولُ فَلَا يَرْتَدُّ إِلَى الْبَائِلِ مِنْهُ شَيْءٌ .

وَقِيلَ : إِنَّمَا بَالَ قَائِمًا ؛ لِأَنَّهَا حَالَةٌ يُؤْمَنُ مَعَهَا خُرُوجُ الرِّيحِ بِصَوْتٍ فَفَعَلَ ذَلِكَ ؛ لِكَوْنِهِ قَرِيبًا مِنَ الدِّيَارِ .

وَرَوَّيْهُ مَا رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ عُمَرَ ﷺ قَالَ (الْبُولُ قَائِمًا أَحْصَنُ لِلدُّبْرِ) .

وَقِيلَ : السَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ : أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَشْفِي لِوَجَعِ الصُّلْبِ بِذَلِكَ فَلَعَلَّهُ كَانَ بِهِ .

وَرَوَى الْحَاكِمُ وَالتَّبِهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ " إِنَّمَا بَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا لِجُرْحٍ كَانَ فِي مَأْبِضِهِ " وَالْمَأْبِضُ بِهِمْزَةٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا مُوَحَّدَةٌ ثُمَّ مُعْجَمَةٌ بَاطِنُ الرُّكْبَةِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَتِمَّكُنْ لِأَجْلِهِ مِنَ الْقُعُودِ . وَلَوْ صَحَّ هَذَا الْحَدِيثُ لَكَانَ =

(وَيَحْرُمُ اسْتِقْبَالَ الْقِبْلَةِ وَاسْتِدْبَارُهَا فِي الصَّحَرَاءِ بِلَا حَائِلٍ) لِقَوْلِ أَبِي أَيُّوبَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِظَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا. قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَقَدِمْنَا الشَّامَ، فَوَجَدْنَا مَرَا حِيضَ قَدْ بُنِيَتْ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، فَتَنَحَّرَفْنَا عَنْهَا، وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(وَيَكْفِي إِزْحَاءَ ذَيْلِهِ) لِقَوْلِ مَرْوَانَ الْأَضْفَرِ: «أَنَاخَ ابْنُ عُمَرَ بَعِيرَهُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، ثُمَّ جَلَسَ يَبُولُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَيْسَ قَدْ نُهِيَ عَنْ هَذَا؟! قَالَ: بَلَى، إِنَّمَا نُهِيَ عَنْ هَذَا فِي الْفَضَاءِ، أَمَّا إِذَا كَانَ

= فِيهِ غَنَى عَنْ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ لَكِنْ ضَعَّفَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِبَيَانِ الْجَوَازِ وَكَانَ أَكْثَرَ أَحْوَالِهِ الْبُولُ عَنْ قُعودٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَسَلَّكَ أَبُو عَوَانَةَ فِي "صَحِيحِهِ" وَابْنُ شَاهِينَ فِيهِ مَسْلُكًا آخَرَ فَرَعَمَا أَنَّ الْبُولَ عَنْ قِيَامٍ مَنسُوخٌ، وَاسْتَدْلَا عَلَيْهِ بِحَدِيثِ عَائِشَةَ الَّتِي قَدَّمْنَاهُ "مَا بَالَ قَائِمًا مُنْذُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ" وَبِحَدِيثِهَا أَيْضًا "مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّهُ كَانَ يَبُولُ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُوهُ، مَا كَانَ يَبُولُ إِلَّا قَاعِدًا" وَالصَّوَابُ أَنَّهُ غَيْرُ مَنسُوخٍ وَالْجَوَابُ عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ إِلَى مُسْتَنَدٍ إِلَى عِلْمِهَا فَيَحْمَلُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ فِي الْبُيُوتِ وَأَمَّا فِي غَيْرِ الْبُيُوتِ فَلَمْ تَطْلُعْ هِيَ عَلَيْهِ وَقَدْ حَفِظَهُ حُذِيفَةُ وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَتَضَمَّنَ الرَّدَّ عَلَى مَا نَفَثَهُ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَقَعْ بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ.

وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ بَالُوا قِيَامًا وَهُوَ ذَالُ عَلَى الْجَوَازِ مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ إِذَا أَمِنَ الرَّشَاشُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي النَّهْيِ عَنْهُ شَيْءٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ شَيْءٌ يَسْتُرُكَ فَلَا بَأْسَ ﴿ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ [حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ] ^(١)

(١) حُكْمُ اسْتِطْبَالِ الْقِبْلَةِ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ:

رَوَى مُسْلِمٌ (٢٦٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (٧)، وَالنَّسَائِيُّ (٤١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٦)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣١٦)، وَأَحْمَدُ (٢٣١٩١، ٢٣٢٠١) عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ قَالَ: فَقَالَ: ﴿أَجَلٌ لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ﴾.

قَالَ التَّوَوُّيُّ فِي "شرح مُسْلِمٍ":

قَوْلُهُ: (الْخِرَاءَةُ) فَبُكْسِرِ الْحَاءُ الْمُعْجَمَةُ وَتَخْفِيفُ الرَّاءِ وَبِالْمَدِّ، وَهِيَ إِسْمٌ لِهَيْئَةِ الْحَدَثِ، وَأَمَّا نَفْسُ الْحَدَثِ فَيَحْذَفُ الثَّاءُ وَبِالْمَدِّ مَعَ فَتْحِ الْحَاءِ وَكُسْرِهَا.

قَوْلُهُ: (نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ) كَذَا ضَبَطَنَاهُ فِي مُسْلِمٍ (لِغَائِطٍ) بِاللَّامِ، وَرُوِيَ فِي غَيْرِهِ (بِغَائِطٍ)، وَأَضْلُ الْغَائِطِ الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ صَارَ عِبَارَةً عَنِ الْخَارِجِ الْمَعْرُوفِ مِنْ دُبُرِ الْآدَمِيِّ.

وَأَمَّا النَّهْيُ عَنِ اسْتِطْبَالِ الْقِبْلَةِ بِالْبَوْلِ وَالْغَائِطِ فَقَدْ اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ عَلَى مَذَاهِبٍ:

أَحَدُهَا: مَذَهَبُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ: أَنَّهُ يَحْرُمُ اسْتِطْبَالُ الْقِبْلَةِ فِي الصُّخْرَاءِ بِالْبَوْلِ وَالْغَائِطِ، وَلَا يَحْرُمُ ذَلِكَ فِي الْبَنَانِ، وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالشَّعْبِيِّ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي إِحْدَى الرُّوَايَتَيْنِ رَجِمَهُمُ اللَّهُ.

وَالْمَذَهَبُ الثَّانِي: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ لَا فِي الْبَنَانِ وَلَا فِي الصُّخْرَاءِ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ الصَّحَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمُجَاهِدٍ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَسُفْيَانَ =

.....

= الثَّوْرِيُّ وَأَبِي ثَوْرٍ وَأَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ.

وَالْمَذْهَبُ الثَّلَاثُ: جَوَازُ ذَلِكَ فِي الْبُتْيَانِ وَالصَّخْرَاءِ جَمِيعًا، وَهُوَ مَذْهَبُ عُرْوَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَرَبِيعَةَ شَيْخِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وَدَاوُدَ الظَّاهِرِيِّ.

وَالْمَذْهَبُ الرَّابِعُ: لَا يَجُوزُ الْإِسْتِجْبَالُ لَا فِي الصَّخْرَاءِ، وَلَا فِي الْبُتْيَانِ، وَتَجُوزُ الْإِسْتِجْبَارُ فِيهِمَا، وَهِيَ إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ.

وَاجْتَنَبَ الْمَانِعُونَ مُطْلَقًا:

بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْوَارِدَةِ فِي النَّهْيِ مُطْلَقًا كَحَدِيثِ سَلْمَانَ الْمَذْكُورِ، وَحَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمَا، قَالُوا: وَلَا تَنَمُّ إِنَّمَا مَنَعَ لِحُرْمَةِ الْقُبْلَةِ، وَهَذَا الْمَعْنَى مَوْجُودٌ فِي الْبُتْيَانِ وَالصَّخْرَاءِ، وَلَا تَنَمُّ لَوْ كَانَ الْحَائِلُ كَافِيًا لَجَازَ فِي الصَّخْرَاءِ؛ لِأَنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْكُعْبَةِ جِبَالًا وَأَوْدِيَّةً وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَائِلِ،

وَاجْتَنَبَ مَنْ أَبَاحَ مُطْلَقًا:

بِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْمَذْكُورِ فِي الْكِتَابِ: «أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَقْبِلًا بَيْتَ الْمَقْدِسِ مُسْتَدْبِرَ الْقُبْلَةِ»، وَبِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَلَغَهُ أَنَّ أَنَاسًا يَكْرَهُونَ اسْتِقْبَالَ الْقُبْلَةِ بِفُرُوجِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَوْ قَدْ فَعَلُوهَا حَوْلُوا بِمَقْعَدِي» أَيِ إِلَى الْقُبْلَةِ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ" وَابْنُ مَاجَهَ (٣٢٤) وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ [وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الضَّعِيفَةِ" (٩٤٧)]. قَالَ الشُّوْكَانِيُّ فِي "نَيْلِ الْأَوْطَارِ": وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي "الْمَحَلِّي": إِنَّهُ سَاقِطٌ؛ لِأَنَّ رَاوِيَهُ خَالِدَ الْحَذَّاءِ وَهُوَ ثِقَّةٌ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وَهُوَ مَجْهُولٌ لَا نَذْرِي هُوَ، وَأَخْطَأَ فِيهِ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، فَرواهُ عَنْ خَالِدِ الْحَذَّاءِ عَنْ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ وَهَذَا أَبْطَلُ وَأَبْطَلُ؛ لِأَنَّ خَالِدَ الْحَذَّاءِ لَمْ يُدْرِكْ كَثِيرَ بْنَ الصَّلْتِ، ثُمَّ لَوْ صَحَّ لَمَا كَانَتْ فِيهِ حُجَّةٌ؛ =

= لَأَنَّ نَسْأَهُ ﷺ يُبَيِّنُ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ قَبْلَ النَّهْيِ؛ لَأَنَّ مِنَ الْبَاطِلِ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَهَاهُمْ عَنْ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ بِالْبَوْلِ وَالْعَائِطِ، ثُمَّ يُكْرِرُ عَلَيْهِمْ طَاعَتَهُ فِي ذَلِكَ، فَلَوْ صَحَّ لَكَانَ مَسْئُوحًا بِلَا شَكٍّ. وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي "الْمِيزَانِ": فِي تَرْجَمَةِ خَالِدِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مُنْكَرٌ.

وَاخْتِجَّ مِنْ أَبَاخِ الاسْتِئْثَارِ دُونَ الاسْتِئْثَالِ بِحَدِيثِ سَلْمَانَ. وَاخْتِجَّ مِنْ حَرَمِ الاسْتِئْثَالِ وَالِاسْتِئْثَارِ فِي الصُّحَرَاءِ وَأَبَاخَهُمَا فِي الْبَيْتَانِ بِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْمَذْكُورِ فِي الْكِتَابِ، وَبِحَدِيثِ عَائِشَةَ الَّتِي ذَكَرْنَاهُ. وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِبَوْلٍ فَرَأَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ بِعَامٍ يَسْتَقْبِلُهَا» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٩)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٥٦)، وَأَحْمَدُ (١٤٤٥٨) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِبَوْلٍ فَرَأَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ بِعَامٍ يَسْتَقْبِلُهَا». وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَفِي الْبَابِ: عَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَعَائِشَةَ وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَحَدِيثِ جَابِرٍ فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. قَالَ الشُّوْكَانِيُّ فِي "نَيْلِ الْأَوْطَارِ": وَحَسَنُهُ التِّرْمِذِيُّ، وَنُقِلَ عَنِ الْبُخَارِيِّ تَضَحِيحُهُ. وَحَسَنُهُ أَيْضًا الْبَزَّازُ، وَصَحَّحَهُ أَيْضًا ابْنُ السَّكَنِ، وَتَوَقَّفَ فِيهِ النَّوَوِيُّ لِعِنْعَنَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَقَدْ صَرَّحَ بِالتَّحْدِيثِ فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ، وَضَعَفَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ بِأَبَانَ بْنِ صَالِحِ الْقُرَشِيِّ، قَالَ الْحَافِظُ: وَوَهُمَ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ ثِقَةٌ بِالِاتِّفَاقِ. وَادَّعَى ابْنُ حَزْمٍ أَنَّهُ مَجْهُولٌ فَعَلِطَ].

وَيَحْتِجُّ مَرْوَانَ الْأَضْعَرَّ قَالَ: «رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ =

= ثُمَّ جَلَسَ يَبُولُ إِلَيْهَا فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَلَيْسَ قَدْ نُهِِيَ عَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: بَلَى
إِنَّمَا نُهِِيَ عَنْ ذَلِكَ فِي الْفَضَاءِ، فَإِذَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ شَيْءٌ يَسْتُرُكَ فَلَا بَأْسَ.
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١١) وَغَيْرُهُ [وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ].

هَذِهِ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ مُصَرَّحَةٌ بِالْجَوَازِ فِي الْبُتْيَانِ،
وَأَحَادِيثُ أَبِي أَيُّوبَ وَسَلْمَانَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمْ وَرَدَتْ بِالنَّهْيِ فَيُحْتَمَلُ عَلَى
الصَّخْرَاءِ لِيُجْمَعَ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ،

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ إِذَا أُمِّكَنَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ لَا يُصَارُ إِلَى تَرْكِ
بَعْضِهَا، بَلْ يَجِبُ الْجَمْعُ بَيْنَهَا وَالْعَمَلُ بِجَمِيعِهَا، وَقَدْ أُمِّكَنَ الْجَمْعُ عَلَى مَا
ذَكَرْنَاهُ فَوَجَبَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ،

وَفَرَّقُوا بَيْنَ الصَّخْرَاءِ وَالْبُتْيَانِ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى بِأَنَّهُ يَلْحَقُهُ الْمَشَقَّةُ فِي الْبُتْيَانِ فِي
تَكْلِيفِهِ تَرْكَ الْقِبْلَةِ بِخِلَافِ الصَّخْرَاءِ،

وَأَمَّا مَنْ أَبَاحَ الْإِسْتِذَاكَ فَيُخَرِّجُ عَلَى رَدِّ مَذْهَبِهِ بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمُصَرَّحَةِ
بِالنَّهْيِ عَنِ الْإِسْتِقْبَالِ وَالْإِسْتِذَاكَ جَمِيعًا كَحَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ وَغَيْرِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
اهـ.

وَقَالَ ابْنُ قُدَّامَةَ الْحَنْبَلِيُّ فِي "الْمُغْنِي":

لَا يَجُوزُ اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ فِي الْفَضَاءِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، فِي قَوْلِ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛
لِمَا رَوَى أَبُو أَيُّوبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ فَلَا
يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يُؤَلِّهَا ظَهْرَهُ، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَقَدِمْنَا
الشَّامَ فَوَجَدْنَا مَرَا حِضَّ قَدْ بُنِيَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، فَتَنَحَّرَفُ عَنْهَا وَتَسْتَغْفِرُ اللَّهُ
ﷻ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَلِمُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿إِذَا جَلَسَ =

= أَحَدُكُمْ عَلَى حَاجَتِهِ فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقُبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا ﴿

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الرُّبَيْرِ وَرَبِيعَةُ وَدَاوُدُ: يَجُوزُ اسْتِقْبَالُهَا وَاسْتِدْبَارُهَا لِمَا رَوَى جَابِرٌ قَالَ: ﴿نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقُبْلَةَ يَبُولُ، فَرَأَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ بِعَامٍ يَسْتَقْبِلُهَا﴾ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى النَّسْخِ، فَيَجِبُ تَقْدِيمُهُ.

وَكُنَّا أَحَادِيثُ النَّهْيِ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ.

وَحَدِيثُ جَابِرٍ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ رَأَاهُ فِي الْبُيَّانِ، أَوْ مُسْتَتِرًا بِشَيْءٍ وَلَا يَثْبُتُ النَّسْخُ بِالْإِحْتِمَالِ وَيَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا، لِيَكُونَ مُوَافِقًا لِلْأَحَادِيثِ الَّتِي نَذَكُرُهَا.

لَأَمَّا فِي الْبُيَّانِ، أَوْ إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُبْلَةِ شَيْءٌ يَسْتُرُهُ فَفِيهِ رَوَايَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: لَا يَجُوزُ أَيْضًا. وَهُوَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ لِعُمُومِ الْأَحَادِيثِ فِي النَّهْيِ.

وَالثَّانِيَةُ: يَجُوزُ اسْتِقْبَالُهَا وَاسْتِدْبَارُهَا فِي الْبُيَّانِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الْعَبَّاسِ وَابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ: وَالشَّافِعِيُّ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَهُوَ الصَّحِيحُ، لِحَدِيثِ جَابِرٍ وَقَدْ حَمَلْنَاهُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي الْبُيَّانِ، وَهُوَ خَاصٌّ يُقَدَّمُ عَلَى الْعَامِّ.

وَعَنْ مَرْوَانَ الْأَصْفَرِ قَالَ: ﴿رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ مُسْتَقْبِلَ الْقُبْلَةِ، ثُمَّ جَلَسَ يَبُولُ إِلَيْهَا. فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَيْسَ قَدْ نُهِيَ عَنْ هَذَا؟ قَالَ: بَلَى إِنَّمَا نُهِيَ عَنْ هَذَا فِي الْفَضَاءِ، فَإِذَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْقُبْلَةِ شَيْءٌ يَسْتُرُكَ فَلَا بَأْسَ﴾. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١١) [وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَهَذَا تَفْسِيرٌ لِنَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَامِّ وَفِيهِ جَمْعٌ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ، فَيَتَعَيَّنُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ.

وَعَنْ أَحْمَدَ: أَنَّهُ يَجُوزُ اسْتِدْبَارُ الْكَعْبَةِ فِي الْبُيَّانِ وَالْفَضَاءِ جَمِيعًا؛ لِمَا رَوَى =

= ابْنُ عُمَرَ قَالَ: «رَقِيتُ يَوْمًا عَلَى بَيْتِ حَفْصَةَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى حَاجَتِهِ، مُسْتَقْبِلَ الشَّامِ مُسْتَدْبِرَ الْكَعْبَةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ":

(فَرَعَ) فِي مَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِاسْتِثْنَاءِ الْقِبْلَةِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ عَلَى مَذَهَبِ الشَّافِعِيِّ .
إِحْدَاهَا: الْمُخْتَارُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ إِنَّمَا يَجُوزُ الْإِسْتِثْنَاءُ وَالِاسْتِدْبَارُ فِي الْبُيَّانِ إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ سَائِرِ مِنْ جُذْرَانِ وَنَحْوَهَا، مِنْ حَيْثُ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ثَلَاثَةُ أَذْرُعٍ فَمَا دُونَهَا، وَشَرْطُ آخَرٍ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْحَائِلُ مُرْتَفِعًا بِحَيْثُ يَسْتُرُّ أَسْفَلَ الْإِنْسَانِ، وَقَلَرُوهُ بِآخِرَةِ الرَّحْلِ وَهِيَ نَحْوُ ثُلَاثِي ذِرَاعٍ.

لِإِنْ رَأَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ، أَوْ قَصَرَ الْحَائِلُ عَنْ آخِرَةِ الرَّحْلِ فَهُوَ حَرَامٌ كَالصَّخْرَاءِ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي بَيْتِ بُنْيٍ لِذَلِكَ فَلَا حَجَرَ فِيهِ كَيْفَ كَانَ .
قَالُوا: وَلَوْ كَانَ فِي الصَّخْرَاءِ وَتَسَرَّ بِشَيْءٍ عَلَى الشَّرْطِ الْمَذْكُورِ زَالَ التَّحْرِيمُ، فَلَا غَيْتَارَ بِوُجُودِ السَّائِرِ الْمَذْكُورِ وَعَدَمِهِ فَيَحِلُّ فِي الصَّخْرَاءِ وَالْبُيَّانِ بِوُجُودِهِ، وَيَحْرُمُ فِيهِمَا لِعَدَمِهِ.

وَلَوْ أَرَخَى ذَيْلُهُ فِي قِبَالَةِ الْقِبْلَةِ فَبِي حُصُولِ السُّرِّ وَجْهَانِ أَصْحُهُمَا: أَنَّهُ سَائِرٌ لِحُصُولِ الْحَائِلِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

السَّأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: حَيْثُ جَوُزْنَا الْإِسْتِثْنَاءَ وَالِاسْتِدْبَارَ،

قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا: هُوَ مَكْرُوهٌ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْجُمْهُورُ الْكَرَاهَةَ، وَالْمُخْتَارُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَيْهِ مَشَقَّةٌ فِي تَكْلُفِ التَّحْرِيفِ عَنِ الْقِبْلَةِ فَلَا كَرَاهَةَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَشَقَّةٌ فَلَا وَلَى تَجَنُّبُهُ لِلْخُرُوجِ مِنْ خِلَافِ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تُظَلَّقُ عَلَيْهِ الْكَرَاهَةُ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فِيهِ .

(وَأَنْ يَبُولَ أَوْ يَتَغَوَّطَ بِطَرِيقِ مَسْلُوكٍ، وَظِلٌّ نَافِعٌ) أَوْ مَوْرِدٍ مَاءٍ، لِمَا رَوَى مُعَاذٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ [حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ] ^(١)

= الْمَسْأَلَةُ الثَّلَاثَةُ: يَجُوزُ الْجَمَاعُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ فِي الصَّخْرَاءِ وَالْبَيْتَانِ، هَذَا مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ وَدَاوُدَ الظَّاهِرِيِّ، وَاخْتَلَفَ فِيهِ أَصْحَابُ مَالِكٍ فَجَوَّزَهُ ابْنُ الْقَاسِمِ، وَكَرِهَهُ ابْنُ حَبِيبٍ، وَالصَّوَابُ الْجَوَازُ، فَإِنَّ التَّحْرِيمَ إِنَّمَا يَثْبُتُ بِالشَّرْعِ، وَلَمْ يَرِدْ فِيهِ نَهْيٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: لَا يَحْرُمُ اسْتِقْبَالُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَلَا اسْتِدْبَارُهُ بِالْبَوْلِ وَالْعَائِطِ، لَكِنْ يَكْرَهُ.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: إِذَا تَجَنَّبَ اسْتِقْبَالَ الْقِبْلَةِ وَاسْتِدْبَارَهَا حَالَ خُرُوجِ الْبَوْلِ وَالْعَائِطِ ثُمَّ أَرَادَ الْاسْتِقْبَالَ أَوْ الْاسْتِدْبَارَ حَالَ الْاسْتِنْجَاءِ جَازَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) قَالَ النَّوَوِيُّ فِي الْمَجْمُوعِ:

وَأَمَّا الْبَرَّازُ، فَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: هُوَ هُنَا يَفْتَحُ الْبَاءُ، وَهُوَ الْفَضَاءُ الْوَاسِعُ مِنَ الْأَرْضِ، كُنُوا بِهِ عَنْ قَضَاءِ الْحَاجَةِ كَمَا كُنُوا عَنْهُ بِالْخَلَاءِ، وَيُقَالُ: تَبَرَّرَ الرَّجُلُ إِذَا تَغَوَّطَ كَمَا يُقَالُ تَخَلَّى،

قَالَ: وَأَهْلُ الْحَدِيثِ يَرْوُونَهُ الْبَرَّازَ، بِكَسْرِ الْبَاءِ، وَهُوَ غَلَطٌ. هَذَا كَلَامُ الْخَطَّابِيِّ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: الصَّوَابُ: الْبَرَّازُ، بِكَسْرِ الْبَاءِ، وَهُوَ الْعَائِطُ نَفْسُهُ، كَذَا ذَكَرَهُ أَهْلُ اللَّغَةِ، فَإِذَا كَانَ الْبَرَّازُ بِالْكَسْرِ فِي اللَّغَةِ هُوَ الْعَائِطُ، وَقَدْ احْتَرَفَ الْخَطَّابِيُّ بِأَنَّ الرُّوَاةَ نَقَلُوهُ بِالْكَسْرِ تَعَيَّنَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ، فَحَصَلَ أَنَّ الْمُخْتَارَ كَسْرُ الْبَاءِ، =

(وَتَحْتَ شَجَرَةٍ عَلَيْهَا ثَمَرٌ يُقَصَّدُ) لِمَا تَقَدَّمَ، وَلَوْلَا يَنْجُسَ مَا سَقَطَ مِنْهَا. (وَيَسَّرَ قُبُورَ الْمُسْلِمِينَ) لِحَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعًا - وَفِيهِ - : ﴿وَلَا أَبَالِي أَوْسَطَ الْقُبُورِ قَضِيْتُ حَاجَتِي أَوْ وَسَطَ السُّوقِ﴾ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]

(وَأَنْ يَلْبَثَ فَوْقَ قَدْرِ حَاجَتِهِ) قَالَ فِي "الْكَافِي" : وَتُكْرَهُ الْإِطَالَةُ أَكْثَرُ مِنَ الْحَاجَةِ لِأَنَّهُ يُقَالُ : إِنَّ ذَلِكَ يُذِمِّي الْكِبِدَ وَيَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْبَاسُورُ، وَهُوَ كَشَفُ اللَّعُورَةِ بِلا حَاجَةٍ، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا : ﴿إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّيَ فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ - إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ، وَحِينَ يُقْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ - فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ﴾ [وَضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ] ^(١).

= وَقَدْ بَسَطْتُ الْكَلَامَ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ فِي تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ. وَأَمَّا قَارِعَةُ الطَّرِيقِ : فَأَعْلَاهُ، قَالَهُ الْأَزْهَرِيُّ وَالْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُمَا، وَقِيلَ : صَدْرُهُ وَقِيلَ مَا بَرَزَ مِنْهُ، وَالطَّرِيقُ يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ، لَعَنَانِ مَشْهُورَتَانِ تَقَدَّمَ بَيَانُهُمَا.

(١) وَقَالَ ابْنُ الْحَاجِّ الْمَالِكِيُّ فِي "الْمَدْخَلِ" :

وَقَدْ ذَكَرَ عُلَمَاؤُنَا آدَابَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ وَهِيَ تَتَوَفَّى عَلَى سَبْعِينَ خَصْلَةً، وَهِيَ كُلُّهَا مَا شِئْتُ عَلَى قَانُونِ الْإِتْبَاعِ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾ [آل عمران : ٣١].

الْأُولَى : الْإِبْعَادُ حَتَّى لَا يَرَى لَهُ شَخْصٌ وَلَا يَسْمَعُ لَهُ صَوْتُ.

الثَّانِيَةُ : الْإِسْتِعْدَادُ لِذَلِكَ قَبْلَ الدُّخُولِ بِسِيرٍ مِنَ الْمَاءِ وَالْأَحْجَارِ.

الثَّالِثَةُ : أَنْ يُقَدَّمَ الشِّمَالُ وَيُؤَخَّرَ الْيَمِينُ.

=

.....

- = الرَّابِعَةُ: إِذَا خَرَجَ فَلْيَقْدِّمِ الْيَمِينَ أَوَّلًا وَيُؤَخِّرِ الشَّمَالَ.
- الخَامِسَةُ: أَنْ يَتَعَوَّذَ التَّعَوُّذَ الْوَارِدَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الدُّخُولِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ.
- السَّادِسَةُ: أَنْ لَا يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ إِذْ ذَاكَ.
- السَّابِعَةُ: أَنْ لَا يَسْتَذْبِرَهَا إِلَّا فِي الْمَنَازِلِ الْمَبْنِيَّةِ فَلَا بَأْسَ فِي الْإِسْتِقْبَالِ وَالْإِسْتِذْبَارِ.
- الثَّامِنَةُ: أَنْ لَا يَسْتَقْبِلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ بِعَوْرَتِهِ.
- التَّاسِعَةُ: أَنْ يَسْتَتِرَ عِنْدَ التَّبَرُّزِ.
- الْعَاشِرَةُ: أَنْ يَتَوَقَّى مَسَالِكَ الطَّرِيقِ.
- الحَادِيَةُ عَشَرَ: أَنْ يَتَوَقَّى مَهَابَّ الرِّيَّاحِ.
- الثَّانِيَةُ عَشَرَ: أَنْ يَتَوَقَّى مَا عَلَا مِنَ الْأَرْضِ.
- الثَّلَاثَةُ عَشَرَ: أَنْ يُبَالِغَ فِي أَكْثَرِ مَا يَجِدُ مِنَ الْأَرْضِ انْخِفَاضًا وَمِنْهُ سُمِّيَ الْغَائِطُ غَائِطًا؛ لِأَنَّهُ أُبْلَغَ فِي السَّتْرِ وَأُأْمِنُ مِنَ مَهَابِّ الرِّيَّاحِ.
- الرَّابِعَةُ عَشَرَ: أَنْ لَا يَقْعُدَ حَتَّى يَلْتَفِتَ يَمِينًا وَشِمَالًا.
- الخَامِسَةُ عَشَرَ: أَنْ لَا يَكْشِفَ ثَوْبَهُ حَتَّى يَذْنُوبَ مِنَ الْأَرْضِ.
- السَّادِسَةُ عَشَرَ: إِذَا قَعَدَ لَا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا.
- السَّابِعَةُ عَشَرَ: أَنْ لَا يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ.
- الثَّامِنَةُ عَشَرَ: أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى عَوْرَتِهِ.
- التَّاسِعَةُ عَشَرَ: أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا لِضُرُورَةٍ، وَكَذَلِكَ فِي النَّظَرِ =

= إِلَى الْعَوْرَةِ أَيْضًا. الْعِشْرُونَ: أَنْ يُعْطِيَ رَأْسَهُ إِذَا ذَاكَ كَذَلِكَ عِنْدَ الْجَمَاعِ.

الْحَامِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: تَرْكُ الْكَلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ ذِكْرًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ، وَلَا بِأَسْنِ أَنْ يَسْتَعِيدَ عِنْدَ الْإِزْتِمَاعِ وَيَجِبُ إِذَا أُضْطُرَّ إِلَى ذَلِكَ فِي أَمْرٍ يَقَعُ مِثْلَ حَرِيقٍ أَوْ أَعْمَى يَقَعُ أَوْ دَابَّةٍ وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: لَا يُسَلِّمُ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فَإِنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِ.

الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنْ يُقِيمَ عُرْقُوبَ رِجْلِهِ الْيُمْنَى عَلَى صَدْرِهَا.

الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنْ يَسْتَوِطِيَ الْيُسْرَى.

الْحَامِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنْ يَتَوَكَّأَ عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى فَإِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَسْرَعُ لِيُخْرُجَ الْحَدَثِ. السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: يُكْرَهُ الْبَوْلُ مِنْ مَوْضِعٍ عَالٍ إِلَى أَسْفَلٍ خَوْفًا مِنَ الرِّيحِ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ.

السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: يُكْرَهُ أَنْ يَبُولَ فِي الْمَوَاضِعِ الْمُنْحَدِرَةِ إِذَا كَانَ هُوَ مِنْ أَسْفَلٍ؛ لِأَنَّ بَوْلَهُ يَرْجِعُ عَلَيْهِ.

الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ: اخْتَلَفَ فِي الْبَوْلِ قَائِمًا فَأَجِيزَ وَكِرَهُ وَالْمَشْهُورُ الْجَوَارُ إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعٍ لَا يُمَكِّنُ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ وَكَانَ الْمَوْضِعُ رَخْوًا فَإِنَّهُ يُسْتَشْفَى بِهِ مِنْ وَجَعِ الصُّلْبِ.

الثَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: يَتَنَدَّى بِغَسَلِ قُبْلِهِ قَبْلَ دُبُرِهِ لِقَلَّ يَتَطَايَرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ النَّجَاسَةِ عِنْدَ غَسَلِ دُبُرِهِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّا لَا يَتَنَظَّفُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَقُومَ فَلَا فَائِدَةَ لِعَسَلِهِ أَوَّلًا، بَلْ يَغْسِلُ الدُّبُرَ وَيَتَوَقَّى مِنَ النَّجَاسَةِ أَنْ تُصِيبَ بَدَنَهُ أَوْ ثَوْبَهُ.

الْعِلَالُونَ: يَغْسِلُ يَدَهُ بِالتُّرَابِ مَعَ الْمَاءِ عِنْدَ الْفَرَاغِ فَهُوَ أَنْظَفُ.

=

.....

= الْحَابِثَةُ وَالثَّلَاثُونَ: يَسْتَجِمِرُ وَثَرًا.

الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ: لَا يَسْتَنْجِي فِي مَوْضِعِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ.

الثَّالِثَةُ وَالثَّلَاثُونَ: لَا يَسْلُتُ ذَكَرَهُ إِلَّا بِرَفَقٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّجَاسَةِ؛ لِأَنَّ الْمَحَلَّ كَالضَّرْعِ كُلَّمَا تَسَلَّتْهُ يُعْطِي الْمَادَّةَ فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعَدَمِ التَّنْظِيفِ.

الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: يُفَرِّجُ بَيْنَ فَخْذَيْهِ عِنْدَ الْبَوْلِ وَالِاسْتِنْجَاءِ وَالِإِسْهَالِ لِثَلَاثٍ يَتَطَايَرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ النَّجَاسَةِ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ.

الْحَامِثَةُ وَالثَّلَاثُونَ: أَنْ لَا يَغْبَثَ بِيَدِهِ.

السادسة والثلاثون: أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى السَّمَاءِ.

السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: إِذَا رَجَعَ مِنْ قَضَاءِ حَاجَتِهِ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَوَّغَنِي طَيِّبًا وَأَخْرَجَهُ عَنِّي خَبِيثًا.

الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ: أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْأَحْجَارِ وَالْمَاءِ فَهُوَ أَحْسَنُ وَأَطْيَبُ لِلنَّفْسِ.

الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُونَ: إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَنْجِيَ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ الْيُسْرَى قَبْلَ أَنْ يُبَاشِرَ النَّجَاسَةَ بِيَدِهِ لِثَلَاثٍ تَعْلَقُ بِهَا الرَّائِحَةُ.

الْأَرْبَعُونَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَحْجَارٌ لِيَجْمَعَ بَيْنَ الْفَضِيلَتَيْنِ فَلَا يَتْرُكُ الْإِسْتِجْمَارَ بِالْكُلْيَةِ، بَلْ يَسْتَجِمِرُ بِأَضْبَعِهِ الْوُسْطَى أَوَّلًا بَعْدَ غَسْلِهَا فَيَسْمَحُ بِهَا الْمَسْرُوبَةَ وَمَوْضِعَ النَّجَاسَةِ عَلَى سُنَّةِ الْإِسْتِجْمَارِ وَمَا لِلنَّاسِ فِيهِ مِنَ الْمَقَالَاتِ وَالِاخْتِيارَاتِ ثُمَّ يَغْسِلُهَا مِمَّا تَعْلَقُ بِهَا ثُمَّ يَسْتَجِمِرُ بِهَا أَيْضًا إِلَى أَنْ يُنْقَى فَإِذَا أَنْقَى طَلَبَ الْوُثْرَ مَا لَمْ يُجَاوِزِ السَّنْعَ فَإِنْ جَاوَزَهَا سَقَطَ عَنْهُ طَلَبُ الْوُثْرِ.

الْحَابِثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: إِذَا اسْتَنْجَى بِالْمَاءِ فَلْيَكُنْ الْإِنَاءُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى يَسْكُبُ بِهَا =

= الْمَاءُ وَيُدُّهُ الْيُسْرَى عَلَى الْمَحَلِّ يَغْرُكُهُ وَيُوَاصِلُ صَبَّ الْمَاءِ وَيُبَالِغُ فِي التَّنْظِيفِ خِيفَةً أَنْ يَبْقَى مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْفَضَلَاتِ فَيُصَلِّي بِالنَّجَاسَةِ وَعَذَابُ الْقَبْرِ مِنْ هَذَا الْبَابِ .

الثَّانِيَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: أَنْ لَا يَتَغَوَّطَ تَحْتَ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ .

الثَّالِثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: أَنْ لَا يَتَغَوَّطَ فِي مَاءٍ رَاكِدٍ .

الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: أَنْ لَا يَفْعَلَ ذَلِكَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ .

الخَامِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: أَنْ لَا يَفْعَلَ ذَلِكَ تَحْتَ ظِلِّ حَائِطٍ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا مَلَاعِنُ ، وَلِأَنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ كُلُّهَا هِيَ لِرَاحَةِ النَّاسِ فِي الْغَالِبِ إِذَا أَرَادَ الشَّخْصُ أَنْ يَسْتَرِيحَ يَطْلُبُ ظِلًّا أَوْ يَرِدَ النَّهْرَ لِلْمَاءِ فَيَجِدُ مَا يَجْعَلُ هُنَاكَ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنِ مَنْ فَعَلَ هَذَا .

السادسة وَالْأَرْبَعُونَ: أَنْ يَتَجَنَّبَ الْبَوْلَ فِي كُوَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِذَا لاقَاهَا بِعَيْنِ الذَّكَرِ وَاخْتَلَفَ إِذَا بَعْدَ عَنْهَا فَوَصَلَ بَوْلُهُ إِلَيْهَا فَيُكْرَهُ خِيفَةً مِنْ حَشَرَاتٍ تَتَّبِعُ عَلَيْهِ مِنَ الْكُوَّةِ وَقِيلَ يُبَاحُ لِبُعْدِهِ مِنَ الْحَشَرَاتِ إِنْ كَانَتْ فِيهَا .

السَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: أَنْ يَتَجَنَّبَ بَيْعَ الْيَهُودِ .

الثَّامِنَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: أَنْ يَتَجَنَّبَ كُنَائِسَ النَّصَارَى سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ لِئَلَّا يَفْعَلُوا ذَلِكَ فِي مَسَاجِدِنَا كَمَا نُهَيَّ عَنْ سَبِّ الْأَلِهَةِ الْمَدْعُودَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﷻ لِئَلَّا يَسُبُّوا اللَّهَ ﷻ .

التَّاسِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: يُكْرَهُ الْبَوْلُ فِي الْأَوَانِي النَّفِيسَةِ لِلْسَّرَفِ وَكَذَلِكَ يُمْنَعُ فِي أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِتَحْرِيمِ اتِّخَاذِهَا وَاسْتِعْمَالِهَا .

= الْخُمْسُونَ: يُكْرَهُ الْبَوْلُ فِي مَخَازِنِ الْعَلَّةِ .

.....

- = **الْحَايَةُ وَالْخَمْسُونَ:** يُكْرَهُ الْبَوْلُ فِي الدُّورِ الْمَسْكُونَةِ الَّتِي قَدْ خَرِبَتْ لِلأَدَى.
- الْثَانِيَةُ وَالْخَمْسُونَ:** يَسْتَرْخِي قَلِيلًا عِنْدَ الْاسْتِنْجَاءِ؛ ^{لَا} إِذَا لَمْ يَفْعَلْ يُخَافُ عَلَيْهِ أَنَّهُ إِذَا خَرَجَ اسْتَرْخَى مِنْهُ ذَلِكَ الْعُضْوُ فَيَخْرُجُ شَيْءٌ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي لَمْ يَغْسِلْهُ عَلَى ظَاهِرِ بَدَنِهِ فَيُصَلِّي بِالنَّجَاسَةِ.
- الثَّالِثَةُ وَالْخَمْسُونَ:** يَحْذَرُ أَنْ يُدْخَلَ أَضْبَعُهُ فِي دُبُرِهِ فَإِنَّهُ مِنْ فِعَالِ أَشْرَارِ النَّاسِ، وَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ يَفْعَلُ بِنَفْسِهِ، وَذَلِكَ حَرَامٌ.
- الرَّابِعَةُ وَالْخَمْسُونَ:** يَتَفَقَّدُ نَفْسَهُ فِي الْاسْتِنْبَاءِ فَيَعْمَلُ عَلَى عَادَتِهِ قُرْبَ شَخْصٍ يَحْصُلُ لَهُ التَّنْظِيفُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْبَوْلِ عَنْهُ وَآخِرُ لَا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَقُومَ وَيَقْعُدَ، وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى اخْتِلَافِ أَحْوَالِ النَّاسِ فِي أَمْرِ جَنَّتِهِمْ وَفِي مَا كَلِمَتِهِمْ وَاخْتِلَافِ الْأَرْزَمَةِ عَلَيْهِمْ فَقَدْ يَتَغَيَّرُ حَالُهُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَعْهَدُ مِنْ نَفْسِهِ عَادَةً فَيَعْمَلُ عَلَيْهَا فَيَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يُصَلِّي بِالنَّجَاسَةِ أَوْ يَتَوَسَّوسَ فِي طَهَارَتِهِ فَيَعْمَلُ عَلَى مَا يَظْهَرُ لَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ حَالِ مَزَاجِهِ وَغِدَائِهِ وَزَمَانِهِ فَلَيْسَ الشَّيْخُ كَالشَّابِّ، وَلَيْسَ مَنْ أَكَلَ الْبَطِيخَ كَمَنْ أَكَلَ الْجُبْنَ وَلَيْسَ الْحَرُّ كَالْبَرْدِ.
- الْخَامِسَةُ وَالْخَمْسُونَ:** إِذَا قَامَ لِلْاسْتِنْبَاءِ فَلَا يَخْرُجُ بَيْنَ النَّاسِ وَذَكَرَهُ فِي يَدِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَحْتَ ثَوْبِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ شَوْءٌ وَمُثْلَةٌ، وَكَثِيرًا مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَهَذَا قَدْ نُهِيَ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُ ضَرُورَةٌ فِي الْاجْتِمَاعِ بِالنَّاسِ إِذَا ذَاكَ فَلْيَجْعَلْ عَلَى فَرْجِهِ خِرْقَةً يَشُدُّهَا عَلَيْهِ ثُمَّ يَخْرُجُ فَإِذَا رَجَعَ مِنْ ضَرُورَتِهِ تَنَظَّفَ إِذَا ذَاكَ.
- الْسادِسَةُ وَالْخَمْسُونَ:** يُكْرَهُ لَهُ أَنْ يَسْتَعْلَ بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ تَنَفٍّ إِبْطٍ أَوْ غَيْرِهِ لِئَلَّا يُبْطِئَ فِي خُرُوجِ الْحَدَثِ، وَالْمَقْصُودُ الْإِسْرَاعُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ ذَلِكَ الْمَحَلِّ.
- السَّابِعَةُ وَالْخَمْسُونَ:** لَا يَسْتَجْمِرُ فِي حَائِطِ مَسْجِدٍ؛ لِحُرْمَتِهِ وَلَا فِي حَائِطٍ =

= مَمْلُوكٍ لِّغَيْرِهِ؛ لَأَنَّهُ تَصَرَّفَ فِي مِلْكِ الْغَيْرِ وَلَا فِي حَائِطٍ وَقَفٍ؛ لَأَنَّهُ تَصَرَّفَ فِيهِ، وَهُوَ فِي حَوْزٍ مِّنْ وَقَفٍ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ، وَهَذَا كُلُّهُ حَرَامٌ بِاتِّفَاقٍ. **الثَّامِنَةُ وَالْخَمْسُونَ:** يُكْرَهُ أَنْ يَسْتَجِمَرَ فِي حَائِطٍ مِلْكُهُ؛ لَأَنَّهُ قَدْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْمَطَرُ أَوْ يُصِيبُهُ بَلَلٌ مِّنَ الْمَاءِ وَيَلْتَصِقُ هُوَ أَوْ غَيْرُهُ إِلَيْهِ فَتُصِيبُهُ النَّجَاسَةُ فَيُصَلِّي بِهَا. وَوَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ فِي الْحَائِطِ حَيَوَانٌ فَيَتَأَذَّى بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُ عَيْنَانَا بَعْضَ النَّاسِ اسْتَجَمَرَ فِي حَائِطٍ فَلَسَعَتْهُ عَقْرَبٌ كَانَتْ هُنَاكَ عَلَى رَأْسِ ذِكْرِهِ وَرَأَى مِنْ ذَلِكَ شِدَّةَ عَظِيمَةٍ.

الثَّامِنَةُ وَالْخَمْسُونَ: لَا يَسْتَجِمَرُ بِفَحْمٍ؛ لَأَنَّهُ يُلَوِّثُ الْمَحَلَّ وَلَا بِعَظْمٍ؛ لَأَنَّهُ لَا يُنْقَى وَيَتَعَلَّقُ بِهِ حَقُّ الْغَيْرِ؛ لَأَنَّهُ زَادَ إِخْوَانَنَا مِنْ مُؤْمِنِي الْجَنِّ وَلَا بِزُجْجَاجٍ؛ لَأَنَّهُ لَا يُنْقَى، وَهُوَ مُؤَذٍ وَلَا بَرَوِثٍ؛ لَأَنَّهُ لَا يَثْبُتُ عِنْدَ الدَّعَكِ وَلَا يُنْظَفُ وَيَتَمَقَّتْ، وَهُوَ زَادَ دَوَابَّ مُؤْمِنِي الْجَنِّ وَلَا بِنَجَسٍ؛ لَأَنَّهُ يَزِيدُهُ تَنْجِيسًا وَلَا بِسَالِحٍ؛ لَأَنَّهُ يُلَطِّخُ الْمَحَلَّ وَيَزِيدُهُ تَلَوُّيثًا، وَلَا بِطَعَامٍ لِحُرْمَتِهِ، وَلَا بِنَهْطٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ زَبَرْجَدٍ أَوْ يَاقُوتٍ لِإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَا بِثَوْبٍ خَرِيرٍ وَلَا بِثَوْبٍ رَفِيعٍ مِنْ غَيْرِ الْحَرِيرِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ سَرَفٌ وَيَسْتَجِمَرُ بِمَا عَدَا مَا ذُكِرَ.

وَقَدْ حَدَّثَ عَلَمَاؤُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِهَذَا حَدًّا يَجْمَعُ كُلَّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ آلَاتِ الْإِسْتِجْمَارِ يَنْبَغِي الْإِعْتِنَاءُ بِهِ فَقَالُوا: يَجُوزُ الْإِسْتِجْمَارُ بِكُلِّ جَامِدٍ طَاهِرٍ مُنَقٍّ فَلَا عِلَالَئَ لِغَيْرِ مُؤَذٍ لَيْسَ بِذِي حُرْمَةٍ وَلَا سَرَفٍ وَلَا يَتَعَلَّقُ بِهِ حَقُّ الْغَيْرِ، وَهُوَ ضَابِطٌ جَيِّدٌ انْتَهَى.

وَيَنْبَغِي لَهُ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ خَارِجٌ أَنْ يُعْتَبَرَ إِذَا ذَاكَ فِي الْخَارِجِ وَفِي نَيْبِهِ وَقَدَرِهِ فَإِنَّ نَفْسَهُ تَعَافَى وَيَعْلَمُ وَيَتَحَقَّقُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَرْجِعَ بِنَفْسِهِ كَذَلِكَ سَوَاءً بِسَوَاءٍ يُطْرَحُ =

= قَدَرًا مُتَيْنًا تَعَاْفُهُ نَفْسُ كُلِّ مَنْ يَرَاهُ، بَيَانُ ذَلِكَ أَنَّهُ يَمُوتُ فَإِذَا دُفِنَ فِي قَبْرِهِ تَدَوَّدَ فَأَكَلَتْهُ الدِّيدَانُ فَإِذَا أَكَلَتْهُ الدِّيدَانُ رَمَتْهُ مِنْ جَوْفِهَا قَدِيرًا مُتَيْنًا، وَيُعْلَمُ أَنَّ نَمَّ قَوْمًا لَا يَدَوَّدُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا تَتَعَدَّى عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَتَغَيَّرُونَ لَمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَالْمُؤَدِّثُونَ الْمُخْتَسِبُونَ.

فَالْمَقَامُ الْأَوَّلُ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِذْ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ طَوِيَ بِسَاطِطِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَقِيَتْ الْمَقَامَاتُ الثَّلَاثُ فَيَنْظُرُ مَا فِيهِ الْأَهْلِيَّةُ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ فَيَعْمَلُ عَلَيْهِ لِيَسْلَمَ بِهِ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ وَالتَّيْنِ إِنْ كَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ سَنِيَّةٌ، وَإِلَّا فَهُوَ يُعَايِنُ مَا يُصَارُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَكَرَّرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِي حَالِ قَضَاءِ حَاجَتِهِ، وَذَلِكَ تَنْبِيهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ لَنَا حَتَّى يَعْلَمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا مَا هُوَ إِلَيْهِ صَائِرٌ وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ، فَمَنْ كَانَ لَهُ لُبٌّ نَظَرَ إِلَى أَوَّلِهِ فَوَجَدَهُ نُظْفَةً كَمَا عَايَنَ وَنَظَرَ إِلَى آخِرِهِ فَوَجَدَهُ كَمَا رَأَى كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَإِلَى وَسَطِهِ فَوَجَدَهُ حَامِلًا مَا يَرَاهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَخْرُجُ مِنْهُ وَيُعَايِنُهُ فَأَيُّ دَعْوَى تَبْقَى مَعَ هَذَا الْحَالِ؟ وَأَيُّ نَفْسٍ تَشْمَخُ وَلَوْ كَانَ نَمَّ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ إِنْ لَمْ يَكُنْ الْفَيْضُ الرَّبَّانِيُّ وَالْفَضْلُ الْعَظِيمُ فَيَسْتُرُ الْقَبِيحَ وَيُظْهِرُ الْجَمِيلَ وَيَسْتُرُ الْعَوْرَاتِ وَيُؤْمِنُ الرُّوعَاتِ، وَإِلَّا فَالْمَحَلُّ قَابِلٌ لِكُلِّ رَذِيلَةٍ وَنَقِصَةٍ كَمَا تَرَى. هَذَا وَجْهٌ مِنَ النَّظَرِ وَالِإِعْتِبَارِ،

وَيَنْبَغِي لَهُ أَيْضًا أَنْ يَنْظُرَ وَيَعْتَبِرَ فِيمَا انْفَصَلَ عَنْهُ، وَأَنَّهُ كَانَ ظَاهِرًا طَلِبَ الْمَلَأَقِ شَهِيًا لِلنُّفُوسِ لَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِعَوَاضٍ وَالْعَوَاضُ فِي الْعَالِبِ قَدْ جَرَتْ الْحِكْمَةُ بِأَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِمُكَابَدَةٍ وَتَعَبٍ فِي الْعَالِبِ كُلُّ عَلَى قَدَرِ حَالِهِ فَهُوَ عَزِيزٌ إِذَا يَسَّرَ اللَّهُ أَسْبَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ، وَإِنْ مَنَعَ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِهِ الْجَارِيَةِ عَلَى حِكْمَتِهِ ﷻ فَمَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ وَلَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ، ثُمَّ مَعَ هَذِهِ الْعِزَّةِ الَّتِي لَهُ وَالطَّهَارَةِ =

= أَلْبِي لَدَيْهِ إِذَا خَالَطَنَا قَلِيلًا سَلَبَتْ طَهَارَتُهُ وَذَهَبَ عِزُّهُ وَصَارَ مُتَبَتِّلًا قَدِيرًا يُتَحَامَى عَنْهُ وَيَتَوَلَّى الْوَجْهَ مِنْهُ، فَهَذَا كَانَ سَبَبُ خِلَاطِهِ لَنَا وَمُمَارَجَتُهُ بِنَا.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَطِيَّةَ رحمته الله هَذَا الْمَعْنَى فِي كِتَابِهِ حِينَ تَكَلَّمَ عَلَى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ فَقَالَ رحمته الله : ذَهَبَ أَبِي بَنُ كَعْبٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُمْ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ إِلَى طَعَامِهِ إِذَا صَارَ رَجِيماً لِيَتَأَمَّلَ حَيْثُ تَصِيرُ عَاقِبَةُ الدُّنْيَا، وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَانَى أَهْلُهَا.

وَهَذَا نَظِيرُ مَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رحمته الله أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَخَذَتْ فَإِنَّ مَلَكاً يَأْخُذُ بِنَاصِيَتِهِ عِنْدَ فَرَاغِهِ فَيَرُدُّ بَصَرَهُ إِلَى نَحْرِهِ مُوقِفاً لَهُ وَمُعْجِباً فَيَنْفَعُ ذَلِكَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ انْتَهَى. ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ هَذَا فِي الطَّعَامِ وَحْدَهُ، بَلْ فِي كُلِّ مَا نُبَاشِرُهُ إِنْ لَبِسْنَا ثَوْباً جَدِيداً فَعَنَ قَلِيلٌ يَتَوَسَّخُ وَيَتَقَدَّرُ وَعَنَ قَلِيلٌ يَتَمَزَّقُ وَيَخْلُقُ وَإِنْ مَسَّنَا طَبِيباً فَعَنَ قَلِيلٌ تَذَهَّبَ رَائِحَتُهُ وَيُسْتَقْدَرُ وَأَشْبَاهُ هَذَا كَثِيرٌ.

فَتَجِبَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْقَائِمَةِ أَنَّ الْمَوْتِ بَعْدَهُ إِذَا ذَاكَ وَتَأْخُذُ نَفْسُهُ فِي الْأَدَبِ بِهِ مِنْ وَجْهَيْنِ : الرَّجْعُ الْأَوَّلُ : الْهَرَبُ مِنَ خِلَاطِهِ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ فِي دِينِهِ ؛ لِأَنَّهُ يُخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ آثَارِ هَذِهِ الْخِلَاطَةِ لِغَيْرِ الْجِنْسِ كَمَا صَارَ الطَّعَامُ فِي جَوْفِهِ هُوَ فَلْيَحْذَرْ مِنْ ذَلِكَ. [فِي "مُخْتَارِ الصَّحَاحِ" : وَ الْخِلَاطَةُ بِالضَّمِّ الشَّرْكَةُ وَبِالْكَسْرِ الْعَشْرَةُ].

الرَّجْعُ الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ إِذَا خَالَطَهُ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يَنْتَفِعُ بِهِ فِي دِينِهِ أَوْ يَنْفَعُهُ هُوَ فَلْيَحْذَرْ مِنْهُ أَنْ يُغَيَّرَ [يُفْسِدَ] أَحَدًا مِنْهُمْ بِسَبَبِ خِلَاطِهِ كَمَا يَتَغَيَّرُ كُلُّ مَا تَقَدَّمَ مِمَّا ذُكِرَ، إِذْ أَنَّ ذَلِكَ فِي طَبْعِهِ وَمِزَاجِهِ أَغْنَى التَّغْيِيرَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، وَهَذَانِ وَجْهَانِ عَظِيمَانِ فِي السُّلُوكِ وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي قَضَاءِ الْحَاجَةِ مَعَ الْفَوَائِدِ الْمَاضِيَةِ كُلِّهَا.



بَابُ السَّوَاكِ

(يَسُنُّ بِعُودِ رَظٍ لَا يَنْتَكُ) وَلَا يَجْرَحُ الْفَمَ ﴿وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَاكُ بِعُودِ أَرَاكِ﴾ قَالَ فِي "الْكَافِي" ^(١).

(١) قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: لَمْ أَجِدْهُ بِهَذَا اللَّفْظِ. قُلْتُ: رَوَى أَحْمَدُ (٣٩٨١) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دَقَّةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ». [وإسناده حسن]. وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي "السُّلَيْسَةِ الصَّحِيحَةِ" (٦/٥٧٠/٢٧٥٠): أَخْرَجَ أَحْمَدُ (١/٤٢٠ - ٤٢١) وَكَذَا الطَّيَالِسِيُّ (رَقْمٌ ٣٥٥) وَابْنُ سَعْدٍ (٣/١٥٥) مِنْ طَرِيقِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «كُنْتُ أَجْتَنِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَرَاكِ، قَالَ: فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْ دَقَّةِ سَاقِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: مِنْ دَقَّةِ سَاقِيهِ. فَقَالَ: [وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهَا هِيَ أَثْقَلُ فِي "الْمِيزَانِ" مِنْ أُحُدٍ] وَالسِّيَاقُ لِابْنِ سَعْدٍ، وَالزِّيَادَةُ لِلآخَرِينَ. وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ، وَهُوَ صَحِيحٌ بِطَرَفِهِ الْكَثِيرَةِ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ وَابْنِ سَعْدٍ وَيَشَوَاهِدِهِ. اهـ.

قُلْتُ: وَفِي "لِسَانِ الْعَرَبِ": الْأَرَاكِ: شَجَرٌ مَعْرُوفٌ وَهُوَ شَجَرُ السَّوَاكِ يُسْتَاكُ بِفُرُوعِهِ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: هُوَ أَفْضَلُ مَا اسْتَيْكَ بِفُرْعِهِ مِنَ الشَّجَرِ وَأَطْيَبُ مَا رَعَتْهُ الْمَاشِيَةُ رَاحِحَةً لَبِنٍ قَالَ أَبُو زَيْدٍ: مِنْهُ تُتَّخَذُ هَذِهِ الْمَسَاوِيكُ مِنَ الْفُرُوعِ وَالْعُرُوقِ، وَأَجُودُهُ عِنْدَ النَّاسِ الْعُرُوقُ، وَاجِدْتُهُ أَرَاكَةً، قَالَ: هُوَ شَجَرٌ مَعْرُوفٌ لَهُ حَمْلٌ عَنَاقِيدِ الْعِنَبِ وَاسْمُهُ الْكَبَاثُ، يَفْتَحُ الْكَافُ، وَإِذَا نَضِجَ يُسَمَّى الْمَرْدَ. وَالْأَرَاكِ أَيْضًا: الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرَاكِ، وَقَدْ جَمَعُوا أَرَاكَةً فَقَالُوا أَرَاكِ. [

(وَهُوَ مَسْنُونٌ مُطْلَقًا) لِقَوْلِهِ ﷺ : «السَّوَاكُ مَظْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاءٌ لِلرَّبِّ» رَوَاهُ أَحْمَدُ [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] قَالَ فِي "الشَّرْحِ" : وَلَا نَعْلَمُ فِي اسْتِحْبَابِهِ خِلَافًا، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا قَالَ بِوُجُوبِهِ إِلَّا إِسْحَاقَ وَدَاوُدَ.

(إِلَّا بَعْدَ الزَّوَالِ لِلصَّائِمِ تَيَكُّرُهُ) لِحَدِيثِ عَلِيِّ مَرْفُوعًا : «إِذَا صُمْتُمْ فَاسْتَاكُوا بِالْغَدَاةِ وَلَا تَسْتَاكُوا بِالْعِشِيِّ» أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ [وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ]، وَلَئِنَّهُ يُزِيلُ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ، وَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِأَنَّهُ أَثَرُ عِبَادَةٍ مُسْتَطَابٌ فَلَمْ تُسْتَحَبَّ إِزَالَتُهُ، كَدَمِ الشُّهَدَاءِ.

(وَيَسُنُّ لَهُ قَبْلَهُ بِعُودٍ يَابِسٍ وَيُبَاحُ بِرَطْبٍ) لِقَوْلِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ : «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا لَا أَحْصِي يَتَسَوَّكُ وَهُوَ صَائِمٌ» حَسَنُهُ التِّرْمِذِيُّ [ضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ] ^(١).

(١) قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي "طَرَحِ الثَّرِيبِ" : بَابُ السَّوَاكِ وَخِصَالُ الْفُطْرَةِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ» زَادَ الْبُخَارِيُّ «مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ» وَقَالَ مُسْلِمٌ «عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»، وَفِي رِوَايَةِ لِلْبُخَارِيِّ عَلَّقَهَا «مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ» وَأَسْنَدَهَا ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي "صَحِيحِهِ" وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهَا.

(فَائِدَةٌ) أُسْتَدِلَّ بِعُمُومِ رِوَايَةِ الصَّحِيحَيْنِ «عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ». وَرِوَايَةِ النَّسَائِيِّ وَابْنِ خُزَيْمَةَ وَالْحَاكِمِ «عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ» عَلَى اسْتِحْبَابِ السَّوَاكِ لِلصَّائِمِ بَعْدَ الزَّوَالِ عِنْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَعِنْدَ الْوُضُوءِ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ، =

= رَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمَا وَهُوَ قَوْلُ الْأَئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ وَالْمُزَنِّيَّ وَأَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ الْمَهَذَّبِ: إِنَّهُ الْمُخْتَارُ، وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ ابْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَسَوَّكُ مَا لَا أَحْصِي وَهُوَ صَائِمٌ» [وَضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ] وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: يُكْرَهُ بَعْدَ الزَّوَالِ لِلصَّائِمِ. قَالَ ابْنُ دَقِيقٍ الْعِيدِ: وَتَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ خَاصٍّ بِهَذَا الْوَقْتِ يَخُصُّ بِهِ ذَلِكَ الْعُمُومَ وَهُوَ حَدِيثُ الْخُلُوفِ وَفِيهِ بَحْثٌ انْتَهَى.

وَقَالَ فِي الصَّيَامِ:

وَعَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمُسْكِ إِنَّمَا يَذُرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي فَالصَّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَّا الصَّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ».

قَالَ أَبُو زُرْعَةَ الْعِرَاقِيُّ: اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى كَرَاهَةِ السَّوَاكِ لِلصَّائِمِ بَعْدَ الزَّوَالِ لِمَا فِيهِ مِنْ إِزَالَةِ الْخُلُوفِ الْمَشْهُودِ لَهُ بِأَنَّهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمُسْكِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَبْدَأُ الْخُلُوفِ النَّاشِئِ مِنْ خُلُوفِ الْمَعِدَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الْمَشْهُورِ عَنْهُ وَعِبَارَتُهُ فِي ذَلِكَ (أَحَبُّ السَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَعِنْدَ تَغْيِيرِ الْقَمَرِ إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُهُ لِلصَّائِمِ آخِرَ النَّهَارِ مِنْ أَجْلِ الْحَدِيثِ فِي خُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ) انْتَهَى. وَلَيْسَ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ تَقْيِيدٌ ذَلِكَ بِالزَّوَالِ فَلِذَلِكَ قَالَ الْمَازِزِيُّ لَمْ يَحَدِّثِ الشَّافِعِيُّ الْكَرَاهَةَ بِالزَّوَالِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْعَشِيَّ فَحَدَّدَ الْأَصْحَابُ بِالزَّوَالِ.

= وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ كُرْهٌ ذَلِكَ آخِرُ النَّهَارِ، الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَأَبُو ثَوْرٍ وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَطَاءٍ وَمُجَاهِدٍ انْتَهَى وَحَكَاهُ ابْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ وَفَرَّقَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْفَرَضِ وَالْتَقَلِّ فَكَرِهَهُ فِي الْفَرَضِ بَعْدَ الزَّوَالِ وَلَمْ يَكْرَهُهُ فِي التَّقَلِّ؛ لِأَنَّهُ أَبْعَدُ مِنَ الرِّيَاءِ.

وَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إِلَى اسْتِحْبَابِهِ لِكُلِّ صَائِمٍ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَفِي آخِرِهِ كَغَيْرِهِ وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالْمُزَنِّيِّ، وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: رَخِّصْ فِيهِ لِلصَّائِمِ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ النَّخَعِيِّ وَابْنَ سِيرِينَ وَعُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَمَالِكٌ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، وَرَوَيْنَا الرُّخْصَةَ فِيهِ عَنْ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ، وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْفَرُطِيُّ: أَجَازَ كَافَّةُ الْعُلَمَاءِ لِلصَّائِمِ أَنْ يَتَسَوَّكَ بِسَوَاكِ لَا طَعْمَ لَهُ فِي أَيِّ أَوْقَاتِ النَّهَارِ شَاءَ انْتَهَى.

وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمٍ السَّوَاكُ سُنَّةٌ لِلصَّائِمِ وَالْمُفْطِرِ وَالرَّطْبُ وَالْيَابِسُ سَوَاءٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَا كُؤِلَ وَلَا مَشْرُوبٌ.

وَالَّذِينَ لَمْ يَكْرَهُوهُ بَعْدَ الزَّوَالِ تَمَسَّكُوا بِعُمُومِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ﴾. قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ يَدْخُلُ فِي هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ: قَالَ عُلَمَاؤُنَا: لَمْ يَصِحَّ فِي سَوَاكِ الصَّائِمِ حَدِيثٌ نَقِيًّا وَلَا إِسْنَانًا إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَضَّ عَلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ وَكُلِّ صَلَاةٍ مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ بَيْنَ صَائِمٍ وَغَيْرِهِ وَنَدَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى السَّوَاكِ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ صَائِمٍ وَغَيْرِهِ. قَالَ: وَتَعَلَّقَ الشَّافِعِيُّ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ﴿لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ﴾ فَصَارَ مُمَدِّحًا شَرْعًا فَلَمْ تَجْزِ إِزَالَتُهُ بِالسَّوَاكِ أَصْلُهُ دَمُ الشَّهِيدِ =

= قَالَ فِيهِ «اللَّوْنُ لَوْنُ الدِّمِّ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمُسْكِ» فَلَا جَرَمَ لَا يَجُوزُ غَسْلُهُ ثُمَّ قَالَ: قَالَ عَلَمَاؤُنَا: السَّوَاكُ لَا يُزِيلُ الْخُلُوفَ. ثُمَّ حَكَى عَنْ شَيْخِهِ الْقَاضِي بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَبِي الْحَرَمِ مَكِّي بْنِ مَرْزُوقٍ قَالَ أَقَادَنَا الْقَاضِي سَيْفُ الدِّينِ بِهَا فَقَالَ السَّوَاكُ مَظْهَرَةٌ لِلْفَمِ فَلَا يَكْرَهُ كَالْمَضْمَضَةِ لِلصَّائِمِ لَا سِيَّمَا وَهِيَ رَائِحَةٌ تَتَأَدَّى بِهَا الْمَلَائِكَةُ فَلَا تُتْرَكُ هُنَالِكَ. وَأَمَّا الْخَبَرُ فَقَائِدَتُهُ عَظِيمَةٌ بِدِيعَةٍ وَهِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا مَدَحَ الْخُلُوفَ نَهْيًا لِلنَّاسِ عَنْ تَقْدِيرِ مُكَالَمَةِ الصَّائِمِينَ بِسَبَبِ الْخُلُوفِ لَا نَهْيًا لِلصَّوْمِ عَنِ السَّوَاكِ وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ وُصُولِ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ إِلَيْهِ فَعَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّهُ لَمْ يُرَدْ بِالنَّهْيِ اسْتِيقَاءُ الرَّائِحَةِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ نَهْيَ النَّاسِ عَنْ كَرَاهَتِهَا قَالَ وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَوْلَى؛ لِأَنَّ فِيهِ إِكْرَامًا لِلصَّيَامِ وَلَا تَعَرُّضَ فِيهِ لِلْسَّوَاكِ، قَالَ: وَأَمَّا دَمُ الشَّهِيدِ فَإِنَّمَا أَبْقَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ قُتِلَ مَظْلُومًا وَيَأْتِي خَضَمًا وَمِنْ شَأْنِ حُجَّةِ الْخَضَمِ أَنْ تَكُونَ بَادِيَةً وَشَهَادَتُهُ ظَاهِرَةٌ لَا سِيَّمَا وَفِي إِزَالَةِ الْخُلُوفِ إِخْفَاءُ الصَّيَامِ وَهُوَ أَبْعَدُ مِنَ الرِّبَاءِ انْتَهَى.

وَذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ: إِنَّهُ يَنْعَى كَوْنَ السَّوَاكِ يُزِيلُ الْخُلُوفَ فَإِنَّهُ مِنَ الْمَعِدَةِ وَالْحَلَقِ لَا مِنْ مَحَلِّ السَّوَاكِ. وَقَالَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ التَّرْمِذِيِّ وَهَذَا مُخَالِفٌ لِلْحَسَنِ؛ لِأَنَّ الصَّائِمَ إِذَا تَغَيَّرَ فَمُهُ وَاسْتَأْكَ زَالَتِ الرَّائِحَةُ الْكَرِيهَةُ، وَأَمَّا كَوْنُ أَضَلِّ التَّغْيِيرِ مِنَ الْمَعِدَةِ فَأَمْرٌ آخَرُ، ثُمَّ حَكَى عَنْ صَاحِبِ الْمُحْكَمِ أَنَّهُ حَكَى عَنِ اللَّحْيَانِيِّ خُلْفُ الطَّعَامِ وَالْفَمِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا يَخْلُفُ خُلُوفًا إِذَا تَغَيَّرَ وَأَكَلَ طَعَامًا فَبَقِيََتْ فِيهِ فِيهِ خُلْفَةٌ فَتَغَيَّرَ فُوهُ وَهُوَ الَّذِي يَبْقَى بَيْنَ الْأَسْنَانِ اهـ. وَقَالَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ جَمَالُ الدِّينِ الْإِسْطَوِيُّ فِي "الْمُهَمَّاتِ": لَكَ أَنْ تَقُولَ مَا الْحِكْمَةُ فِي تَحْرِيمِ إِزَالَةِ دَمِ الشَّهِيدِ مَعَ أَنَّ رَائِحَتَهُ مُسَاوِيَةٌ لِرَائِحَةِ الْمُسْكِ =

(وَلَمْ يُصِبِ الشَّيْءُ مِنْ اسْتِثْنَاءِ بَعْضِ عُرُودٍ) وَقِيلَ: بَلَى، بِقَدْرِ مَا يَحْضُلُ مِنَ الْإِنْقَاءِ، قَالَ فِي "الشَّرْحِ": وَهُوَ الصَّحِيحُ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: ﴿يُجْزَى مِنَ السَّوَاكِ الْأَصَابِعُ﴾ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ [ضَعْفُ الْأَلْبَانِيِّ]، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْحَافِظُ: هَذَا إِسْنَادٌ لَا أَرَى بِهِ بَأْسًا.

(وَتَأْكُذُّ عِنْدَ وُضُوءٍ وَصَلَاةٍ) لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: ﴿لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ﴾ وَلِلْبُخَارِيِّ تَعْلِيلًا:

= وَعَدَمُ تَحْرِيمِ إِزَالَةِ الْخُلُوفِ مَعَ كَوْنِهِ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ؟
(ثَلَاثٌ) وَجَوَابُهُ مِنْ أَوْجُوبٍ: (أَحَدُهَا) أَنَّ دَمَ الشَّهِيدِ حُجَّةٌ لَهُ عَلَى خَصْمِهِ وَلَيْسَ لِلصَّائِمِ خَصْمٌ يَخْتَجُّ عَلَيْهِ بِالْخُلُوفِ إِنَّمَا هُوَ شَاهِدٌ لَهُ بِالصِّيَامِ وَذَلِكَ مَحْفُوظٌ عِنْدَ اللَّهِ وَمَلَأَتْكَ بِهِ. (ثَانِيهَا) أَنَّ دَمَ الشَّهِيدِ حَقٌّ لَهُ فَلَا يُزَالُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَقَدْ انْقَطَعَ ذَلِكَ بِمَوْتِهِ، وَالْخُلُوفُ حَقٌّ لِلصَّائِمِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي تَرْكِ حَقِّهِ وَإِزَالَةِ مَا يَشْهَدُ لَهُ بِالْفَضْلِ. (ثَالِثُهَا) أَنَّ كَوْنَ رَائِحَةِ دَمِ الشَّهِيدِ كَرَائِحَةِ الْمِسْكِ أَمْرٌ حَقِيقِيٌّ وَكَوْنَ رَائِحَةِ الْخُلُوفِ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ أَمْرٌ حُكْمِيٌّ لَهُ تَأْوِيلٌ يَضَرُّهُ عَنْ ظَاهِرِهِ.
(رَابِعُهَا) أَنَّهُ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ إِزَالَةِ دَمِ الشَّهِيدِ مَعَ وَجُوبِ إِزَالَةِ الدَّمِ وَمَعَ وَجُوبِ غُسْلِ الْمَيِّتِ فَمَا أُغْتَفِرَ تَرْكُ هَذَيْنِ الْوَاجِبَيْنِ إِلَّا لِتَحْرِيمِ إِزَالَتِهِ فَلَبْلَبْنَا بِتَحْرِيمِهِ وَلَمْ يُرَدْ ذَلِكَ فِي السَّوَاكِ، وَإِنَّمَا قِيلَ بِالِاسْتِنْبَاطِ. (خَامِسُهَا) أَنَّهُ عَارِضٌ ذَلِكَ فِي خُلُوفِ الصَّائِمِ بَقَاءُ الْحَيَاةِ وَهِيَ مَحَلُّ التَّكْلِيفِ وَالْعِبَادَاتِ وَمُلَاقَاةِ الْبَشَرِ فَأَمَّا كَوْنُ أَنَّ يُزَالِ الْخُلُوفُ لِمَا يُعَارِضُهُ بِخِلَافِ دَمِ الشَّهِيدِ فَإِنَّهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

﴿عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ﴾ [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]

(وَأَنْبَاءٌ مِنْ نَوْمٍ، وَحِينَ تَغْيِرُ رَائِحَةَ نَمٍ) لِأَنَّ السَّوَاكَ شَرِعٌ لِإِزَالَةِ الرَّائِحَةِ.

(وَقِرَاءَةُ) تَطْيِيبًا لِلْفَمِ، لِئَلَّا يَتَأَذَى الْمَلِكُ عِنْدَ تَلْقَائِهِ الْقِرَاءَةَ مِنْهُ، وَعَنْ حُذَيْفَةَ: ﴿كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسَّوَاكِ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(وَكَذَا عِنْدَ دُخُولِ مَسْجِدٍ وَمَنْزِلٍ) لِمَا رَوَى شَرِيحُ بْنُ هَانِيٍّ قَالَ: ﴿سَأَلْتُ عَائِشَةَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: بِالسَّوَاكِ﴾. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَالْمَسْجِدُ أَوَّلَى مِنَ الْبَيْتِ.

(وَإِطَالَةُ سُكُوتٍ، وَصُفْرَةُ أَسْنَانٍ) لِأَنَّ ذَلِكَ مِظَنَّةٌ تَغْيِرُ الْفَمَ. (وَلَا بَأْسَ أَنْ يَسُوكَ بِالْعُودِ الْوَاحِدِ اثْنَانِ فَصَاعِدًا) لِأَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَيِّنَتِ السَّوَاكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَاكَ بِهِ ^(١).

(١) رَوَى الْبُخَارِيُّ (٤٤٣٨)، وَمُسْلِمٌ (٢١٩٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ﴿دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي، وَمَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ سِوَاكًا رَطْبًا يَسْتَنُّ بِهِ، فَأَبَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصَرَهُ، فَأَخَذْتُ السَّوَاكَ فَقَضَمْتُهُ [فَقَضَمْتُهُ]، وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَنَّنَ بِهِ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنَّنَ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا عَدَا أَنْ قَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفْعَ يَدِهِ أَوْ إَضْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ثَلَاثًا، ثُمَّ قَضَى، وَكَانَتْ تَقُولُ مَا تَبَيَّنَ حَاقِفَتِي =

فَضْلٌ

(يَسُنُّ خَلْقَ الْعَانَةِ وَتَنُفُّ الْإِبِطِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ) لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الْخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَتَنُفُّ الْإِبِطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(١).

= وَذَاقَتِي. قُلْتُ: وَأَمَّا الْآنَ فِي زَمَانِنَا هَذَا الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الْأَمْرَاضُ الصَّعْبَةُ الَّتِي تَنْتَقِلُ عَنْ طَرِيقِ الْقَمِ وَاللُّعَابِ وَمِنْ أَشَدِّهَا الْتِهَابُ الْكَبِدِ الْفَيْرُوسِيُّ فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَوَقَّى ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «فَرٌّ مِنَ الْمَجْزُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ». (١) قَالَ التَّوَوِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ" شَرْحِ "الْمُهَذَّبِ":

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: رَوَى مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ، وَالسَّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَعَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَتَنُفُّ الْإِبِطِ، وَخَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ» " قَالَ مُضْعَبُ بْنُ شَيْبَةَ أَحَدُ رَوَاتِهِ: وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ " الْمَضْمُضَةُ "

وَقَالَ وَكِيعٌ وَهُوَ أَحَدُ رَوَاتِهِ: انْتِقَاصُ الْمَاءِ الْإِسْتِنْجَاءُ وَهُوَ بِالْقَافِ وَالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ فِي لُغَاتِهِ: قَالَ الطُّفَرُ فِيهِ لُغَاتٌ: طُفَرٌ، وَطُفَرٌ: بِضَمِّ الطَّاءِ وَالْفَاءِ وَإِسْكَانِ الْفَاءِ، وَطُفَرٌ وَطُفِرَ بِكَسْرِ الطَّاءِ مَعَ إِسْكَانِ الْفَاءِ وَكَسْرِهَا وَأُطْفِرُ، وَالْفَصِيحُ الْأَوَّلُ، وَبِهِ جَاءَ الْقُرْآنُ،

وَالْبَرَاجِمُ يَفْتَحُ الْبَاءُ الْمُوَحَّدَةَ جَمْعُ بَرْجَمَةٍ بِضَمِّهَا: وَهِيَ الْعُقْدَةُ الْمُتَشَبِّهَةُ =

= الْجِلْدُ فِي ظُهُورِ الْأَصَابِعِ، وَهِيَ مَفَاصِلُهَا الَّتِي فِي وَسَطِهَا بَيْنَ الرُّوَابِجِ وَالْأَشَاجِعِ فَالرُّوَابِجُ هِيَ الْمَفَاصِلُ الَّتِي تَلِي رُءُوسَ الْأَصَابِعِ، وَالْأَشَاجِعُ بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ هِيَ الْمَفَاصِلُ الَّتِي تَلِي ظَهَرَ الْكَفِّ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: الرُّوَابِجُ وَالْبُرَاجِمُ جَمِيعًا هِيَ مَفَاصِلُ الْأَصَابِعِ كُلِّهَا، وَهَذَا مُرَادُ الْحَدِيثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَإِنَّهَا كُلُّهَا تَجْمَعُ الْوَسَخَ.

وَأَمَّا الْإِبْطُ فَبِاسْتِكَانِ الْبَاءِ وَفِيهِ لُغَتَانِ: التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: الْإِبْطُ مُذَكَّرٌ وَقَدْ يُؤَنَّثُ فَيُقَالُ إِبْطٌ حَسَنٌ وَحَسَنَةٌ وَأَبْيَضٌ وَبَيْضَاءٌ.

وَأَمَّا الْفِطْرَةُ فَبِكْسْرِ الْفَاءِ وَأَضْلُهَا الْخِلْقَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ [الروم: ٣٠] وَتَفْسِيرُ الْفِطْرَةِ هُنَا بِالسُّنَّةِ هُوَ الصَّوَابُ، فَنَحْنُ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿مِنَ السُّنَّةِ قَصُّ الشَّارِبِ وَتَنَفُّ الْإِبْطِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ﴾ " وَأَصَحُّ مَا فَسَّرَ بِهِ غَرِيبُ الْحَدِيثِ تَفْسِيرُهُ بِمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى لَا سِيَّمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: " الْفِطْرَةُ عَشْرَةٌ " فَمَعْنَاهُ مُعْظَمُهَا عَشْرَةٌ " كَالْحَجِّ عَرَفَةَ " لِإِنَّهَا غَيْرُ مُنْحَصِرَةٍ فِي الْعَشْرَةِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ رِوَايَةُ مُسْلِمٍ " عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ ".

وَأَمَّا ذِكْرُ الْخِتَانِ فِي جُمْلَتِهَا وَهُوَ وَاجِبٌ وَبَاقِيهَا سُنَّةٌ فَغَيْرُ مُمْتَنِعٍ، فَقَدْ يُقَرَّنُ الْمُخْتَلِفَانِ كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآمِنُوا بِحَقِّهِ...﴾ [الأنعام: ١٤١] " وَالْأَكْلُ مُبَاحٌ وَالْإِيْتَاءُ وَاجِبٌ،

وقوله تعالى: ﴿فَكَاتَبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآمِنُواهُمْ...﴾ [النور: ٣٣] " وَالْإِيْتَاءُ وَاجِبٌ وَالْكِتَابَةُ سُنَّةٌ، وَنَظَائِرُهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ.

وَأَمَّا الْإِنْتِصَاحُ فَاخْتَلَفَ فِيهِ فَقِيلَ هُوَ نَضْحُ الْفَرْجِ بِقَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ بَعْدَ الْوُضُوءِ =

.....

= لِدَفْعِ الْوَسْوَاسِ،

وَالصَّحِيحُ الَّذِي قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ وَالْمُحَقِّقُونَ أَنَّهُ الْإِسْتِجَاءُ بِالْمَاءِ، بِدَلِيلِ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «وَأَنْتِقَاصُ الْمَاءِ». وَهُوَ بِالْقَافِ وَالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: هُوَ مَا أُخُوذُ مِنَ النَّضْحِ وَهُوَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ.

وَأَمَّا الْإِسْتِخْدَادُ فَهُوَ اسْتِعْمَالُ الْحَدِيدَةِ، وَصَارَ كِنَايَةً عَنْ حَلْقِ الْعَانَةِ.

السَّنَاءَةُ الثَّانِيَةُ: فِي الْأَحْكَامِ:

أَمَّا تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ: فَمُجْمَعٌ عَلَى أَنَّهُ سُنَّةٌ، وَسَوَاءٌ فِيهِ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالْيَدَانِ وَالرُّجْلَانِ،

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَبْدَأَ بِالْيَدِ الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى ثُمَّ الرَّجُلِ الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى.

وَأَمَّا الرُّجْلَانِ فَيَبْدَأُ بِخَنَصِرِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَمُرُّ عَلَى التَّرْتِيبِ حَتَّى يَخْتِمَ بِخَنَصِرِ الْيُسْرَى كَمَا فِي تَخْلِيلِ الْأَصَابِعِ فِي الْوُضُوءِ.

وَأَمَّا الثَّوْقُ فِي تَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ فَهُوَ مُعْتَبَرٌ بِطَوْلِهَا، فَمَتَى طَالَتْ قَلَمَهَا وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ وَالْأَحْوَالِ، وَكَذَا الضَّابِطُ فِي قَصِّ الشَّارِبِ وَتَنْفِ الْإِيطِ وَحَلْقِ الْعَانَةِ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَتَنْفِ الْإِيطِ وَحَلْقِ الْعَانَةِ أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَهَذَا لَفْظُهُ. وَقَوْلُهُ: " وَُقِّتَ لَنَا " كَقَوْلِ الصَّحَابِيِّ: أَمِرْنَا بِكَذَا وَنَهِينَا عَنْ كَذَا وَهُوَ مَرْمُوعٌ.

ثُمَّ مَعْنَى هَذَا الْحَبِيثِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْخَرُونَ فِعْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَنْ وَقْتِهَا فَإِنْ أَخَرُوهَا فَلَا يُؤْخَرُونَهَا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الْإِذْنُ فِي التَّأْخِيرِ أَرْبَعِينَ =

(وَالنَّظَرُ فِي الْمِرَاقَةِ) وَقَوْلُ: ﴿اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي﴾ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَائِشَةَ [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] وَرَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَزَادَ: ﴿وَحَرَّمَ وَجْهِي عَلَى النَّارِ﴾ [ضَعَّفَ الْأَلْبَانِيُّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ]

(وَالطَّبِيبُ بِالطَّبِيبِ) لِحَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ مَرْفُوعًا: ﴿أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ: الْحَيَاءُ، وَالتَّعَطُّرُ، وَالسَّوَاكُ، وَالنِّكَاحُ﴾ رَوَاهُ أَحْمَدُ [وَضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ].^(١)

(وَالِإِحْتِحَالُ كُلُّ لَيْلَةٍ فِي كُلِّ عَيْنٍ ثَلَاثًا) لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْتَحِلُ بِالْإِثْمِدِ كُلَّ لَيْلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ، وَكَانَ يَكْتَحِلُ

= مُطْلَقًا، وَقَدْ نَصَّ الشَّافِعِيُّ وَالْأَصْحَابُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَالْأَخْذُ مِنْ هَذِهِ الشُّعُورِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَظْفَارِ وَسَخٌ فَإِنْ لَمْ يَمْنَعْ وَضُوءُ الْمَاءِ إِلَى مَا تَحْتَهُ لِقَلَّتِهِ صَحَّ الْوُضُوءُ، وَإِنْ سَخَ فَقَطَعَ الْمُتَوَلَّى بِأَنَّهُ لَا يُجْزِيهِ وَلَا يَرْتَفِعُ حَدُّهُ، كَمَا لَوْ كَانَ الْوَسَخُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْبَدَنِ، وَقَطَعَ الْغَزَالِيُّ فِي الْإِحْيَاءِ بِالْإِجْزَاءِ وَصَحَّ الْوُضُوءُ وَالْغُسْلُ أَنَّهُ يُعْفَى عَنْهُ لِلْحَاجَةِ، قَالَ: لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْمُرُهُمْ بِتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَيُنَكِّرُ مَا تَحْتَهَا مِنْ وَسَخٍ، وَلَمْ يَأْمُرُهُمْ بِإِعَادَةِ الصَّلَاةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) رَوَى النَّسَائِيُّ (٣٩٣٩، ٣٩٤٠)، وَأَحْمَدُ (١١٨٨٤، ١٢٦٤٤، ١٣٦٢٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النَّسَاءُ وَالطَّبِيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ﴾ [وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ].

فِي كُلِّ عَيْنٍ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ ﴿ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ . [وَقَالَ
الْأَلْبَانِيُّ ضَعِيفٌ جِدًّا] ^(١) .

(وَحَثَّ الشَّارِبَ، وَإِعْفَاءَ اللَّحْيَةِ) لِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا :
﴿ خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ : أَحْفُوا الشَّوَارِبَ ، وَأَوْفُوا اللَّحْيَ ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
(وَحَرَّمَ حَلْقَهَا) ذَكَرَهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ، قَالَهُ فِي " الْفُرُوعِ " .
(وَلَا بَأْسَ بِأَخْذِ مَا زَادَ عَلَى الْقَبْضَةِ مِنْهَا) لِأَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَفْعَلُهُ
إِذَا حَجَّ أَوْ اعْتَمَرَ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . ^(٢)

(١) رَوَى التِّرْمِذِيُّ (١٧٥٧) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ﴿ ائْتَجَلُوا بِالْإِيمِدِ
فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ ، وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَتْ لَهُ مُكْحَلَةٌ يَكْتَحِلُ بِهَا كُلَّ
لَيْلَةٍ ثَلَاثَةً فِي هَذِهِ وَثَلَاثَةً فِي هَذِهِ ﴾ [قَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ
غَرِيبٌ . وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ : صَحِيحٌ دُونَ قَوْلِهِ " وَزَعَمَ " .

وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ (٣٤٩٥) عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ عَلَيْكُمْ
بِالْإِيمِدِ فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ ﴾ . [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] .

(٢) رَوَى الْبُخَارِيُّ (٥٨٩٢) ، وَمُسْلِمٌ (٢٥٩) عَنْ ابْنِ عُمَرَ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :
﴿ خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفَرُّوا اللَّحْيَ وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا حَجَّ أَوْ
اعْتَمَرَ قَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ فَمَا فَضَلَ أَخَذَهُ ﴾ هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ .

وَلِلْبُخَارِيِّ (٥٨٩٣) عَنْ ابْنِ عُمَرَ ؓ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ ائْتَجَلُوا
الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللَّحْيَ ﴾

وَلِمُسْلِمٍ (٢٥٩) عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ
أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللَّحْيَ ﴾ .

(وَالْخَنَانُ وَاجِبٌ عَلَى الذَّكْرِ وَالْأُنْثَى) لِأَنَّهُ مِنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، [١/٦] وَفِي الْحَدِيثِ: ﴿اخْتَنَنَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مَا أَتَتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً﴾. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ،

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وَقَالَ ﷺ لِرَجُلٍ أَسْلَمَ: ﴿أَلْقِ عَنْكَ شَعْرَ الْكُفْرِ وَاخْتَنِنِ﴾ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ [وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ] ^(١).

= وَلِمُسْلِمٍ (٢٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللَّحَى؛ خَالِفُوا الْمَجُوسَ﴾. وَلَاخْمَدَ (٧٠٩٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُصُّوا الشَّوَارِبَ وَأَغْفُوا اللَّحَى﴾ [وَأِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ" (٤٣٩٢)].

وَلَاخْمَدَ (٨٤٥٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿أَغْفُوا اللَّحَى وَخُذُوا الشَّوَارِبَ وَغَيِّرُوا شَيْبَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى﴾ [وَأِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ" (١٠٦٧)].

وَلَاخْمَدَ (٨٥٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَغْفُوا اللَّحَى﴾. [وَأِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ" (١٠٦٧)].

(١) رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٣٥٦)، وَأَخْمَدُ (١٥٠٠٦) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرْتُ عَنْ عُثَيْمِ بْنِ كُلَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: ﴿أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: قَدْ أَسْلَمْتُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَلْقِ عَنْكَ شَعْرَ الْكُفْرِ؛ يَقُولُ اخْلُقْ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي آخَرُ مَعَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِآخَرٍ مَعَهُ: أَلْقِ عَنْكَ شَعْرَ الْكُفْرِ وَاخْتَنِنِ﴾ [وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ]. =

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ : « إِذَا التَقَى الْخِتَانَانِ وَجَبَ الْغُسْلُ » [صَحَّحَهُ
الْأَلْبَانِيُّ]: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَخْتَنِينَ، وَقَالَ أَحْمَدُ: كَانَ ابْنُ

= ، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي "الْكَبِيرِ" (٢٢/٨٢/١٩٩)، وَفِي "الصَّغِيرِ" (٢/١١٧/٨٨٠) وَالْحَاكِمُ فِي "المُسْتَدْرَكِ" (٣/٦٥٩) عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ قَالَ: «لَمَّا
أَسْلَمْتُ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لِي: اذْهَبِ فَاغْتَسِلِي بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَأَلْقِي عَنْكَ شَعْرَ
الْكُفْرِ» [وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ: فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٨٥٨)].

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْعَظِيمُ الْحَقُّ آبَادِي فِي 'عَوْنِ الْمَعْبُودِ' شَرْحُ 'سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ':
(أَلْقِي عَنْكَ شَعْرَ الْكُفْرِ): لَيْسَ الْمُرَادُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَسْلَمَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ
يَخْلُقَ رَأْسَهُ كَمَا يَلْزَمُ الْغُسْلُ، بَلْ إِضَافَةُ الشَّعْرِ إِلَى الْكُفْرِ بَدَلٌ عَلَى حَلْقِ الشَّعْرِ
الَّذِي هُوَ لِلْكَفَّارِ عِلَامَةٌ لِكُفْرِهَا وَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ الْهَيْئَةِ فِي الْبِلَادِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَكَفَرَةُ
الْهِنْدِ وَمِضْرَ لَهُمْ فِي مَوْضِعٍ مِنَ الرُّأْسِ شُعُورٌ طَوِيلَةٌ لَا يَتَعَرَّضُونَ لَهَا بِشَيْءٍ مِنَ
الْحَلْقِ أَوْ الْجَزِّ أَبَدًا، وَإِذَا أَرَادُوا حَلْقَ الرُّأْسِ يَخْلِفُونَهَا كُلَّهَا إِلَّا ذَلِكَ الْمِقْدَارَ
وَهُوَ عَلَى الظَّاهِرِ عِلَامَةٌ مُمَيِّزَةٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِسْلَامِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَدِّثِ عَثِيمٍ
وَمَنْ كَانَ مَعَهُ أَنْ يَخْلُقَا شَعْرَهُمَا الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِمَا مِنْ ذَلِكَ الْجِنْسِ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ. (قَالَ): أَيُّ وَالِدِ عَثِيمٍ (وَأَخْبَرَنِي آخَرُ): مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ جَدِّ
عَثِيمٍ (أَلْقَى): أَيُّ إِحْلَاقٍ (وَاخْتَنَيْنِ): وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِخْتِنَانَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ
وَاجِبٌ وَأَنَّهُ عِلَامَةٌ لِلْإِسْلَامِ، لَكِنَّ الْحَدِيثَ ضَعِيفٌ. قَالَ الْمُنْذِرِيُّ: قَالَ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: كَتَبْتُ وَالِدَ عَثِيمٍ بِضَرِيٍّ رَوَى عَنْ أَبِيهِ. مُرْسَلٌ. هَذَا
آخِرُ كَلَامِهِ. وَفِيهِ أَيْضًا رَوَايَةٌ مَجْهُولٌ، وَعَثِيمٌ بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَبَعْدَهَا ثَاءٌ
مُثَلَّثَةٌ وَيَاءٌ آخِرُ الْحُرُوفِ سَاكِنَةٌ وَمِيمٌ. انْتَهَى.

عَبَّاسٍ يُشَدُّ فِي أَمْرِهِ حَتَّى قَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ لَا حَجَّ لَهُ وَلَا صَلَاةٌ.
(عِنْدَ الْبُلُوغِ وَقَبْلَهُ أَفْضَلُ) لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْبُرِّ، وَلِأَنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ
لَيْسَ مُكَلَّفًا، وَنَقَلَ فِي الْفُرُوعِ عَنِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ أَنَّهُ قَالَ: يَجِبُ إِذَا
وَجَبَتِ الطَّهَارَةُ وَالصَّلَاةُ ^(١).

(١) وَقَالَ ابْنُ قُدَّامَةَ فِي "الْمُعْنَى":

فَصَلَ: قَائِمًا الْخِتَانُ فَوَاجِبٌ عَلَى الرِّجَالِ، وَمَكْرُمَةٌ فِي حَقِّ النِّسَاءِ، وَلَيْسَ
بِوَاجِبٍ عَلَيْهِنَّ.

هَذَا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

قَالَ أَحْمَدُ: الرَّجُلُ أَشَدُّ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا لَمْ يَخْتَنِ، فَعَلَّكَ الْجِلْدَةُ مَدْلَاةً
عَلَى الْكَمَرَةِ، وَلَا يُنْقَى مَا تَمَّ، وَالْمَرْأَةُ أَهْوَنُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُشَدُّ فِي أَمْرِهِ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ لَا حَجَّ لَهُ
وَلَا صَلَاةَ، يَغْنِي: إِذَا لَمْ يَخْتَنِ، وَالْحَسَنُ يُرَخِّصُ فِيهِ يَقُولُ: إِذَا أَسْلَمَ لَا
يُبَالِي أَنْ لَا يَخْتَنِ وَيَقُولُ: أَسْلَمَ النَّاسُ الْأَسْوَدُ، وَالْأَبْيَضُ، لَمْ يُفَشَّ أَحَدٌ
مِنْهُمْ، وَلَمْ يَخْتَنُوا.

وَالدَّلِيلُ عَلَى وَجُوبِهِ: أَنَّ سَرَّ الْعَوْرَةِ وَاجِبٌ، فَلَوْلَا أَنَّ الْخِتَانَ وَاجِبٌ لَمْ يَجُزْ
هَتَكَ حُرْمَةِ الْمَخْتُونِ بِالنَّظَرِ إِلَى عَوْرَتِهِ مِنْ أَجْلِهِ؛ وَلِأَنَّهُ مِنْ شِعَارِ الْمُسْلِمِينَ،
فَكَانَ وَاجِبًا، كَسَائِرِ شِعَارِهِمْ،

وَإِنْ أَسْلَمَ رَجُلٌ كَثِيرٌ فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْخِتَانِ سَقَطَ عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْغُسْلَ
وَالْوُضُوءَ وَغَيْرَهُمَا يَسْقُطُ إِذَا خَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ، فَهَذَا أَوَّلَى.

وَإِنْ أَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ لَزِمَهُ فِعْلُهُ، قَالَ حَنْبَلٌ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الدُّمِيِّ إِذَا =

= أَسْلَمَ، تَرَى لَهُ أَنْ يُطَهَّرَ بِالْخِتَانَةِ؟ قَالَ: لَا بُدَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ. قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا أَوْ كَبِيرَةً؟ قَالَ: أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَتَطَهَّرَ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ: «اخْتَنَ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً»، قَالَ تَعَالَى: «مَلَأَ أَيْكُمُ إِبْرَاهِيمُ...» [الحج: ٧٨].

وَيُشْرَعُ الْخِتَانُ فِي حَقِّ النِّسَاءِ أَيْضًا:

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا التَّقَى الْخِتَانَانِ وَجَبَ الْغُسْلُ» فِيهِ بَيَانٌ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَخْتَنْنَ، وَحَدِيثُ عُمَرَ: إِنَّ خِتَانَةَ خَتَنَتْ، فَقَالَ: " أَبْقِي مِنْهُ شَيْئًا إِذَا خَفَضْتَ ".

وَرَوَى الْخَلَّالُ، بِإِسْنَادِهِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْخِتَانُ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ، وَمَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ» [رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢٠١٩٥) عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ بْنِ أَسَامَةَ عَنْ أَبِيهِ. وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي " السُّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَوْضُوعَةِ " (٤ / ٤٠٧)] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ مِثْلُ ذَلِكَ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ،

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّهُ قَالَ لِلْخَافِضَةِ: أَشْمِي وَلَا تَنْهَكِي، فَإِنَّهُ أَحْظَى لِلزَّوْجِ، وَأَسْرَى لِلْوَجْهِ». وَالْخَفَضُ: خِتَانَةُ الْمَرْأَةِ. [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٥٢٧١)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٢٤ / ٨)، وَابْنُ مَجَّاهٍ (٣٩٦ / ٦) فِي " شُعَبِ الْإِيمَانِ " (٦ / ٣٩٦) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَخْتِنُ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَنْهَكِي؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْظَى لِلْمَرْأَةِ وَأَحَبُّ إِلَى الْبُعْلِ» وَلَفْظُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ خَاتِنَةً تَخْتِنُ فَقَالَ: إِذَا خَتَنَتْ فَلَا تَنْهَكِي؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْظَى لِلْمَرْأَةِ وَأَحَبُّ إِلَى الْبُعْلِ». [قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَوَى عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَعْنَاهُ وَإِسْنَادِهِ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَيْسَ هُوَ بِالْقَوِي، وَقَدْ رَوَى مُرْسَلًا، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: =

= وَمُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ مَجْهُولٌ، وَهَذَا الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ. وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٤٩٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي "الْكَبِيرِ" (٨ / ٢٩٩ / ٨١٣٧) وَالْحَاكِمُ فِي "الْمُسْتَدْرَكِ" (٣ / ٦٠٣ / ٦٢٣٦) عَنِ الصَّحَّاحِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه قَالَ: ﴿كَانَتْ بِالْمَدِينَةِ امْرَأَةٌ تَخْفِضُ النِّسَاءَ يُقَالُ لَهَا أُمُّ عَطِيَّةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ خَفَضِي وَلَا تُنْهَكِي؛ فَإِنَّهُ أَنْضَرُ لِلْوَجْهِ وَأَحْظَى عِنْدَ الزَّوْجِ﴾. [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٢٣٦)]. اهـ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ فِي "الْفَتَاوَى الْكُبْرَى":
وَسُئِلَ: مُسْلِمٌ بَالِغٌ عَاقِلٌ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَهُوَ غَيْرُ مَخْتُونٍ وَلَيْسَ مُطَهَّرًا هَلْ
يَجُوزُ ذَلِكَ؟ وَمَنْ تَرَكَ الْخِتَانَ كَيْفَ حُكْمُهُ؟

الْجَوَابُ: إِذَا لَمْ يُخَفِّ عَلَيْهِ ضَرَرُ الْخِتَانِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَخْتِنَ فَإِنَّ ذَلِكَ مَشْرُوعٌ
مُؤَكَّدٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ، وَهُوَ وَاجِبٌ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ فِي الْمَشْهُورِ
عَنْهُ، وَقَدْ اخْتَنَنَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عليه السلام بَعْدَ الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ، وَيُرْجَعُ فِي الضَّرَرِ
إِلَى الْأَطِبَّاءِ الثَّقَاتِ، وَإِذَا كَانَ يَضُرُّهُ فِي الصَّيْفِ آخَرُهُ إِلَى زَمَانِ الْحَرِيفِ.
وَاللَّهُ أَعْلَمُ

وَسُئِلَ عَنِ الْمَرْأَةِ: هَلْ تَخْتِنُ أَمْ لَا؟

فَأَجَابَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَعَمْ تَخْتِنُ، وَخِتَانُهَا أَنْ تَقْطَعَ أَعْلَى الْجِلْدَةِ الَّتِي كَعُرْفِ
الدَّيَكِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِلْخَافِضَةِ - وَهِيَ الْخَاتِنَةُ -: ﴿أَسْمِي وَلَا تُنْهَكِي، فَإِنَّهُ
أَبْهَى لِلْوَجْهِ، وَأَحْظَى لَهَا عِنْدَ الزَّوْجِ﴾ يَعْنِي لَا تُبَالِغِي فِي الْقَطْعِ، وَذَلِكَ أَنَّ
الْمَقْصُودَ بِخِتَانِ الرَّجُلِ تَطْهِيرُهُ مِنَ النَّجَاسَةِ الْمُحْتَقِنَةِ فِي الْقُلْفَةِ، وَالْمَقْصُودُ =

= مِنْ خِتَانِ الْمَرْأَةِ تَعْدِيلُ شَهْوَتِهَا، فَإِنَّهَا إِذَا كَانَتْ قَلْفَاءَ كَانَتْ مُغْتَلِمَةً، شَدِيدَةً الشَّهْوَةَ، وَلِهَذَا يُقَالُ فِي الْمُشَاتِمَةِ: يَا ابْنَ الْقَلْفَاءِ، فَإِنَّ الْقَلْفَاءَ تَتَطَلَّعُ إِلَى الرِّجَالِ أَكْثَرَ، وَلِهَذَا يُوجَدُ مِنَ الْفَوَاحِشِ فِي نِسَاءِ التَّيْرِ وَنِسَاءِ الْإِفْرَنْجِ مَا لَا يُوجَدُ فِي نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا حَصَلَتِ الْمُبَالَغَةُ فِي الْخِتَانِ ضَعُفَتِ الشَّهْوَةُ، فَلَا يَكْمُلُ مَقْصُودُ الرَّجُلِ، فَإِذَا قُطِعَ مِنْ غَيْرِ مُبَالَغَةٍ حَصَلَ الْمَقْصُودُ بِاعْتِدَالٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

قَالَ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي "الْمَجْمُوعِ" شَرْحَ "الْمُهَذَّبِ": الْخِتَانُ وَاجِبٌ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اُخْتَنَ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقُدُومِ».

وَفِي الْقُدُومِ رَوَاتَانِ التَّخْفِيفُ وَالتَّشْدِيدُ، وَالْأَكْثَرُونَ رَوَوْهُ بِالتَّشْدِيدِ، وَعَلَى هَذَا هُوَ اسْمُ مَكَانٍ بِالشَّامِ وَرَوَاهُ جَمَاعَةٌ بِالتَّخْفِيفِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ اللُّغَةِ. وَاخْتَلَفُوا عَلَى هَذَا فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ أَيْضًا مَوْضِعٌ بِالشَّامِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ فِيهِ التَّشْدِيدُ وَالتَّخْفِيفُ وَقَالَ الْأَكْثَرُونَ: الْمُرَادُ بِهِ آلَةُ النَّجَارِ وَهِيَ مُحَقَّقَةٌ لَا غَيْرُ وَجَمَعُهَا قُدُمٌ.

فَإِنْ قِيلَ: لَا دَلَالَهَ فِي الْآيَةِ عَلَى وَجُوبِ الْخِتَانِ لِأَنَّا أُمِرْنَا بِالتَّدْيِينِ بِدِينِهِ فَمَا فَعَلَهُ مُعْتَقِدًا وَجُوبَهُ فَعَلْنَاهُ مُعْتَقِدِينَ وَجُوبَهُ، وَمَا فَعَلَهُ نَذْبًا فَعَلْنَاهُ نَذْبًا، وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ كَانَ يَعْتَقِدُهُ وَاجِبًا.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْآيَةَ صَرِيحَةٌ فِي اتِّبَاعِهِ فِيمَا فَعَلَهُ، وَهَذَا يَقْتَضِي إيجابَ كُلِّ فِعْلٍ فَعَلَهُ إِلَّا مَا قَامَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ سُنَّةٌ فِي حَقِّنَا كَالسُّوَاكِ وَنَحْوِهِ، وَقَدْ نَقَلَ الْخَطَّابِيُّ =

.....

= أَنَّ خِصَالَ الْفِطْرَةِ كَانَتْ وَاجِبَةً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ .
وَأَمَّا الْإِسْتِدْلَالُ بِكُشْفِ الْعَوْرَةِ فَقَدْ أُورِدَ عَلَيْهِ كُشْفُهَا لِلْمُدَاوَاةِ الَّتِي لَا تَجِبُ،
وَالْجَوَابُ أَنَّ كُشْفَهَا لَا يَجُوزُ لِكُلِّ مُدَاوَاةٍ وَإِنَّمَا يَجُوزُ فِي مَوْضِعٍ يَقُولُ أَهْلُ
الْعُرْفِ: إِنَّ الْمَضْلَحَةَ فِي الْمُدَاوَاةِ رَاجِحَةٌ عَلَى الْمَضْلَحَةِ فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى
الْمَرْوَةِ وَصِيَانَةِ الْعَوْرَةِ. فَلَوْ كَانَ الْخِتَانُ سُنَّةً لَمَا كُشِفَتِ الْعَوْرَةُ الْمُحَرَّمُ كُشْفُهَا
لَهُ.

وَاعْتَمَدَ الْمُصَنِّفُ وَالْغَزَالِيُّ وَجَمَاعَةٌ قِيَّاسًا فَقَالُوا: الْخِتَانُ قَطْعُ غُضُو سَلِيمٍ،
فَلَوْ لَمْ يَجِبْ لَمْ يَجْزِ كَقَطْعِ الْأَضْبُعِ، فَإِنَّ قَطْعَهَا إِذَا كَانَتْ سَلِيمَةً لَا يَجُوزُ إِلَّا
إِذَا وَجَبَ بِالْقَصَاصِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(فَرَعُ) الْخِتَانُ وَاجِبٌ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عِنْدَنَا: وَبِهِ قَالَ كَثِيرُونَ مِنَ السَّلَفِ،
وَمِنْهُنَّ أَوْجَبَهُ أَحْمَدُ.

وَقَالَ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ: سُنَّةٌ فِي حَقِّ الْجَمِيعِ.

(فَرَعُ) قَالَ أَصْحَابُنَا: الْوَاجِبُ فِي خِتَانِ الرَّجُلِ قَطْعُ الْجِلْدَةِ الَّتِي تَقْطِي الْحَشْفَةَ
بِحَيْثُ تَتَكَيَّفُ الْحَشْفَةُ كُلُّهَا، فَإِنْ قَطَعَ بَعْضَهَا وَجَبَ قَطْعُ الْبَاقِي ثَانِيًا.

وَالْوَاجِبُ فِي الْمَرْأَةِ قَطْعُ مَا يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ الْإِسْمُ مِنَ الْجِلْدَةِ الَّتِي كَعُرْفِ الدِّيكِ
فَوْقَ مَخْرَجِ الْبُولِ، وَصَرَّحَ بِذَلِكَ أَصْحَابُنَا وَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ. قَالُوا: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ
يُقْتَصَرَ فِي الْمَرْأَةِ عَلَى شَيْءٍ يَسِيرٍ وَلَا يُبَالِغُ فِي الْقَطْعِ وَاسْتَدَلُّوا فِيهِ بِحَدِيثٍ عَنْ
أُمِّ عَطِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَخْتِنُ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَنْهَكِي
فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْطَى لِلْمَرْأَةِ وَأَحَبُّ إِلَى الْبُعْلِ» " رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَلَكِنْ قَالَ: لَيْسَ
هُوَ بِالْقَوِيِّ، وَتَنْهَكِي بِفَتْحِ التَّاءِ وَالْهَاءِ أَيِ لَا تُبَالِغِي فِي الْقَطْعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. =

= [وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي "صَحِيحِ الْجَامِعِ" (٤٩٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ].
 (قُرْعٌ) قَالَ أَصْحَابُنَا: وَثَقَ وَجُوبَ الْخِتَانُ بَعْدَ الْبُلُوغِ، لَكِنْ يُسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ
 يُخْتِنَ الصَّغِيرَ فِي صِغَرِهِ لِأَنَّهُ أَرْفَقَ بِهِ، وَقَالَ صَاحِبُ "الْحَاوِي" وَصَاحِبَا
 الْمُسْتَظْهَرِيَّ وَالْبَيَانِ وَغَيْرُهُمْ: يُسْتَحَبُّ أَنْ يُخْتَنَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ لِخَيْرِ وَرَدٍ
 فِيهِ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الصَّبِيُّ ضَعِيفًا لَا يَحْتَمِلُهُ فَيُؤَخَّرُهُ حَتَّى يَحْتَمِلَهُ.
 وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ يَجُوزُ خِتَانُهُ فِي الصَّغَرِ وَلَا يَجِبُ لَكِنْ
 يُسْتَحَبُّ.

(قُرْعٌ) لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ ذَكَرَانِ: قَالَ صَاحِبُ "الْبَيَانِ": إِنْ عُرِفَ الْأَصْلِيُّ مِنْهُمَا
 خُتِنَ وَخَذَهُ، قَالَ صَاحِبُ "الْإِبَانَةِ": يُعْرَفُ الْأَصْلِيُّ بِالْبَوْلِ، وَقَالَ غَيْرُهُ:
 بِالْعَمَلِ فَإِنْ كَانَا عَامِلَيْنِ أَوْ يَبُولُ مِنْهُمَا وَكَانَا عَلَى مَنَبَتِ الذَّكَرِ عَلَى السَّوَاءِ
 وَجَبَ خِتَانُهُمَا.

وَأَمَّا الْخُتْنُ الْمُسْكِلُ: فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَتْوحِ: يَجِبُ خِتَانُهُ فِي كُرْحِهِ
 جَمِيعًا، لِأَنَّهُ أَحَدُهُمَا وَاجِبٌ وَلَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِخِتَانِهِمَا، كَمَا أَنَّ مَنْ تَزَوَّجَ
 بِكْرًا لَمَّا لَمْ يَتِمَّ كُنْ مِنْ وَصُولِهِ إِلَى الْوَطْءِ الْمُسْتَحَقِّ إِلَّا بِقَطْعِ بَكَارَتِهَا كَانَ لَهُ
 ذَلِكَ بِلا ضَمَانٍ، قَالَ: فَإِنْ كَانَ الْخُتْنُ صَغِيرًا خَتَنَهُ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَإِنْ
 قُلْنَا: إِنَّهُ لَا يَجِبُ خِتَانُ الصَّغِيرِ لَمْ يُخْتَنِ الْخُتْنُ الصَّغِيرُ حَتَّى يَبْلُغَ فَيَجِبُ،
 وَحَيْثُ كَانَ هُوَ يُحْسِنُ الْخِتَانَ خَتَنَ نَفْسَهُ وَإِلَّا اشْتَرَى لَهُ جَارِيَةً تَخْتَنُهُ، فَإِنْ
 لَمْ تَوْجَدْ جَارِيَةً تُحْسِنُ ذَلِكَ خَتَنَهُ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ لِلضَّرُورَةِ كَالطَّطِيبِ، هَذَا
 كَلَامُ صَاحِبِ "الْبَيَانِ".

وَقَطَعَ الْبَغَوِيُّ: بِأَنَّهُ لَا يُخْتَنُ الْخُتْنُ الْمُسْكِلُ لِأَنَّهُ الْجُرْحُ عَلَى الْإِشْكَالِ =

.....

= لا يَجُورُ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ الْمُخْتَارُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(قُرْعٌ) فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ ضَعِيفَ الْخُلُقَةِ بِحَيْثُ لَوْ خُتِنَ خِيفَ عَلَيْهِ لَمْ يَجْزَأْ أَنْ يُخْتَنَ، بَلْ يُنْتَظَرُ حَتَّى يَصِيرَ بِحَيْثُ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ سَلَامَتُهُ، قَالَ صَاحِبُ "الْحَاوِي": لَأَنَّهُ لَا تَعْبُدُ فِيمَا يُفْضِي إِلَى التَّلَفِ.

(قُرْعٌ) لَوْ مَاتَ غَيْرَ مَخْتُونٍ فَثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ: الصَّحِيحُ: لَا يُخْتَنُ، لِأَنَّ خِتَانَهُ كَانَ تَكْلِيفًا وَقَدْ زَالَ بِالْمَوْتِ.

(قُرْعٌ) أَجْرَةُ خِتَانِ الطِّفْلِ فِي مَالِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ فَعَلَى مَنْ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(قُرْعٌ) قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْنِيُّ: لَوْ وُلِدَ مَخْتُونًا بِلَا قُلْفَةٍ فَلَا خِتَانَ لَا إِبْرَاجًا وَلَا اسْتِحْبَابًا، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْقُلْفَةِ الَّتِي تُعْطَى الْحَشَفَةُ شَيْءٌ مَوْجُودٌ وَجَبَ قَطْعُهُ كَمَا لَوْ خُتِنَ خِتَانًا غَيْرَ كَامِلٍ فَإِنَّهُ يَجِبُ تَكْمِيلُهُ ثَانِيًا حَتَّى يُبَيِّنَ جَمِيعَ الْقُلْفَةِ الَّتِي جَرَتْ الْعَادَةُ بِإِزَالَتِهَا فِي الْخِتَانِ.

(قُرْعٌ) فِي مَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ فِي وَثْقِ الْخِتَانِ:

قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ أَصْحَابَنَا اسْتَحَبُّوهُ يَوْمَ السَّابِعِ مِنْ وَلَادَتِهِ،

قَالَ ابْنُ الْمُثَنِّدِ: رُوِيَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ فَاطِمَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَخْتِنُ وَلَدَهَا يَوْمَ السَّابِعِ، قَالَ: وَكَرِهَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَمَالِكُ الْخِتَانَ يَوْمَ سَابِعِهِ لِمُخَالَفَةِ الْيَهُودِ، قَالَ مَالِكٌ: عَامَّةٌ مَا رَأَيْتَ الْخِتَانَ بِبِلَدِنَا إِذَا تُغَرَّ الصَّبِيُّ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: لَمْ أَسْمَعْ فِي ذَلِكَ شَيْئًا، وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ: يُخْتَنُ مَا بَيْنَ السَّبْعِ إِلَى الْعَشْرِ، قَالَ: وَرُوِيَ عَنْ مَكْحُولٍ أَوْ غَيْرِهِ «أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ ﷺ خَتَنَ ابْنَهُ إِسْحَاقَ لِسَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَإِسْمَاعِيلَ لِسَبْعِ عَشْرَةِ سَنَةً»، =

= قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ بَعْدَ حِكَايَتِهِ هَذَا كُلُّهُ: لَيْسَ فِي بَابِ الْخِتَانِ نَهْيٌ يَثْبُتُ، وَلَا لَوْفَتِهِ حَدٌّ يُرْجَعُ إِلَيْهِ، وَلَا سُنَّةٌ تُتَّبَعُ، وَالْأَشْيَاءُ عَلَى الْإِبَاحَةِ، وَلَا يَجُوزُ حَظَرُ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا بِحُجَّةٍ، وَلَا نَعْلَمُ مَعَ مَنْ مَنَعَ أَنْ يُخْتَنَ الصَّبِيُّ لِسَبْعَةِ أَيَّامٍ حُجَّةً. هَذَا آخِرُ كَلَامِ ابْنِ الْمُنْذِرِ.

مُنْظَمَةُ الصِّحَّةِ الْعَالَمِيَّةِ تَعْمِدُ الْخِتَانَ وَسَبِيلَهُ لِلْوَقَايَةِ مِنَ الْإِيدِزِ

(الأربعاء ١٠ / ٣ / ١٤٢٨ هـ... الموافق ٢٨ / ٣ / ٢٠٠٧ م)

الإيدِزُ تَسَبَّبَ فِي وَفَاةٍ أَكْثَرَ مِنْ ٢٥ مِلْيُونِ شَخْصٍ (الجزيرة-أرشف)

طَالَبَتِ مُنْظَمَةُ الصِّحَّةِ الْعَالَمِيَّةِ وَبَرْنَامُجُ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ لِمُكَافَحَةِ الْإِيدِزِ بِإِدْرَاجِ خِتَانِ الرِّجَالِ ضِمْنَ إِسْتِرَاطِجِيَّاتِ الْوَقَايَةِ مِنْ مَرَضِ نَقْلِ فَيْرُوسِ الْإِيدِزِ.

وَتُفِيدُ تَوْصِيَّاتُ حُكْمَاءِ دَوْلَتَيْنِ أَنَّ بِالْإِمْكَانِ إِنْقَاذُ مَلَائِينَ الْأَشْخَاصِ، وَلَا سِيَّامَا فِي إِفْرِيقِيَا فِي حَالِ تَعْمِيمِ الْخِتَانِ، لَكِنَّهُمْ اشْتَرَطُوا تَعْزِيزَ الْأَجْهَازَةِ الصِّحِّيَّةِ وَعَدَمَ تَصَرُّفِ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَخْضَعُونَ لِلْخِتَانِ بِطَرِيقَةٍ تُعَرِّضُهُمْ لِلْخَطَرِ لِإِغْتِقَادِهِمْ، خَطَأً، أَنَّهُمْ مَحْمِيُونَ بِنِسْبَةِ مَائَةٍ فِي الْمِائَةِ.

يَأْتِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَظْهَرَتْ دِرَاسَاتٌ طَبِيبَةٌ أَنَّ خِتَانَ الرِّجَالِ يَخْفِضُ اخْتِمَالَ نَقْلِ فَيْرُوسِ الْإِيدِزِ مِنَ الْمَرْأَةِ إِلَى الرَّجُلِ. وَقَالَتْ مُنْظَمَةُ الصِّحَّةِ وَبَرْنَامُجُ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ لِمُكَافَحَةِ الْإِيدِزِ: " إِنَّ إِبْثَاتَ فَعَالِيَةِ الْخِتَانِ يُشَكِّلُ مَحْطَةً بَارِزَةً فِي تَارِيخِ الْوَقَايَةِ مِنْ فَيْرُوسِ الْإِيدِزِ " .

وَأَشَارَتْ الْجِهَتَانِ إِلَى أَنَّ تَأْثِيرَ ذَلِكَ سَيَكُونُ أَكْبَرَ حَيْثُ إِنَّ تَوَاتُرَ الْإِصَابَةِ بِفَيْرُوسِ الْإِيدِزِ عَبْرَ عِلَاقَاتٍ جَنْسِيَّةٍ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ كَبِيرٍ، يَتِمَّ عَدَدُ الرِّجَالِ الَّذِينَ خَضَعُوا لِلْخِتَانِ قَلِيلٌ.

= رَاعِي مَدِيرُ قِسْمِ فَيروسِ الْإِيدِزِ بِالصَّحَّةِ الْعَالَمِيَّةِ كَيْفِيْن دِي كُوكْ أَنَّ هَذِهِ التَّوَصِيَّاتِ تُشَكِّلُ خُطْوَةً إِلَى الْأَمَامِ فِي الْوَقَايَةِ مِنْ فَيروسِ الْإِيدِزِ لَكِنْ يَجِبُ انْتِظَارُ بَضْعِ سَنَوَاتٍ لِمُلَاخَظَةِ التَّأثيرِ الْإِيجَابِيِّ عَلَى الْمَرَضِ. وَهَذِهِ الْإِسْتِنَاجَاتُ وَالتَّوَصِيَّاتُ جَاءَتْ نَتِيجَةَ عَمَلِيَّةٍ تَشَاوُرِيَّةٍ دَوْلِيَّةٍ نُظِمَتْ مِنْ ٦ إِلَى ٨ مَارِسٍ فِي سويسْرَا. وَأَظْهَرَتْ ثَلَاثُ دِرَاسَاتٍ أُجْرِيتْ فِي إِفْرِيقِيَا (كِينِيَا وَأُوغَنْدَا وَجَنُوبِ إِفْرِيقِيَا) أَنَّ الْخِتَانَ يَخْفِضُ اخْتِمَالَ الْإِصَابَةِ بِفَيروسِ الْإِيدِزِ عَلَى الْأَقَلِّ ٦٠ ٪. اهـ.

مِنْ رَوَايَعِ الطَّبِّ الْإِسْلَامِيِّ إِعْجَازُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فِي الْخِتَانِ

ج ٤ مُحَمَّدُ نِزَارُ الدُّفَرِ التَّعْرِيفُ النَّعْرِيُّ:

الْخِتَانُ: بِكَسْرِ الْخَاءِ اسْمٌ لِفِعْلِ الْخَاتَنِ وَيُسَمَّى بِهِ مَوْضِعُ الْخَتَنِ وَهُوَ الْجِلْدَةُ الَّتِي تُقَطَّعُ وَ الَّتِي تُعْطَى الْحَشْفَةُ عَادَةً، وَخِتَانُ الرَّجُلِ هُوَ الْحَرْفُ الْمُسْتَدِيرُ عَلَى أَسْفَلِ الْحَشْفَةِ، وَأَمَّا خِتَانُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الْجِلْدَةُ الَّتِي كَعُرْفِ الدِّيكِ فَوْقَ الْفَرْجِ تُعْرَفُ بِالْبَطْرِ.

الْخِتَانُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمَطْهُرَةُ:

دَعَا الْإِسْلَامُ إِلَى الْخِتَانِ دَعْوَةً صَرِيحَةً وَ جَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ خِصَالِ الْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الْخِتَانُ، وَالْإِسْتِحْدَادُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَتَنْفُ الْإِبْطِ». =

= الْحُكْمُ الْيُسْبِي فِي الْخِتَانِ:

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: اِخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي حُكْمِ الْخِتَانِ، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وَمَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ: هُوَ وَاجِبٌ، وَشَدَّدَ مَالِكٌ حَتَّى قَالَ: مَنْ لَمْ يَخْتَنْ لَمْ تَجْزِ إِمَامَتُهُ وَلَمْ تُقْبَلْ شَهَادَتُهُ.

وَنَقَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ سُنَّةٌ حَتَّى قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: الْإِجْمَاعُ عِنْدَ مَالِكٍ وَعَامَّةِ الْعُلَمَاءِ سُنَّةٌ، وَالسُّنَّةُ عِنْدَهُمْ يَأْتُمُ بِتَرْكِهَا فَهُمْ يُظْلِفُونَهَا عَلَى مَرْتَبَةٍ بَيْنَ الْفَرَضِ وَالنَّدْبِ.

وَدَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَبَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ إِلَى وَجُوبِ الْخِتَانِ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

وَدَهَبَ مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ إِلَى أَنَّهُ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ وَمُسْتَحَبٌّ لِلنِّسَاءِ.

وَ دَهَبَ أَحْمَدُ إِلَى أَنَّهُ وَاجِبٌ فِي حَقِّ الرِّجَالِ وَسُنَّةٌ لِلنِّسَاءِ.

الْخِتَانُ يَتَمَيَّزُ:

فِي عَامِ ١٩٩٠ كَتَبَ البروفسور ويزويل: (١) " لَقَدْ كُنْتُ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَاءِ الْخِتَانِ وَ شَارَكْتُ فِي الْجُهُودِ الَّتِي بُذِلَتْ عَامَ ١٩٧٥ ضِدَّ إِجْرَائِهِ، إِلَّا أَنَّهُ فِي بَدَايَةِ الثَّمَانِينَاتِ أَظْهَرَتِ الدِّرَاسَاتُ الطَّبِئِيَّةُ زِيَادَةَ فِي نِسْبَةِ حَوَادِثِ الْتِهَابَاتِ الْمَجَارِي الْبُولِيَّةِ عِنْدَ الْأَطْفَالِ غَيْرِ الْمُخْتُونِينَ، وَبَعْدَ تَمْحِصٍ دَقِيقٍ لِلْأَبْحَاثِ الَّتِي نُشِرَتْ، فَقَدْ وَصَلْتُ إِلَى نَتِيجَةٍ مُخَالَفَةٍ وَ أَصْبَحْتُ مِنْ أَنْصَارِ جَعْلِ الْخِتَانِ أَمْرًا رُوتِينِيًّا يَجِبُ أَنْ يُجْرَى لِكُلِّ مَوْلُودٍ " .

الْحُكْمُ الصَّحِيحُ مِنْ خِتَانِ الذُّكُورِ:

أُثْبِتَتِ الدِّرَاسَاتُ الطَّبِئِيَّةُ الْحَدِيثَةُ أَنَّ أَمْرًا ضَا عَدِيدَةً فِي الْجِهَازِ التَّنَاسُلِيِّ بَعْضُهَا مُهِلِكٌ لِلْإِنْسَانِ تُشَاهَدُ بِكَثْرَةٍ عِنْدَ غَيْرِ الْمُخْتُونِينَ بَيْنَمَا هِيَ نَادِرَةٌ مَعْدُومَةٌ =

= عِنْدَ الْمُخْتُونِينَ .

١ . الْخِتَانُ وَقَايَةُ مِنَ الْإِلْتِهَابَاتِ الْمَوْضِعِيَّةِ فِي الْقَضِيبِ : فَالْقُلْفَةُ الَّتِي تُحِيطُ بِرَأْسِ الْقَضِيبِ تُشَكِّلُ جَوْفًا ذَا فَتْحَةٍ ضَيِّقَةٍ يَضْعُبُ تَنْظِيفُهَا ، إِذْ تَتَجَمَّعُ فِيهِ مُفَرَزَاتُ الْقَضِيبِ الْمُخْتَلِفَةُ بِمَا فِيهَا مَا يُفَرِّزُ سَطْحُ الْقُلْفَةِ الدَّاخِلِيُّ مِنْ مَادَّةٍ بَيْضَاءَ نَخِينَةٍ تُدْعَى اللَّحْنُ Smegma وَبَقَايَا الْبَوْلِ وَالْخَلَايَا الْمُتَوَسِّفَةِ (الْمُتَقَشِّرَةِ) وَالَّتِي تُسَاعِدُ عَلَى نُمُو الْجَرَائِمِ الْمُخْتَلِفَةِ مُؤَدِّيَةً إِلَى الْإِثَابِ الْحَشَفَةِ أَوْ الْإِثَابِ الْحَشَفَةِ وَالْقُلْفَةِ الْحَادِّ أَوْ الْمُزْمِنِ (٢) .

٢ . الْخِتَانُ يَبْقَى الْأَطْفَالُ مِنَ الْإِصَابَةِ بِالْإِثَابِ الْمَجَارِي الْبَوْلِيَّةِ : وَجَدَ جَنْزُ بَرِغَ أَنَّ ٩٥٪ مِنَ الْإِثَابَاتِ الْمَجَارِي الْبَوْلِيَّةِ عِنْدَ الْأَطْفَالِ تَحْدُثُ عِنْدَ غَيْرِ الْمُخْتُونِينَ . وَيُؤَكِّدُ أَنَّ جَعَلَ الْخِتَانِ أَمْرًا رُوتِينِيًّا يُجْرَى لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ مَنَعَ حُدُوثَ أَكْثَرَ مِنْ ٥٠ أَلْفَ حَالَةٍ مِنَ الْإِثَابِ الْخَوِيضَةِ وَالْكُلْيَةِ سَنَوِيًّا (٣) .

٣ . الْخِتَانُ وَالْأَمْرَاضُ الْجِنْسِيَّةُ :

أَكَّدَ الْبُرُوفْسُورُ وَلِيمُ بِيكُوزُ الَّذِي عَمَلَ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ عَامًا ، وَفَحَصَ أَكْثَرَ مِنْ ٣٠ أَلْفَ امْرَأَةٍ نُذْرَةَ الْأَمْرَاضِ الْجِنْسِيَّةِ عِنْدَهُمْ وَخَاصَّةً الْعُقْبُولَ التَّنَاسُلِيَّ وَالسَّيْلَانَ وَالْكِلاَمِيدِيَا وَالتَّرِيكُومُونَازَ وَسَرَطَانَ عُنُقِ الرَّجَمِ وَ يَرْجِعُ ذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ هَامَيْنِ : نُذْرَةُ الرُّنَى وَ خِتَانُ الرِّجَالِ (٤) .

٤ . الْخِتَانُ وَالْوَقَايَةُ مِنَ السَّرَطَانِ : يَقُولُ الْبُرُوفْسُورُ كَلُو دَرِي : يُمَكِّنُ الْقَوْلُ وَ يَدُونِ مُبَالِغَةً بِأَنَّ الْخِتَانَ الَّذِي يُجْرَى لِلذَّكُورِ فِي سِنِّ مُبَكَّرَةٍ يَخْفِضُ كَثِيرًا مِنْ نِسْبَةِ حُدُوثِ سَرَطَانِ الْقَضِيبِ عِنْدَهُمْ .

= خِتَانُ الْبَارِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأُمِّ عَطِيَّةَ وَهِيَ خَتَّانَةٌ كَانَتْ تَخْتِنُ النِّسَاءَ فِي الْمَدِينَةِ: " إِذَا خَفَضْتَ فَأَشْمِي وَلَا تُتْهِكِي، فَإِنَّهُ أَسْرَى لِلْوَجْهِ وَ أَحْظَى عِنْدَ الزَّوْجِ ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِذَا خَتَنْتِ فَلَا تُتْهِكِي؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْظَى لِلْمَرْأَةِ وَ أَحَبُّ لِلْبَعْلِ». أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

نَقَلَ ابْنُ الْقَيِّمِ عَنِ الْمَاوَرِدِيِّ قَوْلَهُ: " وَأَمَّا خَفَضُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ قَطْعُ جِلْدَةٍ فِي الْفَرْجِ فَوْقَ مَدْخَلِ الذَّكَرِ وَمَخْرَجِ الْبَوْلِ عَلَى أَصْلِ النَّوَاةِ، وَ يُؤْخَذُ مِنَ الْجِلْدَةِ الْمُسْتَعْلِيَةِ دُونَ أَصْلِهَا "

يقول د. محمد علي البار: هَذَا هُوَ الْخِتَانُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وسلم.

(١) البروفسور ويزويل عن مجلة Amer.Famil J. Physician

(٢) د. محمد علي البار الختان دار المنار .

(٣) د. حسان شمسي باشا: أسرار الختان تتجلى في الطب و الشريعة ابن النفيس دمشق .

(٤) Pikers W: Med. Dijest jour.April 1977.

المرجع: روائع الطب الاسلامي ج ٤ محمد نزار الدقر

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ قُدَّامَةَ فِي " الْمُغْنِي " :

(١٠٥) فَضْلٌ: وَتُسْتَحَبُّ غَسْلُ رُءُوسِ الْأَصَابِعِ بَعْدَ قَصِّ الْأَظْفَارِ:

وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها «غَسَلَ الْبَرَّاجِمَ» فِي تَفْسِيرِ الْفِطْرَةِ، فَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ ذَلِكَ، =

= وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْبَرَّاجُ: الْعُقْدُ الَّتِي فِي ظُهُورِ الْأَصَابِعِ، وَالرَّوَاجِبُ: مَا بَيْنَ الْبَرَّاجِ. وَمَعْنَاهُ قَالَ: تَنْظِيفُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَتَشَنُّجُ وَيَجْتَمِعُ فِيهَا الْوَسَخُ. وَيَسْتَحَبُّ دَفْنُ مَا قَلَّمَ مِنْ أَظْفَارِهِ أَوْ أَزَالَ مِنْ شَعْرِهِ، لِمَا رَوَى الْخَلَّالُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مِيلَ بْنِ مِثْرَحٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَتْ: رَأَيْتُ أَبِي يُقَلِّمُ أَظْفَارَهُ وَيَذْفِنُهَا، وَيَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ ذَلِكَ [وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "السُّنَنِ الضَّعِيفَةِ" (٢٣٥٧ / ٣٨٠ / ٥)].

وَقَالَ مُهَنَّاتٌ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ عَنِ الرَّجُلِ يَأْخُذُ مِنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ أَيْدِفُهُ أَمْ يُلْقِيهِ؟ قَالَ: يَذْفِنُهُ، قُلْتُ: بَلَّغَكَ فِيهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَذْفِنُهُ. وَرَوَيْنَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّهُ أَمَرَ بِدَفْنِ الشَّعْرِ وَالْأَظْفَارِ»، وَقَالَ: لَا يَتَلَاعَبُ بِهِ سَحَرَةُ بَنِي آدَمَ». [وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "السُّنَنِ الضَّعِيفَةِ" (٢٣٥٧ / ٣٨٠ / ٥)].

(١٠٦) فَضْلٌ وَاتَّخَذَ الشَّعْرَ الْفَضْلُ مِنْ إِذَا تَوَدَّ.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الرَّجُلِ يَتَّخِذُ الشَّعْرَ؟ فَقَالَ: سُنَّةٌ حَسَنَةٌ، لَوْ أَمْكَنَّا اتَّخَذْنَاهُ. وَقَالَ: «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ جُمَّةٌ». وَقَالَ: تِسْعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ شَعْرٌ. وَقَالَ: عَشْرَةٌ لَهُمْ جُمَّمٌ.

وَقَالَ: فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ «إِنَّ شَعْرَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ». وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ: «إِلَى مَنْكَبَيْهِ». وَرَوَى الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَةٍ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُ شَعْرٌ يَضْرِبُ مَنْكَبَيْهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَرَوَى ابْنُ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ ابْنَ مَرْيَمَ لَهُ لِمَةٌ».

قَالَ الْخَلَّالُ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى - يَعْنِي ثَعْلَبًا - عَنْ اللَّمَّةِ؟ فَقَالَ: =

= مَا أَلَمْتُ بِالْأُذُنِ. وَالْجُمَّةُ: مَا طَالَتْ. وَقَدْ ذَكَرَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ فِي حَدِيثِهِ: **«أَنَّ شَعْرَ النَّبِيِّ ﷺ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ»**، وَقَدْ سَمَّاهُ لِمَّةً.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ شَعْرُ الْإِنْسَانِ عَلَى صِفَةِ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا طَالَ فَإِلَى مَنْكِبَيْهِ، وَإِنْ قَصُرَ فَإِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ. وَإِنْ طَوَّلَهُ فَلَا بَأْسَ، نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ كَانَتْ لَهُ عَقِصَتَانِ وَعُثْمَانُ كَانَتْ لَهُ عَقِصَتَانِ).

وَقَالَ وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ: **«أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلِي شَعْرٌ طَوِيلٌ، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَالَ: دُبَابٌ دُبَابٌ. فَرَجَعْتُ فَعَزَزْتَهُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: لَمْ أَغْنِكَ»**، وَهَذَا حَسَنٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤١٩٠)، وَالتَّسَائِيُّ (٥٠٥٢)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٦٣٦) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَيُسْتَحَبُّ تَرْجِيلُ الشَّعْرِ وَإِكْرَامُهُ، لِمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ **«مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»**. [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤١٦٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ]. وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَيُسْتَحَبُّ فَرَقُ الشَّعْرِ: **«لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَرَقَ شَعْرَهُ، وَذَكَرَهُ مِنَ الْفِطْرَةِ»** فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَفِي شُرُوطِ عُمَرَ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ: أَنْ لَا يَفْرُقُوا شُعُورَهُمْ، لِئَلَّا يَتَشَبَّهُوا بِالْمُسْلِمِينَ.

[زِيَادَةٌ]: رَوَى الْبُخَارِيُّ (٣٥٥٨، ٣٩٤٤، ٥٩١٧)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٣٦) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ قَالَ: **«كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ أَشْعَارَهُمْ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ فَسَدَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاصِيَتَهُ ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ»**

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ": قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ: يُقَالُ: سَدَلَ يَسْدُلُ وَيُسْدِلُ =

= بِضَمِّ الدَّالِ وَكَسْرِهَا. قَالَ الْقَاضِي: سَدَلَ الشَّعْرَ إِزْسَالُهُ. قَالَ: وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ إِزْسَالُهُ عَلَى الْجَبِينِ وَاتِّخَاذُهُ كَالْقَصَّةِ، يُقَالُ: سَدَلَ شَعْرَهُ وَثَوْبَهُ إِذَا أَرْسَلَهُ، وَلَمْ يَضُمَّ جَوَانِبَهُ، وَأَمَّا الْفَرْقُ فَهُوَ فَرْقُ الشَّعْرِ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالْفَرْقُ سُنَّةٌ لِأَنَّهُ الَّذِي رَجَعَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ. قَالُوا: فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ إِنَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ بِوَحْيٍ لِقَوْلِهِ: (إِنَّهُ كَانَ يُوَافِقُ أَهْلَ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ). قَالَ الْقَاضِي: حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ نُسَخَ السَّدَلِ، فَلَا يَجُوزُ فِعْلُهُ، وَلَا اتِّخَاذُ النَّاصِيَةِ وَالْجُمَّةِ.

قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ جَوَازُ الْفَرْقِ لَا وَجُوبُهُ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْفَرْقَ كَانَ بِاجْتِهَادٍ فِي مُخَالَفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا بِوَحْيٍ، وَيَكُونُ الْفَرْقُ مُسْتَحَبًّا، وَلِهَذَا اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِيهِ، فَفَرَّقَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ، وَاتَّخَذَ اللَّمَّةُ آخَرُونَ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ: «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لِمَّةٌ، فَإِنْ انْفَرَقَتْ فَرَقَّهَا، وَإِلَّا تَرَكَهَا».

قَالَ مَالِكٌ: فَرَّقُ الرَّجُلِ أَحَبُّ إِلَيَّ. هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الصَّحِيحَ الْمُخْتَارَ جَوَازُ السَّدَلِ وَالْفَرْقِ، وَأَنَّ الْفَرْقَ أَفْضَلُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ الْقَاضِي: وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَأْوِيلِ مُوَافَقَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ شَيْءٌ،

فَقِيلَ: فَعَلَهُ اسْتِثْلَافًا لَهُمْ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَمُوَافَقَةً لَهُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ، فَلَمَّا أَغْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ اسْتِثْلَافِهِمْ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، صَرَّحَ بِمُخَالَفَتِهِمْ فِي غَيْرِ شَيْءٍ، مِنْهَا صَبَغُ الشَّيْبِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَمَرَ بِاتِّبَاعِ شَرَائِعِهِمْ فِيمَا لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ، =

= وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا فِيمَا عَلِمَ أَنَّهُمْ لَمْ يُدْلُوهُ. وَاسْتَدَلَّ بَعْضُ الْأُصُولِيِّينَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنَا شَرْعٌ لَنَا مَا لَمْ يَرِدْ شَرْعًا بِخِلَافِهِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هَذَا كَلِيلٌ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَرْعٍ لَنَا لِأَنَّهُ قَالَ: يُحِبُّ مُوَافَقَتَهُمْ، فَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ إِلَى خَيْرَتِهِ، وَلَوْ كَانَ شَرْعًا لَنَا لَتَحَتَّمِ اتِّبَاعُهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤١٩١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٧٨١)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٦٣١) عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ هَانِيٍّ:

«قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَلَهُ أَرْبَعُ غَدَائِرَ تَغْنِي عَقَائِصَ» [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَزَادَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهَ: تَغْنِي ضَفَائِرَ وَهُوَ تَفْسِيرُ غَدَائِرَ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ.. قَالَ الْمُبَارَكُفُورِيُّ فِي "تُحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ": قَوْلُهُ: (وَلَهُ أَرْبَعُ غَدَائِرَ) جَمْعُ غَدِيرَةٍ: وَهِيَ الذُّوَابَةُ كَمَا فِي الْقَامُوسِ وَالتَّهْيِةِ.

قَوْلُهُ: (قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ) زَادَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَتِهِ مَرَّةً: «وَكَانَ لَهُ ﷺ قُدُومَاتٌ أَرْبَعَةٌ بِمَكَّةَ: عُمْرَةُ الْقَضَاءِ وَفَتْحُ مَكَّةَ وَعُمْرَةُ الْجِعْرَانَةِ وَحَجَّةُ الْوَدَاعِ»، وَبَعْضُ الرُّوَايَاتِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْمَقْدَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ اغْتَسَلَ وَصَلَّى الصُّحَى فِي بَيْتِهَا قَالَهُ الْقَارِي فِي الْمِرْقَاةِ.

(وَلَهُ أَرْبَعُ ضَفَائِرَ) جَمْعُ ضَفِيرَةٍ، قَالَ فِي مَجْمَعِ الْبَحَارِ: قَوْلُهُ: ضَفَائِرُ وَهِيَ الذُّوَابُ الْمَضْفُورَةُ ضَفَّرَ الشَّعْرَ أَذْخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ انْتَهَى. قَالَ فِي "إِنْجَاحِ الْحَاجَةِ حَاشِيَةِ ابْنِ مَاجَهَ": قَوْلُهُ: وَلَهُ أَرْبَعُ غَدَائِرَ لَعَلَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِذَمِّ الْعَبَارِ انْتَهَى. قُلْتُ: وَهُوَ الظَّاهِرُ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ فِي السَّفَرِ. اهـ.

قَالَ ابْنُ قَدَامَةَ فِي "الْمُعْنِي":

= (١٠٧) فَضَّلَ: وَاحْتَلَفَتْ الرُّوَايَةُ عَنْ أَحْمَدَ فِي حَلِيِّ الرَّأْسِ:

= فَعَنَّهُ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ، لِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّهُ قَالَ فِي الْخَوَارِجِ: سِيْمَاهُمْ التَّحْلِيقُ». فَجَعَلَهُ عَلَامَةً لَهُمْ. [تِلْكَ: رَوَى الْبُخَارِيُّ (٧٥٦٢) حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ يُحَدِّثُ عَنْ مَعْبِدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى قُوْفِهِ قِيلَ مَا سِيْمَاهُمْ قَالَ سِيْمَاهُمُ التَّحْلِيقُ أَوْ قَالَ التَّسْيِدُ».

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤٧٦٥) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَبْكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافَ وَفُرْقَةٍ؛ قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسَيِّئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مَرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى قُوْفِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا سِيْمَاهُمْ؟ قَالَ: التَّحْلِيقُ».

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَحَوَهُ قَالَ: «سِيْمَاهُمُ التَّحْلِيقُ وَالتَّسْيِدُ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَيِّمُوهُمْ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: التَّسْيِدُ اسْتِثْصَالُ الشَّعْرِ [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٦٤) دُونَ ذِكْرِ التَّحْلِيقِ.

(وَقَالَ عُمَرُ لِصَبِيغٍ: لَوْ وَجَدْتُكَ مَخْلُوقًا لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ بِالسَّيْفِ).

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تُوَضَّعُ النَّوَاصِي إِلَّا فِي حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ». رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ، فِي الْأَفْرَادِ [قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي 'مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ' (٣/ ٢٦١) رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي 'الْأَوْسَطِ'، وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ مَسْمُولٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ. اهـ]، =

= وَرَوَى أَبُو مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَقَ» رَوَاهُ أَحْمَدُ. [رَوَى مُسْلِمٌ (١٠٤) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ وَأَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى قَالَا : «أُغْمِي عَلَى أَبِي مُوسَى، وَأَقْبِلْتُ امْرَأَتَهُ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ تَصْبِيحُ بَرْنَةٍ، قَالَا : ثُمَّ أَفَاقَ قَالَ : أَلَمْ تَعْلَمِي وَكَانَ يُحَدِّثُهَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ»]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الَّذِي يَخْلُقُ رَأْسَهُ فِي الْمِضْرِ شَيْطَانٌ. قَالَ أَحْمَدُ كَانُوا يَكْرَهُونَ ذَلِكَ. وَرَوَى عَنْهُ : لَا يُكْرَهُ ذَلِكَ لَكِنْ تَرْكُهُ أَفْضَلُ. قَالَ حَنْبَلٌ : كُنْتُ أَنَا وَأَبِي نَخْلُقُ رُءُوسَنَا فِي حَيَاةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَيَرَانَا وَنَحْنُ نَخْلُقُ فَلَا يَنْهَانَا، وَكَانَ هُوَ يَأْخُذُ رَأْسَهُ بِالْجَلَمِينَ وَلَا يُخْفِيهِ وَيَأْخُذُهُ وَسْطًا. وَقَدْ رَوَى ابْنُ عُمَرَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى غُلَامًا قَدْ حَلَقَ بَعْضَ رَأْسِهِ وَتَرَكَ بَعْضَهُ، فَتَهَاظَمَ عَنْ ذَلِكَ.» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَفِي لَفْظٍ قَالَ : «أَخْلَقَهُ كُلَّهُ أَوْ دَعَاهُ كُلَّهُ».

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤١٩٢)، وَالنَّسَائِيُّ (٥٢٢٧)، وَأَحْمَدُ (١٧٥٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ : لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ، ثُمَّ قَالَ : ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي، فَجِئَ بَنَا كَانُوا أَفْرَحَ، فَقَالَ : ادْعُوا لِي الْخَلَاقَ، فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا» [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَلَا تَلَاةَ لَا يُكْرَهُ اسْتِصْالُ الشَّعْرِ بِالْمُقْرَاضِ. وَهَذَا فِي مَعْنَاهُ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَقَ» يَغْنِي فِي الْمُصِيبَةِ؛ لِأَنَّ فِيهِ " أَوْ صَلَقَ " أَوْ خَرَقَ. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى إِبَاحَةِ الْحَلْقِ، وَكَفَى بِهِذَا حُجَّةٌ. وَأَمَّا اسْتِصْالُ الشَّعْرِ بِالْمُقْرَاضِ فَغَيْرُ مَكْرُوهٍ رَوَايَةً وَاحِدَةً.

= قَالَ أَحْمَدُ: إِنَّمَا كَرِهُوا الْحَلْقَ بِالْمُوسَى وَأَمَّا بِالْمُقْرَاضِ فَلَيْسَ بِهِ بَأْسٌ؛ لِأَنَّ أَدِلَّةَ الْكَرَاهَةِ تَخْتَصُّ بِالْحَلْقِ.

فَصُلِّ: قَالَمًا حَلَقَ بَعْضُ الرُّؤُوسِ لَمْ تُكْرَهُ. وَيُسَمَّى الْقَرْعُ،

رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤١٩٥) رَوَى النَّسَائِيُّ (٥٠٤٨)، وَأَحْمَدُ (٥٥٨٣) عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى صَبِيًّا قَدْ حَلَقَ بَعْضُ شَعْرِهِ وَتَرَكَ بَعْضَهُ فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: اخْلُقُوهُ كُلَّهُ أَوْ اتْرُكُوهُ كُلَّهُ» [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٩٢٠) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَفْصٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ نَافِعٍ أَخْبَرَهُ عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنِ الْقَرْعِ»، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قُلْتُ: وَمَا الْقَرْعُ؟ فَأَشَارَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: إِذَا حَلَقَ الصَّبِيُّ وَتَرَكَ هَاهُنَا شَعْرَةً وَهَاهُنَا وَهَاهُنَا فَأَشَارَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ إِلَى نَاصِيَتِهِ وَجَانِبِي رَأْسِهِ، قِيلَ لِعَبِيدِ اللَّهِ: فَالْجَارِيَةُ وَالْغُلَامُ؟ قَالَ: لَا أَذْرِي، هَكَذَا قَالَ: الصَّبِيُّ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَعَاوَدْتُهُ فَقَالَ: أَمَّا الْقُصَّةُ وَالْقَفَا لِلْغُلَامِ فَلَا بَأْسَ بِهِمَا، وَلَكِنَّ الْقَرْعَ أَنْ يَتَرَكَ بِنَاصِيَتِهِ شَعْرٌ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ شَقُّ رَأْسِهِ هَذَا وَهَذَا).

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٢٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ نَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْقَرْعِ؛ قَالَ: قُلْتُ لِنَافِعٍ: وَمَا الْقَرْعُ؟ قَالَ يُحْلَقُ بَعْضُ رَأْسِ الصَّبِيِّ وَيَتَرَكَ بَعْضُ»

وَفِي شُرُوطِ عُمَرَ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ: أَنْ يَخْلُقُوا مَقَادِمَ رُءُوسِهِمْ لِيَتَمَيَّزُوا بِذَلِكَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ. فَمَنْ فَعَلَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ مُتَشَبِّهًا بِهِمْ.

(١٠٩) فَصُلِّ: وَلَا تَخْتَلِفِ الرَّوَاةُ فِي كَرَاهَةِ حَلْقِ الْمَرْأَةِ رَأْسَهَا مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ. =

= قَالَ أَبُو مُوسَى: ﴿بَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالْحَالِقَةِ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، قَالَ الْأَثَرُمُ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَسْأَلُ عَنِ الْمَرْأَةِ تَعْجِزُ عَنْ شَعْرِهَا وَعَنْ مُعَالَجَتِهِ، أَتَأْخُذُهُ عَلَى حَدِيثِ مَيْمُونَةَ؟ قَالَ: لَأَيِّ شَيْءٍ تَأْخُذُهُ؟ قِيلَ لَهُ: لَا تَقْدِرُ عَلَى الدَّهْنِ وَمَا يُضْلِحُهُ وَتَنْفَعُ فِيهِ الدَّوَابُّ. قَالَ: إِذَا كَانَ لِضُرُورَةٍ، فَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ بِهِ بَأْسٌ.

(١١٠) فَضْلٌ: وَيُكْرَهُ تَنْفِ الثَّيْبِ.

يَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤٢٠٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٨٢١)، وَالنَّسَائِيُّ (٥٠٦٨)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٧٢١) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: ﴿أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ تَنْفِ الثَّيْبِ وَقَالَ: إِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ﴾. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ [وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ].

(١١١) فَضْلٌ: وَيُكْرَهُ خَلْقُ الْقَفَا لِمَنْ لَمْ يَخْلُقْ رَأْسَهُ وَلَمْ يَخْتِجْ إِلَيْهِ:

قَالَ الْمَرْوُذِيُّ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنِ خَلْقِ الْقَفَا. فَقَالَ: هُوَ مِنْ فِعْلِ الْمَجُوسِ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ. وَقَالَ: لَا بَأْسَ أَنْ يَخْلُقَ قَفَاهُ وَقَتَ الْحِجَامَةِ.

وَأَمَّا حَفُّ الْوَجْهِ، فَقَالَ مُهَنَّا: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْحَفِّ؟ فَقَالَ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ لِلنِّسَاءِ، وَأَكْرَهُهُ لِلرِّجَالِ.

[وَفِي "لِسَانِ الْعَرَبِ": وَحَفَّ يَحْفُهُ حَفًّا: قَشَرَهُ، وَالْمَرْأَةُ تَحْفُ وَجْهَهَا حَفًّا وَحَفَافًا: تُزِيلُ عَنْهُ الشَّعَرَ بِالْمُوسَى وَتَقْشِرُهُ، مُشْتَقٌّ مِنْ ذَلِكَ. وَاحْتَفَّتِ الْمَرْأَةُ وَاحْتَفَّتْ وَهِيَ تَحْفُ: تَأْمُرُ مَنْ يَحْفُ شَعَرَ وَجْهَهَا نَتْفًا بِخِطَاطِينَ، وَهُوَ مِنَ الْقَشْرِ، وَاسْمُ ذَلِكَ الشَّعْرِ الْحَفَافَةُ، وَقِيلَ: الْحَفَافَةُ مَا سَقَطَ مِنَ الشَّعْرِ الْمَخْفُوفِ وَغَيْرِهِ]. =

= (١١٢) قُضِلَ: وَتَسْتَحِبُّ خُضَابُ الشَّيْبِ بِغَيْرِ السَّوَادِ.

قَالَ أَحْمَدُ: إِنِّي لَأَرَى الشَّيْخَ الْمَخْضُوبَ فَأَفْرَحُ بِهِ. وَذَاكَ رَجُلًا، فَقَالَ: لِمَ لَا تَخْتَضِبُ؟ فَقَالَ: أَسْتَحْيِي. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «غَيِّرُوا الشَّيْبَ»، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ خَضَبَا وَالْمُهَاجِرُونَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَمَرَ بِالْخُضَابِ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ، وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحَدِيثُ أَبِي رَمَثَةَ، وَحَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ.

وَيُسْتَحَبُّ الْخُضَابُ بِالْجَنَاءِ وَالْكَتَمِ،

لَمَّا رَوَى ابْنُ مَاجَةَ (٣٦٢٣) عَنْ تَمِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا شَعْرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَخْضُوبًا بِالْجَنَاءِ وَالْكَتَمِ». [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَخَضَبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْجَنَاءِ وَالْكَتَمِ. [رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤٢٠٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٧٥٣)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٦٢٢)، وَأَحْمَدُ (٢٠٨٠٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَحْسَنَ مَا غُيِّرَ بِهِ هَذَا الشَّيْبُ الْجَنَاءُ وَالْكَتَمُ». [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَقَالَ فِي "عَوْنِ الْمَعْبُودِ": (الْجَنَاءُ وَالْكَتَمُ) وَالْكَتَمُ بَفَتْحَتَيْنِ وَتَخْفِيفِ التَّاءِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ: الْكَتَمُ بِتَشْدِيدِ التَّاءِ وَالْمَشْهُورُ التَّخْفِيفُ وَهُوَ يَبْتُ يَخْلُطُ مَعَ الْوَسْمَةِ وَيُضْبَعُ بِهِ الشَّعْرُ أَسْوَدُ. وَيُسَبِّهُ أَنْ يُرَادَ اسْتِعْمَالُ الْكَتَمِ مُفْرَدًا عَنِ الْجَنَاءِ، فَإِنَّ الْجَنَاءَ إِذَا خُضِبَ بِهِ مَعَ الْكَتَمِ جَاءَ أَسْوَدَ وَقَدْ صَحَّ النَّهْيُ عَنِ السَّوَادِ. وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى التَّعَاقُبِ وَيَحْتَمِلُ الْجَمْعَ. وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: اخْتَضَبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْجَنَاءِ وَالْكَتَمِ، وَاخْتَضَبَ عُمَرُ بِالْجَنَاءِ =

= بَخْتًا، أَي صِرْفًا، هَذَا يُشْعِرُ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا دَائِمًا. وَالْكُمُ نَبَاتٌ بِالنِّمَنِ يُخْرِجُ الصَّبْغَ أَسْوَدَ يَمِيلُ إِلَى الْحُمْرَةِ، وَصَبْغُ الْحِنَاءِ أَحْمَرُ فَالصَّبْغُ بِهِمَا مَعًا يَخْرُجُ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْحُمْرَةِ انْتَهَى.]

وَلَا بَأْسَ بِالْوَرْسِ وَالرَّغْفَرَانِ؛ لِأَنَّ أَبَا مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ قَالَ: «كَانَ خِضَابُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَرْسَ وَالرَّغْفَرَانِ».

وَعَنْ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ، قَالَ: (دَخَلْتُ أَنَا وَأَخِي رَافِعٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَأَنَا مَخْضُوبٌ بِالْحِنَاءِ، وَأَخِي مَخْضُوبٌ بِالصُّفْرَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: هَذَا خِضَابُ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ لِأَخِي رَافِعٍ: هَذَا خِضَابُ الْإِيمَانِ).
وَتَكَرَّرَ الْخِضَابُ بِالسَّوَادِ. قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: تَكَرَّرَ الْخِضَابُ بِالسَّوَادِ؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَتَيْتُ بِأَبِي قُحَافَةَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالْفُغَامَةِ بَيَاضًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيِّرُوا هَذَا بِشَيْءٍ وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٠٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٢٠٢)، وَالنَّسَائِيُّ (٥٠٧٦، ٥٢٤٢)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٦٢٤)، وَأَحْمَدُ (١٣٩٩٣، ١٤٠٦٤).

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ (٣٦٢٤) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «جِئْتُ بِأَبِي قُحَافَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ رَأْسُهُ فُغَامَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَلْتُغَيِّرَهُ وَجَنِّبُوهُ السَّوَادَ» [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤٢١٢)، وَالنَّسَائِيُّ (٥٠٧٥)، وَأَحْمَدُ (٢٤٦٦) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. =

= رَخَّصَ فِيهِ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ لِلْمَرْأَةِ تَتَرَيَّنُ بِهِ لِرُؤُوسِهَا .

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْعَظِيمُ الْحَقُّ أَبَادِي فِي "عَوْنِ الْمُعْبُودِ" :

(يَخْضِبُونَ) : يَكْسِرُ الضَّادِ الْمُعْجَمَةَ : أَيِ يُغَيِّرُونَ الشَّعْرَ الْأَبْيَضَ مِنَ الشَّيْبِ الْوَاقِعِ فِي الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ (بِالسَّوَادِ) : أَيِ بِاللَّوْنِ الْأَسْوَدِ (كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ) : أَيِ كَصُدُورِهَا فَإِنَّهَا سُودٌ غَالِبًا ، وَأَصْلُ الْحَوْصَلَةِ الْمَعْدَةُ ، وَالْمُرَادُ هُنَا صَدْرُهَا الْأَسْوَدُ ، قَالَ الطَّيِّبِيُّ : مَعْنَاهُ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ فِي الْغَالِبِ لِأَنَّ حَوَاصِلَ بَعْضِ الْحَمَامَاتِ لَيْسَتْ بِسُودٍ (لَا يَرِيحُونَ) : أَيِ لَا يَشُمُونَ وَلَا يَجِدُونَ (رَائِحَةَ الْجَنَّةِ) : يَغْنِي وَرِيحُهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ كَمَا فِي حَدِيثٍ ، فَالْمُرَادُ بِهِ التَّهْدِيدُ أَوْ مَحْمُولٌ عَلَى الْمُسْتَحِلِّ أَوْ مُقَيَّدٌ بِمَا قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ مِنَ الْقَبْرِ أَوْ الْمَوْقِفِ أَوْ النَّارِ .

قَالَ مِيرُكٌ : ذَهَبَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ إِلَى كَرَاهَةِ الْخُضَابِ بِالسَّوَادِ ، وَجَنَحَ النَّوَوِيُّ إِلَى أَنَّهَا كَرَاهَةٌ تَحْرِيمٌ ، وَأَنَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ رَخَّصَ فِيهِ فِي الْجِهَادِ وَلَمْ يُرَخَّصْ فِي غَيْرِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فَأَجَازَهُ لَهَا دُونَ الرَّجُلِ وَاخْتَارَهُ الْحَلِيمِيُّ .

وَأَمَّا خُضْبُ الْيَتِيمِ وَالرَّجُلَيْنِ فَيُسْتَحَبُّ فِي حَقِّ النِّسَاءِ وَيَحْرُمُ فِي حَقِّ الرَّجَالِ إِلَّا لِلتَّشَاوِي كَذَا فِي "الْمِرْقَاةِ" .

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ تَحْتَ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿إِنَّ الْبُهْدَ وَالنَّصَارَى لَا يَضْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ﴾ هَكَذَا أَطْلَقَ . وَلَأَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ . [تِلْكَ : رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢١٧٨٠) حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلَاءِ بْنُ زُبَيْرٍ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ يَقُولُ : ﴿خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَشِيخَةٍ مِنْ =

= الْأَنْصَارِ بِيضٌ لِحَاهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ حَمُّرُوا وَصَفِّرُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَسَرَّوْنَ وَلَا يَأْتِرُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَسَرَّوْا وَاتَّزِرُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَخَفُّونَ وَلَا يَتَّعِلُّونَ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَتَخَفُّوا وَاتَّعِلُّوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَقْضُونَ عَثَانِيَهُمْ وَيُؤَفِّرُونَ سِبَالَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قُصُوا سِبَالَكُمْ وَؤَفِّرُوا عَثَانِيَكُمْ وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ. وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ، وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الصَّحِيحَةِ" (١٢٤٥).

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ. وَفِي "الكَبِيرِ" مِنْ حَدِيثِ عُثْبَةَ بْنِ عَبْدِ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِتَغْيِيرِ الشَّعْرِ مُخَالَفَةً لِلْأَعَاجِمِ». وَقَدْ تَمَسَّكَ بِهِ مَنْ أَجَازَ الْخِضَابَ بِالسَّوَادِ، وَقَدْ تَمَدَّدَتْ فِي بَابِ ذِكْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ مَسْأَلَةُ إِسْتِئْذَانِ الْخَضْبِ بِالسَّوَادِ لِحَدِيثِي جَابِرٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَنَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ رَخَّصَ فِيهِ فِي الْجِهَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَخَّصَ فِيهِ مُطْلَقًا، وَأَنَّ الْأَوَّلَى كَرَاهَتُهُ، وَجَنَحَ النَّوَوِيُّ إِلَى أَنَّهُ كَرَاهَةٌ تَحْرِيمٍ.

وَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ مِنْهُمْ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَجَرِيرٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي كِتَابِ الْخِضَابِ لَهُ، وَأَجَابَ عَنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَهُ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ بِالسَّوَادِ لَا يَجِدُونَ رِيحَ الْجَنَّةِ» بِأَنَّهُ لَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى كَرَاهَةِ الْخِضَابِ بِالسَّوَادِ بَلْ فِيهِ الْإِخْبَارُ عَنْ قَوْمٍ هَذِهِ صِفَتُهُمْ، وَعَنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: «جَبَّوهُ السَّوَادَ» بِأَنَّهُ فِي حَقِّ مَنْ صَارَ شَيْبَ رَأْسِهِ مُسْتَبْتَعًا وَلَا يَطْرُدُ ذَلِكَ فِي حَقِّ كُلِّ أَحَدٍ انْتَهَى. =

= وَمَا قَالَهُ خِلَافُ مَا يَتَّبَادَرُ مِنْ سِيَاقِ الْحَدِيثَيْنِ .

نَعَمْ يَشْهَدُ لَهُ مَا أَخْرَجَهُ هُوَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: (كُنَّا نَخْضِبُ بِالسَّوَادِ إِذَا كَانَ الْوَجْهُ جَدِيدًا فَلَمَّا نَغَضَ الْوَجْهَ وَالْأَسْنَانُ تَرَكَنَاهُ). وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَفَعَهُ: «مَنْ خَضَبَ بِالسَّوَادِ سَوَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَسَنَدُهُ لَيِّنٌ. انْتَهَى كَلَامُ الْحَافِظِ .

وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي "الْمُعْنِيِّ":

(١١٣) قُضِيَ: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكْتَحِلَ وَثَرًا، وَيَتَّخِذَ عِثًا، وَيَنْظُرَ فِي الْبِرَازِ وَيَتَغَيَّبَ.

قَالَ حَنْبَلٌ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَتْ لَهُ صَبِيئَةٌ فِيهَا مِرَاةٌ وَمُكْحَلَةٌ وَمُشْطٌ، فَإِذَا فَرَعَ مِنْ حِزْبِهِ نَظَرَ فِي الْمِرَاةِ وَامْتَشَطَ، وَقَدْ رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْإِيمِدِ فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُثَبِّتُ الشَّعْرَ». قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ كَيْفَ يَكْتَحِلُ الرَّجُلُ؟ قَالَ: وَثَرًا. وَلَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٣٥)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٣٨، ٣٤٩٨)، وَأَحْمَدُ (٨٦٢١)، وَالدَّارِمِيُّ (٦٦٢) بِإِسْنَادِهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ اكْتَحَلَ قَلْبُوتَرًا، مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ، وَمَنْ لَا فَلَا حَرَجَ» [فِي إِسْنَادِهِ الْحَصِينُ الْجُبْرَانِيُّ وَشَيْخُهُ أَبُو سَعِيدٍ وَهُمَا مِنْجُهُولَانِ، وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَالْوَثَرُ ثَلَاثٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ، وَقِيلَ: ثَلَاثٌ فِي الْيَمْنَى وَاثْنَانِ فِي الْيُسْرَى، لِيَكُونَ الْوَثَرُ حَاصِلًا فِي الْعَيْنَيْنِ مَعًا.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤١٥٩)، وَالنَّسَائِيُّ (٥٠٥٥، ٥٠٥٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٧٥٦)، وَأَحْمَدُ (١٦٣٥١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعْقَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ =

= عَنْ التَّرْجُلِ إِلَّا غَبًا. [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

[ثُلُثٌ: وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤٠٦٢)، وَالنَّسَائِيُّ (٥٢٣٦)، وَأَحْمَدُ (١٤٤٣٦) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلًا شَعْنًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ؛ فَقَالَ: أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسْكِنُ بِهِ شَعْرَهُ، وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ؛ فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ». [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤١٦٠)، وَالنَّسَائِيُّ (٥٢٣٩)، وَأَحْمَدُ (٤١٦٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ بُرَيْدَةَ «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ رَحَلَ إِلَى فَضَالَةَ بْنِ عُيَيْدٍ وَهُوَ بِمِصْرَ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَتِكَ زَائِرًا؛ وَلَكِنِّي سَمِعْتُ أَنَا وَأَنْتَ حَبِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ مِنْهُ عِلْمٌ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَمَا لِي أَرَاكَ شَعْنًا وَأَنْتَ أَمِيرُ الْأَرْضِ؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْهَانَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْإِرْقَاوِ، قَالَ: فَمَا لِي لَا أَرَى عَلَيْكَ حِذَاءً؟ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُنَا أَنْ نَحْتَفِيَ أَحْيَانًا». [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

قَالَ أَحْمَدُ مَعْنَى (غَبًا) يَدْهَنُ يَوْمًا وَيَوْمًا لَا. وَكَانَ أَحْمَدُ يُعْجِبُهُ الطَّيِّبُ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُحِبُّ الطَّيِّبَ وَيَتَطَيَّبُ كَثِيرًا.

[قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي "فَتْحِ الْبَارِي":

قوله: (بَابُ التَّرْجِيلِ وَالتَّيْمُنُ فِيهِ) وَالتَّيْمُنُ فِي التَّرْجُلِ أَنْ يَبْدَأَ بِالْجَانِبِ الْأَيْمَنِ وَأَنْ يَفْعَلَهُ بِالْيَمَنِ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: التَّرْجِيلُ تَسْرِيحُ شَعْرِ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ وَدَهْنُهُ، وَهُوَ مِنَ النَّظَافَةِ وَقَدْ نَدَبَ الشَّرْعُ إِلَيْهَا، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾ [الأعراف: ٣١] وَأَمَّا حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ التَّرْجُلِ إِلَّا غَبًا يَغْنِي الْحَدِيثَ الَّذِي أَشْرَفْتُ إِلَيْهِ قَرِيبًا فَالْمُرَادُ بِهِ تَرْكُ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّرَفُّهِ =

= وَقَدْ رَوَى أَبُو أُمَامَةَ بْنُ ثَعْلَبَةَ رَفَعَهُ: «الْبَدَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ» اهـ. وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُؤَدَّدُ رِثَائِهِ الْهَيْئَةُ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا تَرْكُ التَّرَفِّهِ وَالتَّنَطُّعِ فِي اللَّبَاسِ وَالتَّوَاضُّعِ فِيهِ مَعَ الْقُدْرَةِ لَا بِسَبَبِ جَحْدِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ: «أَنَّ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ يُقَالُ لَهُ عُيَيْدٌ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْإِرْفَاءِ» قَالَ ابْنُ بُرَيْدَةَ الْإِرْفَاءُ: التَّرَجُّلُ. قُلْتُ: الْإِرْفَاءُ بِكَسْرِ الهمزة وَفَاءٍ وَآخِرُهُ هَاءٌ التَّنَعُّمُ وَالرَّاحَةُ، وَمِنْهُ الرَّفْعُ بِفَتْحَتَيْنِ وَقِيْدُهُ فِي الْحَدِيثِ بِالْكَثِيرِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْوَسْطَ الْمُعْتَدِلَ مِنْهُ لَا يُدْمُ، وَبِذَلِكَ يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْبَارِ. وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ» وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ فِي "الْغِيلَانِيَّاتِ" وَسَنَدُهُ حَسَنٌ أَيْضًا [اهـ..]

الرِّيَّةُ الْمُحَرَّمَةُ

رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤١٧٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لُعِنَتْ الْوَاصِلَةُ وَالْمُسْتَوْصِلَةُ وَالنَّائِمَةُ وَالْمُتَمَصِّصَةُ وَالْوَاشِمَةُ وَالْمُسْتَوْشِمَةُ مِنْ غَيْرِ دَاءٍ» [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَتَفْسِيرُ الْوَاصِلَةِ: الَّتِي تَصِلُ الشَّعْرَ بِشَعْرِ النِّسَاءِ، وَالْمُسْتَوْصِلَةُ الْمَعْمُولُ بِهَا، وَالنَّائِمَةُ: الَّتِي تَنْقُشُ الْحَاجِبَ حَتَّى تُرْفَهُ، وَالْمُسْتَوْشِمَةُ: الْمَعْمُولُ بِهَا، وَالْوَاشِمَةُ: الَّتِي تَجْعَلُ الْخِيْلَانَ فِي وَجْهِهَا بِكُحْلِ أَوْ مِدَادٍ، وَالْمُسْتَوْشِمَةُ: الْمَعْمُولُ بِهَا.

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْعَظِيمُ الْحَقُّ أَبَادِي فِي "عَوْنِ الْمَعْبُودِ" شَرْحَ "سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ": (لُعِنَتْ): بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ (مِنْ غَيْرِ دَاءٍ): قَالَ الْقَارِي: مُتَعَلِّقٌ بِالْوَشْمِ. =

= قَالَ الْمُظْهَرُ: إِنْ إِخْتَاَجَتْ إِلَى الْوَشْمِ لِلْمُدَاوَاةِ جَاَزَ وَإِنْ بَقِيَ مِنْهُ أَثَرٌ، وَقِيلَ مُتَعَلِّقٌ بِكُلِّ مَا تَقَدَّمَ أَيُّ لَوْ كَانَ بِهَا عَلَّةٌ فَإِخْتَاَجَتْ إِلَى أَحَدِهَا لَجَاَزَ. اِنْتَهَى. (الَّتِي تَنْفُسُ الْحَاجِبَ): أَيُّ تُخْرِجُ شَعْرَهُ بِالْمِنْقَاشِ. قَالَ فِي "الْمُضْبَاحِ": النَّفْسُ النَّفْتُ بِالْمِنْقَاشِ. اِنْتَهَى وَالْمِنْقَاشُ هُوَ الْمِنتَافُ أَيُّ آلَةُ النَّفْتِ (حَتَّى تُرَقِّهُ): مِنَ الْإِرْقَاقِ، (وَالْوَاشِمَةُ الَّتِي تَجْعَلُ الْخِيْلَانَ): جَمْعُ خَالٍ (فِي وَجْهِهَا بِكُخْلِ أَوْ مِدَادٍ): بِكَسْرِ الْمِيمِ مَعْرُوفٌ، وَذَكَرُ الْوَجْهِ لَيْسَ قِيدًا فَقَدْ يَكُونُ فِي الْيَدِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْجَسَدِ، وَقَدْ يُفْعَلُ ذَلِكَ نَفْسًا وَقَدْ يُجْعَلُ دَوَائِرَ وَقَدْ يُكْتَبُ اسْمُ الْمَحْبُوبِ. قَالَه الْحَافِظُ.

وَفِي "لِسَانِ الْعَرَبِ": النَّمَصُ: قَصْرُ الرِّيشِ. وَالنَّمَصُ: رَقَّةُ الشَّعْرِ وَدَقَّتُهُ حَتَّى تَرَاهُ كَالزَّغَبِ، رَجُلٌ أَنْمَصٌ وَرَجُلٌ أَنْمَصُ الْحَاجِبِ وَرُبَّمَا كَانَ أَنْمَصَ الْجَبِينِ. وَالنَّمَصُ: نَتْفُ الشَّعْرِ. وَنَمَصَ شَعْرَهُ يَنْمِصُهُ نَمَصًا: نَتَفَهُ، وَالْمُشْطُ يَنْمِصُ الشَّعْرَ. وَتَمَصَّتِ الْمَرْأَةُ: أَخَذَتْ شَعْرَ جَبِينِهَا بِخَيْطٍ لِنَتْفِهِ. وَنَمَصَتْ أَيْضًا: شَدَّدَ لِلتَّكْثِيرِ. وَالنَّامِصَةُ: الْمَرْأَةُ الَّتِي تُزَيِّنُ النِّسَاءَ بِالنَّمَصِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لُعِنَتِ النَّامِصَةُ وَالْمُتَمَصِّصَةُ». قَالَ الْفَرَّاءُ: النَّامِصَةُ الَّتِي تَنْتِفُ الشَّعْرَ مِنَ الْوَجْهِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمِنْقَاشِ مُنَاصٌ لِأَنَّهُ يَنْتِفُهُ بِهِ، وَالْمُتَمَصِّصَةُ: هِيَ الَّتِي تَفْعَلُ ذَلِكَ بِنَفْسِهَا؛ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَبَعْضُهُمْ يَرْوِيهِ «الْمُتَمَصِّصَةُ» بِتَقْدِيمِ النُّونِ عَلَى التَّاءِ. وَامْرَأَةٌ نَمَصَاءٌ تَنْمِصُ أَيُّ تَأْمُرُ نَامِصَةً فَتَنْمِصُ شَعْرَ وَجْهِهَا نَمَصًا أَيُّ تَأْخُذُهُ عَنْهُ بِخَيْطٍ. وَالنَّمِصُ وَالْمُنَاصُ: الْمِنْقَاشُ. ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْمُنَاصُ الْمِظْفَارُ وَالْمِنْتَاشُ وَالْمِنْقَاشُ وَالْمِنْتَاشُ. قَالَ ابْنُ بَرِّي: وَالنَّمَصُ الْمِنْقَاشُ أَيْضًا، وَالنَّمَصُ وَالنَّمِصُ: أَوَّلُ مَا يَنْدُو مِنَ النَّبَاتِ فَيَنْتِفُهُ، وَقِيلَ: هُوَ مَا أَمْكَنَكَ جَزْءُهُ. وَقِيلَ: هُوَ نَمَصٌ أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ قَيْمَلًا فَمَ الْآكِلِ.

= رَوَى الْبُخَارِيُّ (٥٩٣٥) عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : إِنِّي أَنْكَحْتُ ابْنَتِي ثُمَّ أَصَابَهَا شَكْوَى فَتَمَرَّقَ رَأْسُهَا ، وَزَوْجُهَا يَسْتَحِثُّنِي بِهَا أَفَأَصِلُ رَأْسَهَا ؟ فَسَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ ،

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٢٢) عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ : « جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي ابْنَةً عَرِيسًا أَصَابَتْهَا حَصْبَةٌ فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا أَفَأَصِلُهَا ؟ فَقَالَ : لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ »

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (٥٢٠٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ زَوَّجَتْ ابْنَتَهَا فَتَمَعَّطَ شَعْرُ رَأْسِهَا فَجَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَتْ : إِنَّ زَوْجَهَا أَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ فِي شَعْرِهَا ؟ فَقَالَ : لَا ؛ إِنَّهُ قَدْ لُعِنَ الْمُوَصِّلَاتُ .

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (٢٣٢٨٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْهَا فَقَالَتْ : إِنَّ ابْنَتِي عَرُوسٌ مَرَضَتْ فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا أَفَأَصِلُ فِيهِ ؟ فَقَالَتْ : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ أَوْ قَالَتْ الْوَاصِلَةَ .

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي " فَتْحِ الْبَارِي " :

قَوْلُهُ (إِنَّهُ قَدْ لُعِنَ الْمُوَصِّلَاتُ) كَذَا بِالْبَاءِ لِلْمَجْهُولِ ، وَالْمُوَصِّلَاتُ : بِتَشْدِيدِ الصَّادِ الْمَكْسُورَةِ وَيَجُوزُ فَتَحُهَا ، وَفِي رِوَايَةِ الْكُشْمِينِيِّ " الْمُوَصِّلَاتُ " وَهُوَ يُؤَيِّدُ رِوَايَةَ الْفَتْحِ . اهـ .

رَوَى الْبُخَارِيُّ (٤٨٨٦ ، ٤٨٨٧ ، ٥٩٣٩ ، ٥٩٤٣ ، ٥٩٤٨) ، وَمُسْلِمٌ (٢١٢٥) ، وَأَبُو دَاوُدَ (٤١٦٩) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٧٨٢) ، وَالنَّسَائِيُّ (٥٠٩٩) ، ٥١٠٧ ، ٥١٠٨ ، ٥١٠٩ ، ٥٢٥٢ ، ٥٢٥٣ ، ٥٢٥٤) ، وَابْنُ مَاجَةَ (١٩٨٩) ، =

= وَأَحْمَدُ (٣٨٧١، ٣٩٣٥، ٣٩٤٥، ٣٩٤٦، ٤٠٧٩، ٤١١٨، ٤٢١٨، ٤٢٧١، ٤٣٣١، ٤٣٨٩، ٤٤١٤، ٤٤٢٠)، وَالِدَّارِمِيُّ (٢٦٤٧)، وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: ﴿لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلَجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ، قَبْلَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟! فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللُّوْحَيْنِ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ أَمَا قَرَأْتِ ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ [الحشر: ٧]؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ! قَالَ: فَادْهَبِي فَاَنْظُرِي فَذَهَبَتْ فَانْظَرَتْ فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا فَقَالَ لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتَهَا.﴾

وَلَفْظُ النَّسَائِيِّ: عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ﴿لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلَجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ﴾، وَلَهُ لَفْظٌ آخَرُ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ﴿لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُتَفَلَجَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ ﷻ﴾.

وَرَوَى أَحْمَدُ (٣٩٣٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ أَنْبَأَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَزْرَةَ عَنِ الْحَسَنِ الْعُرَيْنِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ عَنْ مَسْرُوقٍ: (أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَتْ: أُنبِئْتُ أَنَّكَ تَنْهَى عَنِ الْوَاصِلَةِ! قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَتْ: أَشَيْءٌ تَجِدُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَمْ سَمِعْتَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: أَجِدُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ تَصَفَّحْتُ مَا بَيْنَ =

= دَقَّتِي الْمُضْحَفِ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ الَّذِي تَقُولُ، قَالَ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهِ ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا...﴾ [الحشر: ٧]؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ﴿نَهَى عَنِ النَّامِصَةِ وَالْوَاشِرَةِ وَالْوَاصِلَةِ وَالْوَاشِمَةِ إِلَّا مِنْ دَاءٍ﴾، قَالَتْ: الْمَرْأَةُ فَلَعَلَّهُ فِي بَعْضِ نِسَائِكَ؟ قَالَ لَهَا: ادْخُلِي فَدَخَلْتُ ثُمَّ خَرَجْتُ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ بِأَسَا قَالَ مَا حَفِظْتُ إِذَا وَصِيَّةَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَلَكُمْ...﴾ [هود: ٨٨]. قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي "غَايَةِ الْمَرَامِ": أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَأَحْمَدُ وَالسِّيَاقُ لَهُ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٨٨٦، ٥٩٣١، ٥٩٣٩، ٥٩٤٣، ٥٩٤٨)، وَمُسْلِمٌ (٢١٢٥) عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ﴿لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُوتَشِمَاتِ، وَالْمُتَمَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ﴾ فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ؟ فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللُّوْحَيْنِ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتَ ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا...﴾ [الحشر: ٧]؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ؟ قَالَ: فَأَذْهَبِي فَاَنْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَانْظَرَتْ فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا).

رَوَى الْبُخَارِيُّ (٣٤٦٨، ٣٤٨٨، ٥٩٣٣، ٥٩٣٨)، وَمُسْلِمٌ (٢١٢٧) عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمِعَ ﴿مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ حَجِّ عَلَى =

= الْمُبَرِّقَتَاوَلْ قُصَّةٌ مِنْ شَعْرِ وَكَانَتْ فِي يَدَي حَرَسِي فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ وَيَقُولُ: إِنَّمَا هَلَكْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ).

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ (٣٤٨٨): عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: «قَدِمَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الْمَدِينَةَ آخِرَ قَدَمَةٍ قَدِمَهَا، فَحَطَبْنَا فَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعْرِ فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ الْيَهُودِ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّاهُ الزُّورَ - يَعْنِي الْوَصَالَ فِي الشَّعْرِ -».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي "فَتْحِ الْبَارِي":

قَوْلُهُ: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ) جَمْعُ وَاشِمَةٍ بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَهِيَ الَّتِي تَشْمُ (وَالْمُسْتَوَشِمَاتِ) جَمْعُ مُسْتَوَشِمَةٍ وَهِيَ الَّتِي تَطْلُبُ الْوَشْمَ. قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ: الْوَشْمُ يَفْتَحُ ثُمَّ سُكُونُ أَنْ يَغْرَزَ فِي الْعُضْوِ إِبْرَةً أَوْ نَحْوَهَا حَتَّى يَسِيلَ الدَّمُ ثُمَّ يُخْشَى بُنُورَةً أَوْ غَيْرَهَا فَيُخْضَرُ.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي "السُّنَنِ": الْوَاشِمَةُ الَّتِي تَجْعَلُ الْخَيْلَانَ فِي وَجْهِهَا بِكُحْلِ أَوْ مِدَادٍ، وَالْمُسْتَوَشِمَةُ الْمَعْمُولُ بِهَا انْتَهَى. وَذَكَرُ الْوُجْهِ لِلْغَالِبِ وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ فِي الشَّفَةِ وَسَيَاتِي عَنْ نَافِعٍ أَنَّهُ يَكُونُ فِي اللِّثَةِ، فَذَكَرُ الْوُجْهِ لَيْسَ قِيدًا، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْيَدِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْجَسَدِ، وَقَدْ يَفْعَلُ ذَلِكَ نَفْسًا، وَقَدْ يُجْعَلُ دَوَائِرَ، وَقَدْ يُكْتَبُ اسْمُ الْمَحْبُوبِ، وَتَعَاطِيهِ حَرَامٌ بِدَلَالَةِ اللَّعْنِ كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَابِ، وَيَصِيرُ الْمَوْضِعُ الْمَوْشُومُ نَجَسًا لِأَنَّ الدَّمَ انْحَبَسَ فِيهِ فَتَجِبُ إِزَالَتُهُ إِنْ أَمْكَنْتَ وَلَوْ بِالْجَرْحِ إِلَّا إِنْ خَافَ مِنْهُ تَلَفًا أَوْ شَيْنًا أَوْ قَوَاتَ مَنْفَعَةٍ عُضْوٍ فَيُجُوزُ إِبْقَاؤُهُ، وَكَفَى التَّوْبَةُ فِي سُقُوطِ الْإِثْمِ، وَيَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ. =

= قَوْلُهُ: (وَالْمُتَقَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ): يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمَذْمُومَةَ مَنْ فَعَلَتْ ذَلِكَ لِأَجْلِ الْحُسْنِ فَلَوْ إحتَاجَتْ إِلَى ذَلِكَ لِمُدَاوَاةٍ مِثْلًا جَازَ.

قَوْلُهُ: (الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ): هِيَ صِفَةٌ لَازِمَةٌ لِمَنْ يَضَعُ الْوَشْمَ وَالنَّمَصَ وَالْفَلَجَ وَكَذَا الْوَضِلَ عَلَى إِحْدَى الرُّوَايَاتِ.

قَوْلُهُ: (بَابُ الْمُتَمَصِّصَاتِ): جَمْعُ مُتَمَصِّصَةٍ، وَحَكَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ مُتَمَصِّصَةً بِتَقْدِيمِ الْمِيمِ عَلَى الثَّوْنِ وَهُوَ مَقْلُوبٌ، وَالْمُتَمَصِّصَةُ الَّتِي تَطْلُبُ النَّمَاصَ، وَالنَّامِصَةُ الَّتِي تَفْعَلُهُ، وَالنَّمَاصُ: إِزَالَةُ شَعْرِ الْوَجْهِ بِالْمِنْقَاشِ، وَيُسَمَّى الْمِنْقَاشُ مِنْمَاصًا لِذَلِكَ، وَيُقَالُ إِنَّ النَّمَاصَ يَخْتَصُّ بِإِزَالَةِ شَعْرِ الْحَاجِبَيْنِ لِتَرْفِيعِهِمَا أَوْ تَسْوِيَّتِهِمَا.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي "السُّنَنِ": النَّامِصَةُ الَّتِي تَنْقُشُ الْحَاجِبَ حَتَّى تَرْقَهُ. ذَكَرَ فِيهِ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ الْمَاضِي فِي "بَابِ الْمُتَقَلِّجَاتِ".

قَالَ الطَّبْرِيُّ: لَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ تَغْيِيرُ شَيْءٍ مِنْ خِلْقَتِهَا الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ عَلَيْهَا بِزِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ إِيَّامَ الْحُسْنِ لَا لِلزَّوْجِ وَلَا لِغَيْرِهِ؛ كَمَنْ تَكُونُ مَمْرُوءَةً الْحَاجِبَيْنِ فَتُزِيلُ مَا بَيْنَهُمَا تُوهِمُ الْبَلَجَ أَوْ عَكْسَهُ، وَمَنْ تَكُونُ لَهَا سِنَّ زَائِدَةٌ فَتَقْلَعُهَا، أَوْ طَوِيلَةٌ فَتَقْطَعُ مِنْهَا، أَوْ لِحْيَةٌ أَوْ شَارِبٌ أَوْ عُنُقَةٌ فَتُزِيلُهَا بِالنِّتْفِ، وَمَنْ يَكُونُ شَعْرُهَا قَصِيرًا أَوْ حَقِيرًا فَتُطَوِّلُهُ أَوْ تُغَزِّرُهُ بِشَعْرِ غَيْرِهَا، فَكُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي النَّهْيِ، وَهُوَ مِنْ تَغْيِيرِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ الطَّبْرِيُّ: وَيُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ مَا يَحْصُلُ بِهِ الضَّرَرُ وَالْأَذَى؛ كَمَنْ يَكُونُ لَهَا سِنَّ زَائِدَةٌ أَوْ طَوِيلَةٌ تُعِيقُهَا فِي الْأَكْلِ أَوْ إِضْغَ زَائِدَةٌ تُؤْذِيهَا أَوْ تُؤْلِمُهَا فَيَجُوزُ ذَلِكَ، وَالرَّجُلُ فِي هَذَا الْأَخِيرِ كَالْمَرْأَةِ.

= وَقَالَ النَّوَوِيُّ: يُسْتَنَى مِنَ النَّمَاصِ مَا إِذَا نَبَتَ لِلْمَرْأَةِ لِحْيَةٌ أَوْ شَارِبٌ أَوْ عَنَقَقَةٌ فَلَا يَحْرُمُ عَلَيْهَا إِزَالَتُهَا بَلْ يُسْتَحَبُّ. قُلْتُ: وَإِذَا لَهَا مُقَيَّدٌ بِإِذْنِ الزَّوْجِ وَعِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمَتَى خَلَا عَنْ ذَلِكَ مُنِعَ لِلتَّذْلِيلِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ: إِنْ كَانَ النَّمْصُ شِعَارًا لِلْفَوَاجِرِ اِمْتَنَعَ وَإِلَّا فَيَكُونُ تَزْيِينًا، وَفِي رِوَايَةٍ يَجُوزُ بِإِذْنِ الزَّوْجِ إِلَّا إِنْ وَقَعَ بِهِ تَذْلِيلٌ فَيَحْرُمُ، قَالُوا: وَيَجُوزُ الْحَفُّ وَالتَّحْمِيرُ وَالتَّقَشُّ وَالتَّطْرِيفُ إِذَا كَانَ بِإِذْنِ الزَّوْجِ لِأَنَّهُ مِنَ الزِّيْنَةِ.

وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ امْرَأَتِهِ: (أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ وَكَانَتْ شَابَةً يُعْجِبُهَا الْجَمَالُ فَقَالَتْ: الْمَرْأَةُ تَحْفُ جَسْنَهَا لِزَوْجِهَا فَقَالَتْ: أَمِيطِي عَنْكَ الْأَدَى مَا اسْتَطَعْتَ). وَقَالَ النَّوَوِيُّ: يَجُوزُ التَّزْيِينُ بِمَا ذُكِرَ، إِلَّا الْحَفُّ فَإِنَّهُ مِنَ جُمْلَةِ النَّمَاصِ. اهـ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ":

وَالْوَشْمُ حَرَامٌ عَلَى الْفَاعِلَةِ وَالْمَفْعُولِ بِهَا بِاخْتِيَارِهَا، وَالطَّلَالَةُ لَهُ، وَقَدْ يُفْعَلُ بِالْبَنَاتِ وَهِيَ طِفْلَةٌ فَتَأْتُمُ الْفَاعِلَةَ، وَلَا تَأْتُمُ الْبَنَاتُ لِعَدَمِ تَكْلِيفِهَا حَيْثُ ذُكِرَ.

قَالَ أَصْحَابُنَا: هَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي وَشِمَ يَصِيرُ نَجَسًا، فَإِنْ أُمِكنَ إِزَالَتُهُ بِالْعِلَاجِ وَجَبَتْ إِزَالَتُهُ، وَإِنْ لَمْ يُمَكَّنْ إِلَّا بِالْجَرْحِ فَإِنْ خَافَ مِنْهُ التَّلَفَ أَوْ قَوَاتَ عُضْوٍ أَوْ مَنْفَعَةَ عُضْوٍ أَوْ شَيْئًا فَاحِشًا فِي عُضْوٍ ظَاهِرٍ لَمْ تَجِبْ إِزَالَتُهُ، فَإِذَا تَابَ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِثْمٌ، وَإِنْ لَمْ يَخَفْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَنَحْوِهِ لَزِمَهُ إِزَالَتُهُ، وَيَعْصِي بِتَأْخِيرِهِ. وَسَوَاءٌ فِي هَذَا كُلُّهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا (النَّائِصَةُ) بِالصَّادِ الْمُهِمَلَةِ فَهِيَ الَّتِي تُزِيلُ الشَّعْرَ مِنَ الْوُجْهِ، وَالْمُتَمَمَّةُ الَّتِي تَطْلُبُ فِعْلَ ذَلِكَ بِهَا، وَهَذَا الْفِعْلُ حَرَامٌ إِلَّا إِذَا نَبَتَ لِلْمَرْأَةِ لِحْيَةٌ =

.....

= أَوْ شَارِبٌ، فَلَا تَحْرُمُ إِزَالَتُهَا، بَلْ يُسْتَحَبُّ عِنْدَنَا.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لَا يَجُوزُ حَلْقُ لِحْيَتِهَا وَلَا عَنَقَتِهَا وَلَا شَارِبُهَا، وَلَا تَغْيِيرُ شَيْءٍ مِنْ خِلْقَتِهَا بِزِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ. وَمَذْهَبُنَا مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ اسْتِحْبَابِ إِزَالَةِ اللَّحْيَةِ وَالشَّارِبِ وَالْعَنَقَةِ، وَأَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَوَاجِبِ وَمَا فِي أَطْرَافِ الْوَجْهِ. وَأَمَّا (الْمُتَقَلِّجَاتُ) بِالْفَاءِ وَالْجِيمِ، وَالْمُرَادُ مُقَلِّجَاتُ الْأَسْنَانِ بِأَنْ تَبْرُدَ مَا بَيْنَ أَسْنَانِهَا الثَّنَائِيَا وَالرَّبَاعِيَّاتِ، وَهُوَ مِنَ الْفَلَجِ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَاللَّامِ، وَهِيَ فُرْجَةٌ بَيْنَ الثَّنَائِيَا وَالرَّبَاعِيَّاتِ، وَتَقُولُ ذَلِكَ الْعَجُوزُ وَمَنْ قَارَبَتْهَا فِي السِّنِّ إِظْهَارًا لِلصَّغَرِ وَحُسْنِ الْأَسْنَانِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْفُرْجَةَ اللَّطِيفَةَ بَيْنَ الْأَسْنَانِ تَكُونُ لِلْبَنَاتِ الصَّغَارِ، فَإِذَا عَجَزَتِ الْمَرْأَةُ كَبُرَتْ سِنُّهَا وَتَوَحَّشَتْ فَتَبْرُدُهَا بِالْمَبْرَدِ لِتَصِيرَ لَطِيفَةً حَسَنَةً الْمَنْظَرِ، وَتُوْهِمُ كَوْنَهَا صَغِيرَةً، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا الْوَشْرُ، وَمِنْهُ: «لَعَنَ الْوَاشِرَةَ وَالْمُسْتَوْشِرَةَ»، وَهَذَا الْفِعْلُ حَرَامٌ عَلَى الْفَاعِلَةِ وَالْمَفْعُولِ بِهَا لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَلِأَنَّهُ تَغْيِيرٌ لِمَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلِأَنَّهُ تَزْوِيرٌ وَلِأَنَّهُ تَذْلِيلٌ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (الْمُتَقَلِّجَاتُ لِلْحُسْنِ) فَمَعْنَاهُ يَفْعَلْنَ ذَلِكَ طَلَبًا لِلْحُسْنِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْحَرَامَ هُوَ الْمَفْعُولُ لِطَلَبِ الْحُسْنِ، أَمَّا لَوْ اخْتِاجَتْ إِلَيْهِ لِعِلَاجٍ أَوْ عَيْبٍ فِي السِّنِّ وَنَحْوِهِ فَلَا بَأْسَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: (لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا): قَالَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَاهُ لَمْ نَصَاحِبْهَا، وَلَمْ نَجْتَمِعْ نَحْنُ وَهِيَ، بَلْ كُنَّا نَطْلُقُهَا وَنَفَارِقُهَا. قَالَ الْقَاضِي: وَيُحْتَمَلُ أَنَّ مَعْنَاهُ لَمْ أَطَاهَا، وَهَذَا ضَعِيفٌ، وَالصَّحِيحُ مَا سَبَقَ، فَيُحْتَجُّ بِهِ فِي أَنَّ مَنْ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ مُرْتَكِبَةٌ مَعْصِيَةً كَالْوَضْلِ أَوْ تَرْكِ الصَّلَاةِ أَوْ غَيْرِهِمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُطْلَقَهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

=

= وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي "الْمُعْنِي" :

(١١٤) قُضِلَ: وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ «لَعَنَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوِصِلَةَ، وَالنَّائِصَةَ وَالْمُتَنَمِّصَةَ، وَالْوَاشِرَةَ وَالْمُسْتَوِشِرَةَ.»

فَهَذِهِ الْخِصَالُ مُحَرَّمَةٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَنَ فَاعِلَهَا وَلَا يَجُوزُ لَعْنُ فَاعِلِ الْمُبَاحِ. وَالْوَاصِلَةُ: هِيَ الَّتِي تَصِلُ شَعْرَهَا بِغَيْرِهِ، أَوْ شَعْرَ غَيْرِهَا. وَالْمُسْتَوِصِلَةُ: الْمَوْصُولُ شَعْرَهَا بِأَمْرِهَا، فَهَذَا لَا يَجُوزُ لِلْخَبَرِ، لِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ ابْنَتِي عَرَسَ وَقَدْ تَمَزَّقَ شَعْرُهَا، أَفَأَصِلُهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لُعِنَتِ الْوَاصِلَةُ، وَالْمُسْتَوِصِلَةُ.» فَلَا يَجُوزُ وَضَلُ شَعْرِ الْمَرْأَةِ بِشَعْرِ آخَرَ؟ لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ،

وَلَمَّا رُوِيَ «عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ أَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعْرِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذَا، وَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذَا نِسَاءَهُمْ.» وَأَمَّا وَضَلُهُ بِغَيْرِ الشَّعْرِ،

فَلِإِنْ كَانَ يَقْدِرُ مَا تَشُدُّ بِهِ رَأْسَهَا فَلَا بَأْسَ بِهِ؛ لِأَنَّ الْحَاجَةَ دَاعِيَةً إِلَيْهِ، وَلَا يُمَكِّنُ التَّحَرُّرُ مِنْهُ.

وَإِنْ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَفِيهِ رَوَابِيتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنَّهُ مَكْرُوهٌ غَيْرُ مُحَرَّمٍ، لِحَدِيثِ مُعَاوِيَةَ فِي تَخْصِيصِ الَّتِي تَصِلُهُ بِالشَّعْرِ، فَيُمْكِنُ جَعْلُ ذَلِكَ تَفْسِيرًا لِلْفِظِ الْعَامِّ، وَيَقِيتُ الْكَرَاهَةَ لِغُيُومِ اللَّفْظِ فِي سَائِرِ الْأَحَادِيثِ،

وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَا تَصِلُ الْمَرْأَةُ بِرَأْسِهَا الشَّعْرَ وَلَا الْقَرَامِلَ (الْحَرِيرَ) وَلَا الصُّوفَ، نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَصِلُ فَهُوَ وَصَالٌ، =

= وَرُوي عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَصِلَ الْمَرْأَةُ بِرَأْسِهَا شَيْئًا». وَالظَّاهِرُ: أَنَّ الْمُحَرَّمَ إِنَّمَا هُوَ وَضْعُ الشَّعْرِ بِالشَّعْرِ، لِمَا فِيهِ مِنَ التَّلَاسِي وَالِاسْتِعْمَالِ الشَّعْرِ الْمُخْتَلَفِ فِي نَجَاسَتِهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ لَا يَحْرُمُ، لِعَدَمِ هَذِهِ الْمَعَانِي فِيهَا، وَحُصُولِ الْمَصْلَحَةِ مِنْ تَحْسِينِ الْمَرْأَةِ لِرَوْحِهَا مِنْ غَيْرِ مَضَرَّةٍ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(١١٥) فَضْلٌ: فَأَمَّا التَّامِصَةُ: فَهِيَ الَّتِي تَتَّبِعُ الشَّعْرَ مِنَ الْوَجْهِ، وَالْمُتَمِصَّةُ: الْمَتَوِّفُ شَعْرَهَا بِأَمْرِهَا، فَلَا يَجُوزُ لِلْخَبَرِ. وَإِنْ حَلَقَ الشَّعْرَ فَلَا بَأْسَ، لِأَنَّ الْخَبَرَ إِنَّمَا وَرَدَ فِي التَّغْفِ. نَصٌّ عَلَى هَذَا أَحْمَدُ.

وَأَمَّا الْوَاشِرَةُ: فَهِيَ الَّتِي تَبْرُدُ الْأَسْنَانَ بِمِرْدٍ وَنَحْوِهِ؛ لِتُحَدِّدَهَا وَتُقَلِّجَهَا وَتُحَسِّنَهَا،

وَالْمُسْتَوِشِرَةُ: الْمَفْعُولُ بِهَا ذَلِكَ بِإِذْنِهَا، وَفِي خَبَرٍ آخَرَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَةَ، وَالْمُسْتَوِشِمَةَ».

وَالْوَاشِمَةُ: الَّتِي تَغْرِزُ جِلْدَهَا بِإِبْرَةٍ، ثُمَّ تَحْشُوهُ كُحْلًا.

وَالْمُسْتَوِشِمَةُ: الَّتِي يُفَعَّلُ بِهَا ذَلِكَ.

وَفِي "الْمَوْسُوعَةِ الْفَقْهِيَّةِ":

الْمُحَصِّنُ: هُوَ تَتْفُ الشَّعْرِ، وَقِيلَ: هُوَ تَتْفُ الشَّعْرِ مِنَ الْوَجْهِ.

(الْأَلْفَاظُ ذَاتُ الصِّلَةِ):

أ - الْحَفُّ: ٢ - مِنْ مَعَانِي الْحَفِّ الْإِزَالَةُ يُقَالُ: حَفَّ اللَّحْيَةَ يَحْفُهَا حَفًّا =

= إِذَا أَخَذَ مِنْهَا وَيُقَالُ: حَفَّتِ الْمَرْأَةُ وَجْهَهَا حَفًّا وَحِفَافًا: أَي أزالَتْ عَنْهُ الشَّعْرَ بِالْمُوسَى وَقَسَرَتْهُ. فَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَفِّ وَالتَّنْمِصِ أَنَّ الْحَفَّ بِالْمُوسَى.

ب - الحَلْقُ: ٣ - الحَلْقُ هُوَ اسْتِصْالُ الشَّعْرِ بِالْمُوسَى وَنَحْوِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ...﴾ [الفتح: ٢٧] وَيُطْلَقُ - أَيْضًا - عَلَى قَطْعِ الشَّعْرِ، وَالْأَخْذُ مِنْهُ.

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ تَنَفُّ شَعْرِ الْحَاجِبِينَ دَاخِلٌ فِي نَمِصِ الْوَجْهِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ النَّامِصَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ».

وَاخْتَلَفُوا فِي الْحَفِّ وَالْحَلْقِ:

فَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ إِلَى أَنَّ الْحَفَّ فِي مَعْنَى التَّنَفُّ.

وَذَهَبَ الْحَنَابِلَةُ: إِلَى جَوَازِ الْحَفِّ وَالْحَلْقِ، وَأَنَّ الْمَنْهِيَ عَنْهُ هُوَ التَّنَفُّ فَقَطْ. وَذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ: إِلَى أَنَّ تَنَفُّ مَا عَدَا الْحَاجِبِينَ مِنْ شَعْرِ الْوَجْهِ دَاخِلٌ أَيْضًا فِي النَّمِصِ.

وَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ فِي الْمُعْتَمَدِ وَأَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ وَبَعْضُ عُلَمَاءِ الْمَذَاهِبِ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَى إِلَى أَنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ.

قَالَ الْعَدَوِيُّ (الْمَالِكِيُّ): وَالْتِهَامُ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمَنْهِيَّةِ عَنْ اسْتِعْمَالِ مَا هُوَ زِينَةٌ لَهَا، كَالْمُتَوَقَّى عَنْهَا وَالْمَفْقُودِ زَوْجَهَا.

أَمَّا الْمَرْأَةُ الْمُتَزَوِّجَةُ فَيَرَى جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ أَنَّهُ يَجُوزُ لَهَا التَّنْمِصُ، إِذَا كَانَ بِإِذْنِ الزَّوْجِ، أَوْ دَلَّتْ قَرِينَتُهُ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الزَّيْنَةِ، وَالزَّيْنَةُ مَطْلُوبَةٌ لِلتَّحْصِينِ، وَالْمَرْأَةُ مَأْمُورَةٌ بِهَا شَرْعًا لِزَوْجِهَا. وَدَلِيلُهُمْ مَا رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ =

= الْكُبْرَى (٧٠ / ٨) أَخْبَرَنَا الْمُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ (ثِقَةٌ ثَبَتَ)، حَدَّثَنَا الْمُعَلَّى بْنُ زِيَادٍ الْفُطَيْيُّ (قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي "التَّارِيخِ": سَمِعَ بَكْرَةَ بِنْتَ عُقْبَةَ وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ. اهـ، زَادَ أَبُو حَاتِمٍ: وَأَحْمَدُ بْنُ صَخْرِ الْغُدَّانِيُّ)، حَدَّثَنَا بَكْرَةُ بِنْتُ عُقْبَةَ (تَابِعِيَّةٌ ذَكَرَهَا ابْنُ حِبَّانَ فِي الثَّقَاتِ): (أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ جَالِسَةٌ فِي مُعْصَفَرَةٍ فَسَأَلَتْهَا عَنِ الْحِنَاءِ؟ فَقَالَتْ: شَجَرَةٌ طَيِّبَةٌ وَمَاءٌ طَهُورٌ، وَسَأَلَتْهَا عَنِ الْحِفَافِ، فَقَالَتْ: إِنْ كَانَ لَكَ زَوْجٌ فَاسْتَطَعْتَ أَنْ تَتَزَوَّجَ مِثْلَكَ فَتَضْنَعِيهِمَا أَحْسَنَ مِمَّا هُمَا فَافْعَلِي) [

وَذَهَبَ الْحَنَابِلَةُ إِلَى عَدَمِ جَوَازِ الشَّمْصِ - وَهُوَ التَّنْفُ - وَلَوْ كَانَ بِإِذْنِ الزَّوْجِ، وَإِلَى جَوَازِ الْحَفِّ وَالْحَلْقِ.

وَحَالَفَهُمْ ابْنُ الْجَوْزِيِّ قَابَاحَهُ، وَحَمَلَ النَّهْيَ عَلَى التَّدْلِيلِ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ كَانَ شِعَارَ الْفَاجِرَاتِ.

وَذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلْمَرْأَةِ إِذَا نَبَتَتْ لَهَا لِحْيَةٌ أَوْ شَوَارِبُ أَوْ عَنَقَقَةٌ أَنْ تُزِيلَهَا، وَكَيْدَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ بِإِذْنِ الزَّوْجِ. وَأَوْجَبَ الْمَالِكِيَّةُ عَلَيْهَا - فِي الْمُعْتَمَدِ - أَنْ تُزِيلَهَا؛ لِأَنَّ فِيهَا مِثْلَةً. أَمَّا ابْنُ جَرِيرٍ فَذَهَبَ إِلَى تَحْرِيمِ ذَلِكَ. ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُزِيلَ شَعْرَ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا وَظَهْرَهَا وَبَطْنَهَا.

وَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ إِلَى وَجُوبِ ذَلِكَ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ فِي تَرْكِ هَذَا الشَّعْرِ مِثْلَةً. وَيَحْرُمُ عَلَى الرَّجُلِ الشَّمْصُ، وَيُكْرَهُ لَهُ حَفٌّ حَاجِبُهُ أَوْ حَلْقُهُ، وَيَجُوزُ لَهُ الْأَخْذُ مِنْهُ مَا لَمْ يُشَبَّهِ الْمُخْتَشِينَ.

وَقَالَ ابْنُ عَابِدِينَ الْحَنْفِيُّ: النَّهْيُ عَنِ الشَّمْصِ أَيْ تَتَفِ الشَّعْرُ مَحْمُولٌ عَلَى =

مَا إِذَا فَعَلْتَهُ لِمَرْئَيْنِ لِلْأَجَانِبِ، وَإِلَّا فَلَوْ كَانَ فِي وَجْهَهَا شَعْرٌ يَنْفِرُ زَوْجُهَا بِسَبَبِهِ،
فَفِي تَحْرِيمِ إِزَالَتِهِ بُعْدٌ؛ لِأَنَّ الزَّيْنَةَ لِلنِّسَاءِ مَطْلُوبَةٌ، ثُمَّ قَالَ: إِذَا نَبَتَ لِلْمَرْأَةِ لِحْيَةٌ
أَوْ شَوَارِبُ فَلَا تَحْرُمُ إِزَالَتَهُ، بَلْ تُسْتَحَبُّ.

قَالَ الْمَوَاقِ الْمَالِكِيُّ فِي "النَّاحِ وَالْإِكْلِيلِ" شَرْحَ "مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ":
وَفِي "نَوَازِلِ الْبُرْزُلِيِّ":

الْخِضَابُ بِالْحِجَاءِ: لِلَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا جَائِزٌ وَلِلْمُعْتَدَةِ حَرَامٌ، وَلِذَلِكَ الزَّوْجُ
مُسْتَحَبٌّ.

ابْنُ رُشْدٍ: قَوْلُ مَالِكٍ: " لَا بَأْسَ لِلنِّسَاءِ أَنْ تَدَعَ الْخِضَابَ " مَعْنَاهُ إِذَا لَمْ تَكُنْ
تَفْعَلُ ذَلِكَ فَضْدًا مِنْهَا لِلتَّشَبُّهِ بِالرِّجَالِ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: الصَّحِيحُ مِنَ الْمَذْهَبِ أَنَّهُ يَجُوزُ تَخْمِيرُ الْوَجْهِ وَالْخِضَابُ
بِالسَّوَادِ وَتَطْرِيفُ الْأَصَابِعِ وَقَالَ عِيَّاضٌ: رَوَى عَنْ عَائِشَةَ رُخْصَةً فِي جَوَازِ
الْتَّمَصِ وَحَفِّ الْمَرْأَةِ جَبِينَهَا لِزَوْجِهَا وَقَالَتْ: أُمِيطِي عَنْكَ الْأَذَى.

وَلَمَّا ذَكَرَ عِيَّاضُ الْوَحِيدَ فِي الْوُثْمِ قَالَ: وَهَذَا فِيمَا يَكُونُ بَاقِيًا وَأَمَّا مَا لَا يَكُونُ
بَاقِيًا كَالنَّكْحِ فَلَا بَأْسَ بِهِ لِلنِّسَاءِ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ فِي "الزَّوْاجِرِ عَنِ اقْتِرَافِ
الْكِبَائِرِ":

الْكَبِيرَةُ الثَّمَانُونَ: الْوَضْلُ وَطَلَبُ عَمَلِهِ

الْكَبِيرَةُ الْحَادِيَةُ وَالْثَّمَانُونَ: الْوُثْمُ وَطَلَبُ عَمَلِهِ

الْكَبِيرَةُ الثَّانِيَةُ وَالْثَّمَانُونَ: وَشَرُّ الْأَسَانِ أَيْ تَحْدِيدُهَا وَطَلَبُ عَمَلِهِ .

.....

= الْكَبِيرَةُ الثَّلَاثَةُ وَالْثَمَانُونَ: السَّيِّئُ وَطَلَبُ عَمَلِهِ، وَهُوَ جَرَدُ الْوَجْهِ .
أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ
وَالْمُسْتَوْشِمَةَ»،

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ
وَالْمُتَمِّصَاتِ، وَالْمُتَقَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغْيِرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ»، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ فِي
ذَلِكَ فَقَالَ: وَمَا لِي لَا الْعَنُ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ - تَعَالَى - :
«وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...» [الحشر: ٧].

وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لُعِنَتِ الْوَاصِلَةُ وَالْمُسْتَوْصِلَةُ وَالنَّاصِبَةُ
وَالْمُتَمِّصَةُ وَالْوَاشِمَةُ وَالْمُسْتَوْشِمَةُ مِنْ غَيْرِ دَاءٍ». [وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَالشَّيْخَانِ: «أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ زَوَّجَتْ ابْنَتَهَا فَتَمَعَّطَ شَعْرُ رَأْسِهَا فَجَاءَتْ
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ وَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجَهَا أَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ فِي شَعْرِهَا،
فَقَالَ: لَا إِنَّهُ قَدْ لُعِنَ الْمَوْصُولَاتُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢٠٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وَرُوِيَ أَيْضًا أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ عَامَ حَجٍّ وَتَنَاولَ قُصَّةً مِنْ شَعْرِ،
فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ مِثْلِ هَذَا
وَيَقُولُ: «إِنَّمَا هَلَكْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاءُهُمْ». [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أَنَّهُ أَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعْرِ فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يَفْعَلُهُ إِلَّا
الْيَهُودَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَلَغَهُ فَسَمَاهُ الرُّورَ»،

وَفِي أُخْرَى لَهُمَا أَنَّهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «إِنَّكُمْ قَدْ اتَّخَذْتُمْ زِيَّ سَوَاءٍ فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ
نَهَى عَنِ الرُّورِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٢٧).

= قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي مَا تُكْثِرُ بِهِ النِّسَاءُ أَشْعَارَهُنَّ مِنَ الْخِرْقِ .

.....

= وَالْوَاصِلَةُ الَّتِي تَصِلُ الشَّعَرَ بِشَعْرٍ آخَرَ،
وَالْوَاشِمَةُ الَّتِي تَفْعَلُ الْوَشْمَ وَهُوَ مَعْرُوفٌ،
وَالنَّامِصَةُ الَّتِي تَنْقُشُ الْحَاجِبَ حَتَّى تُرَقِّهَ كَذَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ،
وَالْأَشْهَرُ مَا قَالَهُ الْحَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ: أَنَّهُ مِنَ النَّمِصِ، وَهُوَ تَنْقُشُ شَعَرَ الْوَجْهِ،
وَالْمُتَقَلِّجَةُ هِيَ الَّتِي تُقَلِّجُ أَسْنَانَهَا بِنَحْوِ مَبْرَدٍ لِلْحُسَيْنِ،
وَالْمُسْتَوْصِلَةُ وَالْمُسْتَمِصَّةُ وَالْمُسْتَوْشِمَةُ الْمَفْعُولُ بِهَا ذَلِكَ.
تَبَيَّنَ: ذَكَرَ هَذِهِ كُلُّهَا مِنَ الْكِبَائِرِ، وَهُوَ مَا جَرَى عَلَيْهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْجَلَالُ
الْبُلْقِينِيُّ فِي الْأَوَّلِينَ، وَغَيْرُهُ فِي الْكُلِّ، وَهُوَ ظَاهِرٌ لِمَا مَرَّ أَنَّ مِنْ أَمَارَاتِ
الْكِبِيرَةِ اللَّغْنِ، وَقَدْ عَلِمْتَ صِحَّةَ الْأَحَادِيثِ بِلَغْنِ الْكُلِّ،
لَكِنْ لَمْ يَجْرِ كَثِيرٌ مِنْ أَيْمَتِنَا عَلَى إِطْلَاقِ ذَلِكَ، بَلْ قَالُوا: إِنَّمَا يَحْرُمُ غَيْرُ الْوَشْمِ
وَالنَّمِصِ بِغَيْرِ إِذْنِ الزَّوْجِ أَوْ السَّيِّدِ، وَهُوَ مُشْكِلٌ لِمَا عَلِمْتَ فِي قِصَّةِ الْأَنْصَارِيَّةِ
فَإِنَّهُ ﷺ قَالَ لَهَا: لَا، مَعَ قَوْلِهَا إِنَّ الزَّوْجَ أَمَرَ بِالْوَضْلِ،
وَعَجِبَ قَوْلُهُمْ بِكَرَاهَةِ النَّمِصِ بِمَعْنِيهِ السَّابِقِينَ مَعَ اللَّغْنِ فِيهِ وَمَعَ قَوْلِهِمْ
بِالْحُرْمَةِ فِي غَيْرِهِ مُطْلَقًا أَوْ بِغَيْرِ إِذْنِ الزَّوْجِ عَلَى الْخِلَافِ فِيهِ، رَأَيْتُ قَرَنِي مَعَ
وُقُوعِ اللَّغْنِ عَلَى الْكُلِّ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ، وَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَشَارُوا إِلَيْهِ فِي
مَحَلِّهِ.

الْفَوَائِدُ الطَّبِيعِيَّةُ لِلسَّوَاكِ

يُثَبِّتُ الْعِلْمَ وَالطَّبَّ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ فَعَالِيَّةُ السَّوَاكِ فِي حِمَايَةِ الْأَسْنَانِ مِنَ التَّسْوُسِ
وَالنَّخْرِ، فَهُوَ الْمَعْجُونُ الطَّبِيعِيُّ الَّذِي يُظَهِّرُ الْفَمَ، وَيَجْعَلُ رَائِحَتَهُ طَيِّبَةً زَكِيَّةً =

= سَوَاءٌ فِي رَمَضَانَ أَوْ فِي أَيِّ شَهْرٍ آخَرَ. فَالسُّوَاكُ يَحْتَوِي عَلَى مَوَادٍّ فَعَالَةٍ تَحْمِي
الْأَسْنَانَ وَاللِّثَّةَ لِسَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ مِنْ أَضْرَارِ الْمَيْكْرُوبَاتِ، وَهُوَ مَا لَا يَتَوَافَرُ فِي
مَعَاجِينِ الْأَسْنَانِ الْعَادِيَّةِ.

السُّوَاكُ أَفْضَلُ عِلَاجٍ وَقَائِي لِتَسْوُسِ الْأَسْنَانِ عِنْدَ الْأَطْفَالِ وَالْكِبَارِ مَعَ
لَاخْتِوَائِهِ عَلَى مَادَّةِ (الْفُلُورَايدِ).

كَمَا أَنَّهُ يُزِيلُ الصَّنْغَ وَالْبَقَعَ لِأَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى مَادَّةِ (الْكُلُورِ).

كَذَلِكَ يَعْمَلُ عَلَى تَبْيِضِ الْأَسْنَانِ لِمَا بِهِ مِنْ مَادَّةِ (السَّلِيكَا).

كَذَلِكَ يَعْمَلُ عَلَى حِمَايَةِ الْأَسْنَانِ مِنَ الْبَكْتِيرِيَا لِاخْتِوَائِهِ عَلَى مَادَّةِ (الْكَبْرِيتِ)،
كَمَا أَنَّهُ يُفِيدُ فِي الشِّامِ الْجُرُوحِ وَشُقُوقِ اللِّثَةِ، وَيُسَاعِدُ عَلَى نُمُوِّهَا نُمُوًّا سَلِيمًا
لِأَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى مَادَّةِ (تِرَازِي مِثِيلْ أَمِينِ) وَفَيْتَامِينِ (ج) وَيَمْنَعُ تَكُونِ الرُّوَاسِيبِ
الْجِيرِيَّةِ.

وَأُثْبِتَتْ الْبُحُوثُ وَالذَّرَاسَاتُ الْحَدِيثَةُ أَنَّ السُّوَاكَ يَقْضِي عَلَى مَيْكْرُوبَاتِ الْفَمِ
وَالْأَسْنَانِ الْمُسَبَّيَّةِ لِلتَّهَابِ اللَّثَّةِ وَتَسْوُسِ الْأَسْنَانِ، فَفَاعِلِيَّةُ السُّوَاكِ تَسْتَمِرُّ لِمُدَّةِ
(٦ - ٨ سَاعَاتٍ) مِنْ اسْتِعْمَالِهِ بِخِلَافِ مَعَاجِينِ الْأَسْنَانِ الَّتِي لَا تَسْتَمِرُّ فَاعِلِيَّتُهَا
سِوَى سَاعَتَيْنِ فَقَطْ، ثُمَّ يَبْدَأُ ظُهُورُ الْبَكْتِيرِيَا مَرَّةً أُخْرَى بِالْفَمِ.

وَهُنَاكَ نَوْعٌ خَاصٌّ مِنَ الْبَكْتِيرِيَا هِيَ الْمَسْئُولَةُ عَنْ تَسْوُسِ وَنَخْرِ الْأَسْنَانِ،
وَالسُّوَاكُ وَخَذَهُ الَّذِي يَقْضِي عَلَيْهَا تَمَامًا، وَلَا تَظْهَرُ هَذِهِ الْبَكْتِيرِيَا إِلَّا بَعْدَ عَشْرِ
سَاعَاتٍ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ.

كَمَا أُثْبِتَتْ النَّتَائِجُ أَيْضًا أَنَّ اسْتِعْمَالَ السُّوَاكِ يَمْنَعُ نُمُوَّ عَدَدٍ مِنَ الْمَيْكْرُوبَاتِ
الْأَهْوَايَّةِ الَّتِي تُسَبِّبُ الْإِصَابَةَ بِأَمْرَاضِ اللِّثَةِ وَالْأَسْنَانِ، وَيَسْتَمِرُّ هَذَا الْمَنْعُ =

.....

= لِمُدَّةِ (٨) سَاعَاتٍ، وَهُوَ مَا لَا يَتَوَافَرُ فِي مَعَاجِينِ الْأَسْنَانِ الْعَادِيَّةِ.

وَيَحْتَوِي السُّوَاكُ عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْمَوَادِّ الْفَعَّالَةِ، أَهْمُهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ مَادَّةُ (أَيُورَئُوسِيَّانَات) وَهِيَ مَادَّةٌ كِبَرِيَّةٌ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ الْمَادَّةَ تَلْتَصِقُ بِالْغِشَاءِ الْمُخَاطِي بِالْقَمِّ وَاللُّثَّةِ لِعِدَّةِ سَاعَاتٍ، وَهِيَ تَعْمَلُ كَمُضَادٍّ حَيَوِيٍّ طَبِيعِيٍّ يَمْنَعُ نُمُوَ الْبَكْتِيرِيَا الضَّارَّةِ بِالْقَمِّ وَالْأَسْنَانِ، وَهَذَا هُوَ السَّرُّ فِي بَقَاءِ وَاسْتِمْرَارِ فَاعِلِيَّةِ السُّوَاكِ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ بَعْدَ اسْتِعْمَالِهِ. لِذَا يُنْصَحُ بِاسْتِعْمَالِ السُّوَاكِ بَعْدَ الْأَكْلِ، وَبَعْدَ الْإِسْتِيقَاطِ مِنَ النَّوْمِ، وَعِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى اسْتِمْرَارِ بَقَاءِ الْقَمِّ خَالِيًا مِنَ الْمَيْكْرُوبَاتِ طَوَالَ الْيَوْمِ مِمَّا يُتَّبَعُ بِنَتِجَةٍ صَحِيَّةٍ لِلْقَمِّ وَالْأَسْنَانِ بِاعْتِبَارِ الْقَمِّ أَحَدَ الْأَبْوَابِ الرَّئِيسَةِ لِدُخُولِ الْمَيْكْرُوبَاتِ إِلَى جِسْمِ الْإِنْسَانِ.

وَيَحْتَوِي السُّوَاكُ عَلَى (زُبُوتٍ طَيَّارَةٍ) وَ (فَلَاوُونِيدَات) وَ (فَلَوِيدَات)، وَتُسَاعِدُ هَذِهِ الْمَوَادُّ عَلَى زِيَادَةِ مَنَاعَةِ الْجِسْمِ ضِدَّ الْأَمْرَاضِ.

وَيُنْصَحُ بِاسْتِعْمَالِ جُذُورِ السُّوَاكِ لِشَجَرَةِ الْأَرَاكِ، وَلَيْسَ السِّيْقَانِ أَوْ الْفُرُوعِ، لِإِحْتَوَاءِ جُذُورِ الشَّجَرَةِ عَلَى الْمَوَادِّ الْفَعَّالَةِ بِكَمِّيَّاتٍ مُنَاسِبَةٍ، وَلَاخْتِيَارِ صِلَاحِيَّةِ الْجُذُورِ لِلِاسْتِعْمَالِ يُمْضَغُ جُزْءٌ صَغِيرٌ فِي الْقَمِّ مَعَ اللَّعَابِ، فَإِذَا وَجِدَ طَعْمٌ لَاذِغٌ فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَادَّةَ الْفَعَّالَةَ مَوْجُودَةٌ وَالْعَكْسُ صَحِيحٌ.

اكتُشِفَ فَرِيقٌ بَحْثٍ دَوْلِيٍّ الْمُكَوَّنَاتِ السَّرِيَّةِ فِي عِيدَانِ السُّوَاكِ الَّذِي يُسْتَخْدَمُ عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ فِي إِفْرِيقِيَا وَآسِيَا وَالْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ لِتَنْظِيفِ الْأَسْنَانِ وَحِمَايَةِ اللُّثَّةِ مِنَ الْأَمْرَاضِ.

فَقَدْ كَشَفَتِ الدِّرَاسَةُ الَّتِي أَجْرَاهَا الْبَاحِثُونَ فِي جَامِعَةِ "إِيلِينُويس" بِشِيكََاغُو، وَجَامِعَةِ "سْتِيلِينْبُوش" فِي "تَايجَرْبيرغ" بِجَنُوبِ إِفْرِيقِيَا- عَنْ أَنَّ السُّوَاكَ =

= يَخْتَوِي عَلَى مَوَادٍّ طَبِيعِيَّةٍ مُضَادَّةٍ لِلْمَيْكْرُوبَاتِ تَمْنَعُ إِصَابَةَ الْفَمِ بِالْأَمْرَاضِ، وَتُقَلِّلُ ظُهُورَ التَّجَاوِيفِ السِّنِّيَّةِ وَأَمْرَاضِ اللُّثَّةِ.

وَأَوْضَحَ الْبَاحِثُونَ فِي الدِّرَاسَةِ الَّتِي تُعْتَبَرُ الْأُولَى مِنْ نَوْعِهَا الَّتِي تُرَكِّزُ عَلَى كَشْفِ أَسْرَارِ قُدْرَةِ السَّوَاكِ فِي تَنْظِيفِ الْأَسْنَانِ أَنَّ أَعْوَادَ السَّوَاكِ الَّتِي عَادَةً مَا تُسْتَخْلَصُ مِنْ جُذُورِ أَوْ سِيقَانِ الْأَشْجَارِ وَالشُّجَيْرَاتِ الْمَحَلِّيَّةِ فِي الْبُلْدَانِ الَّتِي تُسْتَخْدِمُهَا، وَتُسْتَعْمَلُ بَعْدَ مَضْغِ أَطْرَافِهَا حَتَّى تَهْتَرَأَ، ثُمَّ تُسْتَخْدَمُ كَفَرَشَاةٍ لِنَظْفِيفِ الْأَسْنَانِ، فَعَالَةٌ كَفَرَشَاةِ الْأَسْنَانِ تَمَامًا فِي إِزَالَةِ طَبَقَةِ الْبِلَاكِ الْمُتْرَاكِمَةِ عَلَى الْأَسْنَانِ وَتَذْلِيكِ اللُّثَّةِ، مُشِيرِينَ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَعْوَادَ تُمَثِّلُ بَدِيلًا أَرْخَصَ ثَمَنًا لِسُكَّانِ الْعَالَمِ الثَّالِثِ.

وَكَانَتْ دِرَاسَاتٌ سَابِقَةٌ قَدْ أَظْهَرَتْ أَنَّ مُعَدَّلَاتِ تَسْوُسِ الْأَسْنَانِ بَيْنَ مُسْتَخْدِمِي السَّوَاكِ كَانَتْ أَقَلَّ بِالرَّغْمِ مِنْ تَنَاوُلِهِمْ أَغْذِيَّةً غَنِيَّةً بِالسُّكَّرِيَّاتِ وَالنَّشَوِيَّاتِ، كَمَا أُثْبِتَتْ دِرَاسَاتٌ أُخْرَى أَنَّ آثَارَهُ الْمُزِيلَةَ لَطَبَقَةِ الْبِلَاكِ تُعَادِلُ آثَارَ فُرْشِ الْأَسْنَانِ الْمُسْتَخْدَمَةِ لِنَفْسِ الْهَدَفِ.



فهرس الموضوعات

- مُقَدِّمَةُ كِتَابِ "الْمَجْمُوع" لِلْإِمَامِ النَّوَوِيِّ ٩
- بَابُ فِي فَضِيلَةِ الْإِشْتَغَالِ بِالْعِلْمِ، وَتَضْيِيفِهِ، وَتَعْلِيمِهِ، وَتَعْلِيمِهِ،
وَالْحَثُّ عَلَيْهِ، وَالْإِرْشَادُ إِلَى طَرِيقِهِ ١٣
- فَضْلٌ: فِي تَرْجِيحِ الْإِشْتَغَالِ بِالْعِلْمِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ
وغيرِهِمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ الْقَاصِرَةِ عَلَى فَاعِلِهَا ١٧
- فَضْلٌ. فِيمَا أُنْشِدُوهُ فِي فَضْلِ طَلَبِ الْعِلْمِ ١٩
- فَضْلٌ فِي ذَمِّ مَنْ أَرَادَ بِفَعْلِهِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى. ٢١
- فَضْلٌ: فِي النَّهْيِ الْأَكِيدِ، وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، لِمَنْ يُؤْذِي أَوْ يَنْتَقِصُ
الْفُقَهَاءَ، وَالْمُتَفَقِّهِينَ، وَالْحَثُّ عَلَى إِكْرَامِهِمْ، وَتَعْظِيمِ
حُرْمَاتِهِمْ ٢٣
- بَابُ أَقْسَامِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ ٢٥
- بَابُ آدَابِ الْمُعَلِّمِ ٣٣
- بَابُ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ ٥٣
- [بَابٌ]: قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي أَلْفِيَّتِهِ فِي مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ ٦٤
- آدَابُ طَالِبِ الْحَدِيثِ ٦٤

٦٨	فَصْلٌ فِي آدَابِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْعَالَمُ وَالْمُتَعَلِّمُ
٧٠	بَابُ آدَابِ الْفَتَاوَى وَالْمُنَى وَالْمُسْتَنْفَى
١١٨	أَقْسَامُ الْحَدِيثِ
١١٩	الشَّاذُّ
١١٩	الْمُنْكَرُ
١١٩	الْمُعَلَّلُ
١٢١	الْقِسْمُ الثَّانِي: الْحَسَنُ
١٢٣	الْقِسْمُ الثَّالِثُ: الضَّعِيفُ
١٢٤	فُرُوعٌ
١٢٧	الْمُرْسَلُ
١٤٢	فَصْلٌ: فِي نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
١٤٣	بُذَّةٌ مِنْ سِيرِ أَيْمَةِ الْفَقْهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ
١٤٣	١ - الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ (٨٠ - ١٥٠)
١٤٨	وَصِيَّةٌ لِأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
١٥٨	٢ - الْإِمَامُ مَالِكٌ (٩٣ - ١٧٩)
١٨٣	تَرْجَمَةُ الْإِمَامِ مَالِكٍ مِنْ مَوَاهِبِ الْجَلِيلِ لِلْحَطَّابِ
	٣ - الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ (١٥٠ - ٢٠٤) وَطَرَفٌ مِنْ أُمُورِهِ،
١٩٤	وَأَحْوَالِهِ

- ١٩٧ فِي نَوَادِرَ مِنْ حِكْمِ الشَّافِعِيِّ ، وَأَحْوَالِهِ
- ٢٠١ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (١٦٤ - ٢٤١)
- ٢٢١ الْمُحَنَّةُ
- ٢٤٤ مِحنةُ الواثق
- ٢٤٦ فَضْلٌ فِي حَالِ الْإِمَامِ فِي دَوْلَةِ الْمُتَوَكِّلِ
- ٢٩٨ الشَّيْخُ مَرْعِيُّ بْنُ يُوسُفَ صَاحِبُ "الدَّلِيلِ"
- ٣٠٠ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَالِمٍ بْنِ ضُويَّانَ
- ٣٠٢ الْمُجْتَهِدُونَ الْكِبَارُ
- ٣١١ مِنْ أَعْلَامِ عُلَمَاءِ الْمَذْهَبِ الْحَنْبَلِيِّ
- ٣١٥ مُقَدِّمَاتُ فِقْهِيَّةٍ
- مُقَدِّمَةُ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَالِمٍ بْنِ ضُويَّانَ
- ٣٢٦ مُؤَلَّفِ "مَنَارِ السَّبِيلِ"
- ٣٣٥ كِتَابُ الطَّهَارَةِ
- ٣٣٦ أَقْسَامُ الْمِيَاهِ
- ٣٣٩ أَنْوَاعُ الْمَاءِ الطَّهُورِ
- ٣٦٤ حُكْمُ الْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ

الماء النَّجِسُ	٣٧٥
ماءُ زَمْزَمَ وَحِكْمَةُ الاسْتِشْفَاءِ بِهِ	٣٩٧
الأوزانِ وَالْمَقاييسُ	٤٠٧
فَصْلٌ	٤٠٩
بَابُ الْآيَةِ	٤٣٤
[زِيَادَةٌ: بَابُ الْآيَةِ	٤٤١
أَحْكَامُ الْمَيَةِ	٤٤٧
حُكْمُ عِظَامِ الْمَيَةِ وَقُرُونِهَا وَرِيشِهَا	٤٥٦
بَابُ الاسْتِجَاءِ وَأَدَابُ التَّخْلِى	٤٦٧
بَابُ السُّوَاكِ	٥١١
فَصْلٌ فِي سَنَنِ الْفِطْرَةِ	٥١٨
مُنَظَّمَةُ الصَّحَّةِ الْعَالِمِيَّةِ تَعْتَمِدُ الْخِتَانَ وَسِيلَةً لِلْوَقَايَةِ مِنَ الْإِيذِ ...	٥٣٢
مِنْ رَوَائِعِ الطَّبِّ الْإِسْلَامِيِّ	٥٣٣
إِعْجَازُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فِي الْخِتَانِ	٥٣٣
الزَّيْنَةُ الْمُحَرَّمَةُ	٥٥١
الْفَوَائِدُ الطَّبِيَّةُ لِلْسُّوَاكِ	٥٦٦
فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ	٥٧١



أنهتكم بكممد الله وتوفيقه

الجزء الأول من كتاب « مدار الدليل على منار السبيل »

ويليه بمشيئة الله تعالى الجزء الثاني ، وأوله : باب الوضوء